سلسلة الرسائل الجامعية
(٦)

مصادر النصرانية

دراسة ونقدا

تأليف
د. عبد الرزاق بن عبد المجيد ألارو

قدم له كل من

أ.د. محمد بن عبد الرحمن الخميس
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

سعادة اللواء
أحمد عبد الوهاب
مؤلف كتاب: "المسيح في مصادر العقائد المسيحية"

الجزء الأول

دار التوحيد للنشر
الرياض

ح دار التوحيد للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
ألارو، عبد الرزاق عبد المجيد
مصادر النصرانية (دراسة عقدية)/ عبد الرزاق عبد المجيد
ألارو - الرياض، ١٤٢٦هـ
٢مج.
ردمك: ٨- ٠ - ٩٦٦٢ - ٩٩٦٠ (مجموعة)
٦- ١ - ٩٦٦٢ - ٩٩٦٠ (ج١)
١- النصرانية - مصادر ٢- النصرانية - نقد أ- العنوان
ديوي ٢٧٠ ١٤٢٦/٤٢٤٠

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٤٢٤٠
ردمك: ٨- ٠ - ٩٦٦٢ - ٩٩٦٠ (مجموعة)
٦- ١ - ٩٦٦٢ - ٩٩٦٠ (ج١)

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

للتواصل مع المؤلف:
arabdulmajeed@yahoo.com

الناشر
دار التوحيد للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب: ١٠٤٦٤ - الرمز البريدي: ١١٤٣٣
هاتف وناسوخ: ٤٢٨٠٤٠٤ - ١ ٩٦٦ ٠٠
البريد الإلكتروني: E-mail:dar_attawheed.pub.sa@naseej.com

الإخراج بدار التوحيد للنشر
أبو عبد الرحمن عبد الإله محمد ٠٥٠٦٤٨٩٥٣٦ Redou٢sa@yahoo.com

سلسلة الرسائل الجامعية

(٦)



تأليف

د. عبد الرزاق بن عبد المجيد ألارو

قدم له كل من

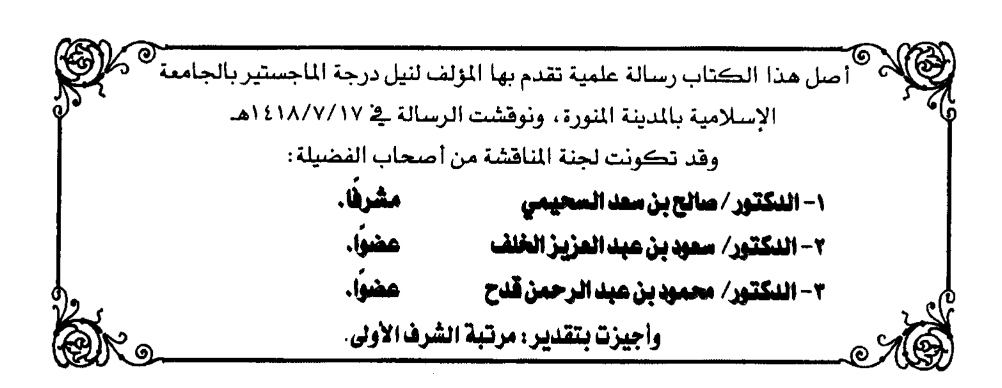
أ.د. محمد بن عبد الرحمن الخميس
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

سعادة اللواء
أحمد عبد الوهاب
مؤلف كتاب: "المسيح في مصادر العقائد المسيحية"

الجزء الأول

دار التوحيد للنشر
الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم



أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة الماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ونوقشت الرسالة في ١٤١٨/٧/١٧هـ

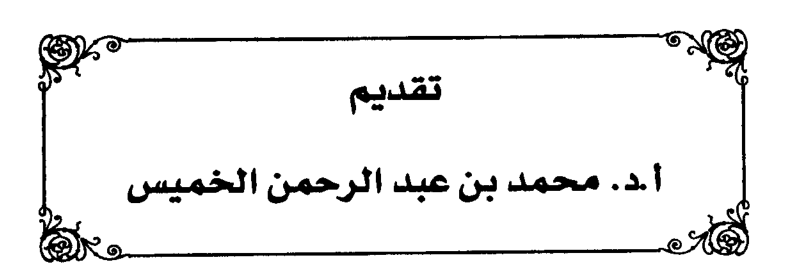
وقد تكونت لجنة المناقشة من أصحاب الفضيلة:

١- الدكتور/ صالح بن سعد السحيمي مشرفاً.

٢- الدكتور/ سعود بن عبد العزيز الخلف عضواً.

٣- الدكتور/ محمود بن عبد الرحمن قدح عضواً.

وأجيزت بتقدير: مرتبة الشرف الأولى.



تقديم

أ.د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الإيمان لا يتم إلا بالكفر بالطاغوت، واعتقاد كفر الكافرين، وشرك المشركين، ومن ذلك اعتقاد كفر اليهود والنصارى، وأنهم على الشرك والكفر، فإن الديانة النصرانية ليست على شيء مما بعث عليه عيسى عليه السلام، وكذلك الديانة اليهودية ليست على شيء مما بعث عليه موسى عليه السلام.

وقد بين الله تعالى كفر أصحاب الديانتين في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾، ثم قال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ

قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾.

ومن أهم الأمور بيان ما في كتبهم المحرفة من الإنحرافات العقدية، والمخالفات الواقعية التي تدل على التغيير والتبديل، وأن هذه الكتب التي يدعون أنها "التوراة المنزلة" و"الإنجيل المنزل" ما هو إلا محرف مغير مبدل.

وقد بذل الأخ الدكتور عبد الرزاق ألارو ـ وفقه الله ـ في أطروحته للماجستير، والتي هي بعنوان: "مصادر النصرانية دراسة ونقداً" جهداً ملموساً، ونقداً مشكوراً، في بيان ضلال وانحرافات أهل الكتاب، وأن مصادرهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

فجمعت هذه الرسالة علماً جماً، وفهماً دقيقاً، وبياناً شافياً كافياً، فأسأل الله تعالى أن يثيبه على ما بذل وقدم، وأن يجزيه خير الجزاء، وأن ينفع بمؤلفه، وأن يجزل له المثوبة، ولناشره، وقارئه.

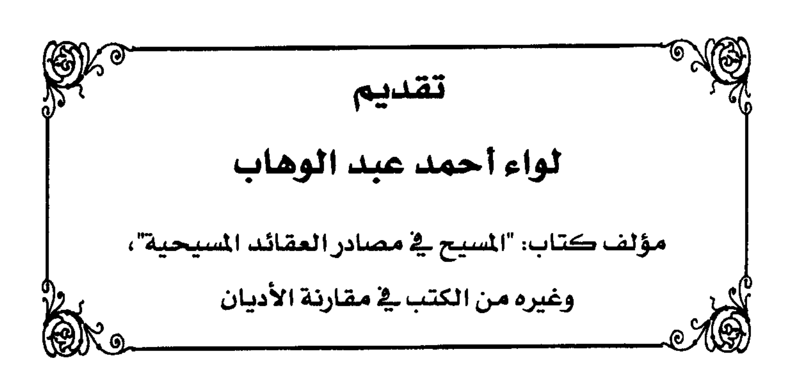
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أ.د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض



تقديم

لواء أحمد عبد الوهاب

مؤلف كتاب: "المسيح في مصادر العقائد المسيحية"،
وغيره من الكتب في مقارنة الأديان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فلقد دُعيتُ لكتابة تقديم لكتاب: **مصادر النصرانية**، من تأليف الأستاذ عبدالرزاق عبدالمجيد ألارو، وهو عبارة عن رسالة ماجستير مقدّمة إلى الجامعة الإسلامية، وقد أجازتها الجامعة بتقدير ممتاز.

والكتاب يقع في نحو ألف صفحة، ويتكوّن من باب تمهيدي، ثم أربعة أبوابٍ رئيسية هي: العهد القديم، والعهد الجديد، والمجامع النصرانية، والبابوية والبابوات. ثم ينتهي الكتاب بمجموعة فهارس هامة تتعلق: بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ونصوص العهد القديم، ونصوص العهد الجديد، والأعلام، والأماكن والبلدان، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، والمصطلحات النصرانية، وأخيراً المصادر والمراجع التي اعتمد عليها المؤلّف، وهي تزيد على ثلاثمائة مرجع.

إنّ هذا الكتاب، بل هذا السِّفر العظيم، ليس في حاجة إلى تقديم، فهو باختصار موسوعة علمية بذل فيها المؤلّف من الجهد المضني وحسن الإعداد

والتنظيم ما يجعله مرجعاً أصيلاً لا غنى عنه لكل باحث في مقارنة الأديان، وخاصةً ما يتعلق بدراسات أسفار السابقين من اليهود والنصارى.

إن دراسات النصرانية في الغرب النصراني تطلع علينا كل يوم بجديد، فجلّها يصبّ في نهر التشكيك في عقائدها، وكثير منها يدعو إلى حاجة النصرانية المعاصرة إلى التطوير والتغيير، وإلاّ تعرّضت للموت والفناء، وذلك بسبب ما لحق بأسفارها عبر التاريخ حتى اليوم من التحريف والتبديل، ولعل أحدث كتابٍ في هذا المجال هو الذي صدر عام ١٩٩٧، ويقول في عنوانه:

"لماذا يجب على النصرانية (المسيحية) أن تتغير أو تموت"[١].

وهو من تأليف الأسقف جون شلبى من ولاية نيوجرسي في الولايات المتّحدة الأمريكية. وهذا الأمر ليس بغريب، فقد صدر في لندن عام ١٩٧٧ كتاب اشترك فيه سبعة من كبار علماء المسيحية، وصدر بعنوان: **أسطورة الإله المتجسد**[٢].

إن المسلمين اليوم في حاجة إلى يقظة علمية ومعرفية، ولا يجديهم أن ينكفئوا على أنفسهم ويعزلوا أنفسهم عن العالم المعاصر وشعاراته والقوى الفاعلة فيه. ومن المفارقات غير المنطقية أنّه في الوقت الذي تنهار فيه النصرانية في الغرب، فإنّ قوى التنصير تنشط بين الشعوب الإسلامية وتكسب أفرادا من بين المسلمين بسبب الجهل والفقر والحاجة إلى ضرورات الحياة.

---

(١) John Shelby, Why Christianity Must Change or Die, Harper, San Francisco, U.S.A.

(٢) The Myth of God Incarnate.

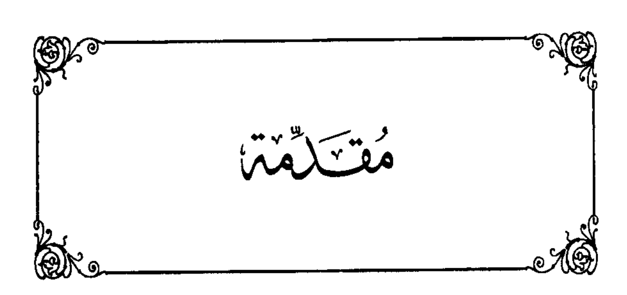
وأخيراً، جزى الله مؤلّف هذا السِّفر الكبير خير الجزاء، وجعله في ميزان حسناته يوم القيامة، ونفع به الإسلام والمسلمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

كتبه:

لواء أحمد عبد الوهاب

القاهرة في ١٥ فبراير ١٩٩٩م. ٢٩ شوال ١٤١٩هـ





مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله الأحد الصّمد، وأن نبينا محمدًا، خاتمَ الأنبياء والرسل عبدُه ورسوله، صلوات ربّي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله منزل الكتب ومرسل الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وهو القائل جلّت قدرته: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[آل عمران:٦٥-٦٦].

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[البقرة:٧٩].

أما بعد... فإن علم مقارنة الأديان علم إسلامي أصيل، قد كان للإسلام والمسلمين فضل السبق والصدارة في الاهتمام والإلمام به. فإن كتاب الله ﷻ إلى جانب دعوته إلى التوحيد، وبيان حقائق الملة الحنيفية، قد عرض بعض مقالات

أهل الأديان الباطلة، وبيّن جزءاً من آراء ذوي النحل والملل الضّالة، لا سيما ما كان منها منتشرا وقت التنزيل: قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾[التوبة:٣٠]. وقال ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾[المائدة:٧٣]. وقال ﷻ: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾[الجاثية:٢٤].

وناقش القرآن الكريم العقائد المنحرفة والآراء الباطلة، وأمر بتبليغ الدعوة الإسلامية لذويها بالحكمة والموعظة الحسنة، وأمر بالمجادلة بالتي هي أحسن إذا لزم ذلك، قال الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝١٩٢ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ۝١٩٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٩٤ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾[الأعراف:١٩١-١٩٥]. وقال ﷻ حكايةً لقول يوسف ؏: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[يوسف:٣٩]. وقال ﷻ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[النحل:١٢٥].

كما أن علماء المسلمين قد نهضوا بهذه المهمة وقاموا بهذا الواجب خير قيام، فتصدّوا لمجادلة أهل الأديان والعقائد الباطلة، ومقارعتهم بالحجج والبراهين الدامغة، تأليفا ومناظرةً ومحاورةً. إذ أدركوا من إيماءات القرآن الكريم وتنبيهاته

أن الانخراط في مثل هذا النشاط إسهام جليل في خدمة دين الله، وأنه منهج دعوي سليم لا غبار عليه، فكانوا أول من أفردوا هذا العلم بالكتابة أو التصنيف.

والاشتغال بدراسة مقارنة الأديان بالنسبة للمؤمن بالله ﷻ له فوائد عظيمة، من أبرزها أنه يكشف له مدى ما عليه سائر الأديان وأهلها من انحراف وزيغ وضلال وتناقض، مقارنةً بما يتميز به دين الله الإسلام من الحق والرشاد، والدقة والإتقان، فيزيده هذا يقينا وتمسكا بدينه إن شاء الله، فبضدها تتميز الأشياء.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:-

إذا استقر عندنا أن علم دراسة الأديان أو مقارنتها يعتبر وسيلة من وسائل نشر الإسلام، يجب على طائفة من المسلمين، وأولي الأمر منهم خاصةً ـ أمراء أو حكّامًا وعلماء أو دعاةً ـ النهوض به والاهتمام به، فإن من أهم ما يجب صرف الهمم إليه من فروع هذا العلم المتشعّبة، ما يتّصل بنقد المصادر ودراستها، سنداً ومتناً، تأريخاً ونصًا. لأنها ـ أعني المصادر ـ القطب والعماد والركيزة التي يعتمد عليها الدين كله ويستنَد إليها.

والديانة النصرانية المحرّفة في عالمنا المعاصر تُعدّ أخطرَ الديانات الوضعية على وجه الأرض، وأكثرَها أتباعا، وأقواها دعايةً وحملةً، وأجرءها على افتتان المسلمين في دينهم وغزوهم فكريا وعسكريا. فهذا جزء من الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع، وهناك أسباب أخرى أُجملها في الآتي:-

أ ـ رغبتي في اختيار موضوع يستفيد منه عامة الناس، فلعل الله يثبّت به من يقرأه من المسلمين، ويهدي به من يطّلع عليه من غيرهم، لا سيما النصارى.

ب ـ لما رأيت ما آل إليه مفهوم الحوار الديني لدى كثير من مفكري العالم الإسلامي، من الاهتمام الزائد بمجرد إقامة الحوار بينهم وبين ذوي النحل الباطلة ـ لا سيما أمة الصليب ـ، بعيدا عن مراعاة الغاية السامية التي من أجلها يقام الحوار وهو الدعوة إلى الله. وما تلا هذا من دعوة بعضهم إلى التفاهم أوالتسامح وتبادل الثقة بين أمة القرآن وأمة الصلبان! انطلاقا من زعمهم أن الجميع إنما يتديّنون بدينين سماويين متحديْ المصادر والمبادئ والأهداف، ونتيجة لتأثّرهم وانبهارهم بحضارة الغربيين ومدنيّتهم المادية.

فبدأتُ أفكر في كيفية تقديم جهد متواضع في بيان خطئهم في الأمرين، وأن الغرب فيه النافع كالصناعات، والضّار كمعتقداتهم ودياناتهم.

ج ـ من خلال دراستي لمادة الأديان في المرحلتين الجامعية والمنهجية التمهيدية في الدراسات العليا، تبيّنَ لي كثير من الحقائق واتضح لي عديد من الأمور الغامضة فيما يخص الديانة النصرانية المعاصرة وبُعدَها عن المصدر الإلهي. وأوجد هذا في نفسي رغبةً في معرفة المزيد عن حقيقة هذه الديانة ومن أي شيء تستمد عقائدها وشرائعها. إذ بمعرفة حقيقة الأديان الباطلة يُعرف بطلان ما يشبه مقولاتها من أقوال أهل الأهواء والبدع، وما قد يقع فيه بعض المنتسبين إلى الإسلام ـ بقصد أو بغيره ـ مما فيه شبه بها عند ذوي هذه الديانات.

د ـ تكالب النصارى ودعاة التنصير على المسلمين ومهاجمتهم في عقر ديارهم وعند أبواب منازلهم، واتّهامهم ودينهم ونبيهم ﷺ بأبشع الاتهامات، بل وزعمهم أن في القرآن الكريم أخطاءً وتناقضات، سالكين في ذلك كل المسالك من استهزاء وتهييج وتحدٍّ واستفزاز ونحوها.

فأردتُ بيان كذب ما يقولون وإثبات أن الطعن يعود إليهم، فمَن كان بيته من زجاج أليس الأولى له الكف عن رمي بيوت الناس بالحجارة؟!

هـ ـ تطبيقا لقول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾[النحل:١٢٥]، فما أحوج الداعي إلى الله تعالى إلى الإلمام بفكر المدعو، والتنقيب عن مصادره ومدى أصالة هذه المصادر وسلامتها، لا سيما الدعاة الذين يقيمون بين الكفار، فهم دائما على خط المواجهة مع خصوم الإسلام.

الدراسات السابقة في الموضوع

أولاً: ما يتعلق بالرسائل العلمية.

لم أر - بعد البحث، ثم الاستعلام والاستفسار من ذوي الاختصاص - ولم أسمع برسالة علمية بهذا العنوان حتى الآن.

بيد أنني وقفت على رسالة الدكتور إبراهيم بن خلف التركي: "أهم عوامل انحراف النصرانية"، فوجدته قد قدّم - جزاه الله خيرا - معلومات قيّمة ومفيدة جدّا عن المجامع النصرانية باعتبارها عاملاً من عوامل الانحراف، لا مصدراً من مصادر النصرانية، لذا فقد كان تركيزه على مجمعي نيقية والقسطنطينية الأوّلين (المجمع المسكوني الأول والثاني)، مع الاكتفاء بالإشارة إلى المجامع الأخرى. كما يلاحظ أيضا أن الاعتماد الكلي تقريبا في إعداد الرسالة إنما كان على المصادر العربية، وهي بلا شك أقل من المراجع الأجنبية في هذا الباب.

ثانيا: ما يتعلق بالكتب المتخصصة في مسألة المصادر.

أ- "Let the Bible Speak" (اسمحوا لكتاب النصارى المقدّس ليتكلم)، للشيخ عبد الرحمن دمشقية: والكتاب من أحسن ما كتب في هذا الباب، غير أن لي عليه بعض الملحوظات، منها:-

١- اقتصار المؤلف على سرد النصوص من كتاب النصارى المقدس شواهدَ على الانتقادات التي وجّهها ضده، ومن غير التفات إلى شُبه ومغالطات مفسري هذه النصوص من القساوسة وغيرهم ليتناولها أيضا بالرد والنقد.

٢ـ يدل الكتاب على اطّلاع عميق للمؤلف في أسفار هذا الكتاب المقدّس لدى النصارى، لكن الكتاب من أوله إلى آخره خلا من أي إشارة إلى مرجع آخر غير كتاب النصارى المقدس.

٣ـ لم يتناول المصدرين الآخريْن من مصادر النصرانية، ـ أعني المجامع والبابوات ـ على الإطلاق. ولعل ذلك من المؤلف ـ حفظه الله ـ مراعاةً لضرورة انسجام المضمون مع عنوان الكتاب.

٤ـ أن الكتاب نظرا لصغر حجمه (في حدود سبعين صفحة) يعتبر موجزا ومختصرا في هذا الموضوع الواسع.

ب ـ "Is the Bible God's Word?" (هل كتاب النصارى المقدّس كلام الله؟). للداعية الشيخ أحمد ديدات ـ رحمه الله ـ. وهو كتاب لمؤلف له باع طويل في هذا المجال، ويمكن إيجاز الكلام عنه في ما يلي:

١ـ أنه كتاب نافع ومهم في هذا الباب، إلا أنه غلب عليه أسلوب الحوار والمناظرة ـ كما هو سمة بارزة لسائر كتب المؤلّف، جزاه الله خيرا ـ مما أقصاه عن الالتزام ببعض قواعد البحث العلمي الحديثة.

٢ ـ وكما هو واضح من عنوان الكتاب، فإنه خاص بما يتعلق بكتاب النصارى المقدس فقط، بل الواقع أنه خاص بالعهد القديم وجزء من العهد الجديد دون الجزء الآخر، أعني رسائل الرسل وما يلحق بها، حيث لم تأت الإشارة إليها في الكتاب إلا نادرا جدا.

٣ ـ إن دراسته للعهد القديم والأناجيل لم تغط الجوانب التأريخية أو

الإسنادية.

٤ ـ وأخيرا، فهو كسابقه، يعتبر مختصرا في مثل هذا الموضوع، إذ إنه يحتوي على أربع وستين صفحة فقط.

ج ـ "Who Wrote the Bible?" (من كتب الكتاب المقدس؟). للأستاذ الدكتور ريشارد إيلّيوت فرايدمان.

وهو الآخر كتاب نفيس وقوي في دراسة مصادر العهد القديم ومصادر مصادره، وكذلك في تأريخ أسفاره. وظهر فيه تمكّن وعمق اطّلاع مؤلفه الذي يحمل درجة الدكتوراه في التوراة العبرية، ويعمل أستاذا في إحدى الجامعات الأمريكية. إلا أن الكتاب خاص بجزء من مصدر واحد من مصادر النصرانية، وهو العهد القديم.

د ـ إسرائيل حرّفت الأناجيل والأسفار المقدسة، للواء أحمد عبد الوهاب.

وهو أيضا كتاب مهم لكنه مختصر (في حدود إحدى وتسعين صفحة)، بالإضافة إلى أنه خاص بجزئية معيَّنة أو نوع معيّن من أنواع التلاعب بمصادر النصرانية، ألا وهو التحريف اليهودي للأناجيل، وذلك في نسخة العهد الجديد التي قامت على نشرها المؤسسات اليهودية. فهذا ليس إلا غيضا من الفيض كما يقال.

ثالثا: ما يتعلق بالكتب العامة.

هناك كتب في النصرانية عامة، وهي تختلف في تناولها لهذه المسألة توسعا وإيجازا، وكذا من حيث الأسلوب والمصادر أو المراجع والمحتوى العام. وفيما يلي عرض مختصر لما يحويه بعض هذه الكتب حول مسألة المصادر.

أـ كتاب "الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح"، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

هذا الكتاب العظيم، إنما أُلّف ـ كما صرّح مؤلفه ـ جوابا على كتابٍ ورد من قبرس، "فيه الاحتجاج لدين النصارى". إذًا، فهو في مسائل محددة ذكرها المؤلف رحمه الله، وهي ست(١)، وليس فيها نص على مسألة المصادر، وإن كانت هناك إشارات إلى ذلك في ثنايا الكتاب، كمبحث اختلاف نسخ التوراة ـ في الجزء الأول ـ، ومباحث الغلط والتغيير في التوراة والإنجيل، في الجزء الثاني من الكتاب.

ب ـ "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى"، للإمام ابن القيم رحمه الله.

تطرّق المؤلف فيه إلى نقد نصوص الأناجيل نقدا عاما من غير ضرب أمثلة لذلك خشية الإطالة ـ كما صرّح بذلك ـ، ولأن غيره من علماء الإسلام قد كفوه مئونة ذلك(٢). أما في مبحث التناقضات في الأناجيل فقد ذكر بعض الأمثلة(٣)، إلا أنه لم يشر إطلاقا إلى مواقعها في الأناجيل هذه.

ج ـ "إظهار الحق"، للشيخ رحمت الله الهندي رحمه الله.

وهو كتاب جدًّا مهم في هذا الباب، والحديث عنه يأتي في النقاط الآتية:-

١ـ جاء في مقدمة الكتاب أنه صُنّف إثر مناظرة جرت بين المؤلف وبعض القساوسة حول خمس مسائل، وليس فيها نص على مسألة المصادر، ولكن المؤلف

---

(١) انظر: ص١٩-٢٠ من الكتاب المذكور (طبعة مطابع المجد التجارية).

(٢) انظر: ص٥٩.

(٣) انظر: ص١٣٣-١٣٤.

زاد حين تأليف الكتاب بابا سادسا في العهد القديم والعهد الجديد[١].

٢ـ كما صرّح أيضا[٢]، بأن اعتماده في النقل من كتب النصارى في الغالب يكون من كتب الطائفة البروتستانتية، دون غيرها إلا نادرا. وعذره في هذا أن هذه الطائفة هي المتسلطة على الهند ـ مسقط رأس المؤلف، ولأن المناظرة إنما جرت بينه وبين بعض علماء هذه الطائفة.

٣ـ الإحالات إلى المصادر والمراجع لم تكن بالطريقة المألوفة في مناهج البحث العلمي، مما يجعل البحث عن المعلومات المعزوة والوقوف عليها صعبا للغاية، سواء للباحثين أو المستفيدين المطّلعين[٣].

٤ـ اختصر الكلام فيما يتعلق بنسبة الأناجيل إلى من تنسب إليهم ومدى صحة ذلك. والموضوع ـ في نظري ـ يستحق أكثر من ذلك لأهميته.

٥ـ أما فيما يتعلق بجانب التحريفات والتناقضات والأخطاء في كتاب النصارى المقدس، فقد قدّم المؤلف ـ جزاه الله خيرا ـ ما يشفي العليل ويروي الغليل، غير أنه أحب إليّ ـ والله أعلم بالصواب ـ أن يكون ذلك بتنظيم أدق.

د ـ "اليهودية والمسيحية"، للأستاذ الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي.

وهو كتاب نفيس ومهم في دراسة الديانة النصرانية عامة، وكذلك في نقد المصادر النصرانية. ولكنه كتاب عام في علم الأديان، مع التركيز على الديانتين:

---

(١) انظر: ١/ ٦-٨ من الكتاب (بتحقيق الدكتور محمد أحمد ملكاوي).

(٢) انظر: ١/ ٩.

(٣) صدرت أخيرا نسخة محققة تحقيقا علميا للكتاب لفضيلة الدكتور محمد أحمد ملكاوي، فقلّل هذا من الإشكال المشار إليه أعلاه.

اليهودية والنصرانية، تأريخاً ومصادرَ وفرقاً وعقائدَ، الأمر الذي قد يبرر اقتصار المؤلف ـ حفظه الله ـ على مصدر واحد فقط من مصادر النصرانية، وهو كتاب النصارى المقدس بعهديه القديم والجديد.

وجاء على النمط نفسه تقريبا كتاب: "**دراسات في الأديان ـ اليهودية والنصرانية ـ**"، للدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف، ـ حفظه الله ـ، إلا أن هذا أصغر من الأول حجما، وأقل منه توسعا، ولكنه قد تناول بعض ما تركه الأول من المصادر المهمة للنصرانية.

ويمكن أن يقال هذا الكلام نفسه في بقية الكتب التي تبحث في مقارنة الأديان عامةً، مع التركيز على بعضها، ككتاب: "**محاضرات في النصرانية**" للشيخ محمد أبي زهرة ـ رحمه الله ـ، و كتاب: "**المسيحية**" للأستاذ الدكتور أحمد شلبي.

هـ ـ "المسيح في مصادر العقائد المسيحية"، للواء أحمد عبد الوهاب.

هذا الكتاب يعتبر من أنفس كتب المعاصرين في هذا الباب، فقد بذل المؤلف فيه جهودا مشكورة، وامتاز الكتاب بالاعتماد على بعض المصادر والمراجع الأجنبية النادرة. غير أنه يلاحظ على الكتاب ما يلي:

١ـ لم يخصِّص لدراسة المصادر سوى ثلاثة فصول فقط من بين فصول الكتاب البالغ عددها اثني عشر فصلا.

٢ـ لم تتناول الدراسة إلا جزءًا من مصدر واحد فقط من مصادر النصرانية، وهو العهد الجديد، بل ولم تغط جميع شعب هذا الجزء أيضا، وذلك لحصره الدراسة في نصوص الأناجيل الأربعة فقط دون الرسائل وما يُلحق بها

من بقية أسفار العهد الجديد إلا نادرا. ولعل عذر المؤلف ـ حفظه الله ـ في هذا أن محور الكتاب وموضوعه إنما في ما يتعلق بشخصية المسيح عليه السلام وما يروى عنه، كما يفهم من العنوان.

٣ـ تركيزه على جانب التناقضات أو الاختلافات دون جانبي التحريفات والأخطاء في نقد النصوص.

و ـ "Muslim Christian Dialogue" (حوار بين مسلم ونصراني)، للدكتور حسن م. باجل.

وهوكتاب جيد نافع في إقامة الحجة على النصارى في مسائل عدة، من بينها مسألة: كتاب النصارى المقدس، غير أن هذه المسألة لم تفز بأكثر من ست صفحات فقط من بين الصفحات السبع والأربعين للكتاب.

ز ـ "In Search of the Truth" (بحثاً عن الحق) للمهندس محمد عبد الحي.

حيث خصص المؤلف ـ جزاه الله خيرا ـ ثلاثة فصول من بين فصول الكتاب العشرة لنقد مصدر من مصادر النصرانية، وهو كتاب النصارى المقدس، لكنه ـ كسابقه ـ لم يتطرق إلى غيره. يضاف إلى هذا أنه كتاب عام في إثبات بطلان النصرانية وكتابها المقدس، وإظهار محاسن الدين الإسلامي وأصالته، فلم يكن كل التركيز فيه على نقد المصادر.

كما يلاحظ فيه أيضا الاعتماد الكلي على المراجع والمصادر غير العربية، ولعل هذا يرجع إلى عدم إجادة مؤلفه اللغةَ العربية.

ففي ضوء ما تقدم، يبدو لي ـ والعلم عند الله تعالى ـ أن ثمة جوانب أخرى

في الموضوع ما تزال بحاجة إلى العناية والدراسة، ومن أبرزها:-

أ ـ بذل أكبر قدر ممكن من الجهود في الاستدلال على القوم بكلامهم أنفسهم، خاصة من المصادر والمراجع الأجنبية القديمة والحديثة، وذلك انطلاقا من القاعدة التي تقول: الإقرار سيد الأدلة.

ب ـ إعادة صياغة أو تنظيم كيفية إيراد الشواهد وسوقها على التناقضات و الأخطاء من كتاب النصارى المقدس. ويمكن حتى بالنسبة لمسألة التناقضات صرف نوع من الاهتمام إلى لون آخر من ألوان التناقضات، وذلك بالموازنة بين النسخ والترجمات المختلفة لهذا الكتاب، إذ إن ذلك من دواعي الشك ـ لا سيما عند المؤمنين به ـ في حقيقة نصوص هذا الكتاب الأصيلة التي نطق بها قائلها أو كتبها كاتبها على أي تقدير.

ج ـ البحث عن مدى ارتباط النصارى بهذه المصادر في حياتهم العملية، ومدى صدق ذلك وواقعيته، وهل هذا الارتباط على درجة واحدة بالنسبة للمصادر نفسها، وما السر في ذلك؟

د ـ تناول ما استجدّ من أبحاث علماء النصارى بالرد والنقد والتمحيص، إذ قد عمدوا إلى إصدرا أجوبة ملفّقة على الانتقادات التي وجّهها علماء الإسلام قديماً ضد مصادرهم. يقول قائل منهم: «إن أكثر الاعتراضات على هذه الأسفار أو التوراة واهنة وواهية، علتها الجهل لأحوال الأزمنة القديمة، وعادات أهل العصور الخالية، وقِدم عهد شريعة الرب!»[1].

(١) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، للقس وليم مارش ١/ ٩.

هـ ـ عدم تخصيص فرقة معينة من فرق النصارى بالدراسة أو النقد، بل ينصبّان على المصادر بصرف النظر عن الطوائف والنحل. وذلك انطلاقا من مبدأ: "الكفر ملّة واحدة وإن تشعّبت طوائفه".

و ـ شمولية الدراسة لجميع المصادر المعتمدة لدى الكنيسة النصرانية.

وأرجو أن يوفقني الله تعالى للقيام بما يمكن تحقيقه من هذه الأمور في هذا العمل المتواضع إن شاء الله تعالى، إنه ولي التوفيق.

خطة الرسالة

تشتمل الرسالة على مقدمةٍ وبابٍ تمهيديٍّ ثُم أربعةِ أبواب وخاتمةٍ.

أما المقدمة ففيها: بيان أهمية علم مقارنة الأديان عامةً وموضوع المصادر ونقدها خاصةً، وأسباب اختياري للموضوع، وعرض الدراسات السابقة في الموضوع، وخطة الرسالة، وبيان المنهج الذي التزمت السير عليه في إعداد الرسالة، ثم شكر وتقدير.

وأما الباب التمهيدي ففيه أربعة فصول وهي:-

الفصل الأول: التعريفات.

الفصل الثاني: دعوة المسيح ﷺ كما جاءت في القرآن والسنة.

الفصل الثالث: انحراف أتباع المسيح ﷺ من بعده وأسباب ذلك.

الفصل الرابع: مدخل لدراسة مصادر النصرانية ونقدها.

وأما الباب الأول ـ وهو خاص بالعهد القديم من كتاب النصارى المقدس ـ ففيه أربعة فصول وهي:-

الفصل الأول: التعريف بالعهد القديم وبأقسامه وأسفاره.

الفصل الثاني: ارتباط النصارى بالعهد القديم.

الفصل الثالث: الدراسة النقدية لبعض أسفار العهد القديم.

الفصل الرابع: أين توراة موسى عليه الصلاة والسلام؟

وأما الباب الثاني ـ وهو خاص بالعهد الجديد من كتاب النصارى المقدس

ـ ففيه ثلاثة فصول وفرع وهي:-

الفصل الأول: التعريف بالعهد الجديد وبأقسامه.

الفصل الثاني: الأناجيل الأربعة، سندا ومتنا.

الفصل الثالث: رسائل الرسل، سندا ومتنا.

فرع: في نسخ كتاب النصارى المقدس وترجماته وطبعاته المختلفة وما بينها من الاختلافات.

وأما الباب الثالث ـ المجامع النصرانية ـ ففيه أربعة فصول وهي:-

الفصل الأول: تعريف المجامع النصرانية وأنواعها وأهمية دراستها.

الفصل الثاني: الكنيسة النصرانية ونشأتها.

الفصل الثالث: أهم المجامع النصرانية وما تمخضت عنها من القرارات.

الفصل الرابع: دور المجامع في انحراف النصرانية وانقسام النصارى إلى طوائف.

وأما الباب الرابع ـ البابوية والبابوات ـ ففيه كذلك فصولٌ أربعةٌ وهي:-

الفصل الأول: البابوية وموقف النصارى من كونها مصدرا للتشريع.

الفصل الثاني: نظرة في تأريخ الكنيسة الغربية وبابواتها.

الفصل الثالث: العصمة البابوية، عرضا ونقدًا.

الفصل الرابع: أهم إضافات البابوات على الديانة النصرانية.

وأما الخاتمة ففيها خلاصة الرسالة ونتائجها، والتوصيات.

منهجي في الرسالة:

وهو على النحو الآتي:-

١ـ عزوت الآيات القرآنية الواردة في الرسالة إلى مواضعها في المصحف، وذلك بذكر اسم السورة ثم رقم الآية بعد النص مباشرةً.

٢ـ خرّجت الأحاديث من مظانّها من دواوين السنة، وإذا كان الحديث مخرّجا في أكثر من مصدر فغالبا ما أكتفي بالتخريج المفصّل من بعضها مع الإشارة إلى المصادر الأخرى بإيجاز.

٣ـ إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيتُ بذلك في الحكم عليه بالصحة، وإلا بذلت جهدي في نقل أقوال المتقدمين من أئمة الجرح والتعديل، وقد أضيف قول المتأخرين أيضا، خاصة في حالة وجود خلاف بين أقوال المتقدمين في ذلك.

٤ـ أتحرّى أدل نصٍّ على المراد عند الاستدلال بالأحاديث الشريفة، مع الإشارة في الهامش إلى المصدر المأخوذ منه النص المذكور بالحرف، وذلك بقولي: "والنص منه" أو "واللفظ له".

٥ـ عزوت جميع نصوص العهد القديم والعهد الجديد الواردة في الرسالة إلى مواضعها بذكر السِّفر ثم الإصحاح ثم الفقرة، وقد أقتصر في ذكر بعض العناوين فأقول مثلا: ١ـ أخبار الأيام ٢/ ١، أي سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح الثاني، الفقرة الأولى.

٦ـ سلكت في الرسالة مسلك الإلزام أحيانا، أعني إلزام القوم بما ألزموا

به أنفسهم، ولا يلزم من ذلك كونه مسلّما به عندي، وإنما من باب إرخاء العنان للخصم لما لا يخفى من كونه أتم في الإقناع.

٧ـ عند تحليل نص من نصوص كتاب النصارى المقدس أو قرار من قرارات رؤساء الملّة النصرانية، أو نقده أو الاستشهاد به، أكتفي في فهمه والاستنباط منه بما تفيده الدلالة اللغوية والاصطلاحية، إلا إذا أشكل عليّ منه شيء أو استصعبت فك بعض رموزه أو حلَّ بعض ألفاظه فحينئذ ألجأ إلى شروح أو تعليقات المتخصصين من مسلمين أو نصارى بقدر الإمكان والحاجة.

٨ـ حرصت على عدم نقل شيء من المصادر الوسيطة أو المراجع، ما كان في المقدور الوصول إلى المصادر الأصيلة، وإذا نقلت شيئا بواسطةٍ، أشرتُ إليه بعد ذكر المصدر الأصيل بقولي: "نقلا عن كذا".

٩ـ بالنسبة للكتب أوالمراجع المترجمة إلى اللغة العربية من اللسان الإنجليزي لم أعتمد على شيء منها في حالة إذا تيسر لي الوقوف على الأصل المترجم منه. اللهم إلا في حالة وجود فوائد علمية زائدة على الأصل في شكل تعليق أو تعقيب أو تقديم أو نحوه في الترجمة العربية.

١٠ـ بناءً على ما تقدم، فإن كافة النصوص أو المعلومات المستفادة من المصادر والمراجع الإنجليزية في الرسالة قد قمت بترجمتها بنفسي لغرض الاستفادة المباشرة من هذه المصادر أو المراجع.

١١ـ توسّعت في تناول ما أرى أني لم أُسبق إليه بالتوسع فيه، كما في دراسة تأريخ أو إسناد كلٍّ من إنجيل متّى وإنجيل لوقا، والعكس صحيح كما هو الحال بالنسبة لإنجيلي مرقس ويوحنا.

١٢ـ حرصت على التنبيهات أو التلميحات والفوائد الخارجية المهمة كلما دعت الحاجة إلى ذلك، لكنني حاولت الاقتصار والإيجاز الشديدين في ذلك كله، كي لا يتشتت ذهن القارئ بالاستطرادات. وغالبا ما أحيل في الهامش على المراجع لمن أراد التوسع.

١٣ـ قمت بتعقيب أو تعليق أو تنبيه على ما رأيته خطأً أو سبق قلمٍ من أقوال بعض المؤلفين المسلمين، خاصة إذا كان لذلك مساس بالعقيدة. وفي الغالب لا أذكر اسم المتعقَّب أو صاحب المقولة إلا إذا شعرت بحاجة إلى ذلك من توثيق أو تأكيد أو نحو ذلك.

١٤ـ إذا أحلت على أكثر من سفر أو إصحاح عند ذكر نص من كتاب النصارى المقدس، فليُعلم أن النص بحرفه في الموضع الأول، وفي المواضع الأخرى بالمعنى.

١٥ـ توجد ركاكة في ترجمة كتاب النصارى المقدس إلى اللغة العربية، وكذلك في بعض المصادر أو المراجع المترجمة إلى اللسان العربي. فإذا نقلت من أيٍّ منها أنقل منه نصًّا من غير تعديل عبارته، إلا ما كان منها خطأً مخلاًّ بالمعنى، لغويّا كان أو إملائيا، فأنبه عليه في الهامش.

١٦ـ قمت بالموازنة بين الآراء وحجج كل رأي أو أدلته، فمن ثَم الترجيح فيها على ضوء ذلك. وقد أكتفي في بعض المسائل بسرد الآراء فقط دون الترجيح، خاصة إذا لم تكن ثمة فائدة أو ثمرة في ذلك، كأن يكون الحق خارجَ هذه الآراء جميعها مثلا.

١٧ـ بالنسبة لما يتعلق بشخصية بولس وعرض أفكاره، اقتصرت ـ قدر

الإمكان ـ على ما ورد في سفر أعمال الرسل والرسائل المنسوبة إليه بلا نزاع (رومية وغلاطية و١و٢ كورنثوس).

١٨ـ بذلت كل ما في وسعي في الإحالة على أكبر عدد ممكن من المصادر والمراجع سواء في توثيق المسائل والقضايا، أو في نقد النصوص وتحليلها. وحرصت أن يكون جلها من كتب النصارى أنفسهم.

١٩ـ ذكرت بيانات مفصّلةً عن كل مرجع عند أول وروده، بذكر العنوان كاملا واسم المؤلف أو المحرّر، واسم المحقق أو المترجم، والجزء والصفحة. ثم أقتصر بعد ذلك على ذكر اسم المؤلف أو المحرّر فقط مع إتباعه برمز " م.ن." (وسيأتي بيانه قريبا). إلا إذا كان الكتاب مشهورا أو لمؤلف شهير ـ ككتب التفسير والمعاجم اللغوية ـ، أو كان للمؤلف أكثر من كتاب وقد تم الرجوع إليها جميعها في الرسالة، فحينئذ أُكرر ذكر عنوان الكتاب مع اسم مؤلفه دائما، وربما بنوع من الاختصار كأن أقول: "مقارنة الأديان للطهطاوي" (اختصارا لـ"الميزان في مقارنة الأديان لمحمد عزت الطهطاوي")، و"محاضرات أبي زهرة" (اختصارا لـ"محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبي زهرة")، و"القاموس" (القاموس المحيط)، و"اللسان" (لسان العرب)... وهكذا.

٢٠ـ إذا كان النقل من مصدر أو مرجع بالنص أذكره مباشرةً في الهامش (مع وضع النص بين علامتي التنصيص)، ومسبوقًا بكلمة "انظر" إن كان النقل بالمعنى، ومقرونًا بكلمة "بتصرف" إذا حصل مني تصرف في النقل بإضافة أو طرح أو تقديم أو تأخير أو نحوه. وأما إذا قلت "راجع كذا"، فالمقصود أن المسألة أوسع مما أوردت.

٢١ـ تعاملت مع أكثر من إصدار لبعض المصادر أوالمراجع ـ للحاجة ـ، ففي هذه الحالة أبيّن ذلك في الهامش بنحو قولي: "طبعة كذا".

وأما بخصوص دائرة المعارف البريطانية، فإذا أطلقتُ فالمراد: الإصدار الذي قام بنشره وليم بينتون (William Benton)، وإلا بيّنتُه، كأن أقول: "Macro" للإصدار التوسعي "Macropaedia" أو "Micro" للإصدار الإيجازي أو الصغير "Micropaedia"، أو "CD" لأحدث إصدار مسجّلٍ على أسطوانة الليزر للكومبيوتر "Britannica Encyclopedia CD"، خاصةً في المعلومات الحديثة.

٢٢ـ عرّفت بغير المشهورين من الأعلام وكذلك بالنسبة للأماكن والبلدان ـ والشهرة مسألة نسبية ـ. وإذا ورد في صلب البحث ما يكفي للتعريف بعلمٍ اكتفيت به، مثل: فلان أسقف مدينة كذا في وقت كذا. وأعرّف بالعلم أو المكان عند أول وروده فقط، وعملتُ فهرسا للأعلام وآخَر للأماكن والبلدان في آخِر الرسالة لمعرفة مواطن التراجم والتعريفات. ويلاحَظ أني قد لا أترجم لعلم أو أعرّف بمكان في أول صفحة ورد فيها ـ وهذا قليل ـ إذا كان سيرد ذكره في موضع آخر أكثر مناسبةً للترجمة أو التعريف به.

٢٣ـ بالنسبة للمعاصرين من الأعلام والذين في الغالب ليست لهم تراجم منشورة، أعرّف بهم بذكر بعض مؤلفاتهم ومناصبهم الدينية أوالاجتماعية أو الأكاديمية.

٢٤ـ شرحت الألفاظ الغريبة ـ في غير نصوص القرآن الكريم ـ، والمصطلحات العامة والخاصة. كما استعملت بعض الرموز في الرسالة منها:

"م.ن." أي المرجع نفسه و"م.ن.ص." أي المرجع نفسه والصفحة كذلك. و"قاموس ك.م." أي قاموس كتاب النصارى المقدس. وفي المراجع الأجنبية "ibid" أي المرجع المذكور أعلاه نفسه، و"op.cit" أي المرجع المتقدم الذكر نفسه. وفي فهرس المراجع: "د.ط." أي دون ذكر عدد الطبعة، و "د.ت." أي دون تأريخ النشر و "د.ن." أي دون ذكر الناشر.

٢٥ـ ذيّلت الرسالة بفهارس توضيحية، وقد تكوّنت من: فهرس للآيات القرآنية، وفهرس للأحاديث الشريفة والآثار، وفهرس لنصوص العهد القديم، وفهرس لنصوص العهد الجديد، وفهرس للأعلام المترجم لهم، وفهرس للأماكن والبلدان، وفهرس للمصطلحات النصرانية وغيرها، وفهرس للأديان والفرق والمذاهب الفكرية المعاصرة، وفهرس للمصادر والمراجع (مرتَّبٍ حسب أسماء المؤلفين)، وفهرس للموضوعات.

وقد رتبتها جميعا على حروف المعجم ما عدا فهرس الآيات القرآنية حيث رتبته حسب ترتيب السور في المصحف، وفهرس الموضوعات، حيث كان الترتيب على حسب ورود هذه الموضوعات وتسلسلها في الرسالة.

شكر وتقدير:

اللهم لك الحمد والشكر كما ينبغي لعظيم سلطانك وكما يليق بكبير امتنانك، أحمدك ربّي وأشكرك على ما أنعمت به عليّ من النعم، وفي مقدمتها نعمة الإيمان، وما وفقتني إليه من طلب العلم الشرعي من منبعه الصافي في مهاجر رسول الله ﷺ.

ثم أشكر والديّ الكريمين على حسن التربية والرعاية، وتوجيهي لطلب العلم الشرعي. سائلاً الله تعالى أن يعينني على برّهما، ويجزيهما عني خير الجزاء.

وأرى من الواجب عليّ، عملا بقوله ﷺ: **«لا يشكر الله من لايشكر الناس»**[1]، أن أقدّم شكري وتقديري لهذا الصرح العلمي الشامخ، الجامعةِ الإسلامية بالمدينة النبوية التي نوّر الله بها قلبي وأخرجني بها من ظلمات الجهل والتقليد إلى نور الانتساب للعلم والاتّباع، والتمسك بالإسلام الصحيح المبني على رجحان الدليل وفقَ فهم سلف الأمة رضوان الله عليهم. فجزى الله القائمين عليها عني وعن جميع طلاّبها والمنتسبين لها خيراً.

كما لا يفوتني أن أذكر فأشكر جميع أساتذتي ومشايخي الأفاضل الذين تشرّفت بالتتلمذ على أيديهم، منذ التحاقي بالجامعة، سواء في كلية الشريعة أو في

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب: باب في شكر المعروف، رقمه: ٤٨١١ انظر: سنن أبي داود بتحقيق: عزت عبيد الدعاس ٥/ ١٥٧، والترمذي في كتاب البر والصلة وقال: "حسن صحيح". انظر: سنن الترمذي بتحقيق الشيخ أحمد شاكر وغيره ٤/ ٢٩٩. وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقمه: ١٥٩٢.

كلية الدعوة وأصول الدين. وأخصّ بالذكر فضيلة شيخي وأستاذي الدكتور صالح بن سعد السحيمي، المشرف على هذه الرسالة، على ما أولاني به من عناية ورعاية ومتابعة دقيقة في جميع مراحل البحث، وسعيه لتذليل جميع الصعوبات التي واجهتني فترة الإعداد، وتشجيعي دائما على المضي قدما في العمل، وإتحافي بالملحوظات القيّمة والاستدراكات المهمة، حتى في أوقاته الخاصة خارجَ العمل، مع كثرة ارتباطاته وأعماله، فجزاه الله عني كل الخير.

والشكر موصول إلى كل من ساعدني في هذا العمل بأي شكلٍ كان، لاسيما الأساتذة الأفاضل الذين أتاحو لي فرصة الإفادة من مكتباتهم الخاصة، وهم: د.سعود بن عبد العزيز الخلف، ود.محمود بن عبد الرحمن قدَح، و د.إبراهيم بن خلف التركي، ود.سليمان بن سالم السحيمي، ود.علي بن عتيق الحربي. والإخوة الزملاء الذين ساعدوني في المراجعة والمقابلة، ولا يمكنني ذكر أسمائهم في هذا المقام ـ لكثرتهم ـ، لكني أدعو لهم جميعاً بالتوفيق والسداد.

كما أشكر جميع العاملين في عمادة شؤون المكتبات بالجامعة، ومكتبة قسم الاستشراق بفرع جامعة الإمام بالمدينة المنورة على تعاونهم المثمر، خاصةً في ما يتّصل بالإفادة من المصادر والمراجع ذات الاطّلاع المحدود. وأشكر كذلك القائمين على كلٍّ من إدارة خدمات المعلومات بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض، ومركز الملك فيصل للأبحاث والدراسات الإسلامية بالرياض أيضا، والمكتبة الصوتية بعمادة خدمة المجتمع في الجامعة الإسلامية.

ولا يفوتني أن أقدّم شكري وتقديري لعائلتي، ولا سيما زوجتي: أم أبي بكر. فقد أعانوني، كلٌّ في مجاله على إنجاز هذا العمل.

هذا، ولا أدّعي الكمال في هذا العمل. وقد بذلتُ فيه ما أمكن من وقتٍ وفكر وجهدٍ، إلا أنه يبقى - كما هو - عملَ بشرٍ، معرّضًا للنقص والعيوب. فما كان منه صوابا فمن الله تعالى وحده وبتوفيقه، وما كان خطأً فمنّي ومن الشيطان، فالله ورسوله ﷺ بريئان منه كل البراءة، وأستغفره تعالى من ذنبي كله، هزلي وجدّي وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، وأسأله ﷻ أن يجعل العمل خالصا لوجهه الكريم وينفعَ به، إنه جواد كريم. وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



تمهيد

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: التعريفات.

الفصل الثاني: دعوة المسيح ﵇ كما جاءت في القرآن والسنة.

الفصل الثالث: انحراف أتباع المسيح ﵇ بعده وأسباب ذلك.

الفصل الرابع: مدخل لدراسة مصادر النصرانية ونقدها.

الفصل الأول

التعريفات

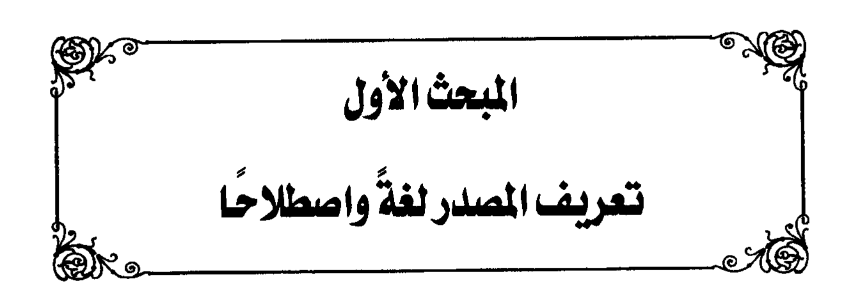
وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المصدر لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: المدلول اللغوي والاصطلاحي للفظ: "النصرانية".

المبحث الثالث: تعريف "الدراسة" لغةً واصطلاحاً.

المبحث الرابع: تعريف "النقد" لغةً واصطلاحاً.



المبحث الأول

تعريف المصدر لغةً واصطلاحًا

المصدر في اللغة من الصَّدَر (بالفتح) وهو نقيض الوِرْد[١] يقال: صدر عنه يصدُر صدرًا، ومصدرًا، ومزدرًا، وأصدر غيره وصدرَه[٢]، ومن ذلك قولهم: «المصدر أصل الكلمة التي تصدر عنها صوادرالأفعال»[٣] أي في اصطلاح علماء النحو والصرف. والصدْر ـ بالسكون ـ: هو أعلى أو مقدَّم كل شئ، وصدر الأمر: أوّله[٤].

وأما المصدر في الاصطلاح العام أو العرف العام، فهو: «ما يصدر عنه الشيء»[٥] أي ينشأ عنه[٦]، ومنه الاصطلاح الشائع في المكاتب والدوائر:

(١) والورد أو الورود، قيل إنه قد يكون دون الدخول. يقال: ورد بلد كذا وماء كذا إذا أشرف عليه، دخله أو لم يدخله. انظر: لسان العرب لابن منظور الإفريقي تحقيق: علي شيري ١٥/ ٢٦٨.

(٢) المصدر نفسه ٧/ ٣٠١.

(٣) انظر: تهذيب اللغة لأبي منصور محمد الأزهري تحقيق: عبد السلام محمد هارون وغيره ١٢/ ١٣٥.

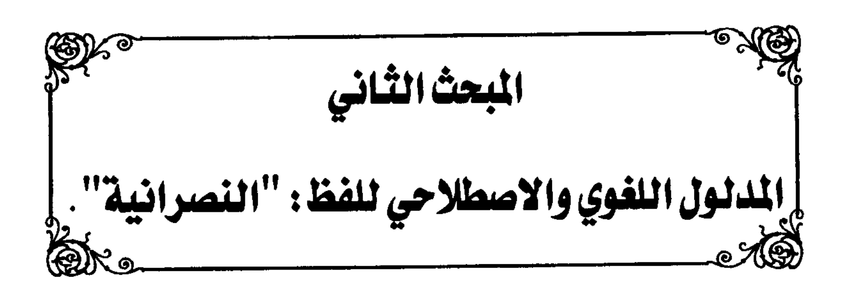
(٤) المصدر نفسه ١٢/ ١٣٣.

(٥) المعجم الوسيط لعدد من الأساتذة بإشراف حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين ١/ ٥١٠.

(٦) المرجع نفسه ١/ ٥٠٩.

الصادر والوارد، أي ما يصدر وما يرد.

و أما المصادر المقصود نقدها ودراستها في هذه الرسالة ـ إن شاء الله ـ فهي مصادر النصرانية المعاصرة (البولسية)، وليست مصادر النصرانية الأصيلة أو بالأحرى شريعة عيسى بن مريم، عبد الله ورسوله عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام وأتمها.



المبحث الثاني

المدلول اللغوي والاصطلاحي للفظ: "النصرانية".

النصرانية من حيث اللغة، مصدر صناعي من "النصراني"، نسبةً على غير قياس إلى الناصرة أو "ناصرة"، وهي قرية في الجليل[(١)]، نشأ فيها المسيح[(٢)] عليه السلام. أما النسبة إليها على القياس فهي: "ناصري"[(٣)]. ويقال: نصّره أي جعله نصرانيا[(٤)]، كما جاء في الحديث الصحيح: **«فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه...»**[(٥)].

---

(١) الجليل: اسم عبري معناه: دائرة أو مقاطعة، وقد أطلق على الجزء الشمالي من بلاد فلسطين، ويحده البحر المتوسط غربا، وحدود فلسطين مع لبنان شمالا، والحدود السورية الأردنية مع فلسطين شرقا، وإقليم السامرة جنوبا، ومن أشهر مدنه: صفد والناصرة. وهو منطقة جبلية خصبة. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي تحقيق: فريد الجندي ٢/ ١٨٣ وقاموس الكتاب المقدس لعدد من علماء النصارى ص٢٦٥-٢٦٦ ومعجم بلدان فلسطين لمحمد محمد شرّاب ص٢٦٥-٢٦٧.

(٢) ولذلك كان يعرف بالجليلي حسبما جاء في إنجيل متّى ٢٦/ ٦٩.

(٣) وقد جاء هذا أيضا في إنجيل لوقا ٢٤/ ١٩: «فقالا المختصة بيسوع الناصري الذي كان إنسانا نبيا...»، وانظر كذلك: أعمال الرسل ٢٢/ ٨.

(٤) انظر: القاموس المحيط لمجد الدين محمد الفيروزآبادي تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ص٦٢٢، ومحيط المحيط لبطرس البستاني ص٨٩٦، وقطر المحيط له أيضا ٢/ ٢١٧٩.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين رقمه: ١٣٨٥ ـ والنص منه ـ انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: ٣/ ٢٤٥-٢٤٦، وفي التفسير، =

والنصرانية في الاصطلاح المشهور: «دين أتباع المسيح»[(١)]، ويقال عنها أيضا "المسيحية" Christianity، وجاء تعريفها في دائرة المعارف البريطانية بأنها: «الديانة التي تعزو أصلَها إلى يسوع[(٢)] من سكان الناصرة، وتعتبره مختارا (مسيحا) من الله»[(٣)].

وأدقّ هذين التعريفين ما جاء في الدائرة البريطانية. أما دعوى كون النصرانية دين أتباع المسيح فغير مقبولة ولا واقعية، بل الأَوْلى أن يقال: "دين أتباع بولس" أو "البولسية" لأن بولس[(٤)] - وليس المسيح عليه السلام - هو المؤسس الحقيقي للديانة المعروفة اليوم بالنصرانية أو المسيحية كما سيأتي إن شاء الله[(٥)].

= باب لا تبديل لخلق الله رقمه: ٤٧٧٥ انظر الفتح: ٨/ ٥١٢، ومسلم في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة رقمه: ٢٦٥٨ انظر صحيح مسلم بتحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي٤/ ٢٠٤٧-٢٠٤٩، والإمام أحمد في المسند ٢/ ٣١٥ و٣٤٦-٣٤٧.

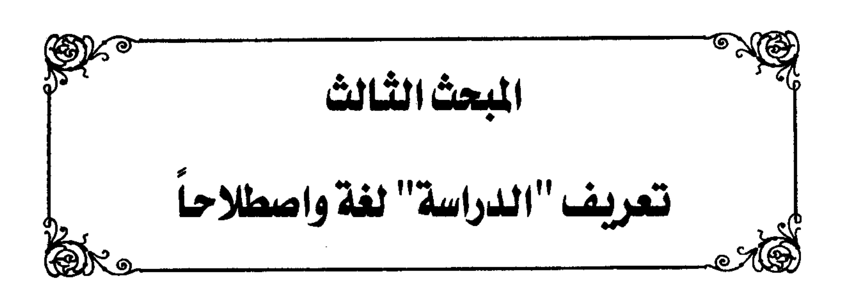
(١) المعجم الوسيط ٢/ ٩٢٥.

(٢) إن كلا من لفظ: "يسوع" و"المسيح" أو"يسوع المسيح" و"ابن الإنسان" و"الرب" و"المخلص" و"ابن الله"...الخ يطلق في اصطلاح النصارى على عيسى عليه السلام.

(٣) دائرة المعارف البريطانية (Encyclopaedia Britannica) ٥/ ٦٩٣.

(٤) هو شاؤول اليهودي وستأتي أخباره مفصلة إن شاء الله.

(٥) انظر: ص٦٦٣-٦٧٦.



المبحث الثالث

تعريف "الدراسة" لغة واصطلاحاً

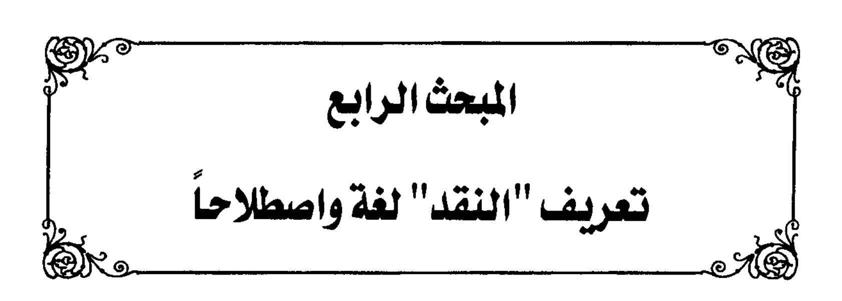
الدراسة في اللغة، أصلها: الرياضة والتعهد للشيء[١]. والدراسة أو الدراس ـ بدون التاء ـ: المدارسة، ويقال درست الكتاب أدرسه دراسةً أي قرأته[٢]، ودرس الكتاب يدرسه درسا أي ذلله بكثرة القراءة حتى خف حفظه عليه[٣].

أما من حيث الاصطلاح فلم أقف على شئ يخالف ما تقدم ذكره في التعريف اللغوي.

(١) انظر: لسان العرب ٤/ ٣٣٠.

(٢) انظر: تهذيب اللغة ١٢/ ٣٥٩ والقاموس المحيط ص٧٠١.

(٣) انظر: تاج العروس لمحمد مرتضى الزبيدي ٤/ ١٤٩.



المبحث الرابع

تعريف "النقد" لغة واصطلاحاً

النقد في لغة العرب: تمييز الدراهم وإعطاؤها إنسانا وأخذها، ويطلق كذلك على ضربة الصبي جوزَةً بإصبعه، يقال نقد أرنبته بإصبعه إذا ضربها، والطائر ينقد الفَخّ أي ينقره بمنقاره[١]، و نقدته الحيّة إذا لدغته[٢].

والنقد في الاصطلاح هو: «فن تمييز جيّد الكلام من رديئه، وصحيحه من فاسده»[٣]. وتبدو العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي في: أن النقد الذي هو تمييز جيد الكلام من رديئه مأخوذ من نقد الدراهم أي تمييزها ومعرفة جيدها من رديئها. كما يقال: انتقد الدراهم أي قبضها نقدا وأخرج ما فيها من الزيف، ومنه انتقاد الكلام[٤].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة ٩/ ٣٦-٣٧ والقاموس المحيط ص٤١٢.

(٢) انظر: تاج العروس ٢/ ٥١٦.

(٣) المعجم الوسيط ٢/ ٩٤٤.

(٤) انظر: دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ١٠/ ٣٤٧ بتصرف.

الفصل الثاني

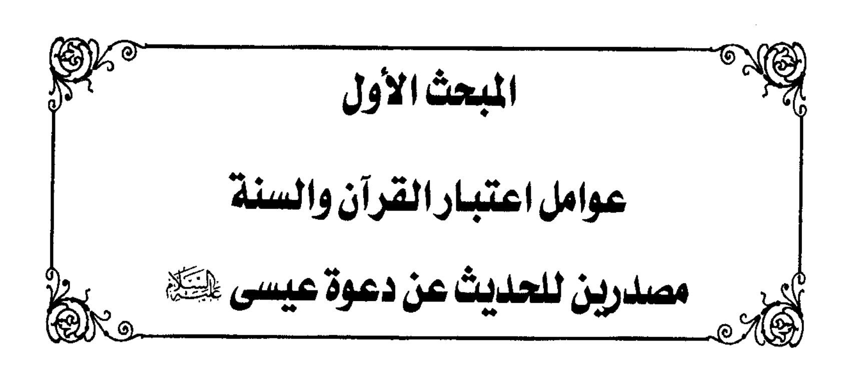
دعوة المسيح عليه السلام كما جاءت في القرآن والسنة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عوامل اعتبار القرآن والسنة مصدرين للحديث عن دعوة عيسى عليه السلام.

المبحث الثاني: عناصر دعوة عيسى عليه السلام.





المبحث الأول

عوامل اعتبار القرآن والسنة مصدرين للحديث عن دعوة عيسى عليه السلام

قبل الشروع في الحديث عن النصرانية المعاصرة التي سوف تكون حجر الزاوية في هذه الرسالة إن شاء الله، يستحسن تقديم حديث ولو يسيرا عن النصرانية العيسائية الحقّة أو دعوة عيسى عليه السلام كما جاءت في القرآن الكرم والسنة النبوية الشريفة.

قد يتساءل الإنسان بصرف النظر عن ملّته أو نحلته: كيف نجعل القرآن الكريم والسنة التي هي مكملة له وموضحة مصدرا للحديث عن دعوة نبي الله عيسى عليه السلام، وقد أُنزل عليه كتاب كما أنزل القرآن؟!

هناك عدة عوامل وأسباب تبرر ذلك وتسوِّغه، أذكر منها ما يلي:

أولا: أن الله عز وجل قد وصف هذا الكتاب بأنه مصدّق لما قبله من الكتب ومهيمنا عليه كما جاء في قوله عز وجل: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[المائدة:٤٨]، ويقول عز وجل في حق رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[النجم:٣-٤].

ثانيا: من الناحية التأريخية نجد أن التأريخ لا يسعفنا بالمعلومات الأساسية المؤكدة عن دعوة المسيح ﷺ وذلك لأسباب عدة منها، بعد العهد واضطراب الروايات التأريخية، بل من المؤكد أن لتدخل العنصر البشري دورا في هذا، حتى اختلط الحابل بالنابل، وتعسر تمييز الطيب من الخبيث، والحق من الباطل[١].

ثالثا: ولأن الإنجيل المنزل على عيسى ﷺ لا وجود له اليوم حتى في الأوساط النصرانية. فكيف نعدل عن وحي سماوي وهو القرآن الكريم إلى مؤلفات بشرية، وهي الموسومة اليوم بالأناجيل؟

رابعا: ولأن القرآن الكريم مع السنة النبوية الصحيحة في الحقيقة هما وحدهما المصدران ـ علميا وتأريخيا ـ اللذان صورا لنا بدقة عالية تأريخ الرسالات الإلهية كلها من أول الأنبياء: آدم ﷺ وحتى آخرهم وخيرهم: محمد ﷺ، بل ليس في الوجود ـ على الإطلاق ـ كتاب إلـهي أو بشري له من الاحترام العلمي القائم على التواتر وحفظ النصوص وسلامتها، غير هذا الكتاب العظيم[٢] الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تولَّى حفظَه من لا يؤوده حفظ السماوات و الأرض ﷻ.

وأما الأناجيل التي يعترف بها النصارى اليوم، فليس لها حظ من الثقة التأريخية، ولا نصيب من الاحترام العلمي اللازم، بسبب ما شوهها من الاختلافات والتناقضات والأخطاء العلمية والتأريخية، وسيأتي في الرسالة ضرب أمثلة لكلها إن شاء الله.

---

(١) انظر: محاضرات في النصرانية لمحمد أبي زهرة ص١٢.

(٢) انظر: أضواء على المسيحية لمتولي يوسف شلبي ص١٧.

خامسا: ثم إنّ هذه الأناجيل قد تعرضت لانتقادات عنيفة قديما وحديثا، سواء ممن أسلموا من النصارى أومن الذين بقوا على نصرانيتهم ولم يرضوا بغيرها دينا. فمن الصنف الأول، المستشرق الفرنسي: إتين دينيه[١] الذي قال: «أما أن الله سبحانه قد أوحى الإنجيل إلى عيسى بلغته ولغة قومه فالذي لاشك فيه أن هذا **الإنجيل قد ضاع واندثر ولم يبق له أثر أو أنه باد أو أنه قد أبيد...**»[٢].

ومن الصنف الثاني: الدكتور نظمي لوقا[٣] حيث يقول: «وأعني بالمسيحية هنا ما جاء به المسيح ﷺ من نصوص كلامه لا ما أُلحق بكلامه وسيرته من التأويل»[٤].

سادسا: وفي المقابل نجد أن للقرآن الكريم مكانته العلمية حتى في الأوساط النصرانية، فتجدهم يقرُّون ـ مع كفرهم به ـ بجودة مصدريته، ودقة أخباره، وبتواتره المنقطع النظير، وخلوه مما اتسمت به كتبهم من التناقض والأخطاء والتغيير والتبديل والإضافة والحذف.

يقول إميل درمنغم[٥]: «وللمسيح في القرآن مقام عال؛ فولادته لم تكن

---

(١) كان يعرف بالبراعة في فني الرسم والتصوير، أعلن إسلامه بمدينة الجزائر عامَ ١٩٢٧م حيث أشهد جمهورا من علمائها على أنه قد اختار الإسلام دينا قبل عشرات السنين ولكنه لم يجهر به إلا في ذلك اليوم، وسمى نفسه ناصر الدين دينيه، ثم توفي بعد ذلك بسنتين أي في عام ١٩٢٩م. وله مؤلفات كثيرة بالفرنسية منها: حياة العرب، وأشعة خاصة بنور الإسلام، وكتابٌ في السيرة النبوية. انظر: الأعلام لخير الدين الزركلي ١/ ٨٣، والمستشرقون لنجيب العقيقي ١/ ٢٣٥.

(٢) أشعة خاصة بنور الإسلام ص٤٠-٤١.

(٣) نصراني مصري معاصر صاحب كتاب: محمد ﷺ الرسالة والرسول، وريحانة الشهداء.

(٤) محمد ﷺ الرسالة والرسول للدكتور نظمي لوقا ص٥٨.

(٥)"E. Dermenghem": مستشرق فرنسي كان في فترة من الزمن مديرا لمكتبة الجزائر، وله مؤلفات عديدة منها: حياة محمدﷺ طبع في باريس عام ١٩٢٩م، ـ ويقال إنه خير ما صنفه =

عادية كولادة بقية الناس، وهو رسول الله الذي خاطب الله جهرا عن مقاصده... والقرآن يقصد النصرانية الصحيحة حينما يقول إن عيسى كلمة الله أو روح الله ألقاها إلى مريم وأنه من البشر فهو يذم مذهب القائلين بطبيعة واحدة في المسيح، ومذهب القائلين بألوهية المسيح... وما إلى ذلك من مذاهب الإلحاد النصرانية، لا النصرانية الصحيحة»[(١)].

ويقول واشنطن إيرفنغ[(٢)]: «كانت التوراة في يوم ما هي مرشد الإنسان وأساس سلوكه، حتى إذا ظهر المسيح اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل ثم حل القرآن مكانها. فقد كان القرآن أكثر شمولا وتفصيلا من الكتابين السابقين، كما صحح القرآن ما قد أُدخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل»[(٣)].

فعلى ضوء ما تقدم، نخلص إلى حقيقة علمية ثابتة وهي أنه لا يوجد مصدر آخر ـ غير القرآن الكريم مع السنة الصحيحة ـ يمكن الوثوق به فيما نحن بصدده. وأما الروايات التأريخية المضطربة سواء في داخل الأناجيل أو خارجها فلا يمكن اعتبارها أو الاستناد إليها في هذا المقام، وهذا ما أكده بعض علماء التأريخ من غير

=

مستشرق عن النبي ﷺ ـ وكتاب: محمد ﷺ والسنة الإسلامية طبع أيضا في باريس عام ١٩٥٥م. انظر: نجيب العقيقي (م.ن.) ١/ ٢٩٧-٢٩٨.

(١) كتاب: حياة محمد ﷺ لإميل درمنغم، ترجمة: عادل زعيتر ص١٣١-١٣٢.

(٢) "Washington Irving": مستشرق وكاتب قصصي أميركي عدّه بعضهم أبا الأدب الأميركي، وعده آخرون مخترع الأقصوصة. ولد عام ١٧٨٣م وتوفي عام ١٨٥٩م، ومن أهم مؤلفاته: حياة واشنطن. انظر: المنجد في الأدب والعلوم لفرديناند توتل ص٥١، والمورد (معجم أعلام) لمنير البعلبكي ص٤٨.

(٣) كتاب: حياة محمد ﷺ لواشنطن إيرفنغ، ترجمة وتعليق: د/ علي حسني الخربوطلي ص٦٩.

المسلمين حين يقول: «ظاهرة عيسى عليه السلام لم تثر انتباه المؤرخين المعاصرين له، مما يجعل ـ من وجهة نظر تأريخية ـ أي سيرة تكتب عنه[١] تجميعا هامشيا لأحداث ومعطيات متناقضة، تحيط بفراغ لا يكاد يسكنه سوى ظل يكاد لا يدرك»[٢].

ومما تجدر الإشارة إليه ههنا أن الآيات القرآنية التي تتحدث عن النصرانية ونبيّها وكتابها عموما، لا تتجاوز مائتين و عشرين آيةً، أي ما لا يمثّل إلا نحو ٣,٥٪ من مجموع الآيات القرآنية، خلافا لما يتوهمه كثير من كتّاب النصارى من أن غرض القرآن الأساسي هو مهاجمة العقائد النصرانية أو تضليل النصارى. بل إن هذا العدد المذكور إنما ورد في ثنايا ثمان وعشرين سورة فقط، بعضها لا يحتوي على أكثر من آية أو آيتين[٣]، مع وجود تماثلٍ بين بعضها والبعض الآخر[٤][٥].

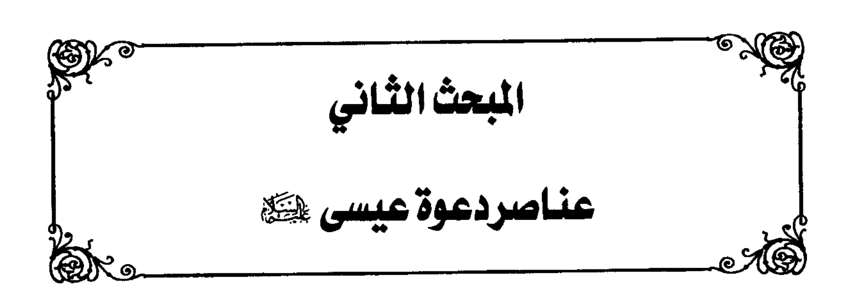
(١) يعني طبعا من مؤلفات البشر كما هو واضح من السياق.

(٢) الكلام للمؤرخ لوسيان فيبقر "Lucien Febver"، انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى لعبد المجيد الشرقي ص٢٣.

(٣) انظر مثلاً: الفاتحة/ ٧، والحج/ ١٧، والعنكبوت/ ٤٦-٤٧، والأحزاب/ ٧، والشورى/ ١٣-١٤، والفتح/ ٢٩، والصف/ ٦و١٤، والتحريم/ ١٢.

(٤) كما في الأعراف/ ١٥٧ مع الصف/ ٦، والحج/ ١٧ مع البقرة/ ٦٢ والمائدة/ ٦٩، والتحريم/ ١٢ مع الأنبياء/ ٩١.

(٥) انظر: عبدالمجيد الشرقي (م.ن.)ص١١٥.



المبحث الثاني
عناصر دعوة عيسى عليه السلام

إن مجموع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة الواردة في نبي الله عيسى بن مريم عليهما السلام، وفي دعوته، تحدد لنا عناصر هذه الدعوة ونطاقها تحديدا واضحا لا غموض فيه ولا لبس، كما ستكشف عن ذلك السطور الآتية:-

أولاً: دعوة إلى توحيد الله عز وجل:

الدعوة إلى توحيد الخالق عز وجل هي السمة الأولى لدعوات الرسل والأنبياء أجمعين عليهم الصلاة والسلام. قال الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[الانبياء:٢٥]. قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية الكريمة: « فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له والفطرة شاهدة بذلك أيضا »[1]. وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: **« أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة، قالوا كيف يا رسول الله؟ قال:**

(١) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير٣/ ١٧٦.

الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد فليس بيننا نبي»(١).

ولما كان عيسى عليه السلام واحدا من هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام، لم تختلف دعوته عن دعوتهم، وفي ذلك يقول المولى عز وجل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]. وقال عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[المائدة:١١٦-١١٧].

وقال تعالى حكايةً لقول المسيح نفسه عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[مريم:٣٠]، والآيات في ذلك كثيرة.

وأما الأحاديث التي يستفاد منها هذا المعنى أيضا فمنها قوله صلى الله عليه وسلم: **«من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن**

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾، رقمه: ٣٤٤٣ انظر الفتح: ٦/ ٤٧٨، وصحيح مسلم ـ والنص منه ـ: باب فضائل عيسى عليه السلام، رقمه: ٢٣٦٥ انظر: صحيح ـ مسلم(م.ن.) ٤/ ١٨٣٧، وأخرجه الإمام أحمد أيضا في المسند٢/ ٣١٩ و٤٠٦.

الجنة حق، وأن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقال غيره ـ يعني غير النووي ـ في ذكر عيسى عليه السلام تعريض بالنصارى وإيذان بأن إيمانهم مع قولهم بالتثليث شرك محض، وكذا قوله: "عبد"»[(٢)].

وكذلك قوله ﷺ: **«لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله»**[(٣)]. ففي قوله ﷺ: **«فإنما أنا عبده ـ أو عبد الله ـ»** كما في بعض روايات الإمام أحمد رحمه الله، بعد أن قال ﷺ **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»** دليل على أن النصارى قد جاوزوا الحد في زعمهم أن عيسى عليه السلام إله، وأنه فوق درجة العبودية لله عز وجل. وقد كذّبهم الله تعالى مبيّنا أن المسيح عليه السلام إنما دعا إلى توحيد الله تعالى وعبادته، فقال عز وجل: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾[النساء:١٧٢].

فدعوة عيسى عليه السلام هي التوحيد بكل شعبه، وتقوم على أساس نبذ

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾ رقمه: ٣٤٣٥ انظر الفتح٦/ ٤٧٤. وصحيح مسلم ـ والنص منه ـ: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة رقمه: ٢٨ انظر: صحيح مسلم (م.ن.) ١/ ٥٧.

(٢) فتح الباري٦/ ٤٧٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ رقمه: ٣٤٤٥ ـ والنص منه ـ انظر الفتح٦/ ٤٧٨. والإمام أحمد في المسند ١/ ٢٣و٢٤و٤٧و٥٥.

الوساطة بين الخالق والمخلوق. ولم يدّع المسيح ﷺ قط أنه إله أو أنه وصل إلى مرتبة أعلى من مرتبة الرسالة التي كرّمه الله تعالى بها، فلمْ ولن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله كما أخبر بذلك المولى ﷻ.

والعجب كل العجب ممن اتّخذ من النصارى ولادةَ المسيح من غير أب مطيةً إلى تأليهه! فهلا تمهل صاحب هذا الزعم واستفاد من الهبة الإلهية التي هي العقل فيتدبر به في صنع الله الذي لا يعجزه شيء تبارك وتعالى؟ وإن كان هناك أي رد ينتفع به من وصل إلى هذه الدرجة من الوهم، فذلك أن يقال له في قالَب استفهامٍ: إذا كان عيسى ﷺ قد استحق الألوهية من أجل أنه ولد من غير أب فماذا تقول عن آدم ﷺ أبي البشر وقد ولد من غير أب ولا أم؟ ويشهد بذلك كتابكم المقدس: «وجبل الرب الإله آدمَ ترابا من الأرض. ونفخ في أنفه نسمة حياة. فصار آدم نفسا حيّةً»[١] أم ماذا تقول في زوجه:حواء التي خُلقت منه، امرأةً كاملة التكوين؟ والحمد لله الذي هدانا لما اختُلف فيه من الحق بإذنه.

وهذه أمه مريم الصدِّيقة كما يصفها القرآن[٢]، هي الأخرى لم تعتقد قط أنها أم إله. وأما كتاب النصارى المقدس فيثبت لأم إلههم المزعوم زوجا بل وأولادا آخرين، فيسميهم إخوة للرب[٣]، فكيف تلد أم الإله إنسانا وتعاشر الرجال؟![٤]

---

(١) سفر التكوين ٢/ ٧.

(٢) انظر: سورة المائدة آية: ٧٥.

(٣) انظر: إنجيل مرقس٦/ ٢-٣. وسوف يأتي بمشيئة الله تعالى تناول مسألة "إخوة الرب" هذه عند عرض أهم مشكلات الأناجيل.

(٤) انظر كتاب: المسيح إنسان أم إله؟ لمجدي مرجان ص١٨٦-١٨٧ بتصرفٍ.

وكذا أصحاب المسيح ﷺ وحواريّوه الذين آمنوا به حقًّا واتبعوه، فإن الأمر بالنسبة إليهم أيضا لا يختلف. كما يقر بهذا بعض النصارى المعاصرين فيقول: «إن المتفحص لعلاقة الرسل والحواريِّين بالمسيح يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه إنسان ولم يتصوروا على الإطلاق أنه إله»[(١)].

وتقول دائرة المعارف الأميركية: «لقد بدأت عقيدة التوحيد ـ حركةً لاهوتيةً ـ بداية مبكرة جدا في التأريخ، وفي حقيقة الأمر إنها سبقت عقيدة التثليث[(٢)] بعشرات السنين... إن عقيدة التثليث التي أُقرت في القرن الرابع للميلاد، لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأول فيما يتعلق بطبيعة الإله، بل كانت على العكس، انحرافا عن هذا التعليم...»[(٣)].

وهناك شواهد ما تزال موجودة في الكتاب المقدس عند النصارى على أن التوحيد هو ما دعا إليه المسيح ﷺ، ولنذكر هنا بعضا منها:-

١ـ ما جاء في إنجيل مرقس: «فأجابه [أي السائل] يسوع، إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد»[(٤)].

---

(١) عوض سمعان في كتابه: الله ﷻ.. طرق علائه عن ذاته، نقلاً عن: النصرانية والإسلام للمستشار محمد عزت الطهطاوي ص١٩٠.

(٢) التثليث أو الثالوث عند النصارى يعني الإيمان بثلاثة آلهة متساوين في الجوهر أو بإله واحد في ثلاثة أقانيم أو أشخاص وهم: الأب والابن والروح القدس، وقد يصدر عمل من أعمال اللاهوت عن الثلاثة معا، وقد يصدر عن بعضهم ـ كما يزعمون ـ! انظر: حقائق أساسية في الإيمان المسيحي للقس فايز فارس ص٥٢-٥٣.

(٣) دائرة المعارف الأميركية "Encyclopedia Americana" ٢٧/ ٢٩٤ ل.

(٤) إنجيل مرقس ١٢/ ٢٩.

٢ـ وفي إنجيل يوحنا: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته»[١].

٣ـ وفي إنجيل يوحنا أيضا ورد أن المسيح ﷺ خاطب امرأة فقال: «وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم»[٢]. كما ورد في إنجيل برنابا أنه قال: «إنكم لقد ضللتم ضلالا عظيما أيها الإسرائيليون لأنكم دعوتموني إلهكم وأنا إنسان»[٣].

٤ـ وفي إنجيل لوقا: «وسأله رئيسٌ قائلا: أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية. فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله»[٤]. والذي يظهر من هذا النص ـ إن ثبت عنه ﷺ ـ أنه يقصد بالصالح هنا المستحق للعبادة، إذ من الواضح أن المسيح وسائر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم أصلح الصالحين من البشر، والله أعلم.

بل إن وصف المسيح ﷺ بالعبودية لله تعالى ما زال موجودا في أسفار العهد الجديد غير أن الترجمة العربية تذكر هذا اللفظ ـ وهو ما يقابل لفظ "Servant" باللغة الإنجليزية ـ بشيء من التضليل حتى لا يتبين للقارئ العادي، فتجعله "فتى" وتتجنب لفظ "عبد"![٥].

---

(١) إنجيل يوحنا ١٧/ ٣، وانظر كذلك: ٧/ ١٥-١٨ و١١/ ٤١-٤٢.

(٢) إنجيل يوحنا ٢٠/ ١٧.

(٣) إنجيل برنابا ٩٣/ ٢.

(٤) إنجيل لوقا ١٨/ ١٨-١٩.

(٥) انظر على سبيل المثال: إنجيل متى ١٢/ ١٨ وسفر أعمال الرسل ٣/ ١٣.

ثانياً: التصديق لما بين يديه من التوراة:-

وقد أخبرنا الله بذلك في مواضع مختلفة من كتابه العزيز، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ [المائدة:٤٦]، وقوله ﷻ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[الزخرف:٦٣].

إذًا، فدعوة عيسى مكمّلة لشريعة موسى عليهما السلام، وموضحة لها، وامتداد لها. ومصححة لما طرأ عليها من انحرافات وضلالات مع توالي الحقب والأزمان، وإلى هذا أشار كاتب إنجيل متى حيث نقل عن المسيح عليه السلام قوله وهو يخاطب اليهود[1]: «فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم»[2].

كما أنه عليه السلام قد أتى ببعض التخفيفات والتسهيلات لبني إسرائيل، قال الله ﷻ حكايةً لقول عيسى عليه السلام: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾[آل عمران:٥٠]. ولهذا كان المفهوم الطبيعي

---

(١) اليهود: هم الزاعمون أنهم أتباع موسى عليه السلام. أما الاسم نفسه فقد أطلق أولا على سبط يهوذا ابن يعقوب عليه السلام، تمييزا لهم عن الأسباط العشرة الأخرى المعروفة بإسرائيل. ثم منذ عهد سبي بني إسرائيل في بابل في القرن السادس ق.م. صار الاسم يطلق على جميع من رجعوا من السبي من الجنس العبراني إلى فلسطين، ويعرفون كذلك بالإسرائيليين والعبرانيين إلا أن لفظ اليهود أعم. أما بالنسبة لورود الاسم في الكتاب والسنة فإنه لم يرد قط على سبيل المدح، ولهم أسماء أخرى فيهما مثل: قوم موسى وبني إسرائيل. انظر: اليهودية لأحمد شلبي ص٨٤و٨٦، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة لعبدالقادر شيبة الحمدص١٥-١٦، وقاموس الكتاب المقدس ص١٠٨٤.

(٢) متى١٥/٦.

للنصرانية أن تحكم بشريعة التوراة مع مراعاة التعديلات الواردة في الإنجيل، إلا أن الذي حدث بالفعل خلاف ذلك[١].

فالمسيح ﷺ حتى فيما ينقل عنه في الأناجيل كثيرا ما يؤكّد تمسّكه وارتباطه الوثيق بما جاء في توراة موسى أو كتب الأنبياء الآخرين من بني إسرائيل، ومن ذلك ما جاء في إنجيل يوحنا أنه قال: « فتّشوا الكتب، لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية، وهي التي تشهد لي »[٢]. كما أنه قرر ما جاءت به التوراة في مسألة الطلاق وهو إباحته، خلافا لما ابتدعه النصارى بعده. وإنما غاية ما في الأمر أنه ﷺ نصح بأن يكون الطلاق بابا لا يُطرق إلا عند الضرورة كأن تكون المرأة المراد طلاقها زانية مثلا، وليس أنه يرى عدم جوازه ـ إن وقع ـ لسبب آخر غير ما ذُكر. وهذا واضح من نص إنجيل متّى نفسه وهو أن المسيح ﷺ إنما قال: « وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزني »[٣].

فكيف يزعم النصارى أن عيسى قد جاء لنسخ شريعة موسى عليهما السلام، وتأسيس ديانة جديدة مستقلة؟! وهاهو يصرّح بألفاظ واضحة، ومما دوّنوه في كتابهم المقدس، أنه لم يأت إلا مكمّلا للشريعة الموسوية، لا ناسخًا لها: « لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس[٤] أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإن الحق

---

(١) انظر: الميزان في مقارنة الأديان لمحمد عزت الطهطاوي ص٥٧-٥٨.

(٢) يوحنا ٥/ ٣٩.

(٣) متّى ٥/ ٣٢.

(٤) الناموس في اللغة العربية: هو صاحب السر، المطلع على باطن أمرك أو صاحب سر الخير، والملك جبريل ﷺ، والحاذق، ومن يلطف مدخله، وقترة الصائد. (القاموس ص٧٤٦). وأما =

أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل»[١].

ويقول بعض مفسري الأناجيل في تفسيره لهذا النص إنَّ لفظ "أُكمل" جاء في محله في النص اليوناني للإنجيل ما معناه: «ليملأ كل ثغرة فيه». ثم يضيف قائلا: «إن الذين كرز[٢] المسيح لأجلهم، والذين لأجلهم أعطى هذه التعاليم لتلاميذه، كانوا في تدينهم ينظرون إلى أسفار العهد القديم كدستور لهم، وهؤلاء بيّن المسيح أنهم كانوا على الصواب... لأن الدستور الذي جاء المسيح ليؤسسه يتفق تمام الاتفاق مع أسفار العهد القديم الذي يدعوه المسيح هنا "الأنبياء والناموس". كان الأنبياء مفسرين للناموس، وكلاهما: "الأنبياء والناموس" تضامنا معا في تقرير قاعدة الإيمان والأعمال التي وجدها المسيح قائمة في الكنيسة اليهودية، وهنا نراه يبقيها قائمة»[٣].

قد يُعترض على القول بأن المسيح ﷺ لم ينسخ الشريعة الموسوية بما يروونه في بعض الأناجيل على لسان عيسى ﷺ: «سمعتم أنه قيل عين بعين

=

في اصطلاح كتاب النصارى المقدس فيقصد باللفظ: شريعة موسى ﷺ، أو الأسفار الخمسة المنسوبة إليه، أو جميع أسفار العهد القديم. انظر: الأسفار القانونية الثانية للكنيسة الأرثوذكسية ص٧، وقاموس الكتاب المقدس ص٩٧٨.

(١) متّى ٥/ ١٧-١٨ وانظر أيضا: برنابا ٣٨/ ٢-٣.

(٢) كرز: قال في القاموس: دخل، واستخفى، وكرز إليه: التجأ، ومال (القاموس المحيط ص٦٧١). وأما غالب استعماله في كتاب النصارى المقدس إنما هو في معنى الموعظة، والتبشير، ونحوهما. انظر: متّى ٤/ ١٧، ومرقس ١/ ١٤. و١ ـ تسالونيكي ٢/ ٩.

(٣) تفسير إنجيل متّى، لمتّى هنري، ترجمة: القمص مرقس داود ١/ ١٤١-١٤٢.

وسن بسن[١]. وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضا»[٢]. والجواب على هذا أنه قد صرح وأقر بعدم نقضه لشريعة موسى عليهما السلام كما تقدم أعلاه، وعندما نفاجأ بهذا النص الآخر الذي جاء ظاهره مخالفا لتلك الشريعة ذاتها، حينئذ يجب البحث عن الدافع الحقيقي له والظروف التي قال فيها هذا القول المخالف. فالذي يظهر أنه إن ثبت عنه القول فإنما قاله لأناس مضطهدين تحت ظلم دولة فاسدة تبدو مهددةً بالانهيار الوشيك. وذلك الوقت الذي كانت فيه أورشليم مهددة بالانهيار والسقوط شبيه بظروفها أيام نبوخذنصر[٣] في عام ٥٨٦ ق.م. حين قال إرميا[٤] قولا مثل هذا الذي يُروى عن المسيح ﷺ، أعني قوله: «يعطي خدّه لضاربه يشبع عارًا»[٥].

---

(١) إشارةً إلى ما جاء في سفر الخروج ٢١/ ٢٣-٢٥، ويشهد له ما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾[المائدة: ٤٥].

(٢) متّى ٥/ ٣٨-٣٩.

(٣) نبوخذنصّر بن نبوبلاسر، ملك بابل من ٦٠٥ وحتى ٥٦٢ ق.م.، أخمد ثورة قام بها اليهود في أرض يهوذا، وعندما أعادوا الكرة لم يخمد ثورتهم فحسب، بل قتل ملكهم وساق كبراءهم أسرى إلى بابل سنة ٥٨٧ ق.م. وكانت وفاته في ٥٦٢ ق.م. انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص١٨٢١ وقاموس الكتاب المقدس ص٩٥٤-٩٥٥. ومن الملحوظ أن بعض المراجع تذكر الاسم معربا، أعني قولهم: بختنصر. انظر مثلا: محمد فريد وجدي(م.ن.) ٢/ ٥٠.

(٤) إرميا بن حلقيا: أحد أنبياء بني إسرائيل كما يُذكر في العهد القديم، بل ينسب إليه اثنان من أسفاره وهما: سفر إرميا، ومراثي إرميا. عاش بين عام ٦٢٦ و٥٨٦ ق.م. قاموس الكتاب المقدس ص٥٢-٥٦، و٩٥٢.

(٥) مراثي إرميا: ٣/ ٣٠.

ومن أقوال رجال العلم والفكر ـ المنصفين ـ من النصارى في هذه المسألة، قول المؤرخ ول ديورانت[١]: «ولقد ظل المسيح [عليه السلام] زمنا طويلا لا يرى في نفسه إلا أنه أحد اليهود يؤمن بأفكار الأنبياء، ويواصل عملهم، ويجري على سنتهم، فلا يخطب إلا في اليهود»[٢]. ويقول شارل جنيبير[٣]: «إن عيسى عليه السلام بدعوته إنما كان يجدد تلك السلسلة من أنبياء بني إسرائيل التي انقطعت بعد العودة من المنفى، والتي حاول أن يصل حلقاتها من قبله أنبياء آخرون منهم المعمدان[٤]. فقيامه بالدعوى[٥] مهما بدا أول الأمر أصيلا مبتكرا، ليس في الواقع ظاهرة استثنائية أو غريبة من ناحية الشكل»[٦]. ويقول أيضا: «فالمسيحية إذًا، تنبع أساسا من حركة يهودية، وهي تبدو أولاً وعلى وجه الخصوص كظاهرة تهم الحياة الدينية لليهود»[٧]. وأما الدكتور جورج ماتيسون[٨] فيضيف من جانبه

---

(١) هو: ول وايريل ديورانت، صاحب كتاب قصة الحضارة، وكتاب قصة الفلسفة.

(٢) قصة الحضارة لول ديورانت ١١/ ٢٢٩.

(٣) أستاذ المسيحية ورئيس قسم تأريخ الأديان بجامعة باريس. كان نصرانيا كاثوليكيا، مولدا وديانة، توفي بعد الحرب العالمية الثانية، ومن أهم مؤلفاته: المسيحية نشأتها وتطورها. انظر: مقدمة الترجمة العربية لكتابه المذكور ص٦.

(٤) يعني نبي الله يحيى بن زكريا عليهما السلام.

(٥) هكذا، ولعل الصواب: الدعوة.

(٦) المسيحية، نشأتها وتطورها لشارل جنيبير، ترجمة: الشيخ د/ عبد الحليم محمود ص٣٧.

(٧) شارل جنيبير (م.ن.) ص٢٥.

(٨) "George Matheson": قس اسكوتلاندي من رجال الكنيسة المشيخية البروتستانتية، ولد في غلاسغو عام١٨٤٢م وتوفي في ١٩٠٦م، من أشهر مؤلفاته: العناصر الطبيعية للاهوت المنزل، ودراسات في صور من حياة المسيح. الدائرة الأميركية ١٨/ ٤٣٦.

قوله: « ...وصعد أسباط إسرائيل[1] إلى المدينة المقدسة، وانضم يسوع أيضا إلى جمهور السيّاح المتعبدين، ولم يكن يراود خاطره تأسيس ديانة جديدة لا في تلك الآونة ولا في وقت آخر. فعنده أن الإيمان اليهودي هو البُرعمة[2] التي تتفتح أكمامها عن كل الزهور الممكنة، وهكذا انخرط في سلك جمهور العابدين في طريقه إلى الاحتفال العظيم[3] بذلك العيد الديني »[4].

ثالثا: التبشير بنبوة محمد ﷺ :-

كان من أهم عناصر دعوة المسيح عليه السلام البشارة بالنبي الآتي بعده، نبينا محمد ﷺ، وقد قام بذلك خير قيام كما جاء الإخبار به في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف:٦]. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: « **إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر**

---

(١) السبط في لغة العرب هو: ولد الولد، والقبيلة من اليهود. ويجمع على أسباط. انظر القاموس ص٨٦٤. وأما إسرائيل فهو نبي الله يعقوب عليه السلام، وربما استعمل لنسله أيضا، أي فيقال: إسرائيل، والمقصود: بنو إسرائيل. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص٦٩.

(٢) البرعمة أو البرعومة: كِمُّ ثمر الشجر، والنَّورُ، أو زهرة الشجر قبل الانفتاح. انظر القاموس: ص١٣٩٥. والكم: وعاء الطلع (القاموس ص١٤٩١).

(٣) لعله يشير هنا إلى ما ورد في إنجيل لوقا ٢/ ٤١-٤٣: "وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح. ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد...".

(٤) دراسات في صور من حياة المسيح للدكتور جورج ماثيسون، تعريب: عزت زكي ١/ ٦٨. نقلا عن البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل للدكتور أحمد حجازي السقا ٢/ ٤١-٤٢.

الناسُ على قدمي، وأنا العاقب»[١].

ويقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية السابقة: «يعني التوراة قد بشرت بي، وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدي، وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد»[٢]. وجاء أيضا عنه ﷺ: «**إني عند الله مكتوب لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل**[٣] **في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي...»** الحديث[٤].

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ـ والنص منه ـ: كتاب التفسير (تفسير سورة الصف)، باب قوله تعالى: ﴿ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ رقمه: ٤٨٩٦ انظر الفتح: ٨/ ٦٤٠-٦٤١، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب في أسماء النبي ﷺ، رقمه: ٢٣٥٤ انظر: صحيح مسلم(م.ن.) ٤/ ١٨٢٨. ورواه كذلك الترمذي في كتاب الأدب، باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ، رقمه: ٢٨٤٠ انظر: سنن الترمذي بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر وغيره ٥/ ١٢٤، والإمام مالك في الموطأ: كتاب/ باب أسماء النبي ﷺ انظر: الموطأ بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ص٦٢٠، والدارمي في كتاب الرقاق، باب في أسماء النبي ﷺ رقمه: ٢٦٧٣ انظر: سنن الدارمي بتحقيق د/ مصطفى ديب البغا ٢/ ٧٧٣-٧٧٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٥٩.

(٣) أي: ملقى على الجدالة وهي الأرض، أو ذات رمل رقيق. يقال: جدله وجدّله فانجدل وتجدل، بمعنى صرعه على الجدالة، والمراد في الحديث: قبل أن ينفخ فيه الروح. انظر: القاموس ص١٢٦٠-١٢٦١، والنهاية في غريب الحديث لمجد الدين المبارك ابن الأثير ١/ ٢٤٨، والفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرحه: لأحمد عبد الرحمن البنا ٢٠/ ١٨١.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٢٧و١٢٨، والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح الإسناد، لكن الذهبي (رحمها الله) بعد موافقته له بقوله" صحيح" قال: «قلت: أبو بكر [من رجال الإسناد] ضعيف» انظر: المستدرك ٢/ ٦٠٠-٦٠١، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط (حفظه الله) في تعليقه عليه: "حديث صحيح لغيره". انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعلاء الدين علي بن بلبان الفارسي، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط =

وكذلك توجد الإشارة إلى ما تضمنته الآية الكريمة في قوله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[الأعراف:١٥٧].

وهذه البشارة بما هو لاحق لعصره ﷺ من الرسالة مما تواترت به النصوص وتضافرت في الكتاب المقدس لدى النصارى، بعهديه القديم والجديد. وليس هذا مجال الخوض في التفاصيل، لذا أكتفي بالإشارة إلى بعض ما ألف فيه قديما وحديثا، فإن فيه لطالب الحق ومبتغيه ما يشفي العليل ويروي الغليل(١).

رابعا: دعوة خاصة ببني إسرائيل:-

كان المسيح ﷺ من جملة أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يسوسونهم، كما

=

١٤/ ٣١٣، رقمه: ٦٤٠٤، وكذلك، شرح السنة لأبي محمد الحسين البغوي بتحقيق الأرنؤوط نفسه ١٣/ ٢٠٧. وأما الشيخ الألباني (رحمه الله) فقد ذهب إلى صحة الحديث في تحقيقه لمشكاة المصابيح ٣/ ١٢٧، وذهب إلى ضعفه في ضعيف الجامع الصغير وزيادته ٢/ ٢٢٣(الرقم: ٢٠٩٠)، وفي سلسلة الأحاديث الضعيفة، رقم: ٢٠٨٥. والله تعالى أعلم.

(١) ومن هذه المؤلفات المتخصصة في الموضوع: كتاب: هواتف الجنان وعجيب ما يحكى من الكهان مما يبشر بالنبي محمد ﷺ ويدل منه بواضح البرهان، لأبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي (ت٣٢٧هـ)، مخطوط في المكتبة الظاهرية بسوريا، والبشائر النبوية للحسين بن محمد الخالدي (ت١٢٠٠هـ)، ومحمد رسول الله المصطفى ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن للقس (سابقا) إبراهيم خليل أحمد، ومحمد ﷺ رسول الله: هكذا بشرت به الأناجيل لبشرى زخاري ميخائيل. ـ انظر: معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ للدكتور صلاح الدين المنجِّد ص٦١، والبشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل للدكتور أحمد حجازي السقا.

ورد بذلك الحديث الصحيح[(١)]. قال الله ﷻ: ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾[آل عمران:٤٩]. ويقول الطبري رحمه الله مفسرا للآية الكريمة: «يعني ونجعله رسولا إلى بني إسرائيل بأنه نبيي وبشيري ونذيري، وحجتي على صدقي في ذلك: ﴿ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾، يعني: بعلامة من ربكم تحقق قولي، وتصدّق خبري أني رسول من ربكم إليكم»[(٢)]. وقال الرازي رحمه الله في السياق نفسه: «هذه الآية تدل على أنه [عيسى عليه السلام] كان رسولا إلى كل بني إسرائيل بخلاف قول بعض اليهود: إنه كان مبعوثا إلى قوم مخصوصين منهم»[(٣)(٤)].

---

(١) أعني قوله ﷺ: **«كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء؛ كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي...»** انظر: صحيح البخاري مع الفتح ٦/ ٤٩٥ (كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقمه: ٣٤٥٥)، وصحيح مسلم(م.ن.)٣/ ١٤٧١: (كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، رقمه: ١٨٤٢)، وسنن ابن ماجة بتحقيق الشيخ محمد مصطفى الأعظمي٢/ ١٥٠: (كتاب الجهاد، باب الوفاء بالبيعة، رقمه: ٢٩٠١)، وأخرجه كذلك ابن حبان في صحيحه، انظر: علاء الدين الفارسي (م.ن.) ١٤/ ١٤٢.

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ٣/ ٢٧٣.

(٣) التفسير الكبير لمحمد بن عمر ـ فخر الدين ـ الرازي ٨/ ٥٤.

(٤) وقال القرطبي رحمه الله في تفسيره للآية: "وفي حديث أبي ذر الطويل: **«وأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى** عليهما السلام**»** انظر: تفسير القرطبي: ٣/ ٩٣. وأحسبه يشير إلى حديثه أبي ذر رضي الله عنه المعروف في عدد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، غير أنني بعد التتبع للحديث بجميع طرقه عند الإمام أحمد في المسند ٥/ ١٧٨ و١٧٩ و٢٦٥-٢٦٦، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٦٢ لم أقف على الجملة المذكورة فيه. وأما الحديث من حيث هو فصحيح، كما قال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم" ووافقه الذهبي (رحمهما الله)، وصححه أيضا الشيخ الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح٣/ ١٢٢.

وليس غريبا أن يكون عيسى ﵇ قد بعث فقط إلى قومه وبني جلدته، فتلك كانت سنة الله تعالى فيه وفي غيره من الأنبياء والرسل ما عدا نبينا محمدًا، عليهم جميعا الصلاة والسلام. كما جاء ذلك في قوله ﷺ: «**أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة**»(١).

وكذلك توجد في كتاب النصارى المقدس نصوص كثيرة جدا تدل على أن عيسى ﵇ لم يرسل إلا إلى قومه، بني إسرائيل، أو ـ على حد تعبير الأناجيل ـ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. ونظرا لكثرة هذه النصوص، أورد بعضها مصنَّفًا في النقاط الآتية:-

أولا: ما جاء من البشائر قبل ولادة المسيح ﵇:

١ ـ «فجمع كل رؤساء الكهنة(٢) وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح.

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب قوله ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا**»، رقمه: ٤٣٨ انظر الفتح: ١/ ٥٣٣ ـ والنص منه ـ وفي كتاب التيمم، رقمه: ٣٣٥ انظر الفتح: ١/ ٤٣٥-٤٣٦، وصحيح مسلم(م.ن.): كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب (بدون)، رقمه: ٥٢١، ١/ ٣٧٠-٣٧١، وانظر كذلك سنن الترمذي(م.ن.): كتاب السير، باب ما جاء في الغنيمة، رقمه: ١٥٥٣، ٤/ ١٠٤-١٠٥، وسنن النسائي: كتاب الغسل والتيمم، باب التيمم بالصعيد، رقمه: ٤٣٠ انظر سنن النسائي بشرح السيوطي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث الإسلامي ١/ ٢٣١، وسنن الدارمي(م.ن.): كتاب الصلاة، باب الأرض كلها طهور ما خلا المقبرة والحمّام، رقمه: ١٣٦١، ١/ ٣٤٣.

(٢) الكهنة جمع كاهن أي خادم دين (مطلقا)، وأما في اصطلاح النصارى فهو الشخص المخصص لتقديم الذبائح والقرابين والصلوات نيابة عن الناس إلى الله، ويعتقدون أيضا أن له سلطة التكفير عن خطاياهم أو الشفاعة لهم أمام الله! انظر: قاموس ك.م. ص٧٩١، وفايز فارس (م.ن.) ص٨٨.

فقالوا له في بيت لحم اليهودية[١]، لأنه هكذا مكتوب بالنبي. وأنت يابيت لحم أرض يهوذا[٢] لست الصغرى بين رؤساء يهوذا. لأن منكِ يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل »[٣].

٢ ـ « فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم... وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية »[٤]. فالعبارتان، "يعطيه... كرسي داود" و"ويملك على بيت يعقوب" دليلان قويان على أن رسالته خاصة ببني إسرائيل، لأن داود عليه السلام نبي إسرائيلي، فمن يرث كرسيه يكون نبيا إسرائيليا كذلك، كما أن بيت يعقوب هو نفسه بيت إسرائيل.

---

(١) بيت لحم: لفظ عبري معناه: بيت الخبز، قرية صغيرة تبعد عشرة كيلومترات إلى الجنوب من القدس، وتبعد عن الخليل سبعة وعشرين كيلا ويقال إنه مسقط رأس كل من داود وعيسى عليهما السلام. (قاموس ك.م.ص٣٠٥-٣٠٦، ومحمد محمد شرّاب (م.ن.) ص١٩٩-٢٠٢). **وأما اليهودية فاسم للقسم الجنوبي من فلسطين** الذي سكنه العائدون من سبي بابل، وكان طولها من الشمال إلى الجنوب حوالي ٥٥ ميلا، ومثلها تقريبا من الشرق إلى الغرب. وتُسمى في العهد القديم أيضا بيهوذا أو بلاد يهوذا، وأما في العهد الجديد فقد تطلق اليهودية على كل فلسطين، حتى وعلى بعض أراضي شرقي الأردن (قاموس ك.م. ص١٠٨٥).

(٢) أرض يهوذا: أطلق هذا الاسم على ما بين البحر المتوسط والبحر الميت، ومن بيت حجلة أو عين حجلة إلى الجنوب الشرقي من أريحا، ومساحتها أكثر من ألفي ميل مربع. (قاموس ك.م. ص١٠٨٧). وأما يهوذا، فهو رابع أبناء يعقوب (إسرائيل) عليهما السلام من ليئة. قاموس ك.م. ص١٠٨٥.

(٣) متّى ٢/ ٤-٦.

(٤) لوقا ١/ ٣٠-٣٣.

ثانيا: ما أعلنه المسيح ﷺ نفسه وصرح به منذ فجر دعوته:-

١ ـ قصة المرأة الكنعانية[١] التي جُنَّت ابنتها فأتت إلى المسيح ﷺ تطلب منه الدعاء لها بالشفاء فلم يجبها بشيء. وعندما تدخَّل تلاميذه في الأمر قائلين: «اصرفها لأنها تصيح وراءنا» أجابهم بقوله: «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»[٢]. وقريب منه ما جاء في إنجيل برنابا أنه ﷺ قال: «على أني وإن أقامني الله نبيا على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء وإصلاح الخطاة، خادم الله»[٣].

ثالثا: إعلانه عن احترامه للشريعة الموسوية وأنه إنما جاء مكمِّلا لها، وقد تقدم هذا قريباً.

رابعا: اختياره ﷺ جميع تلاميذه ومساعديه في نشر دعوته وإبلاغها من اليهود دون غيرهم، بل وإخباره إياهم أن هذه الدعوة من بعده قاصرة على أسباط إسرائيل، ولا تتعداهم بأي حال.

ومن نصوص كتاب النصارى المقدس في هذا:

١ ـ «فأجاب بطرس حينئذ وقال له ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك. فماذا يكون لنا؟ فقال لهم يسوع الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضا على اثني

---

(١) الكنعانيون: شعب سامي عربي من العرب البائدة، وقيل هم أحفاد نوح ﷺ من ابنه حام. ويطلق على الأرض التي سكنوا فيها: أرض كنعان وهي نفسها المعروفة اليوم بالأرض المقدسة أو أرض فلسطين، وهي الواقعة جنوبي سوريا وشرقي البحر الأبيض المتوسط. انظر: قاموس ك.م. ص٧٨٩-٧٩٠، ومحمد محمد شرّاب (م.ن.) ص٢٥-٢٦ و٣١ و٤٠.

(٢) انظر القصة في متّى ١٥/ ٢٢-٢٨.

(٣) برنابا ٥٢/ ١٣.

عشر كرسيا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر »[(١)].

٢ ـ « هؤلاء الاثناعشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا: إلى طريق أمم[(٢)] لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين[(٣)] لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة »[(٤)].

خامسا: أقوال المسيح عليه السلام كما في الأناجيل ذاتها:-

١ ـ « فأجاب وقال [المسيح] لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة »[(٥)].

٢ ـ « لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يخلص ما قد هلك. ما ذا تظنون إن كان لإنسان مائة خروف وضل واحد منها أفلا يترك التسعة والتسعين على الجبال ويذهب ويطلب الضال »[(٦)]. فكأنه هنا يفسر معنى كونه قد أرسل إلى

---

(١) متّى ١٩/ ٢٧-٢٨.

(٢) أي غير اليهود أوغير العبرانيين. ومفرده: " أممي ". قاموس ك.م. ص١١٧، وانظر: رومية ١١/ ١٣، وغلاطية٢/ ٨. هذا هو المشهور، وقد ورد أيضا ما يدل على اطلاقه على غير النصارى في ١ ـ بطرس٢/ ١٢. وانظر: الدائرة البريطانية Macro ٢/ ٩٦٨.

(٣) السامريون في العهدالقديم هم: السكان المتصلون بالمملكة الشمالية لبني إسرائيل، وأما في كتابات العبرانيين المتأخرة التي جاءت بعد السبي فهم سكان إقليم السامرة الذي يقع في وسط فلسطين، وتمثلهم في الوقت الحاضر أسر قليلة في مدينة نابلس. ومع أنهم تهودوا إلا أنهم يختلفون عن اليهود العبرانيين في أمور، منها: أنهم يعترفون فقط بالأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام من بين جميع كتب العهد القديم. الدائرة البريطانية ١٩/ ٩١٨ وقاموس ك.م. ص٤٤٩.

(٤) متّى ١٠/ ٥-٦.

(٥) متّى ١٥/ ٢٤.

(٦) متّى ١٨/ ١١-١٢.

الخراف الإسرائيلية الضالة.

٣ ـ « يا أورشليم[١] يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين، إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا »[٢].

سادسا: أقوال تلاميذه من بعد رفعه ﷺ:-

فهذا بطرس الذي كان يعتبر كبير تلاميذ المسيح ﷺ يقول: « الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشر بالسلام، بيسوع المسيح، هذا هو رب الكل »[٣]. ويقول يوحنا كما يذكر كاتب الإنجيل المسمى باسمه: « إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله »[٤][٥].

لنكتف بهذا القدر الذي سبق إيراده من النصوص الإنجيلية كي نرى وجهة نظر المنصفين من القوم في هذا الأمر فيما يلي:

١ ـ ما جاء في دائرة المعارف البريطانية: « إن الأوائل من رجال الإيمان المسيحي كانوا يهودا كما كان يسوع نفسه، لذا فإن المسيحية الأولى إنما كانت في الحقيقة مجرد حركة داخل الديانة اليهودية »[٦].

---

(١) أورشليم: العاصمة السياسية ليهوذا وفلسطين لزمن طويل، ولها أسماء كثيرة منها: يبوس، وأريئيل، والمدينة المقدسة، وبيت المقدس، والقدس أو القدس الشريف. وهي مدينة مقدسة عند المسلمين واليهود والنصارى. قاموس ك.م. ص١٢٩.

(٢) متّى ٢٣/ ٣٧.

(٣) أعمال الرسل ١٠/ ٣٦.

(٤) يوحنا ١/ ١١.

(٥) انظر فيما تقدم: مقارنة الأديان للطهطاوي ص٢٨٥-٢٨٨.

(٦) الدائرة البريطانية ٥/ ٦٩٣.

٢ ـ ويقول جون بيوري[١]: «إن اضطهاد الرومان لأتباع المسيح كان سببه أن أباطرة الرومان لم يعرفوا عن دعوة المسيح عليه السلام إلا أنها امتداد لليهودية التي كانت شديدة التعصب عميقة الحقد والحسد فأثارت غضب الرومان، مع ما عرف عنهم من التسامح الديني لأتباعهم»[٢].

٣ ـ وقال دين انج[٣]: «إن عيسى كان نبيا لمعاصريه من اليهود ولم يحاول قط أن ينشئ فرعا خاصا به من بين هؤلاء المعاصرين، أو ينشئ له كنيسة خاصة مغايرة لكنائس اليهود أو تعاليمهم»[٤].

٤ ـ قول ول ديورانت الذي تقدم نقله[٥].

فرعٌ في رد شبهات النصارى في دعوى عالمية ديانتهم.

على الرغم من الدلائل القاطعة والبراهين القوية على أن عيسى عليه السلام ليس إلا نبيّا من أنبياء بني إسرائيل إلى بني إسرائيل، دون غيرهم من الأمم، ـ والتي تقدّم جزء منها في هذه الرسالة ـ فإن بعض النصارى لا يزالون في محاولتهم المستمرة لإبطال الحق وإحقاق الباطل، فتراهم يتمسكون بشبهات لا يغتر بها إلا

---

(١) هو: John B.Bury مؤرخ بريطاني، وكان أستاذ التأريخ المعاصر بجامعة كامبريدج في إنجلترا. ولد في إيرلاندا في عام ١٨٦١م، وتوفي عام ١٩٢٧م في روما. انظر: الدائرة الأمريكية ٥/ ٦٩-٧٠.

(٢) Bury, B, A History of the Freedom of Thought نقلا عن: المسيحية لأحمد شلبي ص٦٢.

(٣) هو: William Ralph (Dean Inge) كاهن إنجليزي ولد في انجلترا عام ١٨٦٠م، وله مؤلفات عديدة منها: الكنيسة في العالم(طبع عام ١٩٢٧م). انظر الدائرة الأمريكية ١٥/ ١٢٨.

(٤) نقلا عن: المسيحية لأحمد شلبي ص٦٢.

(٥) انظر: ص٦٤.

السذج والبسطاء من عوام الناس. لذا رأيت ـ من باب قطع دابر المفسد ودفع شره عن من اغتر به من الناس ـ إيراد أقوى هذه الشبهات عندهم، ـ مع الإقرار مسبقا بأن وصفها بالقوة فيه شيء من التجوز ـ ثم ردها أو دفعها بأدلة يقتنع بها إن شاء الله كل مريد للحق وطالبه.

الشبهة الأولى:-

الاحتجاج ببعض ما جاء في كتابهم المقدس ومنها:

أ- « وقال [المسيح] لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها »(١).

ب- « وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأً من أورشليم »(٢).

ج- « لكنكم ستنالون قوةً متى حل الروح القدس(٣) عليكم وتكونون لي شهودا في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة(٤) وإلى أقصى الأرض »(٥).

د- « فتقدم يسوع وكلمهم قائلا: ...فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم

---

(١) مرقس ١٦/ ١٥.

(٢) لوقا ٢٤/ ٤٧.

(٣) الروح القدس: أحد أقانيم الثالوث النصراني، قيل سمي روحا لأنه مبدع الحياة، وقدوسا لأن من أعماله تقديس قلب المؤمن. قاموس ك.م. ص٤١٤.

(٤) السامرة: اسم لإقليم يقع في وسط فلسطين، بين الجليل في الشمال واليهودية في الجنوب، وعلى بعد نحو ٣٦ ميلا شمال غرب أورشليم، وعلى أنقاضه بنيت مدينة نابلس الحالية. قاموس ك.م. ص٤٤٩ والدائرة الأمريكية ٢٤/ ٢١٨، ومحمد محمد شرّاب (م.ن.) ص٤٤١.

(٥) أعمال الرسل ١/ ٨.

وعمدوهم[١] باسم الآب والابن والروح القدس»[٢].

المناقشة والردود:

بالنسبة للنص الأول، نجد أنه داخل في جملة الفقرات التي دار ويدور حول ثبوتها النقاش عند علماء النصارى أنفسهم، أعني ما بعد الفقرة الثامنة من الإصحاح السادس عشر (فقرات ٩ ـ ٢٠) من إنجيل مرقس. وقد اعتبرت زيادةً على النص الأصيل فتم إخراجها في طبعة عام١٩٥٢م للنسخة القياسية المراجعة(RSV) لكتابهم المقدس. ثم أعيدت فجأة في طبعة عام ١٩٧١م للنسخة نفسها مع تعليق في الهامش يقول: «إن بعض أقدم المصادر يجعل ختام هذا السفر نهاية الفقرة الثامنة»[٣]. ففي هذه الحالة لا يمكن الاحتجاج بشيء من هذه الفقرات المشكوك في صحتها.

أما بالنسبة لنص إنجيل لوقا وسفر الأعمال، فإن كاتبهما: لوقا لم يكن قط

---

(١) التعميد أو العماد أو المعمودية عند النصارى هو: علامة أو مفتاح لدخول أي فرد في النصرانية حتى إن كان مولودا من أبوين نصرانيين. ويختلفون في طريقة ذلك، فبعضهم يكتفي برش الماء على الجبهة، وبعضهم يرى وجوب انغماس جزء كامل من الجسم في الماء، وآخرون يرون وجوب انغماس الجسم كله في الماء، فيكون الشخص بذلك قد طهر من الخطايا في زعمهم، ويشترطون أن يتم التعميد في كنيسة وعلى يد كاهن. كما أنهم يختلفون أيضا في وقت التعميد من عمر الإنسان، أفي بدايته أم في آخره أم في أي لحظة منه. انظر: الأمور المتيقنة عندنا للقس كارل وليمز الكبير ص١٣٨-١٤٤، وفايز فارس (م.ن.) ص٢٤٠-٢٤٥، ودراسات في الأديان (اليهودية والنصرانية) للدكتور سعود عبد العزيز الخلف ص٢٣٤.

(٢) متى ٢٨/ ١٨-١٩.

(٣) انظر: نسخة (RSV) ص٨٣٦، و Bucaille,M, The Bible The Quran & Science P.65، و Ajao,Shakiru; Discover the Truth 2/24 و Abdul Hayee, SK..; In Search of the Truth P.61.

من تلاميذ المسيح ﷺ ولم يدّع ذلك، بل إنه ليس ممن شاهد أو عاصر شيئا من دعوته ﷺ.

وحسب ما يقوله عن نفسه، إنما بنى كتابته عن حياة المسيح ودعوته ﷺ على تتبعه لما قاله آخرون لا على ما رأى المسيح يفعله أو سمعه يقوله[١]. لذا، من المنطقي أن نقرر أن كتاباته ـ وهي بهذه المثابة ـ لا تؤخذ بجدية فيما نحن فيه.

وأما النص الوارد في الإنجيل المنسوب إلى متّى، وهو أشهر ما يحتجون به على العالمية وأقواه، فالجواب عنه كما يلي:

أولاً: أن النص من حيث هو، في ثبوته شك. كما سيأتي إن شاء الله في الباب الثاني من الرسالة أن الأناجيل الموجودة محرفة، ونسبتها إلى من نسبت إليهم فيها أنظار.

ثانياً: أن هذا النص لم ينسبه متّى ولا غيره إلى المسيح ﷺ ـ الشخصية التأريخية المعروفة ـ حين كان على ظهر الأرض ويمشي مع تلاميذه بدعوته، وإنما إلى المسيح الذي قام بعد أن صُلب كما يزعمون. وإذا علمنا أن أقدم الدلائل على وقائع القيامة والظهور بعد الصلب هذه إنما جاءت في رسائل بولس[٢] التي وجدت قبل الأناجيل[٣]، يظهر جليا أن كتبة الأناجيل الأربعة كلهم لم يشهدوا بأنفسهم هذه الحادثة وإنما بنوا حكايتهم عنها على ما ذكره بولس الذي بدوره لم يكن شاهد عيان للحادثة، بل لم يكن قد شاهد شيئا من الوقائع في زمن المسيح على الإطلاق. وتوجد دلائل واضحة فيما سطره كتبة الأناجيل عن القيامة

---

(١) انظر لوقا ١/ ١-٤.

(٢) انظر ١ ـ كورنثوس ١٥/ ٣-٨.

(٣) انظر: ما سيأتي في ص٣٧٢-٣٧٣.

والظهور[١] على أنهم ليسوا على يقين فيما يحكون عنها، فقد جاءت أخبارهم عن الحادثة متناقضة ومتضاربة جدا[٢].

إذًا، فأصل قصة قيامة المسيح بعد الصلب في أحسن الاحتمالات أو أقل ما يقال عنه أنه قابل للمناقشة ومثير للتساؤلات، فلا يمكن إثبات أن المسيح ﷺ في أي وقت من التأريخ قد أَمر بأن يبشِّر بدعوته غير اليهود، ما لم تثبت حقيقة صلبه وقيامته[٣].

ومما يستدل به على بطلان القصة وعدم صحتها، ما جاء في إنجيل متّى نفسه من وصف الزلزلة العظيمة التي أعقبت دفن المصلوب، وكذلك نزول ملك من السماء ودحرجته للحجر عن باب القبر...الخ[٤]. فكل هذا مردود لأمرين:

الأول: لو صح وقوع هذه الزلزلة الموصوفة بالعظم هنا، فلماذا لا ينقل خبرها غير متّى من أصحاب الأناجيل الأخرى، فضلا عن غيرهم من المؤرخين المحايدين؟ إذ إن مثل ذلك ليس مما يُسكت عنه عادةً في تدوين الأحداث التأريخية.

---

(١) هكذا يذكرونه ويقصدون قيام المصلوب من قبره بعد ثلاثة أيام، ثم ظهوره لعدد من الناس بعد ذلك. قاموس ك.م. ص٧٤٩-٧٥٠.

(٢) انظر: Ajao, Shakiru (op.cit.) p.25-26. وانظر: متّى ٢٨/ ٢-٢٠ ومرقس ١٦/ ٥-١٨ ولوقا ٢٤/ ٣-٤٩ ويوحنا ٢٠/ ٢-٢٩. ومن هذه التناقضات: في متّى ٢٨/ ٩ أن مريم المجدلية ومريم الأخرى لقيتا المسيح ﷺ في الطريق أثناء عودتهما من المقبرة، بينما نجد لوقا لا يذكر ظهوره لهما على الإطلاق، لا في الطريق ولا عند القبر، وإنما قال بدلا عن ذلك بظهوره لرجلين في طريقهما إلى قرية بعيدة عن أورشليم (انظر: لوقا ٢٤/ ١٣-٣١). وأما يوحنا ٢٠/ ١٤-١٦ ففيه أنه إنما ظهر للمجدلية وحدها، ولكن متى وأين؟ حينما كانت واقفة عند القبر وهي تبكي!

(٣) انظر: Muhsin, Ali; Let the Bible Speak p.31

(٤) انظر: متّى ٢٨/ ٢-٥.

والثاني: أن ما جاء من القول بأن ملكا قد دحرج الحجر، ووصف هذا الملك، ووصف ثيابه في قول كاتب الإنجيل: «وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج»[(١)]، يلزم منه أن تكون مريم المجدلية[(٢)] ـ على الأقل ـ قد رأته وهو يزيل هذا الحجر، مع أنها لم تقل شيئا من هذا القبيل، بل كل ما جاء في غير متّى من الأناجيل الأربعة أنها ومن معها أتين ووجدن الحجر قد دُحرج[(٣)].

وبهذا يتضح أن مسألة قيام المسيح من القبر ووصيتِه المزعومة ليست إلا محض خيال، شاعت بأساليب متنوعة كشأن غيرها من القصص الخيالية التي يكتبها كل راو وفق ما يناسب هواه في الكتابة فحسب[(٤)].

ثالثاً: أنه بعيد في التصور أن يقول الرجل العادي: "لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"، وفي الوقت نفسه يقول لأتباعه: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم" أو يقول: إني مرسل إلى جميع العالم. فمن باب أولى أن لا يمكن صدور عبارات متضاربة ومتناقضة من نبي عظيم القدر، معصوم من الخطأ، فيما يبلّغ من وحي ربه ﷻ.

ومن المعلوم أن الجمع إذا تعذر ـ والجمع بين متناقضين متعذر قطعا ـ يجب المصير إلى الترجيح. ولكي نعطي كل ذي حق حقه ومستحقه، أترك

---

(١) متّى ٢٨/ ٣.

(٢) مريم المجدلية: من أتباع المسيح ﷺ، قيل إنها كانت ابتليت بسبعة شياطين فأخرجهم المسيح منها فآمنت به إثرَ ذلك (لوقا ٨/ ١-٣) انظر قاموس ك.م. ص٨٥٨.

(٣) انظر: مرقس ١٦/ ٤، ولوقا ٢٤/ ٢، ويوحنا ٢٠/ ١.

(٤) انظر: النصرانية والإسلام للطهطاوي ٢٩٣-٢٩٥ بتصرف.

الحديث للمهتدي، عبد الأحد داود[١]، فقد قرر أن تلكم النصوص المخالفة لخصوصية دعوة المسيح ﷺ ببني إسرائيل محرّفة أو زائفة فقال: «ولا شك في أن المسيح الذي لم يخلص مجنونة كنعانية إلا بعد الجهد الطويل لا يمكنه أن يسعى لتخليص العالم»[٢].

رابعاً: ومما يدل على أن العبارة المذكورة مصطنعة، تضمنها لعبارات التثليث، ونعلم يقينا أن عقيدة التثليث دخيلة على العقيدة الأصيلة للديانة النصرانية كما تقدم، كما أنها تشير إلى ألوهية الروح القدس، وهذا ما لم يتقرر أصلا إلا في أواخر القرن الرابع للميلاد، كما سيأتي إن شاء الله عند الحديث عن المجامع النصرانية وقراراتها[٣].

خامساً: وعلى فرض ثبوت هذا النص عن عيسى ﷺ ـ تسليما جدليا ـ فإن غاية ما يفيد أنه ﷺ أمر تلاميذه بأن يبشروا برسالته جميع قبائل إسرائيل أو أسباطهم، وليس جميع الأمم أو جميع الناس، وفرقٌ بين الاثنين. وذلك لأن المسيح ﷺ وهو نبي الله المعصوم قد تكلم بوضوح حسبما ترويه الأناجيل أيضا أن رسالته خاصة ببني إسرائيل، إلى حد أنه كان يحذر تلاميذه من القيام بأي نشاط دعوي بين الأمم الأخرى غير الإسرائيليين. أم ماذا يعني قوله ـ فيما ينقل عنه ـ: «بل اذهبوا

---

(١) هو الآب عبد الأحد داود الآشوري حبر من أحبار الكنيسة النصرانية، وسيد من ساداتها في الموصل بالعراق في القرن الماضي، ثم أسلم فترك مركزه وسافر إلى القسطنطينية وعاش فيها مسلما صادقا. ومن أهم مؤلفاته: كتاب: الإنجيل والصليب. انظر: رجال نور الله قلوبهم، لمصطفى فوزي غزال ١/ ٤٣-٤٤.

(٢) انظر: الإنجيل والصليب لعبد الأحد داود الآشوري ص٧١.

(٣) وانظر فيما تقدم: مقارنة الأديان للطهطاوي ص٢٨٨-٢٨٩.

بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»[١] عند هؤلاء مدّعي العالمية؟!

وربما يقول قائل منهم إنما أراد المسيح عليه السلام بهذا التوجيه، أن يذهبوا إلى مناطق بني إسرائيل أولاً قبل ذهابهم إلى الآخرين! كلاّ، لأن ذهابهم إلى خراف بيت إسرائيل ليس القصد منه مجرد الزيارة، وإنما الهدف منه إدخالها في النصرانية. فعليه، يُفهم من النص أنهم لا يجوز لهم الالتفات إلى الأمم الأخرى ـ كما فعل هو أيضا حين جاءته المرأة الكنعانية وقال لها: «ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب»[٢]! ـ حتى يتم تنصير الإسرائيليين، أو بالأحرى حتى يتبعوا ما جاء به المسيح عليه السلام ويؤمنوا به. وها هو عيسى نفسه يصرّح ـ كما في كتابكم المقدس ـ بأن مهمة دعوة الإسرائيليين أو إدخالهم في النصرانية لن تتم حتى وقت مجيئه الثاني للدنيا كما يقول إنجيل متّى: «وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي. ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يَخلص. ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى. فإن الحق أقول لكم، لا تكملون مدن إسرائيل[٣] حتى يأتي ابن الإنسان»[٤].

---

(١) متّى ١٠/ ٦.

(٢) حسبما جاء في: متّى ١٥/ ٢٦.

(٣) إسرائيل: يطلق هذا اللفظ باعتباره دالا على منطقة جغرافية معيّنة في تأريخ اليهود ويراد به إما: المملكة المتحدة لبني إسرائيل تحت ملوكهم الأوائل: شاول، وداود وسليمان عليهما السلام، وقد استمرت من حوالي ١٠٢٠ إلى ٩٢٢ ق.م.، أو المملكة الشمالية التي تأسست بعد ذلك، وكان أول ملوكها يربعام بن سليمان عليه السلام، وقد استمرت من حوالي ٩٢٠ إلى ٧٢٢ ق.م. وذلك بعد انقسام بني إسرائيل إلى مملكة الشمال (إسرائيل)، ومملكة الجنوب (يهوذا). انظر: الدائرة البريطانية ١٢/ ٦٩٦-٦٩٧، وقاموس ك.م. ص ٧٠-٧١ و٩١٦.

(٤) متّى ١٠/ ٢٢-٢٣.

فمن خرج بالدعوة إلى النصرانية إلى غير بني إسرائيل قبل المجيء الثاني للمسيح ﷺ، فإنه ـ حسب النص الإنجيلي السابق ـ يكون مخالفا لتعاليم المسيح ﷺ نفسه، لا متّبعا لها[1].

سادسًا: أن النص ـ على فرض ثبوته أيضا ـ خطابٌ في المقام الأول لتلاميذ المسيح ﷺ وهم أعرف الناس به وبدعوته وبكلامه، فما ذا كان رد فعل هؤلاء التلاميذ إذًا؟ نجد أنهم لم يقولوا أبدا بعالمية الدعوة العيسائية، بل اعتبروا التبشير بالإنجيل في غير بني إسرائيل عملا خاطئا، كما جاء ذلك في سفر أعمال الرسل في قول الكاتب: «وأما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذي حصل بسبب إستفانوس[2] فاجتازوا إلى فينيقية[3] وقبرس[4] وأنطاكية[5] وهم لا يكلمون

(١) انظر: Ajijola, A.D., The Myth of the Cross pp.134-135 بتصرف.

(٢) إستفانوس: كان من النصارى الأوائل وقد قتل رجما بُعيد رفع المسيح ﷺ ولذلك يعرف عندهم بأول شهداء النصرانية، وكان بولس ممن شهد حادثة الرجم هذه قبل تحوّله المزعوم. قاموس ك.م. ص٦٢-٦٣.

(٣) فينيقية: اسم لقطعة مستطيلة ضيقة من الأرض، وهي تقع بين البحر الأبيض المتوسط غربا، وقمة سلسلة جبال لبنان شرقا. وكانت الصور والصيداء من أهم مدنها. قاموس ك.م. ص٧٠٥-٧٠٦.

(٤) قبرس: جزيرة شبيهة بمثلث طولها ١٥٠ ميلا في شرقي البحر المتوسط، وبها قرى وجبال وزروع، غزاها معاوية ﷺ مرتين. واسمها مأخوذ من اسم مدينة كات هناك تسمى: قبرو. وأما قبرس حاليا فاسم لدولتين متجاورتين بالجزيرة، تعرف إحداهما بقبرس اليونان (وهي الأصل) والثانية بقبرس تركيا (وقد انشقت في عام ١٩٨٣م). ياقوت الحموي(م.ن.) ٤/ ٣٤٦، والروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم الحميري نحقيق: د/ إحسان عباس ص٤٥٣-٤٥٤، وقاموس ك.م. ص٧١٣، والدائرة البريطانية (C.D.).

(٥) أنطاكية: مدينة على نهر العاصي، على مسافة خمسة عشرة ميلا من البحر الأبيض المتوسط، وبينها وبين حلب مسيرة يوم وليلة. كانت موصوفة بالنزاهة والحسن والطيب، وكانت العرب إذا =

أحدا بالكلمة إلا اليهود فقط»[١]. وعندما علموا بأن بطرس بشّر بالإنجيل عند غير الإسرائيليين أنكروا عليه فعله هذا كما يقول سفر الأعمال أيضا: «ولما صعد بطرس إلى أورشليم خاصمه الذين من أهل الختان[٢] قائلين إنك دخلت إلى رجال ذوي غلفة[٣] وأكلت معهم»[٤][٥].

الشبهة الثانية:-

ما جاء في إنجيل يوحنا من قصة ذهاب المسيح ﷺ إلى السامرة وإيمان كثير من السامريين به[٦]. والجواب عن ذلك في نقاط:

أ ـ من الواضح في القصة ـ على فرض ثبوتها ـ أن المسيح هدفه إنما هو الذهاب إلى الجليل، ولكن كما جاء في القصة نفسها: «وكان لابد له أن يجتاز السامرة»[٧] أي أنه لا طريق يؤدي إلى الجليل إلا ما ذُكر، حيث يُفهم ذلك من عبارة "يجتاز".

=

أعجبها شيئ نسبته إلى أنطاكية. وقد ظلت بأيدي المسلمين وثغرا من ثغورهم إلى أن ملكها الروم في سنة ٣٥٣هـ. ياقوت الحموي (م.ن.) ١/ ٣١٦-٣٢٠ ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لابن عبد الحق البغدادي، تحقيق: علي محمد البجاوي ١/ ١٢٤-١٢٥ وقاموس ك.م. ص١٢٤-١٢٦، وهي الآن بلد إسلامي واقع في تركيا.

(١) أعمال الرسل١١/ ١٩.

(٢) أي اليهود.

(٣) أي غير مختونين، والمعني، غير اليهود.

(٤) الأعمال ١١/ ٢-٣.

(٥) انظر: Ajijola,A.D.(Op.Cit) P.135.

(٦) انظر: يوحنا ٤/ ١-٤٢.

(٧) يوحنا ٤/ ٤.

ب ـ يلاحظ أن إقامة المسيح عليه السلام معهم كانت لفترة وجيزة قدرها يومان فقط، وأن استماع السامريين إليه إنما كان بطلب وإلحاح وإصرار منهم وليس أن عيسى عليه السلام قد قصد ذلك واستهدفه أساسا. فصنيعهم هنا شبيه بما صنعت الكنعانية حيث أصرت على طلب مساعدة المسيح في شفاء ابنتها، على الرغم من معارضة هذا لوظيفته ومهمته كما وضّح لها الأمر وبيّن[1]. لهذا فإن عبارة: «...هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم»[2]، إنما صدرت عن السامريين أنفسهم، وليس أن المسيح قد أخبرهم أنه كذلك.

ج ـ وحيث إن هذه القصة لم تذكرها بقية الأناجيل الثلاثة، فليس ببعيد أن تكون من مفتريات كاتب الإنجيل الرابع المعروف بكثرة مخالفاته للأناجيل الأخرى[3].

---

(١) انظر: متّى١٥/ ٢١-٢٦.

(٢) يوحنا ٤/ ٤٢.

(٣) انظر: Ajao,Shakiru (op.cit.) P.24، والغفران بين الإسلام والمسيحية لإبراهيم خليل أحمد ص١٧.

الفصل الثالث

أسباب انحراف النصارى بعد المسيح عليه الصلاة والسلام

وفيه أربعة مباحث:

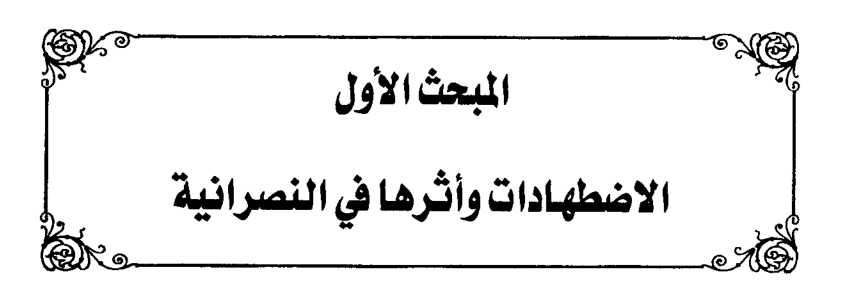
المبحث الأول: الاضطهادات وأثرها في النصرانية.

المبحث الثاني: ضياع الإنجيل وانقطاع السند.

المبحث الثالث: المذاهب الفلسفية وأثرها في النصرانية

المبحث الرابع: الوثنية وأثرها في النصرانية





المبحث الأول
الاضطهادات وأثرها في النصرانية

اتفقت المصادر الشرقية والغربية، الدينية وغير الدينية على أنه حلّ بالنصارى بعد المسيح عليه السلام بلايا وكوارث جعلتهم يستخفون بديانتهم ويفرون بها أحيانا، ويصمدون أمام هذا الاضطهاد أحيانا أخرى. وفي كلتا الحالتين لا شوكة لهم ولا حيلة ولا قوة تحميهم أو تحمي ديانتهم وكتبهم التي يزعمون أن جلّها إنما دوّن في عصور الاضطهاد هذه![1].

لقد كانت النصرانية في قرونها الأولى بين شقي الرحى[2]، بين اضطهاد اليهود واضطهاد الرومان الوثنيين[3]. أما بالنسبة لاضطهاد اليهود للنصارى فيمكن القول بأنه بدأ في وقت مبكر جدا، وقد تمثل ذلك في البداية في معارضتهم لدعوة المسيح عليه السلام ومحاولة الإيقاع به لدى الحاكم الروماني في وقته، وقد انتهت

---

(١) انظر: محاضرات في النصرانية لمحمد أبي زهرة ص٢٨.

(٢) الرَّحى: الحجر العظيم، وهي التي يطحن بها. لسان العرب ٥/ ١٧٥-١٧٦.

(٣) الرومان: هم مؤسسوا الدولة الرومانية، وهم بها أصلوا الأصول وسنوا القوانين وفتحوا الأمصار كانوا مقدمة لعظمة أوروبا الحالية، ومدنيّتها المادية. وكان مقرهم بلاد إيطاليا الحالية. محمد فريد وجدي (م.ن.) ٤/ ٤٢٩.

هذه المرحلة المبكرة من مراحل الاضطهاد بالخاتمة التي بينها الله تعالى لنا في كتابه العزيز: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[النساء:١٥٧-١٥٨].

أما في المرحلة التي تلت رفع المسيح عليه السلام فقد ظل اليهود، لاسيما رؤساؤهم، فترة من الزمن لا يعارضون وجود طائفة النصارى بين أظهرهم، نظرا لقلتها وانتفاء الأذى من وجودها. ولكن عندما تضاعف عدد هؤلاء النصارى وتكاثروا، استولى الرعب على قلوب كهنة اليهود فاتخذوا إجراءات صارمة لتفادي خطر هذه الطائفة. ومن أهم ما قاموا به، القبض على بطرس وغيره من تلاميذ المسيح، ومحاكمتهم أمام السنهدريم(١)، حيث حكم عليهم بالجلد أو السجن، وقتل بعضهم بالسيف كما يحكي لنا سفر الأعمال تفاصيل ذلك(٢).

بل وفي رأي بعض الباحثين(٣) أن الجزء الأكبر مما نزل بالنصارى من الاضطهادات إنما كان على أيدي اليهود كما تدل عليه الأسفار النصرانية نفسها(٤).

وحيث إن النصرانية قد استمرت في الوجود على الرغم مما نزل بأهلها من

---

(١) السنهدريم أو السنهدرين: المجلس الأعلى لليهود خلال العهود الرومانية، وبعد أن قضت روما على تمرد يهودي تدهور المجلس ثم اختفى نهائيا. انظر: قاموس ك.م. ص٤٨٩، والموسوعة العربية العالمية ١٣/ ١٥٥.

(٢) انظر: الأعمال١٢/ ١-٥، وول ديورانت(م.ن.) ١١/ ٢٤٣.

(٣) ومنهم اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب في كتابه: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص٨٦.

(٤) انظر: الأعمال٤/ ١-٢١ و٥/ ١٢-٤٠ و٦/ ١١-١٤.

قبل اليهود من ألوان العذاب وأصناف التنكيل، حينئذ تدخل أباطرة[1] الرومان ليقوموا بدورهم في الاضطهاد والتنكيل بالقوم.

وقبل أن أذكر شيئا عن هذه الاضطهادات الرومانية، تجدر الإشارة إلى أهم الأسباب التي من أجلها استحق النصارى ـ في نظر الدولة، والشعب الروماني ـ هذه الويلات:-

أ- قطع النصارى الأوائل كل علاقة بالآلهة الرومانية وتقديس الإمبراطورية الرومانية[2]، فاعتبرهم الشعب لذلك ملحدين كافرين.

ب- قلة اهتمامهم بما يسمّى: "واجبات الوطن"، بما فيها الخدمات العسكرية.

ج- رفضهم أداء الضرائب التي كانت الدولة الرومانية تفرضها على جميع رعاياها.

د- إغراء اليهود للحكام الرومانيين والوشاية بالنصارى أمامهم.

هـ- تضيق جمهور السكان الوثنيين من عزلة النصارى، فأهابوا بحكامهم أن يعاقبوا هذه الفئة الملحدة المفارقة للجماعة في تصورهم، لاسيما أنهم بدءوا يكثرون كثرة قد تكون خطرا عليهم وعلى الدولة.

---

(١) الأباطرة جمع الإمبراطور.

(٢) الإمبراطورية الرومانية: أي دولة الرومانيين أو بلاد الروم، تأسست بتأسيس مدينة روما في عام ٧٥٣ ق.م.، وازدهرت حتى كانت تعد من أكبر الإمبراطوريات في التأريخ، إلا أنها انشقت بعد ذلك وضعفت، وقد سقط الجزء الغربي منها في عام ٤٧٦م. كانت مشارق بلادهم وشمالها الترك والروس، وجنوبها الشام والإسكندرية، وكانت الرقة والشامات كلها تعد في حدود الروم، وكانت أنطاكية دار ملكهم إلى أن نفاهم المسلمون إلى أقصى بلادهم. ياقوت الحموي (م.ن.) ٣/ ١١٠-١١٣ وابن عبد الحق البغدادي(م.ن.) ٢/ ٦٤٢، والموسوعة العالمية ١١/ ٣٨٦-٣٩٦.

و- لأن الرومانيين لم يروا النصرانية إلا أنها امتداد لليهودية التي هي موضع اشمئزاز وكراهية شديدة منهم.

ز- اتهامهم (النصارى) بإحراق مدينة روما[١]، وهي الحادثة التي راح ضحيتها كثير من النفوس والممتلكات.

ح- عبور النصرانية إلى الدولة الرومانية، حيث بُشرت بدعوتها جميع رعايا تلك الدولة، ولم تَعُد قاصرةً على الشعب اليهودي.[٢]

فهذا مجمل أسباب الاضطهاد الروماني للنصرانية والنصارى، ويليه عرض مختصر لصور هذا الاضطهاد البشعة:-

لقد تزامنت بداية هذا الاضطهاد مع عبور النصرانية إلى المجتمع الروماني وانتهى باعتناق الإمبراطور[٣] قسطنطين[٤] للنصرانية في القرن الرابع للميلاد.

---

(١) روما: عاصمة الإمبراطورية الرومانية، أسست في عام ٧٥٣ ق.م. على يد روميولس الذي صار أول ملك لها. وأما روما في الوقت الحالي فمدينة في وسط إيطاليا وهي عاصمتها. وروما أيضا مدينة عظيمة عند النصارى ـ لا سيما الكاثوليك منهم ـ فهي ركن من أركانهم وكرسي من كراسيهم. الروض المعطار للحميري ص٢٧٤-٢٧٥، وقاموس ك.م. ص٤١٧و٤١٨، والموسوعة الميسرة ص٨٩٨.

(٢) انظر: ـ في هذه الأسباب وغيرها ـ تأريخ الكنيسة لجون لوريمر ١/ ٩١ و٢/ ٤٢-٤٣ و٧٤ و١١٠-١١١، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٣٥٣، واليهودية والمسيحية للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي ص٢٧٦-٢٧٨، ومتولي يوسف شلبي (م.ن.) ص٢٤، والنصرانية من التوحيد إلى التثليث لمحمد أحمد الحاج ص١٢٦.

(٣) الإمبراطور: حاكم الإمبراطورية، أي أرض مؤلفة من مجموعة بلاد وأمم مختلفة تحكمها أقوى دولة من بين المجموعة، وأما حاكم كل جزء (دولة أو شعب) من أجزاء الإمبراطورية فيسمى ملكا عادةً. انظر: الموسوعة العالمية ٢/ ٦٦٤.

(٤) هو: قسطنطين الأول أو الكبير ابن قسطانش الأول، أظهر اهتماما بالنصرانية إلا أنه لم يعمّد إلا وهو =

وعاشت النصرانية إبّان هذه الفترة صراعا من جهتين: الدولة الرومانية، والشعب الروماني الوثني. حيث واجهت من الأولى اضطهادا وتنكيلا لا يطاق، وخاضت مع الثانية صراعا فكريا ودينيا مريرين.

ولعل أبشع ما عان منه النصارى من الاضطهاد، ذلك الذي أنزله بهم نيرون[1]. فقد تفنن هو وحكومته في تعذيب النصارى بشتى ألوان العذاب، فتارة يدخل أحدهم في جلد حيوان ثم يقدَّم طعاما للوحوش المفترسة لتمزق أجساده وتأكله، وتارة أخرى يلبسون جلابيب مطلية بمادة قابلة للاشتعال ثم يوقدون كمشاعل يستضاء بها في الليلة الظلماء، فيتخذ نيرون نفسه من تلك المشاعل البشرية شموعا كان يسير على ضوئها في وسط اللهيب المتصاعد من أبدان النصارى، وكان خصومهم يحضرون للتلهي بمشاهدة هذه الوقائع الهمجية![2]

كان هذا كله في القرن الأول للميلاد، وأما في القرن الثاني فكانوا يُعتبرون أنجاسا لا يسمح لهم بدخول الحمّامات العامة ويُحترز عن مخالطتهم واستعمال أدواتهم، وأُبعد كل نصراني عن خدمة الدولة مهما بلغت درجة ذكائه. وأي نصراني

=

على فراش الموت، وهو الذي دعا إلى عقد أول مجمع مسكوني للنصرانية في نيقية عام ٣٢٥م، كما قام بنقل عاصمته إلى بيزنطة التي أعاد بناءها وسماها القسطنطينية في ٣٣٠م، وتوفي في ٣٣٧م. الموسوعة الميسرة ص١٣٨٠.

(١) هو: نيرون ابن كلاوديوس الأول ـ بالتبني ـ تولّى حكم الإمبراطورية وهو في السابعة عشرة من عمره وكان يوصف بالعنف حتى يقال إنه أمر بقتل أمه وزوجته. اتهم النصارى بإحراق روما في عام ٦٤م. توفي في عام ٦٨ أو ٦٩م. الدائرة البريطانية ١٢/ ٩٦٥-٩٦٦ والموسوعة الميسرة ص١٨٦٦.

(٢) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ١/ ٩٠-٩١ ومتولي يوسف شلبي (م.ن.) ص٢٤-٢٥.

يُرشد عنه يؤتى به فورا إلى هيكل الأوثان فيطلب منه أن يقدم ذبيحة للصنم وإلا كان هو نفسه الذبيحة! واستمرت الحال هكذا حتى منتصف القرن الثالث حيث وجدوا نوعا من الراحة، ومرت الكنيسة بفترة سلام نسبي قبل أن تحل بهم كارثة أخرى في عهد دقلديانوس[١] الذي أمر في عام٣٠٣م بهدم كنائسهم وإحراق كتبهم المقدسة، وحملهم على إنكار دينهم، وأسقط حقوقهم المدنية، وأمر بإلقاء القبض على رؤسائهم في الملة حتى امتلأت بهم السجون ومات أكثرهم جوعا أو ضربا بالسياط والحديد، وأحرق بعضهم بالنار. حتى إن عهده هذا ليعرف عند النصارى بعصر الشهداء.[٢]

حتى إذا أتى القرن الرابع وفي مطلعه (سنة٣١٣م) أصدر الإمبراطوران الرومانيان، قسطنطين وليكينيوس[٣] أوامر التسامح، وبذلك استراح النصارى من التعذيب والتنكيل. وبعد ذلك بعشر سنوات فقط دخل قسطنطين نفسه في النصرانية أو بالأصح أدخلها في وثنيته، فقوي نفوذ النصارى[٤].

---

(١) هو: الإمبراطور الروماني من ٢٨٤وحتى٣٠٥م حيث اعتزل الحكم، وقد كان في السابق قائدا في الجيش الروماني. توفي في ٣١٣م. الموسوعة الميسرة ص٧٩٨.

(٢) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٢/ ١١١-١١٣ ومحاضرات أبي زهرة ص٢٩-٣٠ والمسيحية لأحمد شلبي ص٧١-٧٢ ومتولي يوسف شلبي (م.ن.) ص٢٦.

(٣) هو: إمبراطور روماني، حكم بالاشتراك مع قسطنطين الأول ثم اختلف معه فهزمه الأخير مرتين، في سنة ٣١٣و٣٢٤م ثم أُعدم في ٣٢٥م. الموسوعة الميسرة ص١٥٩٨.

(٤) انظر: جون لوريمر(م.ن.) ٢/ ١١٩ ومناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٣٥٥. وللتوسع في موضوع الاضطهادات هذه راجع: تأريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري ص١٠٧-١٠٩، ١٤٠، ١٦٤-١٦٧، ٢٣٢-٢٤٤، ٣٢٧-٣٢٨، و٣٩٩-٤٠٧. وجون لوريمر (م.ن.) ١/ ٨٩-٩٣، ١٢٦-١٣٤، ٢/ ٧٤-٧٩، و١٠٩-١١٧. وتأريخ المسيحية لحبيب سعيد ص٥٤-٦٢، و١١-١١٥.

آثار الاضطهادات على النصرانية :-

أولاً: إنه من نافلة القول أن النصارى من واقع ما عانوا منه طوال القرون الثلاثة الأولى في تأريخ ديانتهم من أنواع الاضطهاد وألوان الاضطراب، يصعب عليهم أو يستحيل الاحتفاظ بجميع شعائرهم وكتبهم المقدسة في هذه الظروف القاسية. فضلا عن حقيقة واضحة، وهي أن هدف الذين اضطهدوهم وعذبوهم هو محوهم ومحو ديانتهم من التأريخ، فلم يقصروا في ارتكاب أي شيء يمكّنهم من الوصول إلى هذا الهدف، ومن ذلك ما قاموا به من إحراق كنائس القوم وكتبهم المقدسة كما تقدمت الإشارة إليه آنفا.

ثانياً: كما أن هذا الاضطهاد ـ باعتراف بعض علمائهم ـ كان سببا مباشرا في فقدان سند متصل لمعتقدات النصارى وكتبهم بصاحب الشريعة. يقول الشيخ رحمت الله[1] رحمه الله: «طلبنا مرارا من علمائهم الفحول[2] السند المتصل فما قدروا عليه، واعتذر بعض القسيسين[3] في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم فقال:

---

(١) هو: محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي الهندي، صاحب المناظرات الشهيرة مع كبار المنصرين، ومؤلف كتاب إظهار الحق، توفي في عام ١٣٠٨هـ بمكة المكرمة حيث قد كان يدرِّس في الحرم الشريف. مقدمة محقق كتاب إظهار الحق: د/ محمد أحمد ملكاوي ص١٥-٢١.

(٢) الفحل هو: الذكر من كل حيوان والجمع: فحول، ورجل فحيل وفحل أي بيّن الفحولة. القاموس ص ١٣٤٥.

(٣) القسيسون أو القساوسة جمع قسيس أو قس وهو لغةً: صاحب الإبل الذي لا يفارقها، ورئيس النصارى في العلم. وأما في الاصطلاح النصراني فهو: أحد الأشخاص الذين يرسَّمون أعضاء في الإكليروس، وخاصة في المذاهب البروتستانتية، ويقومون عادة على رعاية جماعة المصلين في أبرشيةٍ ما. ويقوم الكهنة بدور القساوسة المرسّمين في المذاهب الكاثوليكية الرومانية والأرثوذكسية =

إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة...»[١].

ثالثاً: أن أناجيل النصارى الأربعة كلها قد دونت في هذه الظروف وخلال هذه الاضطهادات، فكان ذلك من أهم أسباب الاضطرابات والاختلافات التي اتسمت بها هذه الكتب.

رابعاً: أن تلك الاضطهادات جعلتهم يقومون بكل ما قاموا به في شؤونهم الدينية، لاسيما ما كان له صلة ببيان الشريعة، سرا واختفاءاً عن العيون المتربصة، ولا شك أن السرية يحدث في ظلمتها ما يجعل النفس غير مطمئنة إلى ما يحكى عن الأحداث الجارية فيها. إذ لا مانع من أن يدس على اجتماعاتها ما لم يجر فيها، وينقل عن حاضريها ما لم يقولوا، لذا فلا يقين ولا ثقة بما دوّن من كتب النصارى في ظلمة السرية[٢].

وهل لنا أن نتساءل في ضوء ما تقدم: عن مدى الثقة التي يعطيها التأريخ لما دون في هذه العهود من الأناجيل، وما مدى احترام العلم لكتبة هذه الكتب؟ لا سيما في ظل تلكم الظروف النفسية التي من الصعب فيها قيام البحث على أسس علمية محايدة[٣].

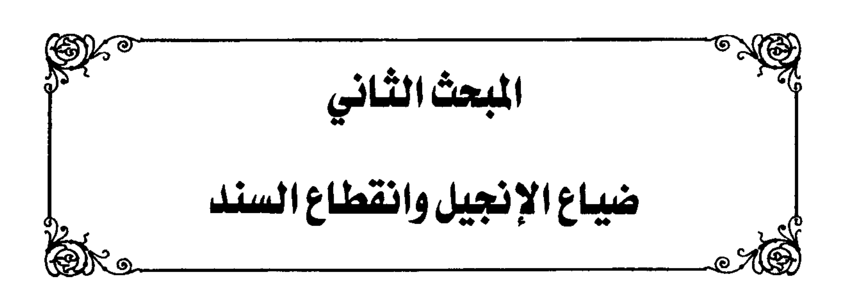
=

الشرقية والإنجيلية. انظر: القاموس ص٧٢٩، والموسوعة العالمية ١٨/ ١٦٩.

(١) إظهار الحق لرحمت الله الهندي، تحقيق: د/ محمد أحمد عبد القادر ملكاوي ١/ ١١١.

(٢) انظر: محاضرات أبي زهرة ص٣١.

(٣) متولي يوسف شلبي (م.ن.) ص٢٧.



المبحث الثاني

ضياع الإنجيل وانقطاع السند

إن الكارثة الكبرى التي حلّت بالنصارى منذ القرون الأولى من بداية دعوتهم هي فقدان الإنجيل المنزل من الله ﷻ على عبده ورسوله عيسى ﷺ، وانقطاع السند عن صاحب الدعوة أو تلاميذه المؤمنين به، فاهتدوا بغير هديه وتخبطوا في ظلمة الليل إذا يغشاها، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠].

يرى بعض الباحثين من النصارى وغيرهم(١) أنه كان يوجد بعد رفع المسيح ﷺ مباشرة كتاب يحتوي على أقواله وسمي (Logia)، وآخر يحتوي على سيرته وعرف بـ(Quelle)، وأن الأناجيل الأربعة الموجودة حاليا إنما هي مجموع هذه الأقوال والسيرة، وأما الكتابان الأصيلان فقد فُقدا بعد ذلك!

فنقول إن هذا لمن أقوى الأدلة على فقدان الإنجيل المنزّل من ربّ العزة والجلال، أما الكتابان (Logia وQuelle) ـ أو غيرهما ـ فحتى لو كانا الأصل الذي انبثقت عنه الأناجيل الأربعة لكنهما غير الإنجيل المنزل المفقود، إذ إنه ليس كلام المسيح ـ بل كلام رب المسيح ﷻ ـ فضلاً عن أن يكون سيرته ﷺ. كما أن ثمة

---

(١) انظر: حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة للدكتور السقا ص٢٣٤.

مشكلة أخرى أساسية وهي عدم اتصال السند من كتبة هذه الأناجيل الأربعة الموجودة إلى نقلتها عنهم، ومن نقل عن هؤلاء كذلك.علما بأن الدراسات العلمية قد أثبتت أنه لم توجد نسخة خطية واحدة للعهد الجديد كله قبل القرن الرابع للميلاد كما سيأتي[١].

ويستحسن قبل اختتام الحديث حول هذا الموضوع أن أشير إلى عاملين آخرين من أهم العوامل التي أدت إلى فقدان إنجيل عيسى عليه السلام، وهما:

أ ـ بولس، فبعد أن تمكّن من التظاهر بالنصرانية خداعًا وجعل نفسه في مقام لم يصل إليه أكابر تلاميذ المسيح عليه السلام، دخلت المرحلة الثانية من مراحل مخططاته الشيطانية حيز التنفيذ، فشرع في إسقاط ناموس موسى وتعاليم المسيح عليهما السلام شيئا فشيئا إلى أن تمكن من إلغائهما كليا[٢].

ومما قد يقوي هذا أن ما بقي بأيدي النصارى اليوم مما يقال إنها وقائع حياة المسيح عليه السلام ودعوته، وهي ما يعرف اصطلاحاً بالأناجيل، لم يظهر منها شيء على الإطلاق إلا بعد بداية نشر بولس لأفكاره بما يقرب من ربع قرن! كما سيأتي إيضاحه بإذن الله[٣].

ب ـ الترجمات، فقد كانت ذات دور بارز في تحريف الأناجيل كما سيأتي. وفي هذا يقول جنيبير: « والنتيجة الأكيدة لدراسة الباحثين هي أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه أنه "ابن الله"، وذلك تعبير لم يكن في

---

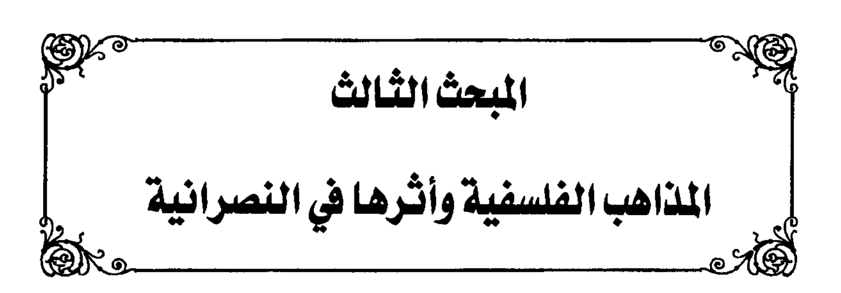
(١) وذلك عند التعريف بما يسمى بالكتاب المقدس.

(٢) انظر: البشارة بنبي الإسلام للسقا ١/ ٧١-٧٣.

(٣) انظر: ص٣٧٢-٣٧٣.

الواقع ليمثل بالنسبة إلى اليهود سوى خطأ لغوي فاحش...». وقال أيضا: «يمكن لليهودي أن يعتبر نفسه عبداً ليهوه لا ابناً ليهوه، ونعتقد أنه من المحتمل أن يكون عيسى قد تصور نفسه "عبد الله" وتقدم للناس بهذه الصفة. والكلمة "عبد" كثيرا ما يترجم إلى اليونانية بكلمة تعني "خادما" و"طفلاً" على حد سواء، وتطور كلمة طفل إلى كلمة ابن ليس بالأمر العسير»[١].

(١) شارل جنيبير (م.ن.) ص٣٩ و١٠٦.



المبحث الثالث

المذاهب الفلسفية وأثرها في النصرانية

إنّ النصرانية أيام كانت ديانة خاصة ببني إسرائيل لم تكن تلتفت إلى آراء الفلاسفة، لاعتقاد النصارى الأوائل أن دعوتهم إلهية فلا صلة بينها وبين الفلسفة القائمة على العقل المحض، والتصورات الخيالية.

وأما بعد ذلك فقد بدأت الأفكار الفلسفية تتسرب إلى العقيدة النصرانية نتيجة ما ابتدعه بولس من عالمية الديانة، فكان ممن دخلوا في النصرانية أوائلَ عهدِها أناس مثقفون بالثقافة اليونانية[١] أو الرومانية الفلسفية وغيرها[٢].

وفي تلك الأثناء أيضا ـ لاسيما في المجتمع الروماني ـ لوحظ أن كثيرا من الناس، وبخاصة أصحاب الطبقات الدنيا، يميلون إلى الإيمان بحياة مستقبلية أخروية يستمتعون فيها بما حرموا منه في هذه الحياة، وهذه لا يضمنها لهم إلا الدين.

فهكذا وجد الفلاسفة في نصرانية بولس ما يوافق أهواءهم فمزجوها

---

(١) اليونان: مملكة تقع في جنوب شرق أوروبا وعاصمتها أثينا، وهي منطقة جبلية تشقها أنهار قصيرة. وتعتبر ثقافتها من أهم الثقافات المؤثرة في الثقافة أو الحضارة الرومانية بعد توسع الرومان إليها. الموسوعة الميسرة ص١٩٩٥، و Collier's Encyclopedia 11/389.

(٢) انظر: محمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١١٤.

بالدين وأوجدوا ديانة جديدة قامت على أساس الفلسفة[١]، ونشأت عقائد معقدة مثل التثليث، وتحول الخبز والخمر بطقوس القربان إلى لحم ودم المسيح[٢][٣]، والعياذ بالله.

ولبيان مدى تأثر النصرانية بهذه الفلسفات أذكر هنا اتجاهين يعتبران أهم اتجاهات فلسفية خلّف في النصرانية آثارا ملموسة.

الأول، الفلسفة الرومانية :-

يصف لنا بعض الفلاسفة حقيقة ما حدث على إثر الالتقاء الفجائي بين الديانة النصرانية والفلسفة الرومانية بأن هذه الفلسفة بفضل استخدامها نظريات علوم اليونان لتهذيب الآراء الدينية وترتيبها، استطاعت أن توجد نظما دينية من قبيل ما وراء المادة أو الطبيعة وهي (هذه النظم) تتفق مع الأديان المتضادة اتفاقا يختلف قلة وكثرة![٤].

فمن حق الباحث أو أي سامع لهذا الكلام أن يتساءل: ما هي هذه الأديان المتضادة التي استنتجت الفلسفة نظما تتفق معها؟ لقد أفادنا التأريخ بأن الأديان الموجودة في المجتمع الروماني آنذاك ثلاثة لا رابع لها وهي: الوثنية الرومانية، واليهودية، والنصرانية. فمن الطبيعي إذًا، أن ندرك أن النصرانية المعاصرة التي تؤمن بالتوراة اليهودية، وتقول بالتثليث وألوهية المسيح وتقديس الصليب، هي

(١) انظر: محاضرات أبي زهرة ص٣٢ ومحمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١١٤.

(٢) أي فيما يسمونه بالعشاء الرباني. راجع: فايز فارس (م.ن.) ص٢٤٧-٢٥٦.

(٣) انظر: شارل جينيير (م.ن.) ص١٥٥.

(٤) انظر: محاضرات أبي زهرة ص٣٣ والقائل هو الفيلسوف فيدلبند (لم أقف على ترجمته).

ـ بلا شك ـ وليدة هذا الالتقاء، فهي النظام الديني الجامع بين الأديان الثلاثة المذكورة كما لا يخفى(١).

الثاني، الأفلاطونية الحديثة أو المدرسة الإسكندرية الفلسفية :-

كان من أبرز زعماء هذه المدرسة رجل يدعى أفلوطين(٢)، وترتكز عقيدتها على الثالوث المكوّن من: المنشئ الأزلي الدائم، والعقل، والروح(٣). وهي مدرسة فلسفية ذات جذور يونانية. حيث كان أستاذ أفلوطين، أمونيوس(٤) الزعيم الأول لها. وكان قد اعتنق النصرانية في صدر حياته ثم ارتدّ عنها إلى وثنية اليونان الأقدمين(٥).

لقد تأثرت النصرانية بهذا المذهب الفلسفي تأثرا كبيرا، وأكتفي هنا بذكر بعض الأمثلة والشواهد على ذلك:

أ ـ عقيدة الثالوث أو التثليث:- إذ نجد أن التثليث في المدرسة الإسكندرية بأقانيمه(٦) الثلاثة لا يكاد يختلف عنه في النصرانية، ففي المذهب الإسكندري:

---

(١) نفسه، بتصرف.

(٢) ولد بمدينة أسيوط المصرية سنة ٢٠٥م وتتلمذ على أمونيوس سكاس وألمّ بفلسفة الهند وفارس، توفي في سنة ٢٧٠م. الموسوعة الميسرة ص١٨٢.

(٣) انظر: مقارنة الأديان للطهطاوي ص١٠٦ ومحمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٢٢-١٢٣.

(٤) هو: "Amonios Saccas"، فيلسوف من الإسكندرية، نشأ نصرانيا ثم تحوّل وثنيا، وكان له أثر عميق على تلميذه أفلوطين. ولد في عام ١٧٥م ومات في عام ٢٤٢م. انظر: الدائرة البريطانية ١/ ٧٩٩، والموسوعة الميسرة ص١٨٢.

(٥) انظر: محاضرات أبي زهرة ص٣٣.

(٦) أقانيم جمع أقنوم ويرادبه الشخص أو الشخصية، وهو في الأصل لفظ يوناني يقصد به أساس =

الكون صادر عن منشئ أزلي دائم، وكذلك يقول النصارى فيما سموه في ثالوثهم بالآب. والعقل عند أولئك هو الواسطة وقد صدر هو أيضا عن المنشئ، وهذا هو عين قول النصارى في الابن. وعن هذا العقل ينبثق الروح، وهو ما يسميه النصارى بالروح القدس.[١] وإنما الخلاف بين النحلتين في أمر واحد فقط هو أن هذه الأقانيم الثلاثة ليست متساوية في الجوهر والرتبة في المذهب الأفلاطوني، بينما هي متساوية في ذلك عند النصارى[٢].

وقد أكد المؤرخ النصراني ول ديورانت أن عقيدة الثالوث إنما جاءت من المدرسة الإسكندرية الفلسفية[٣].

ب ـ عقيدة الحلول والتجسد[٤] والقيامة بعد الصلب:-

وترجع هذه إلى الفكرة الهلنستية[٥] التي تقول بأن العالم مركب من ثلاث

=
الشيء الموجود بذاته والقائم على ذاته. فايز فارس (م.ن.) ص٥٢، وتأريخ الفكر المسيحي للقس حنا جرجس الخضري ٢/ ١٧٠.

(١) انظر: محمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٢٢-١٢٣.

(٢) انظر: المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية للمستشرق ليون جوتيه، نقلا عن: محاضرات أبي زهرة ص٣٦.

(٣) ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٤١٨.

(٤) أي: تجسد المسيح ومعناه عندهم أن الله حل أو ظهر في الجسد وعاش على الأرض كإنسان ـ والعياذ بالله ـ. انظر: كارل وليمز الكبير (م.ن.) ص٥٦-٥٧، وفايز فارس (م.ن.) ص٧٧.

(٥) الفكرة الهلنستية: مصطلح أطلق على الحضارة التي أنتجها اليونانيون أو الإغريقيون القدماء، وقد كانت أشهر مراحلها في التأريخ ما بين القرن الخامس والقرن الرابع قبل الميلاد، وهو العصر الذي أنتج الفلاسفة: سقراط وأفلاطون وأرستوتليوس. أما اللفظ في الأصل فمأخوذ من كلمة إغريقية: "هلينيزية" وكانت تعني أن يتكلم الشخص أو يتصرف تصرف اليونانيين.
=

طبقات، السماء والأرض والعالم السفلي. ويأتي التطبيق في الفكر الديني النصراني المفلسف على النحو الآتي:

١ ـ القول بمرحلة وجود أولي للمسيح سابقة على ولادته من مريم عليها السلام.

٢ ـ ثم مرحلة التجسد، وذلك عند ولادته من مريم على الأرض.

٣ ـ ثم مرحلة قيامه بعد الصلب ورفعه.(١)

وانظر تقرير هذه العقائد الثلاث في رسالة بولس، مؤسس النصرانية المثلثة، حيث قال: « فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضا. الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة(٢) أن يكون معادلا لله. لكنه أخلى نفسه آخذًا صورة عبدٍ صائرا في شبه الناس. وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفعه الله أيضا وأعطاه اسما فوق كل اسم »(٣).

فهكذا بدأت هذه الفلسفة تتناول قضايا النصرانية لتلبسها الثوب الفلسفي، حتى طمست معالم العقيدة النصرانية الحقة برمتها. بل كما يقول ول ديورانت: « وأفلوطينس هو آخر الفلاسفة الوثنيين العظام وهو مسيحي بلا مسيح... ولقد قبلت المسيحية كل سطر من أسطره تقريبا »(٤).

= انظر: الدائرة البريطانية١١/ ٣٢٣، وCollier's Encyclopedia 12/30.

(١) انظر: التثليث والنصرانية للدكتور محمد فتحي عثمان (عنوان مقالة نشرت في مجلة هذه سبيلي العدد ١٤ سنة١٣٩٨هـ) ص٣٥٥، نقلا عن محمد أحمد الحاج (م.ن.) ١٢٠.

(٢) الخَلس: الكلأ اليابس نبت في أصله الرَّطب فيختلط، والسلب، والاسم منه الخُلسة. القاموس ص٦٩٧.

(٣) رسالة بولس إلى أهل فيلبي٢/ ٥-٩.

(٤) ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٣٠٤.

إذًا، فالفلسفة تمكنت من الدخول إلى أعماق النصرانية وشوهتها بأفكارها الوثنية، وفرضت عليها ثقافة البيئة الرومانية اليونانية. وهي ـ هذه الثقافة ـ خليطة من تصورات وأوهام مختلفة، فأنتجت النصرانية التي امتزجت بالأفكار الوثنية والفلسفية، أو بالأحرى الوثنية التي صارت نصرانية، وانصهرتا في بوتقة واحدة تسمى بالفلسفة(١).

وفي ختام هذا المبحث أشير إلى شبهة قد ترد وهي أن القول بأن النصرانية هي التي تأثرت بالفلسفة يمكن أن يكون عكسه هو الصحيح. وبعبارة أوضح، أن النصرانية هي التي أثرت في الفلسفة أو أن العقائد النصرانية هي التي استقرت فهي الأصل وإنما أخذت الفلسفة عنها. والجواب عن هذا أن نقول:-

أولا: إن أوثق المصادر على الإطلاق تأريخيا وعقديا هما القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وقد رسما لنا وأوضحا معالم الدعوة المسيحية توضيحا لا غموض فيه ولا لبس كما أسلفت، ولم نجد في ذلك شيئا من هذه الآراء الفلسفية، فنقطع بأنها دخيلة عليها وملحقة بها.

ثانيا: أن معرفة أيهما أخذ عن الآخر، النصرانية أم الفلسفة؟ تقتضي أن نتعرف على السابق منهما، فالسابق بلا شك أستاذ اللاحق. والفاصل في هذا هو الزمن والتأريخ، فنجد أن عقيدة التثليث النصرانية ترجع بداية إقرارها إلى القرن الرابع للميلاد، وبالتحديد في عام٣٢٥م حين عقد المجمع العالمي الأول للنصارى كما سيأتي إن شاء الله في باب خاصٍ بالمجامع النصرانية، في حين أن أستاذ آخر

---

(١) انظر: متولي يوسف شلبي (م.ن.) ص٢٩ ومحمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٢٤ بتصرف.

هذه المذاهب الفلسفية، أفلوطين توفي منذ عام ٢٧٠م كما تقدم[١].! وهذه حقيقة تأريخية توصل إليها حتى بعض علماء أوروبا فأدت بهم إلى الشك في حياة المسيح ﷺ نفسه، فقالوا إنه شخصية أسطورية خرافية، أراد بعض الفلاسفة فرضه ليجعلوا من آرائهم ديانة يعتنقها العامة [٢]. ونحن لسنا نوافقهم طبعا على هذا الضلال الذي يتضمن إنكار وجود شخص المسيح ﷺ شخصيةً تأريخيةً حقيقيةً.

ثالثا: ولأن الفلسفة هذه كانت غنية بالأفكار المختلفة المتنوعة الاتجاهات، بما فيها الاتجاه الديني الذي عنيت به في ذلك الوقت، وقطعت فيه شوطا كبيرا، فكان بإمكانها أن تغذي النصرانية البولسية بما لديها من الأفكار بدلا من أن تأخذ عنها[٣]. لذلك يقول شارل جنيبير: «وخلاصة، فإن الغربيين لم يكونوا قط مسيحيين في يوم من الأيام»[٤]، وقبله قال القاضي عبد الجبار[٥]: «إذا تبينت الأمر وجدتَ النصارى ترومو ورجعوا إلى ديانات الروم ولم تجد الروم تنصروا»[٦].

---

(١) انظر: ص١٠٠ (الهامش).

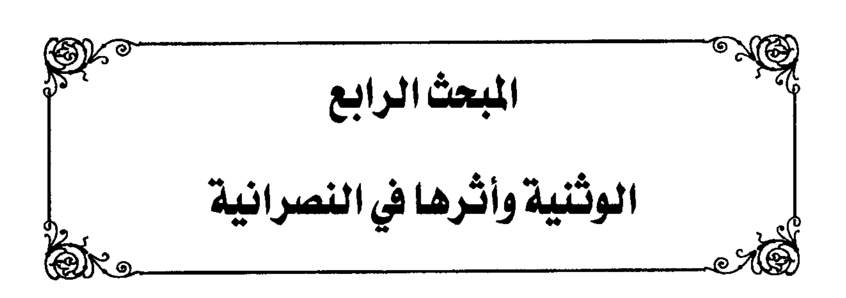
(٢) انظر: محاضرات أبي زهرة ص٣٦.

(٣) انظر: محمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١١٥.

(٤) شارل جنيبير (م.ن.) ص٢٠٩.

(٥) هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني، القاضي أبو الحسن: إمام أهل الاعتزال في زمانه، وكان ينتحل المذهب الشافعي في الفروع، وله كتاب في تفسير القرآن الكريم، توفي في ذي القعدة عام ٤١٥هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو ٥/ ٩٧-٩٨، وطبقات المفسرين للحافظ محمد بن علي الداوودي ١/ ٢٦٢.

(٦) تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار ١/ ١٥٨.



المبحث الرابع
الوثنية وأثرها في النصرانية

أما بالنسبة لتأثر النصرانية بالوثنيات القديمة فحدّث ولا حرج، فلقد وقعت النصرانية تحت تأثير هؤلاء الذين لا يستطيعون التسامي عما اعتادوه أو نشأوا عليه، بل عندما تحولوا إلى النصرانية صعب عليهم التخلي عنه، وظلّوا يبحثون عن ذلك في الدين الجديد، فنقلوا إليه كثيرا من الطقوس(١) والشعائر الوثنية التي تغلبت فيها بعد وطمست لب رسالة المسيح عليه السلام(٢).

وقد كان من مشكلة النصرانية أن كبار الدعاة إليها في العصور المبكرة لها ـ فيما عدا تلاميذ المسيح عليه السلام ـ، ورؤساء الكنيسة وروادها آنذاك، ممن ينتمون إلى هذا الصنف من الناس، فسهل عليهم نقل ما اعتادوه من الوثنيات وفلسفاتها إليها، يسدّون بها ما وجدوه من الثغرات في هذا الدين الجديد(٣). بل إن هذا

---

(١) الطقس الديني: مصطلح يطلق عند غير المسلمين على أفعال العبادة التي يؤدّيها أعضاء جماعة دينية. انظر: الموسوعة العربية العالمية ١٥/ ٦١٨.

(٢) انظر: شارل جنيبير (م.ن.) ص١٥٤.

(٣) ومن هؤلاء: بولس، شاؤول اليهودي، ويوستينيوس المسمى بالشهيد، وتاتيان السوري، وأثينا غورس الأثيني، وتيوفيلوس الأنطاكي، واكلمندوس الإسكندري، وأغسطينوس، وغيرهم.

شيءٌ لا يزال قائما في بعض البلدان حتى اليوم، حيث القساوسة ورؤساء الكنيسة يدخلون آراء وممارسات وثنية في الديانة. ومن الشواهد على هذا ما أعلنته الجمعية النصرانية النيجيرية (.C.A.N) ـ وهي الناطقة الرسمية للنصارى النيجيريين عموما ـ من إبعاد بعض الطوائف النصرانية الأكثر تأثرا بالجاهليات عن عضويتها![١].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن عبور النصرانية إلى الدولة الرومانية كان في أشد عصور الوثنية والانحلال في تلك الدولة. ومما لاشك فيه أن النصرانية قد خسرت تلك المعركة التي دارت بينها وبين الوثنية هناك.[٢] ولئن كان النصارى قد اعتبروا تبني الدولة الرومانية لدينهم في أول الأمر انتصارا عظيما، إلا أنهم دفعوا ثمن هذا الانتصار الخيالي غاليا، «بحيث نستطيع القول في شيء كثير من الجزم بأن مؤمني عصر الحواريين[٣] لم يكونوا لينظروا إلى هذا الانتصار لو قدر لهم ذلك إلا على أنه نكبة كبرى»[٤].

وهنا تظهر ميزة الإسلام رسالةً إلهيةً خالدة، فقد قضى على الوثنية قضاء مبرما، ويشهد بذلك التأريخ، فالله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

=

وراجع ما كتب عنهم في هذا الصدد: الدكتور سعود عبد العزيز الخلف في كتابه: النصرانية والإسلام ص٤٣٤-٤٣٦.

(١) كطائفة أهل الدعاء (Aladura) مثلا. انظر: جريدة SundayTribune النيجيرية الصادرة في ١٧/ ١/ ١٩٩٣م، وكتاب:Gusau, Nababa Sanda:The True Teachings of Jesus Christ P.93.

(٢) انظر: محمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٣٥.

(٣) أي أتباع المسيح الأوائل أو تلاميذه عليه السلام.

(٤) شارل جنيبير (م.ن.) ص١٨٢.

ومن أبرز ما تأثرت به النصرانية من الديانات الوثنية، الديانة الميتراسية، التي تشترك هي والنصرانية في عقائد ومبادئ كثيرة منها: ولادة ميتراس[١] في ٢٥ من شهر ديسمبر، وأن له اثني عشر حواريا، وأنه مات ليخلص البشر من خطاياهم. وتقديس يوم الأحد أو اعتباره يوم العبادة...الخ[٢].

وكذلك كانت مصر وبلاد اليونان وغيرهما من زمن بعيد تؤمن بآلهة ماتت لتفتدي بموتها بني الإنسان ـ في زعمهم ـ. فألقاب مثل: المنقذ، والمنجي، وغيرهما كانت تطلق على هذه الآلهة أيضا، حتى إن لفظ: "Kyrios" بمعنى الرب، الذي سمى به بولس المسيحَ ﷺ[٣] هو عين اللفظ الذي كانت الطقوس اليونانية السورية تطلقه على ديونيسوس[٤]، الإله المفتدي في زعمهم![٥].

إلى غير ذلكم من العقائد والمبادئ: كالتجسّد، وحلول الإله في الإنسان، وعقيدة رجعة المسيح لمحاكمة أهل الأرض، وغيرها من العقائد الوثنية التي تسربت إلى النصرانية بعد انخراطها في المجتمع الوثني ورضي بذلك المنافقون من

---

(١) ميترا أو ميتراس وإليه تنسب الميتراسية، ويعني بالفارسية: النور والضياء والحب والعهد ...الخ. وقد كان قبل الزرادشتية يُدعى إلهَ الآريين (الإيرانيين والهنود)، وامتدت الميترائية أو الميتراسية إلى ما بين النهرين وأريمينيا، ثم ازداد انتشارها حتى كانت من أكبر الأديان في الإمبراطورية الرومانية، ويسميه الكتاب اليونانيون والرومانيون: ميتراس إله الحرب. انظر: الموسوعة الميسرة ص١٧٩٥.

(٢) راجع: مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٢٦٢-٢٦٥.

(٣) انظر: غلاطية١/ ٣، و١ ـ كورنثوس١/ ٣، و٢ ـ كورنثوس١/ ٢.

(٤) ديونيسوس: إله في الأساطير اليونانية، ربط قدماء اليونان ديونيسوس بالسلوك العنيف الذي لا يمكن التنبؤ به. انظر: الموسوعة العالمية ١٠/ ٥٩٦.

(٥) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ١١/ : ٢٦٤ (تعليق في الهامش).

رجال الدين النصراني ورؤساء ملتهم في مقابل تحقق أطماعهم في الوصول إلى مناصب عالية في ظل الدولة الوثنية. فما أجملَ ما قاله المؤرخ الغربي الجريء: «إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها، ذلك أن العقل اليوناني المحتضر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت[١] الكنيسة وطقوسها»[٢].

---

(١) أي الإلهيات أو العقيدة، وعلم اللاهوت النصراني هو: "علم العقائد المسيحية، يرتبها ويصوغها في قالب علمي، لتكون مَذهبا محكما في ضوء الوحي والعقل، ويدفع عنها الشبه والاعتراضات". الموسوعة الميسرة ص١٥٤٦.

(٢) ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٧٥. وللمزيد في موضوع النصرانية وتأثرها بالوثنية راجع كتاب: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد طاهر التنير.

الفصل الرابع

مدخل لدراسة مصادر النصرانية ونقدها

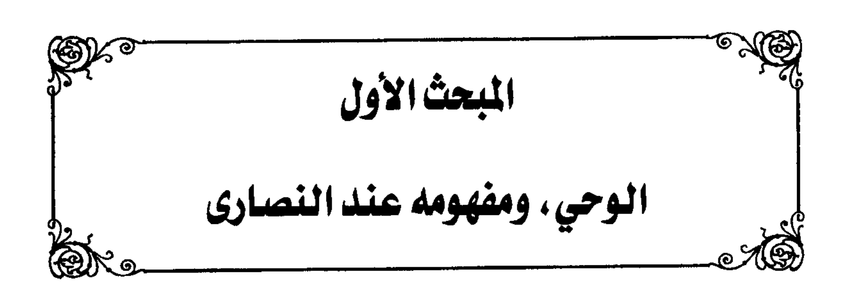
وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الوحي، ومفهومه عند النصارى.

المبحث الثاني: مراحل التشريع في الديانة النصرانية.

المبحث الثالث: مصادر النصرانية إجمالاً، وبيان المتفق عليه والمختلف فيه منها.





المبحث الأول

الوحي، ومفهومه عند النصارى

الوحي في اللغة: الإشارة والكتابة والكتاب والرسالة والإلهام والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك، والصوت يكون في الناس وغيرهم. يقال وحى إليه وأوحى وحيا، أي كتب وبعثه وألهمه[(١)].

أما الوحي في المفهوم الشرعي أو وحي الله إلى أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، فيأتي تعريفه بمعنى المصدر بأنه "أن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كلّ ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداة والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر[(٢)]"، كما يأتي تعريفه بمعنى اسم المفعول بأنه: "كلام الله تعالى المنزّل على نبي من أنبيائه"[(٣)].

وأما مفهوم الوحي عند النصارى فهو: "إبلاغ الحق الإلهي للبشر بواسطة بشر، وهو عمل روح الله، أو بعبارة أدق: عمل الروح القدس"[(٤)].

---

(١) انظر: القاموس المحيط ص١٧٢٩، ولسان العرب ١٥/ ٢٤٠.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني ١/ ٦٣.

(٣) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص٣٣.

(٤) قاموس ك.م. ص١٠٢٠.

ومن واقع البيان الموجز لمفهوم الوحي في الديانتين الإسلامية والنصرانية يمكننا تلخيص الفرق بين المفهومين في الآتي:-

أ ـ أن الوحي عند المسلمين يشمل ما كان متلوّا ـ وهو ما أوحي بلفظه ومعناه ـ كالقرآن الكريم، وما لم يكن كذلك ـ أعني ما أوحي بمعناه فقط دون اللفظ ـ كالأحاديث الشريفة. في حين أن الوحي عند النصارى إنما يقتصر على ما أوحي بمعناه، كما جاء توضيح ذلك في قاموس كتابهم المقدس: «... فالروح القدس يعمل في أفكار أشخاص مختارين وفي قلوبهم ويجعلهم آداة للوحي الإلهي»[١]، وكما جاء أيضا في رسالة بطرس الثانية[٢]: «... بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس».

ب ـ أن الوحي الذي هو كلام الله تعالى المنزل إنما ينزل على أنبياء الله ورسله فقط في المفهوم الإسلامي، بينما يكون أيضا ـ في المفهوم النصراني ـ من نصيب من ليس بنبي ولا رسول من الله عز وجل، فلذلك يوجد عدد كبير من أسفار كتابهم المقدس ينسب إلى مِثل هؤلاء، كعزرا وبولس مَثلاً.

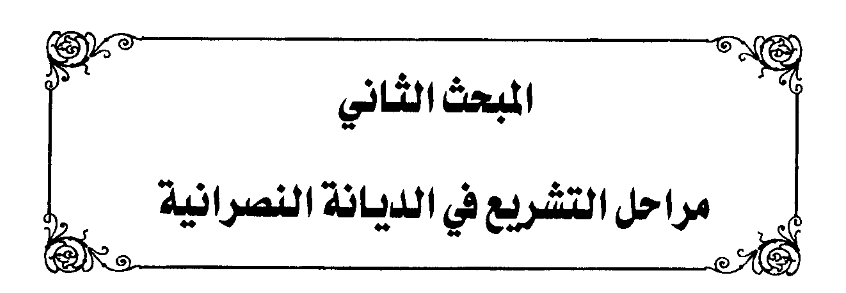
أما من حيث إطلاق الوحي على الطريقة التي يتم بها الوحي وعلى ما يوحَى به ـ أعني التعريف بمعنى المصدر وبمعنى اسم المفعول كما تقدم ـ فالأمر لا يختلف حتى عند النصارى[٣]. والله أعلم.

---

(١) قاموس ك.م. ص١٠٢٠.

(٢) ١/ ٢١.

(٣) انظر: Cross, F.L. & Livingstone, E.A: The Oxford Dic. of the Christian Church P.1182.



المبحث الثاني

مراحل التشريع في الديانة النصرانية

لقد مر التشريع في الديانة النصرانية بمراحل عدة، ومعرفة هذه المراحل على اختلافها تبصرنا بكيفية تطور التشريع في هذه الديانة، أو كيف انتقلت الديانة بأكملها من رسالة إلهية مصدرها الوحي من الله القدير، إلى نظم وتشريعات بشرية وضعية مليئة بالاختلافات والأغلاط. فإليكم الحديثَ مختصرا عن هذه المراحل واحدة تلو الأخرى:-

أ. مرحلة اتباع التشريع اليهودي:

وهذا في زمنٍ كان الاعتقاد السائد في الأوساط النصرانية أن دينهم ما هو إلا امتداد لليهودية، أو أنه ينبع أساسا من شريعة اليهود. لذا، كان النصارى في عهودهم الأولى يتبعون الشريعة اليهودية التي تمثلها أسفار موسى الخمسة ويسمونها التوراة، وكذلك أسفار الأنبياء السابقين.

ب. مرحلة اتباع تشريع الرسل والحواريين:

وتبدأ هذه المرحلة بعد رفع المسيح عليه السلام بنحو اثنتين وعشرين سنة

فقط[١]، حيث انعقد مجمع أو مؤتمر لهؤلاء بالقدس، فجعلوا في جدول أعمالهم فيه إعادة النظر في محرمات شريعة التوراة ـ التي كانت في عهد معلمهم (المسيح) مصدر الحل والحرمة ـ من حيث إلزام المتنصرين من غير اليهود بها أو عدمه. وفعلا أقروا في هذا الاجتماع جزءا من هذه المحرمات وأحلوا جزءا منها،كالخمر، ولحم الخنزير، والربا وغيرها. وبعبارة أخرى: إنهم ألغوا مفعول جميع الأحكام العملية الواردة فيها بالنسبة لهؤلاء المتنصرين، إلا أربعة وهي: تحريم ذبيحة الصنم، والدم، والحيوان المخنوق، والزنا، وبعثوا بذلك كتابا إلى جميع الكنائس للعمل بمقتضاه كما يخبرنا سفر أعمال الرسل[٢].

ج. مرحلة التشريع البولسي:

لعب بولس دورا أساسيا في تطور التشريع في النصرانية، حيث جعل نفسه مشرعا جديدا يحل ويحرم من عند نفسه. وقد كانت مشروعية الختان مثلا من أهم ما اهتم بولس بإلغائها، ونشر ذلك في رسائله[٣].

د. مرحلة تشريع المجامع:

وذلك حين تسلّم آباء الكنيسة[٤] تراث التشريع في النصرانية، ففي القرن

---

(١) انظر: دراسات في النصرانية للدكتور محمد إبراهيم الجيوشي ص٦١.

(٢) انظر: ١٥/ ٢٢-٢٩.

(٣) انظر: رومية٣/ ١ و١ ـ كورنثوس٧/ ١٩ وغلاطية٢/ ٧-٨.

(٤) الآباء أو آباء الكنيسة في اصطلاح النصارى هم: معلمو الكنيسة وأساتذتها وكتبتها في القرون الستة الأولى للميلاد، وقيل حتى القرن الثامن. ومن أشهرهم اكليمندوس الروماني، ويوحنا =

الرابع للميلاد عقد المجمع العالمي الأول للنصرانية، وقررت فيه ألوهية المسيح. وهكذا جميع المجامع بعد ذلك لم تقف عند حد التشريع في الفروع فحسب، بل لها كلمتها النافذة في القضايا العقدية كما سيأتي في موضعها إن شاء الله.

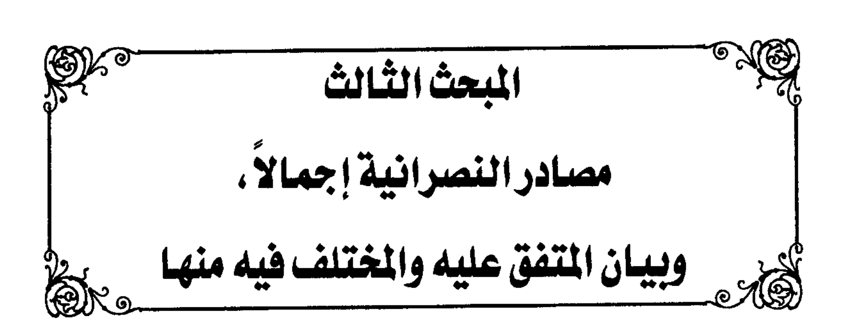
هـ. مرحلة التشريع البابوي:

وذلك عقب مجمع عام١٨٦٩م الذي قرروا فيه عصمة البابا رأسا للكنيسة وصاحب حق التشريع فيها[1]. مع ملاحظة أن دعوى رئاسته للكنيسة ليست مسلّمةً إلا عند أتباعه (الكاثوليكيين).

=

فم الذهب، ويوحنا الأنطاكي. المنجد (معجم لأعلام الشرق والغرب)ص١، وEncyclopedia of Religion & Ethics, 7/271. والظاهر أن المتأخرين من الكتّاب النصارى وغيرهم يطلقون لفظ الآب أو الآباء حتى على رؤساء النصارى في زمانهم، والله أعلم.

(١) انظر في هذه المراحل: المسيحية لأحمد شلبي ص٢٢٨، و٢٣٢، و٢٣٣، ومحمد إبراهيم الجيوشي (م.ن.) ص٤٦.



المبحث الثالث
مصادر النصرانية إجمالاً، وبيان المتفق عليه والمختلف فيه منها

إن المصادر التي سوف تتم دراستها في هذه الرسالة بإذن الله هي المصادر التي يزعم النصارى المعاصرون أنهم يستمدون منها عقائدهم وشرائعهم، وهي:

أ ـ الكتاب المقدس (العهد القديم)، وقد خصصتُ الباب الأول لتناوله.

ب ـ الكتاب المقدس (العهد الجديد)، وقد خُصص الباب الثاني لتناوله.

ج ـ المجامع النصرانية وما جرى فيها من التشريعات، وستأتي دراستها ونقدها إن شاء الله في الباب الثالث.

وهذه المصادر الثلاثة هي موضع اتفاق بين جميع الطوائف النصرانية على الوجه العام، مع اختلافهم فيما يعتبر من آحادها وجزئياتها وما لا يعتبر، سواء بالنسبة للأسفار أو الكتب فيما سموه بالكتاب المقدس أو في المجامع التي انعقدت بعد الانقسام الواسع في صفوفهم.

د ـ الباباوات أو البابوية، نسبة إلى البابا "Pope" الذي قُرر في عام ١٨٦٩م أن له عصمة، فانتقل إليه حق التشريع وتعيين المعتقدات والأحكام عندهم، كما

سيأتي إن شاء الله في الباب الرابع. وهذا المصدر خاص بالطائفة الكاثوليكية[١] التي تعتبر البابا في روما ممثلا لله على الأرض! وتعالى الله عن افتراء المفترين.

(١) الطائفة الكاثوليكية هي: إحدى الطوائف النصرانية الرئيسة الثلاث، تحت السلطة العليا للبابا، رئيس الكنيسة المعصوم - كما يزعمون - ويطلق عليها اسم "الكاثوليكية الرومانية" للتمييز بينها وبين الطوائف الأخرى التي تستخدم لفظ "الكاثوليك" أيضا للدلالة على هويتها وشعائرها. ولفظ الكاثوليك في أصله اليوناني يعني: الكلية أو العالمية.

انظر: Collier's Encyclopedia 5/561 & 20/146 و Boettner, Loraine: Roman Catholicism P.22



البَابُ الأوَّل

العهد القديم

وفيه تمهيد وأربعة فصول:

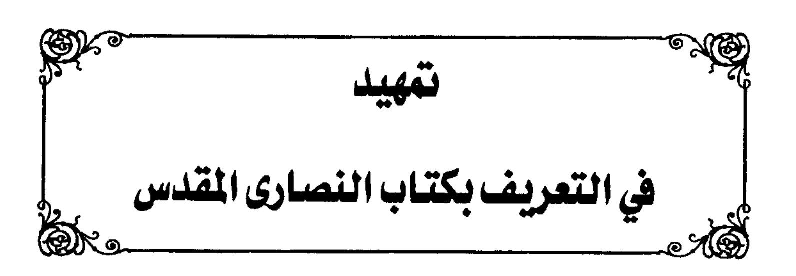
الفصل الأول: التعريف بالعهد القديم وبأقسامه وأسفاره.

الفصل الثاني: ارتباط النصارى بالعهد القديم.

الفصل الثالث: الدراسة النقدية لبعض أسفار العهد القديم.

الفصل الرابع: أين توراة موسى عليه السلام؟





تمهيد
في التعريف بكتاب النصارى المقدس

إن الكتاب الذي يعرف في أوساط النصارى العرب بالكتاب المقدس[١]، وفي اللسان الإنجليزي، "Holy Bible"، تقدسه جميع ملل النصارى وطوائفهم ـ على اختلاف يسير في عدد كتبه أو أسفاره ـ ويعتقدون فيه مثل ما نعتقد نحن المسلمين في القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وشتّان ما بين الثرى والثريا. لكن حسبنا أن ندرك من هذا مدى خطورة هذا الكتاب بناء على عنايتهم واهتمامهم به ومحاولتهم تسويته بالقرآن الكريم، بل وتفضيله عليه لو قدروا ـ والعياذ بالله ـ.

أجل، نحن المسلمين نؤمن إيمانا لا شك فيه ولا ريب أن الله تعالى قد أنزل على عبديه ورسوليه، موسى وعيسى، وغيرهما من أنبياء بني إسرائيل وحيا متلوا وغير متلو، لكننا نستبعد كل البعد أن يكون هذا الكتاب ـ المقدس في نظر النصارى ـ هو عين ما أنزل من الألف إلى الياء على هؤلاء الأنبياء والرسل

---

(١) هكذا سموه ولا توجد أدنى إشارة إلى هذه التسمية في جميع أسفاره، فهل نسي الله ـ تعالى وتقدس ـ أن يعطي كتابه اسما؟ انظر: Deedat, Ahmed: Is the Bible God's Word P.26

عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام.

ينقسم كتاب النصارى المقدس إلى قسمين رئيسين هما: العهد القديم والعهد الجديد، وكل منهما يحتوي على أسفار[١]، وفي كل سفر إصحاحات، كما تشتمل الإصحاحات على فقرات. أي يمكن القول على وجه التقريب للمعنى فقط ـ ولله المثل الأعلى ـ: إن الإصحاح مثل السورة، والفقرة مثل الآية.

ومن الجدير بالذكر أن هذا التقسيم ليس إلا عملا بشريا محضا، ابتدعه ستيفين لانغتون[٢] في ١٢٢٦م لما قام بتجزئة هذا الكتاب إلى إصحاحات، ثم في عام ١٥٢٨م تبعه سانتيس باغينين[٣] الذي قام بتقسيم الإصحاحات إلى فقرات، وفي عام ١٥٥١م تم إدراج أرقام الفقرات هذه لأول مرة في نصوص الكتاب على يد الطبّاع الشهير: روبيرت ستيفانوس[٤][٥].

توجد نسخ خطية لهذا الكتاب، وكل مخطوط منها غير مماثل لمخطوط آخر في كافة الأوجه، سواء في المحتوى، حيث يشتمل بعضها على ما لا يوجد في

(١) قال في القاموس: "السفر: الكتاب الكبير أو جزء من أجزاء التوراة" ص٥٢٣.

(٢) هو: "Stephen Langton": الكاردينال الإنجليزي ورئيس أساقفة كانتبري بإنجلترا، توفي في عام ١٢٢٨م. انظر: الدائرة البريطانية ١٣/ ٦٩٧.

(٣) Santes Pagininus: من علماء طائفة الدومنيكان النصرانية، ويقال إنه أول من قام بترجمة جميع كتاب النصارى المقدس من اللغات الأصيلة من المتأخرين، فقد نشرت نسخته اللاتينية في عام ١٥٢٨م، في مدينة ليون. توفي سنة ١٥٣٦م. Oxford Dictionary of the Christian Church P.1022

(٤) هو: "Robert Stephanus" ابن هنري ستيفانوس، العالم والطابع الفرنسي الشهير، ولد في باريس عام ١٥٠٣م، وتوفي في جنيفا عام ١٥٥٩م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٥/ ٦١٧.

(٥) انظر: مقدمة نسخة N.A.B. (الكاثوليكية) لكتاب النصارى المقدس ص٢٥، وقاموس ك.م.ص٧٦٥.

غيره، أو في سنة كتابة هذه النسخ أو تأريخ العثور عليها...الخ.

هذا، ومن أشهر مخطوطات هذا الكتاب ما يلي ذكرها:-

أ. النسخة الإسكندرية "Codex Alexandrius":

وهي محفوظة في المتحف البريطاني بلندن، وتضم جزءا من نصوص العهدين، القديم والجديد باللغة اليونانية فقط. قيل قد كتبت هذه النسخة منذ القرن الرابع للميلاد(١)، وقيل بل كتبت في القرن الخامس(٢)، إلا أنها لم يعرف عنها شيء قبل القرن السابع عشر للميلاد حين أُحضرت للملك جيمس الأول(٣)(٤).

ب. النسخة الفاتيكانية "Codex Vaticanus":

وهي محفوظة بمكتبة الفاتيكان(٥)، وتضم نصوص العهدين مع نقص واضح في مواضع كثيرة منها، كما أنها تضم أيضا أسفارً غير معتمدة لدى بعض

(١) هكذا زعم القس د/ أنيس شروش في مناظرته مع الشيخ أحمد ديدات في بريطانيا بعنوان: هل المسيح إله؟ وهي مسجلة على الأشرطة.

(٢) انظر: محاضرات في مقارنة الأديان لإبراهيم خليل أحمد ص٤١ ومقدمة N.A.B. ص٢٤.

(٣) جيمس الأول: ملك بريطانيا وأيرلاندا من عام ١٦٠٣م، إلى عام ١٦٢٥م، وهو نفسه ملك اسكوتلاندا من عام ١٥٦٧م وحتى عام ١٦٢٥م باسم جيمس السادس. ولد في عام ١٥٦٦ وتوفي في عام ١٦٢٥م. انظر: الدائرة البريطانية١٢/ ٨٥٥، والدائرة الأمريكية ١٥/ ٦٠١.

(٤) انظر: مقارنة الأديان لإبراهيم خليل أحمد ص٤١.

(٥) الفاتيكان: مقر إقامة البابا ـ رأس الكنيسة الكاثوليكية ـ في روما، وقد أصبحت دولة ذات سيادة مستقلة منذ عام ١٩٢٩م، ولها سفراء في كثير من دول العالم بما فيها بعض دول المسلمين! وأما مكتبة الفاتيكان فقد تأسست منذ القرن الخامس عشر للميلاد، وتضم نحو خمسين ألف مخطوط، ونحو أربعمائة ألف مطبوع. الدائرة البريطانية ٢٣/ ٨ والموسوعة الميسرة ص١٢٦١.

الطوائف النصرانية.

يفترض أن هذه النسخة قد كتبت في القرن الرابع للميلاد(١)، لكنها كسابقتها لم تُعرف إلا في القرن الخامس عشر(٢)، ومكان اكتشافها مجهول حتى اليوم!(٣).

ج. النسخة السينائية "codex Sinaiticus":

اكتشفت في سيناء(٤) بمصر عام ١٨٤٤م، ونقلت بعد ذلك إلى المتحف البريطاني. تضم هذه النسخة أيضا نصوص العهدين، مع اختلاف في ترتيب الأسفار، ونقص في المحتوى. وفيها رسائل القديس برنابا وغيرها من الأسفار غير المعترف بها لدى النصارى اليوم. ويرجع تأريخ كتابتها ـ في أحسن الافتراضات ـ إلى القرن الرابع الميلادي أيضا(٥).

وهناك نسخ أخرى هي أقل أهميةً، نمر عليها مرورا سطحيا في الأسطر الآتية خشية الإطالة.

د. النسخة البازلي "Codex Bosileenis":

وهي محفوظة في جامعة بازل بسويسرا، وتضم الأناجيل الأربعة فقط مع نقص واضح فيها.

---

(١) انظر: مقدمة N.A.B. ص٢٤.

(٢) المناظرة الكبرى (ترجمة وقائع مناظرة ديدات وشروش) لرمضان الصفناوي ص٢٣ (في الهامش).

(٣) انظر: Bucaille, Maurice: (op.cit.) P.78

(٤) السيناء: محافظة بمصر وهي شبه جزيرة في الشمال الشرقي منها. الموسوعة الميسرة ص١٠٥٧.

(٥) انظر: مقدمة N.A.B. ص٢٤.

هـ. نسخة لاديانوس "Codex Laudianus":

وهي محفوظة في أكسفورد بإنجلترا، وتضم فقط أعمال الحواريين[(١)].

و. النسخة الإفرائيمية:

وهي محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس، وتضم نصوصا يونانية للعهد الجديد ناقصة جدا.

ز. نسخة بيزا "Codex Bezae":

محفوظة في مكتبة جامعة كامبريدج بإنجلترا، وتضم الأناجيل وسفر أعمال الرسل، مع ملاحظة سقوط كثير من النصوص منها كصدر إنجيل يوحنا مثلا[(٢)].

هذا، وقد كُتب كل من النسخة السينائية والنسخة الفاتيكانية باليونانية، بينما كتبت نسختا بيزا ولاديانوس باللغتين، اليونانية واللاتينية (الرومانية)[(٣)].

وفي الجملة، تستنتج في ضوء ما تقدم بعض الملحوظات على هذه النسخ المختلفة لكتاب النصارى المقدس، ومنها:

١ ـ عدم الدقة في تأريخ التدوين.

٢ ـ كثرة ورود النقص والسقط.

٣ ـ اختلافها في عدد الأسفار التي تضمنتها.

---

(١) لعل المقصود: سفر أعمال الرسل.

(٢) انظر: إبراهيم خليل أحمد (م.ن.) ص٤١-٤٢ و Bucaille, Maurice: (op.cit.) P.81.

(٣) انظر: اختلافات في تراجم... لأحمد عبد الوهاب ٣٣، والدائرة البريطانية ٣/ ٥٧٠-٥٧١، و Bucaille Maurice: (op. Cit) PP. 78 & 81.

٤ ـ الاختلاف والتضارب فيما اتفقت النسخ على إيرادها من النصوص.

٥ ـ جميع مخطوطات[1] هذا الكتاب الموجودة اليوم ليس فيها شيء مكتوب بيد المؤلف أو حتى أحد معاصريه، ويقر النصارى أنفسهم بهذا[2].

(١) انظر: صور بعض هذه المخطوطات في دائرة المعارف البريطانية ٣/ ٥٧٠-٥٧١.

(٢) انظر: مقدمة N.A.B. ص٢٤.

الفَصْلُ الأوَّل

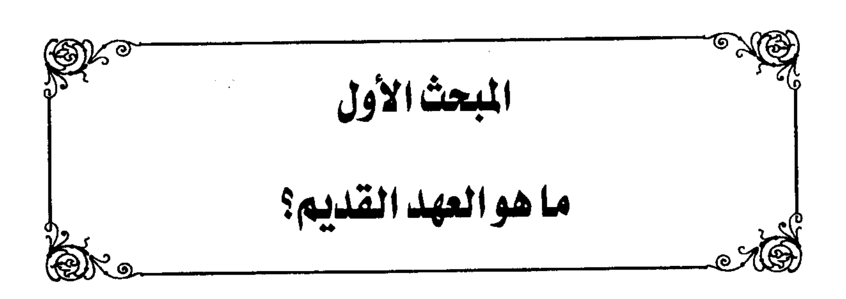
التعريف بالعهد القديم وبيان أقسامه وأسفاره

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ما هو العهد القديم؟

المبحث الثاني: تقسيم أسفار العهد القديم.





المبحث الأول

ما هو العهد القديم؟

العهد القديم كما تقدم هو الجزء الأول من جزئي كتاب النصارى المقدس، ويمثل ثلاثة أرباع هذا الكتاب تقريبا[١].

سمي هذا الجزء بالعهد القديم ـ في مقابل العهد الجديد ـ إشارةً إلى ما ورد في بعض أسفاره: «وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب، فقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له. وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال»[٢]. وقيل إنما أخذت التسمية مما جاء في موضع آخر وهو: «ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر...»[٣]، وأما الفترة الزمنية التي تحدثت عنها وغطت تأريخها كتب العهد القديم فتقرب من ألف سنة[٤].

---

(١) انظر: الدائرة البريطانية ٣/ ٥٧٠.

(٢) الخروج ٢٤/ ٧-٨.

(٣) إرميا ٣١/ ٣١-٣٢.

(٤) انظر: الدائرة البريطانية ٣/ ٥٧١.

نسخ العهد القديم:

توجد للعهد القديم نسخ متعددة، ويهمنا هنا ذكر ما يعترف به النصارى منها فقط وهي:

أ ـ النسخة العبرية، وهي التي تعترف بها الطائفة البروتستانتية[١] من النصارى، ويعترف بها اليهود العبرانيون[٢] كذلك، وإليهم تنسب.

ب ـ النسخة اليونانية، وتسمى أيضا بالترجمة السبعينية لاعتقادهم أن عدد الذين قاموا بترجمتها من النسخة العبرية من أحبار[٣] اليهود كان اثنين وسبعين.[٤] ويعترف بها كل من طائفة الكاثوليك وطائفة الأرثودكس[٥]. أما عند غيرهما ـ كاليهود والبروتستانتيّين مثلا ـ فتعتبر ترجمة مزيفة ومحرفة ومزيدة

---

(١) هي: حركة دينية نصرانية تشمل جميع التجمعات العقدية الغربية التي بقيت في دائرة التقاليد النصرانية ولكنها تختلف عن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. وقد جاء استعمال كلمة "بروتست" "Protest" هذه، أي الاحتجاج في عام ١٥٢٩م للتعبير عن رفضهم بعض الإصلاحات المزمع إجراؤها في الكنيسة آنذاك. انظر: Collier's Encyclopedia 19 /431.

(٢) العبرانيون: هم أصل اليهود، ولغتهم هي العبرية أو العبرانية، ويقال إن الاسم مأخوذ من العبور، لعبورهم نهر الفرات إلى فلسطين، أو نسبةً إلى عابر، أحد أجداد إبراهيم عليه السلام. قاموس ك.م. ص٥٩٦-٥٩٨.

(٣) الأحبار جمع الحبر وهو: العالم أو الصالح. القاموس ص٤٧٢.

(٤) انظر: الأسفار القانونية الثانية ص٨ (المقدمة)، ومقدمة N.A.B. ص٢٥.

(٥) الكنيسة الأرثودكسية الشرقية: مجموعة الكنائس النصرانية التي قامت في قارة أوروبا وجنوب غرب آسيا، وتتفق في قبول قرارات المجامع المسكونية السبعة الأولى ورفضِها رئاسة بابا روما. وأصل معنى الأرثودكسي "Orthodox" هو: ذو العقيدة السوية، لكن الكلمة حاليا تطلق على كل نصراني غير بروتستانتي ولا يسلم برئاسة بابا روما، كما يطلق "الكاثوليكي" على كل من سلم بهذه الرئاسة. انظر: الموسوعة الميسرة ص١٤٨٧.

على الأصل الذي ترجمت منه[١]. وذهب بعض الباحثين إلى أن هؤلاء المترجمين ربما تعمدوا إحداث التغييرات في نصوصها لتكون الترجمة هذه غير مقدسة كالأصل العبراني فيرجع الناس دائما إليه. ولكن اعتناق حكام الدولة الرومانية للنصرانية ـ ابتداءً من عهد قسطنطين في القرن الرابع للميلاد ـ ثم اعترافهم بسلامة نصوص هذه الترجمة اليونانية بل وتفضيلها على ما سواها، هذان العاملان هما السبب المباشر لاكتسابها التقديس عند النصارى حتى اليوم[٢].

ج ـ النسخة أو الترجمة اللاتينية[٣]: وهي التي أنجزها "القديس" جيروم[٤] فيما بين ٣٨٢ و٤٠٥م، وتُعرف أيضا بنسخة الفلجاتا Vulgate[٥]، وقد ترجمت كذلك من النسخ الموجودة آنذاك كالعبرية واليونانية. وأقدم نسخة خطية لها ترجع إلى القرن الميلادي الثامن فقط، وتنال اعتراف كل من الطائفة الكاثوليكية، والطائفة الأرثوذكسية[٦].

---

(١) انظر: تأريخ الإسرائيليين لشاهين بك مكاريوس ص٢٧، نقلا عن البشارة بنبي الإسلام للسقا ١/ ٥٨.

(٢) محمد عزت الطهطاوي في كتابه: الميزان في مقارنة الأديان ص١٩.

(٣) اللغة اللاتينية هي: لغة الرومان القدماء، وأساس بعض اللغات الحديثة كالفرنسية والإيطالية والأسبانية. انظر: الدائرة البريطانية ١٣/ ٧٧٦، والموسوعة العربية العالمية ١١/ ٣٨٦.

(٤) جيروم "Saint Jerome"، ويعر ف أيضا بيوسابيوس هيرو: كان أحد كبار آباء الكنيسة الغربية، بل يعتبر أعلم الآباء اللاتينيين، ولد في ما بين عامي ٣٤٠ و٣٥٠م، وتوفي في بيت لحم بفلسطين في عام ٤٢٠م. انظر: الدائرة البريطانية ١٢/ ١٠٠٣، والدائرة الأمريكية ١٦/ ٢٦، و٢٨/ ١٩٦.

(٥) أي: النسخة أو الإصدار أو الطبعة الجارية والشائعة للكتب المقدسة "Vulgata bibiliorum editio". انظر: الدائرة الأمريكية٢٨/ ١٩٦.

(٦) انظر: مقدمة N.A.B ص٢٥، والدائرة البريطانية ٢٣/ ٢٦٢، والدائرة الأمريكية ٢٨/ ١٩٦.

ففي ضوء ما تقدم، أشير إلى جملة أمور، منها:-

١ـ أن للعهد القديم المقدس عند النصارى نسخا مختلفة.

٢ـ أن النسخة العبرانية أو العبرية هي الأصل لكل من الترجمة اليونانية والترجمة اللاتينية.

٣ـ أن الترجمتين تضمنتا أمورا بل أسفارا كاملة زائدة على الأصل المترجم منه!

٤ـ اختلاف طوائف النصارى في الإيمان أو الاعتراف بهذه النسخ، فبينما تؤمن طائفة بنسخة، تعتبرها الأخرى غير مقدسة.

٥ـ أن اليهود ـ وهم أصحاب كتب العهد القديم في الأصل ـ لايعترفون إلا بواحدة فقط من هذه النسخ وهي النسخة العبرية.

ومن الجدير بالذكر أن العهد القديم هو في الأساس كتاب اليهود المقدس، لكن النصارى كذلك يقدسونه ويطبعونه مع كتابهم، العهد الجديد، وإن كان اليهود لا يقدسون شيئا من العهد الجديد، وذلك على ما يظهر، بناءا على عدم إيمانهم برسالة عيسى عليه السلام.

كما يجدر بالإشارة أيضا أن التوراة[1] ما هي إلا جزء من العهد القديم، وربما أطلقت التوراة على جميعه، فذلك من باب إطلاق الجزء على الكل. ومن

(١) التوراة: كلمة عبرية تعني الشريعة أو الناموس، وهي في اصطلاح المسلمين الكتاب الذي أنزله الله على رسوله موسى بن عمران عليه السلام نورا وهدى لبني إسرائيل، وألقاه إليه مكتوبا في الألواح. وعند اليهود، هي عبارة عن خمسة أسفار يعتقدون أن موسى كتبها بيده، ويسمونها أيضا الناموس أو الشريعة. وأما عند النصارى فهي تطلق على جميع كتب العهد القديم. الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة لعبد القادر شيبة الحمد ص١٧، وقاموس ك.م. ص٩٧٨-٩٧٩.

ذلك ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سئل عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة فقال: «**أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[الأحزاب:٤٥] **وحرزا**[١] **للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ**[٢] **ولا غليظ ولا سخاب**[٣] **في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا**[٤]»[٥]. فهذه الأوصاف المذكورة ليست في توراة موسى نفسها، وإنما في نبوات بعض أنبياء بني إسرائيل من بعده عليهم جميعا الصلاة والسلام[٦]. وذلك ما جاء فيها: «هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي. وضعت روحي عليه فيُخرج الحقَّ للأمم. لا يصيح ولا

---

(١) الحرز هو الحفظ، يقال: أحرزت الشيء أحرزه إحرازا، إذا حفظته وضممته إليك وصنته عن الأخذ. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين المبارك ابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي ١/ ٣٦٦.

(٢) يقال: رجل فظ أي سيئ الخلق، وفلان أفظ من فلان أي أصعب خلقا وأشرس. ابن الأثير (م.ن.) ٣/ ٤٥٩.

(٣) السخب والصخب بمعنى الصياح. ابن الأثير (م.ن.) ٢/ ٣٤٩.

(٤) قلوبا غلفا أي: مغَشَّاة مغطاة، واحدها أغلف، ومنه غلاف السيف وغيره. ابن الأثير (م.ن.) ٣/ ٣٧٩.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في الأسواق، رقمه: ٢١٢٥، الفتح ٤/ ٣٤٢-٣٤٣ ـ والنص منه ـ. وفي كتاب التفسير، باب ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾، رقمه: ٤٨٣٨، الفتح٨/ ٥٨٥، وأحمد في المسند ٢/ ١٧٤، والدارمي في المقدمة، باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه، رقمه: ٦ انظر: سنن الدارمي (م.ن.) ١/ ٩.

(٦) عبد القادر شيبة الحمد (م.ن.) ص١٨.

يرفع ولا يسمع في الشارع صوته. قصبةً مرضوضة[١] لا يقصف[٢]، وفتيلة[٣] خامدةً لا يطفئ. إلى الأمان يخرج الحق. لا يكل[٤] ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعتَه»[٥].

وفي هذه الزاوية، يجدر بنا أن نصحح مفهوما شائعا لدى كثير من الناس حيث إن لفظ: "العهد القديم والعهد الجديد" يساوي عندهم توراة موسى وإنجيل عيسى عليهما السلام[٦]. كلاّ، إن الأمر ليس كذلك. بل كما سوف يتضح إن شاء الله خلال هذا الكتاب وغيره، أن ما بقي - إن بقي شيء - من التوراة والإنجيل المنزلين فيما يعرف الآن بالعهد القديم والعهد الجديد، لا يساوي إلا نسبة ضئيلة جدا. وفي هذا أيضا ما يفند مزاعم بعض النصارى من أن في القرآن الكريم ما يدل على صحة كتابهم المقدس، كقوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾[آل عمران:٣].

(١) القصب: كل نبات ذي أنابيب، والواحدة: قصبة. والرض هو الدق والجرش. القاموس ص١٦٠و٨٢٩.

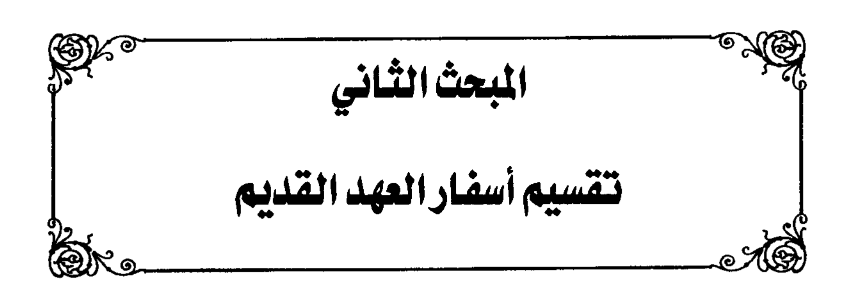
(٢) القصف هو الكسر، قصفه يقصفه قصفا أي كسره. القاموس ص١٠٩٢.

(٣) الفتيلة هي الذبالة، وما فتلته بين أصابعك، والسحاة في شق النواة. القاموس ص١٣٤٥، ولسان العرب ١٠/ ١٧٨.

(٤) انكل السيف أي ذهب حده، والكلّ: المصيبة تحدث، وأصله من: كلَّ عنه أي نبا وضعُف. القاموس ص١٣٦٢، ولسان العرب ١٢/ ١٤٣.

(٥) سفر أشعياء٤٢/ ١-٤.

(٦) انظر: الموسوعة الميسرة ص٥٥٦.



المبحث الثاني
تقسيم أسفار العهد القديم

المطلب الأول: تقسيمها حسب النسخة العبرية عند البروتستانت[١].

أ. التوراة أو أسفار موسى الخمسة:

وتسمى أيضا بالبنتاتوك، نسبة إلى "بنتا" لفظ يوناني يعني: خمسة، فالبنتاتوك هو الكتاب ذو الأسفار الخمسة[٢].

وقد كان اليهود والنصارى يعتقدون لقرون طويلة أن موسى عليه السلام هو كاتب هذه الأسفار الخمسة بيده[٣]. ولم تصادف هذه الدعوى اعتراضا قويا حتى القرن الميلادي الثاني عشر، حيث رفضها عديد من الباحثين الغربيين أنفسهم أمثال: ابن عزرا[٤] في القرن الثاني عشر،

---

(١) انظر: اليهودية لأحمد شلبي ص٢٣٠-٢٣١.

(٢) انظر: Friedman, Richard Elliott: Who wrote the Bible? P.17،

وBucaille, Maurice: (op.cit.) P.10، واختلافات في تراجم الكتاب المقدس لأحمد عبد الوهاب ص٦٧، ودراسات في الأديان للدكتور سعود عبدالعزيز الخلف ص٥١.

(٣) انظر: التثنية ٣١/ ٩ و٣١/ ٢٤، والعدد٣٣/ ٢.

(٤) هو: Ben Ezra، يهودي، مفسر كتاب النصارى المقدس، لغوي، فيلسوف، فلكي وشاعر. ولد =

وكارلستادت[١] في القرن السادس عشر، وريشارد سيمون[٢] في القرن السابع عشر[٣]. كما أن النصارى الكاثوليك في الآونة الأخيرة يقرون كذلك بعدم صحة القول بأن موسى عليه السلام كتب كلَّ البنتاتوك أو أشرف على كتابته[٤]، والواقع خير شاهد على هذا[٥]. ولكن الغريب أن موقفهم هذا يأتي مخالفا لما نقرأ حتى اليوم في صفحات العهد الجديد[٦] من كتابهم المقدس!

وهذه الأسفار الخمسة هي:-

١ ـ **التكوين:** ويتحدث عن خلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان الأول ونزوله إلى الأرض، والأنبياء بعده إلى زمن وفاة يوسف عليهم جميعا الصلاة والسلام.

٢ ـ **الخروج:** ويتناول تأريخ بني إسرائيل في مصر ـ بعد وفاة يوسف ـ ثم

= في أسبانيا حوالي سنة ١٠٩٠م، وتوفي في عام ١١٦٤م. انظر: الدائرة البريطانية١١/١٠١٩.

(١) Carl stadt: رجل ألماني من المنتمين إلى فكرة الإصلاح الكنسي، ولد عام ١٤٨٠ وتوفي عام ١٥٤١م. و"كارل ستادت" لقبه، أما اسمه الحقيقي فهو: أندرياس بوديستيين. Oxford Dictionary of theChristian Church P.240.

(٢) ريشارد سيمون: عالم كتاب النصارى المقدس، ولد عام ١٦٣٨م وتوفي عام ١٧١٢م، نشر عمله الذي أنكر فيه صلة موسى عليه السلام بالبنتاتيوك سنة ١٦٧٨م. Oxford Dictionary of the Christian Church P.1277

(٣) انظر: Bucaille, Maurice: (op.cit.) P.11-12، و Friedman, Richard Elliott (op.cit.) P.18-21.

(٤) انظر: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس لأحمد عبد الوهاب ص٦٧.

(٥) انظر مثلا: أواخر سفر التثنية حيث ورد فيها أخبار وفاة ودفن موسى عليه السلام نفسه!

(٦) انظر: يوحنا ٥/ ٤٦-٤٧، ورومية١٠/ ٥.

خروجهم منها في زمن موسى عليه السلام، وما تبع ذلك من الأحداث.

٣ ـ **اللاويين**[١] **أو الأحبار:** وهو السفر الذي يحوي كثيرا من التشريعات والأحكام والوصايا لليهود.

٤ ـ **العدد:** وقد اهتم ـ كما يظهر من اسمه ـ بعدّ بني إسرائيل حسب عشائرهم أو قبائلهم، بالإضافة إلى الحوادث التي كانت بعد خروجهم من مصر في برية سيناء.

٥ـ **التثنية:** هذه هي التسمية المشهورة للسفر، وهي ما ورد في النسخة السبعينية، وتعني: تكرار الشريعة. بخلاف ما في النسخة العبرية، وهو أن السفر اسمه: "إله هد باريم" أي "هذا هو الكلام" وهي الكلمات الثلاث الأولى منه[٢]. ففي هذا السفر تكرار الشريعة، وإعادة الأوامر والنواهي على بني إسرائيل مرة أخرى. ويُذكر في الإصحاح الأخير منه خبر وفاة موسى عليه السلام ودفنه ومكان الدفن!

ب. أسفار الأنبياء، وهي قسمان :-

الأول: أسفار الأنبياء المتقدمين، وعددها ستة وهي:

١ ـ يشوع ٢ ـ القضاة ٣ ـ صموئيل الأول

٤ ـ صموئيل الثاني ٥ ـ الملوك الأول ٦ ـ الملوك الثاني.

---

(١) أي سفر اللاويين، نسبة إلى بني لاوي بن يعقوب عليه السلام وهم المكلفون ـ من أسباط بني إسرائيل ـ بالمحافظة على الشريعة وتعليمها للناس، ومنهم يأتي الكهنة كذلك. وقد كان موسى وهارون عليهما السلام من بني لاوي. قاموس ك.م. ص٨٠٦-٨٠٧.

(٢) انظر: قاموس ك.م. ص٢٣٥.

الثاني: أسفار الأنبياء المتأخرين، وعددها خمسة عشرة، وهي:

١ ـ إشعياء ٢ ـ إرميا ٣ ـ حزقيال

٤ ـ هوشع ٥ ـ يوئيل ٦ ـ عاموس

٧ ـ عوبديا ٨ ـ يونان ٩ ـ ميخا

١٠ ـ ناحوم ١١ ـ حبقوق ١٢ ـ صفنيا

١٣ ـ حجَّي ١٤ ـ زكريا ١٥ ـ ملاخي.

ج. الكتابات، وتحتها ثلاثة فروع :-

الأول: الكتب العظيمة: وهي:

١ ـ المزامير ٢ ـ الأمثال أو أمثال سليمان عليه السلام ٣ ـ أيوب.

الثاني: المجلات الخمس: وهي:

١ ـ نشيد الأنشاد ٢ ـ راعوث ٣ ـ المراثي أو مراثي إرميا

٤ ـ الجامعة ٥ ـ أستير.

الثالث: الكتب: وهي:

١ ـ دانيال ٢ ـ عزرا ٣ ـ نحميا

٤ ـ أخبار الأيام الأول ٥ ـ أخبار الأيام الثاني.

فمجموع الأسفار عندهم: تسعة وثلاثون سفرا.

المطلب الثاني: تقسيمها عند الكاثوليك.

هناك أكثر من طريقة لتقسيم هذه الأسفار عند طائفة الكاثوليك، وسأكتفي هنا بذكر أشهرها مع الإشارة إلى أهم مواضع الاختلاف بين الطريقة المختارة وبين غيرها.

أ- **أسفار موسى الخمسة**، وهي نفسها ما تقدمت في التقسيم السابق.

ب- **الأسفار التأريخية**، ومجموعها ستة عشر سفرا، وهي:-

١- يشوع ٢- القضاة

٣- راعوث ٤- الملوك الأول

٥- الملوك الثاني ٦- الملوك الثالث

٧- الملوك الرابع ٨- أخبار الأيام الأول

٩- أخبار الأيام الثاني ١٠- عزرا

١١- نحميا ١٢- طوبيا

١٣- أستير ١٤- يهوديت

١٥- المكابيون الأول ١٦- المكابيون الثاني.

ج- **الأسفار الشعرية أو الأدبية**، وعددها ستة أسفار وهي:

١- أيوب ٢- المزامير ٣- الأمثال

٤- الجامعة ٥- نشيد الأنشاد ٦- مراثي إرميا.

د. **الأسفار النبوية**، ومجموعها سبعة عشر سفرا، وهي:

١ ـ إشعيا ٢ ـ إرميا ٣ ـ باروخ

٤ ـ حزقيال ٥ ـ دانيال ٦ ـ هوشع

٧ ـ يوئيل ٨ ـ عاموس ٩ ـ عوبديا

١٠ ـ يونان ١١ ـ ميخا ١٢ ـ ناحوم

١٣ ـ حبقوق ١٤ ـ صفنيا ١٥ ـ حجّي

١٦ ـ زكريا ١٧ ـ ملاخي.

هـ. **الأسفار التعليمية**، وعددها اثنان فقط وهما:

١ ـ الحكمة ٢ ـ يشوع بن سيراخ[1].

فيكون مجموع الأسفار عند هذه الطائفة، ستة وأربعين سفرا، أي بزيادة سبعة أسفار على النسخة العبرية المعتمدة لدى البروتستانت.

وأما التقسيم الآخر للكاثوليك[2]، فيمكن إجمال الفوارق بينه وبين هذا التقسيم في النقاط الآتية:-

أ ـ يضيف إلى الأسفار الخمسة (المنسوبة إلى موسى عليه السلام) كلا من سفر يشوع، والقضاة، وراعوث، واضعا الجميع تحت اسم البنتاتوك.

ب ـ عدد الأسفار التأريخية فيه ثلاثة عشر سفرا، أي الأسفار الستة عشرة المذكورة في التقسيم السابق، ما عدا الثلاثة الملحقة بالبنتاتوك من هذا القسم.

---

(١) انظر: تأريخ الأقباط لزكي شنودة ١/ ٩١-٩٢، نقلا عن اليهودية لأحمد شلبي ٢٣١-٢٣٢.

(٢) انظر: النسخة الأمريكية الجديدة (N.A.B.) للكاثوليك ص٧.

ج ـ جاء فيه ما أسموه بأسفار الحكمة، وتضم الكتب المذكورة في الأسفار الأدبية أو الشعرية هناك، ما عدا سفر المراثي. وتضم بدلا عنه سفرين آخرين هما: سفر الحكمة، وسفر يشوع بن سيراخ، ويلاحظ أنهما المصنفان تحت اسم الأسفار التعليمية في التقسيم السابق.

د ـ أما الأسفار النبوية فيه، فعددها ثمانية عشر سفرا، أي جميع الأسفار المذكورة تحت الاسم نفسه في التقسيم السابق، بالإضافة إلى سفر المراثي.

وهناك تقسيمات أخرى تتفق أو تختلف عن هذا أوذاك في بعض الجوانب، ولعل فيما ذكر هنا غنية إن شاء الله[(١)].

المطلب الثالث: تقسيمها عند الأرثودكس[(٢)].

أ ـ الكتب القانونية الأولى:

وهي الأسفار التسعة والثلاثون التي تعترف بها طائفة البروتستانت كما أسلفت[(٣)].

ب ـ الكتب القانونية الثانية:

وهي الأسفار السبعة التي تزيد بها النسخة اليونانية عند الكاثوليك على العبرية، كما تقدم أيضا. وكذلك تتمة لكل من سفر أستير، وسفر دانيال، وليستا

---

(١) انظر تقسيمات أخرى في: مواعظ الآحاد والأعياد لإلياس كويتر المخلصي ١/١٨-١٩، وقاموس ك.م. ص٧٦٤-٧٦٥.

(٢) انظر مقدمة الأسفار القانونية الثانية ص١٢-١٣.

(٣) انظر: ص١٣٨.

في النسخة العبرية البروتستانتية.

فبهذا يكون مجموع الأسفار عندهم أيضا ستة وأربعين سفرا، كما عند الكاثوليك، ثم يختلفون عن الكاثوليك في التقسيم التفصيلي لهذه الأسفار كما هو مبين أدناه:

أ. **التوراة**، أو أسفار موسى عليه السلام الخمسة.

ب. **الكتب النبوية**، وتنقسم إلى قسمين:

الأول: أسفار الأنبياء المتقدمين، وهي: الأسفار نفسها، وتحت الاسم نفسه في التقسيم البروتستانتي.

الثاني: أسفار الأنبياء المتأخرين، وهي بعينها ما تقدم تصنيفها تحت الاسم نفسه في التقسيم البروتستانتي.

ج. **الكتب التاريخية**، وهي أيضا قسمان:

الأول: الكتب التأريخية المقدسة الكبيرة وهي:- ١ ـ المزامير ٢ ـ أيوب ٣ ـ الأمثال.

الثاني: الكتب التأريخية المقدسة الصغيرة وهي:-

١ ـ الجامعة ٢ ـ نشيد الأنشاد ٣ ـ المراثي

٤ ـ دانيال ٥ ـ أستير ٦ ـ عزرا

٧ ـ نحميا ٨ ـ أخبار الأيام الأول ٩ ـ أخبار الأيام الثاني.

د. **الكتب التعليمية**: وهي الكتب القانونية الثانية ـ عندهم ـ المذكورة أعلاه.

المطلب الرابع: ملحوظات على تقسيم أسفار العهد القديم.

أولاً: عدد أسفار العهد القديم عند البروتستانت تسعة وثلاثون سفرا، وأما عند الكاثوليك والأرثودكس فعددها ستة وأربعون. أي بزيادة سبعة أسفار كاملة، وهي: طوبيا - يهوديت - المكابيون الأول - المكابيون الثاني - باروخ - الحكمة - يشوع بن سيراخ.

ثانياً: وهذه الأسفار الزائدة، وكذلك ما بعد الفقرة الثالثة من الإصحاح العاشر وحتى الإصحاح السادس عشر من سفر أستير، والأجزاء الأخيرة من الإصحاح الثالث، وجميع الإصحاحين الثالث عشر والرابع عشر من سفر دانيال(١). كلها تعتبرها الطائفة البروتستانتية أسفارا غير مقدسة، وتطلق عليها اسم: أبوكريفا Apocrypha أي الأسفار غير القانونية(٢) أو المخفية(٣) أوالمنحولة(٤). وهي كلها أسفار مقدسة وقانونيةCanonical عند الكاثوليك. وأما الأرثودكس فالظاهر أنهم لم يتخذوا قرارا صريحا في شأنها(٥)، لكنهم

---

(١) وللعلم، فإن سفر أستير ينتهي في الإصحاح العاشر، وسفر دانيال في الإصحاح الثاني عشر حسب النسخة البروتستانتية، وأما في الكاثوليكية، فيصل الأول إلى الإصحاح السادس عشر، والأخير إلى الإصحاح الرابع عشر.

(٢) انظر: قاموس ك.م. ص٧٦٠، ومقدمة N.A.B. ص٢٣.

(٣) انظر: مقدمة الأسفار القانونية الثانية ١٢، وقد جاء فيها تعريف الأبوكريفا بأنها: "الكتب التي تحوي خرافات وسخافات تتنافى مع الآداب النصرانية، والتي لم تقبلها الكنيسة ضمن أسفار الكتاب المقدس". وأبوكريفا في الأصل كلمة يونانية تعني مخفي أو مخبأ. قاموس ك.م. ص١٨.

(٤) انظر: قاموس ك.م. ص١٩، ومحاضرات في مقارنة الأديان لإبراهيم خليل أحمد ص٣٧.

(٥) انظر: اختلافات في تراجم... لأحمد عبد الوهاب ص٦٦.

يطبعونها وينشرونها كما يفعل الكاثوليك أيضا.

وجدير بالذكر أن أحد رؤساء النصارى أو آباء كنيستهم، أوريجانوس[١] له رأي مخالف لهذا كله، فقد ذهب إلى أن عدد الأسفار حسب النسخة العبرية أقل بكثير سواء من العدد المعتمد لدى الكاثوليك والأرثوذكس، أو من العدد المعترف به لدى البروتستانت. فقال: «يجب أن يقرر بأن الأسفار القانونية كما سلمها إلينا العبرانيون اثنان وعشرون، وهي تتفق مع عدد حروفهم الهجائية»[٢]. ثم بدأ يعدد تلكم الأسفار بطريقة خاصة، حيث يجمع بين بعض الأسفار ويعتبرها واحدا. إلا أنه مع ذلك يُلاحَظ إسقاطه للأسفار التي يقال عنها: أسفار الأنبياء الصغار، وهي: هوشع ـ يوئيل ـ عاموس ـ عوبديا ـ يونان ـ ميخا ـ ناحوم ـ حبقوق ـ صفنيا ـ حجَّي ـ زكريا ـ ملاخي.[٣]

ثالثاً: يجعل الكاثوليك أسفار الملوك أربعة، ويعني هذا أن سفري الملوك الأول والثاني عندهم هما سفرا صموئيل الأول والثاني عند البروتستانت، فيكون سفرا الملوك الأول والثاني عند البروتستانت هما سفري الملوك الثالث والرابع عند الكاثوليك[٤].

---

(١) أوريجانوس: فيلسوف نصراني وُلد في مصر عام ١٨٥م وعلّم بالإسكندرية. ومن أشهر كتبه: المبادئ الأولى (باللاتينية)، ومعارضة سلسوس، توفي في سنة ٢٥٤م. انظر: الموسوعة الميسرة ص٢٦١.

(٢) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٣١٦.

(٣) (م.ن.) ص٣١٦-٣١٧.

(٤) في بعض الطبعات الحديثة للكاثوليك يوافقون البروتستانت في تقسيم الأسفار الأربعة إلى سفري صموئيل، وسفري الملوك. انظر مثلا: نسخة N.A.B.

رابعاً: أن هذا الاختلاف المشاهد في عدد الأسفار وفي عدد إصحاحات هذه الأسفار بل وحتى في أسماء بعض هذه الأسفار، إنما يدل على بطلان دعوى النصارى قداسة هذه الكتب أو أنها باقية كما أوحى بها الله ﷻ. وذلك لأن الكتب المقدسة يجب أن تكون منزهة عن مثل هذه الاختلافات بين أتباعها والمؤمنين بها. ولهذا جاء القرآن الكريم بالمعيار الصادق، والمقياس الدقيق لغربلة ما تدّعى قداسته من الكتب، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء: ٨٢].

خامساً: هناك خلاف بين الأرثودكس والكاثوليك، حتى وإن كانوا جميعا يؤمنون بالنسختين اليونانية واللاتينية. لأن الأرثودكس لا يعتمدون بعض أسفارها كسفر باروخ، وسفري المكابيين[١].

هذا، وإنّ كتب العهد القديم تختلف إصحاحاتها قلة وكثرة، وعلى العموم: فإن أطول هذه الكتب هو سفر المزامير إذ فيه مائة وخمسون إصحاحا أو مزمورا، وأقصرها: سفر عوبديا الذي ليس فيه إلا إصحاح واحدٌ فقط. والله أعلم.

(١) انظر: مقارنة الأديان لإبراهيم خليل أحمد ص١١.

الفصل الثاني

ارتباط النصارى بالعهد القديم

إنّ الناظر في واقع حياة رؤساء الكنيسة النصرانية ودعاتها في الوقت الراهن، فضلا عن عوام النصارى، يجد أن الصلة بينهم وبين كتب العهد القديم، وما فيها من الأحكام والشرائع، ضئيلة جدا أو أنها قد تلاشت تماما. فغاية ما تجدهم يعملون: أن يستشهدوا ببعض نصوصها في مواعظهم العامة، وعند قيامهم بالدعاء يقرؤون شيئا من سفر المزامير(١). أما الالتزام العملي حتى بما بقي في هذه الكتب من التشريعات بعد كل التحريفات وتلاعب الأيدي، فنادر جدا أو عديم الوجود، حيث إنهم قد أحلوا ما حرمته وتجاهلوا حدودها، وأحيانا يعمدون إلى مجامعهم ومؤتمراتهم فيغيرون فيها ما يشاؤون مما نص عليه هذا الكتاب المقدس في زعمهم، أو يستدركون عليه، وأحيانا أخرى يفسرون نصوصه بما يوافق هواهم(٢).

وفي السطور الآتية ـ إن شاء الله ـ أستعرض بعض الأمثلة التي تشهد وتبرهن على تدني درجة ارتباط النصارى بما سموه العهد القديم، وعدم التزامهم بما جاء فيه.

أولا: لا يوجد في العهد القديم أي شيء عن عقائد النصرانية الحديثة والتي

---

(١) وقد عرفوا المزامير بأنها: "مجموعة من الأشعار الدينية الملحنة، وغرضها تمجيد الله وشكره، كانت ترنم على صوت المزمار وغيره من الآلات الموسيقية"! قاموس ك.م. ص٤٣٠.

(٢) انظر: المسيحية لأحمد شلبي ص٢٠١، و Ajijola, A.D. (op.cit.) P.137.

من أبرزها: ألوهية المسيح ﷺ، وألوهية الروح القدس، وتجسّد المسيح، وموته وقيامته، والخطيئة الموروثة[١] ...الخ[٢]

ثانيا: في شريعة العهد القديم، يجوز الطلاق بأي علة، كما أنه يجوز لرجل أن يتزوج بمطلقة: «إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة في عينيه لأنه وجد فيها عيب شيء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته. ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر»[٣].

وأما في شريعة العهد الجديد عند النصارى فيرون أنه لا يجوز لرجل آخر الزواج بالمطلقة، وإن فعل ذلك فله حكم الزاني، وكذلك زعموا أن فيه تحريم الطلاق لغير علّة الزنا، وذلك ما جاء في إنجيل متى: «وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزني. ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني»[٤]. وفي موضع آخر من الإنجيل نفسه جاء: «وأقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا، وتزوج بأخرى يزني. والذي يتزوج بمطلقة يزني»[٥]. بل إن الأعجب من ذلك كله، أن طائفة الكاثوليك مع وجود هذه النصوص أيضا ترى أن الزواج لا يحُل أبدا إلا بالموت، فيمنعون وقوع الطلاق بأي حال من الأحوال[٦]!

---

(١) أي خطيئة آدم ﷺ ويعتقد النصارى أن كل مولود يولد وقد ورث نصيبه منها! انظر: فايز فارس (م.ن.) ٣٦-٣٩.

(٢) انظر: مقارة الأديان للطهطاوي ص٩٧.

(٣) التثنية ٢٤/ ١-٢.

(٤) متّى ٥/ ٣٢.

(٥) متّى ١٩/ ٩.

(٦) انظر: نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام للدكتور محمود عبد السميع شعلان ٢/ ٥١٠.

ثالثا: لقد جاء تحريم حيوانات كثيرة في شريعة العهد القديم[١]، ثم جاءت إباحتها في العهد الجديد بفتوى عجيبة من بولس حيث قال: « إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيء نجسا بذاته إلا من يحسب شيئا نجسا فله هو نجس »[٢]!

رابعا: تقديس السبت: أي أنه كان مقدسا في شريعة العهد القديم كما ورد فيه: « اذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك. وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك. لا تصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك[٣] الذي داخل أبوابك »[٤]. كما جاء أيضا في موضع آخر منه: « ...وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة، مقدس للرب. كل من صنع عملا في يوم السبت يقتل قتلا »[٥]!

وهذا خلاف ما جاء في عهد النصارى الجديد إذ نقرأ فيه أن المسيح عليه السلام لم يكن يحفظ للسبت أي قداسة، كما يقول كاتب إنجيل يوحنا: « ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه لأنه عمل هذا في سبتٍ »[٦].

خامسا: الختان:- فقد جاءت مشروعيته في شريعة العهد القديم على أنه

---

(١) انظر: سفر اللاويين، الإصحاح الحادي عشر كله.

(٢) رومية ١٤/ ١٤.

(٣) النزيل هو الضيف. القاموس ص١٣٧٢.

(٤) الخروج ٢٠/ ٨-١٠.

(٥) الخروج ٣١/ ١٥.

(٦) يوحنا ٥/ ١٦، وقريب منه ما جاء في ٩/ ١٦.

حكم أبدي: «يختن ختانا وليد بيتك والمبتاع بفضتك، فيكون عهدي في لحمكم عهدا أبديا. وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها، إنه قد نكث عهدي»[١]. وأما في العهد الجديد وبالتحديد في إحدى رسائل بولس فيأتي مرة أخرى نسخ هذا الحكم الأبدي، إذ جاء فيها: «ها أنا بولس أقول لكم إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا»[٢]!

سادسا: إن النصارى كما أسلفت[٣] لم يتفقوا على تقديس جميع كتب العهد القديم فقد أخرجت الطائفة البروتستانتية جملة أسفار، هي من ضمن ما تؤمن بها الطائفة الكاثوليكية والطائفة الأرثودكسية، وتقدسانها، وتعتبرانها وحيا من الله القدير ﷻ على مفهومهم الخاص للوحي أو الإلهام بالكتب الإلهية المقدسة[٤].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، بدأت الكنيسة الكاثوليكية نفسها تشكّك في بعض أسفار العهد القديم وتطعن في قداستها. وإليكم نصا من مقدمة الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام في كتاب النصارى المقدس الذي قامت الكنيسة الكاثوليكية بطبعه ونشره: «كثير من علامات التقدم تظهر في روايات هذا الكتاب وشرائعه مما حمل المفسرين الكاثوليك وغيرهم على التنقيب عن أصل هذه الأسفار الأدبي. **فما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته قد كتب كل البنتاتوك من قصة الخلق إلى قصة موته، كما أنه لا يكفي أن يقال إن**

---

(١) التكوين ١٧/ ١٣-١٤.

(٢) غلاطية ٥/ ٢.

(٣) انظر ما تقدّم من الحديث عن تقسيم أسفار العهد القديم لدى طوائف النصارى.

(٤) انظر ما تقدّم من الحديث عن مفهوم الوحي عند النصارى.

موسى أشرف على وضع النص الملهم الذي دونه كتبة عديدون[!] في غضون أربعين سنة »[١]. ويستمر كاتب هذه المقدمة وهو في تقديمه لسفر راعوث فقال: « من المحتمل أن يكون الكاتب قد استعان في البدء بذكريات تقليدية غير واضحة الظروف تماما، ثم أضاف إليها من التفاصيل ليجعل الرواية أكثر حياة ويعطيها قيمة أدبية »[٢].

سابعاً: إن النصارى، سواء الذين جعلوا أسفار العهد القديم ستة وأربعين، أو الذين جعلوها تسعة وثلاثين، قد وقعوا حتما إما في الزيادة أو الإسقاط في ما يُزعم أنه وحي من الله ﷻ، وكلا الأمرين، - أعني الزيادة والنقصان في الوحي الإلهي - محرمان بنص العهد القديم، فقد جاء فيه: « كل الكلام الذي أوصيكم به احرصوا لتعملوه، لا تزد عليه ولا تُنقِّص منه »[٣].

وبعد هذا العرض، يبقى من حق الباحث المحايد القول بأن دعوى النصارى قداسة العهد القديم، وطبعه مع كتابهم المباشر وهو العهد الجديد، وزعمهم اتباع شرائعه...الخ كل هذه دعايات كاذبة، وأمور وهمية شكلية لا حقيقة لها في الواقع، والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) مقدمة النسخة الكاثوليكية لكتاب النصارى المقدس المطبوعة عام ١٩٦٠م ص٤، نقلا عن: مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٤٨-٤٩.

(٢) (م.ن.ص.).

(٣) التثنية ١٢/ ٣٢.



الفصل الثالث

الدراسة النقدية لبعض أسفار العهد القديم

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: نظرة في تأريخ كتب العهد القديم ونسبتها إلى كتبتها.

المبحث الثاني: مصادر العهد القديم، عرضا ونقدا.

المبحث الثالث: التحريفات والتناقضات والأخطاء في العهد القديم.

المبحث الرابع: الإله في أسفار العهد القديم.

المبحث الخامس: الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في أسفار العهد القديم.

المبحث السادس: الدعارة والفجور في أسفار العهد القديم.

المبحث الأول

نظرة في تاريخ كتب العهد القديم، ونسبتها إلى كتّابها

إن مما لا يختلف فيه ذوو العقول السليمة أن كل كتاب إنما يستمد قيمته روحيةً كانت أو علمية، أولاً وقبل أي اعتبار آخر من قيمة وفضل من ينسب إليه. وحين لا تثبت نسبة الكتاب إلى من ينسب إليه، أو تثبت نسبته إلى شخصية ساقطة، فإنه يفقد القيمة الروحية فورا، وكذلك حتى القيمة العلمية إن وجدت، فتكون ـ حينئذ ـ كما يقال: رمية من غير رامٍ.

وعندما يقوم الإنسان بالبحث والتنقيب، أوالفحص والتشخيص لما يعرف اليوم بالعهد القديم، يدرك أنه (العهد القديم) قد خضع لكثير من التحريفات والاضطرابات والتغييرات، سواء في الشكل، أو في المحتوى، إلى درجة أنه يصعب جدا للمرء المنصف أن يعتقد سلامة أسفار هذا الكتاب وصحتها، أو أنها باقية كما أنزلت على هؤلاء الأنبياء الذين تنسب إليهم، عليهم الصلاة والسلام.

نعم إننا نحن المسلمين، نعتقد كما يعتقد غيرنا من أصحاب الديانات السماوية، الإلهية الأصل، أن الله ﷻ قد أوحى إلى أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام من فترة لأخرى بما شاء، لهداية الخلق ورشدهم. لكن هل ما أوحى به

إلى أنبياء بني إسرائيل هو ما نجده بين دفتي ما يسمى بالعهد القديم؟ أم ما ذا يكون شعور الإنسان عندما يقرأ في مقدمة لهذا الكتاب المقدس عند النصارى قولهم: «يشتمل الكتاب المقدس على كتب كثيرة، **بعضها لمؤلفين غير معروفين**»[(١)]!؟ أو وهو يطالع قول بعض الذين قضوا معظم حياتهم في خدمة هذا الكتاب ـ العظيم في نظرهم ـ تعلّما ودراسة: «إنه لحقيقة غريبة أننا لم نعلم أبدا بيقين، من كتب الكتاب الذي لعب دورا أساسيا كهذا في حضارتنا[(٢)]. هناك تقاليد [أو روايات] تتعلق بمن كتب كلا من أسفار الكتاب المقدس، فالأسفار الموسوية الخمسة يُفترض أن موسى قد كتبها، وسفر المراثي لإرميا النبي، ونصف المزامير للملك داود[(٣)]، لكن كيف للواحد معرفة ما إذا كانت هذه النِسَب التقليدية صحيحة أم لا؟»[(٤)].

فمن هنا أصبح تناول هذه الأسفار بالنقد والدراسة سندا ثم متنا، على وجه يقتنع به كل منصف ومحب للحق إن شاء الله، من الأمور التي تمس إليها الحاجة، بل يكاد أن يرتقي إلى درجة الضروريات، وبالله تعالى التوفيق.

---

(١) مقدمة N.A.B. ص١٩.

(٢) ومما لا يخفى على كل دارس لمجريات الأحداث في العالم الغربي أن أثر هذا الكتاب كثيرا ما يكون محدوداً في الحضارة أو التهذيب الأخلاقي، فالدولة الرومانية التي أخذت بالنصرانية كانت في أتم قوتها قبل النصرانية وبدأت في الانحدار ثم التحطم بعد ذلك، كما أن أوروبا الحديثة لم ترتق في الحضارة إلا بعد سقوط الكنيسة.

(٣) أي نبي الله داود عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام.

(٤) Friedman, R. Elliott: (op.cit.) P.15، والقول للمؤلف نفسه، وهو أستاذ في اللاهوت النصراني بجامعة كاليفورنيا، في سان ديغو، بالولايات المتحدة الأمريكية.

المطلب الأول: الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى ﷺ.

هذه الأسفار هي أهم أجزاء العهد القديم كله، ويعتقد اليهود وغالبية النصارى على حد سواء أن موسى ﷺ قد كتبها بيده، مع أنه لايوجد نص على هذا الزعم في أي موضع منها على الإطلاق[1]. وقد يكون ذلك من دوافع التراجع الملموس عن هذا الافتراء كما تقدم معنا في الرسالة قريباً.

أما عن الأسفار ذاتها فقد تجمعت لدى الباحث ـ ولله الفضل والمنة ـ أدلة كافية للجزم والقطع بأنها لم تكن من مكتوبات نبي الله موسى بن عمران ﷺ، وإليكم طرفا منها في السطور الآتية:-

أ ـ جاء في أحد هذه الأسفار النص الآتي: «فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب[2] حسب قول الرب. ودفنه في الجواء[3]... ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم...ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه»[4]. فنلاحظ من هذا النص أمورا، من أهمها:

١ ـ أنه كتب بعد وفاة موسى ﷺ بفترة طويلة ـ لا نعرف مداها ـ لكنها كانت كافية ـ من حيث الطول أو البعد ـ لأن ينسى الناس موضع قبره حتى لم

---

(١) Ibid. P.17.

(٢) هي ما وقع شرقي البحر الميت، وتسمى أيضا بلاد موآب. وأما موآب ففي زعمهم أنه ابن ابنة لوط من أبيها والعياذ بالله، ويسمى أحفاده بالموآبيين. قاموس ك.م. ص٩٢٧-٩٢٨.

(٣) الجواء ـ بكسر الجيم ـ هو الاسم العبري الذي أطلق على الوادي الذي دفن فيه موسى ﷺ في أرض موآب. قاموس ك.م. ص٢٧٨.

(٤) التثنية ٣٤/ ٥و٦و١٠.

يعد من الممكن لأحدٍ في زمن الكاتب معرفة هذا القبر. وإلا فلا يمكن أن يخاطب الحي هكذا: "لم يَعرف إنسانٌ قبرك إلى هذا اليوم"، وكذلك لايمكن أن يكون المقبور ـ سواء كان موسى عليه السلام أو غيره ـ قد كتب مثل هذا عن نفسه، أوقالها، أو علم بها، بل إن هذا أبعد من الأول.

وبالمناسبة، لقد حاول بعض المنصّرين المعاصرين: القس الأمريكي جيمي شواغارت[1] إيجاد حل لهذه المشكلة بطريقته الخاصة، فادّعى أن هذا ليس مستحيلا على الله أن يوحي إلى موسى عليه السلام كيف سيموت، وكيف تكون هيئة جنازته[2]! ونلاحظ هنا طريقة هذا المنصّر ـ الذي يوصف بأكثر المتحدثين سحرا في العالم المعاصر[3] ـ في صرف الأنظار عن الحقيقة، إذ المسألة كلها لا علاقة لها بقدرة الله العظيم التي لاحدود لها ولا نهاية، فمن الذي ينازع في هذا أيها القس؟ أجل، بل الله تعالى قدير على فعل ما هو أكبر وأعظم من هذا، ولكن الصيغة في كتابكم المقدس لا تنسجم مع هذا أبدا، إذ لم يقل: "سيموت موسى" وإنما قال: "فمات"، ولم يقل: "ولن يعرف إنسان قبره" وإنما قال: "ولم يعرف إنسان قبره" مؤكدا ذلك بما بعده وهو: لفظ: "إلى هذا اليوم"!

---

(١) منصر أمريكي بروتستانتي معاصر، كان يعتبر من كبار القساوسة في أمريكا، ويملك قناة تلفيزونية لبث مواعظه الأسبوعية التي تبث أو تباع في نحو مائة دولة في العالم. ثم سقط في رذيلة الزنا مع مغنية في الثمانينات من القرن العشرين الميلادي ففقد مركزه وجماهيره التي كانت تفوق ستة عشر مليونا في أمريكا وخارجها! انظر: فضائح الكنائس والباباوات والقسس... لمصطفى فوزي غزال ص٧٣-٧٧.

(٢) مناظرة شواغارت مع الشيخ أحمد ديدات. (مسجلة على الأشرطة).

(٣) نفسها.

٢ ـ أن قول الكاتب: "ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه" لَدليلٌ على أنه (الكاتب) إنما عاش بعد موسى عليه السلام، وعايش أنبياء آخرين بعده من بني إسرائيل عليهم جميعا الصلاة والسلام، فمن ثم حق له إجراء مثل هذه المقارنة[١].

٣ ـ أن قوله: "إلى يومنا هذا" ـ وقد تكرر مثله كثيرا في هذه الأسفار ـ لايمكن أن يفيد إلا أن الكاتب إنما كتب أحداثا وقعت في السابق، وبقيت لها آثار[٢].

ب ـ ورد في موضع آخر منها: « وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم[٣] قبلما مَلَكَ مِلِك لبني إسرائيل »[٤]. ففي هذا كذلك دليل على أن الكاتب رجل عاش بعد أن عرف بنو إسرائيل نظام الملكية، وهذا لم يكن إلا بعد وفاة موسى عليه السلام بمدة تزيد على قرنين من الزمن[٥].

---

(١) انظر: Friedman, R. Elliott: (op.cit.) P. 21.

(٢) Ibid. P.20.

(٣) أدوم: لقب عيسو بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، ويسمى أحفاده بالآدوميين. كما أطلق على الإقليم الذي سكنوا فيه: أرض أدوم، أو أرض سعير، ومسافته نحو مائة ميل، بين البحر الميت وخليج العقبة. قاموس ك.م. ص٣٩.

(٤) التكوين٣٦/ ٣١.

(٥) أي في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، حيث ملك شاول، أول ملوكهم من ١٠٥٠ إلى ١٠١٠ ق.م. انظر: قاموس ك.م. ص٩١٦، ومقدمة N.A.B. ص٤٠. وهذا طبعا، بناءً على القول بأن خروج بني إسرائيل من مصر، ومن ثم وفاة موسى ثم يوشع بعده عليهما السلام قد تمت كلها في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ومن المعلوم أن هذه جميعا مسائل خلافية، والتحديدات فيها كذلك تخمينية، لا يجزم بشيء فيها أو منها. راجع مثلا: قاموس ك.م. ص٣٣٩-٣٤٠، و٩٣٣، و١٠٦٨.

ج ـ وجاء فيها أيضا: «فلما سمع أبرام[١] أن أخاه سبي، جرّ غلمانه المتمرنين، ولدان بيته: ثلاثمائة وثمانية عشر وتبعهم إلى دان»[٢][٣]. وهذه المدينة التي ورد ذكر اسمها هنا بأنه دان، لم تعرف بهذا الاسم إلا بعد عصر موسى عليه السلام، في عهد القضاة[٤]، كما هو واضح بيّن في سفر القضاة من العهد القديم ذاته: «ودعوا اسم المدينة دان باسم دان أبيهم الذي ولد لإسرائيل[٥]، ولكن اسم المدينة أولا: لايش»[٦].

د ـ ومن أهم ما اعتمد عليه النقاد في الحكم ببطلان نسبة هذه الكتب إلى شخص واحد ـ سواء أكان موسى عليه السلام أم غيره ـ: ما لوحظ فيها من التناقضات والتضاربات، حيث تحكي أحداثا على هيئة معينة، ثم بعد قليل تقول إن الأحداث نفسها إنما وقعت على هيئة مختلفة. وتقول بوجود اثنين من شيء معين في موضع، وفي موضع آخر تقول بل وجدت العشرات من الشيء

---

(١) أي نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

(٢) مدينة دان: تقع على بعد ثلاثة أميال غربي بانياس، وهي المعروفة حاليا بتل القاضي، وكانت في أول أمرها تابعة لمقاطعة صيدا، غير أن الدانيين أخذوها وسموها باسم أبيهم. قاموس ك.م. ص٣٥٧.

(٣) التكوين١٤/ ١٤.

(٤) عهد القضاة هو الفترة التي أعقبت وفاة يشوع (يوشع) بن نون، تلميذ موسى عليه السلام، وحتى زمن تولي أول ملوك بني إسرائيل المنصب في القرن الحادي عشر ق.م. حيث دخلوا بذلك في عهد جديد هو عهد الملوك. قاموس ك.م.ص٧٣٦، و٩١٦.

(٥) أي أن دان هو أحد أبناء يعقوب (إسرائيل) من جارية زوجته راحيل، واسم الجارية: بلهة. انظر: سفر التكوين٣٠/ ٤-٦.

(٦) القضاة١٨/ ٢٩، وانظر كذلك قاموس ك.م. ص٣٥٧.

نفسه...»[١]، كما في الأربعة أو الأربعين مذود خيل مثلا[٢].

هـ- ورد في هذه الأسفار ذكر أحداث تشير إشارة واضحة إلى زمن أنبياء بني إسرائيل الذين أتوا بعد موسى عليه السلام، ومن ذلك ما جاء في سفر التثنية: «إن عوج ملك باشان[٣] وحده بقي من بقية الرفائيين[٤]. هو ذا سريره سرير من حديد. أليس هو في ربّة بني عمّون[٥]. طوله تسع أذرع وعرضه أربع أذرع بذراع رجل»[٦].

فقول الكاتب هنا: "أليس هو في ربة بني عمون" دليل قوي على أن السرير الموصوف كان موجودا في زمنه، وأنه بقي في حوزة بني إسرائيل محفوظا في ربّة بني عمّون بعد موت عوج ملك باشان. وإذا جئنا إلى سفر آخر من أسفار العهد القديم أيضا، نجد أنه قد ورد فيه: «وكان عند تمام السنة في وقت خروج الملوك،

---

(١) انظر: Friedman, R.Elliott: (op.cit.) P.17 بتصرف.

(٢) انظر هذا وغيره من الأمثلة في: مسألة شواهد التناقضات في العهد القديم كما سيأتي.

(٣) هو: عوج، ملك الآموريين في باشان، من سلالة الرفائيين، وقد امتد ملكه من وادي ارنون إلى جبل حرمون، وكان جبار القامة شديد البأس، وقد سيطر الإسرائيليون على مملكته وذبحوه. قاموس ك.م. ص٦٤٦، وباشان: مقاطعة في أرض كنعان، واقعة بين جبلي حرمون وجلعاد شرقي الأردن. قاموس ك.م. ص١٥٩.

(٤) الرفائيون: هم عشيرة من الجبابرة، سكنوا قديما في فلسطين، شرقي الأردن وغربه. قاموس ك.م. ص٤٠٧.

(٥) بنو عمّون هم: ذرية عمون بن لوط عليه السلام، وأرضهم أو بلادهم: منطقة جبلية شرقي نهر الأردن، ومن أشهر مدنها: حشبان، وربّة، ومنّيت. وهي في أواسط المملكة الأردنية في الوقت الحالي. وقيل بل إن ربة بني عمّون هي نفسها عمّان، العا صمة الأردنية حاليا. وقد كانت العلاقة بينهم وبين الإسرائيليين علاقة حرب وقتال دائما. قاموس ك.م. ص٦٤٠، و٣٩٧.

(٦) التثنية ٣/ ١١.

اقتاد يوآب[١] قوة الجيش وأخرب أرض بني عمون، وأتى وحاصر ربّة. وكان داود مقيما في أورشليم، فضرب يوآب ربّة وهدمها»[٢]. فبهذا يتبين أن استيلاء بني إسرائيل على ربة بني عمون إنما كان في زمن داود، أي بعد وفاة موسى عليهما السلام بنحو خمسمائة وخمسة عشر عاما[٣]، أي على القول بأن موسى عليه السلام قد عاش في القرن السادس عشر قبل الميلاد ـ على خلاف في ذلك كما أسلفت[٤] ـ لأنهم يقولون إن داود عليه السلام عاش حتى سنة ٩٧٠ ق.م.، وأن عمره لما مات كان نحو إحدى وسبعين سنةً[٥]. والله أعلم.

و: هل من المعقول أن يكون موسى هو كاتب أخبار ووصفِ دخول بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة بعد زمن التيه[٦]، وهو قد توفي صلوات الله وسلامه عليه في زمن التيه[٧]؟ هذا ما حدث بالفعل في السفر الثاني من الأسفار المنسوبة إلى موسى عليه السلام حيث جاء فيه: «وأكل بنوا إسرائيل المن[٨] أربعين سنة حتى جاءوا إلى أرض عامرة. أكلوا المن حتى جاءوا إلى طرف

---

(١) يوآب: هو بكر أولاد صروية أخت داود عليه السلام، ورئيس جيشه. قاموس ك.م. ص١١٠٠.

(٢) أخبار الأيام الأول ٢٠/ ١.

(٣) انظر: البشارة بنبي الإسلام للسقا ١/ ٥٦.

(٤) انظر: ص١٦١.

(٥) انظر: قاموس ك.م. ص٣٦٥، و٩١٦.

(٦) أي التيه الذي عاقبهم الله تعالى به بعد تقاعسهم عن القتال مع نبيهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[المائدة:٢٦].

(٧) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٤٠.

(٨) المن: هو كل طَل ينزل من السماء على شجر أوحجر، ويحلو، وينعقد عسلا، ويجف جفاف الصمغ. القاموس ص١٥٩٤.

أرض كنعان »[١].

ولا يبادر إلى الفهم أن المقصود هنا: إخبار أو بشارة، فإن ذلك ممكن إذا كان الله ﷻ قد أوحى به إليه. ولكن هل الصيغة المذكورة تدل على البشارة بما سوف يقع، أو تدل على وصف وإخبار عما قد وقع فعلا؟ وإن قالوا إن هذا أيضا كثير في القرآن الكريم، حيث يخبر الله ﷻ عن أمور لم تقع بعد بالصيغة الماضية، قلنا: نعم، ولكن الجهة منفكة، لأن ما جاء في القرآن من هذا القبيل إنما في الإخبار عما يحصل للمؤمن من جزاء وللكافر من عقاب، ونحو ذلك من أحوال الآخرة، وأخبر عنه المولى ﷻ بصيغة الماضي لتحقق الوقوع، بخلاف إخباره تعالى عما سوف يحصل في دنيانا هذه. ألم تسمعوا إلى قوله عز من قائل: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾[الروم:٢-٣]، والله تعالى أعلم.

ز ـ كما جاء في موضع آخر منها أيضا: « وأما الرجل موسى فكان حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض»[٢]. فهل هذا مكتوب بيده(موسى عليه السلام) أيضا؟! بل إن عبارات كهذه، ومنها أيضا " وكلم الرّب موسى"و" فقال موسى للرب" لَتبلغ نحو سبعمائة أو أكثر في هذه الأسفار![٣]

ح ـ وجاء فيها أيضا: « هذا هو الكلام الذي كلم به موسى جميع إسرائيل

---

(١) الخروج١٦/ ٣٥.

(٢) العدد١٢/ ٣.

(٣) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق: د/ أحمد حجازي السقا٢/ ١٨٩، ودراسات في الكتاب المقدس لمحمود علي حماية ص٢٧.

في عبر الأردن[١]...»[٢]. فهنا استعمل مصطلح "عبر الأردن" للدلالة على الضفة الشرقية لنهر الأردن، ويقتضي هذا:

أولا: كون المتكلم - إن كان موسى عليه السلام فعلا - مقيما بالضفة الشرقية للنهر، وكيف يُتصور هذا والواقع أن بني إسرائيل لم يعبروا النهر إلا بعد أن قضى موسى نحبه عليه السلام في زمن التيه؟[٣]. وهذا ما يشهد به نص آخر من كتابهم المقدس أيضا: «...وارفع عينيك [يا موسى] إلى الغرب والشمال والجنوب والشرق، وانظر بعينيك لكن لا تعبر هذا الأردن. وأما يشوع[٤] فأوصه وشدده وشجعه، لأنه هو يعبر أمام هذا الشعب، وهو يقسم لهم الأرض التي تراها»[٥].

ثانيا: أن يكون الكاتب غير موسى عليه السلام، فلذلك تسنى له الإخبار أو الإبلاغ عنه بقوله: "الذي كلم به موسى جميع إسرائيل..." كما يقتضيه العقل أو المنطق السليم.

ط - شهادات غير المسلمين (من اليهود والنصارى) بأنّ موسى عليه السلام ليس

---

(١) الأردن: اسم عبري معناه "الوارد المنحدر" وهو اسم أهم أنهار فلسطين، ينبع من حضيض جبل الشيخ في سوريا ولبنان. قاموس ك.م. ص٤٦، ومحمد محمد شرّاب (م.ن.) ص١٠٨

(٢) التثنية ١/ ١.

(٣) انظر: محنة التوراة على أيدي اليهود لعصام الدين حفني ناصف ص٧٠، ونقد التوراة لأحمد حجازي السقا ص١٢١، و Friedman,R.Elliott: (op.cit.) P.20

(٤) هو يشوع بن نون: خادم موسى، ثم تلميذه وخليفته من بعده عليهما السلام، وقد دخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة تحت قيادته. تفسير ابن كثير ٢/ ٤٠، وقاموس ك.م. ص١٠٦٨.

(٥) التثنية ٣/ ٢٧-٢٨.

مؤلف الأسفار الخمسة المنسوبة إليه:-

١ ـ قول أبي الفتح السامري[(١)]: «قام عزرا[(٢)]، وزربابل[(٣)] ووضعوا[(٤)] لهم [اليهود العبرانيين] خطا غير الخط العبراني وجعلوا الحروف سبعة وعشرين حرفا، وتطرقوا إلى الشريعة المقدسة ونقلوها بالخط الذي ابتدعوه، وحذفوا كثيرا من سور الشريعة المقدسة... وزادوا وأنقصوا وبدلوا وحرفوا»[(٥)].

٢ ـ قول باروخ سبينوزا[(٦)]: «والمسألة الأساسية وهي أن عزرا الذي أعده المؤلف الحقيقي [لكتب العهد القديم] طالما لم يبرهن لي أحد على مؤلف آخر ببرهان أكثر يقينا، لم يكن آخر من صاغ الروايات المتضمنة في هذه الأسفار، وأنه لم يفعل أكثر من أنه جمع روايات موجودة عند كتّاب متعددين. وفي هذه الأحيان

---

(١) هو: أبو الفتح بن أبي الحسن السامري، صاحب: التأريخ مما تقدم عن الآباء.

(٢) عزرا الكاتب: أحد كهنة اليهود، ورؤسائهم الذين رجعوا من السبي البابلي. ويقال إنه الذي جمع لهم أسفار العهد القديم ونظمها، كما يعتبرونه أيضا مؤسس النظم اليهودية المتأخرة. قاموس ك.م. ص٦٢١. ولعله هو نفسه عزير الذي دعته اليهود ابن الله، كما في قوله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٣٠]، والله أعلم.

(٣) هو: زربابل ابن شالتيئيل ـ بالتبني ـ، وقد رجع اليهود من بابل في أول دفعة تحت قيادته. قاموس ك.م. ص٤٢٥.

(٤) هكذا، ولعل الصواب: ووضعا.

(٥) التأريخ مما تقدم عن الآباء، لأبي الفتح السامري ص٦٤-٦٥، نقلا عن البشارة بنبي الإسلام للسقا ١/ ٤٧.

(٦) هو: الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا، ولد بأمستردام في عام ١٦٣٢م من أسرة يهودية ثرية نزحت من البرتغال في القرن السادس عشر الميلادي، وقد طرد بعد ذلك من المجتمع اليهودي في سنة ١٦٥٦م بسبب أفكاره الحرّة. توفي في عام ١٦٧٧م. انظر: الموسوعة العالمية ١٢/ ١٤٦.

كان يقتصر على نسخها ونقلها على هذا النحو إلى الخلف دون فحصها أو ترتيبها. ولا أستطيع أن أخمن الأسباب التي منعته من إتمام عمله هذا، بحيث يوليه كل عنايته، إلا إذا كان موتا مبكرا»[(١)].

٣ ـ قول ول ديورانت: «كيف كتبت هذه الأسفار ومتى كتبت وأين كتبت؟ ذلك سؤال بريء لا ضير منه، ولكنه سؤال كتب فيه خمسون ألف مجلد ويجب أن يفرغ منه هنا في فقرة واحدة، نتركه بعدها من غير جواب: إن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هما القصتان المتشابهتان المنفصلة كلتاهما عن الأخرى في سفر التكوين، تتحدث إحداهما عن الخالق باسم يهوه، على حين تتحدث الأخرى عنه باسم إلوهيم. ويعتقد هؤلاء العلماء أن القصص الخاصة بيهوه كتبت في يهوذا، وأن القصص الخاصة بإلوهيم[(٢)] كتبت في إفرايم[(٣)]، وأن هذه وتلك قد امتزجتا في قصة واحدة بعد سقوط السامرة»[(٤)]، ثم يضيف (ديورانت) في نهاية هذا التصريح الطويل، أن الذي يظهر: أن الأسفار

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة لباروخ سبينوزا ص٢٨٣، نقلا عن: محمد بحر عبد المجيد (م.ن.) ص٣٩.

(٢) يهوه وإلوهيم: من الأسماء التي أطلقها اليهود على الخالق جل وعلا. قاموس ك.م. ص١٠٧، و١٠٩٦. وأما الحديث عن النصوص اليهوية والإلوهيمية، فسيأتي لاحقا إن شاء الله.

(٣) منطقة إفرايم: كانت تقع في القسم الأوسط من فلسطين الغربية، يحدها من الشمال منسى، ومن الجنوب بنيامين ودان، ومن الشرق نهر الأردن، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن أهم مدنها: شكيم وشليوه. وأما إفرايم نفسه فهو الابن الثاني ليوسف عليه السلام، ويسمى أحفاده بالإفرايميين أو سبط إفرايم، ومنهم يشوع بن نون، تلميذ موسى عليه السلام. قاموس ك.م. ص٩٠-٩١.

(٤) ول ديورانت (م.ن.) ٢/ ٣٦٧.

الخمسة هذه إنما اتخذت صورتها الحالية حوالي سنة ٣٠٠ق.م. فقط[١].

٤ ـ قول البروفيسور ريشارد فرايدمان[٢]: «في الوقت الحاضر، من الصعب أن يوجد عالم بالكتاب المقدس في العالم كله، يعمل بنشاط في المشكلة، [أي مشكلة تعدد المصادر بناءً على الاختلافات الموجودة في أخبار كتابهم المقدس] ويدّعي أن الأسفار الموسوية الخمسة قد كتبها موسى، ولا أي فرد آخر»[٣].

وأما قول القس الأمريكي جيمي شواغارت: «نحن نؤمن أن موسى قد كتب كل البنتاتوك إلا الترانيم[٤] الأخيرة القليلة من سفر التثنية... أكتبها هو أم يشوع؟ ...»[٥]. فذاك أيضا من مغالاطاته الكثيرة، فهنا يحاول ـ كما قد حاول غيره ـ التفريق بين المتماثلين، إذ إن اللغة والأسلوب اللذين كتبت بهما هذه الأجزاء الأخيرة لايختلفان في شيء عما كتب به سائر السفر[٦]، فكان الواجب إذًا أن يقر بأن موسى عليه السلام لم يكتب شيئا منه ولا من جميع الأسفار المنسوبة إليه اليوم.

وعلى ضوء ما تقدم من اعترافات يهودية ونصرانية نستنتج ما يلي:-

---

(١) (م.ن.) ٢/ ٣٦٨.

(٢) أستاذ اللاهوت النصراني بجامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وصاحب الكتاب ـ الإنجليزي ـ: " من هو مؤلف الكتاب المقدس؟".

(٣) Friedman,R. Elliott: (op.cit.) P.28.

(٤) جمع: ترنيم، وهو: تطريب الصوت. القاموس ص١٤٤١.

(٥) مناظرة ديدات وشواغارت بالولايات المتحدة الأمريكية (م.ن.).

(٦) انظر: Friedman,R.Elliott: (op.cit.) P.19.

أ ـ أن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى نبي الله موسى ﷺ، لم يكتبها هو ولا أمر بكتابتها، ولم تكتب في حياته. وإنما كتبت بعده بزمن طويل جدا، يترجح أن ذلك بعد عودة اليهود من السبي البابلي(١).

ب ـ أن صياغة هذه الكتب وتحريرها قد شارك فيهما أكثر من شخص، فلذلك جاءت أفكارها تمثل أكثر من مصدر أو وجهة نظرٍ.

ويكفي في البرهنة على هذا أن نعلم أن قضية واحدة جاء تناولها في سفرين مختلفين منها، وكل سفر أتى بتعليل ـ للقضية ـ يختلف عما جاء به الآخر. والقضية هي قضية تقديس يوم السبت، ووجوب الراحة فيه: إذ نقرأ في سفر الخروج أن السبب هو: «لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح(٢) في اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه»(٣). بينما يأتي في سفر التثنية أن السبب إنما: «...لكى يستريح عبدك وأمتك مثلك. واذكر أنك كنت عبدا في أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة، وذراع ممدودة، لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم

---

(١) السبي أو الأسر البابلي في تأريخ بني إسرائيل: يقصد به سقوط مملكة يهوذا وسبي شعبها إلى بابل على يد الملك البابلي نبوخذ نصر. وهذا السبي قد تم على مراحل، في عام ٦٠٥ ق.م.، و٥٩٧ ق.م.، و٥٨٧ ق.م.، و٥٨٢ ق.م. ـ على خلاف في بعض هذه التواريخ ـ. انظر: قاموس ك.م. ص٤٥٨.

(٢)كذبوا والله!!! فإن الله ﷻ لا يلحقه تعب ولا عجز حتى يحتاج إلى الراحة، كما قال تعالى عن نفسه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[ق: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[الرحمن: ٢٩].

(٣) الخروج ٢٠/ ١١.

السبت»[١]. فهل هناك ضرورة للتعليق على هذا؟ أو أن مجرد العرض كاف في إبراز المقصود؟ نعم، ولكنك لا تهدي من أحببت، والله الهادي إلى الصراط المستقيم، وله الحمد ﷻ على هدايته وتوفيقه.

وتجب ههنا ملاحظة ما أشار إليه ول ديورانت في هذا الجانب أيضا من أنه كانت هناك صورتان متباينتان لأسفار العهد القديم جاءت إحداهما من يهوذا، والأخرى من إفرايم! قبل أن تمتزجا بعد ذلك في وقت متأخر.

ج ـ أن الرأي الغالب، سواء في الأوساط اليهودية أو النصرانية، أن عزرا الكاتب هو الذي أعاد لهم كتابة الأسفار المقدسة بعد الأسر البابلي. وهناك رأي آخر أقل شهرة، وهو أن غاية ما عمله عزرا هو جمع الروايات الموجودة عند كتاب متعددين ونسخها، دون فحص أو ترتيب، وأنه حتى مجرد هذا (الجمع والنسخ) لم يكمله. أما لماذا لم يكمله، وإلى أين وصل فيه، ومن الذي نهض بالعمل بعده، وهل هو في نفس مستواه؟ كل هذه أسئلة لا تزال الإجابة عنها محاطة بالغموض والحيرة.

د ـ وحتى الوقت الحاضر، لا يزال بعض رجال الكنيسة في شك من هوية كاتب الأجزاء الأخيرة من البنتاتوك، أهو موسى أم تلميذه يشوع عليهما السلام، أم غيرهما؟ في حين يجزم آخرون منهم بأن موسى عليه السلام لم يكتب جميع هذه الأسفار، مع محاولة الفرار من بيان أو تحديد ما كتبه منها، وتمحيصه مما أدخل عليه، أو ـ حسب تقديري ـ أنهم يفقدون القدرة والكفاءة اللازمتين للقيام بذلك.

---

(١) التثنية٥/ ١٤-١٥.

فعلى هذا، يحق للباحث المحايد أن يتدخل في القضية للفصل فيها وفق ما تقتضيه القواعد العلمية. وإذا نظرنا في مجموع الآراء والحجج، يتضح أن هناك محل اتفاق بين جميع الطوائف المعنية، وهو أن نسبة هذه الأسفار الخمسة كلها إلى موسى عليه السلام ليست صحيحة ولا تساندها الأدلة التأريخية والعلمية. وإنما الخلاف في تعيين الجزء الثابت نسبته إليه، والجزء المنحول عليه، أهو كل هذه الأسفار أم بعضها؟

ولا شك أن أسهل وأحسن الطرق لإيجاد جواب مقنع وعلمي على هذا السؤال هو المقارنة بين ما جاء في كتاب الله العظيم (القرآن الكريم) والسنة الشريفة، وما جاء فيما يسمى اليوم بالبنتاتوك أو الأسفار الموسوية الخمسة، فما أقراه منها فهو الحق وما دلا على بطلانه فهو الباطل.

المطلب الثاني: الأسفار الأخرى في العهد القديم

تنسب هذه الأسفار إلى بعض أنبياء بني إسرائيل أو الكهنة من اليهود، وإن كان هؤلا جميعا في الواقع ـ أو أغلبهم ـ لم يكتبوا شيئا منها، فبعض من نسبت إليهم الأسفار ليس له وجود في التأريخ أصلا، وبعض هذه الأسفار ذاتها ما هو إلا أساطير وأغانٍ شعبية ألصقها كتابها ببعض الأنبياء أو المتنبئين من اليهود، بل كان بعض المؤلفين الحقيقيين لهذه الأسفار متأخر زمنهم عمن تحمل الأسفار أسماءهم اليوم[1]!

تأخذ نصوص هذه الأسفار عدة أشكال وألوان، من نثر وشعر وقصص وحِكم وأدب وفلسفة وأمثال وتشريع وأساطير وغزل ورثاء. كما أنها تنسب إلى

(١) انظر: اليهودية لأحمد شلبي ص٢٥١، ٢٥٣.

أناس من طبقات مختلفة: من رسول، ونبي، وملك، وقائد سياسي، وغيرهم[١]. أما الأنبياء منهم فأكرر أننا وبلا شك نؤمن بأن الله ﷻ قد أوحى إلى من شاء من خلقه بما شاء، أما أن تكون هذه الأسفار هي بعينها ما كتبها هؤلاء الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو ما أوحى الله به إليهم، فعليه كثير من علامات الاستفهام، وعديد من دواعي الاستنكار. بل إن الذي يترجح شرعا وعقلا أن اليهود إذ انحرفت عقيدتهم وسلوكهم أقصوا تعاليم أنبيائهم، لأنها أصبحت تخالف ما ألفوه من خُلق وتصرفات، ثم كتبوا لها بدائل مما ينسجم وهواهم وانحرافَهم.

أ. سفر يشوع:-

وإذا جئنا إلى أقرب هذه الأسفار إلى البنتاتوك، وهو سفر يشوع بن نون، نجد أن نسبته إليه لا يستند إلا إلى مجرد ظن وتخمين، حتى إن القوم أنفسهم قد اختلفوا في الأمر إلى خمسة آراء: فغالبيتهم تذهب إلى أن الكتاب من تصنيف يشوع كما هو مشهور، وقيل بل صنفه العازار[٢] بن هارون عليه السلام، وقيل بل هو لابنه فينحاس[٣]. ومنهم من ذهب إلى أن السفر من تأليف صموئيل[٤]، بل ذهب فريق منهم إلى أن مؤلفه إرميا الذي عاش بين القرن السادس والقرن

---

(١) انظر: قاموس ك.م. ص٧٦٢.

(٢) العازار: الابن الثاني لهارون النبي عليه السلام، وقد عاش رئيسا للاويين حتى زمن قيادة يشوع عليه السلام. قاموس ك.م. ص١٠٤.

(٣) أي ابن العازار وحفيد هارون عليه السلام. قاموس ك.م. ص٧٠٥.

(٤) قيل هو أول أنبياء العبرانيين بعد موسى ـ وهذا فيه نظر لثبوت نبوة يشوع عليه السلام في حديث صحيح كما سيأتي ـ وآخر القضاة منهم. قاموس ك.م. ص٥٥٢.

السابع قبل الميلاد[١] أي بعد يشوع عليه السلام بفترة تتراوح بين تسعة وستة قرون[٢]!

ولما كان الرأي المشهور في الأوساط النصرانية وغيرها أن سفر يشوع إنما هو لمن ينسب إليه، وتعتبر الآراء الأخرى آراءً ضعيفة، فسأقتصر هنا على مناقشة هذا الرأي الأقوى عندهم، لنقف معا على مدى قوته أو ضعفه، أيًّا كان.

إن أول ما يقرره القارئ العادي لهذا السفر هو أنه لا يمكن أن يكون كاتبه يشوع. إذ لو كان كذلك لكتبه ـ على الأقل ـ بصورة تظهر للناظر أنه يكتب حالات نفسه والأحداث التي رآها بعيني رأسه عليه السلام. بخلاف ما نجد فيه من التعبير عن نفسه بصيغة الغائب نحو: «وكان بعد موت موسى عبد الرب، أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا»[٣]، ونحو: «فأرسل يشوع بن نون... رجلين جاسوسين سرا...»[٤]، ونحو: «فبكر يشوع في الغد...»[٥]، والإخبار عن موت ودفن يشوع نفسه في الإصحاح الأخير من السفر![٦]، بل وروايات الأحداث التي كانت بعد وفاته بسنين، وربما بقرون!: «وعبد إسرائيل الرب كل أيام يشوع، وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع والذين

---

(١) انظر قاموس ك.م. ص٩٥٢.

(٢) وذلك بناءً على الخلاف في زمن خروج بني إسرائيل من مصر. وانظر (الآراء) في: رحمت الله الهندي (م.ن.) ١/١٢٩، والتراث الإسرائيلي في العهد القديم للدكتور صابر طعيمة ص٣١٠.

(٣)سفر يشوع١/١.

(٤) يشوع٢/١.

(٥) يشوع٣/١.

(٦) انظر: يشوع٢٤/٢٩-٣٠.

عرفوا كل عمل الرب الذي عمله لإسرائيل»[١].

ثم بمقارنة ما جاء في الإصحاح الثالث عشر من هذا السفر حيث يقول: «وأعطى موسى لسبط جاد بني جاد[٢] حسب عشائرهم. فكان تخمهم[٣] يعزير[٤]... ونصف أرض بني عمّون»[٥]، بما جاء في سفر التثنية: «كلمني الرب قائلا:... فمتى قربت إلى تجاه بني عمون، لا تعادهم ولا تهجموا عليهم، لأني لا أعطيك من أرض بني عمون ميراثا، لأني لبني لوط قد أعطيتها ميراثا»[٦]، وما جاء في التثنية أيضا وهو: «...الجميع دفعه الرب إلهنا أمامنا. ولكن أرض بني عمون لم نقربها»[٧]، يتضح لنا أن بين حكاية السفرين تناقضا واختلافا، ولا يتصور أن يكتب يشوع ما يخالف شيئا قد ورد في سفر التثنية التي يُزعم أن شيخه موسى عليهما السلام قد كتبه بيده! لا سيما وأن الحكاية عن حادثة وقعت في حضور يشوع نفسه. فإما ألا تكون التوراة الحالية من تأليف موسى عليه السلام ـ وهذا ما لا يقول به القوم كما نعلم ـ أو لا يكون سفر يشوع من مكتوبات تلميذه يشوع، عليهما

---

(١) يشوع ٢٤/ ٣١.

(٢) هو جاد بن يعقوب عليه السلام من زلفة جارية زوجته: ليئة. قاموس ك.م. ص٢٤١.

(٣) التخم والتخوم: الفصل بين الأرضين من المعالم والحدود، يقال أرضنا تتاخم أرضكم أي تحادّها. القاموس ص١٣٩٩.

(٤) اسم مدينة تقع عشرة أميال غربي ربة بني عمون، ويقال إنها الآن خربة جزر جنوبي السلط، قرب عين هزير على وادي شعيب. قاموس ك.م. ص١٠٧٣.

(٥) يشوع١٣/ ٢٤-٢٥.

(٦) التثنية ٢/ ١٧-١٩.

(٧) التثنية ٢/ ٣٦-٣٧.

وعلى جميع الأنبياء والرسل الصلاة والسلام[١].

ومما يؤكد عدم علاقة يشوع عليه السلام بهذا السفر ما جاء في الإصحاح العاشر منه: « فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه. أليس هذا مكتوبا في سفر ياشر »[٢]. إذ يفيد أن كاتب سفر يشوع نقل بعض الحالات عن هذا السفر، وقد جاء ما يفيد أن كاتبه، أعني سفر ياشر[٣]، رجل قد عاصر داود النبي عليه السلام، أو عاش بعده[٤]، وذلك لما جاء في سفر صموئيل الثاني: « وقال [داود] أن يتعلم بنو يهوذا نشيد القوس[٥]، هو ذا ذلك مكتوب في سفر ياشر »[٦]، وما صرح به نخبة من علماء النصارى في قاموس كتابهم المقدس: « وإنه [سفر ياشر] لا يمكن أن يكون قد كتب قبل عصر داود وسليمان »[٧]. فالنتيجة من هذا كله أن يكون مؤلف سفر يشوع قد عاش في ما بعد القرن العاشر قبل الميلاد أو فيه[٨]، فأين هو من يشوع الذي لا

---

(١) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٣٣ بتصرف.

(٢) يشوع ١٠/ ١٣.

(٣) هكذا في الترجمات العربية من طبعة عام ١٨٦٥م فما بعدها، وأما في الترجمة المطبوعة عام ١٨٤٤م ففيها "سفر الأبرار"، وفي المطبوعة عام ١٨١١م: "سفر المستقيم" (انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٣١). وجاء في قاموس ك.م. ص١٠٤٥ أن "ياشر" كلمة عبرية تعني: "مستقيم".

(٤) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٣١.

(٥) لم أقف على المراد به، أعني: نشيد القوس.

(٦) صموئيل الثاني ١/ ١٨.

(٧) قاموس ك.م. ص١٠٤٦.

(٨) لأنهم يقولون إن داود عليه السلام قد توفي في عام ٩٧٠ ق.م. انظر: قاموس ك.م. ص٩١٦.

خلاف في أنه قد انتقل إلى رحمة ربه قبل القرن الثاني عشر قبل الميلاد على الأقل![1].

ويؤيد هذا كذلك ما جاء في الإصحاح الثامن عشر من السفر أيضا من اجتماع بني إسرائيل لتقسيم الأرض على أسباطهم، وإحضار رجال من كل سبط لكتابة نصيبهم من الأرض، وإقامة بيت يهوذا في الجنوب، وبيت يوسف عليه السلام في الشمال...الخ[2]، فقد لاحظ النقاد أن كل هذه من الأحوال والأوضاع التي لازمت اليهود بعد العودة من السبي البابلي وأثناءه، لا قبله[3].

ب. سفر نحميا :-

ذهب جماهير علماء اليهود والنصارى إلى أن السفر من تأليف نحميا[4]، وذهب فريق منهم إلى أن مؤلفه عزرا الكاتب[5]. وسأورد فيما يلي إن شاء الله، أدلة تثبت عدم علاقة السفر لا بنحميا ولا بعزرا.

أولا: جاء في السفر: « وكان اللاويّون في أيام ألياشيب[6]... مكتوبين

---

(١) أي مع كل الخلافات الموجودة في ذلك كما تقدمت الإشارة إليه في ص١٦١.

(٢) انظر: يشوع ١٨/ ١-٦.

(٣) انظر: صابر طعيمة (م.ن.) ص٣١١-٣١٢.

(٤) نحميا: كان من اليهود المسبيين في بابل، وقيل قد اشتغل في تلك الأثناء في بلاط الملك ساقيا حتى حظي بثقته، وعندما سمح لليهود بالعودة إلى الأراضي المقدسة عيّن نحميا حاكما على ولاية اليهودية وكان ذلك حوالي سنة ٤٤٤ ق.م. قاموس ك.م. ص٩٦١-٩٦٢.

(٥) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٣٦.

(٦) ألياشيب بن يوياقيم بن يشوع اللاوي، وقد خلف أباه في رئاسة الكهنة، قيل إنه كان معاصرا لنحميا! قاموس ك.م. ص١١٠، وانظر كذلك: سفر نحميا ١٢/ ٨-١٠.

رؤوس آباءٍ والكهنة أيضا في ملك داريوس[١] الفارسي»[٢]. وهذا في رأي بعض الباحثين لايمكن أن يكون كاتبه نحميا الذي عاش في القرن الخامس ق.م.، إذ إنه عاد من السبي إلى القدس في سنة ٤٤٤ ق.م.، ولا عزرا الذي لم يسبقه بالعودة إلا بنحو ثلاث عشرة سنة فقط[٣]، في حين أن داريوس الملك إنما ولد في سنة ٣٨٠، وتوفي في ٣٣٠ ق.م.، أي أن بينه وبين كل من نحميا وعزرا ما يزيد على قرن من الزمن![٤].

ومع كل الاحترام والثقة بأصحاب هذا المسلك ـ وهم بلا شك فرسان هذا الميدان الشاق ـ إلا أنه يبدو لي ـ والله أعلم ـ ضعفه في الطعن في نسبة السفر إلى نحميا أو حتى عزرا، وذلك لأن محوره كله، وأساسه إنما على القول بأن داريوس المذكور في النص هو داريوس الثالث المتوفى عامَ ٣٣٠ ق.م. بحيث لو أُثبت لنا أن داريوس المعني غير داريوس الثالث، يسقط ـ تلقائيا ـ هذا الاحتجاج، لا سيما وأن أكثر من واحد من ملوك الفرس قد عرفوا في التأريخ بهذا الاسم نفسه. بل إن الذي أميل إليه هو أن داريوس المعني في النص هو داريوس الأول الذي عاش

(١) داريوس أو دارا: اسم عدد من ملوك الفرس، والمذكور في النص هنا ـ حسب قول كثير من النقاد المسلمين وغيرهم (انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٣٦، وصابر طعيمة (م.ن.) ص٣١٦)، ـ هو داريوس الثالث الذي ولد في سنة ٣٨٠ ق.م.، وتوفي في ٣٣٠ ق.م. وقد ملك من ٣٣٦ إلى ٣٣٠ ق.م.، وهو الذي هزمه الإسكندر في معركة إيسوس عام ٣٣٣ ق.م. (محمد فريد وجدي (م.ن.) ٩/ ٤٥، ومعجم أعلام المورد لمنير البعلبكي ص٢٣، وقاموس ك.م. ص٣٥٦).ولي تعليق عليه سيأتي إن شاء الله قريبا.

(٢) نحميا ١٢/ ٢٢.

(٣) انظر: قاموس ك.م. ص٩٦٢.

(٤) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٣٦، وصابر طعيمة (م.ن.) ص٣١٦.

من سنة ٥٥٠ إلى سنة ٤٨٦ ق.م[١]. وذلك لعدة أمور، من أهمها:

أ ـ أنه إما أن يكون قد عاش قبل نحميا وعزرا، أو يكون معاصرا لأحدهما أو للاثنين معا، وذلك بناءً على بيان الزمن الذي عاش فيه الجميع كما تقدم أعلاه.

ب ـ ولأن فترة ملكه (٥٢٢ ـ ٤٨٦ ق.م.) تتناسب أكثر مع الأحداث التي يشير إليها هذا النص، لكونه كما يقال: قد أَمر في عهده بأن يرجع اليهود إلى أورشليم واستكمال بناء الهيكل[٢] هناك[٣].

ج ـ كما أن هذا الاسم قد ورد لأكثر من مرة في السفر الذي يحمل اسم عزرا[٤]، وهو ظاهر جدا في أن المراد هو هذه الشخصية، والله أعلم.

لكن من وجهة نظري، أرى أن ثمة وجها آخر للاستفادة من هذا النص نفسه في الاستدلال على بطلان نسبة السفر إلى نحميا أو عزرا، وذلك كما يلي:-

إذا أخذنا النص بكامله نجد أنه هكذا: «وكان اللاويّون في أيام ألياشيب ويوياداع ويوحانان ويدوع، مكتوبين رؤوسَ آباءٍ، والكهنة أيضا في ملك داريوس الفارسي. وكان بنو لاوي رؤوسُ الآباء مكتوبين في سفر أخبار الأيام إلى أيام يوحانان بن ألياشيب»[٥]. وإذا ما أردنا تحليل النص بكل إنصاف ومن

---

(١) انظر: قاموس ك.م. ص٣٥٦، ومعجم أعلام المورد لمنير البعلبكي ص٢٣.

(٢) الهيكل: في اصطلاح اليهود هو مكان عبادة الله، أي مثل الكنيسة عند النصارى. وأما عند الإطلاق فالمقصود به هيكل القدس، ويسمونه أيضا: هيكل سليمان. قاموس ك.م. ص١٠١٢-١٠١٣.

(٣) انظر: عزرا ٦/ ١-١٥، وقاموس ك.م. ص٣٥٦.

(٤) انظر مثلا: ٥/ ٥، ٦، ٧، و٦/ ١و١٥.

(٥) نحميا ١٢/ ٢٢-٢٣.

غير تعصب، لا شك أن النتيجة هي: أنه عبارة عن حكاية محضة لأحداث الماضي، واسترجاع لذكرياته. إذا تقرر هذا، بقي أن نعرف من هم هؤلاء المذكورون، والذين ـ وفق النص ذاته ـ قد باشروا الأحداث التي يحكيها لنا هنا نحميا أو عزرا (كما يُفترض)؟ فأولهم في الترتيب: ألياشيب، معاصر لنحميا[١]!، وأما الباقون، أعني: يوياداع، ويوحانان، ويدوع، فهم: ابن ألياشيب، وحفيده[٢]، وابن حفيده على الترتيب![٣]. فإذا كان نحميا ـ وكذلك عزرا بطبيعة الحال ـ معاصرين للجد الأعلى: ألياشيب، فمعنى ذلك أن هؤلاء المذكورين معه بمثابة الأبناء أو الأحفاد لهما، أو بعبارة أوضح، إنهم قد عاشوا في الأجيال التي أتت بعدهما. فيا ترى أي عقل يصدق أنهما قد كتبا حكاية لأحداث زمن هؤلاء الأحفاد الذين لم يولدوا بعد!؟ أعني حتى لو غضينا الطرف وقلنا بإمكانية حكايتهما لأحداث زمن معاصرهما: ألياشيب ـ الجد الأعلى لهؤلاء ـ مع أن هذا أيضا بعيد جدا كما هو واضح في النص المذكور أعلاه.

أضف إلى ذلك أنه بعد هذا النص بثلاثة أسطر فقط تقريبا، ذكرت فيها أسماء عدد من رؤساء اللاويّين، جاء قول الكاتب: «كان هؤلاء في أيام يوياقيم[٤] ابن يشوع بن يوصاداق، وفي أيام نحميا الوالي وعزرا الكاهن الكاتب»[٥]! وما

---

(١) انظر: قاموس ك.م. ص١١٠.

(٢) مع ملاحظة نسبة هذا إلى جده ألياشيب ـ عمدا أو سهوا أو مغالطةً ـ كما في الجملة الأخيرة من النص!

(٣) انظر: نحميا ١٢/ ١٠-١١، مع: قاموس ك.م. ص١١٢٥.

(٤) أي والد ألياشيب المذكور مع بنيه في النص السابق. انظر: نحميا ١٢/ ١٠، وقاموس ك.م. ص١١٢٩.

(٥) نحميا ١٢/ ٢٦.

جاء في موضع آخر منه[١]: «وكان كل إسرائيل في أيام زربابل وأيام نحميا يؤدون أنصبة المغنين والبوابين أمر كل يوم في يومه...»[٢]. فهل هذه أيضا من مكتوبات نحميا أو عزرا، أو أنها من مرويات غيرهما عن أحداث زمانهما؟ والله المستعان.

وجاء في المدخل إلى كتاب النصارى المقدس بالفرنسية ما يلي: «جرت العادة بأن تنسب مجموعة أسفار الأخبار، وعزرا، ونحميا[٣]، إلى كاتب واحد لا يعرف اسمه[!] ويقال له محرر الأخبار»[٤].

ويقول الطبيب الفرنسي: موريس بوكاي[٥]: «إن سفري أخبار الأيام الأول والثاني، وكتاب عزرا، وكتاب نحميا، تنتمي إلى كاتب واحد اسمه القصّاص، الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد... الواقع أنه يستخدم فوق كل شيء سفر صموئيل، وسفر الملوك، "بل هو ينسخهما آليا دون أن يبالي بالمتناقضات الناجمة عن ذلك"»، إلى أن قال: «لقد انتقد كل من سفر عزرا ونحميا بشدة، لأنهما مليئان بالإبهام، ولأنهما يتعلقان بعصرٍ (القرن الرابع ق.م.)

---

(١) انظر: صابر طعيمة (م.ن.) ص٣١٦.

(٢) نحميا ١٢/ ٤٧.

(٣)يعني كلا من سفري أخبار الأيام الأول والثاني، وسفر عزرا، وسفر نحميا.

(٤) الكتاب المقدس للرهبانية اليسوعية ص٧٢٨، نقلا عن: الكتاب المقدس في الميزان لعبد السلام محمد ص١٠٠.

(٥) هو: الدكتور موريس بوكاي، جرّاح فرنسي متقاعد، تعلم العربية في الخمسينات من عمره بهدف قراءة القرآن الكريم، ودراسته وتفسيره. من أهم مؤلفاته: الكتاب المقدس والقرآن والعلم، وكتاب: ما أصل الإنسان؟ (إجابات العلم والكتب المقدسة). انظر: رجالٌ نوّر الله قلوبَهم، لمصطفى فوزي غزال ١/ ١٦٥-١٦٧.

هو نفسه غير معروف جيدا، وذلك لقلة ما يوجد من الوثائق ـ غير المتعلقة بالكتاب المقدس ـ التي ترجع إلى هذا القرن »[١].

هذا ويجدر بالذكر أن سفر نحميا بخلاف ما قبله (سفر يشوع)، قد حاول كاتبه في عبارات كثيرة التحدث عن نفسه مدّعِيًا شخصيةَ نحميا، كقوله: « فحملتُ الخمر وأعطيتُ الملك... »[٢]، وقوله: « فجئت إلى أورشليم وكنت هناك ثلاثة أيام »[٣]، وما خَتم به السفر وهو قوله: « فاذكرني يا إلهي بالخير »[٤].

* ـ الأسفار المنسوبة إلى نبي الله سليمان عليه السلام:- (الأمثال ـ الجامعة ـ نشيد الأنشاد)

ج. سفر الأمثال:-

بالنسبة لسفر الأمثال، الذي يظهر أنه ليس من صنيع شخص واحد، ولا نتاج عصر واحد. وإنما شارك في صناعته أكثر من مصدر، وساهم في صياغته أكثر من محفل، الأمر الذي أدى إلى فقدان الوحدة والتناسق في الأسلوب، بل أشبه ما يكون بالآداب الشعبية التي تتناقلها الأجيال واحدا بعد آخر، وتتعرض غالبا لكثير من الزيادات أو النقصان[٥]. علاوة على ما يشوبه أو يشينه من

(١) Bucaille,Maurice: (op.cit.) P.16، وفي الترجمة العربية ص٣٤، مع ملاحظة بعض الاختلافات الجوهرية بينهما.

(٢) نحميا ٢/ ١.

(٣) نحميا ٢/ ١١.

(٤) نحميا ١٣/ ٣١.

(٥) انظر: اليهودية لأحمد شلبي ص٢٤٣ بتصرف.

اختلاف المحاورات، وتكرار الفقرات من غير حاجة ملزمة لذلك.

ومن الشواهد على بطلان نسبة هذا السفر إلى نبي الله سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ما يلي:

١ ـ جاء في الإصحاح الخامس والعشرين منه: «هذه أيضا أمثال سليمان التي نقلها رجال حزقيا[(١)] ملك يهوذا»[(٢)]. وفيه تصريح واضح بأن جزءًا من هذه الأمثال ـ على أقل تقدير ـ إنما أُلِّف أو دوِّن بعد وفاة سليمان عليه السلام بأكثر من قرنين من الزمن[(٣)]، والله أعلم.

٢ ـ جاء في بداية الإصحاحين الثلاثين، والحادي والثلاثين ما يلي: «كلام أجور ابن متقية مسّا[(٤)]، وحي هذا الرجل إلى إيثيئيل[(٥)]...»[(٦)]. و«كلام لَموئيل[(٧)]

---

(١) هو: حزقيا بن آحاز، وقد ملك على يهوذا من ٧٢٨ إلى ٦٩٣ ق.م. قاموس ك.م. ص٣٠٥-٣٠٦.

(٢) الأمثال ٢٥/ ١.

(٣) وذلك لأن وفاة سليمان عليه السلام كما يقال إنما كانت في سنة ٩٣١ ق.م. (قاموس ك.م. ص٩١٦).
انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٤١.

(٤) أجور: جاء في ترجمته في قاموس ك.م. ص٢٨: "اسم لرجل حكيم، وربما أطلق عليه هذا الاسم لأنه جمع أقوال الحكماء في أمثال: الإصحاح الثلاثين، ويذكر في الترجمة العربية بأنه ابن متّقية ولكن بحسب الأصل العبراني يجب أن تكون ابن ياقة"!

(٥) إيثيئيل: جاء في التعريف به في قاموس ك.م. ص١٤١: "اسم واحد من اثنين، وجه إليهما أجور خطابه في أمثاله" وبلفظ آخر: يعني أن الرجل مجهول!

(٦) أمثال ٣٠/ ١.

(٧) لموئيل: جاء في التعريف به في قاموس ك.م. ص٨١٩-٨٢٠ ما يلي: "هو ملك مسّا في شمال جزيرة العرب، وقد علمته أمه (أمثال٣١/ ١)، وقد زعم بعض المفسرين اليهود أن لموئيل لقب لسليمان، ولا يوجد أساس ثابت لهذا الرأي"!

ملك مسّا[١]، علمته إياه أمه»[٢]. ففي هذا دليل قاطع على أن الإصحاحين ليسا من تأليف سليمان عليه السلام، بل الأول لأجور والثاني للموئيل كما يقر بهذا جمع من علماء النصارى مع اختلافهم في هوية الرجلين ونبوتهما[٣]. والعجيب أن علماء النصارى أنفسهم يبدون شكوكا حيال بعض ما جزم به هذا السفر ههنا، أعني نسبته كلا من أجور ولموئيل إلى قبيلة مسّا كما هو في النصين المذكورين قبل قليل، حيث جاء في قاموس كتابهم المقدس: «وربما كان أجور ولموئيل من هذه القبيلة[أي مسّا]»[٤]!

وعودةً إلى موضوع نسبة السفر إلى سليمان عليه السلام، إليكم ماجاء من شهادة الآباء القدماء للكنيسة حيث قالوا: «وضع سليمان قسما وافرا من الأمثال، على أنه لا يمكننا أن نقول إن كتاب المزامير كله هو تأليف الملك داود، وأن سفر الأمثال برمته هو من وضع سليمان الحكيم»[٥]. كما يقول غيرهم من آباء الكنيسة المتأخرين: «يستحيل تحديد أصل هذه المجموعات حتى المسندة منها إلى سليمان... إن عددا كبيرا من هذه الأمثال، لا صفة دينية لها البتة»[٦].

---

(١) مسّا: قيل إنه ابن اسماعيل عليه السلام، ويظن أنه أب لشعوب قبيلة "الماني" الساكنين بقرب الجوف في شمالي جزيرة العرب. قاموس ك.م. ص٨٨٩.

(٢) أمثال ٣١/ ١.

(٣) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٤١، وقاموس ك.م. ص٢٨، و١٤١، و٨٢٠.

(٤) قاموس ك.م. ص٨٨٩.

(٥) مجموعة الشرع الكنسي، جمع وتنسيق: الارشمندريت حنانيا إلياس كسّاب ص٨٤٧.

(٦) الكتاب المقدس للآباء اليسوعيين ٢/ ١٦٦، نقلا عن عبد السلام محمد (م.ن.) ص١٠٢.

د. سفر الجامعة :-

وحاله ليس بأحسن من حال سابقه، فقد اختلفوا في مصنفه الحقيقي، قيل إنه سليمان عليه السلام كما هو مشهور، وقيل إشعياء[(١)]، وقيل حزقيا، بل ذهب بعض علمائهم إلى أنه إنما كُتب بعد الأسر البابلي[(٢)]!

وأيا كان من هذه الأقوال، فإن الذي يجب تقريره واعتقاده أن هذا السفر بما فيه من بعض عبارات الزندقة والإباحية[(٣)] لا يمكن أن يكون من تصنيف نبي الله سليمان عليه السلام. ويشهد لهذا ما جاء عن بعض رؤساء الكنيسة عن هذا السفر ومؤلفه الحقيقي: « يبتدئ الغموض بشخص المؤلف نفسه الذي يدعي في الفصل الأول أنه ابن داود، وملك في أورشليم[(٤)]... وكان يجب أن لا تغش هذه التسمية الوهمية أحدا »[(٥)]!

هـ. سفر نشيد الأنشاد :-

هذا السفر الذي هو عبارة عن غزل، وموضوع غرامي، وأغان شعبية، فنحن نبرئ ساحة نبي الله سليمان عليه السلام من مثل هذه الأمور. بل إن القوم أنفسهم لم

---

(١) هو إشعياء بن آموص: قيل إنه كان أحد أنبياء بني إسرائيل عليهم الصلاة والسلام، وينسب إليه أحد أسفار العهد القديم. عاش في القرن الثامن وأوائل القرن السابع قبل الميلاد. قاموس ك.م. ص٨١-٨٣.

(٢) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٤٤.

(٣) انظر على سبيل المثال: ٧/ ١٦-١٨.

(٤) انظر: الجامعة ١/ ١.

(٥) الكتاب المقدس للآباء اليسوعيين ٢/ ٢٠٨، نقلا عن عبد السلام محمد (م.ن.) ص١٠٢.

يتفقوا في نسبة السفر إليه، فقد ذهب عدد من علمائهم إلى أن السفر موضوع ومزور وملحق[(١)]، وحكم بعضهم بإخراجه من كتابهم المقدس، لما يحتوي عليه من مواضيع الفسوق والفجور[(٢)]. يقول المؤرخ ول ديورانت: «وفي هذه الكتابات الغرامية العجيبة مجال واسع للحدس والتخمين»[(٣)]. ويقول آخرون منهم: « ... من الواضح أن مؤلفه ليس سليمان، لقد نسب نشيد الأنشاد إلى سليمان كما نسب إليه سفر الأمثال وسفر الجامعة وسفر الحكمة»[(٤)].

و- سفر دانيال:-

ينسب هذا السفر لدانيال[(٥)] الذي عاش حتى زمن سقوط بابل[(٦)] في ٥٣٨ ق.م.، ويستبعد كثير من الباحثين أن يكون السفر قد ألف في ذلك الزمن البعيد، أو أن يكون دانيال هو المؤلف الحقيقي له. بل يرون أنه تأليف رجل فاقد الاتزان، وأن زمن تأليفه بعد سقوط بابل بثلاثة قرون أو أربعة ـ أي في القرن الثاني قبل الميلاد ـ، حيث يظهر منه أن كاتبه أراد إقناع مواطنيه في عصر بلغ

---

(١) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٤٥.

(٢) نفسه. وانظر على سبيل المثال: ١/ ٢-٤، و٣/ ١-٤، و٥/ ١-٣، والإصحاح السابع كله.

(٣) ول ديورانت (م.ن.) ٣/ ٣٨٨.

(٤) المدخل الفرنسي للكتاب المقدس (كتب الحكمة) ص١٣٧٨، نقلا عن عبد السلام محمد (م.ن.) ص١٠٣.

(٥) دانيال: قيل إنه كان أحد أنبياء بني إسرائيل عليهم الصلاة والسلام وأنه كان من المسبيين في بابل. قاموس ك.م. ص٣٥٧.

(٦) بابل: مدينة شهيرة في العالم القديم، كانت تقع على ضفتي نهر الفرات، بالقرب من مدينة الحلة الحالية في العراق، وكانت تعرف قديما بأرض شنعار. قاموس ك.م. ص١٥٧، والموسوعة العالمية ٤/ ١٢.

فيه الخراب المقوت ذروته، بأن موعد الخلاص على الأبواب كي ينشط إيمانهم[١]. ولعل مما يؤيد هذا ما يلي:

١ ـ أن السفر يتضمن ألفاظا مقدونية[٢]، ولم يكن اليهود في زمن الأسر البابلي قد خالطوا اليونانيين بعد، ولا صكت[٣] أسماعهم اللغة اليونانية.

٢ ـ يوجد فيه وصف للكلدانيين[٤]، لا يتسنى الإتيان به لكاتب سابق على عصر الإسكندر[٥]، الذي عاش حتى عام ٣٢٣ ق.م.

٣ ـ بالنسبة للأسماء البابلية الواردة فيه، قيل إن التصحيف قد دخلها، الأمر الذي يؤكد أنها غريبة على الكاتب، وأنه بعيد عن البيئة البابلية، وإن حاول ادّعاء شخصية دانيال الذي عاش فعلا في تلك البيئة[٦].

هذا، ويلاحظ في عبارات هذا السفر أن الكاتب أحيانا يعبر عن دانيال بصيغة

---

(١) انظر: Bucaille,Maurice: (op.cit.) P.18 بتصرف.

(٢) نسبة إلى مقدونيا: منطقة تأريخية في شبه جزيرة البلقان بجنوب شرقي أوروبا، وتشمل كل المنطقة المعروفة بهذا الاسم بالإضافة إلى أجزاء من شمالي اليونان وجنوب شرقي بلغاريا. ويقال إن مملكة مقدونيا تأسست في القرن السابع ق.م. انظر: قاموس ك.م. ص٩١٠، والموسوعة العالمية ٢٣/ ٥٥٣-٥٥٤.

(٣) الصك هو الضرب الشديد بعريض. القاموس ص١٢٢١.

(٤) الكلدانيّون: سكان "كلدانيا": اسم كان يطلق قديما في الأغلب على القسم الجنوبي الأقصى من وادي دجلة والفرات، وكان يسع أحيانا فيشمل بابل. والكلدانيون هم الجنس الغالب في بابل من ٧٢١ إلى ٥٣٩ ق.م.. انظر: قاموس ك.م. ص٧٨٥، والموسوعة الميسرة ص١٤٧٢.

(٥) هو: الإسكندر الأكبر ابن فيليب الثاني، ملك مقدونيا، ولد عام ٣٥٦ وتوفي عام ٣٢٣ ق.م.، وهو مؤسس مدينة الإسكندرية. الموسوعة الميسرة ص١٥١، ومعجم أعلام المورد لمنير البعلبكي ص٦.

(٦) انظر فيما تقدم: محنة التوراة لعصام الدين حفني ناصف ص٥٩-٦٦.

الغائب، وأحيانا أخرى يعبر عنه بضمير المتكلم: "أنا" ولا سيما في الإصحاحات الأخيرة، والله أعلم.

ز. سفر أيوب:-

اختُلف أيضا في مؤلفه الحقيقي، فذهب بعضهعم إلى أن السفر لموسى! عليه السلام ويبدو أن هؤلاء يدعمون موقفهم هذا بمكان هذا السفر حسب بعض النسخ القديمة لكتاب النصارى المقدس[١]، حيث يقع سفر أيوب - في الترتيب - بين سفري التثنية ويشوع. وذهب آخرون إلى نسبة السفر إلى أيوب باعتباره شخصيةً تأريخية عاشت قبل عهد موسى، في أيام يعقوب عليهما السلام، ولسنا نعلم ولا هم أيضا يعلمون حقيقة هذه الشخصية الخيالية، ولعل هذا ما دفع بعضهم إلى إنكار هذا الاسم "أيوب" وشخصيته كليا. بينما يرى آخرون ومنهم موسى بن ميمون[٢] وجمع من علماء اليهود، وزعيم البروتستانت[٣] أن السفر ما هو إلا قصة روائية كاذبة أو حكاية محضة. في حين يعتقد البعض أن السفر في أصله لم يكن عبريا كغيره، وإنما ترجم إلى العبرية، وإن كان صاحب هذا الرأي غير مستعد ليقدّم لنا النسخة الأصيلة المترجم منها، ولا للإشارة إلى مكان وجودها على الأقل!

---

(١) مثل النسخة السريانية.

(٢) هو: موسى بن ميمون اليهودي، فيلسوف يهودي، ولد في قرطبة عام ١١٣٥م، وسكن بعد ذلك في كل من فاس، وفلسطين، ثم القاهرة حيث أصبح رئيس المجتمع اليهودي. له شرح على المشناة (التلمود) انتهى منه عام ١١٦٨م. توفي سنة ١٢٠٤م.

Oxford Dictionary of the Christian Church P.859

(٣) أي مارتن لوثر، وسيأتي الحديث عنه إن شاء الله في أواخر الباب الثالث.

وهناك فئة من علماء اليهود والنصارى ترى أن السفر إنما ألف في وقت متأخر، قيل في زمن سليمان عليه السلام، وقيل بل بعد السبي البابلي. مستدلين ببعض ما جاء في السفر نفسه مثل: «هل تنصّتّ[١] في مجلس الله أو قصرت الحكمة على نفسك»[٢]، زاعمين أن ذلك من معهودات الزمن المتأخر، وبالتحديد، زمن سليمان عليه السلام[٣].

أما حجة الفريق القائل بأن السفر يرجع تأريخ كتابته إلى عصر الآباء الأولين، أعني قبل زمن موسى عليه السلام، فهي أنه لم ترد فيه إشارة واحدة إلى خروج بني إسرائيل من مصر، ولا إلى خراب المدن التي دمرتها الزلازل... الخ، وأن البيئة والظروف التي تحدث عنها شبيهة بالبيئة والظروف التي عاش فيها هؤلاء الآباء[٤].

هذا وقد رجح بعض الباحثين المعاصرين كون سفر أيوب قد ألف في وقت متأخر، أي في الثلاثمائة الأخيرة قبل الميلاد، وذلك بالنظر إلى لغة هذا السفر التي تُشكّل فيها مؤثرات آرامية[٥] أو عربية آرامية حيزا ملحوظا منها[٦]، وفي

---

(١) يقال: انتص فلان أي انتصب وارتفع، والمِنصّة: ما يُرفع عليه، ونصّ الشيءَ: أظهره. القاموس ص٨١٦.

(٢) أيوب١٥/ ٨.

(٣) انظر فيما تقدم: رحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٣٧، وصابر طعيمة (م.ن.) ص٣١٧، وقاموس ك.م. ص١٤٨، بتصرف.

(٤) انظر: صابر طعيمة (م.ن.) ص٣١٨، وقاموس ك.م. ص١٤٨.

(٥) اللغة الآرامية: إحدى اللغات السامية الشمالية، ويعتقد أنها كانت السائدة في المجال السياسي والتجاري في مناطق كثيرة من الشرق الأوسط القديم. قاموس ك.م. ص٤٣-٤٤.

(٦) انظر: صابر طعيمة (م.ن.) ص٣١٨، وقاموس ك.م. ص١٤٨.

رأي آخرين من علماء كتاب النصارى المقدس أن مؤلفه مجهول، وأن ما ذكر من نسبته إلى هذا الشخص أو ذاك، كله مجرد آراء لا يمكن إثبات شيئ منها على وجه اليقين، كما أن تأريخ كتابته أيضا لا يمكن تعيينه على وجه التحقيق[١].

ح- سفر إشعياء:-

لقد اختلف اليهود والنصارى حول هذا السفر اختلافا يفوق اختلافهم في أي سفر آخر من أسفارهم المقدسة، فرغم كبر حجم هذا السفر[٢]، ورغم كون إشعياء الذي يحمل السفر اسمه من أشهر أنبياء العهد القديم إلا أنه لا يعرف إلا القليل من سيرته[٣].

وعندما نسلط الضوء على الاختلاف الواسع حول هذا السفر، وخصوصا في الجانب المتصل بكاتبه، نجد أن أشهر الاتجاهات فيه ثلاثة:-

الأول: أن السفر كله كاتبه هو إشعياء النبي.

والثاني: أن إشعياء إنما كتب جزءًا منه فقط، ثم يختلف أصحاب هذا القول في تحديد الجزء المزعومة نسبته إليه، فذهب بعضهم إلى أن ما كتبه هو الإصحاح الأول وحتى آخر الإصحاح التاسع والثلاثين، ويرى البعض الآخر أن ما كتبه إنما هو الإصحاح الأربعون وحتى آخر السفر!

---

(١) انظر: قاموس ك.م. ص١٤٨، وتفسير الكتاب المقدس لدافدسن وجماعة من اللاهوتيين ٣/ ١١، نقلا عن: عبدالسلام محمد (م.ن.) ص١٠١.

(٢) إذ فيه ستة وستون إصحاحا، ويعني ذلك أنه ثاني أكبر أسفار العهد القديم - بعد المزامير - من حيث عدد الإصحاحات.

(٣) انظر: صابر طعيمة (م.ن.) ص١٧٢.

والثالث: تقسيم السفر إلى ثلاثة أقسام، كل قسم منها ينسب إلى مؤلف معين[١]. وسيأتي تفصيل ذلك كله فيما يلي إن شاء الله.

أما بالنسبة للاتجاه الأول، وممن يمثله: القس وليم مارش[٢]، فيكفي في تفنيده مجرد تقليب النظر في إصحاحات هذا السفر للوقوف على مدى الاختلاف والتنوع والتعدد، لا في القضايا والحكايات والمناهج فحسب، بل وحتى في طريقة الكتابة وأسلوب التداول. ولا سيما في الإصحاحات الأخيرة، أعني من الإصحاح الأربعين وحتى الإصحاح السادس والستين، التي تحوي براهين قوية وأدلة صريحة تؤكد عدم صلتها بإشعياء لا من قريب ولا من بعيد، بل ولا تتصل بالزمن الذي يذكر أن إشعياء قد عاش فيه، أي من عام ٧٦٥ إلى ٧٠٠ ق.م.[٣].

كما أن الإصحاحات من الثالث والثلاثين وحتى الخامس والثلاثين فيها دلائل تؤكد أنها ليست من تأليف إشعياء، وإنما من صنع كاتب عاش بعد السبي البابلي، بدليل أن الصورة الجميلة للطريق الجديد في البرية كما تحدثت عنها هذه الإصحاحات تبدو لنا قيمتها إذا قارنّاها بالعصر الذي علق فيه اليهود أملهم على العودة من السبي إلى أورشليم[٤]. وبهذا نفسه يردّ على رأي الفريق الأول من أصحاب الاتجاه الثاني.

---

(١) انظر: صابر طعيمة (م.ن.) ص١٧٦، و١٧٨، و٣١٩، و٣٢٠.

(٢) أحد علماء النصارى المتأخرين، وأحد المشهورين بالتصدي لتفسير كتابهم المقدس، مؤلف كتاب: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم (مطبوع). وانظر رأيه هذا في ٨/ ٦٨ من الكتاب.

(٣) انظر: مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية لمتى بهنام ١/ ٢٢٥، نقلا عن صابر طعيمة (م.ن.) ص١٧٢-١٧٣.

(٤) انظر: صابر طعيمة (م.ن.) ص١٧٥.

أما رأي الفريق الثاني وهو أن الإصحاحات الأخيرة هي التي كتبها إشعياء، فكما سبق أن أشرت إلى أن الوحدة مفقودة بين هذه الإصحاحات الأخيرة، وهي مع ذلك لا تمت إلى ما قبلها من الإصحاحات بأي صلة. فالسفر من بدايته إلى نهاية الإصحاح التاسع والثلاثين يحدثنا عن مملكة يهوذا التي يعيش شعبها في فلسطين، إلا أن القارئ للسفر سيفاجأ وهو يقرأ عن الشعب اليهودي في فلسطين حتى آخر كلمة من الإصحاح التاسع والثلاثين، وما أن تقع عيناه على أول كلمة من الإصحاح الأربعين إلا وهو يقرأ عن شعب مسبي في بابل يعاني آلام الأسر، فلا بد أن يسأل نفسه من هو هذا الشعب؟! إنه الشعب اليهودي نفسه الذي كان تحت ملكه وعلى أراضيه قبل قليل!

ومما يزيد الأمر وضوحا أن الإصحاحات الأولى هذه، جميع الملوك الذين ورد ذكرهم فيها كآحاز[1]، وحزقيا، ومرودخ[2]...الخ كلهم لقوا حتفهم قبل السبعمائة الأخيرة ق.م. تقريبا، وإذا جئنا إلى الإصحاحات الأخيرة (٤٠ ـ ٦٦) فإنها تتعرض فقط لداريوس ملك الفرس، والذي استولى على بابل في ٥٣٨ ق.م.! أي بعد نحو مائة وخمسين سنة أو أكثر من انقراض زمن إشعياء ـ أو أيا كان كاتب الإصحاحات الأولى (١ ـ ٣٩) من السفر المنسوب إليه ـ والملوك المذكورين فيها[3]. ويجدر

---

(١) آحاز: هو الملك الحادي عشر من ملوك يهوذا، خلف أباه يوثام في الملك وهو في العشرين من عمره وذلك في سنة ٧٣٦ ق.م. وقد توفي في عام ٧٢١ ق.م. بعد أن ملك لنحو ستة عشر عاما. قاموس ك.م. ص٢-٣.

(٢) هو مرودخ بلادان: ملك بابل سنة ٧٢١ ق.م. وهو معاصر لحزقيا بن آحاز ملك يهوذا. قاموس ك.م. ص٨٥٥.

(٣) انظر: صابر طعيمة (م.ن.) ص١٧٧، بتصرف.

بالذكر أن القول بعدم ثبوت نسبة هذه الإصحاحات الأخيرة إلى إشعياء هو مذهب بعض علماء الطائفة الكاثوليكية أيضا[1].

وأما الاتجاه الثالث وهو القائم على تقسيم إصحاحات هذا السفر إلى ثلاثة أقسام كما أسلفت، القسم الأول، من بداية السفر إلى نهاية الإصحاح التاسع والثلاثين، وينسبونه إلى إشعياء النبي، والقسم الثاني، من بداية الإصحاح الأربعين إلى نهاية الإصحاح الخامس والخمسين، وينسبونه إلى كاتب مجهول أطلقوا عليه اسم إشعياء الثاني، زاعمين أنه عاش بعد قرن ونصف قرن من وفاة إشعياء الأول (أي ابن آموص)! مع يهود الأسر البابلي، والقسم الثالث، من بداية الإصحاح السادس والخمسين إلى آخر السفر، وينسب كذلك إلى كاتب مجهول أطلقوا عليه اسم إشعيا الثالث، وزعموا أنه كان يعيش في فلسطين في الفترة التي أعقبت بناء الهيكل عام ١٥٦ ق.م. فقط[2]!

وباختصار، فإن هذا الاتجاه الأخير يتفق مع قول الفريق الأول من أصحاب الاتجاه الثاني في نفي نسبة ما بعد الإصحاح التاسع والثلاثين إلى إشعياء بن آموص ـ وقد تقدمت مناقشة هذا القول ـ وإنما الإشارة هنا إلى مدى عمق الإشكال والتشويش اللذين تعاني منهما المصادر النصرانية إلى درجة أن النصارى ينسبون بعض كتبهم المقدسة إلى المجاهيل!!! والحمد لله الذي عافانا مما ابتلوا به.

---

(١) ومنهم: كاركرن واستاملن الجرمني (لم أقف على ترجمتيهما) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٥٠.

(٢) انظر: صابر طعيمة (م.ن.) ص٣١٩-٣٢٠، وقاموس ك.م. ص٨٣.

ط. سفر إرميا[١] :-

هذا السفر الذي يشتمل على العديد من الشئون السياسية والتأريخية لليهود، ليس من تصنيف إرميا، وذلك بشهادة نصوصٍ من السفر نفسه، حيث جاءت فيه نسبة كتابة كلام الرب الذي أوحي به إلى إرميا إلى صديقه باروخ[٢] الذي يُنسب إليه أحد الأسفار الأبوكريفية أو غير القانونية! ويرى بعض الباحثين أن زمن تأليف هذا السفر ربما بدأ منذ عام ٦٠٥ ق.م.، وامتد بعد ذلك فترة طويلة، إذ لوحظ أنه خليط من نصوص غير مرتبة، وليست فيها مراعاة للأزمنة ولا وحدة الأسلوب[٣].

وإذا كان هناك بعض الشكوك في عدم صحة نسبة بعض أجزاء هذا السفر إلى إرميا، إلا أن هناك جزما بأن الإصحاح الثاني والخمسين ليس من تصنيفه مطلقا، وذلك لأن الإصحاح الذي قبله مباشرة قد انتهى بعبارة: «إلى هنا كلام إرميا»[٤]. كما ذهب النقاد إلى أن الفقرة الحادية عشرة من الإصحاح العاشر فيها دلالة قوية على أن السفر لا يمت بأي صلة إلى إرميا، حيث كانت وحدها باللغة الكسدية، بينما كان سائر السفر باللسان العبري، مما جعل بعض علماء النصارى

---

(١) هو ابن حلقيا الكاهن من عناثوث في أرض بنيامين، ويعتقد النصارى نبوته. انظر: قاموس ك.م. ص٥٢.

(٢) هو: باروخ بن نيريّا، كان كاتبا محبا ومخلصا لإرميا. قاموس ك.م. ص١٥٨.

(٣) انظر: صابر طعيمة (م.ن.) ص٣٢٠.

(٤) سفر إرميا ٥١/ ٦٤.

يدّعون أن الفقرة ملحقة أو مدرجة على النص، وليست من السفر في الأصل[١].

لكن دعوى الإدراج ـ كما هو دأب القوم فيما يستعصي توجيهه عليهم ـ غير مقبولة، إذ ليس بمقدورهم إثبات كون الفقرة مدرجة، ولا تعيين زمن إدراجها، ولا من أدرجها، ولا لأي سبب قام بإدراجها.

ي ـ سفر زكريا :-

وهذا السفر الذي هو واحد من أسفار الأنبياء الصغار ـ حسب اصطلاح بعض علماء النصارى ـ، اختلف أيضا في زمن تأليفه، فقيل في فترة حكم داريوس[٢]، وقيل كتب حوالي سنة ٥٢٠ ق.م.، وقيل كتب قبل السبي البابلي، وقيل إنما كتب بعده في القرن الثالث، أو القرن الثاني ق.م.[٣].

المطلب الثالث: من ألّف أسفار العهد القديم؟

إذا علم من خلال الدراسة السابقة أن كتب العهد القديم لا تربطها بالضرورة أي رابطة بمن تحمل أسماءهم، وأن قولهم: أسفار موسى، أو أسفار يشوع أو أيوب أو زكريا... الخ لا يعني ذلك في الواقع أنها من صنع هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل قد لا تكون لهم معرفة بها، وإنما غاية ما في

---

(١) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٤٨-١٤٩.

(٢) هو: داريوس المادي الذي تولى الملك على الكلدانيين بعد استيلاء جيش كورش على بابل، وكان ابن اثنتين وستين سنة، فملك على بابل نيابة عن كورش. وكان معاصرا لدانيال النبي الذي عاش في فترة الأسر البابلي. قاموس ك.م. ص٣٥٥-٣٥٦.

(٣) انظر: قاموس ك.م. ص٤٢٩، وصابر طعيمة (م.ن.) ص٣٢٣.

الأمر أن هؤلاء الذين تحمل الأسفار أسماءهم، هم أبطالها أو أنها تذكر شيئا عن حياتهم أو الحوادث التي كانت في زمانهم، حتى وإن كان تدوين هذه كلها لم يتم إلا بعد وفاة من نسبت إليهم الكتب بقرون! إذا علم هذا، فهل لنا أن نستعلم أيضا عن كاتب هذه الأسفار، أهي صنع مؤلف واحد أم مجموعة من المؤلفين؟

نترك الجواب لعلماء النصارى أنفسهم، فقد جاء عن بعضهم قولهم: «ليس العهد القديم كل الأدب الذي صدر عن الشعب العبراني، بل هو نتيجة اختيار مؤلفات تعد كتبا يعوّل عليها، وتسمى لهذا السبب قانونية... في الدين اليهودي القديم»[١].

وبعبارة أخرى: إن القول بأن الله أوحى إلى الأنبياء المذكورين في العهد القديم بما شاء أن يوحي إليهم، فأمر مفروغ منه ولا مجال للاختلاف فيه، ولكن النصوص الأصيلة لتلكم الرسالات الإلهية قد فقدت، ومن ثم كتب بعض اليهود فيما بعد نصوصا أخرى عبر أجيال متلاحقة، وفي أماكن متعددة أحلّوها محل ما فقد منهم، ونسبوها زورا وبهتانا إلى هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما تبين من خلال ما تقدم من الدراسة النقدية لإسناد بعض هذه الكتب.

أما الوقوف على هوية كاتب أو كتبة هذه الأسفار الحقيقيين فأمر في غاية الصعوبة ويكتنفه الغموض، وذلك نتيجة عوامل عديدة من أبرزها: بُعد الزمن، وانقطاع السند، وفساد الدّين. ومهما كان الأمر فقد توصل الدارسون والنقاد لهذه

---

(١) المدخل الفرنسي لكتاب النصارى المقدس نقلا عن: عبد السلام محمد (م.ن.) ص٨٥.

الأسفار إلى أن الجزء الأكبر منها ألفه أو جمعه عزرا الكاتب.

ففي رأي باروخ سبينوزا: إن الأسفار الاثني عشر الأولى (من التكوين وحتى الملوك الثاني) كلها من كاتب واحد ويُرجّح أن يكون هو عزرا. يقول سبينوزا: «إذا نظرنا إلى تسلسل الأسفار[الاثني عشر الأولى] كلها، وإلى محتواها، رأينا بسهولة أن الذي كتبها مؤرخ واحد، أراد أن يروي تأريخ إسرائيل القديم منذ نشأتهم الأولى حتى هدم المدينة [أورشليم] لأول مرة»[١]. ويحتج على كون عزرا هو المؤلف الحقيقي لهذه الأسفار بالذات، بأمور، ملخّصها ما يلي:-

١ ـ وحدة روايات هذه الأسفار ووحدة الغرض من تأليفها، كما تقدم من كلامه المذكور قبل قليل، ووحدة طريقة الكاتب في العرض والتسلسل أو ربط هذه الأسفار بعضها ببعض.

٢ ـ أن هذا الكاتب أو المؤرخ يذكر عن نفسه أنه كان جالسا طيلة حياته على مائدة الملك، فيخلص من هذا إلى أن الكاتب لا يمكن أن يكون سابقا على عهد عزرا، ولأنه كذلك قد جلس على مائدة الملك طيلة حياته[٢].

٣ ـ لم يبرز أو لم يزدهر عالم من علماء بني إسرائيل في الحقبة الزمنية التي امتدت إليها رواية هذه الأسفار، والتي جلس راويها على مائدة الملك، سوى

---

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة لباروخ سبينوزا، ترجمة: د/ حسن حنفي. ص٢٧٦، نقلا عن: في مقارنة الأديان للدكتور محمد عبد الله الشرقاوي ص٨٥.

(٢) ومما يذكر أن عزرا كان موظفا في بلاط إمبراطور الفرس ومستشارا له في شؤون الطائفة اليهودية التي كانت تقيم فيها بين النهرين منذ أيام السبي. انظر: قاموس ك.م. ص٦٢١.

عزرا[١] الكاهن الكاتب[٢].

وأما بالنسبة للأسفار الأربعة التي تلي هذه، أعني أخبار الأيام الأول، والثاني، وعزرا، ونحميا، فقد قرر بعض الباحثين أن كاتبها أيضا شخص واحد، وإن كانت المعلومات عنه غير متوافرة، إلا أن المرجح أن تكون كتابة هذه الأسفار قد تمت بعد عصر عزرا بما يزيد على قرنين[٣]. وهذا ـ أعني نسبة الأسفار الأربعة إلى مؤلف واحد ـ هو رأي بعض علماء النصارى أيضا[٤].

ومما يستدل به على أن مؤلف تلكم الأسفار شخصٌ واحدٌ، أن المطلع على سفر أخبار الأيام الثاني ـ على سبيل المثال ـ يجد أنه ينتهي بعين العبارة التي افتتح بها سفر عزرا[٥]، كما أنه يوجد في بعض النسخ القديمة سفر يحمل اسم كل من عزرا ونحميا أي يقال: "سفر عزرا ـ نحميا" ويأتي بعده سفر نحميا[٦]. وفي بعض النسخ أيضا اعتبر سفر عزرا: سفر عزرا الأول، وسفر نحميا: سفر عزرا الثاني[٧].

ويرى سبينوزا كذلك أن بين سفر دانيال وسفر عزرا ارتباطا شديدا، بل

---

(١) جاء في سفر عزرا ٧/ ٦: "عزرا هذا صعد من بابل وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاها الرب إله إسرائيل. وأعطاه المَلِك حسب يد الرب إلهه عليه كلَّ سؤله".

(٢) انظر: باروخ سبينوزا (م.ن.) ص٢٧٧-٢٨٠، نقلا عن: محمد عبد الله الشرقاوي (م.ن.) ص٨٦.

(٣) انظر: اليهودية لأحمد شلبي ص٢٣٩.

(٤) انظر: المدخل الفرنسي لكتاب النصارى المقدس (كتب التأريخ) ص٨٣٣-٨٣٤، نقلا عن: عبد السلام محمد (م.ن.) ص١٠٠.

(٥) انظر: أخبار الأيام الثاني ٣٦/ ٢٢و٢٣، وعزرا ١/ ١-٣.

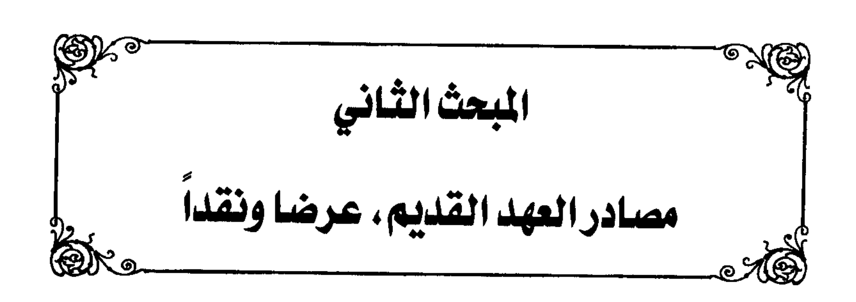
(٦) انظر: اليهودية لأحمد شلبي ص٢٣٨-٢٣٩، و Concise Bible Commentary, P.451.

(٧) انظر: محمد عبد الله الشرقاوي (م.ن.) ص٣٦.

ويضيف أنه من المؤكد أن كلاّ من سفر دانيال وعزرا وإستير ونحميا من تأليف مؤرخ واحد، وإن كان (سبينوزا) لا يستطيع - حسب تعبيره - حتى مجرد التخمين عن هوية هذا الكاتب[1]. ويعني ذلك أن الكاتب مجهول أشد الجهالة!

أما بقية أسفار العهد القديم، فليس أمامنا ما يفيد نسبتها إلى كاتب الأسفار المتقدم ذكرها، لكنه في الوقت نفسه ليس هناك ما ينفي هذه النسبة. فأيًا كان من الأمرين، فإنا نبرئ ساحة أنبياء الله ورسله الكرام عليهم الصلاة والسلام مما ورد فيها من الزيغ والضلالات، والله تعالى أعلم.

(١) انظر: باروخ سبينوزا (م.ن.) ص٣١٨، نقلا عن: محمد عبد الله الشرقاوي (م.ن.) ص٨٩.



المبحث الثاني

مصادر العهد القديم، عرضا ونقداً

إذا ثبت عندنا ـ على ضوء ما تقدم ـ أن نسبة كتب العهد القديم إلى من نسبت إليهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مجرد ادّعاء لا يسانده دليل يثبت أمام النقد العلمي الصارم، فعليه، نقول إن الوحي الإلهي لا يمكن أن يكون المصدر الحقيقي لكل مسطور في هذه الأسفار التي بين أيدينا. كما أنه مما يحيله العقل وتنفيه العادة أن يكون هذا الكتاب (العهد القديم) بأسفاره الطوال لامصدر له قد استقى منه ونبع عنه، أو على الأقل قد غذّاه بالأفكار الأساسية والخطوط الرئيسة. فما هو يا ترى هذا المصدر أو هذه المصادر الحقيقية لأسفار العهد القديم!؟ إنه السؤال الذي سوف نحاول معا الإجابة عليه من خلال السطور الآتية إن شاء الله.

يمكن تقسيم مصادر أسفار العهد القديم ابتداءًا إلى مصادر إجمالية، وأخرى تفصيلية[١]. أما المصادر الإجمالية فتُقصد بها مصادر العهد القديم من حيث المتن والأسلوب والمنهاج وتحليل النصوص، وأما المصادر التفصيلية فتُراد بها مصادر

(١) هذا التقسيم مجرد اجتهاد من الباحث.

العهد القديم من حيث الأفكار والأحداث والشرائع والأحكام... الخ التي تتضمنها هذه الأسفار.

المطلب الأول: المصادر الإجمالية.

هناك اتجاهان بارزان في تحديد أو بيان هذه المصادر، وسيتم تناول كل منهما إن شاء الله تعالى بشيء من الإيجاز.

أما الاتجاه الأول فهو ما قرره الداعية أحمد ديدات[١]: حيث قسم مصادر كتاب النصارى المقدس إلى ثلاثة أقسام، وهي:

١ ـ ما يمكن وصفه بأنه كلام الله، ومن أمثلة ذلك ما جاء في سفر التثنية: «أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به»[٢].

٢ ـ ما يمكن وصفه بأنه كلام نبي من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، ومن أمثلة ذلك: «وكان إليّ كلام الرب قائلا: يا ابن آدم اجعل وجهك نحو جبال إسرائيل، وتنبأ عليها»[٣].

٣ ـ ما يمكن وصفه بأنه كلام مؤرخ، من شاهد عيان أو غيره، ومن

(١) هو: الشيخ أحمد حسين ديدات ـ رحمه الله ـ، رئيس المركز العالمي للدعوة الإسلامية في دولة جنوب أفريقيا، وصاحب المؤلفات والمناظرات الشهيرة مع خصوم الإسلام، وله باع طويل في مجال مقارنة الأديان. توفي عام ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. انظر ترجمته في: الموسوعة العالمية ١٠/ ٥٣٨.

(٢) التثنية١٨/ ١٨.

(٣) حزقيال٦/ ١.

شواهد ذلك: «حينئذ دخل أريوخ[١] بدانيال إلى قدام الملك مسرعا، وقال له هكذا: قد وجدت رجلا من بني سبي يهوذا الذي يُعرف الملك بالتعبير»[٢].

وهذا الأخير هو ما يتكون منه جل مضامين كتاب النصارى المقدس[٣].

نقد هذه المصادر:-

من البدهيات ومما لا يحتاج حتى إلى تفكير مركز أن يقرر أي قارئ أو سامع لهذه النصوص أنه يستحيل أن تكون جميعها قد صدرت عن مصدر واحد إلهيا كان أو بشريا، ويبقى أمامه فقط بذل جهده في تحديد مصادرها، وحل مشكلة تعدد المصادر لنصوص كتاب واحد كهذا. فحينئذ قد يضطر إلى أسلوب السبر والتقسيم[٤]، فيحصر أولا الاحتمالات الواردة تقسيما ثم يسبرها واحدا تلو الآخر.

---

(١) أريوخ: هو رئيس شرطة الملك نبوخذنصر، ملك بابل. قاموس ك.م. ص٦٠، وانظر: سفر دانيال٢/ ١٤.

(٢) دانيال ٢/ ٢٥.

(٣) انظر: Deedat, Ahmed: Is the Bible God's Word? P.5-6

(٤) السبر والتقسيم عند علماء الأصول والجدل هو: حصر الأوصاف في الأصل (أي المقيس عليه في صورة القياس) وإبطال بعضها ليتعين الباقي للعلية. انظر: التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني ص١١٦، والإحكام في أصول الأحكام لسيف الدين الآمدي ٣/ ٢٦٤-٢٦٥، والمستصفى لأبي حامد الغزالي بتحقيق د/ حمزة زهير حافظ ٣/ ٦١٨-٦١٩، وروضة الناظر لابن قدامة المقدسي بتحقيق د/ عبد الكريم بن علي النملة ٣/ ٨٥٦، وشرح مختصر الروضة لنجم الدين الطوفي بتحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي٣/ ٤٠٤-٤٠٥ والبحر المحيط لبدر الدين الزركشي٥/ ٢٢٢-٢٢٣. والسبر في الأصل عند أهل اللغة هو: امتحان غور الجرح وغيره. القاموس ص٥١٧.

ولعل السبيل إلى هذا أقصر مما نتخيله، إذ في الواقع ليس هناك سوى احتمالين واضحين، أحدهما أن يكون المصدر إلهيا، والثاني أن يكون بشريا. لأن القسم الأوسط من الأقسام الثلاثة السالفة الذكر ـ أعني ما يمكن وصفه بأنه كلام نبي من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام ـ يندرج تحت القسم الأول، أي أنه إذا ثبت ذلك عن النبي فإنه أيضا جزء من الوحي الإلهي.

ثم لنقف بعض الوقت عند الاحتمال الأول، وهو أن مصدر ما يحويه كتاب النصارى المقدس إلهي أو سماوي كما يظهر في بعض عباراته، حيث نجد أن هذا الاحتمال يتعرض للانتقاد من عدة أوجه، من أهمها:

١ ـ أن هذا الكتاب يتضمن في أماكن متفرقة منه بعض عبارات الشرك والإلحاد، والفسوق والفجور، والغزل والدعارة والفحش، كما سيأتي كلها في أماكنها من الكتاب إن شاءالله تعالى، مما لا يمكن تصور صدوره عن مصدر إلهي بأي حال من الأحوال، فضلا عما يحويه من تناقضات وأخطاء واضطرابات، وستأتي أيضا إن شاء الله. وكل هذا في الجزء الذي قد يظهر من عباراته أنه من عند الله ﷻ، فكيف بسواه!؟

٢ ـ قد ثبت بموجب نصوص هذا الكتاب ذاته أن أجزاءً منه لا علاقة لها بالوحي ـ كما تقدم قبل قليل ـ وإنما من كلام المؤرخين والقصاصين ونحوهم، ومن المستحيل أن يكون الله ﷻ قد تكلم في أجزاء من الكتاب، ويحتاج إلى إكماله في الأجزاء المتبقية بكلام المخلوقين، تعالى الله وتقدّس. فإما أن يكون كله من عند الله أو يكون كله من صنع البشر.

وإذ بطل احتمال كون جميعه من عند الله ـ على ضوء ما تقدم ـ لا يسعنا إلا

أن نعتقد جازمين أنه من صنع البشر، وهذا ما يعترف به أحد أعلام اللاهوت النصراني[١] حيث يقول تحت عنوان: "الكتاب بشري ومع ذلك فهو سماوي"، « نعم، إن الكتاب المقدس تصنيف بشر، وإن كان البعض بسبب الغيرة التي لا تتفق مع العلم قد أنكروا هذا، تلك الكتب [كتب أو أسفار كتاب النصارى المقدس] قد مرت من خلال أذهان البشر، وكتبت بلغة البشر، وبأقلام البشر، وتحمل صفات تتميز بأنها من أسلوب البشر »[٢]!

وإن بقي شيء أضيفه إلى ما سبق، فهو أنه قد يعترض بعض النصارى بأن هذه المصادر الثلاثة السالفة الذكر توجد أيضا عند المسلمين، فيقول ـ على طريقة الرد الجدلي ـ فجوابكم عن ذلك هو عين جوابنا عما اعترضتم به علينا.

فالجواب: أنه من فضل الله تعالى علينا نحن المسلمين أن نكون أكثر توفيقا من غيرنا من ذوي الديانات والعقائد في هذا المجال، صحيح أن المسلم لديه هذه الأنواع الثلاثة من المصادر، إلا أنه ـ على عكس ما في كتاب النصارى المقدس ـ يجد هذه المصادر منفصلةً تماما، كلاً على حدة. فالنوع الأول وهو كلام الله، موجود في المصحف الشريف. والثاني وهو كلام الرسول محمد ﷺ الذي لاينطق عن الهوى، مدوّن في كتب الأحاديث والسنن الصحيحة المسندة. أما النوع الثالث فمحفوظ كذلك بفضل الله ﷻ في مجلدات كبار

(١) هو الدكتور غراهام سكروجي: الأستاذ بمعهد مودي للكتاب المقدس في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية، وأحد مشاهير المنصرين الأنجليكان في العالم. انظر: Deedat, Ahmed: (op.cit.) P.1.

(٢) Deedat, Ahmed: (Ibid.) P.1، وقد نقله عن كتاب الدكتور سكروجي الذي يحمل العنوان نفسه: (هل الكتاب المقدس كلام الله) ص١٧.

من التراث الإسلامي بأقلام أئمة المسلمين، وعلمائهم الثقات ـ رحمهم الله تعالى ـ. ولا يدّعي أي مسلم حقيقي التساوي بين هذه الأنواع من كل الوجوه[١]، فكلٌّ له مكانته عنده، ويحفظها في مجلدات مختلفة.

أما كتاب النصارى المقدس الذي يجمع بين هذه الثلاثة، ويحوي التوحيد مع الشرك والإلحاد، والفضيلة مع الرذيلة، والعفة مع الفاحشة...الخ، فمن فساد دين النصراني أن يضطر إلى الاعتراف بكل ما يحويه هذا الكتاب على أنه في مكانة واحدة عقديةً وتشريعيةً![٢].

والاتجاه الثاني: فيه يتم تصنيف هذه المصادر إلى خمسة وهي: المصدر اليهوي، والمصدر الإلوهيمي، والمصدر الكهنوتي، والمصدر التثنوي، والمصدر الأسطوري، وسأتعرض لشرح كل من هذه المصادر في السطور الآتية إن شاء الله تعالى.

أولا: المصدر اليهوي:-

وسمي بهذا الاسم نسبة إلى استخدامه لفظ يهوه[٣] للدلالة على الإله

---

(١) هذا للاحتراز عن حالة واحدة وهي أن السنة الشريفة الصحيحة، وإن لم تكن وحيا متلوّا، إلا أنه كذلك وحي من الله ﷻ، كما جاء عن النبي ﷺ قوله: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه**» (رواه أبو داود في السنن، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقمه: ٤٦٠٤ انظر: سنن أبي داود بتحقيق: عزت عبيد الدعاس ٥/ ١٠، وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ١/ ٥١٦، رقمه: ٢٦٤٣، وفي تحقيق المشكاة ١/ ٥٧، رقمه: ١٦٣)، كما أن السنة الصحيحة كذلك قد تكون مصدرا مستقلا للتشريع في بعض الأحكام التي لا يوجد نص عليها في القرآن الكريم، والله أعلم.

(٢) انظر: Deedat, Ahmed: (op.cit.) P.6 بتصرف.

(٣) وقد تقدم في ص١٦٨ أن يهوه من أسماء الله عند اليهود.

والألوهية، والرواة الذين نقلوا عن هذا المصدر هم من المملكة الجنوبية المعروفة بمملكة يهوذا[١] في عهود الانقسام في تأريخ اليهود. وأما تأريخ نشأة هذا المصدر فقد حدده بعض النقاد بالقرن العاشر قبل الميلاد، وقيل في القرن التاسع، أي في عام ٨٥٠ ق.م. وقيل غير ذلك[٢].

لقد تأثرت فكرة الإله والألوهية في هذا المصدر بمعتقدات الشعوب التي عاش اليهود بينها، فالإله فيه إله قبلي، سلطته محدودة بمكان خاص باليهود دون غيرهم، يتعصب لهم ويحارب معهم...الخ[٣]. أما لغة المصدر فهي فجة واقعية بعيدة عن التنميق، تسمي الأشياء بأساميها دون تردد، ومن غير الإيماء أو اللف والدوران حتى في وصف بعض الوقائع الجنسية[٤]![٥].

ومن أهم خصائص هذا المصدر كذلك: الربط القوي بين الدين والعنصرية، فهو الذي أوجد فكرة "أرض إسرائيل"[٦]، ويقع في

(١) مملكة يهوذا الجنوبية (مقابل مملكة إسرائيل الشمالية): كانت تشمل جميع أرض يهوذا، وأكثر أرض سبط بنيامين إلى الشمال الشرقي، ودان إلى الشمال الغربي، وشمعون إلى الجنوب، وكانت مساحتها نحو ٣٥٠٠ ميل مربع. قاموس ك.م. ص١٠٨٧.

(٢) انظر: محمد بحر عبد المجيد (م.ن.) ص٤١، وتقديم أ.د/ نجاح محمود الغنيمي لترجمة كتاب: هل الكتاب المقدس كلام الله (تأليف أحمد ديدات) لإبراهيم خليل أحمد ص٤٢.

(٣) انظر: محمد بحر عبد المجيد (م.ن.) ص٤٠-٤١.

(٤) انظر مثلا: التكوين ٣٨/ ١٥-١٨.

(٥) انظر: النقد الأعلى للكتاب المقدس للدكتور قنديل محمد قنديل ص١٨.

(٦) "أرض إسرائيل" أو "أرض الموعد" أو "أرض العبرانيين" كلها من الأسماء التي أطلقها اليهود على أرض كنعان أو أرض فلسطين بعد دخولهم إياها ـ حرّرها الله ـ. انظر: قاموس ك.م. ص٧٢، و٧٨٩-٧٩٠.

براثن[١] الخصوصية في الدين، والعنصرية في العبادة[٢]. وأما الفترة التأريخية التي يعالجها النص اليهوي فيحددها بعضهم[٣] بأنها الفترة من أصل العالم وحتى موت النبي يعقوب(إسرائيل) عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام[٤].

ثانيا: المصدر الإلوهيمي[٥]:-

حرر هذا المصدر في إسرائيل، أو المملكة الشمالية لليهود في عهود الانقسام. وقد سمي بهذا الاسم نسبة إلى استخدامه لفظ "إلوهيم" للدلالة على الإله والألوهية[٦]. ويبدو أن الذين نقلوا عن هذا المصدر قد كانوا على اعتقاد بأن تسمية الرب بإلوهيم، هي التسمية القديمة التقليدية للعبرانيين أو اليهود إلى

(١) البرثن هو: الكف من الأصابع، ومخلب الأسد. القاموس ص١٥٢٢.

(٢) انظر: نجاح محمود الغنيمي (م.ن.) ص٤٢.

(٣) هو الدكتور موريس بوكاي في كتابه: The Bible, The Qur'an, And Science. P.8

(٤) ولعل د/ موريس يقصد هنا ما يتعلق بسفر التكوين فقط، وإلا فهناك نصوص قيل إنها يهوية وهي تتحدث عن الأحداث في زمن موسى عليه السلام مثلا، والله أعلم. ومن فقرات العهد القديم المنبثقة عن المصدر اليهوي: التكوين١/ ٤-٣/ ٢٤، و٩/ ١٨-٢٧، و١٠/ ٨-١٩، و١٠/ ٢٤-٣٠، و١١/ ١-٩، والإصحاحات: ٤ و٦ و٧ و٨ و١٢ و١٣ و١٨ و١٩ و٢٤ و٢٧ و٣٢ و٣٨ و٤٣ و٤٤. والخروج ٨/ ٢٠-٩/ ٧، و٣٣/ ١٢-٣٤/ ٢٦، والإصحاحات: ٤ و٥ و١٠ و١١. والعدد ١١٠/ ٢٩-٣٦. انظر: ول ديورانت (م.ن.) ٢/ ٣٦٧، وBucaille, Maurice: (Op.Cit.) P.15

(٥) أول من أشار إلى التمييز بين النص اليهوي ومصدره وبين النص الإلوهيمي ومصدره هو: الطبيب الفرنسي: جون أستروك Jean Astruc وذلك في عام ١٧٥٣م، ثم من بعده: هرمن هوبفلد Herman Hupfeld في عام١٨٥٣م. (انظر: ول ديورانت (م.ن.) ٢/ ٣٦٧، ونقد التوراة للدكتور أحمد حجازي السقا ص١٢٢، و Friedman, R.Elliott: (Op.Cit.) P.23.

(٦) وقيل إن لفظ: "إلوهيم" جمع: "إلو" فهو إذًا، يعني "آلهة" وليس "إله". انظر: قنديل محمد قنديل (م.ن.) ص١٨، ومناظرتان في استكهولم (بين ديدات واستانلى شوبيرج) لعلي الجوهري ص٢٠.

زمن ظهور موسى عليه السلام، ويعتقدون أن إطلاق اسم "يهوه" على الرب لم يظهر إلا مع الدعوة الموسوية نفسها[١]، فحرصوا لذلك على تمييز معبودهم بهذا الاسم لقدمه[٢].

أما لغة المصدر نفسها فيمكن وصفها بأنها أكثر عمقا وأوفر حظا من حيث التهذيب والتنميق من لغة قرينه، المصدر اليهوي، فالمصدر الإلوهيمي يعتمد على التشبيه والتورية في توجيه رسالته[٣]. كما أن الجانب الخُلقي فيه واضح جلي، وكذلك محاولته تبرئة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الأخطاء، والحفاظ على عصمتهم[٤]. وتقل فيه مظاهر تشبيه الإله بالإنسان، تلك المظاهر التي هي سمة من سمات المصدر اليهوي كما أسلفت. كما يبدو الوعد الإلهي فيه لبني إسرائيل مرتبطا بالتوحيد، لا بالنعرات العنصرية، والمسؤولية الفردية عن الأعمال والتصرفات فيه ظاهرة، فخلاص الإنسان بمقتضى توبته وعلى مقدار عمله، وليس عن طريق فكرة المسيح المخلص في تحقيق الخلاص لشعب إسرائيل[٥].

ومن مظاهره أيضا: التأكيد على التوحيد وتنزيه الإله ورفض الوثنية، وتوبيخ بني إسرائيل على نكثهم العهد بعبادة العجل الذهبي أثناء غياب نبيهم موسى عليه السلام عنهم، وتوضيح الواجبات تجاه الرب ثم الجار، والاهتمام بالتنبؤ بما

---

(١) انظر ما ورد في سفر الخروج ٣/ ١٥، و٦/ ٣.

(٢) انظر: قنديل محمد قنديل (م.ن.) ص١٨.

(٣) نفسه ص١٨-١٩.

(٤) انظر: نجاح محمود الغنيمي (م.ن.) ص٤٢.

(٥) انظر: (م.ن.ص.)، ومحمد بحر عبد المجيد (م.ن.) ص٤١ بتصرف.

سيحدث للأبطال عن طريق الأحلام[١]...الخ[٢].

أما عن تأريخ نشأة المصدر، فحاصل ما وقفت عليه من أقوال الباحثين والنقاد أنه من أواخر القرن التاسع ق.م. حتى النصف الثاني من القرن الثامن ق.م.[٣]، وأما بالنسبة للفترة الزمنية التي عالج أحداثها، فيقال إنه قد عالج فترة زمنية أقل بالنسبة إلى النص اليهوي، حيث إنه (النص المنبثق عن المصدر الإلوهيمي) يكتفي برواية الأحداث الخاصة بإبراهيم ويعقوب ويوسف[٤] عليهم الصلاة والسلام[٥].

ثالثا: المصدر الكهنوتي أو حواشي الكهنة:-

وقد سمي بهذا الاسم نسبة إلى عمل كهنة الهيكل الذين عكفوا على تحرير المصدرين السابقين: اليهوي والإلوهيمي، ثم زادوا عليهما إضافات جديدة مطولة من مصادر زعموا أنها كانت موجودة في الهيكل المدمر[٦].

أضيف هذا المصدر بعد عودة اليهود من السبي البابلي أي في فترة وصول

---

(١) انظر: محمد بحر عبد المجيد (م.ن.ص.)، ونجاح محمود الغنيمي (م.ن.) ص٤١.

(٢) ومن الفقرات المعزوة إلى المصدر الإلوهيمي: ـ التكوين ١١/ ١٠-٣٢، و٢٠/ ١-١٧، و٢١/ ٨-٣٢، و٢٢/ ١-١٤، و٢٥/ ١-١٤، و٣٠/ ١-٢٤، و٣٣/ ١-١٧، والإصحاحات: ٤٠، و٤١، و٤٢، و٤٥. والخروج١/ ٨-١٢و١٥-٢١، و١٨/ ٢٠-٢٤، والإصحاحات: ٢٠، و٢١، و٢٢. والعدد، الإصحاحات: ١١، و١٢، و٢٢، و٢٣، و٢٤.
انظر: Friedman, R.Elliott (Op.Cit.) P.246-255، وول ديورانت (م.ن.) ٢/ ٣٦٧.

(٣) انظر: نجاح محمود الغنيمي (م.ن.) ص٤٢، وBucaille,Maurice (Op.Cit.) P.8.

(٤) وجزء من الأحداث في زمن موسى عليه السلام كما هو واضح من الفقرات التي قيل إنها إلوهيمية في كل من سفر الخروج والعدد.

(٥) انظر: Bucaille, Maurice (op.cit.) P.8.

(٦) انظر: نجاح محمود الغنيمي (م.ن.) ص٤٢، وقنديل محمد قنديل (م.ن.) ص١٩.

الكهنة منهم إلى قمة قوتهم، وكامل سيطرتهم على مقدرات الشعب اليهودي. فكان الجزء الذي انبثق عن هذا المصدر من نصوص العهد القديم قد كتب بأقلام رجال مثقفين ثقافة عالية، وصيغ صياغة منطقية هادفة، كثيرا ما يستخدم التكرار للتأكيد[١]. أما لغته فيغلب عليها الجفاف، ولعل ذلك راجع إلى طبيعة المواضيع التي تطرق إليها[٢].

أما أبرز مظاهر هذا المصدر فمنها: أن الإله فيه خالق كل شيء، وكائن في كل مكان وزمان، وهو إله الآلهة ورب الأرباب[٣]، كما تتميز مادة المصدر بالتركيز على العبادة وتنظيم الطقوس والشعائر الدينية مثل قوانين السبت، والختان، والوصايا، والأعياد، والمواسم. ومما يلاحظ أيضا أن مؤرخ المصدر الكهنوتي يستفيد من الأحداث التأريخية ويستغلها للاستدلال على صحة تشريعاته وتبريرا لها. فبهذا يختلف المصدر الكهنوتي عن المصادر الأخرى للعهد القديم التي تقدم الأحداث التأريخية على القوانين والتشريعات المستنبطة منها، إذ تظهر فيه محاولة استنباط العادات والشعائر الطقوسية من المناسبات والأحداث التأريخية، وتقديم المادة التشريعية على المادة التأريخية[٤]. كما أنه يستخدم عبارة "إلوهيم" للإشارة إلى الخالق ﷻ وليس "يهوه"[٥][٦].

---

(١) انظر: محمد بحر عبد المجيد (م.ن.) ص٤٣.

(٢) انظر: قنديل محمد قنديل (م.ن.) ص٢٠.

(٣) انظر: محمد بحر عبد المجيد (م.ن.) ص٤٢.

(٤) انظر: نجاح محمود الغنيمي (م.ن.) ص٤٣.

(٥) انظر: قنديل محمد قنديل (م.ن.) ص٢٠.

(٦) ومن الفقرات التي تنسب إلى المصدر الكهنوتي: ـ التكوين١/ ١-٢/ ٤، وجميع الإصحاح الخامس، =

أما عن نشأة هذا المصدر فكما يقول البروفيسور نجاح الغنيمي[(١)]، لم يختلف النقاد في نسبته إلى عزرا الكاتب، أي إبان فترة السبي أو بعدها (من أواخر القرن السادس إلى منتصف القرن الخامس ق.م.)[(٢)]، وإن كان المصدر من حيث الظهور الزمني قد اعتبره بعض النقاد آخر مصادر البنتاتوك، وذلك بمقتضى دلالة أسلوبه الأدبي، ولغته وصياغته ومضامينه[(٣)]، كما تقدم أعلاه.

رابعا: المصدر التثنوي:-

ويعتبر أساس سفر التثنية، بل منه أخذ السفر اسمه أو العكس[(٤)].

يمتاز هذا المصدر بلهجته الخطابية التي يدعو فيها اليهود إلى اتباع الشريعة

=

و٦/ ٩-٢٢، و٧/ ٦، ١١، ١٣-١٦، ١٨-٢١، و٧/ ٢٤-٨/ ٥، و٨/ ١٣-١٩، و٩/ ١-١٧، و٩/ ٢٨-١٠/ ٧، و١٠/ ٢٠-٢٣ و٣١-٣٢، و١١/ ١٠-٣٢، و١٦/ ٣، ١٥-١٦، وجميع الإصحاح السابع عشر، و١٩/ ٢٩، وجميع الإصحاح الثالث والعشرين، و٣٥/ ٩-١٥، ... الخ، والخروج١/ ٦-٧، ١٣-١٤، و٦/ ٢-١٢، ١٤-٢٥، و١٢/ ١-٢٠، ٢٨، ٤٠-٤٩، ... الخ، وجميع سفر اللاويين ما عدا ٢٣/ ٣٩-٤٣، و٢٦/ ٣٩-٤٥، والعدد: جميع الإصحاحين الأول والثاني، و١٠/ ١-١٢، ١٤-٢٧، و٢٠/ ٢٣-٢٩،...الخ.

انظر: Bucaille, Maurice(op.cit.) P.15، وFriedman,R.Elliott: (op.cit.) P.246-255.

(١) هو الأستاذ الدكتور نجاح محمود سليمان الغنيمي: رئيس قسم العقيدة، ووكيل كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة، جامعة الأزهر.

(٢) حيث يذكر أن عودة عزرا من بابل إلى القدس كانت في سنة ٤٥٧ ق.م. انظر: قاموس ك.م. ص٩٦٢.

(٣) انظر: نجاح محمود الغنيمي (م.ن.) ص٤٣، وFriedman, R.Elliott (op.cit.) P.25، وBucaille, Maurice (op.cit.) P.12 بتصرف.

(٤) انظر: نجاح محمود الغنيمي (م.ن.) ص٤٣ بتصرف.

وتطبيق العهد. وهو في جوهره مصدر تشريعي بحت صادر عن أوساط مثقفة لا تلقي بالا إلى القصص الشعبية بقدر ما يهدف إلى التوجيه والتطوير عن طريق سن القوانين[١].

كما يعد من أبرز مميزات هذا المصدر محاولته التوفيق أو التلفيق بين المصدر اليهوي والمصدر الإلوهيمي، أو بعبارة أخرى بين تراث مملكة الشمال وتراث مملكة الجنوب بعد انشقاق المملكة اليهودية الأولى، فهو يحتفظ بالاتجاه القومي العنصري للمصدر اليهوي، ويضيف إليه المثالية الأخلاقية الإلوهيمية[٢]. كما تبرز فيه محاولة التوفيق بين الأفكار الجزئية الأخرى: كالفكر النبوي والفكر الكهنوتي مثلا، في مسألة القرابين[٣] والهدايا، حيث كان دأب الكهنة دعوة الناس إليها والقول بوجوبها لمرضاة الرب، فأراد الرواة عن هذا المصدر التوفيق بين هذا وبين تعاليم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام التي لم تأت بمثل هذه الخرافات[٤].

وفي تحديد تأريخ هذا المصدر ذهب النقاد إلى أنه قد أدخلت المواد الخاصة به في صميم البنتاتوك في عام ٦٢١ ق.م. وذلك ضمن برامج الإصلاح والتطوير التي وضعها الملك يوشيا[٥]. أما نشأة المصدر نفسه فترجع إلى ما قبل هذه الفترة

(١) انظر: قنديل محمد قنديل (م.ن.) ص١٩.

(٢) انظر: نجاح الغنيمي (م.ن.) ص٤٣.

(٣) القرابين: جمع قربان، وهو جزء هام من عبادة العبريين. أما مادة القرابين هذه فهي تُقدم من الحيوانات المستأنسة الطاهرة والحبوب وبعض السوائل الزراعية. قاموس ك.م. ص٧٢١.

(٤) انظر: محمد بحر عبد المجيد (م.ن.) ص٤١-٤٢.

(٥) هو: يوشيا بن أمنون: ملك يهوذا، وقد خلف أباه أمنون بن منسى وتبوأ العرش وهو في الثامنة من عمره، وذلك حوالى عام٦٣٨ ق.م.، ودام ملكه حتى عام ٦٠٨ ق.م. قاموس =

بنحو خمسين سنة[١]، وقيل بل بين سنة ٦٠٠ و ٥٥٠ ق.م.[٢].

خامسا: المصدر الأسطوري:-

وهو أصل فقرات كتاب النصارى المقدس التي ترجع جذورها إلى الأساطير الوثنية وغيرها.

والناقلون عن هذا المصدر لا يهتمون بسرد الأسطورة كاملة، وإنما يشيرون فقط إلى حوادث الأسطورة، ويحاولون تعليل بعض ما في هذا الكون من مظاهر وأحداث تعليلا ذا طابع أسطوري[٣]. وإن كان الرابط بين العلة والمعلول لا يعدو أن يكون وهميا أو خياليا، كما يقول أحد نقاد كتب العهد القديم من غير المسلمين[٤]: «يحتمل أن ما يرويه العهد القديم عن موسى والآباء الأولين لا يتفق إلا بشكل تقريبي مع تسلسل الحقائق التأريخية. ولكن الرواة تمكّنوا حتى في هذه المرحلة من النقل الشفهي من تحقيق الأناقة والخيال حتى يربطوا بين أحداث شديدة التنوع. وقد نجحوا في تقديم حكاية ما حدث في أصل الإنسانية والعالم في قالَب تأريخي يبدو معقولا إلى حدٍّ ما للنقاد والمفكّرين[٥]...».

=

ك.م. ص١١١٩.

(١) انظر: قنديل محمد قنديل (م.ن.) ص٢٠ بتصرف.

(٢) انظر: نجاح محمود الغنيمي (م.ن.) ص٤٣.

(٣) انظر: محمد بحر عبد المجيد (م.ن.) ص٤٣-٤٤.

(٤) هو أدموند جاكوب، صاحب كتاب "العهد القديم" باللغة الفرنسية.

(٥) نقلا عن: Bucaille,Maurice(Op.Cit.) P.4-5

ومن أمثلة هذه التعليلات الأسطورية ما يلي:-

أ ـ أن سبب اختلاف اللغات بين البشر: أن قبائل بني آدم عليه السلام بعد الطوفان[١]، بنَوا مدينة، وبرجا عاليا، ولما اطّلع عليهم الرب قال: إنما قدروا على بناء هذه المدينة، وهذا البرج العالي لأنهم يتفاهمون بينهم بلغة واحدة، فبلبل[٢] ألسنتهم حتى لا يفهم بعضهم بعضا! وأن مكان ذلك البرج العالي سمي ببابل: «لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض»[٣]!

ب ـ تعليل آلام المرأة أثناء الحمل وعند الولادة، وقوامة الرجل عليها: بتحريض حواء آدمَ عليه السلام على الأكل من الشجرة[٤].

ج ـ وأن الحية تزحف على الأرض، وتأكل التراب: لأنها حرضت حواء رضي الله عنها على مخالفة أمر الرب[٥].

وغير ذلك من الأساطير التي كانت متداولة، وهي في الأساس من ابتكار البدائيين لتفسير ما يغم عليهم من ظواهر الكون وأحداثه، فانتقى اليهود منها ما شاؤوا[٦].

(١) الطوفان: هو المطر الغالب، والماء الغالب يغشى كل شيء، وكل ماء كثير فاش طامّ، فهو عند العرب طوفان سيلا كان أو غيره. والطوفان أيضا: الموت الذريع الجارف والقتل الذريع، والطوفان من كل شيء: ما كان كثيرا مطيفا بالجماعة. انظر: تفسير الطبري ١٠/ ١٢٧، والقاموس ص١٠٧٧.

(٢) البلبلة هي: اختلاط الألسنة، وتفريق الآراء والمتاع. القاموس ص١٢٥١.

(٣) انظر: التكوين ١١/ ١-٩.

(٤) انظر: التكوين ٣/ ١٦.

(٥) انظر: التكوين ٣/ ١٤.

(٦) انظر: اليهودية في العقيدة والتأريخ لعصام الدين حفني ناصف ص٧٨-٧٩.

نقد هذه المصادر: وذلك في النقاط الآتية :-

الأولى: – إن أول نقد يتوجه إلى هذه المصادر من حيث هي، يعتبر من ذاتها وليس خارجا عنها، وأشير بهذا إلى قضية تعدد المصادر والتي بلا شك تتعارض مع مبدء وحدة النصوص ومصدرها، والذي يُعدُّ بدوره سمة مهمة وحساسة للوحي السماوي. ويُعتبر القرآن الكريم مع السنة النبوية الشريفة الصحيحة مثالا رائعا لذلك: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣-٤]، وقد يزيد الطين بلّة عندما نعلم أن مشكلة تعدد المصادر هذه لا تقتصر فقط على ما سلف ذكره من المصادر الخمسة، بل فوق ذلك، إذ توصل الباحثون في النصف الأول من هذا القرن الميلادي إلى أن هذه المصادر الخمسة تعتمد هي الأخرى على اثنين وعشرين مصدرا أخرى!، منها ثلاثة للمصدر اليهوي، وأربعة للمصدر الإلوهيمي، وستة للمصدر التثنوي، وتسعة للمصدر الكهنوتي[١]. وفي هذا يقول دي فو[٢]: إن « عددا من روايات البنتاتوك يَفترض وجود مصدر آخر أكثر قدما من ذلك الذي يُفترض أن هذه الوثائق قد خرجت منه »[٣]. ويقول باحثٌ آخر[٤] بخصوص المصدر التثنوي: « ويؤكد النقاد أن المصدر التثنوي اعتمد على كتاب قديم عثر عليه في الهيكل عام ٦٢٢ ق.م »[٥]. كما يؤكّد غيرهما من

---

(١) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P.12.

(٢) هو الآب دي فو: مدير مدرسة الكتاب المقدس بالقدس (Bucaille, Maurice(op.cit.) P.11).

(٣) Bucaille,Maurice(op.cit.) P.12.

(٤) هو أ.د. نجاح محمود الغنيمي.

(٥) نجاح محمود الغنيمي (م.ن.) ص٤٣.

الباحثين[١] أن بعض هذه المصادر قد اعتمد على القصص القبلية والتراث الشعبي.

وقد كان من آثار هذا التعدد: تكرار عديد في نصوص هذه الكتب من غير حاجة، والاختلافات الخاصة بأسماء شخص واحد، والتصويرات المتضاربة للأحداث[٢].

الثانية:- وإذا كان تعدد مصادر مصادر العهد القديم يشكل مشكلة عويصة وإشكالا عريضا للباحثين والنقاد، فإن ثمة أمرا آخر لا يقل عن ذلك خطورة، ألا وهو التباين في تواريخ هذه المصادر كما قد رأينا، فمنها ما يرجع إلى القرن العاشر ق.م.، ومنها ما يرجع إلى القرن الخامس ق.م.، وبين هذين التأريخين تواريخ. فكل ما يمكننا قوله حيال هذا ولو على وجه التخمين أن ما تحويه هذه الأسفار من حكم وتشريع وفكرة وأدب...الخ قد تطورت خلال فترة لا تقل عن خمسة قرون، حتى تبلورت. وهل هذا سمة للشرائع الإلهية أو للقوانين البشرية الوضعية؟ نترك السؤال بدون جواب أو نستغني عن جوابه لوضوحه.

أضف إلى ذلك كله مسألة الدقة التي لا أثر لها البتة في تحديد هذه التواريخ، بل كلها على وجه التخمين والحدس والتقريب.

الثالثة:- والأدهى والأمر أن اليهود والنصارى ـ على الرغم من تعدد هذه المصادر وكثرتها ـ ليس في استطاعتهم تقديم أي منها، بل كلها في عداد

---

(١) انظر: محمد بحر عبد المجيد (م.ن.) ص٤١، وقنديل محمد قنديل (م.ن.) ص٢٢.

(٢) انظر: Bucaille, Maurice (op.cit.) P.12-13

الوثائق المفقودة. فالحال كما يصفها لنا الدكتور موريس بوكاي: أننا «لا نملك اليوم إلا النصوص التي خلّفها لنا الرجال الذين عالجوا تلكم النصوص على سجيتهم، وحسب الظروف التي عاشوها، والضرورات التي كانت عليهم مواجهتها»[١].

الرابعة:- أما فيما يخص المصدر الخامس، وهو ما يُصطلح على تسميته بالمصدر الأسطوري، فلسنا بحاجة إلى كبير عناء للرد عليه، أم كيف يوفق بين الوحي الإلهي والأساطير؟ علما بأن معظم هذه الأساطير ذات جذور وثنية، وقد تأثرت النصرانية بها أيما تأثرٍ كما تقدمت الإشارة إلى ذلك[٢]. ولولا خشية إطالة المقال بما ليس من المجال لأوردت مزيدا من الأمثلة والشواهد، وبالله تعالى التوفيق.

هذا، وأرى أن الحديث حول هذه النقطة لا يكتمل إلا بالتنبيه على أمر مهم وهو أننا نحن المسلمين مأمورون بعدم الخوض فيما لاعلم لنا به. قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[الاسراء:٣٦]. كما أن الأجدر بنا ألا نصدّق أهل الكتاب وألا نكذّبهم فيما لا يوجد لدينا دليل سمعي على إثباته أو رده، بل نقول: ـ كما يُروى في الحديث ـ "آمنا بالله وكتبه ورسله"[٣]. وأنه ليس ممتنعا أن يكون

---

(١) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P.9.

(٢) انظر فيما تقدم: مبحث: الوثنية وأثرها في النصرانية.

(٣) الحديث أخرجه: الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٣٦ ـ واللفظ له ـ وأبو داود في السنن: كتاب العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب، رقمه: ٣٦٤٤. وقد ضعفه الشيخ الألباني ـ حفظه الله ـ كما في: ضعيف سنن أبي داود ص٣٦٢، رقمه: ٧٨٦، وضعيف الجامع الصغير، رقمه: ٥٠٥٢.

بعض ما في هذه الكتب من الحق قد انبثق عن الوحي الإلهي كما سيأتي بيان ذلك أيضا في هذا الكتاب.

ولكن بقي باب يجب أن نسده أمام هؤلاء القوم، وكذلك المنافقين منا، وهو أن عدم تكذيبهم إنما فيما ليس فيه دليل على كذب مقالهم وبطلانه، دون غيره من الأمور التي كذبهم فيها واضح كوضوح الشمس في رائعة النهار، وتكذيبهم فيه متحتم بل ومن أهم الواجبات، كقولهم: إن عيسى عليه السلام إله أو ابن الإله، وكقولهم هنا في المثال الأول من الأمثلة المذكورة آنفا لتعليلهم بعض ما في هذا الكون من المظاهر تعليلا أسطوريا، والذي تضمن نسبة بعض صفات العجز والضعف إلى الخالق ـ تعالى عما يقول الظالمون ـ، إذ زعموا أن الله تعالى احتاج إلى النزول إلى الأرض حتى يرى المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما![١]. وفي تتمة المثالين الثاني والثالث نسبوا الجهل إلى الله جل وعلا، حيث زعموا ـ وبئس ما زعموا ـ أن آدم وامرأته اختبئا من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة «فنادى الرب الإله آدمَ وقال له أين أنت؟»[٢]!!! وغير ذلك كثير بل وكثير جدا، وسيأتي المزيد إن شاء الله تعالى عند نقد متن العهد القديم.

المطلب الثاني: المصادر التفصيلية

لقد اتضح على ضوء الدراسة السابقة أن أسفار العهد القديم من صنع أجيال متعددة، وأن للكهنة في تدوينها دورا أساسيا، حيث كانوا يعتمدون في

---

(١) انظر: التكوين ١١/ ٥.

(٢) انظر: التكوين ٣/ ٨-٩.

التدوين أحيانا على ما تلقاه الخلف عن السلف من قصص وأخبار وأقوال وأساطير. وأحيانا أخرى يكتبون ما يجيش بصدورهم أو يأملونه، على أن ذلك حقيقة واقعية أو تأريخ سابق ثابت، والحقيقة أنه ليس إلا وليد الخيال، ومن الوهم الذي يتخذ في نفس الواهم صورة الحقيقة[١]. والآن فلنحاول الكشف عن الجذور الحقيقية لما يحويه العهد القديم من أفكار وعادات وتقاليد وأحكام وشرائع... الخ وبالله تعالى التوفيق.

أولا: التقاليد والعادات.

جاء في المدخل لبعض إصدارات كتاب النصارى المقدس ما نصه: «أسفار الكتاب المقدس هي عمل مؤلفين ومحررين عرفوا بأنهم لسان حال الله في وسط شعبهم»[٢]. هكذا، وبكل صراحة يؤكد لنا هذا النص أن الوحي الإلهي ليس المصدر الحقيقي لهذا الكتاب، المقدس في زعمهم. بل ويمضي قدما في تصريحه هذا ليضع النقاط على الحروف فيقول: «...لكنهم على كل حال، لم يكونوا منفردين، لأن الشعب كان يساندهم، ذلك الشعب الذي كانوا يقاسمونه الحياة والهموم والآمال... معظم عملهم مستوحى من تقاليد الجماعة. وقبل أن تتخذ كتبهم صيغها النهائية، انتشرت زمنا طويلا بين الشعب، وهي تحمل آثار ردود فعل القراء في شكل تنقيحات وتعليقات وحتى في شكل إعادة صيغة بعض النصوص إلى حد هام أو

(١) انظر: اليهودية لأحمد شلبي ص٢٥٦.

(٢) الكتاب المقدس للرهبانية اليسوعية ١/ ٣٤، نقلا عن: عبد السلام محمد (م.ن.) ص٩٧، واختلافات في تراجم الكتاب المقدس لأحمد عبد الوهاب ص٦٥.

قليل الأهمية[١]...». ويضيف أيضا في موضع آخر: «لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس، وهم يروون بداية العالم والبشرية أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم[٢]، ولا سيما من تقاليد ما بين النهرين[٣]، ومصر، والمنطقة الفينيقية الكنعانية»[٤].

وإن كان لا بد من التعليق على هذه النصوص التي هي في غاية الوضوح، فهو أن أسجل الشكر لمحرري هذه الحقائق الذهبية، والفضحية في الوقت ذاته، داعيا الله ﷻ لهم بالهداية والرشد والإفاقة، كي يتحرروا كليا عما ألزموا بها أنفسهم من أمور وهمية وخيالية لم ينزل الله بها من سلطان، ويقبلوا دين الإسلام، والله ولي التوفيق.

ثانيا: القصص والأغاني الشعبية.

لقد اعتمد كتّاب العهد القديم على هذه القصص والأغاني، ولا سيما ما تلقوه من أساطير الجزيرة العربية، والقصص الشعبية في كل من مصر والهند

---

(١) الكتاب المقدس للرهبانية اليسوعية ١/ ٣٤، نقلا عن عبد السلام محمد (م.ن.) ص٩٧، واختلافات في تراجم الكتاب المقدس لأحمد عبد الوهاب ص٦٥.

(٢) اسم يطلق على المنطقة التي تشمل آسيا غير السوفيتية من البحر الأبيض المتوسط إلى الحدود الشرقية لإيران، بالإضافة إلى الجزء الشمالي الشرقي من إفريقيا. ويطلق كثير من الناس اسم "الشرق الأوسط" على المنطقة نفسها. انظر: الموسوعة العربية العالمية ١٤/ ٩٤.

(٣) بلاد ما بين النهرين: منطقة قديمة ازدهرت فيها حضارة العالم الأولى، وكانت تشمل المنطقة التي تضم حاليا: شرقي سوريا وجنوب شرقي تركيا ومعظم منطفة العراق...، وقلب تلك المنطقة كان أرضا تمتد ما بين نهري دجلة والفرات. انظر: الموسوعة العالمية ٥/ ٤٢.

(٤) الكتاب المقدس للرهبانية اليسوعية ١/ ٦٦، نقلا عن: عبد السلام محمد (م.ن.) ص٩٨.

وبابل وبلاد الفرس[١] واليونان وغيرها من البلاد. حيث كان ذلك كله معينا غزيرا لأسفار العهد القديم، كما يقرره المؤرخ ول ديورانت[٢].

فعلى سبيل المثال، إن المرأة في معظم هذه القصص هي الأداة التي يتخذها الشيطان أو الحيّة وسيلة لإيقاع الناس في الشر. فهذه المرأة في سفر التكوين هي حواء[٣]، وفي الأساطير الصينية، بوسى، حيث يروى أن كل الأشياء كانت في بداية الأمر خاضعة للإنسان، لكن المرأة ألقت بنا في ذل الاستعباد، فشقاؤنا لم يأتنا من السماء وإنما جاءت به امرأة...![٤].

أما بالنسبة للأغاني الشعبية والتي تعتبر من أصول بعض أسفار العهد القديم ومصادرها فكثيرة جدا، منها أغاني الطعام، وأغنية الاحتفال بنهاية الحصاد، وأناشيد العمل، كنشيد البئر المذكور في سفر العدد[٥]، وأناشيد الزواج، كما في سفر نشيد الأنشاد[٦]، وتراتيل الحداد، وأناشيد الحرب، كالتي وردت مثلا في سفر القضاة[٧]. كما أن هناك حكما وأمثالا شعبية كثيرة اندرجت في، أو تحولت كليّا إلى سفر الأمثال وغيره من أمثال وحكم الأسفار التأريخية

---

(١) بلاد الفرس أو فارس القديمة، تُقصد بها: أرض تشمل أجزاءً من كل من إيران وأفغانستان الحاليتين. الموسوعة العالمية ١٧/ ١٧٦.

(٢) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ٢/ ٣٦٨-٣٦٩.

(٣) انظر: التكوين ٣/ ١-٦.

(٤) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ٢/ ٣٦٩.

(٥) انظر: العدد ٢١/ ١٧-٢٠.

(٦) انظر: نشيد الأنشاد ٣/ ٦-٥/ ١.

(٧) انظر: القضاة ٥/ ١-٣٢، وهي المعروفة بترنيمة دبورة وباراق.

لكتاب النصارى المقدس[١].

تعقيب:-

وهنا لا بد من الإشارة إلى خطأ وقع فيه بعض المؤرخين من غير المسلمين، وتبعهم فيه بعض من نقل عنهم من المسلمين[٢]، ومع الأسف الشديد. حيث زعم أن قصص الخلق، والطوفان، والجنة وما فيها من الشجرة المحرمة الأكل، مأخوذة من الأساطير والقصص الشعبية العالمية! أقول: لا غرابة في أن يكتب المؤرخ النصراني مثل هذه الزندقة والإلحاد، فقد يعذر بحكم جهله عن الإسلام[٣]، لكن البلية كل البلية أن ينقل عنه مسلم مثقف هذا الذي فيه جحود واضح وإنكار صريح لحقائق جاء بها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من غير تعقيب ولا تعليق، أو مناقشة ولا نقد. وكم جلبت الطبقة المثقفة منا ـ نتيجة النقل الحرفي عن الأعداء ـ للأمة من تشويش وفوضى وخلط ولبس، وعدم وضوح في الرؤية، وعدم الدقة في تصوير الحقائق، فلا فرق عندهم بين الشورى والديموقراطية، ولا بين الزكاة والضريبة، ولا بين حق الاجتهاد وحق التشريع، ولا بين المجاهدين والثوار أو المتمردين، ولا بين المتمسك والمتطرف، بل كل ما يصطلح عليه أعداء الله وأعداؤنا يرحَّب به، ويقبل من غير فحص أو تدقيق، ونسأل الله العفو والعافية والمعافاة.

---

(١) انظر: Bucaille,Maurice(Op.Cit.) P.4 بتصرف.

(٢) أعني بذلك المؤرخ: المؤرخ ول ديورانت في كتابه: قصة الحضارة ٢/ ٣٦٧-٣٦٩، والناقل عنه: الدكتور أحمد شلبي ـ عفا الله عنا وعنه ـ في كتابه: اليهودية ص٢٥٧-٢٥٨.

(٣) ليس المقصود بالإعذار هنا أنه لا يلام على إلحاده وزندقته، ولكن لا ذنب أعظم من الكفر بالله ﷻ.

ومثل هذا أيضا ما ذكره كاتب آخر: حول حادثة حبس الشمس لنبي من أنبياء بني إسرائيل ـ وهو يوشع (يشوع) بن نون عليه السلام ـ[1]، واعتبرها استهانة بإفساد قوانين الكون!![2]. والقصة قد ثبتت في حديث عن النبي ﷺ، حيث قال: « **غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن، ولا آخر قد بنى بنيانا ولم يرفع سقوفها، ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها. فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس: "إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا" فحبست حتى فتح الله عليهم** »[3]. وأما الدليل على أن هذا النبي هو يوشع، فقوله ﷺ في حديث آخر: « **إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع، ليالي سار إلى بيت المقدس** »[4].

ثالثا: قرارات المحافل اليهودية.

من المصادر المهمة لأسفار العهد القديم، قرارات محافل زعماء اليهود واجتماعاتهم، حيث كانوا يدفعون بقراراتهم لتصبح ذات طابع القداسة، حتى

---

(١) انظر: سفر يشوع ١٠/ ١٢-١٣.

(٢) القائل هو: عصام الدين حفني ناصف ـ عفا الله عنا وعنه ـ في كتابه: اليهودية في العقيدة والتأريخ. ص٦٩-٧٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الخمس، باب قول النبي ﷺ "أحلت لكم الغنائم"، رقمه: ٣١٢٤، الفتح٦/ ٢٢٠، ـ واللفظ له ـ. ومسلم في كتاب الجهاد، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة، رقمه: ١٧٤٧، انظر: صحيح مسلم (م.ن.) ٣/ ١٣٦٦. والإمام أحمد في المسند ٢/ ٣١٨.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٢٥. وهو على شرط البخاري كما قال الحافظ ابن كثير (البداية والنهاية١/ ٣٢٣) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: ٢٠٢.

صارت جزءًا من الأسفار المقدسة عندهم. ولهذا عندما اتّخذت أسفار العهد القديم وضعها النهائي، لم يتوقف زعماء اليهود عن محاولاتهم تجاه تقديس قراراتهم وابتداعاتهم، فألبسوها ثوبا جديدا ظهرت فيه باسم التلمود(١)، ثم البروتوكولات(٢)(٣).

رابعا: الفكر المصري.

حيث يعد كذلك من المصادر الرئيسة لأسفار العهد القديم، ففي بحث

---

(١) التلمود: مجموعة الشرائع اليهودية التي نقلت شفويا مقرونة بتفاسير رجال الدين منهم وينقسم إلى قسمين: "المشنة" أي النص، و"الجمارة" أي التفسير أو الشروح مع التكملة للنص. والتفاسير المسطرة مع المشنة هذه نوعان، أولهما يعرف بتلمود أورشليم، وقد كتب بين القرن الثالث والقرن الخامس، والثاني يعرف بتلمود بابل، وقد كتب في القرن الخامس للميلاد. انظر: الموسوعة الميسّرة ص٥٤٣، والكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة: د/ يوسف نصر الله ص٤٧-٤٩، وقاموس ك.م. ص٢٢٢.

(٢) البروتوكولات جمع بروتوكول (PROTOCOL) وهو: محضر الجلسة السياسية أو المسوّدة الأصيلة للاتفاقات التي تتم بين السفراء، قبل أن تصاغ على أساسها وثيقة يطلق عليها بعد التوقيع: معاهدة. (المورد لمنير البعلبكي ص٧٣٣، ومحمد فريد وجدي (م.ن.) ٢/ ١٨٠). ومن أهم وأخطر هذه البروتوكولات ما يعرف ببروتوكولات حكماء صهيون، وهي: عبارة عن وثائق محاضرة ألقاها زعيم صهيوني على مجموعة من رفاقه من اليهود الصهاينة ليستأنسوا بها، ويسيروا على ضوئها في إخضائهم للعالم والسيطرة عليه، أو مجموعة من القرارات التي اتخذها هؤلاء رؤساء اليهود في شكل مؤامرة شريرة ضد البشرية التي اعتقدوا أنها اشتركت كلها بطريقة أو أخرى في إذلال الشعب اليهودي والنيل منه. انظر: اليهودية لأحمد شلبي ص٢٧٢، ودراسات في الأديان لسعود الخلف ص٩٣، وبروتوكولات حكماء صهيون (الترجمة العربية) لمحمد خليفة التونسي ص١٤-١٥.

(٣) انظر: اليهودية لأحمد شلبي ص٢٥٦-٢٥٧ بتصرف.

بعنوان: مصدر مصري لأمثال سليمان[١]، أوضح الباحث أن هناك مؤلَّفا لبعض الحكماء المصريين تم اكتشافه حديثا على أوراق البردي[٢]، وقد سلك فيه هذا الحكيم مسلكا لا يختلف كثيرا عما هو في سفر الأمثال، أحد أسفار العهد القديم. فقد وضع نصائحه في ثلاثين بابا، وإصحاحات سفر الأمثال تزيد عن هذا العدد بإصحاح واحد فقط، كما أنه ساقها في صورة نصائح من والد لولده، ويوجد السياق نفسه في سفر الأمثال[٣].

ومن جهة أخرى، يرى كثير من النقاد والكتّاب أن المعاني التي ذكرها اخناتون[٤] في قصيدته عن الشمس تكررت بشكل ملحوظ في أسفار العهد القديم[٥].

خامسا: الفكر البابلي.

ترجع أهمية الفكر البابلي باعتباره مصدرا من مصادر أسفار اليهود المقدسة

---

(١) تقدم به الباحث أدولف إرمان (Adolf Erman) عام ١٩٢٤م إلى المجمع العلمي البروسي. انظر: اليهودية لأحمد شلبي ص٢٥٨.

(٢) البردي: نبات مائي مصري، استخدم قدماء المصريين أليافه لصنع صحائف يكتبون عليها. انظر: الموسوعة العربية العالمية ٤/ ٣١١.

(٣) وخاصة، الإصحاحات الأولى (من١ إلى ٧).

(٤) هو: اخناتون بن امنحتب الثالث، عاشر فراعنة الأسرة الثامنة عشرة، نادى بوحدانية إله يراه في قرص الشمس، وبنا لإلهه هذا معبدا سماه "معبد رع حور أختى" أي معبد رع - رب المشرق والمغرب - الموسوعة الميسرة ص٦٦.

(٥) انظر: التوراة للدكتور فؤاد حسنين ص٦٨-٦٩ نقلا عن: اليهودية لأحمد شلبي ص٢٥٨، ومحنة التوراة لعصام الدين حفني ناصف ص٥٧.

إلى أن هذه الأسفار أو معظمها، إنما جمعت لأول مرة في بابل أو بعد عودة اليهود منها بقليل. فلنستمع إلى بعض المؤرخين الغربيين: ويلس(Wells)[١]، وهو يصف حال اليهود قبل الأسر البابلي وحالهم بعده فيقول: « ... ذهبوا وليس لهم أدب مشترك معروف بينهم كافة، وليس هناك ما يدل على تعودهم تلاوة أي كتاب[٢]، وعادوا إلى وطنهم ومعهم شطر كبير من مادة العهد القديم »[٣]. فمن هنا كان للبيئة البابلية والأفكار الشائعة فيها أثر بالغ على أسفار العهد القديم، وعلى اليهود وحياتهم بصفة عامة.

سادسا: قانون حمورابي[٤]:-

ويعتبر أهم مصدر اعتمدت عليه أسفار العهد القديم، خصوصا من النواحي التشريعية.

تم اكتشاف هذا القانون في عام ١٩٠٢م، محفورا على عمود من الصخر، ويرجع تأريخه إلى نحو ١٩٠٠ ق.م.، وهو ـ كما يصفه بعض الباحثين المعاصرين[٥] ـ

---

(١) هو: هربرت جورج ويلس: روائي إنجليزي وإعلامي وعالم اجتماعي ومؤرخ شهير. من أشهر مؤلفاته: مخطط التأريخ، ولد في عام ١٨٦٦م وتوفي في عام ١٩٤٦م. الدائرة البريطانية ٢٣/ ٥٠٣.

(٢) أما هذا ففيه نظر، فإنهم في الأصل أهل كتاب، اللهم إلا إذا كان المقصود فقط قلة اهتمامهم به أو عدم الاهتداء بهديه.

(٣) Wells: The Outline of History. P.220، نقلا عن: اليهودية لأحمد شلبي ص٢٥٥.

(٤) نسبة إلى حمورابي: ملك بابل (٢١٠٠ق.م.)، وهو الملك السادس من ملوك الدولة الآشورية. أما القانون نفسه فيحتوي على ٢٨٢ مادة، وهو محفوظ الآن في متحف اللوفر بباريس في ٣٦٠٠ سطر بالخط المسماري. الموسوعة العربية الميسّرة ص٧٤٠، ونقد التوراة لأحمد حجازي السقا ص٨٤.

(٥) انظر: الموسوعة الميسرة ص٧٤٠، واليهودية لأحمد شلبي ص٢٥٩.

يدل على عقلية بلغت شأوا[١] عظيما من الرقي والنضج.

لقد سجل الباحثون شبها شديدا بين هذا القانون وبين القوانين اليهودية، ويُستبعد جدا وصف هذا الشبه بأنه سطحي أو عرضي، الأمر الذي دفع ببعضهم - من غير المسلمين - إلى القول بأن القوانين اليهودية في معظمها قد أخذت مباشرة من قانون أو تشريع حمورابي، وفي مقدمة هؤلاء أصحاب هذا القول: جيريمياس[٢]، وبارثن[٣] الذي كان يقول: «إذا نحن قارنا بين شريعة حمورابي وشريعة موسى[٤]، وجدنا تشابها كبيرا»[٥].

ومن أبرز ما أُخذ من قانون حمورابي وتحدّر إلى الفكر اليهودي: قانون المشابهة الذي يوجد علاقة وتجانسا بين الجريمة والعقوبة، ويلزم أن تكون العقوبة مثل الجريمة بقدر الإمكان، فالعضو الذي باشر إحداث الضرر يقع عليه العقاب بالمثل. فمثلا لو زلّت يد الطبيب المعالج في عملية جراحية فسببت وفاة المريض، أو فقأت عينه، أو بترت أنفه... الخ، قطعت يد الطبيب فورا عقابا على ما أقدمت عليه ولو من غير قصد. وكذلك إذا جرى لسان بالغيبة أو النميمة، فبتره هو الجزاء! وهكذا الحال بالنسبة للاعتداءات والجنايات في جميع الأعضاء حيث كان العقاب في مثل الموضع المصاب من المجني عليه. وكذلك بالنسبة للسلع

---

(١) الشأو: السبق والغاية والأمد. القاموس ص١٦٧٤.

(٢) صاحب كتاب: The Old Testament in the Light of the Ancient East "العهد القديم في ضوء الشرق القديم"، انظر: اليهودية لأحمد شلبي ص٢٥٩.

(٣) لم أقف على ترجمته.

(٤) الأولى أن يقول: شريعة العهد القديم لما تقدم من بيان براءة موسى عليه السلام منها.

(٥) نقلا عن: نقد التوراة لأحمد حجازي السقا ص٨٤.

والحيوانات والبضائع والأموال، فالثور بالثور، والضأن بالضأن والسلعة بالسلعة والسفينة بالسفينة... الخ[(١)] وكل هذا له ما يشبهه في شرائع العهد القديم[(٢)].

هناك خلاف يسير بين الباحثين في مصادر العهد القديم، حيث ذهب بعضهم إلى أن شرائع العهد القديم أو القوانين اليهودية مأخوذة غالبيتها من قانون حمورابي ـ وهذا ما سبق إيراده هنا ـ، وذهب آخرون إلى العكس، أعني: أن قانون حمورابي إنما اقتُبس من شريعة موسى عليه السلام، وممن نصر هذا المذهب ودافع عنه: الدكتور أحمد حجازي السقا[(٣)] في كتابه نقد التوراة[(٤)].

وأرى ـ والله أعلم ـ أن الخلاف بين الفريقين ما هو إلا خلاف لفظي ناتج عن عدم تحرير محل النزاع، وذلك أن من قال بأن قانون حمورابي هو الأصل إنما قال بأصالته لشرائع العهد القديم، وليس لشريعة نبي الله موسى عليه السلام، وفرق شاسع بين المصطلحين كما تقدم[(٥)]. وكذلك من قال إن قانون حمورابي مقتبس عن أصل آخر، إنما جعل ذلك الأصل: شريعة موسى عليه السلام الطاهرة النقية، وليس ما يعرف اليوم بالعهد القديم. ولذلك فإن الدكتور السقا ـ حفظه الله ـ في رده على مخالفيه في هذه المسألة لم ينازع في احتمال كون حمورابي زمنه أسبق على زمن موسى عليه السلام من حيث هو ـ علما بأن المؤرخين لم يتفقوا على الزمن الذي عاش فيه

---

(١) انظر: اليهودية لأحمد شلبي ص٢٥٩-٢٦٠، ونقد التوراة لأحمد حجازي السقا ص٨٤.

(٢) انظر: الخروج ٢١/ ٢٣-٣٦، واللاويين ٢٤/ ١٧-٢٢، والتثنية ١٩/ ٢١.

(٣) كاتب وناقد مصري معاصر، حصل على درجة الدكتوراة من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر بأطروحة عنوانها: البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل (مطبوعة ومنشورة)، وله جهود طيبة ـ حفظه الله ـ في إخراج عدد من الكتب المتخصصة في علم مقارنة الأديان.

(٤) انظر: ص٨٤-٨٥ منه.

(٥) راجع: الفصل الأول: التعريف بالعهد القديم.

حمورابي[١]، كاختلافهم أيضا في الزمن الذي عاش فيه موسى[٢] عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ، وإنما اعترض على ذلك من حيث إن تواريخ بني إسرائيل التي تذكر هذه الأسبقية في الزمن أو تفيدها، تتعارض مع نصوص في التوراة فلا يمكن الوثوق بها. ولا يغيب عن البال أن ما يطلق عليه فضيلته التوراة هنا وفي مواضع أخرى كثيرة من مؤلفاته، هي الأسفار الخمسة (البنتاتوك) وليست هي التوراة المنزلة التي يجب التسليم بما يرد فيها من أنباء أو أخبار أوحقائق.

فعلى كل، فإن النتيجة إذًا، أن على فرض كون موسى عليه السلام زمنه قد سبق زمن حمورابي، فلا شك أن قانون حمورابي مقتبسة من شريعته عليه السلام، ثم بعد ما فقدت هذه الشريعة الموسوية النقية، ودوّن ما عرف بالعهد القديم أخذ هو الآخر بعض قوانينه من قانون حمورابي، وهكذا يتم الجمع بين القولين وبالله تعالى التوفيق.

سابعا: قانون الحثيين[٣].

ويحتمل أن اليهود قد تأثروا بهذا القانون إبّان وجودهم في أرض الحثيين ومعاشرتهم كما يذكر ذلك سفر القضاة[٤].

---

(١) فقد قيل في القرن الثاني والعشرين ق.م.، وقيل بل في القرن الثامن عشر ق.م. انظر: الموسوعة العربية الميسّرة ص٧٤٠.

(٢) انظر: ص١٦١.

(٣) الحثيون هم: ذرية حث، ثاني أبناء كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، وقد كانوا من الأمم التي سكنت أرض كنعان (فلسطين) قبل العبرانيين، ويذكر أن لهم إمبراطورية ازدهرت في آسيا الصغرى أو فيما يسمى الآن تركيا بين ١٩٠٠ و١٢٠٠ ق.م. تقريبا. أما ثقافتهم ولغتهم فقد كانتا مزيجا من الهندية والأوروبية. قاموس ك.م. ص٢٨٩-٢٩٠ مع ٧٨٩، والموسوعة العربية العالمية ٩/ ٦٠١.

(٤) انظر: القضاة ٣/ ٥-٦.

ويبدو أن شريعة ميراث الأرملة كما جاءت في سفر التثنية[١] هي جزء من هذا القانون الحثي، وهو أن يرث الأخ أرملة أخيه المتوفى لتنجب منه طفلا باسم أخيه، وإلا فيرثها الآب. كما يقضي أيضا بزواج الابن من أرملة أبيه، وزواج الأخ بأخته، وغير ذلك من التقاليد الدنيئة[٢].

وفي ختام موضوع مصادر العهد القديم، أكرر ما تقدمت الإشارة إليه غير مرة، وهو أن احتمال كون أصولِ أجزاءَ غيرِ معينة من هذه الأسفار مصدرها الوحي الإلهي وارد. وقد أشرت كذلك إلى ما يحدد موقف المسلم من هذا الاحتمال، انطلاقا مما يروى عنه ﷺ: «**إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان حقا لم تكذبوهم وإن كان باطلا لم تصدقوهم**»[٣].

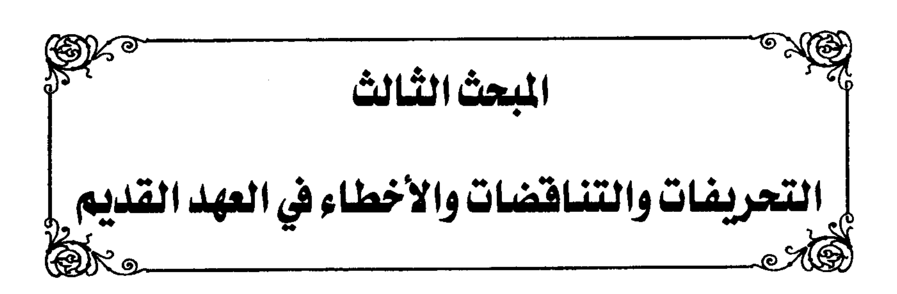
أما بالنسبة للمصادر ذاتها فهي ليست وحيا من الله، إلا أنه لا يبعد أن يكون بعض ما جاء فيها أثراً من آثار النبوة ـ كمسألة العقوبات والجنايات المشار إليها في الحديث عن قانون حمورابي ـ إذ إن البشرية لم تنفك قط عن نبي من الأنبياء، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: التثنية ٢٥/ ٥-١٠.

(٢) انظر: ترجمة: هل الكتاب المقدس كلام الله(للمؤلف: أحمد ديدات) لإبراهيم خليل أحمد ص١٩٠ و١٩٥ (تعليق المترجم).

(٣) تقدم تخريجه في ص٢١٧.



المبحث الثالث

التحريفات والتناقضات والأخطاء في العهد القديم

تمهيد:-

لقد فرّق القرآن الكريم بين التوراة المنزلة والتوراة المحرفة، فالأولى ـ كما يعتقد كل مسلم ـ وحدة دينية تمثّل ما أنزل الله تعالى على عبده ورسوله موسى عليه السلام، وهي التي يصفها رب العزة والجلال بأنها هدى ونور وضياء وفرقان وذكر... الخ. قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾[المائدة:٤٤]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾[الأنعام:٩١]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[الانبياء:٤٨].

وفي المقابل نجد حكم القرآن الكريم كذلك صريحا واضحا في التوراة المحرفة المبدّلة، فيقول: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[آل عمران:٧٨]، ويقول أيضا: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[البقرة:٧٩].

وفي الوقت ذاته، يقرر القرآن العظيم أن جميع ما جاء به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من عند الله ﷻ فهو حق يجب اتباعه والإيمان به ـ دون ما نسب إليهم وهم منه برآء، قال الله ﷻ: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[البقرة:١٣٦].

علمنا مما سبق تناوله أن أسفار العهد القديم التي بأيدي اليهود والنصارى ليس لها سند يمكن الاعتماد عليه أو الاستناد إليه في صحة المعلومات الواردة فيها. بالإضافة إلى أن الذين ائتُمنوا عليه ـ أعني اليهود ـ قد انحرفوا وزاغوا وأعرضوا عن طريق الله وشرائعه، فلا تستبعد إمكانية وقوع التحريف وتلاعب الأيدي والعبث في هذه الأسفار. ولا غرابة في هذا، لأن الذين أُشربوا في قلوبهم العجل فأنزلت التوراة لهدايتهم دون جدوى لن يكونوا أهلا لأن يؤتمنوا على كلام الله ﷻ(١).

فهذه أسفار العهد القديم مليئة بالأخطاء والتناقضات والأمور غير المعقولة، مما يجعلنا نوجّه سؤالا إلى حاخامات(٢) اليهود وقساوسة النصارى عمن هو المسؤول عن هذه الأغلاط والاختلافات والمحالات، أهي المصادر

---

(١) انظر: محنة التوراة لعصام الدين ناصف ص١٠، ودراسات في الأديان لسعود الخلف ص٦٩ بتصرف.

(٢) الحاخامات جمع حاخام وهو: اللقب الذي يحمله رجل ديني يهودي تم تنصيبه، والكلمة العبرية المقابلة للحاخام هي الراباي، وتعني في الأصل العبري: معلّمي أو مدرّسي. انظر: الموسوعة العالمية ٩/ ١٩.

المختلفة التي استخدمت في تأليف هذه النصوص أم هي الإضافات اللاحقة والتعديلات المتلاحقة التي أضيفت إلى هذه النصوص الإلهية ـ كما يزعمون؟

ففي أحد أسفار هذا الكتاب نفسه جاء: «أما وحي الرب فلا تذكروه بعد، لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه، إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا»[١]. وجاء في الوثيقة الخاصة بالعهد القديم في المجمع المسكوني للكاثوليك أن كتب العهد القديم تحتوي على أمور غير كاملة ومؤقتة، لكنها تبدو أسلوبا إلهيا حقيقيا![٢]. وتقول دائرة المعارف الأمريكية: «لم تصلنا أي نسخة بخط المؤلف الأصيل لكتب العهد القديم، أما النصوص التي بين أيدينا فقد نقلتها إلينا أجيال عديدة من الكتبة والنساخ. ولدينا شواهد وفيرة تبين أن الكتبة قد **غيروا بقصد** أو **بدون قصد** في الوثائق والأسفار التي كان عملهم الرئيس هو كتابتها أو نقلها»[٣]!

وها هي إيلين ج. وايت[٤] تعترف هي الأخرى بقابلية كتابهم المقدس للخطأ والتحريف والتناقض فتقول: «إن الكتاب المقدس الذي نقرؤه اليوم نتاج عمل نساخ عديدين استطاعوا في معظم الأحيان أن ينجزوا عملهم في التدوين

---

(١) إرميا ٢٣/ ٣٦.

(٢) انظر: وثائق المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني (الترجمة العربية) ص٤١٠.

(٣) الدائرة الأمريكية ٣/ ٦١٧، وكاتب المقالة هو: أرثور جيفيرى: أستاذ اللغات السامية بجامعة كولومبيا في نيو يورك، وأحد المشاركين في إعداد الدائرة.

(٤) هي قسيسة متنبئة من طائفة الأدفنتست السبتيين، وهم من طوائف البروتستانت، يقولون بعودة المسيح ثانية، ويقدسون يوم السبت لا الأحد. انظر: الموسوعة العربية الميسّرة ص١٠٠، و Deedat, Ahmed(op.cit.) P.23

بإتقان مدهش. ومع هذا فإنهم لم يكونوا معصومين من الخطأ. وإن الله ـ في هذا ـ لم ير ضرورة تحصينهم أو حفظهم من الخطأ» ! وقالت أيضا: « إني أرى أن الله قد حفظ الكتاب المقدس بصفة خاصة[١]، ومع ذلك، فعندما كانت نسخ الكتاب المقدس قليلة، استطاع علماؤه تحقيق بعض الاقتراحات بتغيير كلام الله! ظنا منهم أنهم إنما يوضحونه. وهم في الحقيقة كانوا يجعلون أكثر غموضا ذلك الذي كان واضحا وصريحا، ويرجع هذا إلى ميولهم الشخصية لتحقيق وجهات نظر مؤسساتهم الدينية، التي تتحكّم فيها التقاليد والأعراف الموروثة »[٢]!

ومع هذه البراهين القاطعة والاعترافات الصريحة بوقوع التحريف والأخطاء في هذه الكتب، لقد دأب رجال الكنيسة على إخفاء الأمر تارة والتقليل من أهميته تارة أخرى. فيرون أو يدّعون مثلا أنه طبيعي جدا أن يقدِّم الكتاب الديني كهذا أمورا تأريخية بحسب وجهة النظر الدينية. فهم ـ هؤلاء الكتّاب ـ يكتبون التأريخ حسب مقتضيات الحال، ويحاولون جادين فرض ما يناقض الحقيقة كحقيقة واجبة التسليم بها[٣]. فكأني بهم يطلبون من كل عاقل تعطيل عقله عن التفكير أو التدقيق، وإلاّ، كيف يمكن للعقل السليم أن يُسلّم بمثل هذه المتناقضات: "الكتاب المقدس محرّف لكنه نقي! "وإنه بشري ومع هذا فهو إلهي"! "ويحتوي على

(١) لعلها تقصد أن الله حفظ الكتاب في الجملة، أما تحريف أشياء عديدة فيه فهي تقر بذلك وتعترف به كما سيأتي في كلامها. أما لو قصدت أن الكتاب قد حفظه الله من التحريف مطلقا فيكون كلامها متناقضاً.

(٢) نقلا عن: Deedat, Ahmed (op.cit.) P.23.

(٣) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 21.

نواقص وسقطات لكنها إلهية حقيقية"!، فوالله إنها ازدواجية يصعب جدا تفسيرها.

ويقول آخر منهم وهو القس الأمريكي جيمي شواغارت، ـ افتراءً وبهتانا: «إن المبادئ العلمية تفيد أنه بالنسبة لكتب العهود القديمة تكفي عشر نسخ منها للتحقق من النص الأصيل من غير ضرورة وجود الأصل نفسه»[١]!! وذلك في محاولته الفاشلة لإيجاد حل لمشكلة تعاني منها نسخ كتابهم المتعددة والتي لا تتفق نسختان منها مع كثرتها وتعددها، والأصل مفقود!!!

بل وقد ذهب بعضهم إلى أبعد من هذا فادعى استحالة وقوع التحريف في كتابهم المقدس، وفي مقدمة هؤلاء المستشرق بفندر[٢]، ومؤلفو[٣] كتاب: استحالة تحريف الكتاب المقدس. ويزعمون أن لهم أدلةً على موقفهم هذا من القرآن الكريم، فيبترون بعض نصوصه، ويؤولون بعض معاني نصوصه الأخرى[٤].

ففي هذا المبحث أتناول موضوع التحريف والتناقض والخطأ في أسفار العهد القديم بشيء من الإيجاز مع ذكر ما تيسر من الشواهد والأمثلة لكل ذلك بمشيئة الله تعالى.

---

(١) مناظرة ديدات مع شوارغارت (م.ن.).

(٢) هو: C.C. Pfunder: كان مستشرقا أمريكيا كاثوليكيا ثم تحول إلى البروتستانتية، وبعد ذلك سكن في إنجلترا التي ابتعثته فيها بعد رئيسا للمنصّرين في الهند في القرن الميلادي التاسع عشر، وكان من أجرأ من كتب في الطعن في الإسلام وكتابه ونبيه ﷺ، ومن أشهر مؤلفاته: ميزان الحق، وإظهار الدين النصراني. انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ـ مقدمة المحقق ـ ص٢٢-٢٤

(٣) ساهم في إخراج هذا الكتاب: البابا شنودة الثالث، والأنبا دومادیوس ـ أسقف الجيزة. وقام بمراجعته: الدكتور إبراهيم سدراك. انظر: عبد السلام محمد (م.ن.) ص٥ و١٤.

(٤) راجع: عبد السلام محمد (م.ن.) ص٢٣-٢٨ للوقوف على بعض استدلالاتهم الباطلة.

المطلب الأول: التحريفات في العهد القديم.

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: معنى التحريف في اللغة وفي الاصطلاح، وذكر أنواعه.

التحريف في اللغة: هو التغيير والتبديل، يقال: حرّف الكلام أي غيّره وصرفه عن معانيه[1]، وحرف عن الشيء يحرف حرفا وانحرف وتحرّف واحرورف، بمعنى: عدل. يقال: قلم محرّف، أي عُدل بأحد حرفيه عن الآخر[2].

وأما في الاصطلاح، فتحريف الكلام: «أن تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين»[3]. وقيل إن التحريف خاص بالتغيير في اللفظ دون المعنى[4].وهو ـ أعني التحريف اللفظي ـ أنواع يمكن حصرها في ثلاثة:-

١ ـ التحريف بالتبديل

٢ ـ التحريف بالإضافة أو الزيادة

٣ ـ التحريف بالحذف أو النقصان، وستأتي أمثلة لكل منها إن شاء الله من واقع نصوص العهد القديم.

---

(١) انظر: القاموس ص١٠٣٣، والمعجم الوسيط ١/ ١٦٧.

(٢) انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٥/ ١٤، ولسان العرب لابن منظور ٣/ ١٢٩، وتاج العروس للزبيدي ٦/ ٦٩.

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص١٦٤.

(٤) انظر: الكليّات لأبي البقاء الكفوي تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري٢/ ٧٢، والتعريفات للجرجاني ص٥٣.

أما التحريف المعنوي ـ أعني: تأويل معنى اللفظ أو صرفه عن وجهه الصحيح أو إخفاء معناه ـ فلا نزاع بيننا وبين النصارى في وقوعه في أسفار العهد القديم، بل يتهمون اليهود بأنه قد صدر عنهم في تفسير النصوص التي ـ في زعمهم ـ هي إشارة إلى مجيئ المسيح ﷺ، وفي غيرها[١].

ولعل السبب في إقدامهم على هذا ـ بعد الكفر بالله ورسله، وفساد الضمير ـ هو أنه بعد أن انتشرت نصوص العهد القديم خارج حدود إسرائيل، وخاصة بعد ترجمتها إلى اللغة اليونانية، صعب على اليهود إجراء أي تحريف لفظي بإبدال أو زيادة أو حذف في نصوصها، وقد زادت هذه الصعوبة بظهور الديانة النصرانية وتمسكها بهذه النصوص بل وطباعتها مع أناجيلهم في كتاب واحد. فلجأت اليهود حينئذ إلى التحريف المعنوي[٢]. ولهذا سوف أقتصر هنا على التحريف اللفظي بأنواعه الثلاثة إذ هو الذي ينكره كل من اليهود والنصارى إلى هذا اليوم.

ومن الجدير بالإشارة أن للعلماء المسلمين في محل التحريف في التوراة ثلاثة أقوال، الأول أن جميعها محرفة، والثاني أن التحريف في جزء منها، والثالث أن التحريف في التأويل دون التنزيل، وليس المجال مجال التفصيل في مثل هذا، بيد أنني أشير إلى المراجع لمن أراد التوسع فيه[٣].

---

(١) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٢٧، و٢/ ٤٥٦.

(٢) انظر: البشارة بنبي الإسلام للسقا ١/ ٦٠و٦١.

(٣) راجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد علي بن حزم الظاهري ١/ ٢٨٧، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٧٦، والتفسير الكبير لفخر الدين الرازي٣/ ١٣٤-١٣٥ و١٠/ ١١٧-١١٨، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ طبعة مطبعة المدني بالقاهرة ـ =

المسألة الثانية: هدف التحريف وطرقه المختلفة.

إن النظرة السريعة في أسفار العهد القديم تكفي للوقوف على أن الهدف من تلاعب الأيدي بها هو تبرئة بني إسرائيل من العيوب، وإلصاقها بسواهم من الشعوب، ففيها نقرأ أن أحد ابني آدم عليه السلام كان ضالا والآخر مهتديا، ومن هذا المهتدي ـ وهو شيث ـ ينحدر بنو إسرائيل(١)، وينصبّ اللعن والغضب الإلهيان على كنعان بن حام بن نوح عليه السلام (٢) لا لشيء إلا لأن الكنعانيين حاربوا اليهود، وبنو موآب(٣)، وبنو عمّون ـ وكلاهما من الأعداء التقليديين لبني إسرائيل(٤) ـ ينحدر نسلهم من ولدي الزنا، وأي زنا؟ زنا ابنتين مع أبيهما(٥)!، وهم لذلك، لا يحق لهم الدخول في جماعة الرب(٦)(٧)، فهكذا كلها أمور مدروسة ومبرمجة.

أما كيف تتم عملية التحريف، فخلاصتها أن لهذه الكتب مصادر عديدة

=

١/ ٣٥٦و٣٧٨-٣٨٠، و٢/ ١٦-١٩، و٢٦-٢٧، وإغاثة اللهفان في مصائد الشيطان لابن القيم الجوزي٢/ ٧٥٦-٧٦٤، ونقد التوراة لأحمد حجازي السقا ص١٧١-١٧٢.

(١) انظر: التكوين ٤/ ١٧-٢٦ مع ٥/ ١-٣٢ مع ١١/ ١٠-٢٩ مع ٢١/ ١-٣ مع ٢٥/ ١٩-٢٦.

(٢) انظر: التكوين ٩/ ٢٥-٢٧.

(٣) بنو موآب هم: هم أحفاد موآب ابن ابنة لوط من أبيها كما يزعم أعداء الله اليهود والنصارى. انظر: قاموس ك.م. ص٩٢٧.

(٤) انظر: قاموس ك.م. ص٩٢٨، و٦٤٠.

(٥) انظر: التكوين ١٩/ ٣٠-٣٨.

(٦) انظر: التثنية ٢٣/ ٢.

(٧) انظر: محنة التوراة لعصام الدين ناصف ص١١-٢٧، واليهودية لأحمد شلبي ٢٦٠-٢٦١، ومحمد عبد الله الشرقاوي (م.ن.) ص١٩٨.

ـ كما رأينا ـ وكل مصدر قد وجد أمامه مادة أقدم منه فيحاول البحث عن مكان لمادته الجديدة داخل نصوص هذه الكتب. ثم تبقى عليه مهمة التوفيق بين مادته الجديدة والمواد الأخرى القديمة، والتي هي بدورها تنبثق عن مصادر أخرى مخالفة، فيضطر حينئذ إلى القيام بعملية تحرير تهدف إلى تحقيق وحدة النص. فيجري التعديلات اللازمة بالإضافة حينا، وبالحذف حينا آخر، وبالتبديل أحيانا أخرى(١). وقد أخبرنا القرآن الكريم بعدد من الطرق والكيفيات التي يتم بها تغيير أسفار أهل الكتاب وتحريفها، ومنها:-

١ ـ صرفها عن معانيها، قال الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾[المائدة:١٣].

٢ ـ تبديل ألفاظها، قال الله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾[البقرة:٥٩].

٣ ـ الظن والتخرص بالباطل، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[البقرة:٧٨].

٤ ـ تزوير نسبة ما ألّفوه من الكتب إلى الله ﷻ لقاء منفعة مادية، قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[البقرة:٧٩].

٥ ـ تلبيس الحق بالباطل، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ

(١) انظر: نجاح محمود الغنيمي (م.ن.) ص٤٤ بتصرف.

ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[آل عمران:٧١].

٦ ـ إيهام الناس بأن بعض ما ليس في الكتاب منه، وذلك بلي[١] الألسنة، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[آل عمران:٧٨].

٧ ـ افتراء الكذب على الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٩٣-٩٤].

٨ ـ الإخفاء، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ ﴾ [المائدة:١٥][٢].

وإليكم شواهد ونماذج على قدر ما تسد به الحاجة إن شاء الله بالنسبة لوقوع التحريف بأنواعه الثلاثة في أسفار العهد القديم.

---

(١) أصل اللي: الفتل والقلب: من قول القائل: "لوى فلان يد فلان"، إذا فتلها وقلبها. ويقال: لواه يلويه ليّا، أي فتله، وثناه فالتوى وتلوّى. تفسير الطبري ٣/ ٣٢٢، والقاموس ص١٧١٦.

(٢) انظر: نجاح محمود الغنيمي (م.ن.) ص١٣-١٦.

المسألة الثالثة: شواهد التحريف بالتبديل.

أ ـ ما جاء في سفر أخبار الأيام الأول[١]: «وفي جبعون[٢] سكن أبو جبعون[٣] يعوئيل[٤]، واسم امرأته معكة». هكذا النص في الترجمة اليونانية ومن بعدها الترجمة اللاتينية، وهو مخالف لما في النسخة العبرانية، حيث ورد فيها: «واسم أخته معكة» وليس اسم زوجته، كما يقول أحد مفسري كتاب النصارى المقدس: آدم كلارك[٥] في تفسيره: «وقع في النسخة العبرانية لفظ "الأخت" وفي اليونانية واللاتينية والسريانية[٦] لفظ: الزوجة، وتبع المترجمون هذه التراجم»[٧].

فأين وقع التحريف إذًا؟ يرى الباحثون المهتمون بدراسة العهد القديم أن التحريف حاصل في النسخة العبرانية، ولذلك فإن البروتستانت مع دعواهم التمسك بالنسخة العبرانية قد عدلوا عنها هنا وتبعوا ما ورد في الترجمات

---

(١) ٩/ ٣٥.

(٢) جبعون: مدينة تبعد عن أورشليم بنحو خمسة أميال إلى الشمال، ويعرف الموقع في الوقت الحالي بقرية الحبيب. قاموس ك.م. ص٢٤٦.

(٣) أي رئيس مدينة جبعون. انظر: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم للقس وليم مارش ٥/ ١٨.

(٤) هو: يوئيل أبو جبعون، من نسل بنيامين بن يعقوب عليه السلام وأحد أسلاف شاول أول ملوك بني إسرائيل. قاموس ك.م. ص١٠٧٧ مع ٩١٦.

(٥) آدم كلارك: من علماء طائفة ميثودست النصرانية، وقد ترأس مؤتمراتها في لندن أكثر من مرة، له تفسير ضخم على كتاب النصارى المقدس كتبه فيما بين عام ١٨١٠م و١٨٢٦م، توفي عام ١٨٣٢م. انظر: The New inter. Dictionary of the Christian Church P.230-231.

(٦) اللغة السريانية هي: لغة أهالي سوريا القديمة أو آرام. قاموس ك.م. ص٤٦٦.

(٧) نقلا عن: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٤١.

المذكورة، أي لفظ "زوجة" أو "امرأة"[١].

ب ـ وفي سفر أخبار الأيام الثاني[٢]: «لأن الرب ذلل يهوذا بسبب آحاز ملك إسرائيل». وآحاز هذا كان أحد ملوك بني إسرائيل بعد انقسامهم إلى مملكتين (إسرائيل ويهوذا)، لكن آحاز لم يكن قط ملكا لإسرائيل وإنما كان ملك يهوذا[٣]. وقد استدرك هذا أيضا مترجمو النسختين اليونانية واللاتينية فجعلوا لفظ "يهوذا" بدل "إسرائيل"[٤]. أما واضعو الترجمة العربية فقد تحيروا في الأمر، حيث كتبوا في طبعة عام ١٨٤٤م: "ملك يهوذا"، وفي طبعة عام ١٨٦٥م وما بعدها: "ملك إسرائيل"![٥].

ج ـ وفي سفر المزامير[٦]: «أرسل ظلمةً فأظلمت ولم يعصوا كلامه». ففي هذا نفي العصيان عن المخبر عنهم، وهو النص العبراني، بخلاف النص الوارد في النسخة اليونانية: «عصوا كلامه». وقد أشكل هذا على مفسري كتاب النصارى المقدس إشكالا خطيرا أدّى ببعضهم إلى القول بأنه: «قد طالت المباحثة لأجل هذا الفرق جدا، وظاهر أنه نشأ إما لزيادة حرف أو

---

(١) نفسه. وانظر النسخة القياسية المراجعة (البروتستانتية) RSV، وكذلك الترجمة العربية طبعتي عام ١٨٤٤م، و١٨٦٥م وما بعدها.

(٢) ١٩/٢٨.

(٣) انظر قائمة أسماء ملوك المملكتين في قاموس ك.م. ص٩١٦-٩١٧، حيث لم يرد ذكر أي ملك من ملوك مملكة إسرائيل بهذا الاسم.

(٤) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٤٣.

(٥) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ـ تعليق المحقق ـ ٢/ ٤٤٣.

(٦) ٢٨/١٠٥.

لتركه»[١]. وقد اختارت البروتستانت هنا كذلك النص اليوناني ـ وهو ما في النسخة الكاثوليكية: NAB أيضا ـ واكتفوا بالإشارة الهامشية إلى مخالفته للنص العبراني![٢].

أما النسخة العربية المنتشرة اليوم ففيها عبارة النص العبراني وليس اليوناني.

د ـ وفي سفر صموئيل الثاني[٣]: «وفي نهاية أربعين سنة قال أبشالوم[٤] للملك دعني فأذهب وأوفي نذري الذي نذرته للرب في حبرون»[٥]. هكذا ورد النص بلفظ الأربعين في بعض النسخ[٦]، وفي بعضها بلفظ الأربع بدل الأربعين[٧]، فأي النصين محرّف؟ أجاب آدم كلارك في تفسيره للنص قائلا: «لا شبهة أن هذه العبارة محرّفة... أكثر العلماء على أن الأربعين وقع موضع الأربع من غلط الكاتب»[٨]! ويقول القس وليم مارش: «كان عمر أبشالوم كله أقل من أربعين سنة... لذلك قال أكثر المفسرين بوقوع غلط في الكتابة، والصواب: أربع سنين»[٩].

---

(١) رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٤٤.

(٢) انظر: النسخة القياسية المراجعة RSV ص٤٨٧.

(٣) ١٥/ ٧.

(٤) هو: أبشالوم بن داود ﷺ، قيل إنه قد دبر لقتل أحد إخوته من أبيه ثم تآمر في آخر حياته ضد والده. قاموس ك.م. ص١٣-١٤.

(٥) مدينة حبرون: هي مدينة الخليل الفلسطينية اليوم، تقع في منطقة فلسطين الجبلية، وهي على بعد ١٩ ميلا إلى الجنوب الغربي من القدس. قاموس ك.م. ٢٨٧، ومحمد محمد شرّاب (م.ن.) ص٣٤٦.

(٦) ومنها النسخة العربية، طبعة عام ١٨٦٥م وما بعدها.

(٧) ومنها النسخة العربية، طبعة عام ١٨٤٤م (انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ـ تعليق المحقق ـ ٢/ ٤٤٦)، ونسختا RSV وNAB.

(٨) نقلا عن: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٤٦.

(٩) وليم مارش (م.ن.) ٤/ ١٩٦.

هـ ـ ز: في ثلاثة مواضع من العهد القديم ورد إثبات أحكام لليهود حسب النص العبراني، ثم حرفت هذه النصوص لتفيد نقيض تلك الأحكام، وتفصيل ذلك كما يلي:-

الموضع الأول[1]: في أحكام تتعلق بالجارية، ورد «إن قبحت في عيني سيدها الذي لم يكن قد خطبها لنفسه». وفي الحاشية: «الذي خطبها لنفسه».

الموضع الثاني[2]: في حكم بعض الطيور المحرمة الأكل مثل: الجراد، والدّبا، والجندب ـ حسب النص العبراني ـ وجاء ما يفيد إباحتها في الحاشية كذلك.

الموضع الثالث[3]: في حكم البيت الذي باعه صاحبه ولم يتقدم لاسترجاعه خلال سنة، ورد في النص العبراني ما ينفي ثبوت الملكية الأبدية في ذلك للمشتري، وفي الحاشية نفي هذا الحكم.

فالشاهد في هذا ـ كما يقول العلامة رحمت الله الهندي رحمه الله ـ: «واختار علماء البروتستانت في هذه المواضع الثلاثة في تراجمهم الإثبات وعبارة الحاشية، وتركوا المتن الأصلي، فعندهم الأصل في هذه المواضع محرّف، ومن وقوع التحريف فيها اشتبهت الأحكام الثلاثة المندرجة فيها، فلا يُعلم يقينا أن الصحيح الحكم الذي يفيده النفي أو الحكم الذي يفيده الإثبات»[4]!

---

(١) الخروج ٢١/ ٨.

(٢) اللاويين ١١/ ٢١.

(٣) اللاويين ٢٥/ ٣٠.

(٤) رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٦٠، وانظر كذلك نسخة RSV ص٦٤ (الهامش).

ح ـ وفي سفر أخبار الأيام الثاني أيضا: « وابتدأ أبيا[١] في الحرب بجيش من جبابرة القتال أربعمائة ألف رجل مختار، ويربعام[٢] اصطفّ لمحاربته بثمانمائة ألف رجل مختار جبابرة بأس[٣]... وضربهم أبيا وقومه ضربة عظيمة فسقط قتلى من إسرائيل خمسمائة ألف رجل مختار »[٤].

فهذه الأعداد المذكورة: ـ أربعمائة ألف في تعداد جيش أبيا، وثمانمائة ألف في تعداد جيش يربعام، وخمسمائة ألف في تعداد المقتولين من جيش يربعام وحده ـ مبالغ فيها جدا بل ومخالفة للقياس والعقل. فلما كان الأمر هكذا، غُيرت هذه الأعداد في أكثر نسخ الترجمة اللاتينية لتصير أربعين ألفا بدل الأربعمائة ألفا، وثمانين ألفا بدل الثمانمائة، وخمسين ألفا بدل الخمسمائة. ويقول آدم كلارك: « يعلم أن العدد الصغير [أي: أربعين، وثمانين، وخمسين ألفا] في غاية الصحة، وحصل لنا موضع الاستغاثة كثيرا بوقوع التحريف في أعداد كتب التواريخ »[٥]. وأما المفسر الآخر: وليم مارش فيقول: « ...والبعض يقولون بوقوع غلط من الناسخ، أو أن الكاتب بها أنه لاوي، كثّر وزاد لغايته الخاصة »[٦]. ومع هذا كله فقد ظهرت

---

(١) هو: أبيا بن رحبعام بن سليما بن داود عليهما السلام، تولى حكم مملكة يهوذا بعد أبيه رحبعام. قاموس ك.م. ص٢٤ مع ص٤٠٠.

(٢) هو: يربعام بن ناباط من سبط إفرايم، وهو الملك الأول على المملكة الشمالية (إسرائيل) بعد بداية الانقسام. قاموس ك.م. ص١٠٥٩.

(٣) أخبار الأيام الثاني: ١٣/ ٣.

(٤) أخبار الأيام الثاني ١٣/ ١٧.

(٥) نقلا عن: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٥٤.

(٦) وليم مارش (م.ن.) ٥/ ٥٠.

النسخ الحديثة[١] لكتاب النصارى المقدس بالأعداد الكثيرة هذه والتي يجزم علماؤهم بخطئها ههنا!

ط ـ وفي سفر إشعياء[٢]: «كما تشعل النارُ الهشيمَ[٣] وتجعل النار المياه تغلي، لتُعرّف أعداءك اسمك لترتعد الأمم من حضرتك». يقول آدم كلارك في تفسيره للنص: «المتن العبراني محرّف كثيرا ههنا»، والصحيح أن يكون هكذا: «كما أن الشمع[٤] يذوب من النار»[٥].

ي ـ وفي سفر إشعياء أيضا[٦]:« ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل»[٧].

فهذا النص ـ على فرض كونه دالاً على ولادة المسيح كما يزعم النصارى[٨] ـ ففيه موافقة لما جاء به القرآن الكريم من أن أمه كانت عذراء، لم تكن قد

(١) انظر مثلا: الترجمة العربية، طبعة عام ١٩٨٧م، ونسخة NAB، ونسخة RSV.

(٢) ٦٤/ ٢ وهو في ٦٤/ ١ حسب النسخة العبرية أو العبرانية، انظر: نسخة RSV ص٥٩٦، ونسخة NAB ص٨٨٩.

(٣) الهشيم هو: نبْت يابس متكسر أو يابس كل كلإٍ وكل شجر. القاموس ص١٥١٠.

(٤) الشمع هو: ما يستصبح به. القاموس ص٩٤٩.

(٥) نقلا عن: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٥٥.

(٦) ٧/ ١٤.

(٧) عمانوئيل: لفظ عبري معناه: الله معنا. قاموس ك.م. ص٦٣٩ وجدير بالذكر أن المسيح عليه السلام لم يسم قط عمانوئيل، فكيف يستدل بالنص على ولادته!!!؟

(٨) وهو ليس كذلك، لأن المسيح لم يسم عمانوئيل، وإنما يستدل النصارى بالنص على التجسد لأن عمانوئيل معناه: الله معنا، فهذا خطأ فاحش.

تزوجت لا بيوسف النجار[١] ولا بغيره عندما ولدته عليه السلام. ولما كانت تعاليم الكنيسة النصرانية حول مريم وولدها عليهما السلام بخلاف هذا الحق، أقدم محررو ما أسموه بالنسخة القياسية المراجعة لكتاب النصارى المقدس على تحريف هذا النص، فبدلوا لفظ العذراء وهو في اللغة الإنجليزية: "Virgin" بلفظ: "Young Woman"[٢] أي الثيب الصغيرة[٣]. وهذا الذي هو نقيض الحق الذي جاء به القرآن الكريم هو ما يتمشى مع تعاليم الكنيسة الباطلة والتي تنسب المسيح عليه السلام إلى يوسف النجار، الزوج المزعوم لمريم العذراء رضي الله عنها[٤].

وهكذا نجد أسفار العهد القديم قد أبدلت وحرّفت لأسباب يعلمها هؤلاء المحرّفون أنفسهم أكثر من غيرهم من البشر، ولا يزال أتباعهم في اختلاف وجدال حولها، حتى إن بعضهم ليتّهم أسلافهم بأنهم تعمدوا القيام بهذه التحريفات، وخاصة في النسخة العبرية بعد ما ترجمت إلى اليونانية بغرض صرف الناس عن التمسك بالأصل العبري! ويرى بعضهم أن العكس هو الصحيح، أعني أن التحريفات المتعمدة هذه إنما كانت في الترجمة أو النسخة اليونانية[٥][٦].

---

(١) جاء في التعريف به في قاموس ك.م. ص١١١٨ أنه: زوج مريم العذراء أم يسوع. كما يزعمون أيضا أن يسوع قد مارس مهنة النجارة كذلك فترةً من الزمن.

(٢) انظر: AbdulHayee,SK.MD.(op.cit.) P.60

(٣) انظر النص في نسخة RSV ص٥٤٦.

(٤) اقرأ ما جاء في لوقا ٣/ ٢٣.

(٥) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٣٦-٤٣٧، و٤٦٥-٤٦٦.

(٦) ولمزيد من الشواهد، راجع كلا من: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٢٩-٤٦٠، ونقد التوراة للسقا ص١٤٩-١٥٦، وعبد السلام محمد (م.ن.) ص١٠٩-١١١.

المسألة الرابعة: شواهد التحريف بالزيادة.

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ ﴾[البقرة:٧٩].

هذا النوع من التحريف له دواعي وأسباب، يمكن إجمالها فيما يلي:-

أولا: الرغبة في الاستمرار مرحلةً جديدة، حينا بعد آخر في استئكال الشعب. فلقد أودع كهنة اليهود هذه الأسفار من الأوامر والوصايا ما يكفل لهم توفير الرزق وبسط النفوذ. وعندما يفطنون إلى مطالب جديدة، لم يتحرجوا أبدا في أن يضيفوا إلى المتن ما يُدرّ المزيد من المال الصامت والناطق[(١)]. ويُمهد لمزيد من الهيبة والنفوذ. كما يؤكدون دائما أن هذه الفرائض وتلك الوصايا إنما يفرضها الإله، كي تكون الأرزاق المجنية خلالها حقا ثابتا لهم، وفرضا أبديا على رعاياهم[(٢)]. بل ويُحرمون على غيرهم مشاركتهم في هذا الاختصاص المزوَّر[(٣)]، أو حتى الاقتراب منهم أثناء مزاولة هذه الأفاعيل، كما جاء في ذلك: «وتوكّل هارون وبنيه فيحرسون كهنوتهم، والأجنبي الذي يقترب يُقتل»[(٤)] وإن كانت الفعلة هي الخلوة بامرأة أجنبية[(٥)]!!!

---

(١) المال الناطق هو المواشي والصامت هو النقدان (الذهب والفضة).

(٢) انظر: الخروج ٢٢/ ٢٩، والتثنية١٧/ ١.

(٣) انظر: الخروج ٣٠/ ٣٧-٣٨، والعدد ١٨/ ٨-٩.

(٤) العدد ٣/ ١٠.

(٥) انظر: العدد ٥/ ١٨-٢٨.

ثانيا: التنديد بالأعداء القوميين لبني إسرائيل، والترغيب في نصب الحروب ضدهم وغزوهم في عقر ديارهم، واستئصالهم مع كل ما يملكون من دار وعقار ونحوهما. وإليكم من نصوصهم في ذلك: «فالآن اذهب واضرب عماليق[(١)] وحرّموا كل ما له ولا تعف عنهم بل اقتل رجلا وامرأة، طفلا ورضيعا، بقرا وغنما، جملا وحماراً»[(٢)].

ثالثا: إرضاء كبريائهم، وغطرستهم القومية، وإشباع نزعتهم إلى المبالغة والافتخار بما ليس عندهم[(٣)].

رابعا: اختلاق تفسير أخلاقي للعقوبات والهزائم التي مُني بها بنو إسرائيل، أوالمحن التي حلت ببعض ذوي الشأن منهم، إذ كان الاعتقاد السائد بين اليهود أن الناس إنما يجازون على ما يصنعون بالعقوبة أوالمثوبة العاجلة في هذه الحياة الدنيا، فكل كارثة تحل بامرئ إنما حلت لإثم جسيم قد أسلفه[(٤)].

خامسا: تفسير ما أشكل على الأتباع وحارت فيه عقولهم، ومن ذلك ما تقدم ذكره من تفسيرهم وتعليلهم لسبب اختلاف ألسنة البشر ولغاتهم[(٥)].

سادسا: اقتباس ما يناسب هواهم من الأديان الأخرى بعد اتصالهم بشعوب لم يكونوا يتصلون بها، واختلاطهم بها في السلم والحرب. وقد كان هذا من

---

(١) هم شعب من أقدم سكان سورية الجنوبية، ومن ذرية عيسو. قاموس ك.م. ص٦٣٦.

(٢) ١ ـ صموئيل ١٥/ ٣ وانظر: أستير ٩/ ٥-٦، و١٥-١٦.

(٣) انظر: الخروج١٢/ ٣٧، والعدد٣/ ٤٣.

(٤) انظر: التكوين ٣٨/ ٧، ١٠، و١ ـ الملوك ١١/ ٤-١٣.

(٥) وانظر: سفر التكوين ١١/ ١-٩.

أسباب وجود عبارات الشرك والإلحاد التي طغت على رسالة التوحيد الإلهية في هذه الأسفار[١].

هذا، ومن شواهد التحريف بالزيادة في العهد القديم ما يلي:-

أ- ما جاء في سفر التكوين[٢]: «وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم... فقال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق...».

ومن الثابت الذي لا خلاف فيه بين أهل الملل الثلاث أن إسماعيل هو بكر إبراهيم، أي أول ولد رزق به عليهما السلام. وقد ولد قبل أخيه إسحاق عليه السلام - حسب نص العهد القديم نفسه - بأربعة عشر عاما[٣]. فهل ينطبق لفظ "الابن الوحيد" أو "وحيدك" على إسماعيل الذي كان فعلا الابن الوحيد لإبراهيم عليهما السلام طيلة أربع عشرة سنة، أم على أخيه إسحاق الذي لم يكن يوما قط ابن إبراهيم الوحيد؟[٤]، عليهم جميعا وعلى نبينا الصلاة والسلام. فمن هنا تنكشف اللعبة وتتضح المؤامرة المتمثلة في زيادة لفظ "إسحاق" في النص المذكور أعلاه، كي يكون هو الذبيح الذي يأتي خاتم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من نسله، وليس إسماعيل عليهما السلام. لكن العقل السليم والتفكير المجرد يستبعدان أن يقال لرجل ليس له إلا ولد واحد فقط: "وحيدك فلان" فما فائدة التمييز إذا كان

---

(١) انظر في هذه الأسباب: محنة التوراة لعصام الدين ناصف ص٢٨-٤٣.

(٢) التكوين ٢٢/ ١-٢.

(٣) انظر: التكوين١٧/ ٢٠-٢٥.

(٤) انظر: البشارة بنبي الإسلام للسقا ١/ ٦٠.

هو الابن الوحيد فعلا؟

ومما يدل على بطلان دعوى كون الذبيح هو إسحاق عليه السلام ما يأتي:

١ ـ أن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام أن ينقل إسماعيل وأمه هاجرعن سارّة سيدتها، أم إسحاق ويسكنهما في برية مكّة[١]. فحفظا لقلب سارة، ودفعا لأذى الغيرة عنها، أُمر إبراهيم عليه السلام بإبعاد الجارية وولدها عنها. فكيف يأمر الله عز وجل بعد هذا بذبح ابن سارة وإبقاء ابن الجارية؟

٢ ـ أن الله تعالى قال في قصة إبراهيم وزوجته سارّة: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾[هود:٧١]، فكيف يأمر بعد ذلك بذبح إسحاق، وقد بشّر أبويه بحفيد لهما من جهته![٢].

ب. ما جاء في سفر التثنية[٣]: «يائير ابن منسّى[٤] أخذ كل كورة أرجوب[٥]... ودعاها على اسمه... إلى هذا اليوم». فهذا اللفظ الأخير "إلى هذا

---

(١) كما جاء في قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم:٣٧]، وانظر القصة أيضا في التكوين ٢١/ ٩-٢١، مع ملاحظة أن اللفظ الوارد في النص التكويني: برية فاران.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم الجوزي ٢/ ٧٥٩-٧٦٠.

(٣) ٣/ ١٤.

(٤) هو: يائير بن سجوب، وردت ترجمته في أكثر من موضع في قاموس ك.م.، وتارة يقال إنه من سبط منسّى (ابن يوسف عليه السلام)، انظر ص٤٦، و٣٢٨. وتارة أخرى يقال إنه من سبط يهوذا (ابن يعقوب عليه السلام)، انظر ص١٠٤٣!

(٥) أرجوب: اسم إقليم في باشان، كان يشمل ستين مدينة حصينة. قاموس ك.م. ص٤٦.

اليوم"، وأمثاله كثيرة في العهد القديم[١]، إنما دخل في النص بعد وفاة كاتبه بزمن طويل، ولذلك ساغ لمدرجه أن يقول:إلى هذا اليوم، ليخبر أن الاسم الذي سماها به يائير هو اسمها إلى وقته هو لا إلى وقت كاتب النص في الأصل، لا سيما وأن النص الذي معنا يقع في الجزء الذي يزعم أن موسى عليه السلام قد كتبه بيده[٢].

ج ـ وفي سفر العدد[٣]: «فسمع الرب لقول إسرائيل ودفع الكنعانيين، فحرموهم ومدنهم فدعي اسم المكان حرمة».

فهذه الجملة بلا شك ملحقة بالنص أو مدرجة فيه، إذ لم يتم انهزام الكنعانيين إلا بعد وفاة موسى عليه السلام. وهذا ما يقر به المفسر النصراني آدم كلارك حيث قال: «إني أعلم أن هذه الآية ألحقت بعد موت يشوع، لأن جميع الكنعانيين لم يهلكوا إلى عهد موسى بل بعد موته»[٤] عليه السلام. وأما المفسر وليم مارش فيقول هو الآخر بأسلوب ملتو ومحتمل: «ولا نعلم أكان ذلك [يعني هزيمة الكنعانيين على أيدي بني إسرائيل] في الحال أو دفعة أو على التوالي»[٥].

د ـ وفي سفر الخروج[٦]: «وأكل بنو إسرائيل المنّ أربعين سنة... أكلوا المنّ حتى جاءوا إلى طرف أرض كنعان».

---

(١) انظر: يشوع ٤/ ٩ و٥/ ٩ و٨/ ٢٨، ٢٩ و١٠/ ٢٧ وغيرها.

(٢) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٦٩ بتصرف.

(٣) ٢١/ ٣.

(٤) تفسير آدم كلارك ١/ ٦٩٧، نقلا عن: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٧٥.

(٥) وليم مارش (م.ن.) ٢/ ٣٠١.

(٦) ١٦/ ٣٥.

فهذا النص في الأسفار التي يزعمون أن كاتبها موسى عليه السلام، وقد سلف الحديث عن بطلان نسبته إليه بحجة أن موسى عليه السلام لم يعش إلى زمن مجيئ بني إسرائيل إلى أرض كنعان، أي ـ فلسطين ـ، أو إلى نهاية الأربعين سنة التي قضى الله على بني إسرائيل بالتيه خلالها[١]. وإنما القصد هنا: إثبات كون هذا من النصوص التي زيدت على أصل التوراة، ويدل على هذا أن المنّ لم يمسك عن بني إسرائيل مدة حياة نبيهم موسى بن عمران عليه السلام. وقد أقر بذلك آدم كلارك في تفسيره زاعما أن الذي ألحقه بالأصل هو عزرا الكاتب[٢]. أما دعوى وليم مارش وهو يفسر هذه الفقرة: أنها لا تستلزم كون المنّ قد انقطع أصلا بل إنه بقي حتى زمن قيادة يشوع للشعب الإسرائيلي[٣]، فهي دعوى بلا دليل. نعم ليس هناك ما يمنع من استمرار تدفق المن إلى المدة المذكورة، ولكن أن يكون النص الذي أمامنا غير مستلزم لما ذُكر فأمر خيالي لا حقيقة له، وإلا فما الفائدة من التحديد بحرف "حتى" المستخدمة عادة لتحديد الغاية!

هـ . وفي سفر التثنية[٤]: « لا يدخل ابن زنا في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل منه أحد في جماعة الرب ».

فهذا النص مفترى وملحق ولا يتصور كون موسى عليه السلام قد كتب مثل هذا

---

(١) كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾[المائدة: ٢٦].

(٢) انظر: تفسير آدم كلارك ١/ ٣٩٩، نقلا عن: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٧٦.

(٣) انظر: وليم مارش (م.ن.) ١/ ٣٩٠.

(٤) ٢٣/ ٢.

الافتراء والذي يكذبه الواقع حسب نصوص أخرى من كتاب النصارى المقدس أيضا. فإن النبي داود عليه السلام هو البطن العاشر من فارص[١]، وفارص[٢] هذا - وفق ما جاء في سفر التكوين[٣] - ولد زنا. فيا ترى إن لم يكن داود عليه السلام داخلا في جماعة الرب فمن يكن داخلا فيه؟؟ أهؤلاء الدجّالون الكذّابون الأكّالون للسحت!؟

وحيث إنني قد قطعت على نفسي عهدا في هذه الرسالة بأن لا أترك ثغرة مهما صغرت أو دقّت لهؤلاء القوم يجدون من خلالها مبررا لأكاذيبهم - ما استطعت إلى ذلك سبيلا - أشير إلى ما قد يوردونه من شبهة - افتراضا - وذلك أن عبارة "حتى الجيل العاشر" لا تعني دخول الجيل العاشر نفسه في الحكم، بل ينتهي عنده. وبلفظ آخر أن المعنيين بالحكم هم الأجيال التسعة الأولى فقط، وعليه، فإن الحكم لا يشمل داود النبي عليه السلام.

والجواب أن نقول: أولاً، إن هذا لا مسوّغ له من حيث اللغة، فالمعروف من أسلوب اللغة العربية أن "حتى" تستعمل لتحديد نهاية الغاية، فلو قيل مثلا: اقرأ كتاب كذا من الصفحة الأولى حتى الصفحة العاشرة، فإن الكلام واضح في أن المطلوب قراءة جميع الصفحات العشر[٤].

---

(١) انظر: متّى ١/ ٣-٦.

(٢) هو فارص بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام. قاموس ك.م. ص٦٦٩.

(٣) انظر: التكوين ٣٨/ ١٥-٣٠.

(٤) قال الكفوي رحمه الله: "(حتّى) مختصة بغاية الشيء في نفسه... والغاية تدخل في حكم ما قبلها مع (حتّى) دون (إلى)". انظر: الكليّات للكفوي ٢/ ٢٤٤-٢٤٥.

وثانيا: أن النص المذكور هنا: "حتى الجيل العاشر" هو عبارة طبعة عام ١٨٦٥م لكتاب النصارى المقدس باللغة العربية، وأما العبارة نفسها في طبعة عام ١٨٤٤م فهي: "حتى يمضي عليه عشرة أحقاب"[١]، فهو صريح في أن المراد الأجيال العشرة وليس التسعة، وبالله تعالى التوفيق.

و. وفي سفر التكوين أيضا[٢]: « فدعا إبراهيم اسم ذلك المكان يهوه يِرْأه، حتّى إنه يقال اليوم في جبل الرب يُرى ». وفي التوراة السامرية: « ودعى إبراهيم اسم ذلك الموضع الله ينظر. الذي يقال اليوم في جبل الله يستجاب »[٣].

وهذا الجبل ـ كما يقول آدم كلارك ـ إنما سمي بهذا الاسم (جبل الرب أو جبل الله) بعد بناء الهيكل زمنَ النبي سليمان، وذلك بعد نحو أربعمائة وخمسين سنة من موت موسى عليهما السلام[٤]. فيظهر من هذا أن النص قد زيد على توراة موسى عليه السلام، وقد نقل القول بهذا وليم مارش عن بعضهم ثم أشار إلى ضعفه[٥] كما هو المنتظر منه طبعا.

ز. ما جاء في قصة يهوذا مع زوجة ابنه، وهي قصة طويلة، ومما جاء فيـها: « فمـال إليها على الطريق وقـال هاتى أدخل عليك لأنـه لم يعلم أنـها

---

(١) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ـ تعليق المحقق ـ ٢/ ٤٨٣.

(٢) ٢٢/ ١٤.

(٣) التوراة السامرية، ترجمة: الكاهن السامري: أبو الحسن إسحاق الصوري. نشر: الدكتور أحمد حجازي السقا ص٦٢.

(٤) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٧٣.

(٥) وليم مارش (م.ن.) ١/ ١٦٠.

كنّته[١]...»[٢]. فجملة "لأنّه لم يعلم أنّها كنّته" لا توجد في النسخة العبرية الأصيلة، وإنما هي عبارة توضيحية من المحررين كانت في البداية في الحاشية ثم انتقلت إلى المتن من دون أي تنبيه أو إشارة[٣]، وهذا ليس بغريب على هذا الكتاب المقدس عند النصارى، بل قد انتقلت فقرات كاملة فيه من الحاشية إلى المتن[٤]!

ح . **وفي سفر التثنية**[٥]: «... فطردهم بنو عيسو[٦] وأبادوهم من قدامهم وسكنوا مكانهم كما فعل إسرائيل بأرض ميراثهم التي أعطاهم الرب».

فهذه الفقرة من الزيادات التي أدخلت على التوراة بعد وفاة موسى عليه السلام، ويدل على هذا قولهم فيها: "كما فعل إسرائيل بأرض ميراثهم التي أعطاهم الرب"[٧].

ط . **وفي سفر التثنية أيضا**: جاءت أخبار وفاة موسى، ودفنه، وهيئة جنازته... الخ، وهذه كلها بلا شك من الإضافات التي لحقت بكتاب اليهود المقدس بعد وفاة موسى عليه السلام نفسه بسنين وربما بقرون كما تقدم[٨].

---

(١) الكَنّة: امرأة الابن أو الأخ. القاموس ص١٥٨٥.

(٢) التكوين ٣٨/ ١٦.

(٣) انظر: Deedat, Ahmed: Combat Kit P.14

(٤) كما في الفقرات ٩-٢٠ من الإصحاح السادس عشر من إنجيل مرقس. انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٧٠ و٤٧٧، و Deedat, Ahmed: Is The Bible God's Word? P.18

(٥) ٢/ ١٢.

(٦) هو: عيسو بن إسحاق، وتوأم يعقوب عليهما السلام. قاموس ك.م. ص٦٤٩.

(٧) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٧٣-٤٧٤.

(٨) انظر: ص١٥٩.

المسألة الخامسة: شواهد التحريف بالحذف.

إن أسفار العهد القديم كما كانت فريسة للعبث بالتبديل والإضافة، فكذلك قد تعاورها الحذف في غير ما موضع، سوف أشير إلى نماذج منها إن شاء الله. وصدق الله عز وجل، وهو القائل ﷻ في وصف هذا العمل الشنيع الذي وقع فيه علماء أهل الكتاب: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾[الأنعام:٩١]. وقال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ﴾[المائدة:١٥].

وقبل إيراد النماذج للتحريف بالحذف في هذه الأسفار، أشير إلى أن من أهم دواعي هذا النوع من التحريف، استبعاد ما أصبح في نظرهم لا يوائم الأوضاع الراهنة ولا يسيغه الوعي الجديد بعد أن أكل عليه الدهر وشرب. وحاشا أن يكون مثل هذا من الله الذي يعلم ما كان وما يكون وما سيكون إلى الأبد.

وفيما يلي بعض شواهد التحريف بالحذف في أسفار العهد القديم:-

أ ـ كما أن هناك أسفارا زيدت على أسفار العهد القديم التي عند اليهود، فكذلك توجد أسفار أخرى قد حذفت منها مع أن الإشارات إليها لا تزال موجودة في هذا الكتاب. ومن ذلك ما جاء في سفر يشوع[(١)]: « فدامت الشمس

---

(١) ١٠/١٣.

ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه، أليس هذا مكتوبا في سفر ياشر...». وفي سفر أخبار الأيام الأول[١]: «وأمور داود الملك الأولى والأخيرة هي مكتوبة في سفر أخبار صموئيل الرائي[٢]، وأخبار ناثان[٣] النبي، وأخبار جاد الرائي»[٤]. وفي سفر الملوك الأول[٥]: «وبقية أمور سليمان[٦] وكل ما صنع وحكمته، أما هي مكتوبة في سفر أمور سليمان؟». وفي سفر العدد[٧]:«ولذلك يقال في كتاب حروب الرب واهب في سُوفة[٨] وأودية أرنون»[٩].

فهذه الأسفار: "ياشر، وأخبار ناثان، وأخبار صموئيل، وأخبار جاد، وأمور سليمان، وحروب الرب" كلها عند النصارى المعاصرين كالعنقاء[١٠]، سمعوا

---

(١) ٢٩/٢٩.

(٢) الرائي بمعنى النبي. انظر: ١ ـ صموئيل ٩/ ٩، وقاموس ك.م. ص٣٩٤.

(٣) ناثان: قيل إنه من أنبياء بني إسرائيل في يهوذا، وكان معاصرا لداود وسليمان عليهما السلام. قاموس ك.م. ص٩٤٣.

(٤) جاد الرائي: قيل إنه من أنبياء بني إسرائيل، وأنه كان صديقا ومستشارا لداود النبي عليه السلام. قاموس ك.م. ٢٤١.

(٥) ١١/ ٤١.

(٦) يعني نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام.

(٧) ٢١/ ١٤.

(٨) سوفة: لفظ عبري معناه: ريح عاصفة، وقد أطلق على مقاطعة في أرض موآب. قاموس ك.م. ص٤٩٤.

(٩) أرنون: اسم لنهر يدعى اليوم: "وادي الموجب" في المملكة الأردنية الهاشمية. أما أوديته فهي: وله، من الشمال الشرقي، وعنقيلة، من الشرق، وسيل الصعدة، من الجنوب. قاموس ك.م. ص٥٧.

(١٠) العنقاء: طائر خرافي، قال في القاموس: العنقاء هي الداهية، وطائر معروف الاسم مجهول الجسم، ونظيره الغنجول، وهي دابة لا تعرف حقيقتها. انظر: القاموس ص١١٧٨و١٣٤٤.

عنها ولم يروها ولا توجد في كتابهم المقدس[١].

ب. وفي سفر الخروج[٢]: « وأخذ عمرام[٣] يوكابد عمته زوجةً له، فولدت له هارون وموسى » . هذا في التوراة العبرية، وقد سقط منها لفظ: "ومريم أختهما" أي أن هؤلاء الثلاثة: هارون وموسى عليهما السلام ومريم، هم أولاد عمرام من يوكابد كما في النسخة السامرية »[٤][٥].

ج. وفي سفر التكوين[٦]: « وكلّم قايين هابيل[٧] أخاه، وحدث إذ كانا في الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله » . هكذا النص في النسخة العبرية، ولنقرأ النص نفسه في النسخة السامرية للعهد القديم حيث تقول: « فقال قايين لهابيل أخيه نمضي إلى الصحراء. وكان عند كونهما في الصحراء قام قايين إلى هابيل أخيه فقتله »[٨].

فالملاحظ أن عبارة "نمضي إلى الصحراء" غير موجودة في النص العبري، وقد اعترف بعض علمائهم بأنها سقطت من النص، وأن هذا سبب عدم التلائم

---

(١) انظر: محنة التوراة لعصام الدين حفنى ناصف ص٤٧.

(٢) ٦/ ٢٠.

(٣) هو عمرام بن قهات، والد موسى عليه السلام، ورئيس عشيرة العمرانيين. قاموس ك.م. ص٦٣٨.

(٤) انظر: التوراة السامرية ص١٢٠.

(٥) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٥٢٥.

(٦) ٤/ ٨.

(٧) قايين وهابيل هما ابنا آدم وحواء عليهما السلام. قاموس ك.م. ص٧١٠ و٩٩٣. واقرأ قصتهما في القرآن الكريم: سورة المائدة آية ٢٧-٣١.

(٨) التوراة السامرية ص٣٩.

بين الجملة الأولى منه والتي تليها أعني (وكلّم أو قال قايين لهابيل أخيه). مع (وحدث إذ كانا في الحقل أو الصحراء)[١].

د . وفي سفر التكوين أيضا[٢]: «ولما كانوا قد خرجوا من المدينة ولم يبتعدوا قال يوسف للذي على بيته قم واسع وراء الرجال ومتى أدركتهم فقل لهم لماذا جازيتم شرا عوضا عن خير. أليس هذا هو الذي يشرب سيدي فيه وهو يتفاءل به، أسأتم في ما صنعتم».

وهذا النص في قصة يوسف ﷺ وإخوته، حيث جاء فيه النص القرآني هكذا: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۝٧١ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴾[يوسف:٧٠-٧٢].

فالملحوظ على النص المذكور من العهد القديم حذف لفظ السرقة التي اتُّهم بها إخوة يوسف ﷺ. ولهذا أقر بعض المفسرين النصارى بأن جملة "لم سرقتم صواعي" حذفت في بداية الفقرة الخامسة من الإصحاح[٣].

والعجيب أن لفظ السرقة هذا قد ذكر في طبعة سنة ١٨٤٤م للترجمة العربية، حيث كان النص فيها كما يلي: «إن الصاع الذي يشرب به سيدي والذي يتفاءل به سرقتموه أسأتم فيما فعلتم»[٤]. وكذلك توجد عبارة السرقة هذه في النسخة

(١) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٥٢٢.

(٢) ٤٤/ ٤-٥.

(٣) انظر: تفسير هارسلي للكتاب المقدس ١/ ٨٢، نقلا عن: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٥٢٤.

(٤) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ـ تعليق المحقق ـ ٢/ ٥٢٤.

القياسية المراجعة RSV وهي النسخة المعتمدة لدى البروتستانتيين الذين يدّعون التمسك بالنسخة العبرية الأصيلة. إلا أنهم لم يجدوا مفرا من الإقرار هنا بأن تلكم النسخة التي تدّعى لها الأصالة والدقة الخ، قد أصابها أيضا ما أصاب غيرها من نسخ هذا الكتاب من حذف أو طرح ونحوهما، فقالوا في الهامش:[١]

"Heb. lacks"Why have you stolen my silver cup أي: « **ليس في النسخة العبرية عبارة "لِـمَ سرقتم صاعي"** ».

هـ . وفي سفر التكوين أيضا[٢]: « واستحلف يوسف بني إسرائيل قائلا: الله سيفتقدكم، فتصعدون عظامي من هنا ». حيث حذف في آخر هذا النص لفظ: "معكم" وهو موجود في النسخة السامرية[٣].

و . وفي سفر أيوب[٤]: « ثم مات أيوب شيخا وشبعان الأيام ». حيث ينتهي السفر بهذا النص حسب النسخة العبرية الموجودة اليوم، إلا أن القدماء من علماء النصارى يرون أن للسفر تتمةً، فيها بيان نسب أيوب عليه السلام وبيان أحواله، وفيها عبارة "ويبعث مرة أخرى مع الذين يبعثهم الرب". ووُجدت هذه التتمة في الترجمة اليونانية كذلك. أما المحققون من البروتستانتيين فيعترضون على التتمة ويعتبرونها زيادة على النص الأصيل. لكنهم يسلّمون بوجودها حتى قبل زمن المسيح عليه السلام![٥].

---

(١) The Bible, RSV (Illustrated); The British & Foreign Bible society 1967. P.39.

(٢) ٥٠/ ٢٥.

(٣) انظر: التوراة السامرية ص١١٢.

(٤) ٤٢/ ١٧.

(٥) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٥٢٧-٥٢٨.

وإذا كان الأمر كذلك، فلا يخلو الأمر من: إما أن يكون النصارى القدماء بما فيهم الحواريون وأتباعهم قد اعتقدوا خطأً ما ليس من كتاب النصارى المقدس على أنه منه، أو أنهم على صواب فيما اعتقدوا وأن التحريف بالحذف إنما حصل في النص العبري كما وقع في مواضع أخرى كثيرة منه. والله تعالى أعلم.

ز. وفي سفر إشعياء[١]: « فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر جميعا لأن فم الرب تكلم ». هكذا في النسخة العبرية، وأما النص في النسخة اليونانية فكما يلي: « ويظهر جلال الرب ويرى كل بشر جميعا نجاة إلهنا لأن فم الرب قاله »[٢]. وقد علق آدم كلارك على النص اليوناني هذا بقوله: « ظني بأن هذه العبارة هي الأصل... وهذا السقوط في المتن العبراني قديم جدا »[٣]. يعني سقوط لفظ: "نجاة إلهنا". ومما يؤيد كون هذا اللفظ قد حذف من النص العبري ما جاء في إنجيل لوقا، وهو قريب من النص اليوناني، أعني قوله: « ويُبصر كل بشر خلاص الله »[٤]، وما جاء في سفر إشعياء نفسه في موضع آخر: « فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا »[٥].

ح . وفي سفر إشعياء أيضا[٦]: « تُلاقي الفرح الصانعَ البرَّ. الذين

---

(١) ٤٠/ ٥.

(٢) نقلا عن: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٥٢٩.

(٣) تفسير آدم كلارك ٤/ ٢٧٨٥، نقلا عن: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٥٢٩.

(٤) لوقا ٣/ ٦.

(٥) إشعياء ٥٢/ ١٠.

(٦) ٦٤/ ٥.

يذكرونك في طرقك. ها أنت سخطت إذ أخطأنا، هي إلى الأبد فنخلص». فهذه الفقرة من الفقرات العويصة التي استشكل مفسرو كتاب النصارى المقدس بيانها، فأدى ذلك ببعضهم إلى الجزم بأن شيئا ما قد سقط من النص. وفي مقدمة هؤلاء: المفسر الكنسي آدم كلارك الذي قال في شرحه للفقرة: «اعتقادي أنه وقع النقصان من غلط الكاتب، وهذا التحريف قديم جدا، لأن المترجمين المتقدمين لم يقدروا على بيان معنى الآية بيانا حسنا كما لم يقدر عليه المتأخرون منهم»[(١)].

ويشهد لما قاله هنا ما جاء في النسخة القياسية المراجعة RSV، أعني تعليقهم في الهامش على هذه الفقرة بعبارة: "Hebrew obscure"[(٢)] وتعني: أن النسخة العبرية ـ في هذه الفقرة ـ غامضة أو غير مفهومة.

ط. وفي سفر الملوك الثاني[(٣)]: «وفي السنة السابعة أرسل يهوياداعُ[(٤)] فأخذ رؤساء مئات الجلادين[(٥)] والسعاة[(٦)] وأدخلهم إليه إلى بيت الرب وقطع معهم عهدا واستحلفهم في بيت الرب وأراهم ابن الملك».

وهذا في تفصيل المكيدة التي دبّرها الكاهن يهوياداع كي يمكن

---

(١) نقلا عن: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٥٣٠.

(٢) The Bible, RSV (illustrated) P.597

(٣) ١١/ ٤.

(٤) يهوياداع: رئيس كهنة الهيكل في أيام أخزيا وعثليا. قاموس ك.م. ص١٠٩٨.

(٥) الجلادون جمع جلّاد: وهم الذين كانت الحكومة الرومانية تستخدمهم ليجلدوا المذنبين أو ليضربوا أعناقهم، وهم كرجال البوليس في الاصطلاح المعاصر. قاموس ك.م. ص٢٦٤.

(٦) السعاة جمع ساع: ويقصد بهم الجنود المشاة الذين كانوا يحرسون الملك عادة. قاموس ك.م. ٤٦٦.

يوآش[١] من الوصول إلى كرسي الملك الذي كان أبوه يتبوؤه. ولكن عندما جاء كاتب ـ أوكتبة ـ سفر أخبار الأيام الثاني، ورأى في بيان مؤامرة التتويج هذا خطأ فاضحا، يتمثل فيما صرّح به سفر الملوك من دخول هؤلاء الأجانب الأنجاس ـ في نظرهم ـ من الجلادين والسعاة إلى هيكل الرب، وهذا في مفهومهم يُعد تدنيسا للهيكل، أعاد سرد القصة نفسها لكن في ثوب جديد، فحذف منها كون هذا الكاهن قد أدخل هؤلاء في هيكل الرب، وأحلّ محلَهم الكهنة وغيرهم من اللاويين، فقال: « وفي السنة السابعة تشدد يهوياداع وأخذ معه في العهد رؤساء المئات[٢]، عزريا بن يروحام، وإسماعيل بن يهوحانان... وجالوا في يهوذا وجمعوا اللاويين من جميع مدن يهوذا ورؤوس آباء إسرائيل وجاءوا إلى أورشليم، وقطع كل المجمع عهدا في بيت الله مع الملك وقال لهم هو ذا ابن الملك يملك كما تكلم الرب عن بني داود»[٣].

ي . وفي سفر صموئيل الأول[٤]: « فـركـض[٥] داود ووقـف عـلـى

---

(١) هو يوآش بن اخزيا، الملك الثامن من ملوك يهوذا، حوالي سنة٨٣٦-٧٩٧ ق.م. كانت عمته يهوشبعة زوجة يهوياداع قد أخفته لما دبرت جدته عثليا مكيدة لقتله مع بقية ذرية الملك اخزيا، وكان عمره آنذاك سنة واحدة فقط، ثم بقي مخفيا في غرفة من الهيكل لست سنوات قبل أن يتولى يهوياداع عملية عزل عثليا ثم تتويج يوآش ملكا على يهوذا وهو في السابعة من عمره. انظر: قاموس ك.م. ص٩١٧ و١١٠١.

(٢) رئيس المائة أو قائد المائة يعني ضابطا عسكريا، أو رئيس فرقة من العسكر تتكون من مائة عنصر أو فرد. قاموس ك.م. ص٧٤٦.

(٣) أخبار الأيام الثاني ٢٣/ ١-٣.

(٤) ١٧/ ٥١.

(٥) الركض: تحريك الرجل، ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ﴾[ص: ٤٢]، والدفع، واستحثاث الفرس للعدْو، وتحرك الجناح، والعدْوُ. القاموس ص٨٣٠.

الفلسطيني[(١)] وأخذ سيفه واخترطه[(٢)] من غمده[(٣)] وقتله وقطع به رأسه».

ففي هذا النص أن قاتل جليات الفلسطيني هو داود النبي عليه السلام، ولننظر الآن ما ذا في سفر صموئيل الثاني عن هذه الحادثة نفسها، وهي حادثة لها أهميتها في تأريخ بني إسرائيل، فقد جاء فيه: «ثم كانت أيضا حرب في جوب[(٤)] مع الفلسطينيين، فألحانان بن يعري أرجيم البيتلحمي[(٥)] قتل جليات الجتي...»[(٦)].

إذًا، فالقاتل حسب هذا النص الأخير هو ألحانان بن يعري أرجيم البيتلحمي وليس داود عليه السلام! وإذا جئنا إلى سفر أخبار الأيام الأول، وجدنا أن الكاتب هناك قد استدرك على النصين السابقين فزاد لفظ: "أخا" على نص سفر صموئيل الثاني فقال: «وكانت أيضا حرب مع الفلسطينيين فقتل ألحانان بن ياعور لحمي أخا جليات الجتي[(٧)]...».

ولما كان الحق الذي لا مرية فيه أن قاتل جليات الفلسطيني هو داود النبي

---

(١) أي جليات (جالوت) الجتي، كان من جبابرة الفلسطينيين يقال إن طوله بلغ أكثر من تسعة أقدام. قاموس ك.م. ص٢٦٥.

(٢) اخترط السيف أي استلّه. القاموس ص٨٥٨.

(٣) الغِمد: جفْن السيف. القاموس ص٣٨٨.

(٤) جوب: اسم السهل الذي شبت فيه نار الحرب بين الفلسطينيين وبني إسرائيل في حكم داود مرتين. ويدعي البعض أنه مدينة جازر (تل الجزر في الوقت الحالي) على بعد ١٨ ميلا غرب أورشليم. قاموس ك.م. ص٢٤٢ و٢٧٦.

(٥) جاء في ترجمته في قاموس ك.م. ص١٠٤: أنه "ابن ياعير، وهو الذي قتل أخا جليات الجتي".

(٦) صموئيل الثاني ٢١/ ١٩.

(٧) أخبار الأيام الأول ٢٠/ ٥.

عليه السلام، قال الله عز وجل: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[البقرة:٢٥١]، لذا نجزم بأن نص سفر صموئيل الثاني قد أُسقط منه لفظ "أخا" تلبيسا للحق بالباطل[١]، والله أعلم.

وأما ما جاء في قاموس كتاب النصارى المقدس من أن جليات الذي قتله داود عليه السلام غير جليات الذي لقي مصرعه على يد ألحانان[٢]، فهو قول باطل ودعوى بلا دليل، وذلك لما يأتي:-

أولا: أن هذا جليات الآخر شخص مغمور غارق في الجهالة، بل إنني لم أقف على ذكر له أو لسيرته في غير هذا الموضع من القاموس المذكور ولا في جميع صفحات كتابهم المقدس. لذا فمن الممكن أن يكون وجوده أصلا مجرد ادّعاء من الكاتب لا أساس له.

ثانيا: أن هذا القول يعارضه ما أثبتوه في موضع آخر من القاموس نفسه، وذلك عند ترجمتهم لألحانان البيتلحمي حيث قالوا: «... وهو الذي قتل أخا جليات الجتي، وقد ورد في ٢ ـ صموئيل ٢١/ ١٩ أن أباه بيتلحمي، وأن ألحانان نفسه هو الذي قتل جليات، ولكن من **الواضح** أنه يقصد "قتل أخا جليات"»[٣].

---

(١) انظر: K. Alan (Contradiction & Fallacies) P.3

(٢) انظر: قاموس ك.م. ص٢٦٥.

(٣) قاموس ك.م. ص١٠٤.

حيث يفهم من هذا أن ألحانان لم يقتل لا جليات الجتي ولا جليات الآخر المزعوم، خلافا لما جاء في قولهم المشار إليه. فنقول: نعم إنه لواضح جدا عندنا أن قاتل جليات لم يكن سوى داود عليه السلام، ولكن الإشكال كل الإشكال في قوم يدّعون الوضوح «من الواضح» فيما ليس بواضح عندهم!!!

المطلب الثاني: التناقضات في العهد القديم.

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: معنى التناقض في اللغة وفي الاصطلاح.

التناقض في اللغة مفاعلة من النَّقض، وهو إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء، والنِّقض (بالكسر): اسم البناء المنقوض.

والتناقض خلاف التوافق، ويراد به المراودة والمراجعة، ويقال: ناقضه مناقضة أي خالفه. والمناقضة في القول: أن يتكلم بما يتناقض معناه أي يتخالف. والمناقضة في الشعر: أن ينقض الشاعر الآخر ما قاله الأول، والاسم منه: النقيضة، ويجمع على النقائض، ولهذا يقال: نقائض جرير[1] والفرزدق[2]، ويقال: نقيضك

---

(١) هو: جرير بن عطية بن الخطفى، أبو حزرة، أحد شعراء العصر الأموي. نشأ في بادية اليمامة، ونظم الشعر منذ الصغر، توفي في عام ١١٤هـ. انظر: طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي، شرح: محمود محمد شاكر ١/ ٣٧٤-٤٥١، وأدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام لبطرس البستاني ١/ ٣٦٠-٣٦٩.

(٢) هو: همام بن غالب بن صعصعة، أبو فراس. وأمه: ليلى بنت حابس، أخت الصحابي الأقرع بن حابس رضي الله عنه، لقب بالفرزدق لغلاظة وجهه وجهومته: أحد شعراء العصر الأموي. ولد في البصرة ونشأ في باديتها وتوفي في عام١١٤هـ. وقد استمر هو وجرير يتبادلان النقائض قرابة أربعين عاما.
=

بمعنى الذي يخالفك[١].

فالخلاصة مما تقدم أن التناقض هو الاختلاف وعدم الاتفاق بين أمرين أو بين شيئين، والله تعالى أعلم.

أما في الاصطلاح فالتناقض هو: «اختلاف الجملتين بالنفي والإثبات اختلافا يلزم منه لذاته كون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة»[٢]. والمتناقضان في المنطق: ما لا يجتمعان ولا يرتفعان في شيء واحد وحال واحدة كالعدم والوجود[٣].

المسألة الثانية: شواهد التناقضات في العهد القديم.

لقد أوضح الله ﷻ لنا المعيار الذي به يتميز ما هو وحي منه ﷻ عما هو من وضع البشر فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[النساء:٨٢]، فهذه الآية تدل ـ بدليل الخطاب[٤] ـ على أن أي كتاب يوجد فيه اختلاف وتناقض وتضارب فهو ليس من عند الله تعالى حتما.

=

انظر: محمد بن سلام الجمحي (م.ن.) ١/ ٢٩٨-٣٧٤، وأدباء العرب... لبطرس البستاني ١/ ٣٣٧-٣٤٧، والموسوعة العربية العالمية٨/ ٢٦٥-٢٦٦ و١٧/ ٢٨١.

(١) انظر: تهذيب اللغة ٨/ ٣٤٤، والقاموس ص٨٤٦، وتاج العروس ٥/ ٩٤، واللسان ١٤/ ٢٦٢-٢٦٣.

(٢) الكليات للكفوي ٢/ ٩١.

(٣) انظر: التعريفات للجرجاني ص١٣٧، والمعجم الوسيط ٢/ ٩٤٧.

(٤) دليل الخطاب أو مفهوم المخالفة عند الأصوليين هو: "إثبات نقيض حكم المنطوق للمسكوت" أو "دلالة الكلام على نفي الحكم الثابت للمذكور عن المسكوت، لانتفاء قيد من قيود المنطوق". بدر الدين الزركشي (م.ن.)٤/ ١٣، وأصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي ١/ ٣٦٢، وانظر كذلك: نجم الدين الطوفي (م.ن.) ٢/ ٧٢٤.

فمن هذا المنطلق، ومن هذا المنظار نسلط الأضواء على أسفار العهد القديم المقدسة لدى كل من اليهود والنصارى لنقف على ما تنطوي عليه من التناقضات والاختلافات، والتي هي كثيرة بل وكثيرة جدا، أكتفي بذكر بعض النماذج منها فقط خشية الإطالة المملة.

لقد توصلت بتوفيق الله ﷻ خلال قراءتي لهذه الأسفار إلى أنّ ما فيها من التناقضات يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي:-

١ ـ تناقضات بين سفر وآخر.

٢ ـ تناقضات بين إصحاح وآخر ـ داخل السفر الواحد.

٣ ـ تناقضات بين فقرة وأخرى ـ داخل الإصحاح الواحد.

وفيما يلي أمثلة لكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة.

أولا: التناقضات بين سفر وآخر من أسفار العهد القديم.

أ ـ جاء في سفر الأمثال[١]: « في كل مكان عينا الرب مراقبتين الطالحين والصالحين »، إذاً، فالرب لا تخفى عليه خافية في السماوات ولا في الأرض ـ وهو كذلك جلت قدرته ـ لكن اقرأوا ما جاء في سفر التكوين[٢]: « فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت؟ » . تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً.

---

(١) ١٥/ ٣.

(٢) ٣/ ٨-٩.

ب ـ وفي سفر صموئيل الثاني[١]: «وعاد فحمي غضب الرب على إسرائيل فأهاج عليهم داود قائلا: امض أحص إسرائيل[٢] ويهوذا»[٣]. وأما في سفر أخبار الأيام الأول[٤] ففيه: «ووقف الشيطان ضد إسرائيل وأغوى داود ليحصي إسرائيل»!

ففي الأول أن الرب هو الذي أهاج داود ﷺ وأمره بإحصاء بني إسرائيل، إذًا، فلا يؤاخذ على مثل هذا، بل بالعكس إنما يؤاخذ على ترك تنفيذه، أما في النص الأخير فإن الشيطان الرجيم هو الذي أغواه ليحصي بني إسرائيل ـ والعياذ بالله ـ. فبهذا استحق المؤاخذة، حسبما تذكر الفقرات التالية لكل من الفقرتين في الإصحاحين معا!

وهناك أمر آخر وهو أن نتيجة الإحصائيات هذه في سفر صموئيل الثاني: ثمانمائة ألف رجل في إسرائيل، وخمسمائة ألف رجل في يهوذا[٥]، فالمجموع: مليون وثلاثمائة ألف رجل. وأما النتيجة في سفر أخبار الأيام الأول فهي: مليون ومائة ألف رجل في إسرائيل، وأربعمائة وسبعون ألف رجل في يهوذا[٦]، والمجموع: مليون وخمسمائة وسبعون ألف رجل، أي بزيادة ثلاثمائة ألف رجل في

---

(١) ٢٤/ ١.

(٢) أي شعب مملكة إسرائيل (الشمالية).

(٣) أي شعب مملكة يهوذا (الجنوبية).

(٤) ٢١/ ١.

(٥) انظر: صموئيل الثاني ٢٤/ ٩.

(٦) انظر: أخبار الأيام الأول ٢١/ ٥.

إسرائيل، ونقصان ثلاثين ألف رجل في يهوذا!!!

ج ـ وفي تتمة القصة السابقة نفسها: أن داود عليه السلام بعد أن اعترف بخطئه واستحق المؤاخذة والعقاب على هذا العمل الذي أقدم عليه بأمر من الرب! ـ حاشا وكلاّ ـ أم بتهييج وإغراء من الشيطان ـ والعياذ بالله ـ، عرض عليه الرب الإله ثلاث عقوبات ليختار واحدة منها لنفسه وشعبه!

وهذه العقوبات الثلاث أيضا تتناقض نصوص العهد القديم فيها، ففي سفر صموئيل الثاني[١]: «فأتى جاد إلى داود وأخبره وقال له: أتأتي عليك سبع سني جوع في أرضك، أم تهرب ثلاثة أشهر أمام أعدائك وهم يتبعونك، أم يكون ثلاثة أيام وبأ في أرضك. فالآن اعرف وانظر ما ذا أرد جوابا على مرسلي». وأما في سفر أخبار الأيام الأول[٢] ففيه: «فجاء جاد إلى داود وقال له هكذا قال الرب: اقبل لنفسك إما ثلاث سنين جوعٌ، أو ثلاثة أشهر هلاكٌ أمام مضايقيك وسيف أعدائك يدركك، أو ثلاثة أيام يكون فيها سيف الرب ووبأٌ في الأرض وملاك الرب يعثو[٣] في كل تخوم إسرائيل. فانظر الآن ما ذا أرد جوابا لمرسلي».

ففي الأول سبع سني جوع، وفي الأخير ثلاث سنين، فهما متناقضان تناقضا صريحا كما لا يخفى.

وفي هذا الإطار قد يعترض معترض فيقول: لا مانع من أن تكون حادثة

---

(١) ٢٤/ ١٣.

(٢) ٢١/ ١١-١٢.

(٣) عثا يعثو عثوًّا أي أفسد. القاموس ص١٦٨٨.

التعداد هذه قد تكررت أكثر من مرة فيكون نص صموئيل الثاني يخبر عن إحداها ونص أخبار الأيام الأول يخبر عن أخرى، فلا تناقض حينئذ لأن الجهة منفكة.

فالجواب أننا لا نسلم بانفكاك الجهة هنا بل الجهة متحدة والحادثة واحدة كما يدل عليه السياق في السفرين، وحتى الألفاظ والأعلام الواردة فيهما. ومجرد الاطّلاع عليهما[1] كفيل بالكشف عن هذه الحقيقة ولله الحمد.

د ـ وفي سفر الملوك الأول[2]: «وكان لسليمان أربعون ألف مذود[3] لخيل مركباته، واثناعشر ألف فارس[4]». وأما في سفر أخبار الأيام الثاني[5] فالنص فيه كما يلي: «وكان لسليمان أربعة آلاف مذود خيل ومركبات واثناعشر ألف فارس».

فإما أن تكون لسليمان عليه السلام أربعون ألف مذود خيل فعلا، فنتساءل: ما الذي حمل كاتب سفر أخبار الأيام الثاني على جحد هذا العدد الهائل من المذود (٣٦ ألفا)، أو لا تكون لسليمان سوى أربعة آلاف مذود خيل فقط، فحينئذ يتعين على كاتب سفر الملوك الثاني تحديد هوية صاحب الستة والثلاثين ألفا الباقية. فهذان سؤالان يتيمان، لم يتمكن قدماء رجال اللاهوت والكنيسة من الجواب عنهما فلجئوا في بعض طبعات كتابهم المقدس إلى تعديل ما في أحد النصين ليوافق ما في الآخر![6].

---

(١) اقرأ: صموئيل الثاني، الإصحاح ٢٤، وأخبار الأيام الأول، الإصحاح ٢١ من أولهما إلى آخرهما.

(٢) ٤/ ٢٦.

(٣) المذود هو: معتلف الدابة. القاموس ص٣٥٩.

(٤) الفارس هو: راكب الفرس. القاموس ص٧٢٥.

(٥) ٩/ ٢٥.

(٦) كما فعلوا في الترجمة العربية المطبوعة عام ١٨٤٤م حيث غيروا الأربعة إلى أربعين في نص سفر أخبار =

وأما المعاصرون[١] منهم فقد تخيلوا أنهم أعطوا ما لم يظفر به الأوائل من فطنة وذكاء فهرولوا[٢] إلى تبرير هذا التناقض بأن الخطأ كان من النسّاخ حيث زادوا ـ خطأً ـ صفرا على رمز العدد: أربعة (٤) فصار أربعين (٤٠)!

والجواب عن هذا التبرير البارد سهل ميسور بإذن الله تعالى وتوفيقه، وهو أن نقول لهم:-

أولا: لما ذا لا يكون العكس؟ أعني أن هؤلاء النسّاخ إنما أخطأوا في إسقاط الصفر من رمز العدد أربعين (٤٠) فصار أربعة (٤). إذًا، تكافأ الاحتمالان، ومعلوم أن ترجيح أحد الاحتمالين المتكافئين من غير مرجح تحكّم مذموم كما يقرره علماء الأصول والجدل[٣].

وثانيا: أن اليهود وهم أصحاب هذه الأسفار في الأصل، لم يكونوا قد عرفوا شيئا يسمى صفرا ويرمز له هكذا: (.) أو (0) في زمن النبي سليمان عليه السلام، وإنما العرب هم الذين استخدموا الصفر في أرقامهم أولاً ثم عن طريقهم وصل إلى اليهود وغيرهم في الشرق الأوسط، ومن ثم إلى القارة الأوروبية بعد عدة قرون. أما اليهود فقد كانوا يكتبون أعدادهم بالحروف لا بالأرقام في تلكم الآونة[٤].

=

الأيام الثاني. انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٧٩.

(١) ومنهم القس جيمي شواغارت في مناظرته مع الشيخ ديدات ـ رحمه الله ـ (م.ن.).

(٢) الهرولة: ما بين العدْو والمشي، أو بعد العَنَق، والإسراع في المشي. القاموس ص١٣٨٣.

(٣) انظر: موفق الدين ابن قدامة المقدسي (م.ن.) ٣/ ٩٩٩، ونجم الدين الطوفي (م.ن.) ٣/ ٦١٧.

(٤) انظر: Deedat, Ahmed: Is the Bible God's Word?. P.44

هـ ـ وفي سفر الخروج[١]: «لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي». وأما في سفر حزقيال[٢] فجاء فيه: «النفس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون».

فواضح من هذا العرض الوجيز أن الذنوب تنتقل من جيل إلى آخر وتُتَوارث في سفر الخروج، وأما في سفر حزقيال فكل نفس بما كسبت رهينة! تناقض لا نملك تجاهه إلا القطع بأن الله ﷻ ورسله بريئون منه كل البراءة ونحن على ذلك من الشاهدين.

ثانيا: التناقضات بين إصحاح وآخر داخل السفر الواحد.

أ ـ سفر التكوين: جاء في الإصحاح السادس منه: «فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مائة وعشرين سنة»[٣]. فهذا النص في تحديد عمر الإنسان قبل الطوفان بقليل كما يزعمون، إلا أننا نفاجأ إذا مضينا قدما فقرأنا الإصحاح الحادي عشر من السفر نفسه حيث ذُكرت أعمار أنسال نوح عليه السلام، وما من أحد منهم إلا وقد عاش أكثر من مائة وعشرين سنة[٤]!

---

(١) ٢٠/ ٥.

(٢) ١٨/ ٢٠.

(٣) التكوين ٦/ ٣.

(٤) انظر: التكوين ١١/ ١٠-٣٢.

وقد عُني الباحثون بهذا التناقض العجيب في سفر واحد، وهو أحد الأسفار المنسوبة إلى نبي الله موسى عليه السلام، وتوصّل بعضهم إلى أن النص الأول يرجع إلى المصدر اليهوي، بينما انبثق الأخير من المصدر الكهنوتي[١].

ب ـ سفر التكوين أيضا، الإصحاح السادس نفسه: « ومن كل حي من كل ذي جسد اثنين من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك، تكون ذكرا وأنثى: من الطيور كأجناسها ومن البهائم كأجناسها ومن كل دبّابات[٢] الأرض كأجناسها، اثنين من كل تدخل إليك لاستبقائها »[٣]. بينما يأتي في الإصحاح الذي بعده: « من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكرا وأنثى. ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكرا وأنثى. ومن طيور السماء أيضا سبعة سبعة، ذكرا وأنثى لاستبقاء نسل على وجه كل الأرض »[٤].

إذًا، ففي الأول أُمر نوح عليه السلام بأن يأخذ معه في الفلك اثنين من كل بهيمة أو طير، وفي الأخير أُمر بأن يأخذ معه سبعة من كلٍ، والقصة هي هي!

وربما قال قائل: إن النص الأخير إنما جاء بالتفصيل لما أجمل في الأول، فيحمل المجمل على المفصل ولا تعارض. فأقول إن هذا مردود لما يأتي:-

---

(١) انظر: Bucaille, Maurice (op.cit.) P.22

(٢) هكذا ورد ولعلهم يريدون: الدابات، والدابة هي كل ما دبّ من الحيوان، وغلب على ما يركب. (القاموس ص١٠٥)، أما الدبّابة فآلة تتخذ للحروب، تدفع في أصل الحصن، فينقبون وهم في جوفها. (القاموس ص١٠٦).

(٣) التكوين ٦/ ١٩-٢٠.

(٤) التكوين ٧/ ٢-٣.

الوجه الأول: أن لنا فيصلا في هذا الأمر إذ هو متعلق بحادثة تأريخية قد سجلها القرآن الكريم، كلام الله تعالى المصون من أي تحريف أو خطأ وحتى باعتراف غير المؤمنين به أيضا كما أسلفت في الباب التمهيدي. وبالرجوع إلى هذا الكتاب العظيم نجد أن الله تعالى إنما أمر نوحا عليه الصلاة والسلام بأخذ زوجين لا سبعة أنواع من البهائم والطيور، قال الله ﷻ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ ﴾[هود:٤٠]. فثبت صدق أحد النصين الواردين في سفر التكوين دون الآخر.

الوجه الثاني: ومما يؤكد عدم صحة الأخير من النصين ـ أعني الذي فيه الأمر بأخذ سبعة سبعة من الطيور والبهائم ـ، ما جاء فيه من تقسيم الحيوانات إلى طاهرة وغير طاهرة، بينما كان كل الطعام حلالا طاهرا في شريعة نوح عليه السلام حسب ما يذكره سفر التكوين نفسه في الإصحاح التاسع: «كل دابة حيّة تكون لكم طعاما كالعشب الأخضر دفعتُ إليكم الجميع»[١].

ج ـ سفر أخبار الأيام الأول: جاء في الإصحاح السابع منه: «لبنيامين[٢] بالع وباكر ويديعئيل ثلاثة»[٣]. وأما في الإصحاح الثامن فجاء فيه: «وبنيامين ولد بالع بكره، وأشبيل الثاني، وأخرج الثالث، ونوحة الرابع، ورافا الخامس»[٤].

---

(١) التكوين ٩/ ٣.

(٢) هو: بنيامين بن يعقوب، أخو يوسف عليهم الصلاة والسلام، وهو أصغر أولاد يعقوب عليه السلام. قاموس ك.م. ص١٩٢.

(٣) ١ ـ أخبار الأيام ٧/ ٦.

(٤) ١ ـ أخبار الأيام ٨/ ١-٢.

فالتناقض بين النصين من وجهين: الأول في العدد، ففي الأول أن أبناء بنيامين ثلاثة، وفي الأخير أنهم خمسة. والوجه الثاني: أنهما غير متفقين في الأسماء المذكورة لأولاد بنيامين إلا في اسم بالع فقط!

ثم إن النصين مجتمعين يناقضهما ما جاء في سفر التكوين، حيث يقول: « وبنو بنيامين: بالع وباكر وأشبيل وجيرا ونَعمان وإيحي وروش ومفّيم وحفّيم وأَرد »[(١)].

فبنو بنيامين في هذا الأخير عشرة، لا ثلاثة ولا خمسة!!! ولم يذكر من الأسماء الواردة في أخبار الأيام الأول سوى بالع وباكر وأشبيل.

د ـ سفر صموئيل الثاني: جاء في الإصحاح السادس منه: « ولم يكن لميكال[(٢)] بنت شاول ولد إلى يوم موتها »[(٣)]. وفي الإصحاح الحادي والعشرين: « فأخذ الملك ابني رصفة ابنة أيّة[(٤)]...، وبني ميكال ابنة شاول الخمسة الذين ولدتهم لعدرئيل[(٥)] بن برزلاي المحولي »[(٦)].

فميكال ابنة شاول ليس لها ولد حتى يوم موتها ـ حسب ما جاء في الإصحاح السادس ـ، ولكن لها خمسة أولاد ـ وفق ما جاء في الإصحاح الحادي والعشرين ـ في

---

(١) التكوين ٤٦/ ٢١

(٢) هي ميكال: ابنة شاول الثانية، أمهرها داود ﷺ مائتي غلفة من الفلسطينيين فأخذها امرأة له، وقد زوّجها أبوها شاول برجل آخر بعد ذلك. قاموس ك.م. ص٩٤٠.

(٣) ٢ ـ صموئيل ٦/ ٢٣.

(٤) رِصفة بنت أية: سرية شاول، أول ملوك بني إسرائيل. قاموس ك.م. ص٤٠٥ مع ٩١٦.

(٥) عدرئيل بن برزلاي المحولي: جاء في التعريف به في قاموس ك.م. ص٦١٢: "زوجه شاول من ابنته البكر، ميرب، التي كان قد وعد داود بها".

(٦) ٢ ـ صموئيل ٢١/ ٨.

السفر الواحد!

هـ ـ **سفر أخبار الأيام الثاني**: جاء في الإصحاح الحادي عشر منه: «ثم بعدها أخذ [رحبعام[١]] معكة بنت أبشالوم[٢] فولدت له أبيّا وعتّاي...»[٣]. وفي الإصحاح الثالث عشر: «في السنة الثامنة عشرة للملك يربعام ملك أبيّا على يهوذا، ملك ثلاث سنين في أورشليم واسم أمه ميخايا بنت أوريئيل من جبعة»[٤][٥].

فهذا تناقض واضح في اسم والدة أحد ملوكهم ـ أعني الإسرائيليين ـ وهو أبيّا، فتارة أنه ابن معكّة بنت أبشالوم، وأخرى أنه بل ابن ميخايا بنت أوريئيل، في حين أن سفر صموئيل الثاني[٦] يخبرنا أن أبشالوم بن داود عليه السلام إنما كان له ثلاثة بنين وابنة واحدة اسمها ثامار أي ليست معكة، ولم يرد أن له ابنة غيرها.

فلما أشكل هذا الأمر على المعاصرين من علماء النصارى، لا سيما واضعي قاموس كتاب النصارى المقدس، فكروا وقدّروا ـ وقتلوا كيف قدّروا ـ فقالوا إن معكة ابنة أبشالوم أو بنت ابنته ثامار، وأن أوريئيل[٧] تزوج من ثامار ابنة أبشالوم،

---

(١) هو: رحبعام بن سليمان عليه السلام، أول ملوك مملكة يهوذا (الجنوبية). قاموس ك.م. ص٤٠٠، ٩١٦

(٢) ستأتي قريبا إن شاء الله.

(٣) ٢ ـ أخبار الأيام ١١/ ٢٠.

(٤) جبعة: لفظ عبري يعني: تل، وهو اسم لعدة قرى من أهمها: جبعة بنيامين أو جبعة شاول: وهي تل الفول الحالية، على بعد أربعة أميال شمال أورشليم، وجبعة في جبال يهوذا: على بعد عشرة أميال إلى الشمال من حبرون(الخليل). قاموس ك.م. ٢٤٥-٢٤٦، ومحمد محمد شرّاب (م.ن.) ص٢٤٧.

(٥) ٢ ـ أخبار الأيام ١٣/ ١-٢.

(٦)١٤/ ٢٧.

(٧) وقد جاء في قاموس ك.م. نفسه عند التعريف بأوريئيل هذا أنه: ـ "رجل من جبعة وكان أبا ميخايا أم =

وأن معكة هي نفسها ميخايا بنت أوريئيل من جبعة![١].

والواقع أنهم في هذا الذي قالوه كالمستجير من الرمضاء بالنار[٢] وذلك أنه ـ على ضوء ما قالوا ـ إن كانت ثامار هي معكة (البنت الوحيدة لأبشالوم) لزم من ذلك أن يكون أوريئيل هو أبا معكة وزوجها في الوقت نفسه، كما يلزم أيضا أن يكون أبشالوم أباها وفي الوقت ذاته جدها، وكذلك يلزم أن معكة هذه لها أبوان، أوريئيل وأبشالوم. وكلها ضروب من المستحيلات كما لا يخفى[٣].

ثالثا: التناقضات بين فقرة وأخرى داخل الإصحاح الواحد.

أ ـ سفر التكوين، الإصحاح السابع: تقدم نقل الفقرتين الثانية والثالثة من هذا الإصحاح حيث فيهما الزعم بأن الله تعالى أمر نوحا ﷺ بإدخال سبعة أنواع من البهائم الطاهرة ومن الطيور في الفلك معه، وأوردت هناك ما يناقضه من الإصحاح السادس[٤].

لكن الجديد هنا أن هاتين الفقرتين قد ورد ما يتناقض معهما في الإصحاح السابع نفسه وهو قوله: «فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان. ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة، ومن الطيور

=

أبيّا ملك يهوذا". قاموس ك.م. ص١٣٦.

(١) انظر: قاموس ك.م. ص١٤، و١٣٦، و٩٠٨، و٩٣٧.

(٢) مثل عربي يضرب لمن يفر من شيء ويستغيث منه بما هو أكبر ضررا.

(٣) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ـ تعليق المحقق ـ ١/ ١٨٦-١٨٧.

(٤) انظر: ص٢٧٥.

وكل ما يدب على الأرض، دخل اثنان اثنان إلى نوح إلى الفلك ذكرا وأنثى، كما أمر الله نوحا»[١].

والغريب أنهم ختموا هذا الأخير بقولهم: «كما أمر الله نوحا»، كما افتتحوا النص السابق بقولهم: «وقال الرب لنوح...»[٢]. فأيهما أمر الله به أو قاله؟ تعالى الله وتقدس عن كل تناقض أو تعارض.

ب ـ سفر الخروج، الإصحاح التاسع: جاء في الفقرة السادسة منه: «ففعل الرب هذا الأمر في الغد، فماتت جميع مواشي المصريين، وأما مواشي بني إسرائيل فلم يمت منها واحد».

وبعد هذا الكلام بقليل، إذا بهذا الإصحاح نفسه يقول: «فالذي خاف كلمة الرب من عبيد فرعون هرب بعبيده ومواشيه إلى البيوت. وأما الذي لم يوجه قلبه إلى كلمة الرب، فترك عبيده ومواشيه في الحقل»[٣]. سبحانك اللّهم إن هذا إلا بهتان عظيم، فكيف تموت هذه المواشي ثم بعد لحظات يهرب أصحابها بها إلى البيوت! أبجثثها هربوا أم بمواش قد عادت إليها الحياة وقامت قيامتها؟؟؟

ج ـ سفر الخروج أيضا، الإصحاح الثالث والثلاثون: يقول في الفقرة الحادية عشرة: «ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه...». وأما في الفقرة العشرين ففيها يقول: «وقال [الرب] لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا

---

(١) التكوين ٧/ ٧-٩.

(٢) التكوين ٧/ ١.

(٣) الخروج ٩/ ٢٠-٢١.

يراني ويعيش». ثم بعد هذا بفقرتين فقط يأتي قوله: «ثم أرفعُ يدي فتنظر ورائي وأما وجهي فلا يرى»[1]. فهل بقي هناك من شك في أن هذا الكتاب المحرف من صنع البشر؟ والعياذ بالله تعالى من الضلال والزيغ بعد الهدى.

وأشير هنا إلى أن الصواب في مسألة رؤية الله ﷻ في الدنيا: أنها ممتنعة فيها، وممكنة في الآخرة بل وحاصلة إن شاء الله تعالى للمؤمنين كما وعدهم ربهم جل وعلا بذلك فقال ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢-٢٣]. وفي الصحيحين[2] أن النبي ﷺ قال لأناس قالوا يا رسول الله ﷺ: "هل نرى ربّنا يوم القيامة؟: «**هل تضارّون[3] في القمر ليلة البدر؟! قالوا: لا يا رسول الله! قال: فهل تضارّون في الشمس ليس دونها سحاب؟! قالوا: لا يا رسول الله! قال: فإنكم ترونه كذلك**»، وغير ذلك من الآيات والأحاديث، تُذكر في مظانها من كتب أهل العلم ـ رحمهم الله ـ.

وأما بالنسبة للنبي ﷺ، فقد اختُلف في: هل رأى ربّه ﷻ ليلة الإسراء أولم يره،

---

(١) الخروج ٣٣/ ٢٣.

(٢) من رواية أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما. انظر: صحيح البخاري مع الفتح ١٣/ ٤١٩، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، رقمه: ٧٤٣٧ ـ والنص منه ـ. وصحيح مسلم (م.ن.) ١/ ١٦٣-١٦٤، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقمه: ١٨٢.

(٣) المضارّة هي: الدنو، والمضِرُّ: الداني. يقال: أضرّ السيلُ من الحائط وأضرّ السحاب إلى الأرض أي دَنيا. فمعنى تضارّون أي تضامّون تضاما يدنو بعضكم من بعض، أو من: ضارّه ضرارا ومضارّة إذا خالفه، فالمعنى: لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النظر إليه لوضوحه وظهوره. ويروى أيضا بالتخفيف، فهو من الضير لغة في الضر، والمعنى فيه كالأول. القاموس ص٥٥٠، وابن الأثير (م.ن.) ٣/ ٨٢، وغريب الحديث لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: د/ عبد المعطي أمين قلعجي ٢/ ٩.

ـ مع أن النصوص ترجح أنه لم ير الله في هذه الدنيا ـ. والمقصود أن رؤية الله ﷻ سواء من ورائه[١] أو من وجهه بالنسبة للبشر إنما تكون في دار الآخرة، والله تعالى أعلم[٢].

د ـ **سفر التكوين، الإصحاح الثامن**: حيث جاء في الفقرتين الرابعة والخامسة منه: «واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط[٣]. وكانت المياه تنقص نقصا متواليا إلى الشهر العاشر، وفي العاشر في أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال».

ففي الفقرة الرابعة أن الفلك قد استقر في الشهر السابع على جبالٍ، وتفيدنا الفقرة الخامسة أن هذه الجبال نفسها لم يبدأ استقرارها إلا في الشهر العاشر! ولم أجد مثالا يقرّب إلينا تصور هذه الألغاز إلا كأن نقول: إن فلانا أكبر من والده بثلاثة أشهر، وإنه لأمر عجيب ومدهش حقّا!

هـ ـ **سفر صموئيل الأول، الإصحاح الخامس عشر**: فقد جاء في بعض فقراته: «وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلا: ندمتُ على أني قد جعلت شاول[٤]

---

(١) ليس قصدي من هذا إثبات الورائية لله ﷻ من غير دليل، ـ فإن صفات الله ﷻ توقيفية ـ وإنما أوردت هذا اللفظ للرد على ما سبق نقله من سفر الخروج ٣٣/ ٢٣.

(٢) راجع مسألة رؤية الله ﷻ هذه في كل من: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح للإمام ابن القيم الجوزي ص٢٠٤-٢٤٦، وشرح العقيدة الطحاوية للإمام ابن أبي العز الحنفي تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي والشيخ شعيب الأرناؤوط ١/ ٢٠٧-٢١٧، وكتب تفسير أئمة السلف الصالح ـ رحمهم الله تعالى ـ في تفسير آيات الرؤية وكتبهم في شرح أحاديث الرؤية كذلك.

(٣) أراراط: بلدة جبلية واقعة شمالي أشور، وهي المنطقة التي تحيط ببحيرة فان في أرمينيا القديمة (جزء من تركيا الحديثة). قاموس ك.م. ص٤٢، والموسوعة العالمية ١/ ٤١٨.

(٤) هو: شاول بن قيس، من سبط بنيامين، وقد كان أول ملوك بني إسرائيل. قاموس ك.م. ٥٠٣، و٩١٦.

ملكا...»[(١)]. ثم يأتي في فقرة أخرى منه قوله عن الرب ﷻ: «وأيضا نَصيحُ إسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس إنسانا ليندم»[(٢)].

والتناقض بين النصين واضح بيِّن، بيد أني أشير إلى أن صفة الندامة من صفات النقص، والله ﷻ منزّه عن النقص والعيوب والعجز، بل إن الكمال المطلق له ﷻ، وله الأسماء الحسنى والصفات العليا جلّت قدرته[(٣)].

تنبيه في الجواب عن شبهة :-

لقد زعم المنصر الأمريكي جيمي شواغارت أن في القرآن الكريم أيضا تناقضات، ويذكر مثالا على ذلك وهو قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[السجدة:٥]، مع قوله ﷻ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤]. وكم تمنيتُ أن يتم الرد عليه من قِبل مناظره، الداعية أحمد ديدات ـ جزاه

---

(١) ١ ـ صموئيل ١٥/ ١٠-١١.

(٢) ١ ـ صموئيل ١٥/ ٢٩.

(٣) ولمزيد من التناقضات في العهد القديم، راجع كلا من: الرد على ابن النغريلة اليهودي للعلامة ابن حزم الظاهري (في مواضع متفرقة)، ورحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٦٨-١٨٧، ونقد التوراة للدكتور أحمد حجازي السقا ص٩٦-١٢١، ومحنة التوراة على أيدي اليهود لعصام الدين حفني ناصف ص٥١-٥٥، وجريدة "المسلمون" العدد (٥١٠) السنة العاشرة ـ يوم الجمعة ٨/ ٦/ ١٤١٥هـ ص٧ (في مقالة بعنوان: "التوراة بين التحريف والتناقض" بقلم الدكتور نعمان السامرائي، أستاذ بجامعة الملك سعود بالرياض.، ومن المراجع الإنجليزية:
Contradictions And Fallacies In the Bible, By: K. Alan PP.1-29, Is the Bible God's Word? By: Ahmed Deedat PP.35-44, Combat Kit By: Ahmed Deedat PP.7, 9-11, & Abdul Hayee, SK. MD. (op.cit.) PP.2-4

الله عن الإسلام خيرا ـ في تلكم المناظرة المشهودة على المستوى العالمي، ولكن الكمال ليس إلا لله تعالى وحده.

وإليكم ردًّا مختصرا ومتواضعا على هذا الافتراء الشنيع على الله ﷻ وعلى كتابه العظيم، ومن باب ما لا يدرك كله لا يُترك جله، أقول: أيها القس! لتعلم أولاً أن القرآن العظيم ليس ككتابكم المقدس الذي تأتي فيه جملة متبوعة بأخرى تناقضها في غير ذكاء أو تكررها في غير عناء، أو ترددها من غير اقتضاء، فكل آية بل كل كلمة في كتاب الله العزيز لها مدلولها وفحواها وأهميتها المتميزة ـ تأسيسية كانت أو تأكيدية ـ، بإمكان أي متأمل أو باحث متجرد إدراكها، شريطة أن يوفّقه الله تعالى لذلك.

أما بخصوص هاتين الآيتين الكريمتين، فإن الأولى وهي قوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾، فإن معناها أن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض ويصعد من الأرض إلى السماء في يوم واحد، وقدر ذلك اليوم ـ مما تعدون من أيام الدنيا ـ هو ألف سنة، لأن ما بين الأرض إلى السماء مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء إلى الأرض مثل ذلك فالمجموع ألف سنة[1].

أو أن المعنى: يدبر الله ﷻ الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهن الخلق، كان مقدار ذلك اليوم ـ مما تعدون من أيامكم ـ ألف سنة[2].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١٠/ ٢٣٠-٢٣١، وتفسير ابن كثير ٣/ ٤٥٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٠/ ٢٣١.

ويؤيد هذا المعنى الأخير كون الآية التي قبل هذه مباشرةً في بيان خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، أعني قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[السجدة:٤]، والعلم عند الله تعالى.

هذا وقد جاء نظير هذه الآية الكريمة في موضع آخر من القرآن الكريم، وذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[الحج:٤٧]، كما أشار إلى هذا بعض أئمة المسلمين(١)، عليهم رحمة الله.

وأما الآية الثانية، أعني قوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ ﴾، فالمعنى: أن مقدار صعودهم ذلك في يوم بالنسبة لغيرهم من الخلق، خمسون ألف سنة. وذلك أنهم يصعدون من منتهى أمره تعالى من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمره تعالى من فوق السماوات السبع(٢). أما "يوم كان مقداره ألف سنة" فذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض وبالعكس، لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام كما تقدم، فلا تعارض.

وقيل إن المراد باليوم في آية المعارج هذه: يوم القيامة، أي أن مقدارها خمسون

(١) انظر: تفسير الطبري ٩/ ١٧١، وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٢٨. وذكر الإمام الطبري أقوالا أخرى كثيرة في معنى الآية، كلها قريبة من المعنيين المذكورين أعلاه. أما هو نفسه فقد رجّح رحمه الله المعنى الأول منهما. انظر: تفسير الطبري ١٠/ ٢٣٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٢/ ٢٢٦-٢٢٧ وتفسير ابن كثير ٤/ ٤١٨-٤١٩.

ألف سنة[١]، وقد جاء ما يؤيد هذا في اللغة أيضا، فإن العرب تقول لليوم الشديد: يوم ذو أيام ويوم ذو أياييم، لطول شره على أهله[٢] وعياذا بالله. إذًا فاليوم غير اليوم، ولا تعارض[٣].

وإذا ما رجعنا إلى إطلاقات العرب للفظ "اليوم"، نجد كذلك ما يؤكد أن اليوم إذا أطلق ليس يعني دائما ما بين طلوع الشمس وغروبها كما توهمه القس شواغارت. قال في تهذيب اللغة: اليوم: مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها، واليوم: الكونُ، يقال: نِعم الأخ فلان في اليوم إذا نزل بنا، أي في الكائنة من الكون إذا حدثت. وتقول العرب: الأيام وتريد: الوقائع، ومنه قولهم: هو أعلم بأيام العرب أي وقائعها. ويطلق اليوم ويراد به:الدهر. كما يأتي إطلاق لفظ الأيام أيضا بمعنى النعم، ومنه قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾ [الجاثية:١٤]. قال مجاهد[٤] رحمه الله:

---

(١) نفسها.

(٢) انظر: تهذيب اللغة ١٥/ ٦٤٦، والقاموس المحيط ص١٥١٤، ولسان العرب ١٥/ ٤٦٧

(٣) وهناك قولان آخران نقلهما ابن كثير رحمه الله في تفسيره ٤/ ٤١٩، أحدهما: أن المراد مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله العالم إلى قيام الساعة، والثاني أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة، وقال في هذا الأخير: "وهو قول غريب جدا". وراجع هذه المسألة كذلك في: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب لفضيلة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله ـ مطبوع مع أضواء البيان ـ ١٠/ ٢٠٧، طبعة عالم الكتب، بيروت.

(٤) هو: الإمام مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي الأسود، شيخ القرّاء والمفسرين. روى عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "ثقة إمام في التفسير وفي العلم". اختُلف في وفاته، وحاصل ما قيل فيه يتراوح بين سنة مائة وثمان ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي٤/ ٤٤٩-٤٥٦، وتقريب التهذيب للحافظ ابن حجر، تحقيق: محمد عوامة ص٥٢٠.

نِعمه[١]. وزاد في اللسان أنه يأتي كذلك بمعنى النقم، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم:٥]: أي بنعمه تعالى التي أنعم فيها عليهم، وبنقمه التي انتقم فيها من القوم[٢]. وفيه أيضا أن اليوم يطلق ويراد به الوقت الحاضر، كما تقول العرب: "أنا اليوم أفعل كذا" ولا يريدون يوما بعينه. وقد يراد باليوم أيضا: الوقت مطلقا[٣].

المطلب الثالث: الأخطاء في العهد القديم.

المسألة الأولى: معنى الخطأ في اللغة وفي الاصطلاح.

الأخطاء جمع خطأ، والخطأ ـ مهموز مقصور ـ: اسم من أخطأ الرجل يخطئ خطأ وإخطاءً إذا لم يصب الصواب، ومن ذلك قول الرجل لصاحبه إن أخطأتُ فخطّئني، وإن أصبت فصوبني، وإن أسأت فسوئ علي. وفي المثل: مع الخواطئ سهم صائب، يضرب للذي يكثر الخطأ ويأتي أحيانا بالصواب.

قيل: خطئَ وأخطأَ لغتان بمعنى واحد، والاسم منهما الخِطئ والخطأ. وقيل بل الخِطئ ما تُعمد، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٣١]، والخَطأ ما لم يُتعمّد، ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا ﴾ [النساء:٩٢]. إذًا، فالمخطئ من أراد الصواب فصار إلى غيره، والخاطئ مُتعمِّده[٤]. والحاصل مما تقدم

---

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٥/ ٦٤٥-٦٤٧، وكذلك: مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي ٤/ ٩٤١ ـ بتصرف.

(٢) انظر: لسان العرب ١٥/ ٤٦٦.

(٣) نفسه.

(٤) انظر: تهذيب اللغة ٧/ ٤٩٦-٤٩٨، والقاموس المحيط ص٤٩، وتاج العروس ١/ ٦١-٦٢، =

كله: أن الخطأ ضد الصواب والله تعالى أعلم.

أما الخطأ في الاصطلاح فهو: «ثبوت الصورة المضادة للحق بحيث لا يزول بسرعة»[(١)].

وجدير بالذكر أن جميع ما تقدم ذكره في الرسالة من التحريفات والتناقضات في العهد القديم كلها تعتبر أخطاءً بلا شك لأنها ضد الصواب أو خلافه، غير أن المقصود هنا بوجه خاص هو ما يخالف شرع الله ﷻ، أو يخالف التأريخ والواقع، أو يخالف العلم أو العرف العام والعادة والعقل... الخ. أما ما تقدم من التناقضات مثلا فإنما هو اختلاف بين سفر وآخر أو إصحاح وآخر أو فقرة وأخرى من حيث هو، بصرف النظر عن صحته أو عدمها.

المسألة الثانية: شواهد الأخطاء في العهد القديم.

*كما سوف نرى إن شاء الله، فإن هذه الأخطاء لا تُبين فقط عن قصور معرفة كتّاب العهد القديم فيما استحدث بعدهم من المعارف والعلوم، بل وحتى في الأمور التي كان يعرفها معاصروهم وأسلاف معاصريهم من الشعوب الأخرى. وكان جهلهم هذا مبعث الأخطاء الجسام التي ملؤوا بها كتابهم المقدس. فمن مزاعمهم أن الكون إنما خلق في حدود القرن الأربعين أو الثامن والثلاثين قبل الميلاد فقط ـ كما سيأتي إن شاء الله[(٢)] ـ.

=

ولسان العرب ٤/ ١٣٢-١٣٤.

(١) الكليات للكفوي ٢/ ٢٩٥.

(٢) انظر: ص٣٠١-٣٠٢.

في حين أن علماءهم[١] شرقا وغربا يقررون اليوم أن الكائنات الحيّة كانت تعمر هذه الأرض منذ المئات من ملايين السنين، فالحياة في تصورهم غير موغلة في القدم، والأرض في ظنهم إنما تشمل الشرق الأوسط[٢] وما يقاربه أو يواجهه، والرب في تقديرهم ليس في إمكانه معرفة ما يجري على الأرض إلا إذا نزل ورآه بنفسه!، واسمع لقولهم في هذا الكتاب المحرّف: «وقال الرب:... أنزلُ وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتي إليّ وإلا فأعلمُ»[٣]. ولولا أن ناقل كلمة الكفر لا يكفر، لامتنعت عن نقل هذه الأمور الشنيعة والتي يجب تنزيه عالم الغيب والشهادة عنها، وأستغفره تعالى على هذا القدر أيضا.

ولكثرة هذه الأخطاء كثرة بلغت خمسين ألفا في بداية النصف الثاني من هذا القرن[٤]، فسوف أقتصر على نماذج منها فقط مع الإشارة إلى المصادر والمراجع للتوسع في ذلك لمن أراد. هذا، وقد صنّفتُ هذه الأخطاء إلى ما يلي:-

أ ـ أخطاء شرعية، أو أخطاء فيها مخالفة لشرع الله ﷻ.

---

(١) نسبة إلى العلم الحديث أو "Science" بالإنجليزية. وقد جاء حده بأنه: "مفهوم عام يشمل النظريات والتطبيقات العملية للمعارف المنظمة التي تم جمعها وتصنيفها، أو اكتشافها وتطويرها، ودراسة العلاقات بينها ضمن مناهج وطرائق محددة". الموسوعة العالمية ١٦/ ٣٥٤.

(٢) الشرق الأوسط: تقصد به منطقة شاسعة تشتمل على أجزاء من أفريقيا الشمالية وجنوب غربي آسيا وجنوب شرقي أوروبا. الموسوعة العالمية ١٤/ ٩٥.

(٣) التكوين ١٨/ ٢١.

(٤) حيث نشرت مجلة "أفيقوا" الخاصة بطائفة شهود يهوه من النصارى في عددها الصادر في ٨/ ٩/ ١٩٥٧م أن في كتاب النصارى المقدس خمسين ألف خطأ. انظر:

Deedat, Ahmed: Is the Bible God's Word P.13.

ب ـ أخطاء تأريخية، أو أخطاء فيها مخالفة للتأريخ والواقع.

ج ـ أخطاء علمية، وهي أخطاء فيها مخالفة للعلم الحديث "Science".

د ـ أخطاء عقلية وعرفية، وهي أخطاء فيها مخالفة للمعقول والعرف أو العادة، وبالله تعالى التوفيق.

أولا: الأخطاء الشرعية.

وهي في جوهرها من الأخطاء التي وقعوا فيها في أسماء الله ﷻ وصفاته، وفي مفهوم النبوة ومقام الأنبياء وكرامتهم عليهم الصلاة والسلام. ولتجنب التكرار والإطالة أُمسك عن ذكر هذه الأخطاء إلى المبحث الخاص بكل من صفات الإله ﷻ، وأنبيائه الكرام في العهد القديم إن شاء الله تعالى.

ثانيا: الأخطاء التاريخية.

١ ـ جاءت في سفر التكوين تفاصيل عن الطوفان، ومنها أنه وقع حين بلغ نوح عليه السلام من العمر ستمائة عام[١]. وإذا كان نوح قد ولد بعد ألف وستة وخمسين عاما من خلق آدم عليهما السلام حسب ما في هذا السفر نفسه[٢]، فإن الطوفان يكون قد وقع ـ بعملية حسابية يسيرة ـ في عام ١٦٥٦ من خلق آدم عليه السلام. وفي هذا السفر نفسه أن إبراهيم عليه السلام إنما وقع الطوفان قبل ميلاده بمائتين واثنتين وتسعين سنة[٣]، فبهذا يكون مولد إبراهيم في عام ١٩٤٨ (١٦٥٦+٢٩٢) من خلق آدم عليهما السلام.

---

(١) انظر: التكوين ٧/ ٦و١١.

(٢) انظر: تفاصيل مواليد آدم وذريته إلى نوح عليهما السلام في سفر التكوين ٥/ ٣-٢٩.

(٣) انظر: التكوين ١١/ ١٠-٢٦.

ولما كان عصر إبراهيم يحدَّد بالسنوات بين ١٨٠٠ و ١٨٥٠ أو ١٩٩٦ قبل ميلاد المسيح عليهما السلام [(١)]، والطوفان ـ كما ذكر أعلاه ـ قد وقع قبل إبراهيم بنحو ثلاثة قرون فالنتيجة أنه كان في القرن الحادي والعشرين أو الثاني والعشرين ق.م. تقريبا. وهنا مربط الخيل، حيث إن تحديد هذا الوقت لوقوع الطوفان الذي عم جميع أرجاء المعمورة[(٢)]، لا يتفق مع معطيات التأريخ والواقع. وذلك لأن هذه الفترة، أعني القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد هي عصر كانت قد ظهرت من قبله في بقع مختلفة من الأرض حضارات انتقلت أطلالها للأجيال التي تلتها من غير انقطاع، فمثلا، هذه الفترة تعتبر بالنسبة لمصر تأريخ الفترة الوسطى الأولى قبل الأسرة الحادية عشرة من الأسر الحاكمة[(٣)]، وأما في بابل فهي عصر أسرة أور الثالثة[(٤)]. فالمقصود أن عدم انقطاع هذه الحضارات دليل قوي على أن دعوى وقوع الطوفان في ذلكم الوقت خطأ محض بل لابد أن يكون قد وقع قبله بزمن بعيد[(٥)]، والله أعلم.

وأمر آخر من النص المشار إليه ذاته، وهو الجزم بأن عمُر نوح عليه السلام حين وقع الطوفان كان ستمائة عام، فهذا مصادم لما أخبر به رب العزة والجلال في كلامه المصون

---

(١) انظر: Bucaille, Maurice (op.cit.) P.34، وقاموس ك.م. ص١٢.

(٢) انظر: التكوين ٧/ ٢٣.

(٣) أي من ٢١٨١ وحتى ٢٠٤٠ ق.م. انظر: الدائرة البريطانية ٨/ ٣٤ و٣٨، و Macro٦/ ٤٦٠ و٤٦٨.

(٤) مملكة أسرة أور الثالثة: أسسها رجل يدعى أور نامو "Ur-Nammu"، وقد استمر حكمها لقرن ونيف من الزمن (من القرن الثاني والعشرين وحتى أواخر القرن الحادي والعشرين ق.م.).

انظر: الدائرة البريطانية ٢/ ٩٦٢، و(CD).

(٥) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 34 .

من التحريف حيث قال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:١٤]. حيث إن ظاهر السياق من الآية الكريمة أنه مكث فيهم يدعوهم إلى الله هذه المدة كما روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما[(١)].

٢ ـ ما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني[(٢)]: «ابن خمسة[(٣)] وعشرين سنة كان يواقيم حين ملك، وملك إحدى عشر[(٤)] سنة في أورشليم وعمل سوء قدّام الرب إلاهه. وصعد ضده نبوخذناصر ملك بابل **وأسره بسلاسل وسباه إلى بابل**»[(٥)].

فما يفيده هذا النص من أن يواقيم[(٦)] قد سبي إلى بابل من ضمن المسبيين خطأ تأريخي. وإنما الصحيح أن نبوخذناصر قتله في أورشليم وأمر بإلقاء جثته خارج أسوارها[(٧)].

ومما يؤيد هذا صنيعُ القوم في الترجمات الحديثة لكتابهم المقدّس، حيث لجأوا إلى أسلوب التمويه في التعرض لذكر مصير يواقيم ـ أو يهوياقيم ـ إثر تمكن

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٤٠٧.

(٢) ٣٦/ ٥-٦.

(٣) هكذا وجدته، والصواب: "خمس".

(٤) هكذا وجدته، والصواب: "عشرة".

(٥) هذا نص طبعة عام ١٨٤٤م للترجمة العربية (انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٢٦٤).

(٦) هو نفسه يهوياقيم، وستأتي ترجمته.

(٧) انظر: تاريخ يوسيفس المؤرخ: الكتاب العاشر، الباب السادس، نقلاً عن رحمت الله الهندي (م.ن) ٢/ ٢٦٤.

نبوخذناصر ملك بابل منه. فالنص في هذه الترجمات يقول: « وكان يهوياقيم ابن خمس وعشرين سنة حين ملك، وملك إحدى عشرة سنة في أورشليم وعمل الشر في عيني الرب إلهه. عليه صعد نبوخذناصر ملك بابل **وقيّده بسلاسل نحاس ليذهب به إلى بابل** »[١]. وما قول علمائهم واضعي قاموس كتابهم المقدس عن هذا الأسلوب ذاته ببعيد إذ جاء عنهم: « ... ودخل نبوخذنصر وجيشه أورشليم، **وقيّدوا المتمرد اليهودي بسلاسل من نحاس. وبعد مدّة قصيرة مات يهوياقيم أو قُتل** »[٢].

٣ ـ ورد نص في كتاب النصارى المقدس على أن مدة إقامة بني إسرائيل في مصر كانت أربعمائة سنة[٣]، ونص آخر يقول إن المدة كانت أربعمائة وثلاثين سنة[٤]. لكننا نغض الطرف عن هذا الاختلاف الواضح لننطلق إلى ما نحن في صدده وهو إثبات كون ما ذكره كلا النصين خطأً يعارضه التأريخ والواقع، وبيان ذلك كما يلي:-

أولا: أنه وجد من مؤرخي النصارى أنفسهم من يقر بخطأ ما جاء في النصين من تحديد مدة إقامة بني إسرائيل بمصر، وأن المدة الحقيقية لذلك أقل مما ورد فيهما بنصف العدد المذكور من السنوات، أي أنها مائتان وخمس عشرة سنة وليست أربعمائة وثلاثين. ففي كتاب لعلماء الطائفة البروتستانتية سمّوه بمرشد

---

(١) هذا نص الترجمة العربية لدار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ومثله في نسخة (RSV) الإنجليزية.

(٢) قاموس ك.م. ص١٠٩٩ (ترجمة يهوياقيم).

(٣) انظر: التكوين ١٥/ ١٣.

(٤) انظر: الخروج ١٢/ ٤٠-٤١.

الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، ذُكر أن دخول بني إسرائيل أرض مصر كان في عام ٢٢٩٨ من خلق آدم عليه السلام، وأنه يوافق عام ١٧٠٦ ق.م.، وأن خروجهم منها كان في عام ٢٥١٣ من خلق آدم عليه السلام، الموافق عام ١٤٩١ ق.م.[١]، فبعملية طرح الأقل من الأكثر يتضح حسابيا أن مدة إقامتهم: مائتان وخمس عشرة سنة أي ٢٥١٣ ـ ٢٢٩٨، أو ١٧٠٦ ـ ١٤٩١ = ٢١٥.

ثانيا: أن نص سفر الخروج حسب النسخة السامرية للتوراة في تحديد هذه المدّة كما يلي: «وسكنى بني إسرائيل وآبائهم ما سكنوا في أرض كنعان، وفي أرض مصر ثلاثين سنة وأربعمائة سنة[٢]»[٣].

فنلاحظ هنا أن المدة المذكورة هي أربعمائة وثلاثون سنة أيضا، لكن بخلاف النص السابق ـ وهو العبراني ـ فإنه يعتبر المدة مدّة الإقامة من زمن إبراهيم، لا من زمن يعقوب ويوسف عليهم جميعا وعلى نبينا الصلاة والسلام، ومدّة الإقامة في كنعان (فلسطين) ومصر معا، لا في مصر فحسب.

وإذا رجعنا إلى بعض أسفار العهد القديم نفسه نجد أن الزمن من دخول إبراهيم أرض كنعان إلى ولادة ابنه إسحاق عليهما السلام، خمس وعشرون سنة[٤]، وأن

---

(١) انظر: مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، ص٣٤٦-٣٤٧ طبعة سنة ١٨٤٠م. نقلا عن: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٥١٥.

(٢) الأولى أن يقال: ثلاثين وأربعمائة سنةً.

(٣) التوراة السامرية ص١٣٣، سفر الخروج١٢/ ٤٠. وهذا التحديد نفسه هو ما يفهم من كلام بولس في رسالته إلى أهل غلاطية ٣/ ١٦-١٨.

(٤) انظر: التكوين ١٢/ ٤ مع ٢١/ ٥.

إسحاق كان في الستين من عمره حين رزق بيعقوب ابنه[(١)]، وأن يعقوب (إسرائيل) يوم دخوله مصر كان ابن مائة وثلاثين سنة[(٢)]، ومجموع هذه السنوات: مائتان وخمس عشرة سنة (٢٥+٦٠+١٣٠= ٢١٥)، وإذا طرحت هذه السنوات من مجموع الأربعمائة والثلاثين فالنتيجة هي: مائتان وخمسة عشر عاما (٤٣٠ ـ ٢١٥=٢١٥)، هي مدة إقامة بني إسرائيل في أرض مصر، وليست أربعمائة ولا أربعمائة وثلاثين سنة[(٣)]، والله تعالى أعلم.

٤ ـ في سفر صموئيل الثاني[(٤)]، زعم الكاتب أن الله ﷻ وعد داود عليه السلام فقال له: « متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك، أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت مملكته. هو يبني بيتا لاسمي وأنا أثبت كرسي مملكته[(٥)] إلى الأبد... ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك، كرسيك يكون ثابتا إلى الأبد » .

فهذا الوعد الموهوم ببقاء مملكة داود عليه السلام لا تتزعزع، وأمان بيته إلى الأبد ...الخ، يكذّبه التأريخ والواقع، والله تعالى لا يخلف الميعاد. حيث إن سلطنة آل داود قد زالت منذ مدة طويلة، فقد انقسمت هذه المملكة إلى قسمين بعد موت

(١) انظر: التكوين ٢٥/ ٢٦.

(٢) انظر: التكوين ٤٧/ ٩.

(٣) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٥١٣-٥٢١، ونقد التوراة للسقا ص١٠١، بتصرف. وراجع ـ للوقوف على أوجه أخرى لرد هذا الافتراء ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم الظاهري١/ ٢٥٢-٢٥٣.

(٤) ٧/ ١٢، ١٣، و١٦.

(٥) الضمير يعود إلى سليمان بن داود عليهما السلام.

سليمان بن داود عليهما السلام، ثم سقطت المملكة الشمالية (إسرائيل) في عام ٧٢٢ ق.م.، كما كانت نهاية المملكة الجنوبية (يهوذا) في سنة ٥٨٦ ق.م. على يد نبوخذنصّر، ملك بابل[١]. وأما دويلتهم القائمة في وقتنا هذا فلا شك أن ذلك راجع إلى إرادة الله ﷻ[٢]، ثم ضعف المسلمين وبعدهم عن الله، فمتى ما صدقوا ما عاهدوا الله عليه سهُل سقوط هذه أيضا إذا شاء الله ﷻ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

٥ ـ صرّح العهد القديم بأن المدة التي قضاها بنوإسرائيل في بابل أثناء الأسر هي سبعون سنة[٣]، وهذا خطأ تأريخي كما سيأتي إيضاحه أدناه:

لقد حدد المؤرخون تأريخ إجلاء رؤساء اليهود وأتباعهم إلى بابل بسنة خمسمائة وتسع وتسعين، أي ستمائة إلا واحدة قبل ميلاد المسيح[٤]، أو سنة خمس وأربعمائة وثلاثة آلاف من خلق آدم عليهما السلام [٥]. وأما إطلاق اليهود من الأسر

---

(١) راجع: دراسات في الأديان للدكتور سعود عبد العزيز الخلف ص٣٦-٣٧، وتفاصيل هذه الحادثة في سفر الملوك الثاني، الإصحاحين الرابع والعشرين والخامس والعشرين.

(٢) أعني إرادته الكونية القدرية، فقد ثبت في الحديث أن من علامات قيام الساعة اجتماع اليهود مرة أخرى في فلسطين حيث يقاتلهم المسلمون ومعهم المسيح الدجّال فيقتله المسيح الحق عيسى بن مريم عليه السلام بباب لد في فلسطين. وراجع في هذا: أشراط الساعة ليوسف بن عبد الله الوابل ص٢٢١-٢٢٥ و٣٣٣-٣٣٥.

(٣) انظر: أرميا ٢٥/ ١١و١٢، و٢٩/ ١٠.

(٤) أي السبي الأول، وقيل إنما كان في ٥٩٨ ق.م. انظر: مقدمة: NAB ص٤٠.

(٥) انظر: مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، الفصل العشرين من الجزء الثاني، طبعة عام١٨٥٢م. نقلا عن رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٢٧٠-٢٧١.

والسماح لهم بالعودة إلى بيت المقدس فكان في ٥٣٦ ق.م. أو ٣٤٦٨ من خلق آدم عليه السلام[١]. إذًا، عدد سنوات إقامتهم في بابل إنما هو ثلاث وستون سنة وليست سبعين كما في كتاب النصارى المقدس.

ثالثا: الأخطاء العلمية.

١ ـ يذكر العهد القديم أن خلق السماوات والأرض وما بينهما تم في إطار أسبوع أي ستة أيام، ابتداءً من يوم الأحد وانتهاءً في يوم الجمعة، وذلك في محاولة واضحة وصريحة للحث على ممارسة سبت الراحة، أي أن على كل يهودي أن يستريح يوم السبت كما فعل الرب ـ في زعمهم ـ بعد أن عمل طيلة الأيام الستة، وتعالى الله عما يصفون، وهو القائل جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[ق:٣٨].

وللعلم فإن كلمة "اليوم" في العهد القديم لها مفهوم يختلف عن مفهومها بالنسبة للقرآن الكريم. نعم إن القرآن المجيد أيضا يصرح بأن الخلق تم في ستة أيام كما في الآية المذكورة قبل قليل، وفي غيرها كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾[الأعراف:٥٤]. لكن هل مفهوم اليوم في القرآن الكريم متجانس لمفهومه في العهد القديم؟ كلاّ، فقد روى الإمام الطبري في تفسيره للآية عن مجاهد ـ رحمهما الله ـ قوله: إن اليوم من الستة الأيام كألف سنة مما تعدون[٢]،

---

(١) نفسه.

(٢) كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[الحج: ٤٧].

أي من أيامنا المعهودة[١]، ورَوَى مثله كذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[السجدة:٥][٢]، وهو ما نص عليه أيضا الإمام أحمد بن حنبل، كما يقول ابن كثير ـ رحمهما الله تعالى ـ[٣].

أما اليوم في العهد القديم فيعني المسافة الزمنية بين إشراقين متواليين للشمس أو غروبين متواليين لها، وبعبارة أخرى: مدة أربع وعشرين ساعة المعروفة اليوم[٤].

فمن هنا يظهر خطأ ما ذكره العهد القديم ـ علميًّا ـ بشأن المدة التي تم فيها خلق السماوات والأرض وما فيهما لما يلي:-

أ ـ أن اليوم ـ كما في العهد القديم أنه ما بين إشراقين متواليين للشمس أو غروبين متواليين لها ـ يتوقف تحديده على دوران الأرض حول نفسها، ومن المستحيل منطقيا أن نتحدث عن اليوم بهذا المعنى المحدّد، في حين أن العملية المركّبة التي سوف تؤدي إلى ظهوره، وهي وجود الأرض ودورانها حول الشمس لم تكن قد وجدت بعد، فإنه حسب رواية العهد القديم ذاته لم تظهر الشمس إلا في اليوم الرابع من بدء الخلق![٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٥/ ٥١٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٠/ ٢٣١.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٢٢٠.

(٤) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P.134، وراجع سفر التكوين ١/ ٥ و٨ و١٣ و١٩ و٢٣ و٣١.

(٥) انظر: التكوين ١/ ١٦-١٩.

ب ـ ولأن تشكّل الكون والأرض ـ من وجهة النظر العلمية التجريبية ـ قد تم على مراحل، امتدت على فترات زمنية شديدة الطول، لم تستطع حتى معطيات هذا العلم التجريبي الحديث تحديدها ولو على وجه التقريب[١]. فبهذا نجد أن العلم الحديث "science"، ـ ومن قبله القرآن الكريم، كما أسلفت ـ لا يوافق على فكرة تشكل هذا الكون وهذه الأرض في غضون مدة مائة وأربع وأربعين ساعة[٢] كما يحكي العهد القديم، والله تعالى أعلم.

٢ ـ وفي سفر التكوين أيضا جاء قول الكاتب: «وقال الله لتنبت الأرض عُشبا، وبقلا[٣] يبزر بزرا[٤]، وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه بزرُه فيه على الأرض، وكان ذلك. فأخرجت الأرض عشبا، وبقلا يبزِر بزرا كجنسه، وشجرا يعمل ثمرا بزره فيه كجنسه، ورأى الله ذلك أنه حسن. وكان مساءٌ وكان صباحٌ يوما ثالثا»[٥]. يقول الدكتور موريس بوكاى عن هذا النص: «ومقبول علميا أن القارات قد ظهرت في مرحلة من تأريخ الأرض كانت هذه مغطّاة بالماء، ولكن أن يكون هناك في تلك الفترة عالم نباتي ينتظم جيدا بالتناسل بالبذرة قبل ظهور الشمس (التي لم تظهر إلا في اليوم الرابع كما يذكر سفر التكوين[٦])، وأن ينتظم تعاقب الليل

---

(١) انظر: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاى ص٤٥.

(٢) أعني ستة أيام من أيامنا المعهودة (٢٤ساعة ٦=١٤٤ ساعة).

(٣) البقل من الزرع هو: ما نبت في بَزره لا في أرومة ثابتة. القاموس ص١٢٥٠.

(٤) البزر: هو كل حَبّ يُبذر للنبات وجمعه بزور. القاموس ص٤٤٥.

(٥) التكوين ١/ ١١-١٣.

(٦) ١/ ١٦-١٩.

والنهار، فذلك ما لا يمكن مطلقا إثباته»[(١)].

٣ ـ وجود النور قبل المنيرة!: وهذا باختصار ما يؤكده لنا العهد القديم حيث يقول: «وقال الله ليكن نورٌ فكان نورٌ، ورأى الله النور أنه حسن، وفصّل الله بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهارا والظلمة دعاها ليلا ، وكان مساءٌ وكان صباح يوما واحدا»[(٢)].

وهذا الذي يذكره، في ظاهره لا إشكال فيه، أعني خلق الله ﷻ النور وفصله تعالى بينه وبين الظلمة...الخ. لكن من وجهة نظر العلم الحديث فإن الضوء الذي يدور في الكون هو نتيجة ردود أفعال معقّدة تحدث ـ بمشيئة الله القدير ﷻ ـ في النجوم، ولكن الإشكال في أن هذه النجوم التي هي المنيرة ـ بمشيئة الرب ﷻ ـ إنما وجدت في اليوم الرابع ـ حسب ما جاء في العهد القديم نفسه[(٣)] ـ أي بعد النور بثلاثة أيام! فكيف يعقل تأخر وجود وسيلة الإنتاج عن وجود النتيجة المنتَجة؟![(٤)].

٤ ـ كما يقول هذا الكتاب في موضع آخر: «هذه مبادئ السماوات والأرض حين خلقت. يوم عمل الرب الإله الأرض والسماوات، كل شجر البرية لم يكن بعد في الأرض، وكل عشب البرية لم ينبت بعد، لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض، ولا كان إنسان ليعمل الأرض. ثم كان ضباب[(٥)] يطلع من الأرض

(١) انظر: Bucaille, Maurice (op.cit.) P.24

(٢) التكوين ١/ ٣-٥.

(٣) انظر: التكوين ١/ ١٤-١٩.

(٤) انظر: Bucaille, Maurice (op.cit.) P. 23

(٥) الضباب: ندىً كالغيم أو سحاب رقيق كالدخان. القاموس ص١٣٧.

ويسقي كل وجه الأرض. وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفسا حيّة. وغرس الرب الإله جنة في عدن[١] شرقا، ووضع هناك آدم الذي جبله »[٢].

ويُفهم من هذا النص ظهور عالم النبات في الوقت نفسه الذي ظهر فيه الإنسان على وجه الأرض أو أن وجود الإنسان أسبق زمنا، وهذا خطأ من الناحية العلمية أيضا. فإن المهتمين بالعلم الحديث "science" يقررون أن ظهور النباتات والبساتين أسبق بزمن طويل من ظهور الإنسان، ويقدرون المدة بينهما بمئات الملايين من السنوات[٣]. ونحن ـ وإن كنا لا نجزم بتحديد فترة زمنية معينة، طويلة كانت أو قصيرة بين الحدثين حتى لا نتقول على الله ﷻ الأقاويل ـ نقول أيضا، استنادا إلى ما أخبرنا الله تعالى به وعلّمنا إياه في كتابه أنه ﷻ بعد ما خلق آدم وزوجته حوّاء قال له: ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:٣٥]، فالذي يظهر ـ والعلم عند الله ـ أن الجنة وشجرتها وجدتا قبلهما.

٥ ـ تأريخ خلق العالم: يحدّد العهد القديم تأريخ بداية العالم بالقرن الثامن

---

(١) جاء ف قاموس ك.م. ص٦١٣-٦١٤ ما يفهم منه أن مقصود كتاب النصارى المقدس بجنة عدن هو أن الجنة في موضع يسمى عدنا، مع اختلافهم في موقعه في الوقت الحالي. أما علماء المسلمين فيقولون إن معنى جنة عدن هو: جنة إقامة، ويقال عدن بالبلد يعدِن ويعدُن عَدنا وعُدونا، أي أقام. انظر: تفسير الطبري ٨/ ٣٥٧، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٢٩، والقاموس المحيط ص١٥٦٧.

(٢) التكوين ٢/ ٤-٨.

(٣) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P.28-29

والثلاثين قبل الميلاد. وذلك لأن إبراهيم - وفق روايات العهد القديم - ولد بعد خلق آدم عليه السلام بثمان وأربعين وتسعمائة وألف سنة[١]، كما أنهم يحددون عصر إبراهيم بالفترة بين عام ١٨٠٠ و ١٨٥٠ ق.م. كما أسلفت[٢]. إذًا، فتكون المدة بين خلق آدم وميلاد المسيح عليه السلام ما بين ٣٧٤٨ و ٣٧٩٨ سنة[٣]، ونحن الآن في عام ١٩٩٧ بعد ميلاد المسيح عليه السلام، فالحاصل أن عمر هذا الكون حاليا يتراوح بين ٥٧٤٥ و ٥٧٩٥ سنة فقط!!!

ويكفي في رد هذه التقديرات الوهمية - من وجهة نظر العلم الحديث - أن تأريخ خلق الكون لا يعلمه إلا خالقه جل وعلا، ولكن المهتمين بهذا العلم يقدرون فقط زمن تكوّن النظام الشمسي بأربعة مليارات ونصف مليار من السنوات[٤]![٥].

ولقد تنبه النصارى المعاصرون - لا سيما البروتستانتيون - إلى هذا الخطأ الفاحش، فامتنعوا في الوقت الراهن عن نشر ملحق لكتابهم المقدس كعادتهم لبيان تواريخ

---

(١) انظر: سلسلة الأنساب والأعمار في سفر التكوين، الإصحاح الخامس كله، والإصحاح الحادي عشر/ ١٠-٣٢.

(٢) انظر: ص٢٩١.

(٣) هذا بناء على التواريخ المحددة للأحداث منذ خلق العالم في نسخة Walton للعهد القديم، المنشورة في القرن السابع عشر للميلاد. وأما حسب تحديد التواريخ في نسخة Vulgate المنشورة عام ١٦٢١م، فبداية العالم تكون في القرن الأربعين ق.م. انظر: Bucaille, Maurice (op.cit.) P. 31.

(٤) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 29

(٥) تجب الإشارة إلى أن هذه الأعداد لم أذكرها على أنها أعداد دقيقة ومسلمة، وإنما حكيتها من وجهة نظر العلم الحديث التي يؤمن به القوم أكثر من إيمانهم بأي كتاب مقدس ليكون ذلك أقوى في الإلزام، والله أعلم بما في الصدور.

الأحداث التي وقعت منذ خلق العالم. كما أعلنت حديثا طائفة أخرى نصرانية عن توقفها عن التكهن بنهاية العالم في سنة معينة، وذلك بعد سلسلة من التكهنات والحسابات الخاطئة[١].

ولعله من المستحسن ونحن على وشك إرخاء الستار على موضوع الأخطاء العلمية التجريبية في العهد القديم، إيراد مقال لأحد المهتمين بهذا العلم، ولا سيما ما يتصل منه بدراسة الكتب التي يقدّسها أهل الأديان. يقول الدكتور موريس بوكاي: «وبعد أن قمتُ بدراسة النص العربي للقرآن عن كثبٍ، استطعتُ أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم الحديث. وبنفس الموضوعية قمت بالفحص نفسه عن العهد القديم والأناجيل، أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول أي سفر التكوين، فقد وجدت فيه مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم الحديث رسوخا»[٢].

رابعا: الأخطاء العقلية والعرفية.

١ ـ جاء في سفر التكوين[٣]: «فبكر إبراهيم صباحا وأخذ خبزا وقربة ماء

---

(١) انظر: مجلة طائفة "شهود يهوه" الرسمية: "Control Tower"، نقلا عن: جريدة "المسلمون" ص١، عدد "٥٦٣"، سنة "١١"، بتأريخ: ٢٤/ جمادى الآخرة/ ١٤١٦هـ وانظر كذلك: كتاب بدعة شهود يهوه ومشايعيهم لإسكندر جديد ص١٣-١٥ و٢١.

(٢) Bucaille,Maurice(op.cit.) P.viii (Introduction)

(٣) ٢١/ ١٤-١٨.

وأعطاهما لهاجر[١] واضعا إياهما على كتفها والولدَ وصرفها. فمضت وتاهت في برية بئر سبع. ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولدَ تحت إحدى الأشجار. ومضت وجلست مقابله بعيدا نحو رمية قوس، لأنها قالت لا أنظرُ موت الولد. فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت. فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها ما لَكِ يا هاجر؟ لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومي احملي الغلام وشدّي يدك به، لأني سأجعله أمة عظيمة».

ولكي يتضح المقصود أذكّر بأن إسماعيل بن إبراهيم وهاجر عليهم الصلاة والسلام، ـ وهوالمعبر عنه في النص السابق بالولد والغلام ـ قد بلغ من العمر ما بين السادسة عشرة والسابعة عشرة حين ذهب والده به وبأمه إلى الوادي غير ذي الزرع[٢]. وهذا بأدلة من العهد القديم نفسه، حيث يذكر أن عمر إبراهيم لما وُلد له إسماعيل عليهما السلام كان ستا وثمانين سنة[٣]، وأن عمره لما ولد له أخوه إسحاق عليه السلام مائة سنة[٤]، وأن إخراج إسماعيل ووالدته هاجر إنما كان بعد فطام أخيه إسحاق عليهما السلام [٥]. فعلى فرض خروج إسماعيل وأمه بعد فطام إسحاق مباشرة، فإسماعيل بذلك يكون قد بلغ السادسة عشرة من عمره إذ هوأكبر من أخيه المفطوم بأربع

---

(١) أي والدة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. قاموس ك.م. ص٩٩٣.

(٢) أي مكة المكرمة، قال الله تعالى في حكاية قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

(٣)انظر: التكوين ١٦/ ١٦.

(٤) انظر: التكوين ٢١/ ٥.

(٥) انظر: التكوين ٢١/ ٨-١٠.

عشرة سنة.

إذا فُهم هذا، فلنرجع إلى النص السابق للوقوف على ما يحويه من الأمور غير المعقولة، والمخالفة للعرف والعادة. ومن أبرزها:-

(أ) هل يُعقل أن تحمل هاجر ابنها البالغ من العمر السن السادس عشر على كتفها؟

(ب) قولهم في ذلكم النص: «...طَرحت الولدَ تحت إحدى الأشجار»، أغلام يافع كإسماعيل يطرح طرحا هكذا؟!

(ج) أليست العادة المألوفة أن المرء في هذا السن الذي كان إسماعيل عليه السلام في تلكم الحادثة أو نظيرها، هو الذي ينزعج ويهتم بمشكلة أمه الضعيفة المسكينة؟ فكيف يروي لنا العهد القديم أن أم إسماعيل انزعجت وحزنت وخافت هلاك هذا الغلام نتيجة العطش!؟

(د) أمعقول أن تخاطَب امرأة هكذا: "قومي احملي غلامك البالغ من العمر ست عشرة سنة وشدّي يدك به"؟!!!

٢ ـ قصة إسحاق عليه السلام وابنيه: هذه القصة الطويلة التي يرويها سفر التكوين في أربعين فقرة[١]، ملخّصها أن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام في آخر حياته وقد فقد بصره، دعا ابنه الأكبر: عيسو طالبا منه إحضار صيد وأطعمة معينة لكي يرضي قلبه فيباركه بالبركة التي هي له باعتباره أكبر ولديه. وأن أم

(١) انظر: التكوين ٢٧/ ١-٤٠.

الولدين، رفقة، كانت تحب يعقوب، الابن الأصغر أكثر من أخيه عيسو، فلما سمعت بهذا دبرت حيلة أثناء غياب الابن الأكبر في طلبه للشرط الأساسي لاستحقاق بركة والده وهو الصيد! فأعدّت ليعقوب نوع الطعام المحبوب لوالديها ثم ألبسته ثوب أخيه عيسو، وأمرته بالدخول على إسحاق فيقدم له الطعام المجهَّز ليأخذ البركة بدلا من صاحبها ومستحقها عيسو. وتمت اللعبة فعلا ونجحت الحيلة فبارك إسحاق يعقوبَ (إسرائيل)، الولد الأصغر بدلا من عيسو الابن الأكبر.

ولنا وقفات مع هذه القصة المزعومة:-

أولا: من الواضح من أول القصة إلى آخرها أن إسحاق إنما أراد أو نوى أن يبارك عيسو لا يعقوب، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لا تنتقل البركة تلقائيا إلى عيسو؟ مع أن دندنة النصارى قديما وحديثا أن أي عمل لا بد أن يكون منشأه القلب. أم إنّ الأمر كما يقول أبو محمد ابن حزم الظاهري رحمه الله: « فما أشبه هذه العقول في هذه القضية بحمق الغالية من الرافضة القائلين: إن الله تعالى بعث جبريل إلى علي فأخطأ جبريل وأتى إلى محمد ﷺ... فعلى كلتا الطائفتين لعنة الله »[1].

ثانيا: ومن المعلوم أن البركة والنجاح والسعادة... الخ من الأمور التي لا يملكها أحد، أو يعطيها لغيره إلا الله. وإن قالوا إن هذا مجرد دعاء من إسحاق، قلنا فكذلك فإن إجابة الدعاء ليست بيد أحد سوى الخالق تبارك وتعالى.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٢٢٨.

ثالثا: وإذا كان إسحاق عليه السلام قد خُدع من قِبل زوجته وابنه يعقوب عليه السلام، فهل يعقل أن يكون الله ﷻ أيضا كذلك؟! تعالى الله علواً كبيرا.

رابعا: ولئن كان إسحاق ضريرا لم يستطع التمييز بين ولديه في تلك اللحظة، فما ظنكم بالسميع البصير العليم بظواهر الأمور وبواطنها؟[١].

٣ ـ ما جاء في سفر العدد[٢]، ونصه: «فقالت الأتان[٣] لبلعام[٤]: ألست أنا أتانك التي ركبت عليها منذ وجودك إلى هذا اليوم...».

فهل يمكن أن يصح هذا الكلام حتى بميزان العقل والعادة؟ إذ يلزم من صحته أن تكون هذه الأتان المعمّرة أكبر سنا من بلعام، صاحبها، وهذا على غير ما اعتادت الحمير أن تعيش طبعا[٥].

٤ ـ وفي سفر أخبار الأيام الثاني[٦]: «والرواق[٧] الذي قدام [البيت[٨]] الطول حسب عرض البيت عشرون ذراعا، وارتفاعه مائة وعشرون، وغشاه من داخل بذهب خالص».

---

(١) انظر: K. Alan (op.cit.) PP.33-34.

(٢) ٢٢/ ٣٠.

(٣) الأتان: أنثى الحمار، ويقال أيضا ـ قليلا ـ الأتانة، والجمع آتن وأُتُن وأُتْن. القاموس ص١٥١٥.

(٤) هو: بلعام بن بعور، قيل إنه كان من أنبياء بني إسرائيل. انظر: قاموس ك.م. ص١٨٩.

(٥) انظر: محنة التوراة لعصام الدين حفني ناصف ص١٣٦.

(٦) ٣/ ٤.

(٧) رواق البيت: شقته التي دون الشقة العليا، ومقدم البيت. القاموس ص١١٤٧.

(٨) يلاحظ سقوط هذا اللفظ من النسخة العربية، وهو موجود في النسختين الإنجليزية (RSV) واليوروباوية.

فهذا الآخر من الأمور التي لا تعقل أبدا، إذ كيف يكون ارتفاع رواق البيت مائة وعشرين ذراعا في حين أن البيت نفسه لم يتجاوز ارتفاعه ثلاثين ذراعا كما صُرّح بهذا في موضع آخر من العهد القديم نفسه[١]![٢].

٥ ـ وفي سفر العدد[٣]: « فكان جميع المعدودين من بني إسرائيل حسب بيوت آبائهم من ابن عشرين سنة فصاعدا، كل خارج للحرب في إسرائيل، كان جميع المعدودين ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين. وأما اللاويون حسب سبط آبائهم فلم يُعَدّوا بينهم ».

وإذا كان عدد المقاتلين فقط حتى مع عدم عد اللاويين معهم هو ما ذكر، فلو بالغنا في التساهل لقلنا إن عددهم جميعا أثناء خروجهم من مصر ـ كما في هذه القصة ـ لا يقل عن مليوني نسمة، فهل هذا يتمشى مع العقل السليم؟ خاصة إذا وضعنا الأمور الآتية في الاعتبار:

أ- قول العلامة ابن حزم رحمه الله: « أين هذا الكذب البارد من الحق الواضح في قوله تعالى حاكيا عن فرعون[٤] أنه قال إذ تبع بني إسرائيل: ﴿ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ [الشعراء:٥٤]. هذا الذي لا يجوز غيره ولا يمكن سواه أصلا »[٥].

---

(١) انظر: ١ ـ الملوك٦/ ٢.

(٢) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٢٥٩، وK.Alan (op.cit.) P49 بتصرف.

(٣) ١/ ٤٥-٤٧.

(٤) فرعون: لقب ملوك مصر، أما فرعون الذي كان في عهد موسى عليه السلام فليس معروفا بالضبط. انظر: قاموس ك.م. ص٦٧٦.

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري ١/ ٢٦٣-٢٦٤.

والشرذمة: هي القليل من الناس، وشرذمة كل شيء بقيته القليلة[١].

ب- أن عددهم جميعا من الذكور والإناث لما دخلوا مصر كان سبعين فقط[٢].

ج- أن إقامتهم في مصر لم تزد على مائتين وخمس عشرة سنة، كما تقدم[٣].

(د) أن فرعون مصر آنذاك كان يذبح أبنائهم، ويستحيي نسائهم[٤].

هـ- أنهم يوم خروجهم هذا من مصر، مع هذه الكثرة المزعومة، وكان معهم أيضا عدد كبير من المواشي من بقر وغنم، ومع ذلك تمكنوا من عبور البحر في ليلةٍ واحدة فقط[٥].

و- أنه كان يكفي لارتحالهم كل يوم الأمر الشفهي من قائدهم ونبيهم موسى عليه السلام، من غير النقل سواء من أفواه إلى أخرى أو بالأجهزة الحديثة لتكبير الصوت[٦].

ز- أنهم طيلة وجودهم في مصر لم تكن لهم سوى قابلتين[٧]، وكانتا تكفيان

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٩/ ٤٤٤، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٣٥، والقاموس المحيط ص١٤٥٤.

(٢) انظر: التكوين ٤٦/ ٢٧، والخروج ١/ ٥، والتثنية ١٠/ ٢٢.

(٣) انظر: ص٢٩٤-٢٩٥.

(٤) انظر: الخروج ١/ ١٥-٢٢.

(٥) انظر: الخروج ١٢/ ٣٨-٤٢.

(٦) كما يتضح ذلك في سياق قصة خروجهم هذه في سفر الخروج من الإصحاح الثاني عشر وحتى آخر السفر.

(٧) القابلة: هي المرأة التي تأخذ الولد عند الولادة. القاموس ص١٣٥٠.

لتوليد جميع نسائهم[١].

ح- أنه ليس بين موسى ويعقوب (إسرائيل) عليهما السلام إلا ثلاثة آباء، فهو موسى بن عمرام (عمران) بن قاهت بن لاوي بن يعقوب[٢]، ومن البعيد أن ينشعب النسل في أربعة أجيال إلى مثل ذلك العدد الهائل[٣].

فهكذا قد رأينا خلال ما تقدم ـ وإن كان ليس إلا غيضا من فيض[٤] ـ أن هذا الكتاب المقدس في زعم مقدسيه قد تكوّن من أقوال مختلفة جمعها محرروها بشكل يقل تارة ويزيد أخرى حذقا، كما أنهم غيّروا من شكل بعض هذه الأمور الموروثة جيلا بعد آخر بهدف إيجاد وحدة مركبة، تاركين للناظر والباحث والناقد لهذا الكتاب أمورا غير معقولة، وأخرى متنافرة[٥]. ومن غير شك فإن العهد القديم ـ في ضوء ما تقدم ـ يمثّل نموذجا حيا لتدخل العنصر البشري فيما يقال عنه كتاب مقدس.

---

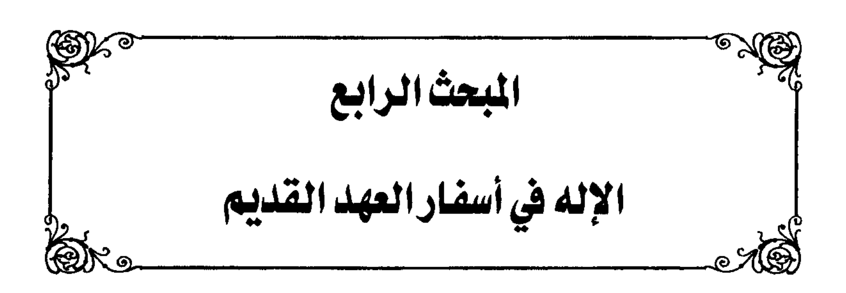
(١) انظر: الخروج ١/ ١٥.

(٢) انظر: الخروج٦/ ١٦-١٨، والعدد٣/ ١٧-١٩، و١ ـ أخبار الأيام٦/ ١-٣.

(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون ص١١، ورحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٢٢-١٢٨.

(٤) وللمزيد من الأخطاء في العهد القديم، راجع: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٢٥٧-٢٩٤، ونقد التوراة لأحمد حجازي السقا ص٩٦، ٩٨، ٩٩-١٠٤، و١١٨-١٢١، ومحنة التوراة لعصام الدين حفني ناصف ص٥٨-٦٦، و١٢٦-١٤٦، و Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 21-35، و K. Alan (op.cit) PP 30-53.

(٥) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 13



المبحث الرابع
الإله في أسفار العهد القديم

توطئة في معنى الإلحاد، وعلاقته بالمبحث:-

يقول الله جل وعلا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[الأعراف:١٨٠]. فهذا وعيد شديد من الله ﷻ للذين يلحدون في أسمائه وصفاته، فما هي حقيقة هذا الإلحاد، وكيف يدخل فيه كتّاب أسفار العهد القديم؟

الإلحاد في اللغة هو الميل والعدول، يقال: لحَد إليه وألحد أي مال وعدل وماری وجادل. ومنه اللحد، وهو الشق يكون في عرض القبر. والملحد: العادل عن الحق، المدخل فيه ما ليس فيه[(١)].

فالإلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته هو: «العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها»[(٢)].

---

(١) انظر: لسان العرب ١٢/ ٢٤٦، والقاموس المحيط ص٤٠٤.

(٢) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية لفضيلة الدكتور محمد أمان بن علي الجامي رحمه الله ص٣٦٠.

وهذا الإلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته قسّمه بعض العلماء[١] إلى أنواع منها: تسميته تعالى بما لا يليق به، ووصفه بما ينزه عنه ﷻ، وتشبيه صفاته تعالى بصفات خلقه.

فهؤلاء الكتّاب داخلون في الإلحاد من هذه الأبواب الثلاثة كلها. وقبل ذكر النماذج من تلكم الأسفار، أنبه إلى أن الله ﷻ نفسه قد ذكر لنا في كتابه الحكيم شيئا من جرأتهم عليه ﷻ حيث قال: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾[آل عمران:١٨١]، وقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[المائدة:٦٤].

هذا بالنسبة لليهود فكيف بإخوانهم النصارى؟، وهم شركاؤهم في تقديس هذه الأسفار كما نعلم، فلفظ "الإله" عندهم تحيط به تلك الصورة الآدمية لرجل شيخ طاعن في السن قد ظهرت عليه جميع أمارات الكبر والانحلال، يخشى عليه من الهلاك والفناء، فيصيحون أمامها: "ليحيا الله"!!![٢]. ويذكّرني هذا بصورة هذا الإله الطاعن في السن، البالغ من العمر أرذله، كما نشرها أحد شعرائهم قبل أكثر من عشر سنوات، إلا أن الشاعر[٣] قد أسلم بعد ذلك وحسُن إسلامه، وهو إلى اليوم من خير الدعاة إلى الله، أسأل الله لي وله الثبات على الحق.

---

(١) ومنهم العلامة ابن القيم في بدائع الفوائد ١/ ١٦٩-١٧٠، وانظر كذلك: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لفضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين ـ رحمه الله ـ ص١٦-١٧.

(٢) انظر: إتين دينيه (م.ن.) ص٢٥.

(٣) هو الداعية: مسعود أولاريواجو أديبوجو في جنوب نيجيريا، وفقه الله.

نماذج الإلحاد في أسماء الله وصفاته في أسفار العهد القديم.

أ ـ تسمية الله ﷻ بإله الإسرائيليين، أو إله إسرائيل، أو إله العبرانيين...الخ، وهو إله العالمين. ومن ذلك قولهم: « وأيضا هكذا قال الملِك. مبارك الرب إله إسرائيل الذي أعطاني اليوم من يجلس على كرسيي وعيناي تبصران »(١). وقولهم: « فإذا سمعوا لقولك، تدخل أنت وشيوخ بني إسرائيل إلى ملك مصر وتقولون له الرب إله العبرانيين التقانا »(٢).

وقريب من هذا، تسميتهم إياه جل وعلا برب الجنود(٣).

ب ـ وصفه تعالى بالنسيان، كما يفهم هذا بالضرورة من قولهم: « ثم ذكَرَ الله نوحا وكلَّ الوحوش وكل البهائم التي معه في الفلك، وأجاز الله ريحا على الأرض فهدأت المياه »(٤).

ج ـ وصفه ﷻ بالندم: « فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه »(٥).

د ـ وصفه بالتعب، والاستراحة إثْرَ ذلك ـ وتعالى الله ـ: « لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفي اليوم السابع استراح وتنفس »(٦).

---

(١) ١ ـ الملوك ١/ ٤٨، وانظر كذلك: الخروج٢٤/ ١٠، و١ ـ صموئيل ٢٥/ ٣٢، و١ ـ أخبار الأيام ١٦/ ٣٦، و٢ ـ أخبار الأيام ٦/ ٤، والمزامير ٧٢/ ١٨.

(٢) الخروج ٣/ ١٨، وانظر كذلك: ٥/ ٣.

(٣) انظر: ١ ـ صموئيل ٤/ ٤، و٢ ـ صموئيل ٦/ ٢.

(٤) التكوين ٨/ ١.

(٥) الخروج ٣٢/ ١٤.

(٦) الخروج ٣١/ ١٧، وانظر: كذلك التكوين ٢/ ٢.

هـ ـ وصفه بالجهل ـ وتعالى الله ـ: « فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين فحين يرى الدم على العتبة[١] العليا والقائمتين، يعبر الرب عن الباب ولا يدع المُهلك يدخل بيوتكم ليضرب »[٢]. فربهم هذا لا يميز بين بيوت المصريين وبيوت الإسرائيليين إلا عندما يجد هذه العلامة المذكورة على أبواب الإسرائيليين!!!

و ـ وصفه بأنه يصارِع ويصارَع ـ تعالى الله عما يقول الظالمون ـ: « فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقَ[٣] فخذه، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال لا أطلقك إن لم تباركني. فقال له ما اسمك؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يُدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت... فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل[٤]، قائلا: لأني نظرت الله وجها لوجه ونُجِّيَت نفسي »[٥]!

ز ـ وصفه بالمشي على الأرض ـ تعالى الله ـ: « وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلا في عمود نار ليضيء لهم، لكي يمشوا نهارا وليلا »[٦].

---

(١) العتبة: أسكفة الباب التى توطأ، أو العليا منهما. القاموس ص١٤٣، ولسان العرب ٩/ ٢٨.

(٢) الخروج ١٢/ ٢٣، وانظر كذلك التكوين ٣/ ٨-٩.

(٣) الحق: رأس الورك الذي فيه عظم الفخذ. القاموس ص١١٣٠.

(٤) فنيئيل: لفظ عبري معناه: وجه الله. قاموس ك.م. ص٦٩٨.

(٥) التكوين ٣٢/ ٢٤-٣٠.

(٦) الخروج ١٣/ ٢١.

ح ـ زعمهم أنه يُعلم الكذب أو يأمر به: « فقال صموئيل: كيف أذهب، إن سمع شاول يقتلني، فقال الرب: خذ بيدك عجلة من البقر وقل قد جئتُ لأذبح للرب »[(١)].

ط ـ زعمهم أنه يُعلم السرقة والنهب ـ تعالى الله ـ: « بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب، وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم، فتسلبون المصريين »[(٢)].

ي ـ وصفهم لِرجله تعالى الله عما يقول الظالمون: « ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق[(٣)] الأزرق الشفّاف، وكذات السماء في النقاوة »[(٤)].

فهذه صور الإله في هذا الكتاب المحرّف، ويقدسه المغضوب عليهم والضالّون على حد سواء!

وبعد هذا العرض الذي كدت أن أمتنع عنه لولا ما تقتضيه الأمانة العلمية وأسس البحث العلمي، ولأن ناقل الكفر ليس بكافر، أود التنبيه على أمرين مهمين، وهما:

الأول: أن مذهب أهل الحق، أهل السنة والجماعة في باب النفي أن النفي المحض ليس بمدح، وإنما النفي المستلزم لإثبات نقيض المنفي من صفات العيوب

---

(١) ١ـ صموئيل ١٦/ ٢.

(٢) الخروج٣/ ٢٢، وانظر كذلك: ١١/ ٢، و١٢/ ٣٥-٣٦.

(٣) العقيق: قال في القاموس: "خَرَز أحمر يكون باليمن وبسواحل بحر رومية، منه جنس كدِر كماء يجري من اللحم المملح، وفيه خطوط بيض خفية..." القاموس ص١١٧٤-١١٧٥.

(٤) الخروج ٢٤/ ١٠.

والنقص. لذا فإن الواجب علينا نحن المسلمين ليس نفي هذه الصفات التي فيها عيب وانتقاص وعدم تقدير الله حق قدره فحسب، بل مع إثبات كمال ضد هذه الصفات لله ﷻ. فمثلا نفي كون الله خاصا ببني إسرائيل أو العبرانيين، ونثبت أنه إله العالمين، كما قال تعالى عن نفسه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة:٢]. ونفي التعب والعجز عنه تبارك وتعالى كما قال عن نفسه جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق:٣٨]، فيستلزم ذلك إثبات كمال القدرة له ﷻ، ...وهكذا دواليك.

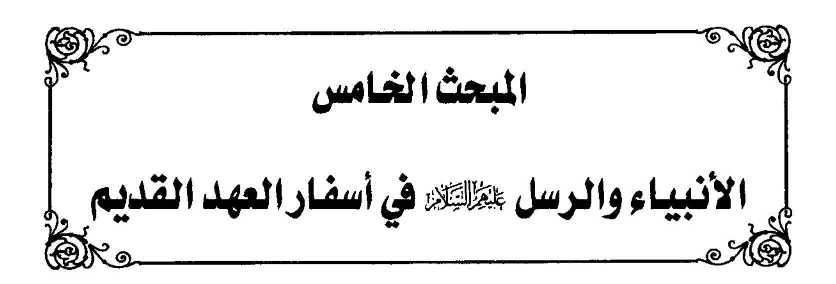
وبالجملة، فإن النفي المجمل لجميع صفات العيب والنقص، مع الإثبات المفصل لجميع صفات الكمال هو مذهب أهل السنة لا العكس، والله تعالى أعلم.

الثاني: زعم بعض المؤلفين المعاصرين[1] ـ عفا الله عنا وعنه ـ أن إثبات صفات النزول (مطلقا)، والغضب، والظهور، والغيرة ونحوها لله ﷻ من أخطاء العهد القديم.

والحقيقة أن الأمر فيه تفصيل، فإن أريد إثبات هذه الصفات على وجه مماثل لما للمخلوقات فهو خطأ وضلال، أما إن قُصد إثباتها مطلقا أو على الوجه الذي يليق بجلال الله وكماله تعالى، فهذا، أعني الإثبات على الوجه اللائق به تبارك وتعالى هو الحق الذي يجب القول به، لأن هذه من الصفات السمعية الخبرية التي لا ينبغي إثباتها أو نفيها إلا بالدليل، بل إنها لا تثبت بالعقل وإنما تثبت بالنقل وقد ثبتت، والله تعالى هو الموفق.

---

(١) هو الدكتور عبد الغفار عزيز في كتابه: الإله في فكر البشر ووحي السماء ص٦٧، الطبعة الأولى، نشر: مؤسسة الوفاء للطباعة، القاهرة، عام: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.



المبحث الخامس

الأنبياء والرسل عليهم السلام في أسفار العهد القديم

المطلب الأول: عرض نماذج مما قيل في الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام هم صفوة البشر وقدوتهم، إذ هم أحسن الناس خُلُقا، وأكملهم خِلْقةً، وأزكاهم عملا، وأطهرهم نفسا، وأعطرهم سيرة، حتى أمر الله ﷻ بالاقتداء والتأسي بهم فقال ﷻ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾[الأنعام:٩٠].

هذا بالإجمال صورتهم المشرقة في القرآن العظيم، وكذا في السنة الشريفة، فكيف هي في التوراة المحرّفة وما ألحق بها من الأسفار؟ حيث نجد أن كتّابها لم يكتفوا بنسبة المعصية إلى هؤلاء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، بل جعلوا منهم أبطالا للجريمة وقادة للدعارة والفجور، كل ذلك ـ فيما يبدو ـ محاولة منهم تبريرَ وقوعهم في هذه الجرائم والمعاصي ما دام أنها قد صدرت عن صفوة الخلق ـ كما يزعمون ـ وقديما قيل:

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا*فشيمة أهل البيت كلهم الرقص.**

وحتى لا تكون هذه دعوى منّي بلا إثبات، أذكر شيئا من تجاوزهم الممقوت في النيل من كرامة أصفياء الله من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

أ- قولهم في نبي الله نوح ﷺ: «وابتدأ نوح يكون فلاّحا وغرس كرما[1]. وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه[2]»[3].

ب- قولهم في نبي الله لوط ﷺ في حكاية طويلة مفادها أنه ﷺ شرب الخمر وسكر فزنى بابنتيه ـ والعياذ بالله ـ... إلى أن قالوا ـ وبئس ما قالوا ـ: «فحبلت ابنتا لوط من أبيهما»[4].

ج- قولهم في هارون النبي ﷺ: أنه هو الذي صنع العجل[5] الذي عبده بنو إسرائيل في غياب أخيه موسى عليهما السلام، حيث قالوا: «فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوّره بالإزميل[6] وصنعه عجلا مسبوكا[7]، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض

---

(١) الكرْم: هو العنب والقلادة. القاموس ص١٤٨٩.

(٢) الخباء: من الأبنية ما يعمل من صوف أو وبر، وقد يكون من شعر، ويكون على عمودين أو ثلاثة، وما فوق ذلك فهو بيت. انظر: المصباح المنير لأحمد بن محمد الفيومي ص٦٢، والمعجم الوسيط ١/ ٢١٣.

(٣) التكوين ٩/ ٢٠-٢١.

(٤) انظر: التكوين ١٩/ ٣٠-٣٦، وراجع منا قشة علمية جيدة لهذه القصة في الفصل في الملل... للعلامة ابن حزم ١/ ٢٢٤.

(٥) العجل: ولد البقرة. القاموس ص١٣٣١.

(٦) الإزميل: شفرة الحذاء، وحديدة في طرف رمح لصيد البقر، والمطرقة. القاموس ص١٣٠٦.

(٧) أي مُذاب، يقال: سبكه يسبكه أي أذابه وأفرغه. انظر: القاموس ص١٢١٦، بتصرف.

مصر. فلما نظر هارون، بنى مذبحا أمامه، ونادى هارون وقال غدا عيد للرب»[(١)].

فهكذا رموا نبي الله هارون البريء بهذا الظلم العظيم مع أن الله تعالى قد برأه منه، قال ﷻ: ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾[طه:٨٧-٩٠]. فجمعوا بين تكذيب الله تعالى والنيل من نبيّه الكريم: هارون بن عمران عليه السلام.

د- قولهم في النبي داود عليه السلام في قصة طويلة أيضا، حاصلها أن داود أحب امرأة أوريا الحثي[(٢)]، فدخل عليها وزنا بها، وزوجها غائب عنها يجاهد في سبيل الله، وأن داود عليه السلام لم يكتف بهذا، بل دبّر لقتل الزوج وضم زوجته هذه إلى زوجاته بعد ذلك[(٣)]، وأنها هي والدة نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام[(٤)]!!!

هـ- قولهم في سليمان عليه السلام أنه ارتدّ في آخر حياته ـ والعياذ بالله ـ: «وكان في زمن شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه»[(٥)].

---

(١) الخروج ٣٢/ ٣-٥.

(٢) أوريا الحثي: أحد أفراد جيش داود عليه السلام، كما في ٢ ـ صموئيل ١١/ ٦، ٧، و١٦.

(٣) انظر: ٢ ـ صموئيل، الإصحاح الحادي عشر كله.

(٤) انظر: ٢ ـ صموئيل ١٢/ ٢٤.

(٥) ١ ـ الملوك ١١/ ٤ وانظر: كذلك ١١/ ٥-٩.

المطلب الثاني: نقد هذه المزاعم ومناقشتها.

وذلك بطريقتين، الأولى: النقد الإجمالي، والثانية: النقد التفصيلي.

أما النقد الإجمالي:ـ

ويشمل جميع الرذائل والفواحش التي نسبت إلى هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فأقول:

أولاً: إن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وإن كانوا بشرا، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾[الانبياء:٧]، إلا أنهم معصومون بعصمة الله ﷻ لهم من الوقوع في المعاصي أو ارتكاب المحرمات، لا سيما الشرك والكبائر من الذنوب، كالزنا وشرب الخمر...الخ حيث إن العلماء مجمعون على أن الأنبياء معصومون من كبائر الذنوب[1]، وذلك ـ كما لا يخفى ـ من لوازم الشرع والعقل، إذ كيف يجمع بين النبوة أوالرسالة الإلهية المتضمنة لهداية الخلق، وبين الإشراك بالله تعالى والقتل والزنا... الخ. وإنما الخلاف فقط في عصمتهم من الصغائر، وفي متى تثبت لهم العصمة، أقبل النبوة أم بعدها؟[2]. وأما عصمتهم من الكبائر بعد إرسال الله إليهم فلا خلاف فيها البتة بين من يُعتدّ بهم من العلماء. وإذا ما نظرنا إلى ما نسبه العهد القديم إلى الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ـ مما تقدم ـ نجد أن كلها من كبائر الذنوب، بل من الشرك والردة، وأنها

---

(١) راجع: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ٣١٩، والرسل والرسالات للدكتور عمر سليمان الأشقر ص١٠٦.

(٢) راجع: عصمة الأنبياء لفخر الدين الرازي ص٢٦-٣٥، وعمر سليمان الأشقر (م.ن.) ص١٠٧-١١٢، والنبوة والأنبياء لمحمد علي الصابوني ص٥٣-٥٥.

وقع منهم بعد النبوة والعياذ بالله[١].

وثانيا، بمنظار العقل السليم، إذا كان هذا هو تأريخ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، الإسكار والردة وعبادة الأصنام والزنا وسفك الدماء...الخ، فيا ليت شعري ما ذا بقي من حرمتهم، وفيما ذا يقتدى بهم، وكيف، ولماذا؟ أو ما ذا يقال بعد كل هذا لكبار الفسّاق والمجرمين والسفهاء؟![٢].

وأما النقد التفصيلي :-

فهو ما أخصه بالشاهد الرابع مما تقدم عرضه، وهو قصة داود عليه السلام مع امرأة أوريا الحثي. حيث قد توهم كثير من الناس أن هذه القصة صحيحة ثابتة، بل وأن الإشارة إليها واردة في القرآن الكريم، وذلك في قصة الخصم الذين تسوّروا[٣] المحراب: قال الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ

---

(١) وراجع كتاب: عصمة الأنبياء والشبه الموجهة إليهم للدكتور محمد أبو النور الحديدي ص٢٢٦-٤٨٥، في رد هذه الفرية وغيرها مما أثيرت حول عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وشخصياتهم الطاهرة من الشبهات.

(٢) انظر: محمد علي الصابوني (م.ن.) ص٥٨، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٢٨٤، بتصرف.

(٣) أي تسلقوا سور محرابه فدخلوا عليه، يقال: سُرتُ الحائط وتسورته أي تسلّقتُه. انظر: القاموس ص٥٢٧، بتصرف.

إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص:٢١-٢٥]. وهذا ـ أعني القول بأن القصة هي التي أشارت إليها الآيات الكريمة ـ باطل مردود، من وجوه:

الأول: أنه لم يثبت ـ فيما أعلم ـ في هذا شيء عن النبي ﷺ ولا عن صحابته الكرام رضي الله تعالى عنهم. قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: « قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذة من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه... فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة [الواردة في القرآن]، وأن يرد علمها إلى الله عز وجل »(١).

الثاني: أن ما ورد في القصة ـ أعني الواردة في العهد القديم ـ لا يليق بالأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، بل لو وُصف به أفسق الملوك لكان منكرا.

الثالث: أن الله تعالى وصف داود عليه السلام في ابتداء القصة الواردة في القرآن الكريم، وبعدها بأوصاف حميدة من ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[ص:١٧]، وقوله ﷻ: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[ص:٢٦]، وذلك ينافي ما ذكروا في الحكاية الواردة في العهد القديم(٢).

الرابع: قول الإمام ابن حزم رحمه الله بخصوص القصة القرآنية: « ومن قال إنهم

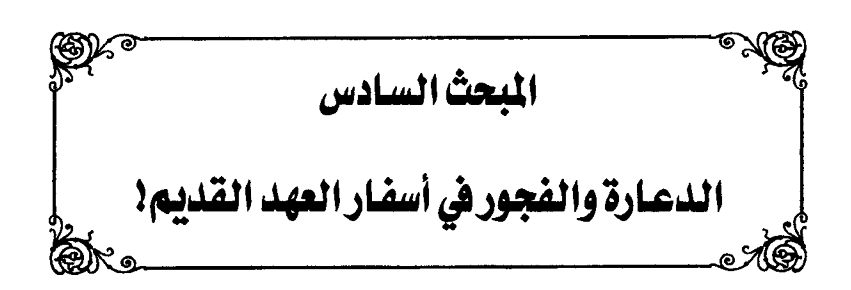
(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٣١.

(٢) انظر: عصمة الأنبياء لفخر الدين الرازي ص٩٧.

[يعني الخصم] كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء [أي نساء داود بالمقارنة مع امرأة واحدة لأوريا] فقد كذب على الله ﷻ، وقوّله ما لم يقل، وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذّب الله عز وجل، وأقر على نفسه الخبيثة أنه كذب الملائكة، لأن الله تعالى يقول: "وهل أتاك نبأ الخصم"، فقال هو: لم يكونوا قط خصما. وهذا تكذيب مجرد لله تعالى، وهذا كفر محض. وأقر على نفسه أنهم كانوا ملائكة، وأنهم قالوا: "خصمان"، فقال هو لم يكونوا قط خصمين، ولا بغى بعضهم على بعض، ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة، ولا كان للآخر نعجة واحدة، ولا قال له: أكفلنيها...»[1].

---

(١) الفصل في الملل... لابن حزم ٤/ ٣٩، طبعة شركة مكتبات عكاظ بجدة، تحقيق: د/ محمد إبراهيم نصر، ود/ عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.



المبحث السادس

الدعارة والفجور في أسفار العهد القديم!

أمعقول أن يحتوي كتاب مقدس منزّل من الله ﷻ لهداية الخلق وإرشادهم على الغزليات وعبارات العشق والفحشاء، ووصف خفايا جسد المرأة بأسلوب في قمّة من الفحش والإثارة؟

في الحقيقة إن الإنسان العادي الذي لم يكن قد درس أو سمع عن كتاب النصارى المقدس سوى أنه كتاب ديني يتوقف عليه خلاص البشرية وفلاحها... إلى آخر ما يقولون، سيصاب حتما بدهشة شديدة، وخيبة أمل مؤكدة في لحظة قراءته بعضَ أسفار هذا الكتاب. ولعل من أشهر من وقعت لهم هذه التجربة المؤلمة: المؤرخ الغربي، ول ديورانت الذي قال عن الأسفار الغزلية في العهد القديم: «وفي هذه الكتابات الغرامية العجيبة مجال واسع للحدس والتخمين... ومهما يكن أصلها فإن وجودها في التوراة [المحرّفة طبعا] سرٌّ خفي... ولسنا ندري كيف غفل أو تغافل رجال الدين عما في هذه الأغاني من عواطف شهوانية»[(١)].

وللمضي في المنهج الذي اعتدت السير عليه في هذا الكتاب، أجد نفسي

(١) ول ديورانت (م.ن.) ٣/ ٣٨٨.

مضطَرًّا لذكر شيء من هذه الغزليات الشيطانية ـ آسف، الكنسية المقدسة ـ والله المستعان.

أ- في سفر نشيد الأنشاد، وهو مشهور بالسفر الغزلي، لكنهم ينسبونه إلى نبي الله سليمان عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء أفضل الصلاة والسلام. فمما جاء فيه: «لِيُقَبِّلني بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر»[١]. و«صرّة المر[٢] حبيبي لي، بين ثدييّ يبيت»[٣]. و«ها أنت جميلة يا حبيبتي ها أنت جميلة، عيناك حمامتان من تحت نقابك. شعرك كقطيع[٤] معز رابض[٥] على جبل جلعاد[٦] »[٧]. و«قامتك هذه شبيهة بالنخلة وثدياك بالعناقيد[٨]. قلت إني أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها[٩]. وتكون ثدياك كعناقيد الكرم، ورائحة أنفك كالتفاح»[١٠]

---

(١) نشيد الأنشاد ١/ ٢.

(٢) المُرّة: اسم شجرة أو بقلة، وجمعه مرّ وأمرار، والصُّرة: شرج الدراهم ونحوها. انظر: القاموس ص٥٤٣ و٦١٠.

(٣)نشيد الأنشاد ١/ ١٣.

(٤) القطيع من الغنم والنَّعَم: هو الطائفة منه، ويجمع على الأقطاع والقطعان والقطاع. القاموس ص٩٧٢.

(٥) ربضت الشاة تربض ربضا وربضة وربوضا ورِبْضة حسنة، كبركتْ في الإبل، ومواضعها: مرابض. القاموس ص٨٢٨-٨٢٩.

(٦) جبل جلعاد: جبل في غرب الأردن. قاموس ك.م. ص٢٦٤.

(٧) نشيد الأنشاد ٤/ ١.

(٨) العناقيد: جمع عنقود: واحد عناقيد العنب، والعنقادة لغة فيه. لسان العرب ٩/ ٣١١.

(٩) العذوق: جمع عِذق، وهو القنو من النخلة، والعنقود من العنب، أو إذا أكل ما عليه. القاموس ص١١٧١.

(١٠) نشيد الأنشاد ٧/ ٧-٨.

ب- وما جاء في سفر حزقيال من وصف لدعارة أختين شقيقتين، حيث جاء فيه: «وزنتا بمصر، في صباهما زنتا. هناك دُغدِغت[١] ثديهما، وهناك تزغزغت[٢] ترائب عذرتهما»[٣]. و«عشقتْهم عند لمح عينيها إياهم وأرسلت إليهم رسلا إلى أرض الكلدانيين. فأتاها بنو بابل في مضجع الحب ونجّسوها بزناهم فتنجست بهم وجفتهم نفسها»[٤].

ج- وما جاء في قصة زنا أمنون بأخته ثامار[٥]: «وقدّمت له ليأكل فأمسكها وقال لها: تعالي اضطجعي معي يا أختي. فقالت له لا يا أخي... فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها»[٦].

د- وهكذا رأوبين مع زوجة والده يعقوب (إسرائيل) عليه السلام: «وحدث إذ كان إسرائيل ساكنا في تلك الأرض أن رأوبين[٧] ذهب واضطجع مع بلهة سريّة أبيه، وسمع إسرائيل»[٨].

هـ- وابنه ـ أعني يعقوب عليه السلام ـ الآخر: يهوذا، زنا بزوجة ابنه!، وفي ذلك

---

(١) الدَّغدغة: حركة وانفعال في نحو الإبط والبضع والأخمص. القاموس ص١٠٠٨.

(٢) الزغزغة: ضعف الكلام وإخفاء الشيء وخبؤه، والسخرية وأن تروم حل رأس السقاء. القاموس ص١٠١١.

(٣) حزقيال ٢٣/ ٣.

(٤) حزقيال ٢٣/ ١٦و١٧.

(٥) أمنون وثامار أخوان من أب واحد هو: داود النبي عليه السلام. انظر: قاموس ك.م. ص١١٩و٢٣٣.

(٦) ٢ ـ صموئيل ١٣/ ١١-١٤.

(٧) رأوبين: بكر يعقوب من زوجته ليئة. قاموس ك.م. ص٣٩٣.

(٨) التكوين ٣٥/ ٢٢.

قولهم: «فمال إليها على الطريق وقال هاتي أدخل عليك... فأعطاها ودخل عليها، فحبلت منه»[١].

ولنتساءل بعد هذا العرض لجزء يسير جدا من هذه الأمور الشنيعة، أهذا هو كتاب دين وهداية؟ وهل هذا هو القصص الحق الذي يهدي إلى صراط مستقيم؟ فوالذي أنزل الكتب وأرسل الرسل، إنني أجزم أنه يستحيل كل الاستحالة أن تكون عبارات الغزل والفجور، والعشق والمجون هذه، وحيا أو إلهاما من الله الذي هو طيب ولا يقبل إلا طيبا.

ومن دواعي السرور والارتياح أن يكون قد شاركني في هذا الحكم، أعني استحالة كون كتاب النصارى المقدس في شكله الحالي وحيا من الله القدير ﷻ بعض الباحثين والمفكرين من غير المسلمين، ومنهم الفيلسوف البريطاني جورج بيرناد شو[٢] الذي قال: «إنه [كتاب النصارى المقدس] أشد كتاب خطورةً على وجه الأرض، احفظوه في خزانة مغلقة بالقفل والمفتاح»[٣]. وتقول مجلة الحقيقة المجردة The Plain Truth الصادرة في أكتوبر عام ١٩٧٧م: «إن قراءة قصص الكتاب المقدس على الأطفال ربما تفتح الباب لفرص مناقشة العبرة وراء الجنس، وإن الكتاب المقدس إذا لم يهذَّب، قد تعتبره بعض مجالس الرقابة صالحا للكبار فقط»[٤]!!!

---

(١) التكوين ٣٨/ ١٦-١٨.

(٢) George Bernard Shaw: كاتب مسرحي إيرلندي المولد، وناقد وكاتب. ولد في عام ١٨٥٦م وتوفي في عام ١٩٥٠م. الموسوعة العالمية ١٤/ ٢٧٥.

(٣) نقلا عن: Deedat, Ahmed: Is the Bible God's word. P49.

(٤) Ibid P.50.

هذا وهناك أمور أخرى تؤخذ على العهد القديم وينتقد بها، كالتفرقة العنصرية[١]، والتكرارالحرفي من غير حاجة ولا مبرر ولا مسوّغ[٢]، وغيرهما مما أمسكت عن الخوض في تفاصيلها خشية الإطالة.

ولعل من المستحسن أن نختتم دراسة العهد القديم بملخص لأهم ما فيه من الأفكار، فأقول: إن القراءة المتأنية في قصص أسفار العهد القديم، وبتفكر وتدبر وإمعان النظر فيها، تبيّن بوضوح أن واضعي هذه القصص المتسلسلة لم يدونوها اعتباطا، وإنما لأغراض مستهدفة، ودواع محددة، ومطالب معينة، تتفق هذه الأغراض وتلكم المطالب وأولئكم الدواعي في نقطة واحدة هي: محاولة إثبات أن بني إسرائيل هم شعب الله المختار من بين بني آدم أجمعين. وإلا كيف تفسر هذه الخزعبلات والخرافات التي قام عليها مسار الأحداث والوقائع في هذه الأسفار التي تذكر ـ مما تذكر ـ أن نوحا عليه السلام قد صبّ لعنةً حارة على حفيده: كنعان، وهو بريء، لكن من أجل إثم اقترفه والده حام بن نوح عليه السلام ـ في زعمهم ـ ويبارك نوح من بين ابنيه الصالحين ساما ـ ومنه ينحدر بنو إسرائيل ـ فقط دون أخيه الآخر يافث مع أن كليهما قد أبرّا والديهما[٣]!

وكيف يتم تحليل الفاحشة التي تنسب إلى لوط عليه السلام وابنتيه؟ ويطرد بسببها

---

(١) انظر مثلا: التكوين ٩/ ١٨-٢٧ و٢١/ ١٠.

(٢) انظر: مثلا، مزمور ١٤ ومزمور ٥٣ من سفر المزامير، وكذلك سفر الملوك الثاني، الإصحاح التاسع عشر مع سفر أشعيا، الإصحاح السابع والثلاثين.

(٣) انظر: التكوين ٢٩/ ٢٥-٢٧.

حفدتهما من جماعة الرب ـ كما يزعمون ـ[(١)].

أم كيف يتسنى لهم جعل إسحاق الابن الوحيد لإبراهيم عليهما السلام[(٢)]، في حين أنّ له أخاً من أبيه أكبر منه بنحو أربع عشرة سنة، أعني إسماعيل عليه السلام؟[(٣)].

ثم بأي منطق وعلى أي أساس يتساوم ابنا إسحاق، عيسو ويعقوب (إسرائيل) في حق البكورية، فيبيعها الابن البكر وهو عيسو لأخيه إسرائيل مقابل رغيف من الخبز وصحفة من العدس!!!؟[(٤)] ثم يتعقب إسرائيلُ أخاه مرة أخرى ليضربه ضربة أقوى هذه المرة، فيظفر خداعا ببركة أبيهما التي كانت مدّخرة لعيسو![(٥)].

كما يلاحظ أن بعض من يلعبون الأدوار الرئيسة في هذه القصص، تطلق عليهم أسماء تنبئ عما سيكون من أمر أصحابها كشأن أي قصة أخرى موضوعة، والتمثيليات الملفقة، والأساطير الخرافية.

فمما تفيده هذه القصص أن آدم عليه السلام هو الذي سمّى زوجته حوّاء، لأنها ستصبح أم الأحياء!: «ودعا آدم اسم امراته حواء لأنها أم كل حي»[(٦)]. وأما ولداهما اللذان قتل أحدهما الآخر، فالقاتل اسمه قايين، والمقتول اسمه هابيل[(٧)]. فقايين: اسم

(١) انظر: التثنية ٢٣/ ٢-٣، مع التكوين ١٩/ ٣٠-٣٦.

(٢) انظر: التكوين ٢٢/ ٢و١٢.

(٣) انظر ما تقدم في شواهد التحريف بالزيادة في العهد القديم.

(٤) انظر: التكوين ٢٥/ ٢٩-٣٤.

(٥) انظر ما تقدم في ص٣٠٥.

(٦) التكوين ٣/ ٢٠.

(٧) انظر: التكوين ٤/ ٨.

مشتق من فعل عبري معناه: يضرب أو يطعن، بينما يعني هابيل: الحزن أو الحسرة[١]!

وفي هذه القصص أيضا أن إبراهيم ﷺ كان يُدعى في الأصل أبرام: الذي معناه الأب الأعلى أو الأب الرفيع[٢]، فكأن والده قد سمّاه بهذا الاسم وهو يتوقع أو يعلم أن مولوده هذا سوف يكون أبا الأنبياء من بعده. ولسنا نعرف الغرض من تغيير الاسم فيما بعد بأمر من الله! حسب ما يقوله سفر التكوين[٣].

وأما يعقوب فقد أُطلق عليه هذا الاسم لأنه خرج من رحم أمه وهو قابض بعقب أخيه التوأم، عيسو[٤]، أو لأنه سوف يتعقب أخاه هذا حتى يسلبه حق البكورية، والبركة التي كان أبوهما يدخرها له[٥]!

وكذا بالنسبة للرجل الذي أغضب داود ﷺ بحماقته، كان اسمه نابال الذي يعني الأحمق[٦]!

وفي هذه الزاوية أنبه إلى ما يسلكه بعض المسلمين من طريق فيه محاكاة لما عند أهل الكتاب في أسفارهم، كقول بعضهم: إن إدريس ﷺ سمي إدريس لكثرة دراسته للكتب[٧]، فهذا لامستند له لا من العقل ولا من الشرع، ولا حتى

---

(١) انظر: محنة التوراة على أيدي اليهود لعصام الدين حفني ناصف ص٧٤-٧٥.

(٢) انظر: قاموس ك.م. ص٩.

(٣) انظر: التكوين ١٧/ ٥.

(٤) انظر: التكوين ٢٥/ ٢٦.

(٥) انظر: التكوين ٢٧/ ٣٦.

(٦) انظر: ١ ـ صموئيل ٢٥/ ٢٥.

(٧) انظر: القاموس المحيط ص٧٠١.

من اللغة، إذ إن إدريس عليه الصلاة والسلام لم يكن من الأنبياء العرب[١]، ولا عرف اللغة العربية حتى يكون اسمه مشتقا من مادة: "د ر س" في معناها العربي[٢]، والله أعلم.

(١) لأن الأنبياء العرب كما جاء في حديث أبي ذر ﷺ المرفوع، أربعة وهم: هود، وصالح، وشعيب، ونبينا محمد عليهم الصلاة والسلام. والحديث تقدم تخريجه، وانظر كذلك: البداية والنهاية لابن كثير ١/ ١٢٠.

(٢) انظر: القاموس المحيط ص٧٠١-٧٠٢.

الفصل الرابع

أين توراة موسى عليه الصلاة والسلام؟

كما سبق أن أشرت إلى أن ثمة فرقا بين العهد القديم الذي يقدسه اليهود والنصارى، وبين التوراة التي نؤمن بها نحن المسلمين، إذ هي ـ أعني التوراة ـ كتاب أنزله الله على نبيه ورسوله موسى بن عمران ﷺ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة:٤٤]. فما يسمى اليوم بالعهد القديم هو غير التوراة المنزلة، فأين التوراة إذًا؟

لقد أجاب القرآن الكريم على هذا التساؤل بأن اليهود أهملوا وأخفوْا بعضها فضاع، وحرّفوا بعضا، وبدّلوا البعض الآخر. قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام:٩١]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [المائدة:٦٨]. وقال ﷻ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ ﴾ [المائدة:١٣].

وإذا جئنا إلى تأريخ التوراة، والمراحل التي مرّت بها منذ وقت إنزالها في ضوء ما يذكره كتاب النصارى المقدس، نجد مصداق ما قد أخبر به القرآن الكريم في غاية الوضوح، حيث يذكر أن موسى ﷺ تلقى التوراة بادئ ذي بدء مشافهة من الله ﷻ، ثم

قام بكتابتها بعد ذلك، وهي ما سُميت بكتاب العهد كما جاء في سفر الخروج[١].

ويقول كتابهم هذا في موضع آخر منه إن الشريعة الموسوية إنما سُلّمت مكتوبةً ـ بأصبع الله ـ إلى موسى، ولم يتلقها مشافهة، وأن الكتابة كانت على لوحين حجريين[٢]. وهنا نطرح سؤالا وهو: هل كان ما أوحى الله تعالى به إلى موسى عليه السلام مشافهة ثم كتبه موسى بيده هو عين ما كتبه الله تعالى له بإصبعه، أو بينهما فرق؟ وإذا كانا واحدا ـ كما يفهم من نصوص العهد القديم ـ فلماذا ترسل إليه التوراة مرّة مشافهة ليسجلها بنفسه، ومرّة أخرى يعفى من مهمة الكتابة فيكتبها الله تعالى ثم يسلّمه إياها؟

أما هذان اللوحان فقد تعرضا للكسر بإلقاء موسى لهما غضبا إثر مشاهدة قومه وهم يرقصون حول العجل الذي عبدوه أثناء غيابه عنهم. وفي هذا يقول المولى عز وجل: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ ﴾ [الأعراف:١٥٠]. وأما سفر الخروج فيقول: « وكان عندما اقترب إلى المحلّة أنه أبصر العجل والرقص، فحمي غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسّرهما في أسفل الجبل »[٣].

---

(١) انظر: الخروج ٢٤/ ٣-٧.

(٢) انظر: الخروج ٣١/ ١٨، والتثنية ٩/ ١٠. ومن الجدير بالذكر أن الله تعالى إنما قال في كتابه الحكيم: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ ﴾[الأعراف: ١٤٥]، ولم يقل في اللوحين!

(٣) الخروج ٣٢/ ١٩.

وثمة فرق بين النصين كما نلاحظ، وذلك أن القرآن العظيم إنما ذكر الألواح وليس لوحين، كما أنه أفاد بأن موسى عليه السلام عاد ليأخذ الألواح ذاتها بعد سكون الغضب كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾[الأعراف:١٥٤]. وأما النص الخروجي فيفيد أن اللوحين انكسرا وتفرقا بحيث أصبحا عديمي الفائدة، ولذلك أتبع هذا النص بنص آخر هو: «ثم قال الرب لموسى انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين، فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأوّلين اللذيْن كسرتَهما»[(١)]. غير أن سفر الخروج نفسه يذكر بعد هذا بقليل أن الله لم يكتب، وإنما أمر موسى بالكتابة: «فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر»[(٢)].

ولنا وقفة مع هذا النص الأخير، إذ هو بهذا الأسلوب، أعني بدل الاشتمال أو بدل الكل من الكل عند النحاة في قولهم: «كلمات العهد الكلمات العشر» إنما يفيد أن موسى عليه السلام قد كتب الكلمات العشر، أو الوصايا العشر كما هي مشهورة[(٣)] فقط. وليست الكلمات أو الوصايا العشر إلا جزءًا من التوراة لا كلها، فمن كتب الأجزاء الأخرى؟

---

(١) الخروج ٣٤/ ١.

(٢) الخروج ٣٤/ ٢٧-٢٨.

(٣) هذه الوصايا ـ حسب اعتقاد اليهود ـ هي كلمات الرب لموسى عليه السلام على جبل سيناء. وتوجد لها نسختان في العهد القديم (في سفر الخروج، الإصحاح العشرين، وفي سفر التثنية، الإصحاح الخامس) وهما مختلفتان في بعض الأمور. وعلى العموم، فإن ثلاثا من هذه الوصايا أوامر، وسبعا منها نواه. انظر: محمد بحر عبد المجيد (م.ن.) ص٢٦-٢٧.

وإذ كنت أتصفح أسفار العهد القديم لأقف على جواب لهذا السؤال المطروح، فإذا بي أفاجأ بنص آخر مفاده أن موسى عليه السلام قُبيل وفاته كتب التوراة ـ للمرة الثالثة!!! ـ وسلّمها للكهنة، ولجميع شيوخ إسرائيل، ووصّاهم بالمحافظةِ عليها ووضعِها بجانب تابوت عهد الرب،[1] وإخراجها بعد كل سبع سنوات في يوم العيد فتُقرأ على مسامع جميع بني إسرائيل[2].

ثم يذكر اليهود في كتابهم أن يشوع من بعد موسى عليه السلام قد كتب أو نسخ التوراة مرة أخرى على حجارة المذبح الذي بناه ثم قرأها على كل الإسرائيليين إذ كان قد جمعهم لهذا[3].

وهنا ثمة أسئلة جديدة لا بد من طرحها وهي: ما الذي حمل يشوع عليه السلام على كتابة التوراة من جديد؟ وما هي حال التوراة التي كتبها موسى حينئذ، وهل كانت تصلح للقراءة أو لا؟ وما ذا كان مصيرها بعد أن نسخ يشوع التوراة الأخرى؟ وعلى فرض بقاء النسختين معا فأيها كان أكثر قداسة عند بني إسرائيل؟ ولماذا جمع يشوع بني إسرائيل عند ما كتب نسخته لو كان الأمر يتعلق بمجرد إيجاد نسخة للتداول

---

(١) تابوت عهد الرب أو تابوت العهد أو تابوت الشهادة ـ كما جاء في قاموس ك.م. ص٢٠٩ و٢١٠ ـ هو: صندوق صنعه موسى بأمر من الله تعالى، وكان في داخله الوعاء الذي فيه المن وعصا هارون ولوحا العهد اللذان عليهما الوصايا العشر المكتوبة بإصبع الله، ثم وُضع بجانبه كتاب التوراة. وقد أشار قاموس ك.م. نفسه إلى أن بعض التقاليد الأثيوبية تدّعي أن التابوت هذا يوجد بأثيوبيا (الحبشة) حتى اليوم، وأضاف أن هذا يحتاج إلى إثبات.

(٢) انظر: التثنية ٣١/ ٩-١٢، و٢٤-٢٧.

(٣) انظر: يشوع ٨/ ٣٠-٣٥.

والذيوع؟ ولماذا اقتصر على نسخة واحدة، ولِمَ لمْ ينسخ أو يأمر بنسخ عشرات النسخ للتداول ولذيوع النص وانتشاره؟؟؟[١].

وأيا كان الأمر، فإن ذكر التوراة ـ سواء التي كتبها موسى أو التي نسخها يشوع ـ وخبرَها ينقطعان عند هذا الحد في تأريخ الإسرائيليين، فلا يذكرون إلا التابوت الذي وضعت بجانبه نسخة التوراة[٢] التي كتبها موسى عليه السلام ـ في زعمهم ـ واللوحين الحجريين، وأن هذا التابوت استولى عليه الأعداء في بعض حروبهم ثم أعيد إليهم، وأن في أيام النبي الملك سليمان عليه السلام نقله إلى الهيكل الذي بناه، فكانوا يستقبلونه في الصلاة[٣].

لكن الأهم من ذلك كله أنهم قد ذكروا أن سليمان عليه السلام حين فتح التابوت في عهده، لم يكن فيه سوى لوحي الحجر اللذين وضعهما موسى عليه السلام[٤]، وهما اللذان كتبت عليهما الوصايا العشر فقط[٥] فأين التوراة التي كتبها موسى عليه السلام وأمر بوضعها في التابوت أو ملتصقةً به؟

ويجدر بالذكر أن أسفار اليهود المقدسة لا تذكر شيئا عن التوراة من عهد سليمان إلى ما يقرب من ثلاثة قرون ونصف قرن، وذلك بعد أن تولى المُلك في مملكة

---

(١) انظر: الأسفار المقدسة قبل الإسلام للدكتور صابر طعيمة ص٥٩.

(٢) انظر: التثنية ٣١/ ٢٦.

(٣) انظر: التفاصيل في سفر صموئيل الأول، الإصحاحات الرابع والخامس والسادس، وصموئيل الثاني، الإصحاح السادس، و١ ـ الملوك ٨/ ١-٩.

(٤) انظر: ١ ـ الملوك ٨/ ٩.

(٥) انظر: الخروج ٣٤/ ٢٧-٢٨.

يهوذا الجنوبية، الملِك يوشيا، والذي يصفونه بالصلاح والاستقامة والتوجه إلى إقامة الشريعة... الخ[١]. فيزعمون أن زعيم الكهنة في عهده ـ وهو يُدعى: حلقيا[٢] ـ وجد شريعةَ الرب في الهيكل!، وذلك متى؟ في السنة الثامنة عشرة من ملك الملك يوشيا!، وفي أي مناسبة؟ حين أرسل إليه الملك يطالبه بحساب جميع الفضة المدخلة إلى هذا الهيكل[٣]!!! وهنا وقفات عدّة:

١ ـ أنه طوال مدة مائتين وثلاثة وتسعين عاما[٤]، لم توجد أدنى معلومة عن التوراة ولم يسأل أحد من الشعب عنها، ثم بعد عمليات عديدة من الهدم والنهب والغزو، يكتشف الكاهن حلقيا سفر الشريعة بالصدفة في الهيكل!

٢ ـ أن هذا الهيكل الذي كان قد تعرض للنهب والعدوان أكثر من مرة، ولم يكن طوال هذه المدة مغلقا، فضلا عن أن الكهنة والسدنة[٥] يدخلونه كل يوم وليس فيه جانب أو حجرة يُتصور ألا يكون قد وقعت عليها يد هؤلاء السدنة أو الكهنة.

٣ ـ ثم لماذا بقي يوشيا في الملك سبع عشرة سنة لم يرسل فيها إلى حلقيا، ولِمَ لَمْ تكن عين حلقيا قد وقعت على سفر الشريعة طوال هذه المدة قبل إرسال الملك

---

(١) انظر: ٢ ـ الملوك ٢٢/ ٢، و٢ ـ أخبار الأيام ٣٤/ ٢-٨.

(٢) انظر: قاموس ك.م. ص٣١٤.

(٣) انظر: ٢ ـ الملوك٢٢/ ٣-١٠، و٢ ـ أخبار الأيام ٣٤/ ٨-١٨.

(٤) أعني المدة التي بين وفاة سليمان عليه السلام وتولي يوشيا للملك في يهوذا (٩٣١-٦٣٨ ق.م.).

انظر: قاموس ك.م. ص٩١٦ و٩١٧.

(٥) السدنة: جمع سادن وهو خادم أي مكان مقدس أو بيت للعبادة سواء أكانت العبادة صحيحة أم غير صحيحة. انظر: القاموس ص١٥٥٥، بتصرف.

إليه للمحاسبة؟!

٤ ـ ثم أي نسخة من التوراة عثر عليها حلقيا؟ حيث إنه لم يذكر ذلك بالتحديد في سفر الملوك الثاني، وأما النص في سفر أخبار الأيام الثاني فقد أضاف أن السفر المعثور عليه هو: «سفر شريعة الرب بيد موسى»(١).

٥ ـ وعلى هذا يرد سؤال آخر: ما الذي جعل حلقيا يوقن بأن ما وجده ـ لو فرضنا صحة دعواه ـ هو سفر شريعة الرب الذي كان بيد موسى عليه السلام؟ خاصة وأن سفر أخبار الأيام الثاني نفسه(٢) يذكر أن الآباء ـ وطبعا، بما فيهم آباء حلقيا أيضا ـ لم يعرفوا ولم يحفظوا كلام الرب(٣). يقول الشيخ رحمت الله الهندي رحمه الله: «فالعجب كل العجب أن تكون النسخة في البيت ولا يراها أحد، فهذه النسخة ما كانت إلا من مخترعات حلقيا، فإنه لما رأى توجه السلطان والأراكين(٤) إلى اتباع الملة الموسوية، جمعها من الروايات اللسانية... ومثل هذا الافتراء والكذب لترويج الملة وإشاعة الحق كان من المستحبات الدينية عند متأخري اليهود وقدماء المسيحيين»(٥). وحتى عند المعاصرين منهم، ومن عايش القوم عرف صدق ما أقول، والله المستعان.

إذًا، خلاصة الكلام أن حادث اكتشاف حلقيا لسفر الشريعة هذا لا يخرج عن

---

(١) ٢ ـ أخبار الأيام ٣٤/ ١٤.

(٢) انظر: ٣٤/ ٢١.

(٣) انظر فيما تقدم (من ١ إلى ٥): الأسفار المقدسة قبل الإسلام لصابر طعيمة ص٦٢و٦٦.

(٤) الأراكين: جمع الأركون، وهو الدهقان العظيم، والدهقان: هو القوي على التصرف مع حدّة، والتاجر، وزعيم فلاحي العجم، ورئيس الإقليم. انظر: القاموس ص١٥٥٠، و١٥٤٦.

(٥) رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٦٠٤-٦٠٥.

كونه إما مسرحيةً مدبّرة فيما بين الملك يوشيا وكاتبه: شافان[1] وكبير كهنته: حلقيا، أو أكذوبةً من تلقاء حلقيا وحده نجح في إقناع الملك بها منتهزا فرصة رغبته (الملك) في التديّن واستقامة الشعب، والله تعالى أعلم.

ولكن تنازلا للقوم، أو من باب التسليم الجدلي، أقول: على فرض ثبوت اكتشاف التوراة في عهد الملك يوشيا فإنها بإجماع المؤرخين قد فقدت بعد ذلك بأقل من ربع قرن[2]، وذلك حين هجم نبوخذ نصر على دولة يهوذا ودمرها ودمّر الهيكل وكل ما فيه، وإليكم ما يقوله كتابهم في هذا: « فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم. ولم يشفق على فتى أو عذراء، ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده. وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه أتى بها جميعا إلى بابل. وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار، وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة. وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيدا إلى أن ملكت مملكةُ فارس »[3]. ومن المؤكد أن اليهود إبّان مرحلة السبي هذه لم يكونوا يتداولون فيما بينهم ولو خفيةً شيئا من التوراة أو سفر الشريعة، ولم يشر أنبياء هذه الفترة إلى شيء من ذلك، وقد فاضت

---

(١) وهو الذي أرسله الملك يوشيا إلى حلقيا، كما أنه نفسه الذي استلم السفر من حلقيا.
انظر: ٢ ـ الملوك ٢٢/ ٣، ٤و٨، و٢ ـ أخبار الأيام ٣٤/ ٨، ٩، و١٥.

(٢) وذلك لقولهم إن السبي البابلي كان في ٥٩٩ أو ٥٩٨ أو ٥٩٧ ق.م. والملك يوشيا قد تولى الملك في ٦٣٨ كما تقدم أعلاه، وأن حلقيا اكتشف السفر في السنة الثامنة عشرة من ملكه أي في ٦٢٠ ق.م. (٦٣٨-١٨) =٦٢٠.

(٣) ٢ ـ أخبار الأيام ٣٦/ ١٧-٢٠.

أسفار العهد القديم بذكرهم وذكر أخبارهم[١]. فكان سفر الشريعة أو التوراة طوال هذه المدة في غيبوبة متواصلة تامة، إلى أن جاء عزرا الذي يزعم اليهود أنه هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها فكتب لهم سفر الشريعة من جديد فيما يزعمون[٢].

وههنا وقفات جديدة لا بد منها، وهي:

أ ـ كيف وصلت التوراة إلى عزرا وبينه وبين موسى عليه السلام أكثر من ثمانية قرون!؟[٣]، خاصة وأن نصوص ما يسمى بالعهد القديم نفسها تفيد أن بني إسرائيل قد أهملوا تعاليم التوراة أو سفر الشريعة منذ وقت لا يبعد بكثير عن وقت نزولها[٤].

ب ـ على أحسن الفروض، فإن ما كتبه لهم عزرا ـ إن صح هذا الخبر ـ لا يعدو أن يكون إما معلومات متوارثة، عن الأحكام الواجبة على بني إسرائيل جيلا بعد جيل، إلى أن جاء زمن عزرا هذا فدوّنها وضمّنها بعض الاستنباطات والشروح كما يشير إلى ذلك سفر عزرا نفسه حيث يقول: «لأن عزرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها وليعلم إسرائيل فريضةً وقضاء»[٥]. وعلى هذا فإن عمله هذا جهد بشري محض، ولا مفر له مما يعتري العمل البشري من قصور وخلل[٦].

---

(١) انظر مثلا: سفري حزقيال ودانيال.

(٢) انظر: عزرا ٧/ ١٠، ونحميا ٨/ ٢.

(٣) لزعمهم أن عزرا عاش في القرن الخامس أو الرابع ق.م.، وموسى عليه السلام في القرن الثالث عشر أو الخامس عشر ق.م. انظر: قاموس ك.م. ص٦٢١ و٩٣٣.

(٤) انظر: ٢ ـ أخبار الأيام ٣٤/ ٢١، ونحميا ٨/ ١٧.

(٥) عزرا ٧/ ١٠.

(٦) انظر: دراسات في الأديان للدكتور سعود الخلف ص٦٤.

ج ـ كما أنه لا يستبعد أن يكون مكتوب عزرا هذا مجرد افتراء وكذب ودجل من تلقاء نفسه، لتلبية دواع نفسية خاصة به، أو لترويج الملة كما نقلتُ عن الشيخ رحمت الله آنفا[١]. وقولي: إن هذا غير مستبعد يستند إلى حقيقتين، أولاهما ما ثبت أن اليهود السامريين يتهمون عزرا بأنه الذي قام بتحريف التوراة إبان الأسر البابلي[٢].
والثانية: أن عزرا هذا، وهو عزير المذكور في القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٣٠]، لم يأت في القرآن ولا في السنة الصحيحة ما يفيد صلاح الرجل فضلا عن نبوته، فيترجح عندي ـ والله أعلم ـ أن اليهود المعاصرين له إنما عظّموه ومجّدوه حتى قالوا إنه ابن الله لما كتب لهم كتابا يوافق هواهم وضلالهم الذي كانوا عليه.

وما اخترته هنا قد قال به بعض من أسلم من اليهود أيضا، ومنهم السموءال بن يحيى[٣][٤].

د ـ ثم إن نسبة هذا السفر الذي كتبه عزرا ـ على فرض وجوده ـ إن كان قد

---

(١) انظر: ص٣٤١.

(٢) انظر: شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل لعبد الملك بن عبد الله الجويني (إمام الحرمين) ص٥٨-٦٠، ونقد التوراة للدكتور أحمد حجازي السقا ص٧٣.

(٣) هو: السموءال بن يحيى (شموئيل بن يهوذا) بن عباس المغربي، أبو نصر: ولد لأبوين يهوديين ونشأ على ملتهما، ثم هداه الله للإسلام فاعتنقه وأعلن تحوله للدين الإسلامي في عام ٥٥٨هـ. ومن أهم مؤلفاته بعد إسلامه كتاب: إفحام اليهود. انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ص١٣٢، وكتاب: مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية للدكتور محمد بن عبد الله السحيم ١/ ١١٥-١٤٢، والموسوعة العالمية ١٣/ ١١٥.

(٤) انظر: نقد التوراة لأحمد حجازي السقا ص٩٤.

نسبه إلى الله ﷻ فكذبه ظاهر، إذ لم يدع أحد لامن المسلمين ولا من اليهود أو النصارى أن التوراة أنزلت مرتين، مرة على موسى ومرة على عزرا، وإن كان الذين كتبوا عنه بعد ذلك هم الذين زعموا أن كتابه هذا هو عين توراة موسى ﷺ، فهم على حد سواء كذّابون، إذ إن عزرا لم يقل هذا عن نفسه[١].

هـ ـ كل ما تقدم بالنسبة للتوراة التي كتبها موسى بيده كما يزعمون، فكيف بالتوراة التي زعموا أن حلقيا قد عثر عليها في الهيكل في عهد الملك يوشيا؟ نجد أن ما كتبه عزرا كذلك يختلف عما قدّمه حلقيا للملك في زمانه، وذلك لأن سفر الشريعة الذي وجده حلقيا حسب كلامهم قد جاء بصريح العبارة في كتابهم أنه قُرئ من أوله إلى آخره مرتين في اليوم كما يقول سفر الملوك الثاني[٢]، أو مرة فقط في اليوم، حسب رواية سفر أخبار الأيام الثاني[٣]. بينما قراءة ما جاء به عزرا احتاجت إلى أسبوع كامل كما يذكر سفر نحميا من كتابهم أيضا، حيث جاء فيه: «وكان يُقرأ في سفر شريعة الله يوما فيوما من اليوم الأول إلى اليوم الأخير وعملوا عيدا سبعة أيام وفي اليوم الثامن اعتكاف حسب المرسوم»[٤]. فلهذا ذهب أحد المؤرخين الغربيين إلى ترجيح كون ما كتبه عزرا كتابا ضخما جدا، كان يحتوي فقط على جزء مهم من أسفار موسى الخمسة[٥].

---

(١) انظر: دراسات في الأديان لسعود عبد العزيز الخلف ص٦٧.

(٢) ٢٢/ ٨-١٠.

(٣) ٣٤/ ١٨.

(٤) نحميا ٨/ ١٨.

(٥) ول ديورانت في كتابه: قصة الحضارة ٢/ ٣٦٧.

حتى ولو سلّمنا جدلا بوجود هذا السفر المزعوم في عهد عزرا فلنتساءل عما ذا كان مصيره بعد ذلك؟ فهذا سؤال لا يستطيع أي يهودي أو نصراني إيجاد جواب مقنع عنه، ومن المرجّح أن يكون قد دُمر في حادثة غزو الملك أنطيوكس[١] لأورشليم قبل ميلاد المسيح بنحو مائة وإحدى وستين سنة[٢]، وقيل في سنة ١٩٨ ق.م.[٣]، وفي هذا يقول سفر المكابيين الأول ـ أحد الأسفار المتممة للستة والأربعين عند الكاثوليك والأرثودكس ـ: «وكانوا يقترون[٤] على أبواب البيوت وفي الساحات، وما وجدوه من أسفار الشريعة مزقوه وأحرقوه بالنار. وكل من وجد عنده سفرٌ من العهد أو اتّبع الشريعة فإنه مقتول بأمر الملك»[٥]. هذا بالإضافة إلى ما نزل بالنصارى وبأسفارهم المقدسة من ألوان العذاب والتنكيل، وأصناف الإبادة والتشريد كما سبق الحديث عنها بالتفصيل في الباب التمهيدي.

فبهذا كله يتضح أن لا سند متصل بين ما يسمى اليوم بالبنتاتوك أو أسفار موسى الخمسة، ونص الوحي الإلهي الذي تلقاه موسى سواء مشافهة أو مكتوبا، وحتى النسخة التي نسخها يشوع عليه السلام فيما يزعمون. وإن كان من غير المستبعد أن

---

(١) هو: أنطيوكس أو أنطيوخس الثالث، الملقب بالكبير، ملك سوريا من سنة ٢٢٣ وحتى ١٨٧ ق.م. انظر: قاموس ك.م. ١٢٦.

(٢) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٦٠٨.

(٣) انظر: قاموس ك.م. ص١٢٦ و١٣٥.

(٤) قتّر تقتيرا أي سطعت رائحته، وقتّر فلانا أي صرعه على قُترة. والقُترة: ناموس الصائد. انظر: القاموس المحيط ص٥٩٠، بتصرف.

(٥) ١ ـ المكابيين ١/ ٥٨-٦٠.

يوجد توافق في بعض القصص والأخبار، وحتى الأحكام، بين هذه الأسفار وبين التوراة المنزلة، إذ قد يكون ذلك من بقايا المعلومات المتوارثة جيلا بعد جيل، فلم يشأ الله أن تُنسى، أو مما لم تصبه أيدي التحريف والتبديل، والله تعالى أعلم. يقول الفيلسوف اليهودي سبينوزا: «لما لم يكن لدينا أي سفر يحتوي على عهد موسى وفي نفس الوقت على عهد يشوع، فيجب أن نعترف ضرورةً بأن هذا السفر قد فقد... [و] نستنتج إذًا أن سفر توراة الله، هذا الذي كتبه موسى لم يكن من الأسفار الخمسة الحالية، بل كان سفرا مختلفا كليةً»[1]!

هذا وكل ما تقدم عن فقدان التوراة الموسوية وضياعها عن اليهود منذ وقت مبكر، حتى قبل ميلاد المسيح ﷺ بعدة قرون، هو رأي جماهير العلماء، بل يكاد أن يكون إجماعا منهم. **أما ما يوجد من إشارات في** كتاب الله ﷻ إلى بقاء كتاب موسى بعده، وحتى في زمن المسيح عليهما السلام، ومن ذلك قوله تعالى ـ حكايةً لقول عيسى ﷺ ـ: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الصف:٦]، إذ لو كانت التوراة قد اندرست نهائيا حفظا وكتابة، لما كان لذكر المسيح تصديق التوراة مغزى ولا معنى، لأنه يكون بإمكان أي مدّع أن يقول: إن ما أتيتُ به يوافق التوراة، كيف لا وهو متيقن من فقدانها وضياعها[2]. وقال الله تعالى أيضا مخاطبا المسيح ﷺ: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾[المائدة:١١٠]. قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: «..."والتوراة" وهي المنزلة على موسى بن عمران

(١) باروخ سبينوزا (م.ن.) ص٢٧٢، نقلا عن: محمد عبد الله الشرقاوي (م.ن.) ص٨١.

(٢) انظر: محمد عبد الله السحيم (م.ن.) ٢/ ٦٦٣.

الكليم»[١]، فيمكن حملها على أنّ التوراة المنزلة على موسى عليه السلام لم تزل هناك بقية منها حتى ذلك الزمن، أو أنها كانت توجد بكاملها عند بعض الناس دون عامتهم.

وقد يكون القصد من قول عيسى عليه السلام "مصدقا لما بين يدي من التوراة" إلزامهم بأن ما جاء به وهم (اليهود المعاصرون له) عنه ينفرون ليس مخالفا لما جاء به موسى عليه السلام إن كانوا صادقين في اتباعهم لموسى عليه السلام، والله تعالى أعلم، وأعوذ به من القول عليه بغير علم.

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١١٥.

الباب الثاني

العهد الجديد

وفيه ثلاثة فصول وفرع:

الفصل الأول: التعريف بالعهد الجديد وبأقسامه.

الفصل الثاني: الأناجيل الأربعة.

الفصل الثالث: رسائل الرسل.

الفرع: نُسخ كتاب النصارى المقدس وترجماته وطبعاته، وما بينها من الاختلافات.



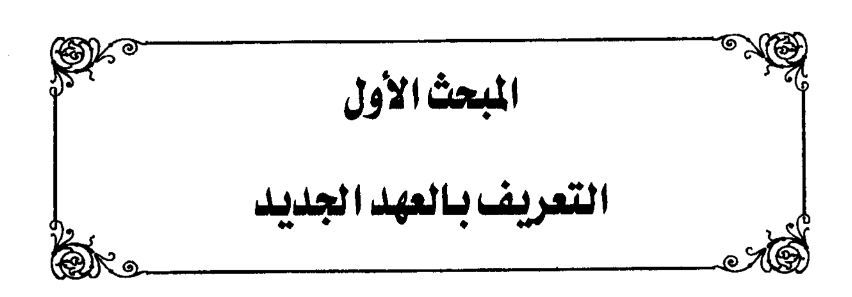
الفَصْلُ الأَوَّلُ

التعريف بالعهد الجديد وبأقسامه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالعهد الجديد.

المبحث الثاني: التعريف بأقسامه.



المبحث الأول
التعريف بالعهد الجديد

جاء تعريفه في قاموس الكتاب المقدس بأنه والعهد القديم هما: «الجزءان الرئيسان للكتاب المقدس»[١]. وعرّفه بعض الباحثين فقال: «أما أسفار العهد الجديد... فهي الأسفار المسيحية التي قبلتها الكنائس المختلفة بدرجات متفاوتة على مدى قرون عديدة من الجدل والاختلاف»[٢]. ويُعرّفه آخر بأنه: الكتب والرسائل التي حرّرها أناس يقال: إنهم من تلاميذ المسيح عليه السلام[٣]. وهذا التعريف محل نظر، إذ يشتمل العهد الجديد كما سيأتي على رسائل وكتب لأناس ليسوا من تلاميذ المسيح عليه السلام بلا نزاع كلوقا وأستاذه بولس.

مصدر التسمية :-

إن التسمية هذه اجتهادية، ولم تطلق على تلكم المجموعة من الكتب والرسائل إلا في أواخر القرن الثاني للميلاد[٤]، أخذوها من نصوصٍ ورد بعضها في العهد

(١) قاموس ك.م. ص٦٤٤.

(٢) المسيح في مصادر العقائد المسيحية للمهندس أحمد عبد الوهاب ص١٤.

(٣) انظر: مقارنة الأديان لمحمد عزت الطهطاوي ص٩٧.

(٤) انظر: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس لأحمد عبد الوهاب ص٧٦.

القديم، وبعضها في المجموعة الموسومة بالعهد الجديد نفسها، ومنها ما يلي:

١ ـ « ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب »[١].

٢ ـ « لأنه يقول لهم لائما هو ذا أيام تأتي يقول الرب حين أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا »[٢].

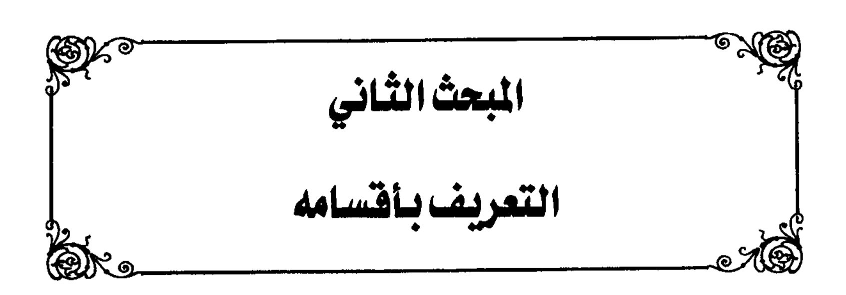
٣ ـ « ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد لكي يكون المدعوون إذ صار موت لفداء التعديات التي في العهد الأول ينالون وعد الميراث الأبدي »[٣].

---

(١) إرميا ٣١/ ٣١-٣٢.

(٢) العبرانيين ٨/ ٨.

(٣) العبرانيون ٩/ ١٥.



المبحث الثاني

التعريف بأقسامه

هناك اتجاهان مشهوران في تقسيم كتب ورسائل العهد الجديد، أشير إلى كلٍّ منهما بإيجاز.

الاتجاه الأول: وفيه تنقسم كتب العهد الجديد إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي:

الأول: الأسفار التاريخية: وهي الأناجيل الأربعة: متّى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، بالإضافة إلى سفر أعمال الرسل، وذلك لأن الأناجيل هذه تحوي قصة حياة المسيح عليه السلام، وسفر أعمال الرسل تذكر قصص تلاميذه وحوارييه، بالإضافة إلى بولس الذي تحدّث عنه هذا السفر بإسهاب، حتى إن بعضهم ليقول عن السفر: سفر أعمال بولس.

الثاني: الأسفار التعليمية: وهي عبارة عن مجموعة رسائل عددها إحدى وعشرون رسالة، منها أربع عشرة لبولس! وثلاث ليوحنا، ورسالتان لبطرس، ورسالة واحدة لكل من يعقوب ويهوذا.

الثالث: الأسفار الأحلامية: ويندرج تحت هذا القسم سفر واحد فقط هو:

سفر الرؤيا، أو رؤيا يوحنا اللاهوتي.

وسوف يأتي التعريف بها جميعا وبأصحابها ـ إن شاء الله ـ عند دراسة أسانيدها أو بالأصح: نسبتها إلى كتبتها.

الاتجاه الثاني: وهو ما يرى أن التقسيم رباعي، وهاك تفصيله:

القسم الأول: الأناجيل الأربعة (متّى ومرقس ولوقا ويوحنا).

القسم الثاني: سفر أعمال الرسل.

القسم الثالث: الرسائل، وهي نوعان: أ ـ رسائل بولس الأربع عشرة.

ب ـ الرسائل الكاثوليكية السبع (رسائل يوحنا وبطرس ويعقوب ويهوذا)، وسميت كاثوليكية أي عامة أوجامعة، لكونها لم توجه ـ كرسائل بولس ـ إلى كنائس خاصة أو أناس معينين[(١)].

القسم الرابع: سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي أو مشاهدات يوحنا[(٢)].

وفي ضوء ماتقدم، يتبين أن عددكتب العهد الجديد سبعة وعشرون كتابا، ليس منها شيء ينسب إلى المسيح ﷺ، وإنما ينسب بعضها إلى بعض تلاميذه ـ بصرف النظر عن صحة النسبة أو عدمها ـ وبعضها ينسب إلى أناس لم يشاهدوا المسيح فضلا عن السماع منه قط، ويجدر بالذكر أن الجزء الأكبر من هذه الكتب إنما من هذا الصنف الأخير كما سيأتي إن شاء الله.

---

(١) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص١٧.

(٢) راجع في هذه التقسيمات: كتاب مواعظ الآحاد والأعياد للأب إلياس كويتر المخلصي١/ ١٩، ومقارنة الأديان لإبراهيم خليل أحمد ص١٢، و١٥-١٦، ومحمود علي حماية (م.ن.) ص١٠-١٢.

وفي الوقت ذاته يتأكد لنا ما تقدمت إليه الإشارة من أن ثمة فرقا كبيرا بين ما يسمى بالعهد الجديد، وبين الإنجيل الحق المنزل على عيسى بن مريم عليه السلام، كما أن ما بين التوراة المنزلة وبين العهد القديم من الفرق مثل ما بين السماء والأرض.



الفصل الثاني

الأناجيل الأربعة

وفيه خمسة مباحث:

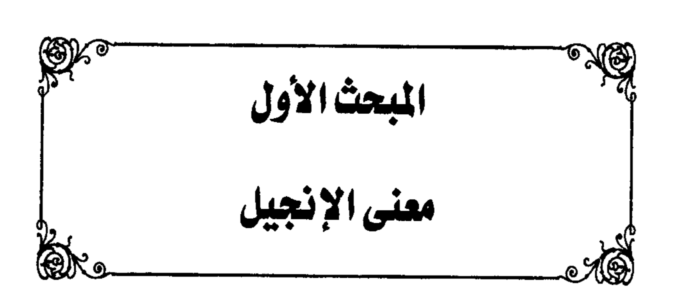
المبحث الأول: معنى الإنجيل.

المبحث الثاني: ارتباط النصارى بالأناجيل الأربعة.

المبحث الثالث: الدراسة النقدية للأناجيل الأربعة.

المبحث الرابع: هل الأناجيل هي نفس إنجيل الله المنزل على عيسى عليه السلام؟

المبحث الخامس: الأناجيل الأخرى (المرفوضة) لدى النصارى.



المبحث الأول
معنى الإنجيل

الإنجيل مأخوذ في الأصل من كلمة يونانية: أونجليون"euangelion" وتعني: الخبر المفرح أو البشارة أو الخبر الطيب [١]، والإنجيل أو البشارة، على حد تعبير بعضهم: «تتناول عادة إما عملا أو حادثة جرت وهي مفرحة لمن يقولها ولمن يسمعها على السواء» [٢].

هذا ما تذكره المصادر، لاسيما الغربية والنصرانية منها. وأرى - والله أعلم - أنه محل نظر، وفيه إشكال، وذلك لأن الله ﷻ قد ذكر في غير آية من كتابه العزيز أن اسم الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله عيسى ﷺ، هو الإنجيل، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾[المائدة:٤٦]، وعيسى عليه السلام لم تكن لغته اليونانية [٣]. اللهم إلا إذا كان المقصود بالتعريف السابق هو الأناجيل الأخرى غير إنجيل المسيح عليه السلام، إذ

(١) انظر: قاموس ك.م. ص١٢٠، وول ديورانت (م.ن.) ١١/٢٠٦، والبشارة بنبي الإسلام لأحمد حجازي السقا ١/٦٨.

(٢) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل للدكتور وليم إدي ١/١.

(٣) انظر: قاموس ك.م. ص١٢٢، و Ajijola, A.D: (op.cit.) P. 92

هم يقرون بأنها (أعني الأناجيل الأربعة وسائر كتب العهد الجديد) مترجمة من اللغة اليونانية[١]، غير أن هذا تفريق بين متماثلين، يحتاج إلى إثبات ويفتقر إلى مسوّغ.

وأما مدلول كلمة "إنجيل" في اصطلاح النصارى، فهو: «ترتيب المادة التي تتحدث عن أقوال يسوع وأفعاله بالطريقة التي تجعل المؤلف يعبر خلال مؤلفه كله عن معتقدات محددة، ألزم نفسه بها»[٢]. وأما بداية استعمال اللفظ بمعنى الكتاب الذي يتضمن البشارة المزعومة، فيُذكر أنها ترجع إلى أواخر القرن الأول للميلاد[٣].

هذا، ومكان الأناجيل في النصرانية مكان القطب والعماد، فإذا كانت شخصية المسيح وما أسبغوا عليها من أفكار وأساطير هي شعار النصرانية، فإن هذه الأناجيل هي الحاوية لأخبار تلك الشخصية من وقت الحمل بها وحتى وقت صلبها ـ فيما يزعمون ـ وقيامها من القبر، ورفعها ـ على نقص شديد في ذلك ـ أي أن الأناجيل باختصار تشتمل على لب النصرانية وركنها الأساس وعمادها الأصيل[٤]. وبهذا الاعتبار نفسه يجعل النصارى هذه الأناجيل في صدارة مجموعة كتب العهد الجديد[٥]، مع أنها متأخرة من حيث زمن الكتابة عن بعض الرسائل.

وقبل أن أنتقل من هذا الموضوع إلى غيره أود أن ألفت الأنظار إلى أمرين

---

(١) انظر: الصفحة الأولى من كتاب العهد الجديد باللغة العربية، نشر: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط د.ت. د.ط.

(٢) تفسير إنجيل متّى لجون فنتون ص١٧، نقلا عن: المسيح في مصادر العقائد... لأحمد عبد الوهاب ص٤٤.

(٣) انظر: كتاب: يسوع المسيح، للأب بولس إلياس ص١٤، نقلا عن: المسيحية لأحمد شلبي ص٢٠٢.

(٤) انظر: محاضرات أبي زهرة ص٣٧، بتصرف.

(٥) انظر: وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني ص٤١٢، والمدخل إلى العهد الجديد للقس فهيم عزيز ص١٥٨.

مهمين، أولهما: أن هنالك فرقا بين مفهوم الإنجيل عند المسلمين، ومفهومه عند النصارى، فهو عند الأولِّين: كتاب أنزله الله على عبده ورسوله عيسى ﷺ، وعند الأخيرين قصة حياة المسيح ﷺ ومناقبه، كتبها أناس شاهدوه أو نقلوا عمن شاهده ولازمه[١].

والثاني: أن ثمة فرقا حتى بين مفهوم الإنجيل فيما يُنقل عن المسيح ﷺ في الأناجيل، وبين الاعتقاد التقليدي لدى الكنيسة اليوم. فهم ـ كما أسلفت[٢] ـ يرون أن الإنجيل والبشارة مترادفان، في حين ينقل عن المسيح ﷺ ما يلي: «وبعد ما أُسلم يوحنا[٣] جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله[٤]، ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل»[٥]. ويتضح من هذا أن البشارة باقتراب ملكوت الله شيء مغاير للإنجيل، إذ هذا ما يفيده أسلوب الترتيب بالفاء، أعني: ترتيب ما بعد الفاء على ما قبلها كما في هذا النص، فكأنه قد قال: إذا علمتم أن الزمان قد كمل، وأن ملكوت الله قد اقترب، فحري بكم حينئذ أن تتوبوا وتؤمنوا بهذا الإنجيل، والله تعالى أعلم.

---

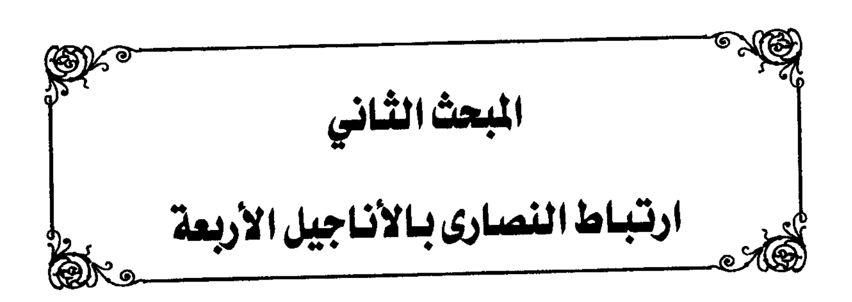
(١) انظر: مباحث بريئة في الإنجيل لمصطفى أحمد الرفاعي اللبان ص٧-٨.

(٢) أعني عند التعريف بالإنجيل.

(٣) هو: يوحنا المعمدان، نبي الله يحيى بن زكريا عليهما السلام، ولد قبل المسيح بستة أشهر فقط، ويصفه النصارى بمهيئ طريق المسيح. انظر: قاموس ك.م. ص١١٠٦-١١٠٨.

(٤) أي: حياة التقوى في القلب، أوالنظام الذي أتى المسيح ﷺ لينظمه، وسلطان الله على الجميع، والحياة السماوية (الآخرة)، والنبوة ونحوها من فضل الله تعالى،...الخ انظر: قاموس الكتاب المقدس ص٩١٩.

(٥) مرقس ١/ ١٤-١٥.



المبحث الثاني
ارتباط النصارى بالأناجيل الأربعة

لو اكتفينا بالظواهر، وتمسّكنا بادعاءات الكنيسة النصرانية، لقلنا: إن النصارى تربطهم بهذه الأناجيل علاقة وثيقة ومتميزة، كيف لا، وقد اختاروها للتقديس من بين العشرات من نوعها. لكن الدراسة والتشخيص لواقع النصارى والنصرانية اليوم، يشيران إشارة واضحة إلى أن هذه العلاقة أو الارتباط ما هو إلا صوري أو ظاهري فقط.

ويتجلى ذلك أكثر بعرض أهم ركائز الديانة النصرانية المعاصرة، أو ما عليها النصارى اليوم، مع إيراد نصوص الأناجيل التي تعارضها أو تنفيها بإيجاز.

أ ـ التثليث أو الثالوث الأقدس: وهو ـ عند النصارى ـ الإيمان بإله واحد في ثلاث شخصيات (أقانيم): الآب والابن والروح القدس، أو أن الآلهة ثلاثة والله واحد منهم، كما جاء في قوله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣]، وتعالى الله عما يقول الظالمون. هذا هو اعتقاد الكنيسة ورؤساؤها اليوم، فماذا في نصوص الأناجيل؟

جاء في إنجيل مرقس[١]: «فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد». وفي إنجيل يوحنا[٢]: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته». إذاً، الله واحد وليس ثلاثة، والمسيح رسول الله وليس إلها!!!

ب ـ الصلب والفداء: ويقصدون بذلك أن المسيح عليه السلام مات مصلوبا فداءً للبشر وكفارة عن خطيئة أبيهم آدم عليه السلام حين أكل من الشجرة التي نهي عنها، حيث زعموا أن هذه الخطيئة تنتقل تلقائيا إلى جميع أبنائه من بعده وهي ما يسمون بالخطيئة الموروثة[٣]، ويستشهدون على هذا بما جاء في إنجيل يوحنا[٤]: «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية».

ويكفي في الجواب عن هذا أن من بين جميع نصوص العهد الجديد من أوله إلى آخره، لا يوجد نص واحد يذكر هذه الخطيئة الموروثة، والتي يزعم النصارى أن الصلب يُكفر عنها. أضف إلى هذا أن جميع الأدلة التي احتجوا بها على مسألة الصلب نفسه أوهن من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون[٥]. وأما بخصوص النص المذكور آنفا من إنجيل يوحنا، فلو سكتنا عن كل ما فيه من التجديف، والشرك بالله

---

(١) ١٢/ ٢٩.

(٢) ١٧/ ٣.

(٣) انظر: دراسات في الأديان للدكتور سعود عبد العزيز الخلف ص١٩٦، و Ajijola,A.D: (op.cit.) P.31.

(٤) ٣/ ١٦.

(٥) راجع بعض هذه الأدلة وإبطالها في: دراسات في الأديان للدكتور سعود عبد العزيز الخلف ص٢٠٣-٢١٥، و Ajijola , A.D: (op.cit.) P.31-42, & Baagil, Hassan M: Muslim, Christian Dialogue P.32-33.

ﷺ، وقلنا بثبوت النص افتراضاً، لكان معنى البذل هو إرسال المسيح ـ كشأن غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام ـ رحمة للعالمين، وإخراجهم من الظلمات وجميع أنواع الشرور، إلى النور وجميع ألوان الخيرات كما لا يخفى، والله تعالى أعلم.

ج ـ ما نراه من واقع حياة النصارى المعاصرين من عداوة شديدة لغيرهم، والقيام بأنواع شتى من الاعتداءات من قتل وتشريد وسرقة ونهب وغير ذلك، وليس ما ارتكبته الصرب الحاقدون من المجازر في حق إخواننا في البوسنة والهرسك ببعيد. فأين هؤلاء من عظة الجبل التي ينسبونها إلى المسيح عليه السلام، وهي مدوّنة في أناجيلهم؟ ومما جاء فيها: «لكني أقول لكم أيها السامعون أحبوا أعداءكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، باركوا لاعنيكم، وصلّوا لأجل الذين يسيؤون إليكم. من ضربك على خدّك فاعرض له الآخر أيضا. ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضا. وكل من سألك فأعطه. ومن أخذ الذي لك فلا تطالبه. وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضا بهم هكذا»[1]. وأين هم من النصارى الذين وصفهم الله تعالى في كتابه بأنهم: ﴿أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾[المائدة:٨٢]ـ أي للمسلمين؟!

أم ماذا نقول في السعي الحثيث لكثير من قساوسة الكنائس وراء جمع كمية هائلة من المال، سواء من الحلال أو من الحرام؟ ضاربين بذلك عرض الحائط وصية المسيح لهم كما سجلت في أناجيلهم: «وقال لتلاميذه من أجل هذا أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون، وللجسد بما تلبسون»[2]. «فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ولا تقلقوا. فإن هذه كلها تطلبها أمم العالم وأما أنتم فأبوكم يعلم أنكم

---

(١) لوقا ٦/ ٢٧-٣١، وانظر أيضا: متّى ٥/ ٣٩-٤٤.

(٢) لوقا ١٢/ ٢٢.

تحتاجون إلى هذه. بل اطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تُزاد لكم »[(١)].

وهنا كلمة ذات أهمية بالغة، وهي أن ما أوردته هنا إنما هو لإثبات كون النصارى لا يلتزمون التزاما كاملا بكل ما تحويه الأناجيل، خاصة ما لايتفق منه وأهواءهم أو ميولهم الشخصية، ومصالحهم الذاتية، وإن تظاهروا وادّعوا العكس، كما يقول أحدهم: « وهل هناك تأثير يفوق تأثير الموعظة على الجبل التي يحتويها هذا الإنجيل [يقصد إنجيل متّى]، على حياة الكنيسة وسلوكها؟! »[(٢)].

فليس المراد أنهم قد انسلخوا كليا عما تضمنته هذه الأناجيل من الضلالات والشركيات، بل إنهم أنفسهم لا يدّعون هذا، وإنما يكفرون ببعضٍ ويؤمنون ببعضٍ، والضابط في ذلك كله هو الهوى والمصلحة.

أما نظرتهم إلى هذه الأناجيل ذاتها فهي ـ في نظرهم ـ قد بلغت من الصدق والأمانة في النقل، والوثوق بها حدًّا لا يستطيع معه أي امرئ مهما بلغ من العلم والمعرفة أن يُشكِّك فيها أو يطعن في ثبوتها أو يحط من قدرها ومكانتها.

ويعتقدون أن لها ميزات تنعدم في غيرها من الأسفار المقدسة، منها أن كتبتها إنما كتبوها بإلهام، وأن الروح القدس[(٣)] كان يتجلى لهم فامتلؤوا جميعا منه، وأصبحوا يتكلمون لا بألسنتهم ولا بأفواههم الإنسانية، بل كل ما قالوا أو كتبوا إنما هو في

---

(١) لوقا ١٢/ ٢٩-٣١.

(٢) القائل هو القس فهيم عزيز في كتابه: المدخل إلى العهد الجديد ص٢٤٢.

(٣) الروح القدس هو الأقنوم الثالث ـ من أقانيم الثالوث النصراني ـ (الآب ـ الابن ـ الروح القدس)، ويقولون بألوهيته، ويزعمون أن من عمله تقديس قلب المؤمن، فلذلك سمي بالقدس، أما تسميته روحا، فلأنه مبدع الحياة ـ كما يقولون ـ. انظر: قاموس ك.م. ص٤١٤.

الحقيقة منبثق عن الروح القدس[١]، كما يقول في هذا نص كتابهم المقدس: «لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس»[٢]. وسوف أناقش مسألة الإلهامية هذه في مبحث لاحق إن شاء الله، لكن المقصود هنا إثبات أهمية هذه الأناجيل عندهم، وقد رأينا كيف هم مع ذلك يضربون ببعض أحكامها وتعاليمها عرض الحائط، وإليكم نص قرارهم في بعض مجامعهم الحديثة:

«ولقد آمنت الكنيسة في كل زمان ومكان، وما زالت تؤمن بأن الأناجيل الأربعة من أصل رسولي. فالرسل بشروا، عملا بأمر المسيح، ثم دوّنوا البشارة هم وصحبهم، بوحي من الروح القدس، في كتب هي أساس الإيمان، وهي الإنجيل رباعي الشكل: حسب متى ومرقس ولوقا ويوحنا.

وآمنت أمنا[٣] الكنيسة المقدسة وتؤمن بكل قوة وثبات أن الأناجيل الأربعة المذكورة تنقل إلينا بكل أمانةٍ ما صنعه حقا يسوع ابن الله من أعمال، وما أعلنه من تعاليم أثناء حياته بين البشر إلى يوم صعوده إلى السماء من أجل خلاصنا الأبدي»[٤].

فهل بقي من شك في ضرورة دراسة السند الذي قامت عليه هذه الأناجيل، وانتقلت به من جيل إلى آخر، وعلاقة هذه الكتب بمن نسبت إليهم قُربا أوبُعدا، وكذبا أو صدقا؟ سواء أكانوا معاينين أو رواة عمن عاين.

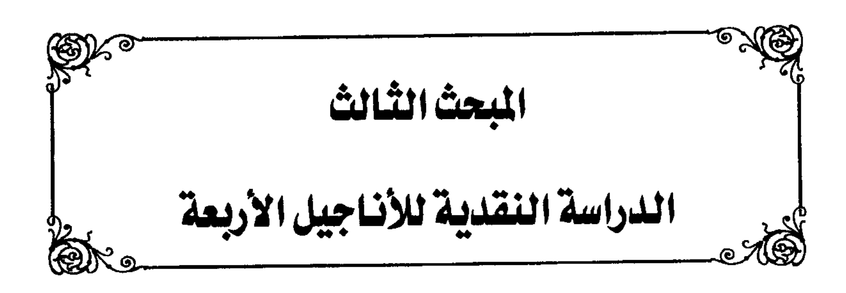
---

(١) انظر: قاموس ك.م. ص٤١٥، والإنجيل: دراسة وتحليل للدكتور محمد شلبي شتيوي ص٢٨-٢٩.

(٢) ٢ ـ بطرس ١/ ٢١.

(٣) هكذا ولعل الصواب: إيمانا.

(٤) وثائق المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ص٤١٢-٤١٣.



المبحث الثالث

الدراسة النقدية للأناجيل الأربعة

المطلب الأول: دراسة تأريخ الأناجيل الأربعة ونسبتها إلى كتبتها.

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تأريخ الأناجيل الأربعة إجمالا.

هناك نقطة تتفق فيها أقوال علماء المسلمين وعلماء النصارى على حد سواء، ألا وهي: أن يسوع الناصري، عيسى بن مريم عليه السلام أُوحي إليه من الله تعالى، وهذا الوحي يتمثل فيما سمي بالإنجيل فقط في القرآن الكريم، وبالإنجيل أو إنجيل الله أو إنجيل المسيح في أسفار النصارى المقدسة.

ونقطة أخرى تحظى بالدرجة نفسها من الاتفاق ولو ضِمنيا، أو بالإيماء والإشارة، ألا وهي: أن الله إنما أوحى إلى نبيه عيسى عليه السلام بإنجيل لا بأناجيل، وبعبارة أخرى، أن الإنجيل المنزل أو إنجيل الله ليس واحدا من هذه الأناجيل الأربعة التي تعترف بها الكنيسة النصرانية، أعني: أناجيل متّى ومرقس ولوقا ويوحنا، وهي ليست من مكتوبات المسيح عليه السلام. ومن هنا يظهر خطأ من يزعم من النصارى أن

كتاب الإسلام (القرآن الكريم) يجب أن يكون في درجة واحدة من القداسة والتمجيد مع أناجيلهم هذه، وحتى بحكم العقل والواقع، فإن القرآن الكريم كلام الله بحروفه وأصواته[1]، وأناجيلهم ليست كلام الله ولا كلام رسوله المسيح ﷺ، بل كما يصفها أحد المؤمنين بها[2]: إنها عمل أدبي محرر قد عالجها بعض المحررين ببعض الحرية، ومن غير القدر الكافي من المهارة[3]. وقال البروفيسور شارل جنيبير: «وتصفح الأناجيل وحده يكفي لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى تركيبات واضحة التعارض لنفس الأحداث والأحاديث، مما يتحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية، ولم يستلهموا تأريخا ثابتا يفرض تسلسل حوادثه عليهم. بل على العكس من ذلك: اتبع كل هواه وخطته الخاصة في تنسيق وترتيب مؤلفه»[4].

وأما زعمهم أن الأناجيل تساوي ما عند المسلمين من الأحاديث، أو حتى فوقها ـ كما يدّعون ـ فسوف أناقش ذلك لاحقا إن شاء الله[5].

كما أن هناك نقطتين أخريين ما تزال الأقوال والآراء فيهما تتضارب وتتناقض، أولى هاتين النقطتين هي: إذا كان المسيح ﷺ لم يكتب شيئا عن حياته ودعوته، فهل

---

(١) انظر: رسالة السجزي في الرد على من أنكر الحرف والصوت، تحقيق د/ محمد باكريم با عبد الله ص٨٢-٨٥، و١٤٥-١٦٩، وشرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٤.

(٢) أعني: الكاهن غريفيث جونس "Rev. Griffith Jones": عميد الكلية المتحدة في براد فورد بإنجلترا.

(٣) نقلا عن: Ajijola,A.D; (op.cit) P.93، وقد نقله هو عن مقالة بعنوان: الكتاب المقدس، معناه وهدفه، وهي ضمن تفسير كتاب النصارى المقدس الذي قام بتحريره أرثر س. بيك "Arthur S.Peake".

(٤) شارل جنيبير (م.ن) ص٢٨.

(٥) انظر: ما سيأتي من الحديث عن قداسة إنجيل لوقا لدى النصارى في هذا الباب.

كتب عن ذلك تلاميذه الذين كانوا أقرب الناس إليه؟ والنقطة الثانية هي: أن كل ما كتب عن المسيح عليه السلام: حياته ودعوته... الخ بغض الطرف عن الكاتب، هل يستحق صفة القداسة، وهل يعامل معاملة الوحي الإلهي؟؟ هاتان النقطتان، أتناول الأولى منهما ههنا، والأخرى في مبحث لاحق من الرسالة إن شاء الله تعالى.

إن الاعتقاد السائد في الأوساط النصرانية أن بعض تلاميذ المسيح عليه السلام الأوائل قد دوّنوا شيئا من أقوال المسيح، والحوادث التي رأوها ذات شأن خطير، على حد تعبير الكاتب النصراني: حبيب سعيد(١)، مضيفا أن جمعهم لهذه الأقوال والأحداث إنما كان لاستعمالهم الخاص(٢). أوكما يقول بعضهم(٣): «فإن احتياجات التبشير والممارسة الدينية والتعليم هي التي دعت الجماعة الأولى إلى تثبيت هذا التراث عن حياة المسيح، أكثر من اهتمامها بتسجيل حياة المسيح».

وعلى فرض ثبوت هذه الكتابات الخاصة، في ظل ما نزل بالنصارى الأوائل من التعذيب والاضطهاد، فإنه لا يمكن الجزم بأنها قد احتفظ بها، ولم تُضيّع. بل بهذا ـ أعني تلفها وضياعها ـ قد جزم بعض الباحثين(٤).

---

(١) علَم من أعلام الكنيسة القبطية المصرية، وقد كان سكرتير المطبوعات للمجلس المسيحي في الشرق الأدنى ـ سابقا ـ وأحد المساهمين في إعداد قاموس الكتاب المقدس. من أشهر مؤلفاته: المدخل إلى الكتاب المقدس، وتأريخ المسيحية (الجزء الأول)، وعشرون قرنا في موكب التأريخ. انظر: قاموس ك.م. (قائمة المساهمين في الإعداد).

(٢) انظر: إنجيل يوحنا في الميزان للدكتور محمد علي زهران ص٢٩.

(٣) القائل هو: أ. كولمان "O. Culman"، في كتابه: العهد الجديد: "Le Nouveau Testament; Paris, 1967"

نقلا عن: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 56.

(٤) انظر: Ajijola, A.D; (op.cit.) P.91

وفي المقابل يوجد رأي يقول بأن تلاميذ المسيح عليه السلام لم يكتبوا عنه شيئا! وذلك نظرا لاعتقادهم بأن نهاية العالم قد باتت وشيكة، وحسب ما يقول شارل جنيبير: «لم يشعروا البتة بالحاجة إلى تدوين ذكرياتاهم أو رسم شعورهم عنه [المسيح عليه السلام]، إنهم لم يفكروا في أن يكتبوا إلى أجيال قادمة كانوا على يقين من أنها لن تأتي. فالعالم - عالم الظلم والخطايا ولذات الجسد - كان في عقيدتهم وشيك النهاية. وكانوا يترقبون بين لحظة وأخرى توقف الحياة البشرية وظهور المسيح المنتصر في السماء»[١].

ومن هنا ندخل في الحديث عن أصل الأناجيل الأربعة وإسنادها، إذ تعتقد النصارى على اختلاف الفرق والفئات أن إنجيلين منها منسوبان مباشرة إلى تلميذين من تلاميذ المسيح عليه السلام، وبطريقة غير مباشرة يُنسب الآخران كذلك إلى تلاميذ المسيح عليه السلام أيضا، وذلك لقولهم إن مرقس: صاحب الإنجيل الثاني تلميذ بطرس الحواري، أحد تلاميذ المسيح عليه السلام بل ورئيسهم كما يقال، وقيل بل كان مرقس نفسه تلميذا للمسيح عليه السلام![٢]. وأما لوقا، وإليه ينسب الإنجيل الثالث، فكان تلميذ بولس[٣]، وقد صرح في أول إنجيله هذا بأنه إنما انتقى مادته من معلومات سلّمه إياها شهود عيانٍ وخدّام الكلمة[٤][٥]. غير أن أقدم هذه الأناجيل - وهوإنجيل

(١) شارل جنيبير (م.ن.) ص٢٦.

(٢) انظر: محمد شلبي شتيوي (م.ن.) ٥٢-٥٣.

(٣) انظر: إلياس كويتر المخلصي (م.ن.) ١/ ٣١.

(٤) الكلمة في اصطلاح العهد الجديد هي: المسيح عليه السلام: انظر: يوحنا ١/ ١-١٤، والرؤيا ١٩/ ١٣، وقاموس ك.م. ص٧٨٥.

(٥) انظر: لوقا ١/ ٢.

مرقس - لم ير النور إلا بعد رفع المسيح ﷺ بنحو خمسة وثلاثين عاما[١]! أي بعد ظهور أولى رسائل بولس، وهي رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي بحوالي ثماني عشرة سنة، وذلك في عام ٥٠م[٢]. أما آخر هذه الأناجيل الأربعة كتابةً - فيما يُظن - فيرجع إلى حوالي سنة ١٠٠م، أي بعد رفع صاحب الرسالة بأكثر من ستين سنة![٣].

فهل من حقنا أن نستعلم الدافع وراء هذا التأخير في كتابة الأناجيل، إذا كانت فعلا من مصنفات التلاميذ بالنسبة للإنجيلين الأول والرابع، أو بإشارة وتوجيه من بعض التلاميذ بالنسبة للإنجيل الثاني، أو من شهادات شهود عيانٍ والملازمين للمسيح ﷺ من تلاميذه وغيرهم بالنسبة للإنجيل الثالث؟؟؟

إذ لو أنهم إنما أرادوا تسجيل وقائع حياة المسيح ﷺ فلِمَ لمْ يسجلوها وهو بين أظهرهم حي يُرزق؟ أو على الأقل بُعيد رفعه إلى السماء أو صلبه فيما يفترون؟ وإن قالوا إن سبب عدم الكتابة هو ما تقدم من أن هؤلاء التلاميذ كانوا يعتقدون أن العالم على وشك النهاية، فهل جاءهم تأكيد بعد ذلك بأقل من أربعة عقود من السنوات أن عمر العالم سوف يمتد؟ ومن أين جاءهم هذ العلم، وكيف جاءهم، وأين يُذكر ذلك في كتبهم؟

أما كون هؤلاء التلاميذ على اعتقاد بأن نهاية العالم وشيكة فضرب من الأكاذيب، وذلك لما نعلم يقينا أن المسيح ﷺ قد بشر بالنبي الآتي بعده، محمد بن

---

(١) انظر: المسيح في مصادر العقائد... ص٣٠.

(٢) انظر: الدائرة البريطانية ١٠/ ١٤٥.

(٣) وذلك بناء على ما يرجحه الباحثون من أن المسيح ﷺ إنما عاش على هذه الأرض قبل أن يرفع ثلاثة وثلاثين عاما. انظر: المسيح في مصادر العقائد... لأحمد عبد الوهاب ص٣١.

عبد الله العربي القرشي ﷺ كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[الصف:٦]. ويُذكر أيضا في إنجيل يوحنا[١] على لسان المسيح: «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً[٢] آخر ليمكث معكم إلى الأبد». وأما كون الإنجيل المنزل بين أيديهم فيكفي دليلا على عدم حاجتهم إلى تدوين أو تحرير إنجيل آخر.

وأدهى من ذلك وأمرّ، أن هذه الأناجيل، سواء ما يقال عنه منها إنه قد كتب في نحو عام٦٨م ـ وهو إنجيل مرقس، أو ما قيل إنه أُلف في حوالي عام ١٠٠م ـ وهو إنجيل يوحنا، أو ما يقال إنه كتب بين هذين التاريخين ـ أعني إنجيلي متّى ولوقا ـ فإنه لا توجد أي إشارة أو شهادة تثبت وجود أي منها قبل عام ١٤٠م[٣]. فلا غرابة إذًا في حقيقة أُثبتتْ مؤخَّراً، وهي: أن المتقدمين من النصارى لم يشيروا إلى هذه الأناجيل ولم يذكروها، وحتى بولس مع كثرة رسائله لم يذكر شيئا عنها، مع أن بعض هذه الرسائل إنما كتبت بعد الزمن الذي يُزعم أن الأناجيل الأربعة قد كتبت فيه[٤]. يقول

---

(١) ١٤/ ١٥-١٦.

(٢) هذا اللفظ مترجم من أصل يوناني "باراكلي طوس أو بير كلوطوس" ويعني محمد أو أحمد انظر: رحمة الله الهندي (م.ن) ٤/ ١١٨٧-١١٨٨.

(٣) انظر: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس لأحمد عبد الوهاب ص٧٩، و Bucaille, Maurice (op.cit.) P. 54.

(٤) مثل رسالتيه إلى تيموثاوس، ورسالته إلى تيطس، كلها يؤرَخ لكتابتها بحوالي سنة ١٠٠م ـ مع أن بولس نفسه قد مات قبل سنة ٧٠م! انظر: المسيح في مصادر...لأحمد عبد الوهاب ص٣٠ مع قاموس ك.م. ص١٩٩.

القس الدكتور فهيم عزيز[١]: «إن الرسول بولس لم يشر في كتاباته إلى أي من الأناجيل المكتوبة ولا إلى أي كتاب عن حياة المسيح أو أقواله»[٢]، في حين ورد ذكر إنجيل الله او إنجيل المسيح عليه السلام في مواضع من رسائله هذه[٣]. وإذا كان الأمر كذلك فإن النتيجة المرة التي يُتوصل إليها هي أن هذه الأناجيل إنما عرفت ونسبت إلى من نسبت إليهم بعد موت هؤلاء بعشرات السنين كما هو الحال بالنسبة لبعض أسفار العهد القديم فيما تقدم معنا في هذا الكتاب، فكيف يمكن قبول مثل هذه النسبة الوهمية الخيالية والتي لا تستند إلى أي دليل يمكن الوثوق به بأي معيار كان.

ومما يؤكد لنا هذا: أن أقدم المخطوطات لهذه الأناجيل مكتوبة باللغة اليونانية[٤]، بينما في وقت المسيح عليه السلام كانت الإمبراطورية الرومانية ـ المسيطرة على فلسطين ـ موحدة، ولم تكن قد انقسمت بعد، فعاصمتها ومركزها روما. ومن الواضح أن اللغتين الرومانية (اللاتينية) واليونانية من أصعب اللغات، وبناء على هذا فإنه على فرض تسرب الحضارة الرومانية إلى عمق الحياة اليهودية وتأثر اليهود بها، فإن الذي يمكن تصوره هو تدخل كلمات لاتينية إلى اللغة اليهودية العبرية لا أن تتحول كلية إليها أعني ـ اللاتينية الرومانية ـ فضلا عن اليونانية.

وإذ كانت المخطوطات الأكثر قِدما لهذه الأناجيل مكتوبة باليونانية، يترتب

---

(١) أستاذ بكلية اللاهوت الإنجيلية بمصر، ومؤلف كتاب المدخل إلى العهد الجديد.

(٢) فهيم عزيز (م.ن.) ص١٥٠.

(٣) انظر: رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي ٢/ ٢و٤و٨و٩، ورسالته إلى أهل رومية ١/ ١و٩و١٦، ورسالته الأولى إلى تيموثاوس ١/ ١١.

(٤) انظر: الصفحة الأولى من العهد الجديد باللغة العربية.

على هذا أن تكون الأناجيل هذه إنما أُلِّفت في وقت متأخر، وذلك بعد انقسام الإمبراطورية الرومانية، وأصبح ما بحوزتها من جهة الشرق جزءًا من الإمبراطورية البيزنطية[١]، ومكّن ذلك لتسرب اللغة اليونانية وآدابها إلى المجتمع النصراني وآدابه[٢].

كما أن تاريخ اكتساب هذه الكتب القانونيةَ متأخر. وحتى أقوالهم في هذا أيضا نجدها مضطربة ولا يجزمون فيه بشيء معيّن، ولنترك الحديث للقس فهيم عزيز الذي قال: «...إن تأريخ اعتبارها [يعني الأناجيل الأربعة] كتبا قانونية مقدسة متساوية في ذلك مع كتب العهد القديم لا يزال مجهولا[٣]!». أما الذي تدور حوله أقاويلهم في هذا فهو أن هذه الأناجيل قد اكتسبت القانونية والقداسة عندهم بشكل تدريجي خلال الفترة ما بين نهاية القرن الثاني ومنتصف القرن الرابع للميلاد[٤]. أضف إلى هذا أن أقدم مخطوط لكتاب النصارى المقدس بصفة عامة إنما يرجع إلى القرن الرابع للميلاد فقط، كما تقدّم معنا عند التعريف بهذا الكتاب.

إذًا، كيف تُضْمن سلامة أقوال لم تسجّل أصلا إلا بعد رحيل صاحبها بنحو

---

(١) بدأت سيطرة الإمبراطورية البيزنطية على فلسطين بعد عام ٣٠٠م، وقد حافظ البيزنطيون على الأدب والفلسفة اليونانية، أما التقاليد الحكومية والتشريعية فذات طابع روماني.

انظر: الموسوعة العالمية٢/ ٦٦٤و١٧/ ٤٢٣.

(٢) انظر: Ajijola, A.D; (op.cit.) P.86، بتصرف.

(٣) فهيم عزيز (م.ن.) ص١٥٠.

(٤) انظر: محاضرات أبي زهرة ص٣٨ و٨٦، وAjijola, A.D; (op.cit.) P.92، ومحمد شلبي شتيوي (م.ن.) ص٣٦.

نصف قرن من الزمن، ولم يعرف حتى هذا الذي كُتب إلا بعده بحوالي قرن ونصف قرن آخر، ولم ينل الاعتراف به من مقدسيه إلا بعد ذلك بحوالي قرنين آخرين!!!

هذا كله بالنسبة لتأريخ الأناجيل نفسها فكيف بكاتبيها؟ إن أقل ما يقال في كتبة هذه الأناجيل، أنهم مجاهيل كتبوا هذه الكتب ثم نسبوها هم أو نسبها أصحابهم إلى أناس وجدوا لهم قبولا وثناءً في الأوساط النصرانية، كي يمهدوا لانتشار هذه الكتب وما تحويها من الأفكار. يقول أحد مفسري كتاب النصارى المقدس: «الحالات التي وصلت إلينا في بادئ زمن تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة بتراء وغير معينة، لا توصلنا إلى أمر معين. والمشايخ الأقدمون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها، وقبل الذين جاءوا من بعدهم مكتوبهم تعظيما لهم. وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب إلى كاتب آخر وتعذّر نقدها بعد انقضاء المدة»[١]، كما صرّح مفسرٌ آخر لهذه الكتب بأن كُتّاب الأناجيل هذه رُموا بالجهالة[٢]. وللكاتب النصراني المعاصر، حبيب سعيد أيضا كلمته في هذا إذ يقول: «إن البشائر الثلاث الأولى [متّى ومرقس ولوقا] غفلة[٣] من اسم المؤلف، ولم يذكر الكاتب شيئا عن نفسه. أما الألقاب الحالية فقد وضعت بعد زمن ظهورها اعتمادا على وجهة نظر الكنيسة الأولى، والرأي الذي كان شائعا عن

---

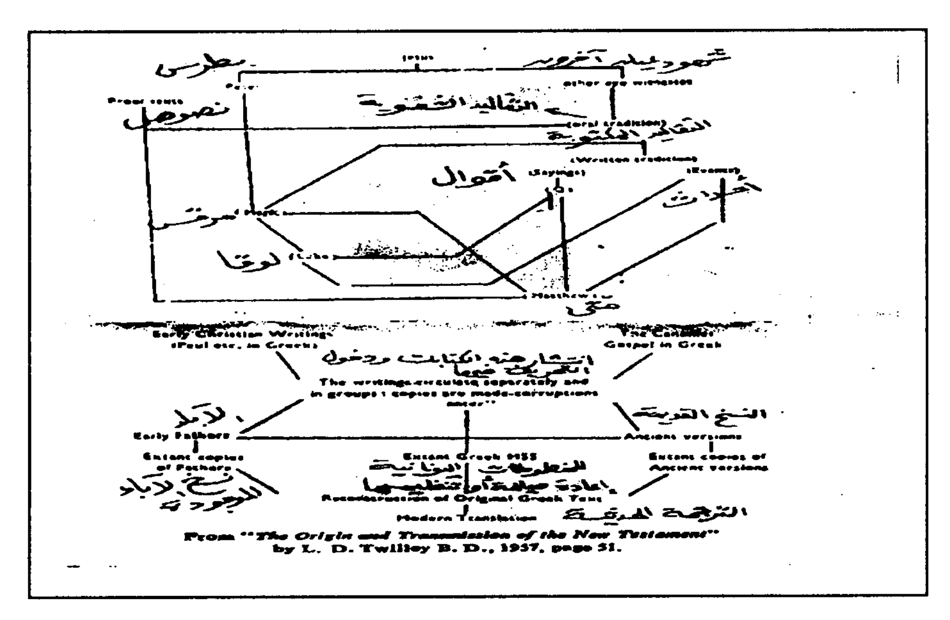
(١) تفسير هورن "Horn" لكتاب النصارى المقدس، المجلد الرابع، الفصل الثاني. نقلا عن: مقارنة الأديان لمحمد عزت الطهطاوي ص١٠٧، و Ajijola,A.D; (op.cit.) P. 104

(٢) انظر: تفسير لاندر لكتاب النصارى المقدس، ٥/ ١٢٤، نقلا عن: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٥٦٠.

(٣) أي خالية من اسم المؤلف أوالتعريف به.

واضعي هذه البشائر...»[١].

وفي ختام هذا العرض الإجمالي لتأريخ الأناجيل الأربعة أقول كما قد قال بعض الباحثين: إنه «من العسير [بل من المحال] اعتبار هذه الأناجيل الأربعة مذكرات لرسل أو رفاق المسيح»[٢]. عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.



رسم ببيان سلسلة إسناد الأناجيل[٣]

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس لحبيب سعيد ص٢٢١، نقلا عن: محمد علي زهران (م.ن.) ص١٣٥.

(٢) Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 55.

(٣) من كتاب: Ajijola,A.D; (op.cit.) P. 94 & 95

المسألة الثانية: تاريخ الأناجيل الأربعة ونسبتها إلى كتبتها تفصيلا.

أولا: إنجيل متّى:-

وفيه العناصر الآتية:-

أ- تعريف موجز بإنجيل متّى. ب- من هو متّى هذا؟

ج- متى كتب إنجيله هذا وأين كتبه؟ د- لماذا كتب إنجيله هذا، ولمن؟

هـ- هل كتب متّى فعلا الإنجيل المنسوب إليه؟

أ. تعريف موجز بإنجيل "متّى".

إنجيل متّى هو أحد الأناجيل الأربعة التي تعترف بها جميع طوائف النصارى وتعتبرها قانونية. وهذا الإنجيل يعتبر أطولها، إذ يبلغ عدد إصحاحاته ثمانية وعشرين إصحاحا، كما أنه يحتل المكانة الأولى من حيث ترتيب أسفار العهد الجديد برمتها. وهي مكانة هو جدير بها ولها ما يبررها، إذ يعتبر إنجيل متّى امتدادا للعهد القديم، فقد برزت فيه محاولة كاتبه إثبات أن المسيح عليه السلام يكمّل تأريخ إسرائيل، فأكثر في إنجيله هذا من الاستشهاد بفقرات العهد القديم[١]. وإن كان في بعض ذلك ملحوظات سوف تطرح في حينها إن شاء الله تعالى[٢]. كما أنه يشير فيه إلى أن عيسى عليه السلام هو المسيا[٣] الذي وعد به اليهود، وأنه ملك بني إسرائيل الحقيقي ...الخ.

---

(١) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 59

(٢) وذلك في موضوع: مشكلات الأناجيل الرئيسة.

(٣) المسيا: هي الصيغة العربية للفظ اليوناني: "مسياس" المأخوذ كذلك عن كلمة آرامية: "مشيخا"، =

فهو باختصار حلقة الوصل بين العهد القديم والعهد الجديد، وبين الناموس والإنجيل[١]. وكذلك يوصف الإنجيل بإنجيل الطائفة اليهودية المسيحية التي تحاول قطع العلاقات التي كانت تربطها باليهودية، مع الاحتفاظ في الوقت ذاته بخط مستمر مع العهد القديم[٢].

ومما يبين مدى أهمية هذا الإنجيل لدى النصارى، ما جاء في قاموس كتابهم المقدس ـ الذي اشترك في وضعه نخبة من علمائهم ـ من وصفه (إنجيل متّى) بأن موضعه من العهد الجديد كموضع أسفار موسى الخمسة من العهد القديم. كما أنه من أحب الأناجيل إلى الكنيسة النصرانية عامة، وأكثرها شعبية فيها، والأكثر استعمالا[٣].

وأما بالنسبة لمحتوى هذا الإنجيل فينقسم إلى ثمانية أقسام رئيسة، وهي:

الأول: مولد المسيح مع سلسلة نسبه! (الإصحاحان الأول والثاني).

الثاني: مقدمة لخدمة المسيح عليه السلام (٣/ ١ ـ ٤/ ١٧).

الثالث: رسالة المسيح عليه السلام في الجليل (٤/ ١٨ ـ ٩/ ٣٥).

الرابع: إرسال المسيح التلاميذ للتبشير بملكوت الله (٩/ ٣٦ ـ نهاية

=

وتعني: "مسيح". انظر: قاموس ك.م. ص٨٩٠، وأما المسح في اصطلاح كتاب النصارى المقدس فهو: صب الزيت أو الدهن على الشيء تكريسا له لخدمة الله، انظر: قاموس ك.م. ص٨٥٩.

(١) انظر: قاموس ك.م. ص٨٣٢-٨٣٣.

(٢) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 59 & 62

(٣) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ٢٤٢.

الإصحاح العاشر).

الخامس: ازدياد مقاومة اليهود للمسيح عليه السلام (١١/ ١ ـ ١٥/ ٢٠).

السادس: ذهاب المسيح عليه السلام نهائيا من كفرناحوم[١]، وتعليم التلاميذ (١٥/ ٢١ ـ نهاية الإصحاح الثامن عشر).

السابع: ختام خدمة (دعوة) المسيح عليه السلام في بيرية[٢] (الإصحاحان التاسع عشر والعشرون).

الثامن: الأسبوع الأخير أو الأيام الأخيرة ليسوع في أورشليم وحولها (٢١/ ١ ـ نهاية الإنجيل)[٣].

وأما ما انفرد هذا الإنجيل بذكره دون الأناجيل الأخرى فمنها ما يلي:-

١ ـ نسبة المسيح عليه السلام إلى يوسف (النجّار)، وذلك في الإصحاح الأول منه[٤].

٢ ـ مشي بطرس على الماء[٥].

٣ ـ ضريبة الهيكل[٦].

---

(١) كفرناحوم: أي قرية ناحوم، وهي قرية تقع على الشاطئ الشمالي الغربي لبحر الجليل. يقال: إن المسيح عليه السلام انتقل إليها من مدينة الناصرة في وقت مبكر من دعوته. انظر: قاموس ك.م. ص٧٨٢-٧٨٣.

(٢) بيرية: اسم قديم لمدينة "حلب" الحديثة، وهي حاليا داخل حدود دولة سوريا. انظر: قاموس ك.م. ص٢٠٧.

(٣) انظر: قاموس ك.م. ص٨٣٣، والمسيح في مصادر العقائد... لأحمد عبد الوهاب ص٦٠.

(٤) هذا من الأخطاء، فإن كاتب إنجيل لوقا قد نسب المسيح إلى يوسف أيضا (لوقا٣/ ٢٣).

(٥) انظر: متى ١٤/ ٢٨-٣١.

(٦) انظر: متّى ١٧/ ٢٤-٢٧.

٤ ـ نهاية يهوذا الإسخريوطي[١]، التلميذ الخائن[٢].

٥ ـ حلم زوجة بيلاطس[٣][٤].

٦ ـ الزلزال وخروج المقبورين من قبورهم في لحظة تسليم المسيح للروح في زعمهم[٥].

٧ ـ ختم القبر الذي وضع فيه جثة المصلوب[٦].

٨ ـ ظهور المسيح للمرأتين ثم للتلاميذ الأحد عشر على جبل في الجليل[٧].

٩ ـ إرسال المسيح تلاميذه ليعمدّوا كل الأمم باسم الآب والابن والروح القدس[٨][٩].

---

(١) يهوذا الإسخريوطي: هو التلميذ الذي خان سيده ـ أي قام بتسليم المسيح ﷺ لأعدائه حسب ما تذكره الأناجيل ـ، وهو الوحيد من بين تلاميذ المسيح الذي لم يكن من أهل الجليل. انظر: قاموس ك.م. ص١٠٨٩.

(٢) انظر: متى ٢٧/ ٣-٥.

(٣) بيلاطس: ويلقب أيضا بالبنطي، وال أقامته الحكومة الرومانية نائبا أو حاكما على مدينة اليهودية الفلسطينية في زمن المسيح ﷺ. انظر: قاموس ك.م. ص٢٠٧-٢٠٨ والموسوعة العربية الميسّرة ص٤٧١.

(٤) انظر: متى ٢٧/ ١٩.

(٥) انظر: متّى ٢٧/ ٥٠-٥٢.

(٦) انظر: متّى ٢٧/ ٦٢-٦٦.

(٧) انظر: متّى ٢٨/ ٩، ١٠ و١٦-٢٠.

(٨) انظر: متّى ٢٨/ ١٩.

(٩) انظر: قاموس ك.م. ص٨٣٤، ووليم إدى (م.ن.) ـ المقدمة .

ب. من هو متّى؟

إن شخصية متّى هذا تتحدّد في مفهوم الكنيسة في كلمات محدودة عبّر عنها قاموس كتاب النصارى المقدس حيث قال: « متّى من الاسم العبري "مثتيا" الذي معناه "عطية يهوه"، وهو أحد الاثني عشر رسولا[١]، وكاتب الإنجيل الأول المنسوب إليه. وسمي أيضا لاوي بن حلفى، وكان في الأصل جابيا في كفرناحوم، ودعي من موضع وظيفته »[٢].

وهكذا يُذكر، فكأن كل ذلك من المسلّمات، كلاّ. لنبدأ من الدعوى بأن متّى هذا هو أحد الاثني عشر رسولا للمسيح عليه السلام. يقول الدكتور موريس بوكاى: « لنقل صراحة إنه لم يعد مقبولا اليوم القول إنه [متى] أحد حواريي المسيح »[٣].

فلماذا حكمنا بهذا؟ لعدة أمور منها:-

١ ـ أن مجرد التخمين والظن وعدم التحقق هي الصفات التي تطغي على كتابات القوم حول شخصية "متى" هذا، الذي ينسب إليه الإنجيل[٤]. وسيأتي مزيد التوضيح لهذا إن شاء الله عن قريب.

---

(١) أي تلاميذ المسيح عليه السلام وهم ـ كما يذكر في الأناجيل ـ: بطرس (سمعان)، ويعقوب ويوحنا ابنا زبدي، وأندراوس، وفيلبس، ووبرثولماوس، ومتّى، وتوما، ويعقوب بن حلفى، وتدّاوس، وسمعان القانوي، ويهوذا الإسخريوطي. انظر: مرقس ٣/ ١٦-١٩، ومتّى ١٠/ ٢-٤.

(٢) قاموس ك.م. ص٨٣٢.

(٣) Bucaille,Maurice(op.cit.) P.60

(٤) انظر: مقدمة كتاب: الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل للغزالي، كتبها: الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي ص٨٠.

٢ ـ يستنبط من نصوص كتابهم المقدس ما يفيد أن متّى لم يكن يوما من حواريي المسيح ﷺ، الاثني عشر طيلة الزمن الذي عاش فيه المسيح بين ظهرانيهم، وإنما هم الذين اختاروه بعد رفعه ﷺ ليقوم مقام يهوذا الإسخريوطي، التلميذ الخائن[(١)]. يقول سفر أعمال الرسل: «وفي تلك الأيام قام بطرس في وسط التلاميذ، وكان عدة أسماء معا نحو: مائة وعشرين فقال: أيها الرجال الإخوة ينبغي أن يتم هذا المكتوب الذي سبق الروح القدس فقاله بفم داود عن يهوذا الذي صار دليلا للذين قبضوا على يسوع. إذ كان معدودا بيننا وصار له نصيب في هذه الخدمة.... فينبغي أن الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان الذي دخل فيه إلينا الرب يسوع، وخرج، منذ معمودية يوحنا[(٢)] إلى اليوم الذي ارتفع فيه عنا يصير واحد منهم شاهدا معنا بقيامته. فأقاموا اثنين، يوسف الذي يدعى برسابا الملقبَ يوستس، ومتّياس. وصلّوا قائلين أيها الرب العارف قلوب الجميع عيّن أنت من هذين الإثنين أيا اخترته. ليأخذ قرعة هذه الخدمة والرسالة الذي تعدّاها يهوذا ليذهب إلى مكانه. ثم ألقوا قرعتهم فوقعت القرعة على متّياس، فحُسب مع الأحد عشر رسولا»[(٣)].

أما قولهم في قاموس الكتاب المقدس عند التعريف بمتياس هذا أنه: «تلميذ يسوع المسيح، لازمه من ابتداء خدمته إلى صعوده... فعيّن بالقرعة بعد الصلاة ومشورة الروح القدس ليأخذ موضع يهوذا الإسخريوطي، ولا نعلم شيئا عن حياته

---

(١) انظر: مقارنة الأديان لمحمد عزت الطهطاوي ص١١١-١١٢.

(٢) يعني يوحنا المعمدان، يحيى بن زكريا عليهما السلام.

(٣) أعمال الرسل ١/ ١٥-٢٦.

وخدمته بعد ذلك»[١]، فلا يخرج عن كونه محاولة من واضعي القاموس للتفريق بين متّى ومتّياس، على الرغم مما ورد من الإشارة إلى كونهما اسمين لشخصية واحدة، بل قد يؤخذ من قولهم: إنه لا يعلم شيئ عن حياته بعد اختياره ليحل محل التلميذ الخائن، دليل على كونه هو نفسه متّى الذي ينسب إليه الإنجيل. إذ إنه صار بعد ذلك الاختيار مشهورا بمتى الحواري أو التلميذ، وليس بمتّياس، علاوة على أن الاسم: "متّياس" يتفق في المعنى مع الاسم "متّى" أي عطية الله أو عطية يهوه[٢]، والعلم عند الله تعالى.

وأما بالنسبة للدعوى بأنه كاتب الإنجيل المنسوب إليه، فليعلم واضعوا هذه الأكذوبة أنها هي الأخرى لم تعد من المسلّمات في هذا العصر حتى في الأوساط النصرانية نفسها، وأنقل هنا قول الأستاذ جون فنتون[٣] معلّقا على ما جاء في هذا الإنجيل نفسه ، ونصه: «وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنسانا جالسا عند مكان الجباية اسمه متّى فقال له: "اتبعني"، فقام واتّبعه»[٤]. يقول فنتون: «لقد ذكر المؤلف نفسه في هذه الفقرة، أو بالأحرى، فإنه يصف دعوة شخص يدعى متّى. على الرغم من أن ربط شخصيته (كمؤلف) بهذا التلميذ، إنما هو بالتأكيد محض خيال»[٥].

---

(١) قاموس ك.م. ص٨٣٥-٨٣٦.

(٢) كما جاء في قاموس الكتاب المقدس ص٨٣٢ و٨٣٥.

(٣) جون فنتون "J.C. Fenton": عميد كلية اللاهوت بـليتشفيد ـ إنجلترا، ومن مؤلفاته: تفسير إنجيل متّى. انظر: المسيح في مصادر العقائد... لأحمد عبد الوهاب ص٧.

(٤) متّى ٩/ ٩.

(٥) تفسير إنجيل متّى لجون فنتون ص١٣٦، نقلا عن: المسيح في مصادر العقائد... ص٥٨.

وكذلك زعمهم بأن كاتب هذا الإنجيل كان يسمى بـ"لاوي بن حلفى"، وأنّه كان جابيا للضرائب قبل إيمانه بالمسيح ﷺ، فإنه أيضا موضع نقاش وبحث.

وذلك لأن الاسم "متّى" ورد ذكره في هذا الإنجيل مرتين فقط، المرة الأولى هي ما تقدمت قبل قليل، والمرة الثانية في قائمة أسماء التلاميذ الاثني عشر[(١)]. وإذا قارنا هذا بما ورد في إنجيل مرقس[(٢)]: «وفيما هو مجتاز رأى لاوي بن حلفى جالسا عند مكان الجباية، فقال له: اتبعني، فقام واتبعه». وجدنا أن كاتب إنجيل متّى ـ وقد اعتمد على إنجيل مرقس كما يقولون[(٣)] ـ إنما غيّر "لاوي بن حلفى" إلى "متّى"، مع أن الاسم ـ أعني لاوي بن حلفى ـ لم يُذكر مرة أخرى في إنجيل مرقس، ولم يذكره إنجيل مرقس في قائمة أسماء التلاميذ الاثني عشر، وذكر اسم "متّى" هناك[(٤)]. فكيف يتم لكاتب إنجيل "متّى" أن يُحدث هذا التغيير، وكيف قبلت الكنيسة أن لاوي بن حلفى العشّار هو نفسه "متّى"؟ أجاب مفسر الإنجيل جون فنتون فقال: «إننا لا نجد أي دليل على أن اسم "متّى" كان هو اسم التنصير للاوي». ثم تابع قائلا: «إنه من المحتمل ـ ولو أن هذا مجرد ظن ـ أنه كانت هناك بعض الصلات بين متّى التلميذ، والكنيسة التي كتب من أجلها هذا الإنجيل، ولهذا فإن مؤلف هذا الإنجيل نسب عمله إلى مؤسس تلك الكنيسة أو معلمها الذي كان اسمه "متى". ويحتمل أن يكون المبشر [كاتب الإنجيل] قد اغتنم الفرصة التي أعطاه إياها مرقس

(١) انظر: متى ١٠/ ٣.

(٢) ٢/ ١٤.

(٣) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 61

(٤) انظر: مرقس ٣/ ١٦-١٩.

عند الكلام عن دعوة أحد التلاميذ، فربطها بذلك التلميذ الخاص، أحدالاثني عشر (متى) الذي وقّره باعتباره رسول الكنيسة التي يتبعها»[١]! ولما كانت هوية كاتب هذا الإنجيل يحيط بها الغموض، وتُطوّقها الجهالة[٢]، لم يبق أمامنا سوى الاستفادة من معطيات هذا الإنجيل نفسه بغية تحديد ما يمكن تحديده من شخصية كاتبه[٣].

وعلى ضوء هذا، يمكننا القول بكل اطمئنان: إن كاتب إنجيل متى بلا شك رجل يهودي، متبحر في التراث اليهودي وفي أسفارهم المقدسة، ويحترم رؤساء اليهود ويتعاطف مع شعبه، وربما أغلظ في خطابه لهم أحيانا، وأستبعد كونه من حواريي المسيح ﷺ، وإن كان احتمال اعتناقه للنصرانية واردا، والله تعالى أعلم. ومما ورد في هذا عن علماء النصارى المعاصرين، قول بعضهم: «إن مؤلف إنجيل متّى يهودي ولا شك، وهو يختلف عن مرقس الذي لايفهم اليهود ولا يتعاطف معهم إلا قليلا. كما أنه يختلف عن لوقا... إن متّى [يعني كاتب إنجيل متّى] يفهم اليهود ويتعاطف مع تطلعاتهم كرجل يهودي المولد. إن حملته العنيفة ضد الفريسيين[٤] وريائهم لا تحجب حقيقة الموقف (تجاه الناموس) وهو أنه: "لا يزول

---

(١) تفسير إنجيل متّى لجون فنتون ص١٣٦، نقلا عن: المسيح في مصادر العقائد... لأحمد عبد الوهاب ص٥٨.

(٢) جاء في دائرة المعارف البريطانية: "إن المعلومات التي يقدمها لنا العهد الجديد عنه [متى] ضئيلة وغير مؤكّدة". انظر: الدائرة البريطانية ""Micro ٦/ ٦٩٧.

(٣) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P.60.

(٤) الفريسيون: جمع والمفرد: فريسي: من اللغة الآرامية، ومعناه: "المنعزل". والفريسية: إحدى فئات اليهود الرئيسة الثلاث، وكانت أضيقها رأيا وتعليما. والفئتان الأخريان هما: الصدوقية والآسينية. انظر: قاموس ك.م. ص٦٧٤.

حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل"[١]، وهو لا يجامل ذلك النوع المسيحي المتحرر (من قيود الناموس) الذي يبدو أن بشارة بولس (وتعاليمه) قد شجّعت سلوكه ووجهة نظره بطريقة شؤوم»[٢]. ويقول باحث نصراني آخر وهو يصف إنجيل متّى: «تحت يونانية الثوب يكمن الكتاب يهوديا، لحما وعظما وروحا، هو يحمل آثار اليهودية ويتسم بسماتها المميزة»[٣].

ج. متى كتب إنجيله هذا، وأين كتبه؟

فكما سبق أن قلت في تحديد شخصية كاتب هذا الإنجيل، فإن القول هنا لا يختلف كثيرا، إذ الأسلوب الذي يعالج به النصارى هذين الموضوعين ـ أعني زمن الكتابة ومكانها ـ بالنسبة لإنجيل متّى، يسيطر عليه أيضا مجرد الاحتمال والحدس والتخمين، فلذلك يزيد مجموع الأقوال والآراء فيهما عن عشرة كما سوف نرى!

أولا: متى كُتب إنجيل متّى؟

إن القليلين من مؤرخي الكنيسة وكتّابها هم الذين يجزمون بتأريخ معين لكتابة هذا الإنجيل، وأما الجماهير منهم فلا يقطعون في ذلك بشيء، فتجدهم أحيانا يحددون تأريخ كتابة هذا الإنجيل بحادثة معينة، قد تكون هي الأخرى مجهولة

---

(١) متّى ٥/ ١٨.

(٢) القائل هو: الدكتور فريدريك جرانت: أستذ الدراسات اللاهوتية في معهد اللاهوت الاتحادي بنيو يورك، في كتابه: الأناجيل أصلها وتطورها ص١٤٠-١٤١، نقلا عن: المسيح في مصادر العقائد... لأحمد عبد الوهاب ص٥٧.

(٣) القائل هو: الآب أ. تريكو، من رجال الكنيسة واللاهوت النصراني، وله ترجمة للعهد الجديد. نقلا عن: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 59.

التأريخ أو مشكوكا في تأريخها، وأحيانا أخرى يذكرون أن كتابته تمت بين تأريخ كذا وتأريخ كذا، وربما ذكر بعضهم تواريخ عدة من غير ترجيح أي منها، كما سيتضح ذلك كله في التفصيل الآتي إن شاء الله:-

١ ـ ذكر إيريناوس[١] ـ وهو أحد آباء الكنيسة القدماء ـ أن هذا الإنجيل كُتب عندما كان كل من بطرس وبولس في روما يؤسسان الكنيسة هناك[٢]. وعلى حد تعبير القس فهيم عزيز، فإن بعض علماء النصارى ـ لم يذكر لنا أسماءَهم ـ يظنون أن الحادث الذي أشار إليه إيريناوس هنا إنما كان حوالي سنة ٤٢م، إلا أن هذا ـ كما يرى عزيز نفسه ـ مصادم لما جاء في بعض أسفار العهد الجديد[٣]، وذلك أن التبشير خارجَ اليهودية لم يكن إلا عن طريق برنابا[٤] وبولس، وأن ذلك إنما بدأ من سنة ٤٩م وليست ٤٢م. كما أن بقية التلاميذ لم يكن عندهم تفكير جدي لتقديم البشارة خارج حدود منطقة اليهودية[٥].

٢ ـ قول ابن البطريق[٦]: وهو أن الإنجيل إنما ألف في آخر العشرة الرابعة من ميلاد المسيح ﷺ، أو في أول أو آخر العشرة الخامسة، أو في أوائل العشرة

---

(١) إيريناوس أو إيرينيوس: أحد الآباء الكنسيين القدماء، ولد عامَ ١٣٠م في آسيا الصغرى، ومات في سنة ٢٠٠م. الدائرة البريطانية ١٢/ ٥٨٦.

(٢) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٢٥٣.

(٣) كسفر أعمال الرسل، الإصحاح الخامس عشر، وورسالة بولس إلى أهل غلاطية ٢/ ١-١٥.

(٤) سيأتي الحديث عنه مفصلا عند دراسة الإنجيل المنسوب إليه إن شاء الله.

(٥) د/ فهيم عزيز (م.ن.) ص٢٤٧.

(٦) هو: سعيد بن البطريق، طبيب مؤرخ من أهل مصر، ولد بالفسطاط وأقيم بطريركا على الإسكندرية سنة ٣٢١هـ، توفي عام ٣٢٨هـ الموافق ٩٤٠م. الأعلام للزركلي ٣/ ٩٢.

السادسة منه[١].

٣ ـ قول جورج بوست[٢]: وهو أن الإنجيل كتب قبل خراب أورشليم[٣]، وحكى عن غيره أنه إنما كتب في ما بين سنة ٦٠ و٦٥م[٤].

٤ ـ أن الإنجيل كتب قبل كتابة الأناجيل الثلاثة الأخرى، وهذا ما يؤخذ من تتمة قول إيريناوس السابق إذ جاء فيها: «...وبعد ارتحالهما [أي بطرس وبولس] نقل إلينا مرقس تلميذ بطرس، ولسان حاله كتابة، تلك الأمور التي كرز بها بطرس»[٥]. قلت ويلاحظ أن لفظ "ارتحالهما" الوارد في هذا النص قد حُرّف في قاموس الكتاب المقدس ـ أعني الذي اشترك في إعداده عدد من علماء النصارى ـ[٦]، فصار فيه: "انتقالهما (أو خروجهما)" وذلك ـ كما يبدو لي ـ لأن القول بأن إنجيل متّى هو أول الأناجيل تأليفا معارض لاعتقاد جمهور رجال الكنيسة وعامة النصارى وهو أن أقدم الأناجيل الأربعة هو إنجيل مرقس ـ كما سيأتي إن شاء الله[٧] ـ. أما

---

(١) وهذا كله بالاستنباط من قوله: إن الإنجيل أُلف في عهد قلوديوس، قيصر الرومان، فإن قلوديوس هذا قد ملك لمدة أربع عشرة سنة، وقبله ملك غابيوس أربع سنوات وثلاثة أشهر، ومن قبله أيضا ملك طيباريوس الذي كان معاصرا للمسيح ﷺ. انظر: محاضرات أبي زهرة ص٤٠.

(٢) جورج بوست: مؤلف نصراني معاصر، وله قاموس لكتاب النصارى المقدس.

(٣) خراب أورشليم: تقصد به حادثة إحراق المدينة على يد القائد الروماني: تيطس، وذلك في عام ٧٠م. انظر: قاموس ك.م. ص١٣٥.

(٤) قاموس الكتاب المقدس لجورج بوست، نقلا عن: محاضرات أبي زهرة ص٤١.

(٥) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٢٥٣.

(٦) انظر: ص٨٥٥، الطبعة التاسعة.

(٧) وذلك عند التعريف بإنجيل مرقس ونقد إسناده.

تحريف "الارتحال" والذي يعني في ظاهره "الوفاة" ليصبح الانتقال أو الخروج فمردود من وجوه:

أولا: دلالة السياق: وذلك لأن الذي يفهم من قول إيريناوس: «وبعد ارتحالهما نقل إلينا مرقس...» عقب قوله: «لقد نشر متّى إنجيله... إذ كان بطرس وبولس يكرزان ويؤسسان الكنيسة في روما» أن مراده بعد وفاتهما، وبعيد جدا أن يكون المقصود: بعد انتقالهما أو خروجهما إلى روما، لأنه قد قدّم ذكر وجودهما فيها أصلا.

ثانيا: ولا يمكن أيضا أن يكون المقصود بالارتحال في هذا النص: انتقالهما أو خروجهما من روما ـ كما امتنع أن يكون إليها ـ وذلك لأن كلاّ من بطرس وبولس لم يخرجا من روما بل قُتلا فيها كما ورد في هذا القاموس نفسه[١].

ثالثا: ومما يؤيد هذا المفهوم أيضا ـ أعني: بَعْدَ الوفاة لا بعد الانتقال أو الخروج ـ ترتيب ذكر الإنجيلين الآخرين كذلك ترتيبا زمنيا في النص ذاته، حيث ذكر إنجيل لوقا أولا ثم إنجيل يوحنا[٢].

رابعا: ولأن غير واحد من المؤرخين والكتّاب النصارى قد نقلوا أيضا القول بأن إنجيل متّى كُتب قبل سائر الأناجيل الثلاثة[٣]، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: ص٤١٧ منه.

(٢) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٢٥٣.

(٣) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٠٨-٢٠٩، ورحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٥٣١، ومحاضرات أبي زهرة ص٤١.

٥ ـ وقيل إن الإنجيل أُلف في سنة٣٩م، وينسب هذا القول إلى إيرينموس[(١)(٢)].

٦ ـ قول وليم إدى[(٣)]: إن المرجح أن الإنجيل كُتب بين عام٦٠ و٦٦م.

٧ ـ أما الدكتور فهيم عزيز، فيرى أنه كتب بعد عام ٧٠م[(٤)]، وربما فيما بين عام ٧٥ و٨٠م. ثم قال: «على كل حال فإن هذا رأي غير قاطع»[(٥)]!

٨ ـ وقيل إنما كتب في السنة الثامنة من رفع المسيح عليه السلام[(٦)]. وبعبارة أخرى أن الإنجيل كتب في عام ٤١م، بناء على ما يرجحه بعض الباحثين من أن المسيح عليه السلام إنما عاش على هذه الأرض قبل أن يرفع ثلاثة وثلاثين عاما[(٧)].علاوة على أن القول بتحديد زمن كتابة الإنجيل بما ذكرتُ ـ أعني سنة: ٤١م ـ، هو قول بعضهم أيضا[(٨)].

٩ ـ وقيل بل زمن تأليف هذا الإنجيل هو ما بين عام ٧٥ و٩٠م[(٩)].

---

(١) هو نفسه: جيروم المتقدم الذكر في ص١٣١ (الهامش).

(٢) انظر: الفارق بين المخلوق والخالق لعبد الرحمن بن سليم البغدادي ص٢٠، ومحاضرات أبي زهرة ص٤٠، وإنجيل مرقس تأريخيا وموضوعيا للدكتور محمد عبدالحليم أبي السعد ص١٣٥

(٣) هو: مؤلف كتاب: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل. وانظر قوله هذا في مقدمة الكتاب: المجلد الأول.

(٤) وجاء مثله في الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٣.

(٥) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٢٤٨.

(٦) انظر: متى هنري (م.ن.) ١/ ١٣، ومحمد عبد الحليم أبو السعد ص١٣٥.

(٧) انظر: المسيح في مصادر العقائد... لأحمد عبد الوهاب ص٣١.

(٨) انظر: عبد الرحمن بن سليم البغدادي (م.ن.) ص٢١، ومحاضرات أبي زهرة ص٤١.

(٩) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ص١١/ ٢٠٨.

١٠ ـ وأما جون فنتون فيرى أن الإنجيل إنما كتب بين عام ٨٥ و١٠٥م! أو على الأقل في الربع الأخير من القرن الأول، أو في السنوات الأولى من القرن الثاني للميلاد[١].

١١ ـ وأخيرا عند بعض مفسري كتاب النصارى المقدس، حيث ذكر أن إنجيل متّى كُتب في سنة٣٧م أو٣٨م أو٤١م أو٤٣م أو ٤٨م أو ٦١ ـ ٦٢م أو ٦٤م[٢]!! فلست أدري أكان يعني كتابة إصحاحات هذا الإنجيل أم الإنجيل نفسه؟ ولو قال هذا بالنسبة للعصر الحاضر لربما التُمس له بعض العذر إذ دأبت الكنيسة اليوم على إعادة طبعات كتابها المقدس فترة بعد أخرى، فمرة يأتي منقّحا! وأخرى مراجعًا! وأخرى قياسيا! ... وهكذا دواليك.

إذًا، فعلى ضوء ما سبق يتبين أن إنجيل متّى مجهول تاريخ التأليف، ويكاد أن يكون ذلك إجماعا من النصارى أنفسهم.أما ما يذكرونه من تواريخ عدة ـ ومضت طائفة منها معنا قبل قليل ـ من غير دليل أو سند يرجح بعضها على البعض الآخر فلا عبرة بها، بل من الواضح أنه يجوز أن يكون غير ما ذكروا، والله تعالى أعلم.

ثانيا: أين كُتب إنجيل متّى؟

إن الخلاف حول المكان الذي كُتب فيه هذا الإنجيل ـ في الجملة ـ ليس بأقل من الخلاف في زمان كتابته. وقبل إيراد أشهر ما ورد في ذلك من الأقوال، أشير إلى

---

(١) جون فنتون (م.ن.) ص١١، نقلا عن: المسيح في مصادر العقائد... ص٥٩.

(٢) تفسير هورن للكتاب المقدس، المطبوع عام ١٨٨٢م، المجلد الرابع، القسم الثاني، الفصل الثاني. نقلا عن: Ajijola,A.D; (op.cit.) P.104.

أنه يلاحظ هنا أيضا التنوع في الأسلوب، فبعضهم يحدد المكان تحديدا عاما، كمن يقول إنه كتب في أرض يهودية! وبعضهم يتجرأ فيحدده بمنطقة معينة، وبعضهم يجمع بين هذا وذاك، وإليكم التفصيل:

١ ـ قول "القديس" جيروم: إن الإنجيل كتب في أرض يهودية[١].

٢ ـ وقريب منه: قول إيريناوس: إنه كُتب بين العبرانيين بلغتهم، وهو ما يفهم كذلك من قول يوسابيوس القيصري[٢]: إن متّى «كتب إنجيله بلغته الوطنية إذ كان على وشك الذهاب إلى شعوب أخرى...»[٣]. وجاء في قاموس الكتاب المقدس[٤] أنه كتب في فلسطين[٥].

٣ ـ وقيل إنه كُتب في أنطاكية، أو في مكان ـ غير محدد ـ في المنطقة المحيطة بها، أو مكانٍ ما، يقع في شمال فلسطين[٦].

٤ ـ وقيل بل كُتب في اليهودية[٧].

---

(١) انظر: الدائرة البريطانية "Micro" ٦/ ٦٩٧، وعبد الرحمن بن سليم البغدادي (م.ن.) ص٢٠، ومحاضرات أبي زهرة ص٤٠.

(٢) يوسابيوس القيصري، أسقف قيصرية: المؤرخ الكنسي الشهير، يعتبر أعلم جميع الآباء الكنسيين باستثناء كل من أوريجانوس وجيروم. ولد في عام ٢٦٠م، وتوفي في حوالي سنة ٣٤٠م. الدائرة الأمريكية ١٠/ ٥٨٤.

(٣) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١٤٩.

(٤) ص٨٣٢.

(٥) فلسطين أو الأرض المقدسة: (انظر: التعريف بالكنعانيين في ص٧١).

(٦) انظر: فريدريك جرانت (م.ن.) ص١٤٠، نقلا عن: المسيح في مصادر العقائد... لأحمد عبد الوهاب ص٥٩.

(٧) انظر: وليم إدى (م.ن.) المقدمة.

٥ ـ وقيل إنما كتب في أورشليم[١].

٦ ـ ما حكاه الدكتور بوكاى عن بعضهم أنهم يقولون: إن الإنجيل أُلف في سوريا أو فينيقية، أو أنطاكية[٢].

هذا، والخلاف هنا كسابقه، ليس هناك مستند لترجيح أحد هذه الأقوال على غيره، ولا يمكن أن تكون جميعها صحيحة، لذا يمكننا القول بأن إنجيل متّى كما أنه مجهول زمن التأليف، فهو أيضا مجهول مكان التأليف، فهل هذه منقبة لهذا الكتاب المقدس ـ عند مقدّسيه ـ أو مثلبة؟ على النصارى أنفسهم إجابة هذا السؤال بالإنصاف والتجرد والموضوعية.

د . لماذا كُتب هذا الإنجيل، ولمن؟

أولا: لماذا كتب صاحب إنجيل متّى إنجيله؟

هذا السؤال وإن كان واحدا إلا أن الإجابة عنه ذات شقين، الأول: هدف الكاتب، والثاني: دواعي التأليف أو سببه المباشر.

أما عن هدف كاتب هذا الإنجيل، فقد كان من أهدافه العظمى وهو يكتب الإنجيل إظهار يسوع الناصري على أنه المسيح الذي انتظره اليهود، وأنه أتمّ كافة انتظارات العهد القديم، فلذلك افتتح إنجيله هذا بقوله: «كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود، ابن إبراهيم»[٣]، ثم بدأ في سرد النسب من إبراهيم النبي عليه السلام.

---

(١) انظر: عبد الرحمن البغدادي (م.ن.) ص٢٠، ومحاضرات أبي زهرة ص٤٠.

(٢) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 60

(٣) متّى ١/ ١.

فهل كان قصده أن يُعرّفَ بأسرة يسوع الناصري، كلاّ وإنما قصد بهذا الأسلوب إظهار كونه (المسيح) هو الملكَ ابن داود، وحيث قد ورد في العهد القديم الوعد لداود ﷺ ألا ينقطع الملك من بيته إلى الأبد[١] [٢]. ويدل على هذا أيضا كثرة استشهاده بفقرات من العهد القديم، خاصة في النبوات التي زعم أنها قد تحققت في المسيح ﷺ[٣].

أما السبب أو الدافع لمباشرته عمليةَ كتابة الإنجيل ففيه قولان اثنان، أحدهما أن الكاتب إنما باشر الكتابة بدون طلب من أحد، بل بمبادرة ذاتية منه. يقول يوسابيوس: « لأن متّى الذي كرز أولا للعبرانيين، كتب إنجيله بلغته الوطنية إذ كان على وشك الذهاب إلى شعوب أخرى، وبذلك عوض من كان مضطرا لمغادرتهم عن الخسارة التي كانت مزمعة[٤] أن تحل بهم بسبب مغادرته إياهم »[٥].

والقول الثاني أن الكتابة جاءت استجابة لطلب اليهود الذين تنصّروا، أو إجابة لأمر الرسل[٦][٧].

---

(١) انظر: ٢ ـ صموئيل ٧/ ١٢-١٧.

(٢) فهيم عزيز (م.ن.) ص٢٥٩.

(٣) انظر: الدائرة البريطانية "Micro" ٦/ ٦٩٧، و Bucaille,Maurice(op.cit.) P.59، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٢٦١ بتصرف.

(٤) الزماع: هو المضاء في الأمر والعزم عليه. انظر: القاموس ص٩٣٧، ولسان العرب ٦/ ٨١.

(٥) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١٤٩.

(٦) الرسول في المفهوم الكنسي النصراني قد يطلق ويقصد به تلاميذ المسيح الاثني عشر، أو جميع المبشرين بالإنجيل. انظر: قاموس ك.م. ص٤٠٣.

(٧) انظر: عبد الرحمن البغدادي (م.ن.) ص٢٠، ومحاضرات أبي زهرة ص٤٠.

ثانيا: هذا الإنجيل كُتب لمن؟

تقول معظم المصادر والمراجع، نصرانية كانت أو غيرها إنّ إنجيل متّى كُتب من أجل كنيسة يهودية مسيحية، وبلفظ آخر، للمتنصرين من اليهود[١]. بينما نقرأ في بعض المراجع أن الإنجيل إنما كتب للنصارى من الأمميين[٢]. فإن كان ثمة شيء يستفاد من هذا فهو أن القوم أبوا إلا أن يختلفوا في كل صغير وكبير حول هذا الكتاب، وهيهات هيهات أن يتفقوا.

هـ- هل كتب متّى الحواري الإنجيل المنسوب إليه؟

قبل الشروع في تناول هذا الموضوع الحسّاس، أنبه إلى خطأ يقع فيه بعض الباحثين المعاصرين من المسلمين ـ والأمانة العلمية تقتضي بيانه ـ من نسبة هذا الإنجيل إلى متّى الحواري، وذلك كقولهم: إنجيل متّى: "كتبه أو كاتبه متّى أحد تلاميذ المسيح عليه السلام الاثني عشر". مع أن الحقيقة باتت واضحة ويقر بها جمع غفير من النصارى أنفسهم ألاّ علاقة بين الإنجيل الذي يحمل اسم متّى، ومتّى التلميذ المقرب من المسيح عليه السلام.

انقسمت الكنيسة ورجالها حول حقيقة كاتب إنجيل متّى إلى ثلاثة آراء رئيسة، أوردها فيما يلي موجزة:

الأول: ـ الرأي الكنسي التقليدي ـ وهو أن متّى تلميذ المسيح وأحد حواريّيه

---

(١) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٣١٧، ووليم إدى (م.ن.) ـ المقدمة ـ وقاموس ك.م. ص٨٣٢، والبشارة بنبي الإسلام للسقا ١/ ٧٥، والدائرة البريطانية "Micro" ٦/ ٦٩٧.

(٢) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٣.

هو كاتب هذا الإنجيل. وهذا ما كان عليه آباء الكنيسة القدماء، أمثال جيروم، وأوريجاونس وغيرهما، وممن قال به من المعاصرين: الآب تريكو، والدكتور وليم إدي، وغيرهما[١].

الثاني: أن متّى الحواري ليست له أي صلة بهذا الإنجيل، ومن أشهر من يمثّلون هذا الرأي: الكاتب القبطي، حبيب سعيد[٢].

الثالث: ـ وهوالرأي الوسط، كما يسمونه ـ إذ يريد أصحاب هذا الرأي احترام رأي آباء الكنيسة التقليدي، وفي الوقت ذاته أرادوا التغلب على العقبة الرئيسة في ذلك، وهي أن هذا الرأي التقليدي يعارض كثيرا من الحقائق العلمية فقالوا: إن التعاليم التي يذكرها هؤلاء الآباء من مجموعة التعاليم الموجودة في إنجيل متّى هذا، قد أخذها شخص آخر وربطها بمجموع الحوادث الموجودة في مصادر أخرى، معلومةٍ وغير معلومة[٣].

فهذه هي الآراء الثلاثة كما تُذْكر، وأرى أن ليس هناك في الواقع سوى رأيين فقط هما الأول والثاني، أما الأخير فلو تأملناه لوجدنا أنه يرجع إلى الرأي الثاني نفسه، أعني القائل بأن شخصا ما غير متّى الحواري هو كاتب الإنجيل المعروف اليوم بإنجيل متّى، بصرف النظر عن المصادر التي اعتمدها في الكتابة والتحرير.

---

(١) انظر: وليم إدى (م.ن.) ـ المقدمة ـ، وBucaille, Maurice (op.cit.) P.60، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٢٤٢-٢٤٥.

(٢) انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس لحبيب سعيد ص٢٤١ و٢٤٥، نقلا عن: محمد علي زهران (م.ن.) ص١٣٣و١٣٥. وBucaille, Maurice (op.cit.) P.60.

(٣) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٢٤٥.

فمن ثم، من الآن فصاعدا سوف يدور الحديث حول هذين الرأيين فقط.

الأدلة والحجج :-

أولا : ما يحتج به أصحاب الرأي التقليدي:-

١ ـ أن وضع اسم متّى على هذا الإنجيل (أي نسبته إليه) قديم جدا، منذ حوالي سنة ١٢٥م[(١)].

٢ ـ ما جاء في إنجيل لوقا أن لاوي (وهو في اعتقادهم متّى نفسه كما تقدّم) صنع للسيد المسيح وليمة كبيرة في أول عهده بالتلمذة[(٢)]، وقد أشار متّى نفسه إلى هذا[(٣)].

٣ ـ ولوجود الشواهد والبيّنات الواضحة من نهج الكتابة، تدل على أن الكاتب يهودي متنصّر.

٤ ـ أنه من غير المعقول أن إنجيلا خطيرا كهذا، هو في مقدمة الأناجيل ينسب إلى شخص مجهول، فالأولى أن ينسب إلى أحد تلاميذ المسيح عليه السلام.

٥ ـ أنه من المسلّم به كون جابي الضرائب عادة يحتفظ بالسجلات، إذ هذا من أهم واجباته لتقديم الحسابات، فكذلك فإن كاتب هذا الإنجيل قد احتفظ بأقوال المسيح بكل دقة[(٤)].

---

(١) نفسه ص٢٤٢-٢٤٣.

(٢) انظر: لوقا ٥/ ٢٩-٣٢.

(٣) انظر: متّى ٩/ ١٠-١٣.

(٤) انظر فيما تقدم من الأدلة (٢-٥): قاموس ك.م. ص٨٣٢.

٦ ـ قول باباس[١] ـ من علماء النصارى في القرن الثاني للميلاد ـ: « وهكذا كتب متّى الأقوال الإلهية باللغة العبرانية، وفسرها كل واحد على قدر استطاعته »[٢].

فهذه الأمور الستة هي مستند الكنيسة في نسبة الإنجيل إلى متّى، أحد تلاميذ المسيح عليه السلام. وقد أوردتها من غير تصرف مني بتعقيب أو نحوه مراعاة للأمانة العلمية. فالآن أعود إلى مناقشتها واحدةً تلو أخرى، وبالله تعالى التوفيق.

أولا: أما احتجاجهم بوضع اسم متّى على الإنجيل منذ زمن قديم كما زعموا، فلا حجة لهم فيه لما يأتي:-

١ ـ إقرارهم واعترافهم بأن هذا لم يكن من ضمن النص الأصيل للإنجيل[٣]، وإنما أقدم على إضافته من أضافه بعد مرور زمن طويل على تأليف الإنجيل نفسه، وبالتأكيد بعد وفاة متّى الحواري الذي لم يشذ أي مصدر أو مرجع فيقول إنه عاش بعد انقضاء المائة الأولى بعد ميلاد المسيح عليه السلام.

٢ ـ فمن غير المستبعد أن يكون هؤلاء الآباء القائلون بنسبة الإنجيل إلى متّى الحواري قد لجأوا إلى وضع اسمه في العنوان لحمل عامة الأتباع على هذا الاعتقاد أيضا. يقول حبيب سعيد: « ويصح القول: إن العناوين الحالية للبشائر الثلاث [متّى ومرقس ولوقا] إنما هي عناوين تقليدية »[٤].

(١) هو: باباس هيرابوليس، أحد الآباء الكنسيين، قتل مع بوليكارب في عام ١٥٥م. الدائرة البريطانية ١٧/ ٢٣٨ب ـ ج.

(٢) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١٧٨.

(٣) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٢٤٢-٢٤٣.

(٤) المدخل إلى الكتاب المقدس لحبيب سعيد ص٢٢١، نقلا عن محمد علي زهران (م.ن.) ص١٣٥.

٣ ـ ومن جهة أخرى، إذا رجعنا إلى الترجمة الإنجليزية للإنجيل نجد أن المكتوب في عنوانه هو: "THE GOSPEL ACCORDING TO MATTHEW" أي: الإنجيل وفقاً لمتّى، أو بحسب متّى، وليس كما نقرأ في الترجمة العربية: "إنجيل متّى" أي بالإضافة. إذًا، فما ذا يستفاد من العبارة: "وفقا لـ أو بحسب"؟ يستفاد منه ـ والله أعلم ـ أن الكاتب غير متّى، ولم يدع شخصية متّى أصلا وإنما ادّعى فقط ـ أو ادّعى أيا كان واضع العنوان ـ أن إنجيله هذا موافق لإنجيل متّى، أو لأقوال متّى، أو لأسلوب متّى ...الخ[1]، بصرف النظر عن صحة الدعوى أو عدمها، إذ كل دعوى لا بد لها من بيّنة.

ثانيا: ذكرهم لإقامة لاوي العشار وليمةً كبيرة للمسيح عليه السلام في أول عهده في التتلمذ عليه... الخ كما جاء في كل من إنجيل متّى ولوقا. والجواب عنه من أوجه:-

١ ـ أنه احتجاج بمحل الخلاف فهو باطل مردود، إذ كيف تحتجون بنصوص من إنجيل متّى وهو نفسه محل الاختلاف والنزاع؟

٢ ـ أما بالنسبة للنص من إنجيل لوقا، فنلاحظ أن المذكور لاوي وليس متّى، وقد قدّمت ما يثبت أن لا دليل على أن لاوي العشار هو نفسه متّى[2].

٣ ـ ثم لو سلمنا جدلا بما يذكره الإنجيلان بهذا الصدد، فما هو وجه الاستدلال منه على أن كاتب هذا الإنجيل هو مقيم تلكم الوليمة المزعومة؟ إذ غاية ما في الأمر أن يثبت تتلمذُ مقيم الوليمة على المسيح عليه السلام، ويبقى بعيدَ الصلة

---

(١) بتصرف من: شريط مناقشة ديدات مع شواغارت.

(٢) انظر: ص٣٨٦.

بالإنجيل المنحول عليه للأدلة الكثيرة على ذلك.

ثالثا: قولهم بوجود الدلائل من منهج كتابة الإنجيل، تقتضي أن يكون الكاتب يهوديا متنصرا.

فأقول نعم، وهل هذا يكفي لإثبات نسبة الكتاب إلى متّى التلميذ الحواري؟ كلاّ، إذ لا إشكال في يهودية كاتب هذا الإنجيل ولا في تنصّره كما أسلفت[1]. لكن ألستم تزعمون أن عشرات بل مئات من اليهود قد تنصروا؟ فما دليلكم إذًا على أن متّى هو ذلك الكاتب اليهودي المتنصر؟

رابعا: أما حجتهم ـ أو شبهتهم بالأحرى ـ الرابعة، وهي أن إنجيلا خطيرا كهذا، والذي يأتي في مقدمة الأناجيل، لا يعقل أن ينسب إلا إلى أحد تلاميذ المسيح عليه السلام، فيتم إبطالها من الأوجه الآتية:

١ ـ بأسلوب قلب الدليل، نقول: بل من غير المعقول أن ينسب إنجيل كهذا، مليئ بالتناقضات والأخطاء والشركيات إلى من هو أدنى منزلة من أتباع المسيح عليه السلام، فضلا عن تلميذ من تلاميذه وحوارييه وخاصته، رضي الله عنهم.

٢ ـ أننا لا ندري متى كانت الخطورة شرطا أساسيا أو مطلبا ضروريا لصحة نسبة كتاب إلى صالح من الصالحين! فوالله إن الذي ظهر لي بعد الاطلاع على هذه الحجة الواهية أن الله إنما أنطق صاحبها حتى يصرح بهذه الحقيقة الذهبية من وجهة نظر النقد العلمي، ألا وهي أن خطورة هذا الإنجيل وما ينطوي عليه من الأفكار

---

(١) انظر: ص٣٨٧.

التي لا تتفق والفطرةَ التي فطر اللهُ عبادَه عليها، دفعت الكنيسة ممثَّلةً في هؤلاء الآباء، إلى نسبته إلى أحد تلاميذ المسيح عليه السلام كي يقبله عوام النصارى، ولا يجرؤ أحد أن يعترض عليه، وأنّى له ذلك وهو يعتقد أن ما بين يديه هو من تلميذ مخلصهم يسوع المسيح كما يدّعون.

٣ـ أما الركيزة الثانية التي تعتمد عليها هذه النسبة الوهمية، وفق هذه الشبهة، فهي صدارة هذا الإنجيل لبقية الأناجيل الأخرى في كتاب النصارى المقدس. وأي أناجيل؟ أأناجيل تنسب إلى المجاهيل وتتخللها المناكير والأساطير تكون لها هذه الميزة من التوثيق والتثبيت؟!!!

خامسا: قولهم إن كاتب الإنجيل قد احتفظ بأقوال المسيح بكل دقة كشأن أي جاب للضرائب عادةً في الاحتفاظ بالسجلات. والجواب من وجوه:-

١ ـ أن وصف الجباية هذه، من جهة فإنها من الأوصاف الطردية كما يقول علماء الأصول[1]، فلا عبرة بها البتة. ومن جهة ثانية: إنها من الأوصاف العامة المشتركة كاليهودية والتنصّر. فهب أن متّى التلميذ كان جابيا يهوديا متنصّرا، فما دليلكم على عدم وجود جابٍ يهودي متنصّر آخَر، سواء في عصره أو بعده؟وإن قالوا: دليلنا هو عدم العلم به، قلنا: إن عدم العلم بالشيء ليس علما بعدمه، فإن عدم الدليل المعيّن لا يستلزم عدم المدلول المعيّن[2]، وبالله تعالى التوفيق.

(١) الوصف الطردي هو: ما ليس من شأنه تعليق الحكم عليه، كاسم الشخص وهيئته من طول أو قصر ونحوهما في علة الرجم مثلا. انظر: بدر الدين الزركشي (م.ن.) ٥/ ١٣٢، ومباحث العلة في القياس عند الأصوليين لعبد الحكيم عبد الرحمن السعدي ص١٩٨.

(٢) أصل هذه القاعدة من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، انظر: التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية =

٢ ـ لقد قام بعض الدارسين الناقدين للأسفار المقدسة لدى النصارى بدراسة تحليلية لهذا الإنجيل وتوصل في الأخير إلى أن كاتبه يتصف ببعض الصفات هي بعيدة كل البعد عن صفات الموظف البيروقراطي[1] ـ جابي الضرائب ـ والذي أصبح واحدا من تلاميذ المسيح ﷺ. ومن هذه الصفات: تبحره في الكتب المقدسة والتراث اليهودي، وإجادة فن التدريس وإفهام قول المسيح لمستمعيه مع تأكيده الدائم على النتائج العملية لتعاليمه[2].

سادسا: وأما بالنسبة لقول بابياس الذي عاش في القرن الثاني للميلاد، فلعلي أطيل النفس بعض الشيء في مناقشته سندا ثم متنا، مستعينابالله ﷻ في ذلك كله. وذلك نظرا لأهميته التي تتجلى في عدة أمور من أهمها: أنه أقدم ما يعتمد عليه النصارى في نسبة هذا الإنجيل إلى متّى الحواري، ولأنه لا يكاد يخلو كتاب من كتبهم من ذكر هذا القول في معرض الاحتجاج على ثبوت نسبة الإنجيل إلى متّى.

أ. مناقشة هذا القول من ناحية حال قائله.

ولنبدأ من قائل القول نفسه وهو بابياس، لنرى وضعه من حيث الحفظ والضبط، فضلا عن العدالة التي هو أبعد ما يكون عنها. فماذا يقول عنه يوسابيوس القيصري، صاحب أحد أقدم كتب التأريخ الكنسي ـ إن لم يكن أقدمها

=

للأستاذ فالح بن مهدي آل مهدي ١/ ٦٨.

(١) البيروقراطية "Bureaucracy": الدواوينية، أو روتين حكومي مغالًى فيه. انظر: المورد لمنير البعلبكي ص١٣٦.

(٢) انظر: Bucaille,Maurice (op.cit.) P. 60-61.

على الإطلاق ـ يقول عن بابياس وأقواله: « وأظن أنه وصل إلى هذه الآراء بسبب إساءة فهمه للكتابات الرسولية... إذ يبدو أنه كان محدود الإدراك جدا كما يتبين من أبحاثه »[١]. ويقول عنه أيضا: « ويدون نفس الكاتب [أي بابياس] روايات أخرى يقول إنها وصلته من التقليد غير المكتوب، وأمثالا وتعاليم غريبة للمخلّص، وأمورا أخرى خرافية »[٢].

هذا عن حالة الرجل في الحفظ والضبط، فكيف بأسلوبه في الرواية والنقل؟ قال يوسابيوس: « أما بابياس نفسه فإنه في مقدمة أبحاثه لا يصرح بأي حال من الأحوال بأنه كان مستمعا أو معاينا للرسل المباركين، ولكنه يبين في كلماته أنه قد تلقى تعليم الإيمان من أصدقائهم فهو يقول:...وكلّما أتى أحد ممن كان يتبع المشايخ[٣] سألته عن أقوالهم... »[٤].

إذًا، بابياس سيئ الحفظ والفهم، ومحدود الإدراك جدا، ويروي الغرائب والمناكير والخرافات، بالإضافة إلى أنه ليس لديه سند متصل عن آباء الكنيسة، وكذلك لا يتحرى في النقل. فكيف تعتبر الكنيسة أقوال من هذا حاله وطريقته في التحمل والأداء؟ نعود إلى المؤرخ الكنسي نفسه الذي يجيب عن هذا التساؤل في كلمات قلائل فقال: « وإليه يرجع السبب في أن الكثيرين من آباء الكنيسة من بعده اعتنقوا نفس الآراء مستندين في ذلك على أقدمية الزمن الذي عاش فيه [أي

---

(١) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١٧٧.

(٢) نفسه.

(٣) يعني آباء الكنيسة وعلمائها. انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١٧٥ (الهامش).

(٤) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١٧٥.

بابياس]»[١]. ويبقى أن أضيف: هل تكفي مجرد أقدمية الزمن كهذه في الشهادة لكتاب بأنه كلام رب العالمين؟ نترك الجواب للنصارى أنفسهم.

ب. مناقشة هذا القول من حيث المتنُ:- وذلك من خلال النقاط الآتية:-

١ ـ أن النصارى أنفسهم لم يتفقوا على أن مقصود بابياس في هذا النص المنسوب إليه هو الإنجيل الذي يحمل اسم متّى، حيث يرى بعضهم أنه يقصد إنجيلا آخر، قد تكون من الأناجيل التي لا تعترف بها الكنيسة كإنجيل العبرانيين مثلا[٢].

٢ ـ أن بابياس نفسه صرّح في النص بأن هذه الأقوال الإلهية كتبها متّى بالعبرانية، وهناك اعتقاد في بعض الأوساط النصرانية أن الإنجيل الذي يحمل اسم متّى إنما كتب أصلا باليونانية لا بالعبرية[٣].

٣ ـ ولأن عبارة "الأقوال الإلهية" ـ كما وردت في هذا النص ـ قد لا تعني بالضرورة محتوى الإنجيل ومضمونه، وقد تقدم معنا بيان المراد بالإنجيل في اللغة وفي العرف الكنسي. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن العبارة في الترجمة الإنجليزية[٤] هي: "Oracles"، والمعنى الحرفي لها هو: تكهنات الكاهن[٥]، وليس الأقوال الإلهية ولا البشارات.

---

(١) نفسه ص١٧٧.

(٢) فهيم عزيز (م.ن.) ص٢٤٤.

(٣) راجع: محاضرات أبي زهرة ص٤١، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٢٤٣، والدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٣.

(٤) انظر: نص كلام بابياس في الدائرة البريطانية "Micro" ٦/ ٦٩٧.

(٥) انظر: Encyclopedic World Dictionary, Edited by: Patrick Hanks P.106، والمورد لمنير البعلبكي (م.ن.) ص٦٣٦.

ثانيا: ما يحتج به القائلون بعدم ثبوت نسبة الإنجيل إلى متّى الحواري.

أ ـ اعتماد الكاتب على إنجيل مرقس، وهذا قول غالبية علماء النصارى وعامتهم، حيث يؤكدون أن كاتب إنجيل متّى قد استخدم أواعتمد على معظم ما جاء في إنجيل مرقس، بل وأنه أكثر استخداما له من الإنجيلي الآخر: لوقا، فإنجيل مرقس يحتوي على واحد وستين وستمائة فقرة، أكثر من ستمائة منها[١] موجود في إنجيل متّى، وثلاثمائة وثلاثون منها في إنجيل لوقا[٢].

فمن هنا ينطلق أصحاب هذا الرأي ليتساءلوا قائلين: لو قيل إن لوقا اقتبس معظم مادة إنجيله من مرقس لما كان هناك أي إشكال، إذ هو ـ بحكم شهادة التقليد الكنسي ـ أقرب إلى الأصول من لوقا، ولكن كيف يعتمد متّى على مصدر لم يكن له نفس الدرجة من القرب التي ثبتت له هو[٣]؟

ولكي يتضح الأمر أكثر، تجب الإشارة إلى أن أقوى قولي النصارى بالنسبة لمرقس أنه تلميذ لبطرس الذي كان أحد تلاميذ المسيح عليه السلام[٤]، ولا خلاف بينهم في أن متّى من تلاميذ المسيح المعاصرين له والمعاينين للأحداث في وقته عليه السلام.

ومما تدعو الحاجة لمعرفته بهذا الصدد، أن مرقس هذا في وقت قيام المسيح

---

(١) أي أكثر من ٩٠٪.

(٢) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٠ و٩٥٣، والدائرة البريطانية "Micro" ٦/ ٦٣٣ و٦٩٧، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٢٤٣، وDeedat,Ahmed; Is the Bible God's Word P.28

(٣) فهيم عزيز (م.ن.) ص٢٤٤، بتصرف.

(٤) لأن لهم قولا ثانيا سوف يأتي الحديث عنه قريبًا إن شاء الله.

عليه السلام بالدعوة على وجه الأرض لم يزل غلاما[١] ربما في العاشرة من عمره[٢]، وكان متّى آنذاك رجلا موظّفا في مصلحة جباية الضرائب، أو ما يسمى بالجمارك في الوقت الحالي.

أضف إلى هذا أن متّى الحواري رجل يهودي عبراني أصيل، في حين أن مرقس في الأصل أممي وفدت أسرته إلى أورشليم[٣].

فيا ترى كيف يعتمد متّى التلميذ على مرقس تلميذ التلميذ؟ أم كيف يحق لمتّى وهو شاهد عيان، حاك عن المسيح قوله وهو يخاطب تلاميذه: «ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر، ولآذانكم لأنها تسمع، فإني الحق أقول لكم، **إن أنبياء وأبرارا كثيرين اشتهوْا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا**»[٤]، فكيف يحق له أن يعدل بعد كل هذا عما شاهد بعيني رأسه، وما سمع بأذنيه لينتحل كتاب غلام، عمره عشر سنين! إن الحواري متّى لن يقدم على تصرف أحمق كهذا[٥].

ب ـ أن أسلوب كاتب هذا الإنجيل في حكاية الأحداث والوقائع وسردها أشبه بأسلوب الراوي الذي جلس يفكر ويرتب ما أخذه من مصدر وسيط، منه

---

(١) انظر: تأريخ مرقس البشير لكامل نخلة ص٤٩، نقلا عن: محمد عبد الحليم أبو السعد (م.ن.) ص١٥١.

(٢) انظر: Deedat, Ahmed; Is the Bible God's Word? P.29

(٣) انظر: كامل نخلة (م.ن.) ص٤٨، نقلا عن: محمد عبد الحليم أبو السعد (م.ن.) ص١٥٠-١٥١.

(٤) متّى ١٣/ ١٦-١٧.

(٥) انظر: Deedat, Ahmed; (ibid)، بتصرف.

بأسلوب شخص شاهد الأحداث بعينيه ثم دوّن ما رأى وعرف[١]، فكثيرا ما نقرأ في هذا الإنجيل عبارات كهذه: فقال يسوع لتلاميذه، ولما جاء تلاميذه، فتقدم التلاميذ وقالوا له... الخ. وحتى فيما يتعلق بشخصية متّى نفسه نجد الكاتب يحكي فيقول: «رأى إنسانا جالسا عند مكان الجباية، اسمه متّى فقال له اتّبعني فقام وتبعه»[٢].

ج ـ أن متّى الحواري كتب إنجيله بالعبرانية، ـ كما تقدم عن بعض علماء النصارى[٣] ـ وإنجيل متّى الموجود اليوم مكتوب أصلا باليونانية، وليس مترجما من العبرانية[٤].

د ـ ولأن هذا الإنجيل لم يُكتب إلا بعد مضي وقت طويل ـ قدره بعضهم بخمسين أو ستين سنة[٥] ـ على الوقائع والأحداث التي يسجلها الكاتب فيه، كما يدل عليه بعض عبارات الإنجيل نفسه، مثل: «إلى هذا اليوم»[٦][٧]. فيرى أصحاب هذا القول أنه بعيد جدا أن شاهد عيان من تلاميذ المسيح ﷺ ينتظر هذه المدة الطويلة قبل أن يسجل الذكريات التي نُقشت على قلبه وترسخت في ذهنه[٨].

---

(١) انظر: Ajijola,A.D; (op.cit.) P. 96-97، وDeedat,Ahmed; (ibid) P.26، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٢٤٤.

(٢) متّى ٩/ ٩.

(٣) راجع: ص٤٠٠.

(٤) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٢٤٣.

(٥) المدخل إلى الكتاب المقدس لحبيب سعيد ص٢٤٥، نقلا عن: محمد علي زهران (م.ن.) ص١٣٣.

(٦) انظر: متّى ٢٧/ ٨، و٢٨/ ١٥.

(٧) انظر: وليم إدى (م.ن.) ـ المقدمة ـ وفهيم عزيز (م.ن.) ص٢٤٨.

(٨) انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس لحبيب سعيد ص٢٤٥، نقلا عن محمد علي زهران (م.ن.) =

الترجيح:.

بعد كل هذه الجولات نرى أن القول الصحيح والذي لا يجوز سواه، أن نسبة هذا الإنجيل إلى تلميذ من تلاميذ المسيح ﷺ، وهو متّى، نسبة باطلة ووهمية ولا أساس لها، وذلك للأمور الآتية:-

١ ـ ضعف حجج القائلين بهذه النسبة، كما رأينا في المناقشة التفصيلية لها.

٢ ـ قوة ما استدل به النافون لهذه النسبة ووجاهته.

٣ ـ ولأنه لو كان كاتب هذا الإنجيل هو ذاك التلميذ الأمين الذي شاهد بنفسه جملة من هذه الأمور، فلا أقل من أن يظهر من كلامه في موضع من المواضع أنه إنما يكتب الأحوال التي شاهدها وعرفها بنفسه، ولعبّر عن نفسه بصيغة المتكلم ولو في بعض الأماكن منه[1]. ألا ترى أن لوقا في إنجيله، وفي الإصحاحات الأولى من سفر أعمال الرسل كذلك، التزم هذا الأسلوبَ ـ أعني أسلوب الناقل الذي لم يشهد ـ ولكن بعد ما صار شريكا لبولس ومرافقا له في رحلاته، بدأ يعبر عن نفسه بصيغة المتكلم، ويلاحَظ هذا بكل وضوح ابتداءً من الفقرة العاشرة من الإصحاح السادس عشر من سفر الأعمال[2].

٤ ـ ولأن هذا الإنجيل يحوي أمورًا هي في الحقيقة من ممارسات الكنيسة

=

ص١٣٣، بتصرف.

(١) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٥٣٧، وDeedat,Ahmed;Is the Bible God's Word P.26.

(٢) قال الشيخ رحمت الله الهندي رحمه الله في إظهار الحق٢/ ٥٣٧ إنّ ذلك يبدأ من الإصحاح العشرين، ولكنني بعد الاطلاع على السفر وجدت أن الأمر كما ذكرت ههنا، والله تعالى أعلم.

وبدعها في الوقت المتأخر، ولا تمت بأي صلة إلى تعاليم المسيح ﷺ. ومن الأمثلة على هذا ما ورد فيه على لسان المسيح: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»[١]. وقد تقدم معنا في الباب التمهيدي ذكر بعض البراهين على أن عالمية الدعوة المسيحية بدعة استحدثت بعد رفع المسيح ﷺ. كما أن التعميد باسم الآب والابن والروح القدس مما أُحدث بعده أيضا، وذلك لأن التعميد أو المعمودية في العصور الأولى للنصرانية ليس إلا باسم المسيح فقط، حسب ما يذكر في كتاب النصارى المقدس ذاته[٢]. وجاء في دائرة المعارف البريطانية أن إنجيل متّى «يُدعى كثيرا بالإنجيل الإكليريكي (القسيسي)[٣] ...لأنه يتعامل إلى درجة كبيرة مع حياة وسلوك الكنيسة وأعضائها»[٤][٥].

٥ ـ ولوجود تصريحات واعترافات لعدد من علماء النصارى بأن هذا الإنجيل مزور نسبته إلى متّى الحواري، وإليكم طرفا منها:

أ ـ قول حبيب سعيد: «وكنّا نود أن نعرف من كان هذا الكاتب الذي أطلق على نفسه اسم متّى، وبيّنٌ أنه لم يكن أحد التلاميذ الاثني عشر»[٦].

---

(١) متّى ٢٨/ ١٩.

(٢) انظر: الأعمال ١٩/ ٣-٥.

(٣) اقرأ ما كتبه الدكتور فهيم عزيز في المدخل إلى العهد الجديد ص٢٤٢.

(٤) الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٣.

(٥) راجع فيما تقدم: Ajijola,A.D; (op.cit.) P. 97.

(٦) المدخل إلى الكتاب المقدس لحبيب سعيد ص٢٤٥، نقلا عن: محمد علي زهران (م.ن.) ص١٣٣.

ب ـ قول الكاهن ج.ب. فيليبس[١]: «نسبت التقاليد القديمة هذا الإنجيل إلى حواري متّى، ولكن العلماء في الوقت الحاضر يكادون أن يجمعوا على رفض هذا الرأي»[٢].

ج ـ وفي دائرة المعارف البريطانية: «إنَّ الإنجيل بحسب متّى كتب بالتأكيد لكنيسة يهودية مسيحية، في بيئة يهودية قوية، لكن كون هذا متّى [الحواري] هو قطعا مؤلف الإنجيل السينوبتي[٣] مشكوكا فيه جدا»[٤].

هذا، وإذ بطلت نسبة الإنجيل إلى متّى الحواري، فمن هو الكاتب الحقيقي، ولماذا لم يُظهر اسمه؟ خاصة أنه يكتب كتابا ـ في ظنه ـ دينيا، قد يكفل له الشرف الدنيوي والخلاص الأخروي.

أما بالنسبة للسبب وراء كتمان اسم الكاتب فهو ما قدّمت الإشارة إليه[٥] من أن رغبته ـ أو أيا كان واضع اسم متّى على الإنجيل ـ في أن ينال العمل قبولا وإقبالا لدى عامة النصارى، هو السبب الرئيس لهذا التزوير المقدس، إن جاز التعبير. وأما

---

(١) J.B.Philips: موظف رسمي بالكنيسة الأنجليكانية في إنجلترا كما يصفه الشيخ أحمد ديدات في كتابه: هل الكتاب المقدس كلام الله ـ النسخة الإنجليزية ـ ص٢٦.

(٢) مقدمة القس فيليبس لترجمة الأناجيل إلى اللغة الإنجليزية المعاصرة، نقلا عن: Deedat, Ahmed; (ibid) P.26.

(٣) السينوبتي أي "Synoptic": اسم يطلق على الأناجيل الثلاثة الأولى (متى ومرقس ولوقا) بمعنى التشابه. أي الأناجيل المتشابهة، وذلك في مقابل الإنجيل الرابع (يوحنا). انظر: قاموس ك.م. ١٢١.

(٤) الدائرة البريطانية "Micro" ٦/ ٦٩٧.

(٥) انظر: ص٣٨٦-٣٨٧.

الحديث عن هوية الكاتب نفسه، فيجرنا إلى ساحة جديدة للأخذ والرد، والاختلاف والنزاع بين علماء النصارى وكتّابهم، وإليكم أشهر أقاويلهم في هذا أيضا:

أ ـ أن الكاتب مجهول، وإنما يعرف فقط ببعض صفاته المستفادة من الإنجيل نفسه، ومنها: أنه كان يهوديا عارفا بأسرار اليهودية ملما بدقائقها، وقد عاش خارج فلسطين... الخ »[١].

ب ـ أن الكاتب تلميذ في مدرسة (فكرية)[٢] اسمها مدرسة متّى[٣].

ج ـ أن الإنجيل من إنتاج مدرسة كان يرأسها رجل لديه معرفة بطرق اليهود في التدريس والتفسير[٤].

د ـ أن الكاتب أحد أتباع متّى الحواري[٥].

هـ ـ أن الإنجيل من تأليف زعيم من زعماء كنيسة أنطاكية[٦].

ولا مانع من وجود تداخل في بعض هذه الأقوال كما لا يخفى. وعلى كل حال، فإنها جميعا أقوال عارية عن دليل أو بيّنة، وغالبا ما يذكرها أصحابها بعد قولهم: "ربما" أو "قد يكون" أو "يحتمل" وغير ذلك من عبارات الشك والحيرة، والله المستعان.

---

(١) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٢٤٥-٢٤٧، وما تقدم في ص٣٨٦ من هذا الكتاب.

(٢) هذه المدرسة هي الأخرى كذلك مجهولة!

(٣) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٢٤٥.

(٤) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٣.

(٥) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٠٨.

(٦) انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس لحبيب سعيد ص٢٤٥، نقلا عن: محمد علي زهران (م.ن.) ص١٣٣.

وإن كان لا بد من كلمة أختم بها الحديث حول تأريخ أو إسناد هذا الإنجيل، فهي أن أقول: يا معشر النصارى! أليس أحرى وأجدر أن ننفي نسبة هذا الإنجيل إلى رب العالمين، خاصة وقد تأكد لنا أن لا صلّة البتة بينه وبين متّى الحواري ولا أستاذه يسوع المسيح، رسول رب العالمين؟

ثانيا: إنجيل مرقس.

أ ـ تعريف موجز بإنجيل مرقس.

الإنجيل حسب مرقس هو الثاني في ترتيب أناجيل العهد الجديد الأربعة ـ أي بعد إنجيل متّى ـ. ومع ذلك يعتبر أقصر هذه الأناجيل وأقدمها زمنا(١). وكونه الأقصر لا نزاع فيه، إذ يحتوي على ستة عشر إصحاحا فقط، أما كونه الأقدم فليس ذلك محل اتفاق بين النصارى، حيث قد ورد عن البعض القول بأن إنجيل متّى هو الأقدم، حتى إن بعضهم ليرى أن إنجيل مرقس مختصر لإنجيل متّى(٢)، وليس المجال مجال الخوض في التفاصيل(٣).

هذا الإنجيل ـ بخلاف إنجيل متّى ـ يأتي ذكر الأحداث فيه بترتيب تأريخي متسلسل، كما أن كاتبه يوجه عناية خاصة إلى ما عمله المسيح أكثر مما علّمه، وكان

---

(١) انظر: الدائرة البريطانية "Micro" ٦/ ٦٣٣.

(٢) انظر: محمد عبد الحليم أبو السعد (م.ن.) ص٢٦٤.

(٣) راجع: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٥٣١، وول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٠٨، والمسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٥٣، ومحمد شلبي شتيوي (م.ن.) ص٥٤، وقاموس ك.م. ٨٣٣، ومحمد عبد الحليم أبو السعد (م.ن.) ص٢٦٤.

قليل الاقتباس من العهد القديم[١]. اشتهر الإنجيل بالرمز له بالأسد المجنّح، وإن اختلفوا في التعليل الأنسب لاتخاذ هذا الرمز دون غيره[٢]. وقيل بل هذا الرمز إنما هو لمرقس المنسوب إليه الإنجيل[٣].

أما عن محتويات الإنجيل، فتنقسم إلى الأقسام الرئيسة الآتي ذكرها:

١ ـ المقدمة (يسوع المسيح ويوحنا المعمدان)[٤].

٢ ـ يسوع المسيح في الجليل[٥].

٣ ـ يسوع المسيح في أورشليم[٦].

٤ ـ خطاب عن الأحداث المنتظرة[٧].

٥ ـ رواية آلام وموت المسيح[٨].

٦ ـ القيامة والقبر الفارغ[٩].

٧ ـ خاتمة عن ظهور المسيح بعد قيامته[١٠][١١]، وتعتبر من أهم مشكلات

---

(١) انظر: قاموس ك.م. ص٨٥٣، ووليم إدى (م.ن.) ٢/ ٧-٨.

(٢) انظر: محمد عبد الحليم أبو السعد (م.ن.) ص٢٧٠-٢٧١.

(٣) انظر: قاموس ك.م. ص٨٥٣.

(٤) انظر: مرقس ١/ ١-١٣.

(٥) انظر: مرقس ١/ ١٤-١٠/ ٥٢.

(٦) انظر: مرقس، الإصحاحين الحادي عشر والثاني عشر.

(٧) انظر: مرقس، الإصحاح الثالث عشر.

(٨) انظر: مرقس، الإصحاحين الرابع عشر والخامس عشر.

(٩) انظر: مرقس ١٦/ ١-٨.

(١٠) انظر: مرقس ١٦/ ٩-٢٠.

(١١) انظر: قاموس ك.م. ص٨٥٤، والمسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٥٤-٥٥.

هذا الإنجيل، إذ لا تضمها أقدم مخطوطاته[(١)].

ب. زمن كتابة إنجيل مرقس.

لم يعرف بالتحديد تأريخ كتابة الإنجيل فكل ما يقال فيه لا يخرج عن مجرد ظن وتخمين، كما يعترف به بعض مفسري كتاب النصارى المقدس[(٢)]. وأما أشهر أقاويلهم في ذلك فكما يلي:

١ ـ أنه كتب قبل خراب أورشليم[(٣)].

٢ ـ أنه كتب فيما بين عام ٦٣م و٦٨م[(٤)].

٣ ـ أنه كتب فيما بين عام ٦٥م و ٦٨م[(٥)].

٤ ـ أنه كتب فيما بين عام ٦٥م و٧٥م[(٦)].

٥ ـ أنه كتب في عام ٦٨م[(٧)].

٦ ـ أنه كتب بعد عام ٧٠م (أي بعد خراب أورشليم)[(٨)].

---

(١) انظر: Bucaille, Maurice (op.cit.) P. 65، و Deedat, Ahmed; Is the Bible God's Word P. 18.

(٢) ومنهم وليم إدى في الكنز الجليل... ٢/ ٦.

(٣) انظر: وليم إدى (م.ن.) ٢/ ٦.

(٤) نفسه.

(٥) انظر: قاموس ك.م. ص٨٥٥.

(٦) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٥٣.

(٧) نفسه ص٣٠.

(٨) نفسه ص٥٣.

٧ـ وقيل بل كتب فيما بين عام ٥٦م و٦٥م، أو في عام ٦١م[١].

٨ـ وقيل بل كتب فيما بين عام ٦٥م و٧٠م[٢].

٩ ـ وقيل إنما كتب في منتصف الأربعينات، أو بين عام٣٩م وعام٤٠م، أو في الخمسينات للميلاد[٣].

١٠ ـ وقيل إنما كتب فيما بين عام٦٤م وعام ٧٠م[٤].

١١ ـ وقيل إنما كتب في عام ٤٥م[٥].

ج. مكان كتابة إنجيل مرقس.

وأما عن المكان الذي كتب فيه هذا الإنجيل، فقد ورد ذكر أربع مدن مختلفة هي: روما، وأنطاكية، وبابل المصرية[٦]، والإسكندرية. مع ملاحظة ميل أكثر مؤرخي النصارى وكتّابهم إلى اختيار روما مكانا لكتابة الإنجيل[٧].

إلا أن هذا كله لا يوجد فيه شيء مؤكد أو يقيني[٨]، فيجوز أن يصح أحد هذه

---

(١) انظر: محاضرات أبي زهرة ص٤٤.

(٢) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ص١١/ ٢٠٨، وBucaille,Maurice(op.cit.) P. 64.

(٣) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٢١٩-٢٢٠.

(٤) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥١، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٢٢٠.

(٥) انظر: محمد عبد الحليم أبو السعد (م.ن.) ص٢٦٦.

(٦) بابل المصرية: اسم بموضع في مصر القديمة. قاموس ك.م. ص١٥٢.

(٧) انظر: وليم إدي (م.ن.) ٢/ ٦، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٢٢٠-٢٢١، ومحمد عبد الحليم أبو السعد (م.ن.) ص٢٦٧-٢٦٩.

(٨) انظر: وليم إدي (م.ن.) ٢/ ٦، والمسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٥٣.

الأقوال، ولا يستبعد كذلك أن يكون الحق خارجا عنها جميعها. حتى إن ما بدا راجحا عند هؤلاء الكتّاب والمؤرخين، قد اعتُرض عليه في دائرة المعارف البريطانية باعتبار أن أقوى مستند من رجح روما على غيرها من الأماكن المذكورة هو استعمال الكاتب نسبةً عالية من العبارات اللاتينية(١)، وأن ذلك يوجد أيضا في تلمود أورشليم وشرحه، ولم يدّع أحد أنهما كتبا في روما(٢).

د. لماذا كتب إنجيل مرقس ولمن؟

أما عن الباعث لكاتب هذا الإنجيل لكتابته فجميع المصادر والمراجع مطبقة على أنه طلب من أهالي روما لذلك(٣). وإن اختلفت في متى كان هذا الطلب، أبعد رحيل بطرس أستاذ مرقس أم في حياته؟ وما يترتب على ذلك من أمور سوف تطرح في حينها إن شاء الله.

وأما لأجل أي فئة من الناس تمت الكتابة، فقد ورد أنهم الرومانيون أنفسهم، إذ هم الذين طلبوا كتابة الإنجيل أصلا، وقيل بل كتب لعامة النصارى من غير سكان فلسطين(٤)، أو للأميين من النصارى(٥).

---

(١) انظر: قاموس ك.م. ص٨٥٥.

(٢) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥١.

(٣) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٨٨، وعبد الرحمن بن سليم البغدادي (م.ن.) ص٣١٦، ومقارنة الأديان للطهطاوي ص١١٢، وفي مقارنة الأديان لمحمد عبد الله الشرقاوي ص٤٢-٤٣، ومحمد عبد الحليم أبو السعد (م.ن.) ص٢٦٦.

(٤) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P.63

(٥) انظر: عبد الرحمن البغدادي (م.ن.) ص٣١٧، والدائرة البريطانية "Micro" ٦/ ٦٣٣.

هـ . من هو كاتب إنجيل مرقس؟

ربما يبدو هذا السؤال غريبا ومشوشًا، ولكن الأَوْلى بنا ونحن بصدد بحث علمي موضوعي خطير كهذا ألاّ نسارع في إطلاق مثل هذا الحكم قبل النظر في السؤال نفسه هل له من مبرّر أو مسوّغ؟ وكيف لا وقد وقع خلاف طويل عريض حول كاتب هذا الإنجيل أهو مرقس أم بطرس؟ ولماذا ينسب دائما إلى مرقس دون غيره؟ ومن هو مرقس هذا؟ أحواري هو، أم تلميذ لحواري أم شخص مجهول؟ كل هذا بلا شك يشكّل مبررا قويا للباحث في التنقيب عن هوية كاتب هذا الإنجيل وشخصيته من أجل أن يقدّم للمؤمنين بهذا الكتاب ومقدّسيه نورٌ، إن شاء الله.

إن هذا الإنجيل كسابقه ليس هناك شاهد من داخله يدل على أن كاتبه مرقس الذي يحمل الإنجيل اسمه ويُعرف به. ومن ثَمَّ اختلف النصارى في حقيقة كاتبه إلى فرق وأحزاب، كلٌّ بما لديهم فرحون. ولكن الملاحظ أن أراءهم في هذا تدور على علمين من أعلام النصارى لا ثالث لهما وهما: مرقس الذي يحمل الإنجيل اسمه، وبطرس كبير الحواريين أو تلاميذ المسيح عليه السلام. وإليكم التفصيل فيما يلي:

أولا: القول بأن الكاتب هو مرقس: وقد قال به من آباء الكنيسة: بابياس وإيريناوس وأوريجانوس وغيرهم. ويختلف أصحاب هذا القول أيضا، حيث يرى بعضهم أن مرقس إنما كتب الإنجيل تحت إشراف بطرس أستاذه، أو بإرشاده وتعليماته[1]، وحتى اعتبر بعضهم عمل مرقس هذا مجرد مختصر لتعاليم

---

(١) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١٧٧-١٧٨ و٣١٧، وول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٠٧.

بطرس[١]، ويرى آخرون أن مرقس إنما كتب إنجيله هذا من تلقاء نفسه ولم يعتمد الاعتماد الكلي في ذلك لا على بطرس ولا على غيره[٢]. وحتى ذهب بعضهم بعيدا فزعم أن مرقس لم يكتب الإنجيل أصلا إلا بعد موت بطرس[٣]، ومنهم من يذهب أبعد من هذا فيزعم أن مرقس نفسه شاهد للأحداث التي دوّنها في إنجيله هذا[٤].

ثانيا: القول بأن كاتب الإنجيل هو بطرس، ومن أشهر من ينسب إليهم القول: المؤرخ النصراني ابن البطريق. ومن غرابة هذا القول أن صاحبه يزعم أن بطرس كتب الإنجيل عن مرقس ونسبه إليه!![٥].

مناقشة كل قول مما تقدم:

لنبدأ بالرأي القائل إن هذا الإنجيل من تصنيف مرقس، ونجد أن أقدم حجة لأصحابه في عزو الإنجيل إليه هي ما ينسب إلى بابياس أنه قال: « إن مرقس إذ كان هو اللسان الناطق لبطرس، كتب بدقة، ولو من غير ترتيب، كل ما تذكره عما قاله المسيح أو فعله... »[٦].

---

(١) انظر: وليم إدى (م.ن.) ٢/ ٦.

(٢) انظر: قاموس ك.م. ص٨٥٤-٨٥٥، ومحاضرات أبي زهرة ص٤٤.

(٣) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٢٥٣، والدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥١.

(٤) كما سيأتي قريبا إن شاء الله.

(٥) انظر: التأريخ المجموع لابن البطريق ص٩٤، نقلا عن: محمد شلبي شتيوي (م.ن.) ص٥٩. ومحاضرات أبي زهرة ص٤٣.

(٦) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١٧٧.

وقد سبق ذكر حال بابياس هذا وحال روايته من الضعف والوهن بما فيه غنية عن الإعادة[١].

وكذلك لو نظرنا في بعض التواريخ التي يزعم أن الإنجيل كتب فيها[٢] لكانت النتيجة أن الإنجيل كتب بعد رحيل كاتبه أعني مرقس ـ إن كان فعلا هو الكاتب ـ حيث يذكر أنه توفي في عام ٦٨م[٣].

وربما يقول قائل: إذا ثبتت وفاته في عام ٦٨م، فهذا دليل على أن القول بتأليف إنجيله بعد عام ٦٨م قول باطل ومردود. فالجواب أن هذا لم يثبت، بدليل ورود ذكر غير هذا التأريخ ولو قليلا[٤]. ويؤيد هذا أيضا صنيع واضعي قاموس كتاب النصارى المقدس فقد امتنعوا عن ذكر أي تأريخ لوفاته، وإنما ذكروا قصة حياته إلى حين طلب بولس حضوره إليه مع تيموثاوس[٥][٦]، ثم قالوا: «ولا يعرف شيء حقيقي عن حياته بعد ذلك»[٧].

هذا رد إجمالي على الرأي القائل بعزو الإنجيل إلى مرقس من حيث العموم،

---

(١) انظر: ص٤٠٥-٤٠٦.

(٢) انظر: ص٤١٦-٤١٧.

(٣) انظر: مرقس الرسول. للبابا شنودة الثالث ص٦٠، نقلا عن: محمد عبد الحليم أبو السعد (م.ن.) ص٢٤١. وعبد الرحمن البغدادي (م.ن.) ص٣١٦.

(٤) ومن ذلك ما يقال إن مرقس مات في عام ٥٢م. انظر: محاضرات أبي زهرة ص٤٣.

(٥) تيموثاوس: اسم يوناني معناه: عابد الله، وتيموثاوس هذا كان رفيقا لبولس ومساعده، وإليه كتب بولس رسالتين من رسائله المعروفة. قاموس ك.م. ص٢٢٨-٢٢٩.

(٦) انظر: ٢ ـ تيموثاوس ٤/ ١١.

(٧) انظر: قاموس ك.م. ص٨٥٣.

ولو جئنا إلى فرعي هذا القول: وأولهما أن مرقس إنما كتب الإنجيل تحت إشراف بطرس وإرشاده، والثاني أنه كتبه استقلالاً، نجدهما قولين آخرين لا يدعمهما أي دليل أو برهان معتبر.

أما الأول منهما فلا يصح لأمرين:

الأمر الأول: لأن علاقة التلميذ والأستاذ التي يقال إنها كانت بين بطرس ومرقس لا تزال محل خلاف وشكوك، لا سيما إذا ثبت أن أحدهما ـ وهو بطرس ـ قد مات في روما[١]، والآخر لقي حتفه بالإسكندرية[٢]، لذا جاء تصريح في دائرة المعارف البريطانية بأن هذه العلاقة لا تعدو أن تكون مزعومة أو مفترضة فقط[٣].

أضف إلى هذا أن بعض علماء النصارى لا يزالون متمسكين بأن مرقس هذا لم يكن تلميذا للحواري بطرس، وإنما كان هو بنفسه من أتباع المسيح ورسله كما سيأتي قريبا إن شاء الله.

الأمر الثاني: ولأن هذا القول يعارضه ما أثبتّه آنفا مما يفيده بعض المصادر، أعني أن مرقس لم يكتب إنجيله أصلا إلا بعد وفاة بطرس[٤]، فكيف يكون بطرس مشرفا عليه في تأليف سفر لم يؤلفه أصلا إلا بعد ما ووري (بطرس) في التراب؟!

---

(١) كما سيأتي إن شاء الله في الباب الرابع.

(٢) راجع: محمد شلبي شتيوي (م.ن.) ص٥٧-٥٩.

(٣) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥١.

(٤) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.)ص٢٥٣، والدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥١.

بقي القول باستقلالية مرقس في كتابة الإنجيل المنسوب إليه مع أنه ـ كما يقول بابياس ـ لا سمع من المسيح ولا اتبعه، وإنما اتبع فيما بعد بطرس الحواري[١]. وبناء على قول يوسابيوس في تأريخه فإن طالبي كتابة الإنجيل من مرقس من أهالي روما إنما هم الجمهور الذين سبقوا أن استمعوا إلى تعاليم ومواعظ بطرس، ومن ثم التمسوا من تلميذه مرقس ـ على فرض ثبوت التلمذة ـ أن يُخرج لهم أثرا مكتوبا لما قد وصلهم شفهيا من تعاليم أستاذه[٢]. وهل هذا كان في حياة بطرس نفسه أم بعد وفاته؟ إن الخلاف في ذلك ما يزال قائما كما أسلفت[٣].

فعليه أقول: إن كان هذا قد حصل وبطرس نفسه حي يرزق، يلزم أن نعرف السبب في العدول عنه إلى تلميذه في طلب كتابة الإنجيل. ثم ما ذا كان موقفه هو من العمل بعد ما أُنجز؟ فالخلاف هنا كذلك لم يحسم بعد، بل تتضارب فيه الأقوال وتتناقض. ففي بعضها أن بطرس سُرّ بتصرف هؤلاء الناس وأن الإنجيل حظي بموافقته ورضاه[٤]، وفي البعض الآخر أن بطرس لما علم بما قام به مرقس لم يعترض عليه ولم يشجّعه[٥]!!!

أما إن كان هذا إنما تم بعد وفاة بطرس ـ وهو قول بعض النصارى كما

---

(١) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١٧٧.

(٢) نفسه، ص٨٨ و٣٠٣.

(٣) انظر: ص٤١٨ و٤٢٠.

(٤) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٨٨.

(٥) نفسه، ص٨٨ و٣٠٣.

أسلفت[١] ـ فالأمر أكثر إشكالا وتعقيدا، لأن مرقس حسب أقدم معلومة عنه في التأريخ الكنسي لم يكن من أتباع المسيح ﷺ ولا سمع منه قط[٢]. فما الذي كان مصدره فيما دوّن في إنجيله؟ والجواب كما يقول صاحب الكنز الجليل[٣]: أن ذلك غير معلوم حقيقته! إلا أن معظم المصادر تُرجّح أن يكون مصدره الرئيس تعاليم بطرس الحواري[٤]، وهاهو الآن يكتب بعد وفاة بطرس، فكيف نتحقق من صحة ما كتب، وحفظه وضبطه وأمانته؟ لا سيما وقد وردت إشارات تنبئ عن نقيض كل ذلك بالنسبة للقديس مرقس هذا، ومنها ما قال بعض علماء كتاب النصارى المقدس: « فإن مرقس كاتب غير حاذق، وأكثر كتبة الأناجيل ابتذالا، فهو لا يعرف أبدا كيف يحرر حكاية »[٥]، ووصفُ كتابته (مرقس) في دائرة المعارف البريطانية بأنها تفقد التهذيب الأدبي[٦]. وقول الدكتور موريس بوكاى عنه: « إن هذا الإنجيلي يبرز افتقادا كاملا للمعقولية »[٧]، ويصفه في موضع آخر[٨] بأنه: الكاتب الغث[٩].

---

(١) انظر: ص٤٢٠.

(٢) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١٧٧، وBucaille,Maurice(op.cit.) P.63

(٣) انظر: ٢/ ٦.

(٤) راجع: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٨٨، ١٧٧-١٧٨، الدائرة البريطانية "Micro" ٦/ ٦٣٣، وقاموس ك.م. ص٨٥٤.

(٥) Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 64، والقائل هو الآب روجي "Roguet".

(٦) انظر: الدائرة البريطانية "Micro" ٦/ ٦٣٣.

(٧) Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 64.

(٨) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 66.

(٩) والغث: المهزول، وغثَّ الحديثُ أي فسد. القاموس ص٢٢١.

وأما بالنسبة للقول بأن كاتب هذا الإنجيل هو بطرس الحواري فيكفي في رده أنه قول شاذ[١]، ولم يُتَابع قائله فيه. بل حسب علمي وفي حدود ما تيسر لي الاطلاع عليه من المصادر والمراجع يظهر لي أن مداره على ابن البطريق فقط دون غيره[٢].

ويبدو لي ـ والله أعلم ـ أن هذا القول قد أُحدث للتخلص من مشكلة نقل متّى وهو حواري عن مرقس وهو تلميذُ حواريٍّ، لأن ذلك يبدو أمرا غير معقول. فلو قيل بأن كاتب الإنجيل المنسوب إلى مرقس هو بطرس فلا ضير أن ينقل متّى عنه، لاسيما أن بطرس هذا يُذكر دائما في مقدمة تلاميذ المسيح عليه السلام وحوارييه[٣].

لكنهم فروا من شيء ووقعوا فيما هو أسوأ. وذلك لأن نقل متّى من مرقس وإن كان نقل أعلى عن أدنى، إلا أنه أقل غرابة من نقل كبير التلاميذ والحواريين، وممن؟ من تلميذه، ينقل عنه أمورا شاهدها هو ولم يشاهدها المنقول عنه، ثم ينسبها إلى هذا التلميذ ليؤكد براءته التامة منها!!!

إذًا، في ضوء ما تقدم، فإن الإنجيل حسب مرقس ليس من تأليف مرقس ولا من تأليف بطرس أستاذه، فمن يكون مؤلفه الحقيقي؟ إنه في الحقيقة شخص مجهول

---

(١) أعني بالشاذ هنا ما هو قريب من اصطلاح المحدثين، وهو ما خالف فيه الثقة الأوثق أو الثقات. (انظر: يانع الثمر في مصطلح أهل الأثر للشيخ حمّاد الأنصاري ص٢٧). وهذا طبعا بناءً على نظرة الكنيسة إلى هؤلاء الآباء، وليس يعني بالضرورة توثيقي لهم، والله الموفق.

(٢) راجع مثلا: محاضرات أبي زهرة ص٤٣، ومحمد عبد الحليم أبو السعد (م.ن.)ص٢٦٣، ومتولي يوسف شلبي (م.ن.) ص٤٣، ومحمد شلبي شتيوي (م.ن.) ص٥٩

(٣) كما جاء في متّى ١٠/ ٢، ومرقس٥/ ٣٧، ولوقا ٨/ ٥١ وانظر: قاموس ك.م. ص١٧٥

مغمور من عامة الناس، ليس هناك في كتب النصارى أدنى معلومة صحيحة عنه. وإليكم نصا من دائرة المعارف البريطانية التي شارك في إعدادها مئات من النصارى[١]: «على الرغم من أن مؤلف إنجيل مرقس مجهول على الأرجح، فإن قيمة هذا الكتاب وسلطته مستمدة تقليديا من علاقته [المؤلف] المفترضة بالحواري بطرس... إن إشارة إلى "مرقس ابني" في رسالة بطرس الأولى[٢] جزء من التقليد نفسه الذي به نُسب مرقس إلى بطرس، لذا فإن بطرس هو الكفيل الحواري للإنجيلي (مرقس)»[٣].

ويقول كاتب نصراني آخر: «من هو مرقس؟! لا نعلم ومن الصعب أن يكون هو ابن أخت برنابا[٤]... إن القصص التي قصها بطرس قد استخدمت، ومن الممكن أن يكون ذلك بعد ما مرت خلال جمع ورواية أناس كثيرين واحدًا تلو الآخر... فإننا بذلك نخلص إلى نتيجة وهي: أن مؤلف الإنجيل حسب مرقس كان نصرانيا، وحيث إن الآرامية قد بدت أنها لسان أمه، فهو يهودي»[٥].

---

(١) لا سيما في الموضوعات المتعلقة بالنصرانية ومصادرها، بل ومن أغرب ما رأيت أن هؤلاء النصارى لم يقفوا عند حدهم، وإنما تطاولوا علينا وتعدّوا، فتجد في هذه الدائرة موضوعات مثل: القرآن ـ ابن تيمية ـ تأريخ الإسلام ـ الشريعة الإسلامية ـ التصوف الإسلامي... الخ كلها بأقلام يهودٍ أو نصارى. بل إن المستشرقين الكفار وضعوا دائرة معارف كاملة باسم الإسلام (دائرة المعارف الإسلامية)!!!

(٢) ٥/ ١٣.

(٣) الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥١.

(٤) هذه إشارة إلى ما ورد في رسالة بولس إلى أهل كولوسي ٤/ ١٠.

(٥) القائل هو: أي. و. بارنس، أسقف برمنغهام بإنجلترا في كتابه: نشأة النصرانية ـ باللغة الإنجليزية ـ ص١٠٨-١٠٩، نقلا عن: Ajijola,A.D; (op.cit.) P. 100.

ومما يزيد في جهالة هذا المسمى بمرقس، أن القوم اختلفوا فيه إلى درجة أنهم لا يعلمون بحق أكان تلميذًا للمسيح ﷺ أم كان تلميذًا لبطرس تلميذ المسيح؟ فتكون مجموعة الآراء حول شخصية مرقس ثلاثة، تقدم معنا منها اثنان[١]، والأخير أنه كان تلميذا للمسيح نفسه ﷺ، وبالتحديد من السبعين[٢]، وهو قول عدد من أعلام الكنيسة[٣]. وهل يمكن أن يصح هذا الادعاء؟ وما هي حجتهم عليه؟

قالوا لأن في هذا الإنجيل المنسوب لمرقس فقط نجد سرد قصة شاب كان يلبس إزارا، وترك الإزار وهرب عريانا في لحظة القبض على المصلوب[٤]. فاستنتجوا من هذا أن ذلكم الشاب هو مرقس، التلميذ الأمين[٥].

ولنا وقفة مع هذه القصة الوهمية وما استنتج منها من الحجة الواهية. إذ لو كان كاتب هذا الإنجيل هو نفسه ذلك الشاب فما الذي دفعه إلى عدم التصريح بالحقيقة؟ خاصة وأن المقام مقام تشريف وثناء. ثم إنّ كون القصة لم تذكر في الإنجيلين الآخرين اللذيْن يُظن أنهما من تأليف اثنين من تلاميذ المسيح ﷺ أعني متّى ويوحنا، لَدليلٌ قويّ على أنّ كاتبها ليس تلميذًا للمسيح وأنه قد اخترع القصة

---

(١) أعني القول بأنه تلميذ بطرس، والقول بأنه رجل مجهول.

(٢) السبعون أوالرسل السبعون: يقصَد بهم عند النصارى: الأشخاص الذين عيّنهم المسيح وأرسلهم ليبشروا بدعوته في كل مدينة كان هو مزمعا أن يأتي إليها، وفق ما جاء في إنجيل لوقا ١٠/ ١.

(٣) منهم: ابن المقفع، وابن الصليبي، والمشرقي وغيرهم. راجع: محاضرات أبي زهرة ص٤٢، ومحمد عبد الحليم أبو السعد (م.ن.)ص١٥٢-١٥٣، ومحمود علي حماية (م.ن.) ص٥٤، وBucaille, Maurice (op.cit.) P.63.

(٤) انظر: مرقس ١٤/ ٥١-٥٣.

(٥) انظر: قاموس ك.م. ص٨٥٣، وBucaille,Maurice(op.cit.) P. 63.

من خياله فقط[١]. يقول الأستاذ دنيس نينهام[٢]: «لم يوجد أحد بهذا الاسم [مرقس] عُرف أنه كان على صلة وثيقة وعلاقة خاصة بيسوع أو كانت له شهرة خاصة في الكنيسة الأولى»[٣]، ويتفق معه وليم إدي في التصريح بأن مرقس ليس برسول ولا من تلاميذ المسيح عليه السلام[٤].

بقي أن أشير هنا إلى أن ثمة إشارات كثيرة في العهد الجديد إلى رجل اسمه يوحنا ويلقَّب بمرقس، إلا أنه ليس في واحدة منها ما يفيد أنه مؤلف "الإنجيل حسب مرقس"، كما أن نص الإنجيل نفسه لا يشير إلى أي مؤلف له كما أسلفت[٥].

فمن هذه الإشارات ما ورد في سفر أعمال الرسل من أن التلاميذ الأوائل كانوا يجتمعون في بيت أمه (يوحنا الملقب بمرقس)[٦]. وأخرى أن بولس وبرنابا أحضراه معهما من أورشليم[٧]، وفيها أيضا أنه (يوحنا ـ مرقس) ترك بولس وبرنابا[٨]، وأنه بعد ذلك رافق برنابا إلى قبرس بعد أن افترق هو وبولس

---

(١) انظر: محمد شلبي شتيوي (م.ن.) ص٥٥ بتصرف.

(٢) هو: دنيس إريك نينهام: أستاذ اللاهوت بجامعة لندن، ورئيس تحرير سلسلة بليكان لتفسير الأناجيل.

(٣) تفسير إنجيل مرقس لدنيس نينهام ص٣٩، نقلا عن: المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٥٢.

(٤) انظر: وليم إدى (م.ن.) ٢/ ٦.

(٥) انظر: ص٤١٩.

(٦) انظر: الأعمال ١٢/ ١٢.

(٧) انظر: الأعمال ١٢/ ١٥.

(٨) انظر: الأعمال ١٣/ ١٣.

بسبب رفض بولس مرافقة يوحنا ـ مرقس إياهما[١]. كما ورد ذكر هذا الاسم في رسائل بولس في ثلاثة مواضع[٢]، وذكر أيضا في رسالة بطرس الأولى حيث دعاه ابنَه[٣].

ويحاول آباء الكنيسة وقساوستها من بعدهم أن يجعلوا هذه الإشارات كلها دالة على شخصية واحدة، وهي نفسها التي تنسب إليها كتابة الإنجيل الثاني، فهل يعتبر هذا مسلكا سليما؟ يقول دنيس نينهام مرة أخرى: « لقد كان من عادة الكنيسة الأولى أن تفترض أن جميع الأحداث التي ترتبط باسم فرد ورد ذكره في العهد الجديد، إنما ترجع جميعها إلى شخص واحد له هذا الاسم. ولكن عندما نتذكر أن اسم "مرقس" كان أكثر الأسماء اللاتينية شيوعا في الإمبراطورية الرومانية... فعندئذ نتحقق من مقدار الشك في تحديد الشخصية في هذه الحالة »[٤].

إذًا، ذلكم مرقس في ميزان النقد العلمي، وهذا هو مرقس في صفحات العهد الجديد. وأما الحديث عن مرقس في التقليد الكنسي فذلك ينقلنا إلى عالم بحث آخر مطوّل ملخصّه أنه: يهودي الأصل وولد في أورشليم على الأرجح، بعد ولادة المسيح عليه السلام بوقت قليل. وقد ذهب إلى مصر مرتين، المرة الأولى حوالي سنة ٣٧م، وذلك بإرسال من بطرس، فدخل الإسكندرية حوالي سنة ٤٠م ومكث فيها إلى

---

(١) انظر: الأعمال ١٥/ ٣٧-٣٩.

(٢) انظر: كولوسي ٤/ ١٠، و٢ـ تيموثاوس ٤/ ١١، وفيلمون/ ٢٤.

(٣) انظر: ١ ـ بطرس ٥/ ١٣.

(٤) دنيس نينهام (م.ن.) ص ٣٩، نقلا عن: المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٥٢.

سنة ٤٤م حيث صحب بطرس إلى روما وهناك كتب إنجيله المنسوب إليه قبل عودته إلى مصر ثانية في حوالي سنة ٤٩م. وبقي هناك إلى أن قتل على أيدي الوثنيين سنة ٦٨م، بعد أن كان أول من دعا إلى النصرانية هناك، وأسس كنيسة بالإسكندرية في حوالي عام ٦٢م[١]. وكل هذا أو أغلبه لا يعدو أن يكون مجرد تخرصات.

ثالثا: إنجيل لوقا.

أ. تعريف موجز بهذا الإنجيل:-

هذا الإنجيل هو الثالث في ترتيب أسفار العهد الجديد، وفيه أربعة وعشرون إصحاحا. والإنجيل - كما صرّح كاتبه - بمثابة رسالة موجهة إلى شخص يدعى ثاوفيلس[٢]. ولم تتحد الآراء في تحديد الشخصية التي تحمل هذا الاسم، بل كل ما قيل في ذلك لا يستند إلى أي دليل[٣]، وقد قيل إنه كان رومانيا ذا منصب كبير في الدولة، وقيل كان محاميا تدخَّل للدفاع عن بولس في روما[٤]، وقيل بل كان مصريا[٥]. ويظن البعض أن الاسم "ثاوفيلس" لقب ينطبق على عامة النصارى في

---

(١) راجع: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٨٩، ووليم إدى (م.ن.) ٢/ ٦-٧، وعبد الرحمن البغدادي (م.ن.) ص٣١٦، وقاموس ك.م. ص٨٥٣، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٢١٩، والبشارة بنبي الإسلام للسقا ١/ ٧٦، ومحمد عبد الحليم أبو السعد (م.ن.) ص١٤٩-١٥١، و٢٤٠-٢٤٢، ومقارنة الأديان لمحمد عزت الطهطاوي ص١١٢، ومحمود علي حماية (م.ن.) ص٥٤.

(٢) انظر: لوقا ١/ ٣.

(٣) انظر: قاموس ك.م. ص٢٣٣-٢٣٤.

(٤) نفسه ص٢٣٣، والمسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٦٣.

(٥) انظر: عبدالرحمن البغدادي (م.ن.) ص٣٢٥، ومحاضرات أبي زهرة ص٤٥.

تلكم الحقبة من الزمن، وإن كان هذا أضعف الآراء الواردة في المسألة[١].

إنجيل لوقا هو الوحيد من بين الأناجيل القانونية الأربعة لدى الكنيسة الذي لا خلاف ولا شبهة في أن كاتبه لم يكن شاهد عيان لما كتب، ولا كان حاضرا وقتَ وقوع الأحداث التي سجل، بل لم يكن قد عاصر المسيح عليه السلام نفسه. ولهذا يفتتح إنجيله بقوله: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة، رأيت أنا أيضا إذ قدتتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحة الكلام الذي عُلّمتَ به»[٢].

وأما محتويات هذا الإنجيل فيمكن الالمام السريع بها عبر النقاط الآتية:-

١ ـ المقدمة أو الافتتاح ـ وهو ما تقدم نقله قبل قليل ـ.

٢ ـ السنوات الأولى من حياة المسيح[٣].

٣ ـ الاستعداد للخدمة أو الرسالة[٤].

٤ ـ رسالة المسيح في الجليل[٥].

٥ ـ انتقاله إلى أورشليم ودعوته هناك[٦].

---

(١) انظر: قاموس ك.م. ص٢٣٣، ووليم إدى ٢/ ١٣٤.

(٢) لوقا ١/ ١-٤.

(٣) انظر: لوقا ١/ ٥-٢/ ٥٢.

(٤) انظر: لوقا ٣/ ١-٤/ ١٣.

(٥) انظر: لوقا ٤/ ١٤-٩/ ٥٠.

(٦) انظر: لوقا ٩/ ٥١-١٩/ ٤٧.

٦ ـ الصلب والقيامة ومقدماتها[١][٢].

ب. التعريف بلوقا.

إن المعلومات الواردة عن شخصية لوقا قليلة، وهي مع ذلك متضاربة، فلوقا أممي من أنطاكيا عند فريق[٣]، أما عند فريق آخر فهو روماني من روما[٤]، ويرى فريق ثالث أنه من اليونان[٥]. كما أن قوما ذهبوا إلى أن لوقا كان يزاول مهنة الطب، ويستندون في ذلك إلى ما ورد في هذا الإنجيل نفسه من أوصاف لحالات المرض[٦]، ظانين أن دقتها تؤيد كون كاتبها طبيبا![٧]. بينما يحكم غيرهم، ومن ذوي الاختصاص، على هذه الأوصاف بأنها لا تعدو أن تكون مفردات أي إنسان مثقف في عصره[٨]. ومنهم من يقول إنه كان مصوّرا[٩].

وفي حين يرى الكثير من الكتّاب والمؤرخين أن لوقا كاتب الإنجيل الثالث

---

(١) انظر: لوقا ١٩/ ٤٧-٢٤/ ٥٣.

(٢) انظر: قاموس ك.م. ص٨٢٣، مع تعديلات يسيرة أجريتها في الفقرتين الأخيرتين، وذلك بعد الاطلاع على الإنجيل نفسه ومقابلته بما ذكر.

(٣) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١١٦، والدائرة البريطانية "Micro" ٦/ ٣٨٤، وعبد الرحمن البغدادي (م.ن.) ص٣٢٥.

(٤) انظر: قاموس الكتاب المقدس لجورج بوست، نقلا عن: محاضرات أبي زهرة ص٤٥.

(٥) انظر: قاموس ك.م. ص٨٢٣.

(٦) انظر مثلا: لوقا ٤/ ٣٨، و٨/ ٤٣.

(٧) انظر: الدائرة البريطانية "Micro" ٦/ ٣٨٤، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٢٧٥، وقاموس ك.م. ٨٢٣.

(٨) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 67.

(٩) انظر: عبد الرحمن البغدادي (م.ن.) ص٣٢٥، ومحاضرات أبي زهرة ص٤٥.

هو نفسه لوقا رفيق بولس وتلميذه الوارد ذكره في مواضع[١] من رسائله[٢]، يبدي البعض شكوكا حيال هذه النسبة[٣]. كما أن تأريخ وفاته ليس معلوما بيقين[٤]، ويظن بعضهم أنه عاش أربعة وثمانين عاما[٥].

هذا وهناك شواهد من داخل الإنجيل نفسه يمكن الاعتماد عليها في استنباط بعض الحقائق عن كاتبه. ومن أبرزها: أن الكاتب ينتمي إلى الجيل الثاني من النصارى ـ كما تفيد مقدمته ـ، وكذلك فإن اهتمامه بالأمميين وتجنبه الخوض في المسائل اليهودية البحتة قد يدلان على أنه لم يكن يهوديا بل كان ممن تنصر من الأمميين[٦]. وأنه كان على جانب من الثقافة مكّنته من القيام بعملية جمع الروايات والأقوال ثم التنسيق بينها، كما أنه من المرجح أن يكون هو نفسه مؤلفَ أطول أسفار العهد الجديد، أعني سفر أعمال الرسل كما يستفاد ذلك أيضا من افتتاح هذا السفر والذي جاء فيه: «الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به»[٧]، وهذا على ما يبدو إنما هو في إشارته إلى الإنجيل أو كلامه الأول، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: كولوسي ٤/ ١٤، و٢ ـ تيموثاوس ٤/ ١١ وفيلمون/ ٢٤.

(٢) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١١٦، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٢٧٣، والمسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٦٥.

(٣) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 67.

(٤) انظر: قاموس ك.م. ص٨٢٢.

(٥) انظر: الدائرة البريطانية "Micro"٦/ ٣٨٤.

(٦) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٦٤.

(٧) الأعمال ١/ ١.

علاقة لوقا ببولس:

لقد شكك بعض الباحثين المعاصرين في رفقة لوقا لبولس أو تتلمذه عليه، إلا أن أحدا لم يحاول إنكار وجود شخصٍ ما، يدعى لوقا، كان رفيقا لبولس في بعض رحلاته التبشيرية[١].

ومما تمسك به من نفى هذه العلاقة بينهما أن لوقا قد صرح في بداية إنجيله أنه يكتب مما تسلّمه من الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة[٢]، وبولس لم يكن معاينا للمسيح ولا كان خادما له قط[٣].

كما أن القول بأن لوقا كتب إنجيله فيما بين عام ٨٠م وعام ٩٠م ـ كما سيأتي قريبا ـ فيه دلالة على أن بولس لا علم له بهذا الإنجيل، إذ الغالب المشهور أنه (بولس) قد قتل في عهد الإمبراطور نيرون في عام٦٧ أو٦٨م[٤].

ولكن إلى جانب كل هذا فإن هناك دلائل أخرى تشير إلى ثبوت هذه العلاقة بين بولس ولوقا صاحب الإنجيل الثالث، ومنها:

أ ـ ما يذكره يوسابيوس في تأريخه: وهو أن لوقا كان صديقا حميما لبولس، وأما بالنسبة لإنجيله فقد قيل إنَّ بولس كلما قال: "بحسب إنجيلي"[٥] إنما يشير

---

(١) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 67.

(٢) انظر: لوقا ١/ ٢.

(٣) انظر: محمد شلبي شتيوي (م.ن.) ص٦٣.

(٤) انظر: عبد الرحمن البغدادي (م.ن.) ص٣٢٥، ومحمد شلبي شتيوي (م.ن.) ص٦٥، مع قاموس ك.م. ص١٩٩.

(٥) انظر على سبيل المثال: رومية ٢/ ١٦ و١٦/ ٢٥.

إلى إنجيل لوقا[١].

ب ـ أن لوقا صاحب الإنجيل هو المذكور في المواضع الثلاثة المشار إليها أعلاه من رسائل بولس[٢].

ج ـ أنه قد ثبت أن كلا من الإنجيل الثالث وسفرأعمال الرسل كاتبهما واحد وهو لوقا، والمكتوب إليه كذلك واحد وهو ثاوفيلس، وتوجد في سفر الأعمال فقرات تعرف ب"فقرات نحن" وفيها ينتقل الكاتب فجأة من ضمير الغائب الراوي، إلى ضمير المتكلم والمتكلمين، وكلها عن رحلات بولس[٣]، فيؤخذ من ذلك أن الكاتب في أحداث هذه الفقرات كان رفيقا لبولس[٤].

هذا الدليل يبدو أنه كان أقوى مستند للقائلين بثبوت تتلمذ لوقا على بولس على مر العصور، إلا أنه لم يعد كذلك في الوقت الراهن، حيث توصل بعض الباحثين، خاصة من الأمريكيين والألمانيين إلى نظرية تقول بأن لوقا في هذه الفقرات إنما كان يستخدم مفكرة أحد أصحاب بولس ورفقائه. بدليل وجود كثير من النقاط في سفر الأعمال نفسه تتعارض تعارضا تاما مع التعاليم المذكورة في بعض رسائل بولس[٥]،

---

(١) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١١٦.

(٢) أعني: كولوسي ٤/ ١٤، و٢ ـ تيمو ثاوس ٤/ ١١، وفيلمون/ ٢٤ انظر: المسيح في مصادر... لأحمد عبد الوهاب ص٦٥.

(٣) انظر: الأعمال: ١٦/ ١٠-١٨، و٢٠/ ٤-٢١/ ١٨، و٢٧/ ١-٢٨/ ١٦.

(٤) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٢٧٤، والمسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٦٤.

(٥) انظر على سبيل المثال لا الحصر: الأعمال، الإصحاح الخامس عشر، وقارنه برسالة غلاطية، =

ولا يعقل أن يكون قد كتبها شخص له معرفة مباشرة ببولس وبرحلاته التبشيرية[١].

ومما تقدم يُعلم أن ثبوت علاقة لوقا ببولس ليس من المسلّمات حتى في الأوساط النصرانية، بيد أننا في الوقت ذاته لا نملك أن ننفي تأثر كاتب الإنجيل الثالث بأفكار وتعاليم بولس المضللة. ولعل وجود التشابه بين بعض فقرات هذا الإنجيل وتعاليم بولس[٢] خير شاهد على هذا. أضف إلى هذا تصريحات بعض آباء الكنيسة ورؤسائها في هذا الاتجاه أيضا، كقول ترتليانوس[٣]: « إن إنجيل لوقا يُنسب كله إلى بولس »[٤]، وقول أوريجانوس: « وإنجيل لوقا كُتب من أجل المتنصّرين من الأمم، وهو الإنجيل الذي أقره بولس »[٥].

= الإصحاح الثاني، حيث جاء في الأول ما يفيد أن الرسل كانوا متفقين على إسقاط الختان عن المتنصرين الجدد، وفي الثاني يفهم أن المسألة بينهم خلافية. الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٤.

(١) انظر: تفسير إنجيل لوقا للدكتور جورج بردفورد كيرد ص١٦-١٧، نقلا عن: المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٦٥.

(٢) قابل مثلا: لوقا ٢٢/ ١٩-٢٠ مع ١ ـ كورنتوس ١١/ ٢٣-٢٥، ولوقا ٢٤/ ٢٦-٢٧ مع ١ ـ كورنتوس ١٥/ ٣. وانظر: وليم إدى (م.ن.) ٢/ ١٣٣.

(٣) ترتليانوس أو ترتليان: كان من أعظم الكتّاب الكنسيين الأوائل في الغرب، ولد من أبوين وثنيين في عام ١٥٥م في قرطاجة، ثم تحول إلى النصرانية في عام ١٩٣م، وأصبح فيها بعد كاهن كنيسة قرطاجة. توفي بعد عام ٢٢٠م. انظر: الدائرة البريطانية ٢١/ ٩٦٤-٩٦٥.

(٤) كتاب: يسوع المسيح للآب بولس إلياس ص٢١، نقلا عن: المسيحية للدكتور أحمد شلبي ص١٠٧.

(٥) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٣١٧.

ج ـ تاريخ كتابة إنجيل لوقا.

تختلف الأساليب في تحديد الزمن الذي قام فيه لوقا بتحرير إنجيله، فمن المؤرخين من يؤرخ له بالعقد الأخير من القرن الأول للميلاد(١)، بينما يكتفي بعضهم بالقول بأن كتابة الإنجيل لم تتم إلا بعد ظهور الإنجيل المنسوب إلى مرقس(٢)، ويقول آخرون: إن لوقا كتب إنجيله قبل كتابة سفر أعمال الرسل(٣)، وهناك من يذكر التأريخ التقريبي، كقول بعضهم: كُتب حوالي سنة ٦٠م(٤)، وقيل بين سنة ٥٨ و٦٠م(٥)، وقيل بين ٦٣ و٧٠م(٦)، وقيل بل كتب بعد عام ٧٠م ـ أي بعد خراب أورشليم ـ(٧)، وقيل بل عام ٨٠ و٩٠م(٨)، وقيل بل كتبه في حوالي سنة ٨٠ أو ٨٥م(٩)، وقيل غير ذلك. ويهمنا هنا ذكر أمرين لا بد منهما:

الأول: يستبعد كل ما يذكر من التواريخ المبكرة لكتابة هذا الإنجيل، إذ قد صرح الكاتب نفسه بأنه من نصارى الجيل الثاني كما تقدم(١٠).

---

(١) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٠٩.

(٢) انظر: عبد الرحمن البغدادي (م.ن.) ص٣٢٥.

(٣) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٢٧٥.

(٤) انظر: قاموس ك.م. ص٨٢٣.

(٥) انظر: وليم إدى ٢/ ١٣٢.

(٦) انظر: الدائرة البريطانية "Micro"٦/ ٣٨٤.

(٧) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 67.

(٨) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٢٧٧.

(٩) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٦٤.

(١٠) انظر: ص٤٣١.

والثاني: لا يمكن أن يكون الإنجيل قد كتب قبل تدمير أورشليم في عام ٧٠م، وذلك لما نقرأ في هذا الإنجيل من وصف دقيق لحصار المدينة[١]، ولصراحة عباراته[٢] في ذلك أكثر من غيره، مما يدل على أنه إنما يذكر أحداثا وقعت فعلا، وقد رآها أو سمع عنها على الأقل[٣].

د. مكان كتابة الإنجيل.

وذلك هو الآخر لا توجد عنه معلومة مؤكدة[٤]، وإنما يقال ـ تخمينا ـ إنّ لوقا كتب إنجيله هذا في قيصرية[٥][٦]، وقيل بل كتبه في أخائية[٧][٨].

---

(١) انظر: لوقا ١٩/ ٤٣-٤٤.

(٢) انظر: لوقا ٢١/ ٢٠و٢٤.

(٣) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٢٧٦-٢٧٧، وBucaille,Maurice(op.cit.) P. 67.

(٤) انظر: الدائرة البريطانية "Micro" ٦/ ٣٨٤.

(٥) قيصرية أو قيصرية فلسطين: أم المدن في فلسطين في زمن كتابة العهد الجديد، واسمها الأصيل: برج ستراتو أو عبر عشتروت، ولما قام هيرودس الكبير بتجديد بنائها عام ١٠ ق.م. سماها قيصرية نسبة إلى قيصر الروماني، كانت تقع على البحر، على بعد ٤٢ كيلا جنوب غربي حيفا، و٤٧ ميلا إلى الشمال الغربي من أورشليم. وهي الآن خراب ولا تزال تدعى قيصرية. انظر: ياقوت الحموي (م.ن.) ٤/ ٤٧٨، والدائرة البريطانية ٤/ ٥٧٧، وقاموس ك.م. ص٧٥٥، ومحمد محمد شرّاب (م.ن.) ص٦١٢-٦١٣.

(٦) انظر: وليم إدى (م.ن.) ٢/ ١٣٣.

(٧) أخائية: إقليم في جنوب بلاد اليونان، وقد كانت في أيام العهد الجديد ولاية رومانية وعاصمتها كورنثوس. قاموس ك.م. ص٣١.

(٨) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٢١، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٢٧٢.

هـ- الهدف من كتابة الإنجيل.

لقد أراح الكاتب الباحثين في هذا الأمر إلى حد كبير، وذلك في كلماته الافتتاحية[١] حيث يتضح منها أن له أهدافا خاصة في توجيه رسالته الإنجيلية هذه إلى ثاوفيلس، ومن هذه الأهداف:

١ ـ إفادة العزيز ثاوفيلس، وعن طريقه بقية المتنصرين من غير اليهود بالصحيح من بين أمور كثيرة قد وصلتهم عن دينهم الجديد.

٢ ـ تنسيق الروايات السابقة عن حياة المسيح والتوفيق بينها.

و- لمن كتب لوقا إنجيله؟

وهذا أيضا ظاهر من مقدمة الإنجيل أنه موجه إلى النصارى من غير اليهود[٢].

ز- نسبة الإنجيل إلى لوقا.

لقد نسب هذا الإنجيل إلى لوقا كل من إيريناوس، وأوريجانوس، وترتليان، وكلمنت الإسكندري[٣]، ويوسابيوس القيصري[٤]، وتبعتهم في ذلك الكنيسة

---

(١) انظر: لوقا ١/ ١-٤.

(٢) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٣١٧، وول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٠٩، والدائرة البريطانية "Micro"٦/ ٣٨٤.

(٣) كلمنت الإسكندري: كاهن نصراني، قيل: ولد لأبوين وثنيين في أثينا، ثم أصبح معلّما نصرانيا في مدينة الإسكندرية، ولعله توفي قبل سنة ٢١٥م، أما ولادته فكانت في عام ١٥٠م. انظر: الدائرة البريطانية ٥/ ٨٩٩.

(٤) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١١٦، و٢٥٣، و٣١٧، وجورج بردفورد (م.ن.) ص١٧، نقلا عن: المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٦٥.

وعامة النصارى. ولكن يا ترى ما هو مستندهم في هذه النسبة؟ الواقع أنه ليس لديهم أي مستند سوى أن ذلك هو التقليد الكنسي منذ عصور قديمة، اللهم إلاّ ما يذكره أحد كتّابهم المعاصرين من أن ثمة مقدمة كتبت لهذا الإنجيل فيما بين عام ١٦٠م و١٨٠م ذُكر فيها أن لوقا الأنطاكي الطبيب هو مؤلف الإنجيل[١]. ويعني هذا أن الإنجيل نفسه لا يتضمن أي دلالة، تصريحيةً كانت أو إيمائية على اسم مؤلفه و مهنته وبلده الخ. وأما المقدمة التي تشهد بأن مؤلفه هو لوقا، تلميذ بولس وحبيبه، فهي مع كونها متأخرة الزمن شهادة مجهولة، إذ لا يعرف كاتبها ولا المدلي بها في الأصل[٢]. فهل هذه العوامل مجتمعة تقودنا إلى الاتفاق مع واضعي دائرة المعارف البريطانية في الحكم على كاتب الإنجيل الثالث من أناجيل النصارى المقدسة بأنه شخص مجهول[٣]؟ نعم! باعتبار عينه وشخصه، وأما باعتبار بعض صفاته وحالاته فلا، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك[٤]، والله أعلم.

ح- قداسة إنجيل لوقا.

من عادة النصارى محاولة إضفاء صفة القداسة على أسفارهم[٥]، إما بطريق مباشر كما هو الحال بالنسبة للإنجيل المنسوب إلى كل من متّى ويوحنا، وكذا الإنجيل المنسوب إلى مرقس لدى البعض، أو بطريق غير مباشر كما هو الحال بالنسبة لإنجيل

(١) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٢٧٢.

(٢) نفسه ص٢٧٣.

(٣) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٣.

(٤) انظر: ص٤٣٢-٤٣٣.

(٥) أعني بنسبتها إلى المسيح عليه السلام أو إلى أقرب الناس إليه.

مرقس لدى البعض الآخر[١]، وهذا الإنجيل الذي نحن بصدد دراسته. وذلك أنهم بعد تسليمهم بأن كاتبه: لوقا ليس من تلاميذ المسيح الاثني عشر، ولا من الرسل السبعين، ولا من المائة والعشرين[٢]، زعموا أنه كان تلميذا لبولس، وبولس عندهم رسول بل من أفضل الرسل، فبذلك يكون الإنجيل قد كُتب كسابقيه بطريق الإلهام وبمساعدة الروح القدس الذي امتلأ منه بولس كما يدّعون، فتثبت له القداسة مثل أي كتاب مقدس آخر[٣].

فمن هذا المنطلق توهَّم بعضهم أن "الإنجيل بحسب لوقا"، وإن كان أقل درجة من القرآن الكريم عند المسلمين، فلا أقل من أن يساوَى بالأحاديث النبوية عندهم، ولربما أرفع مقاما منها![٤]، والعياذ بالله.

وقبل أن أشرع في تفنيد هذا الوهم ـ مستعينا بالله ﷻ ـ ألفت النظر إلى أن الأساس الذي بنوا عليه هذه التسوية، أساس واه وغير ثابت. وذلك لأن علاقة لوقا ببولس موضع جدل ونزاع، وأخذ ورد، كما تقدم[٥]. وهب أنها كما تُزعم فأنى لفاقد شيء أن يعطيه؟ إذ رسولية بولس نفسه بل وإيمانه بالمسيح عليه السلام مجرد خطة يهودية ومكيدة شيطانية، الهدف منهما التوغل في أعماق النصرانية، ومن ثم هدم

---

(١) انظر: ما تقدم من الحديث عن كاتب إنجيل مرقس.

(٢) هم المائة والعشرون الذين خطب فيهم بطرس بعد رفع المسيح عليه السلام وقاموا باختيار البديل عن التلميذ الخائن: يهوذا. وانظر: أعمال الرسل ١/ ١٥-٢٦.

(٣) انظر: محمد شلبي شتيوي (م.ن.) ص٦١ بتصرف.

(٤) انظر: محاضرات أبي زهرة ص٨٤-٨٥.

(٥) انظر: ص٤٣٤.

أسسها من الداخل كما سيأتي في موضعه إن شاء الله.

ونحن إذ نتكلم في هذا الجانب عن قاسم مشترك بين الأحاديث النبوية الشريفة والأناجيل الموجودة اليوم، فليُعلم أن المقصود إنما هو مجموعات الأحاديث أو دواوينها و كتبها. فحينئذ يظهر وجه الشبه بينهما من حيث إن الكل قد كتب بأقلام كتّاب لم يشهدوا ما نقلوه من الوقائع، كما أن الكل لم يظهر إلى حيز الوجود إلا بعد انقضاء مدة ـ طويلة أو قصيرة ـ على الأحداث الواردة فيه(١). وكيف يجوز للكنيسة أن تجزم وبشكل نهائي منذ قرونها الأولى بصحة كل ما ورد في هذه الأناجيل الأربعة، على الرغم مما فيها من كثير الأخطاء والتناقضات، وإن شئت قل: والكذبات والافتراءات. بينما قد دار النقاش وما يزال يدور حول صحة هذا الحديث أو ذاك!؟(٢).

ثم إن هناك أمرا آخر يفصل بين الحق والباطل، وهو أن الأحاديث الشريفة قد رويت بالأسانيد. ومن المعلوم أن الإسناد وتتبع أحوال الرواة من حيث الضبط والعدالة من خصائص أمة محمد ﷺ. وقد رأينا في صفحات مضت من هذه الرسالة كيف أن النصارى تلقّوا أناجيلهم من أناس مجاهيل لا يُعرف لهم ضبط ولا عدالة، ولا حتى كيف ومتى وأين كتبوا هذه الأناجيل المقدسة في زعمهم.

وأما بخصوص إنجيل لوقا الذي يزعم كاتبه أنه قد نقله عن شهود عيان من غير أن يحدد لنا من هم هؤلاء الشهود سواء بأساميهم أو بأوصافهم، ولا لماذا لم

---

(١) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 243.

(٢) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P.vi، بتصرف.

يتولوا هم التدوين؟ وهم أولى بذلك منه، وكلامهم أحرى بالتصديق. ولو تغاضينا عن ذلك فثمة أمر آخر وهو أن هذا الإنجيل الذي يزعم أنه قد كتب منذ القرن الأول للميلاد، لم يُعرف عنه شيء إلا قبيل نهاية القرن الثاني[١]. فأين كان في هذه الأزمان، وكيف تم تداوله وروايته؟ كل هذا لا جواب عليه عند القوم. وهناك أسئلة واستفهامات أخرى كثيرة جدا حول هذا الإنجيل بالذات[٢].

كما أن مقدمة هذا الإنجيل تلقي ضوءًا على أنه لا يمكن أن يكون كتابا مقدسا، إذ يتضح من المقدمة[٣] ما يأتي:

١ ـ أن الكاتب إنما كان يكتب رسالة شخصية إلى ثاوفيلس، وهي تُكتب على التوالي حسب ما تتوافر من إمكانات الكتابة من وقت ومعلومات وغيرها.

٢ ـ أنه قام بهذا العمل بدافع شخصي بحت، وأن المعلومات المدونة فيه تجمعت عنده نتيجة لاجتهاده الشخصي. ولم يدع أنه كتبها بإلهام أو وحي.

٣ ـ أن ما يكتبه مجرد قصة كأي قصة من القصص السابقة على عهده.

٤ ـ أنه سبقه في تأليف أناجيل أناس كثيرون، وأنه يكتب ما يكتب على غرار ما صنعوا، إذ رأى في نفسه أهلية القيام بذلك أيضا[٤].

---

(١) انظر: محاضرات أبي زهرة (م.ن.) ص٨٦. ونظرة في كتب العهد الجديد للدكتور محمد توفيق صدقي ص٦، نقلا عن: محمود علي حماية (م.ن.) ص٥٩.

(٢) راجع: محاضرات أبي زهرة ص٨٤-٨٨.

(٣) انظر: لوقا ١/ ١-٤.

(٤) راجع هذه الاستنباطات في كل من: المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٦٢، ومحمد شلبي شتيوي ص٦٦، وBucaille,Maurice(op.cit.) P. 66.

رابعا: إنجيل يوحنا.

أ- التعريف بالإنجيل.

هذا الإنجيل هو الرابع في ترتيب أناجيل كتاب النصارى المقدس، وعدد إصحاحاته واحد وعشرون إصحاحا.

يختلف هذا الإنجيل عن الأناجيل الثلاثة السابقة التي تعرف بالأناجيل السينوبتية "Synoptic" أي المتشابهة في أمور جوهرية عدة. سواء في اختيار الموضوعات والروايات والخطب وترتيبها، أو في الأسلوب والتعاقب الزمني للأحداث وكذلك حتى في الآفاق اللاهوتية[١]، فهو ليس ترجمة لحياة المسيح عليه السلام، وإنما هو عرض لها من وجهة النظر اللاهوتية بوصفه كلمة الله، وخالق العالم، ومنقذ البشرية...الخ[٢].

أما بالنسبة لمحتويات الإنجيل فيمكن تقسيمها إلى الأقسام الرئيسة الآتية:

١ ـ المقدمة ـ وقد خُصصت لفكرة تجسد الكلمة[٣] أو المسيح[٤].

٢ ـ شهادة يوحنا المعمدان للمسيح عليه السلام، وشهادته لنفسه، وشهادة التلاميذ له[٥].

---

(١) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P.68-69.

(٢) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٠٩.

(٣) انظر: يوحنا ١/ ١٤، حيث جاء فيه: "والكلمة صار جسدا وحلّ بيننا...".

(٤) انظر: يوحنا ١/ ١-١٨.

(٥) انظر: يوحنا ١/ ١٩-٥١.

٣ ـ المسيح والعالم[١].

٤ ـ المسيح وخاصته[٢].

٥ ـ روايات الآلام والموت والقيامة[٣].

٦ ـ خبر ظهور المسيح للتلاميذ على بحر طبريّة[٤][٥]، ويعتبر ملحقا بأصل الإنجيل[٦].

ومن أهم ما يختص به هذا الإنجيل عن بقية الأناجيل الثلاثة الأخرى:-

١ ـ ذكر لاهوت المسيح أو ألوهيته، إذ يعتبر الإنجيل الوحيد الذي ذكرها ذكرا صريحا[٧].

٢ ـ كما أن الكاتب لم يكتف بسرد أعمال المسيح وأقواله، بل زاد على ذلك من عنده شروحا وتفاصيل[٨].

---

(١) انظر: يوحنا ٢/ ١ ـ نهاية الإصحاح الثاني عشر.

(٢) انظر: يوحنا: الإصحاح الثالث عشر ـ الإصحاح السابع عشر.

(٣) انظر: يوحنا: الإصحاح الثامن عشر ـ الإصحاح العشرين.

(٤) بحر طبريّة أو طبريّة: مدينة في الجليل على شاطئ بحر الجليل الغربي، وهي قائمة حتى اليوم على بعد أحد عشر ميلا ونصف ميل من مدخل الأردن، وستة أميال من مخرجه. وإليها ينسب عدد من العلماء مثل: سليمان بن أحمد الطبراني رحمه الله، صاحب المعاجم: الكبير والأوسط والصغير، وجُعلت النسبة إليها على غير قياس للتمييز بينهم وبين من ينسب إلى غيرها باسم الطبري. انظر: قاموس ك.م. ص٥٧٤، ومحمد محمد شرّاب (م.ن.) ص٤٩٩.

(٥) انظر: يوحنا: الإصحاح الحادي والعشرين.

(٦) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٦، و "Micro" ٥/ ٥٧٩.

(٧) انظر: ١/ ١ و٥/ ١٨ و١٤/ ٨-١١ و١٠/ ٣٣و٣٨.

(٨) قارن مثلا في قصة الصلب بين متى/ الإصحاح٢٧ ومرقس/ الإصحاح١٥ ولوقا/ الإصحاح٢٣، =

٣ ـ يقرر هذا الإنجيل أن المركز الرئيس لدعوة المسيح هو منطقة اليهودية، على عكس ما جاء في الأناجيل الثلاثة من جعل معظم ما كتب عن المسيح في دعوته أو خدمته في منطقة الجليل[١].

٤ ـ ظهور المسيح بعد قيامته لتلاميذه على بحر طبرية، كما في الإصحاح الأخير من الإنجيل.

ب- مكانة إنجيل يوحنا في الديانة النصرانية.

يحتل إنجيل يوحنا مكانة خاصة ومنزلة رفيعة في الديانة النصرانية، وهذا أمر يبرره ما تقدم قبل قليل من أنه الإنجيل الوحيد الصريح في إضفاء الألوهية على المسيح، وتجسد الإله فيه ـ تعالى الله وتقدّس ـ. فإذا كان الدين النصراني قائما على هذا الأساس، أعني تأليه يسوع المسيح، فهذا الإنجيل من عمدتهم في ذلك، بحيث إنه لو سقط، سقطت دعامة من دعائم دعوى الألوهية والتجسد، وعادت للمسيح عليه السلام صورته الحقيقية، عبدا لله عز وجل ورسوله، خلقه تبارك وتعالى ثم اصطفاه لتبليغ رسالته إلى بعض خلقه، ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٧٢].

يضاف إلى هذا ما تميز به من صياغة فلسفية بليغة، كما أنه الوحيد من بين الأناجيل القانونية الأربعة، الذي تؤمن الكنيسة أو تدّعي أنه قد كتب أساسا لعموم

=

وبين يوحنا/ الإصحاحين ١٨ و١٩.

(١) انظر: وليم إدى (م.ن.) ٣/ ٧-٨، والمسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٧٢، ومحمد علي زهران (م.ن.) ص٣٠.

النصارى، دون أن يختص باليهود أو بالأمميين كما يقال في بقية الثلاثة. وفيما يلي أنقل بعض أقوال علماء النصارى في تقدير هذا الإنجيل وتقييمه:

فهذا كلمنت الإسكندري ـ أحد علماء النصارى في أواخر القرن الثاني للميلاد ـ كان يقول عن هذا الإنجيل: «إنه الإنجيل الروحي الذي يتمم ويستدرك على الأناجيل السينوبتية»[1]. ويقول بعضهم أيضا: «بشارة يوحنا بالنسبة للكثيرين من المسيحيين هي أثمن سفر بين أسفار الإنجيل، بل هي قدس أقداس العهد الجديد»[2]! وقال آخر: «بشارة يوحنا هي فريدة الفرائد. فليس في آداب اللغات ما يعدل البشائر الأربع[3]! وليس بين البشائر الأربع ما يعدل البشارة الرابعة... بشارة يوحنا هي بشارة خاصة، ولكنها في نفس الوقت بشارة العالم أجمع»[4].

ج- من هو يوحنا (الذي ينسب إليه الإنجيل)؟

هو يوحنا بن زبدي الصياد، واسم أمه: سالومة، وله أخ ـ أكبر منه فيما يظهر ـ اسمه يعقوب، كلاهما من تلاميذ المسيح عليه السلام وحوارييه الاثني عشر.

ويوحنا ـ على ما يُظن ـ ابن خالة المسيح عليه السلام، وهذا بناء على اعتقاد النصارى

---

(١) الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٥.

(٢) القائل هو: وليم باركلي في كتابه: تفسير العهد الجديد ـ إنجيل يوحنا ـ ترجمة عزت زكي ص٩.

(٣) كذب والله، بل إن القرآن الكريم بشهادة المنصفين من النصارى لا يجاريه في الرقي الأدبي شيء من الأعمال الأدبية البشرية. واستمع إلى قول القس جيمي شواغارت في مناظرته مع الشيخ أحمد ديدات (م.ن.).

(٤) القائل هو: القس الدكتور إبراهيم سعيد، صاحب كتاب: شرح بشارة يوحنا. نقلا عن: محمد علي زهران (م.ن.) ص٣٢.

أن أمه سالومة أخت لمريم والدة المسيح، وقد عهد إليه بكفالة أمه مريم واستحفظه إياها وهو على الصليب كما يزعمون[١].

ولد يوحنا في بيت صيدا[٢]، وكانت إقامته بعد المسيح عليه السلام في أورشليم، ثم سكن بعد ذلك في مدينة أفسس[٣]، وقد نفي عنها بعضَ الزمن في عهود الاضطهاد، ثم رجع إليها وعاش بقية عمره في أرجائها.

يعتبر يوحنا من خواص تلاميذ المسيح وأحبهم إليه حتى كان يعرف وحده من بينهم بالتلميذ الحبيب. كما أنه وأخاه يعقوب كانا يلقبان بابني الرعد، لحدة الطبع وسرعة الانفعال.

لم يُعلم بالتحديد تأريخ وفاته، إلا أنه يعتقد أنه قد عاش حياة أطول من غيره من تلاميذ المسيح عليه السلام، وأنه كان آخرهم موتا، وأنه قد وافته المنيّة في مدينة أفسس في نهاية القرن الأول للميلاد[٤]، وتوجد في العهد الجديد خمسة أسفار تنسب إليه

---

(١) انظر: يوحنا ١٩/ ٢٦-٢٧.

(٢) أي بيت صيدا الجليل، وهي مدينة في الجهة الغربية من نهر الأردن، وعلى الشاطئ الشمالي لبحيرة طبرية. قاموس ك.م. ٢٠٣، ومحمد محمد شرّاب (م.ن.) ص١٩٣.

(٣) أفسس: كلمة يونانية تعني: المرغوبة، وهي اسم لمدينة كانت هي عاصمة المقاطعة الرومانية على الشاطئ الأيسر من نهر الكيسترا، وعلى مسافة ٣٥ ميلا جنوبي شرق إزمير "Izmir". وكانت ميناءً بحريا مهما ومركزا دينيا ـ نصرانيا ـ في العصور القديمة، وقد وجه بولس إلى أهلها إحدى رسائله، وفيها عقد المجمع المسكوني الثالث في عام ٤٣١م. الدائرة الأمريكية ١٠/ ٤١٤، وقاموس ك.م. ٩٢-٩٣.

(٤) راجع: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١٤٣، و١٤٤، و١٦٢، وقاموس ك.م. ص٩٣، و١١٠٨-١١١٠، ووليم إدى (م.ن.) ٣/ ٥-٦، وعبد الرحمن البغدادي (م.ن.) ص٣٤٠-٣٤١، وكذلك =

وهي: الإنجيل الرابع، وثلاث رسائل، وسفر الرؤيا.

د- زمن كتابة الإنجيل، وسبب اختلافهم في ذلك.

لم يعد غريبا أن نحكي أقوالا مختلفة كلما تعرّضنا لمسألة كهذه، حيث لم تسلم واحدة مما تقدم من نظائرها من الخلاف، وربما التناقض والتضاد في بعض الأحيان. غير أن الخلاف حول زمن كتابة الإنجيل الرابع وإن كان موجودا، إلا أن ثمة نقاطًا في هذا الإطار نفسه، يقل الخلاف أو يندر[1] فيها، ومن هذه النقاط: أن الإنجيل هو آخر الأناجيل الأربعة كتابة، وأنه لم يُكتب قبل خراب أورشليم وإنما بعده، أي بعد عام ٧٠م. كما أن أحدا لم يستطع تحديد وقت معيّن لتأريخ كتابته بدليل صحيح.

إذا عُلم هذا، فلنعرض أشهر الأقوال الواردة في زمن كتابة هذا الإنجيل، وهي كما يلي:-

أ- أنه كتب فيما بين سنة ٨٠ و٩٠م[2].

ب- أنه كتب فيما بين سنة ٩٥ و٩٨م[3].

=

النصوص في إنجيل متّى ٤/ ٢١-٢٢، و٢٠/ ٢٠، ومرقس ١/ ١٩-٢٠، و٣/ ١٧، ولوقا ٩/ ٥٤-٥٦، ويوحنا ١٣/ ٢٣، و١٩/ ٢٦، و٢٠/ ٢.

(١) لأنه توجد أقوال تعارض بعض هذه الأمور إلا أنها أقوال شاذة، انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٥٦٠-٥٦١.

(٢) انظر: وليم إدى (م.ن.) ٣/ ٦.

(٣) انظر: شرح بشارة يوحنا للقس د/ إبراهيم سعيد ص٢٨، نقلا عن: محمد علي زهران (م.ن.) ص٨١.

ج ـ أنه كتب في حوالي سنة ١٠٠م[١].

د ـ أنه كتب فيما بين سنة ٩٠ و ١١٥م[٢].

هـ ـ أنه كتب فيما بين سنة ١١٠ و١١٥م[٣].

و ـ أنه كتب فيما بين سنة ١٠٠ و ١٢٥م[٤].

ز ـ أنه كتب في حوالي سنة ٩٨م[٥].

أسباب الخلاف:

ياترى ما هو السر في نشوب هذا الخلاف بين علماء النصارى بعد اتفاقهم في المعالم الرئيسة نحو تحديد تأريخ كتابة هذا الإنجيل؟! إن السبب في ذلك هو أن الإنجيل ـ كما سوف نرى ـ قد نسب إلى غير مؤلفه الحقيقي، فالطابع الثقافي لشخصية يوحنا التلميذ، وسياق أحداث حياته يرفضان كل الرفض هذه النسبة المزورة، فأين المخرج إذًا؟؟

هناك عاملان أساسيان أدّيا بالقوم إلى الحيرة في أمرهم هذا ومن ثم الاختلاف الذي نشهده فيه. فالأمر الأول: تناقض هذا الإنجيل مع سفر الرؤيا ـ وكلاهما ينسبان إلى يوحنا! ـ والثاني: زعمهم أن هدف يوحنا في كتابة هذا الإنجيل

(١) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ١٠/ ١٤٥، و"Micro" ٥/ ٥٧٩.

(٢) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٥٦١.

(٣) انظر: Ajijola,A.D; (op.cit.) P. 91.

(٤) وهو اختيار حبيب سعيد في أديان العالم الكبرى (الملخص المترجم) ص١٠٦، نقلا عن: محمد علي زهران (م.ن.) ص٨٢.

(٥) انظر: دراسات في الكتاب المقدس (إنجيل يوحنا) للأنبا أثناسيوس ص٧.

هو الرد على الاتجاهات المخالفة لما كانت عليه الكنيسة كما سيأتي قريبا إن شاء الله.

فمن يرى ألاّ بد من نسبة الإنجيل مع الرؤيا إلى يوحنا التلميذ الحواري، قرر ضرورة تأخير وقت كتابة الإنجيل مدة تكفي لتصور حدوث التغيير الفكري الملائم في ثقافة المؤلف العامي ـ كما هو واضح في سفر الرؤيا ـ ليصبح فيلسوفا حاذقا يكتب ذلك الإنجيل الفلسفي في وقت متأخر من حياته. ثم يختلف أصحاب هذا الموقف أيضا فيما بينهم في تحديد فترة هذا التحول المزعوم كما قد رأينا في التواريخ المذكورة أن بعضهم يجعلها في الربع الأول من القرن الثاني، وذلك على اعتقادٍ بأن سفر الرؤيا كُتب حوالي سنة ٩٥م أو ٩٦م، وبعضهم يجعل فترة كتابة الإنجيل لا تخرج عن القرن الأول للميلاد ولكنه يقرر تأريخا مبكرا لكتابة سفر الرؤيا أي في نحو سنة ٦٩م.

ومن يقطع منهم بصحة نسبة الإنجيل فقط إلى يوحنا دون سفر الرؤيا، اعتمد في تحديد تأريخ الكتابة على أنه لم يكن إلا بعد ظهور البدع والاتجاهات المخالفة، أي بعد ظهور الأناجيل الثلاثة الأخرى[١].

هـ- مكان كتابة الإنجيل.

إنه شبه مجمع عليه بين علماء النصارى والمؤرخين والكتّاب أن هذا الإنجيل كتب في مدينة أفسس أو في موضع قريب منها[٢]. وتوجد أقوال أخرى تفترض

(١) انظر: محمد علي زهران (م.ن.) ص١٢٩-١٣٠ بتصرف.

(٢) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٢٥٣، ووليم إدى (م.ن.) ٣/ ٦، وقاموس ك.م. ص١١١٠، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٥٦٢، والدائرة البريطانية "Micro" ٥/ ٥٧٩، وAjijola,A.D; (op.cit.) P.91

أماكن أخرى، غير أنها لا تستند إلى أساس قوي وتعتبر أقوالا مرجوحة عند النصارى أنفسهم[١]. ومن هذه الأماكن المذكورة: جزيرة بطمس[٢]، وأنطاكية، والإسكندرية، وجنوب اليهودية[٣].

وعلى كلٍّ فإن هذه الآراء المختلفة، في رأي أحد القساوسة المعاصرين[٤] لا يمكن لأي شخص أن يعطي رأيه فيها بكل يقين وتأكيد!!!

و- الهدف من كتابة الإنجيل.

يوجد توافق في هذا الأمر بين كاتب إنجيل لوقا وكاتب هذا الإنجيل، إذ لم يُخف كل منهما هدفه في الكتابة. وأما النقطة التي يتباينان فيها فهي أنّ لوقا ـ كما أسلفت ـ قدم ذكر هدفه كاملا بكل وضوح في أول إنجيله، بينما يبدو أن كاتب إنجيل يوحنا لم يذكر سوى بعض أهدافه، وعلى عكس ما فعل لوقا يجعل ذكر الهدف في ختام الإنجيل حيث قال: «وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدّام تلاميذه لم تُكتب في هذا الكتاب. وأما هذه **فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم، حياة باسمه**»[٥]. إذًا، فهو واضح وصريح ولم يبق أي

---

(١) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٥٦٢، ومحمد علي زهران (م.ن.) ص٨١-٨٢.

(٢) بطمس: جزيرة في الأرخبيل الرومي، وتسمى الآن "بطمو"، على بعد نحو ثلاثين ميلا جنوب ساموس على شاطئ آسيا الصغرى الجنوبي للغرب. كان من عادة الدولة الرومانية أن تنفي المذنبين إلى هذه الجزيرة، وقد نفي يوحنا إليها في سنة ٩٤م. قاموس ك.م. ١٨٠.

(٣) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٧١، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٥٦٢.

(٤) هو القس د/ فهيم عزيز في كتابه: المدخل إلى العهد الجديد ص٥٦٢.

(٥) يوحنا ٢٠/ ٣٠-٣١.

شك في أنه قد انتقى مادة كتابه هذا لغاية محددة وهدف منشود هو: إضفاء صفة الألوهية وبنوة الإله على يسوع المسيح. وهل كان هذا هو هدفه كله؟ لم يقتنع بهذا معظم المؤرخين والنقّاد، فقد استنتجوا جملة أهداف وراء كتابة هذا الإنجيل الفريد من نوعه، هي كما يلي:

١ ـ ما تقدم منذ قليل، أعني إثبات لاهوت المسيح (ألوهيته) مع ناسوته (إنسانيته)، وذلك ـ حسب ما يُذكر في كتب النصارى ـ أن فِرقاً نصرانية في أواخر القرن الأول للميلاد[١] كانوا يعتقدون أن المسيح ليس إلا إنسانا، وأنه لم يكن قبل أمه مريم، وينكرون ألوهيته مطلقا. فاجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم والتمسوا من يوحنا كتابة إنجيل يولي اهتماما خاصا لإثبات ألوهية المسيح والرد على منكريها[٢].

٢ ـ التصدّي للرد على تلاميذ يوحنا المعمدان، الذين ذهبوا إلى تسوية المسيح بالمعمدان، أو حتى تفضيله على المسيح عليه السلام، فاهتم كاتب هذا الإنجيل برد هذا الزعم وإظهار البون الشاسع بين الاثنين، وأن المسيح أفضل من المعمدان لدرجة أنه (المعمدان) ليس أهلا لأن يحلّ سيور[٣] حذائه[٤]!!![٥]. ولا يخفى ما في هذا

---

(١) في هذا دليل قوي على أن فكرة إنكار ألوهية المسيح قديمة جدا.

(٢) انظر: قاموس ك.م. ص١١١١، وعبد الرحمن البغدادي (م.ن.) ص٣٤١، ومحاضرات أبي زهرة ص٤٩، ومحمد علي زهران (م.ن.) ص٧٨-٧٩.

(٣) السيور جمع السَّيْر وهو: ما يُقَدُّ من الجلد. القاموس ص٥٢٨.

(٤) انظر: يوحنا ١/ ٢٦-٢٧، وكذلك ١/ ٦-٨ و٢٩-٣٠.

(٥) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٥٥٧-٥٥٨.

الكـلام من التحقـير والنـيل من حق نبـي الله يحيى، عليه وعلى عيسى ونبيـنا محمدٍ صلوات الله وسلامه.

٣ـ جذب العقلية اليونانية المفلسَفة. وهذا كما يراه بعض النصارى المعاصرين[١] من باب التجاوب مع الظروف والعصر الذي كُتب فيه الإنجيل.

ومما يذكر أن هذه العقلية المفلسَفة كانت ترفض النصرانية ورسالتها بسبب اعتمادها على الأساليب والمناهج العبرية اليهودية غير المناهج الفلسفية ـ كما هو الوضع في الأناجيل الثلاثة الأولى ـ فجاء كاتب هذا الإنجيل بإنجيله الفلسفي كي يجذب إلى صفوفهم هؤلاء الذين لم يرضوا بالتنكّر لتراثهم الفلسفي واعتناق منهج الفكر العبراني[٢].

٤ ـ إكمال ما يرى الكاتب أن كتَبَةَ الأناجيل الثلاثة قد تركوه من جوانب حياة المسيح عليه السلام، وخصوصا ما كان في بداية خدمته، أي قبل أن يسجَن يوحنا المعمدان. فإن الثلاثة إنما بدأوا حديثهم عن حياة المسيح بعد هذا الحدث لا قبله[٣]، وقد تقدم وصف كلمنت الإسكندري لهذا الإنجيل بالمتمم والمستدرك على الأناجيل الثلاثة[٤].

وأما لمن كتب هذا الإنجيل أساسا، فهذا يتضح من خلال الهدف الثالث من الأهداف المذكورة أعلاه[٥]. وإن كان المشهور لدى النصارى أنه الإنجيل الوحيد

---

(١) هو القس د/ فهيم عزيز في كتابه المدخل إلى العهد الجديد ص٥٥٩.

(٢) انظر: وليم باركلي (م.ن.) ص١٧، نقلا عن: محمد علي زهران (م.ن.) ص٧٩-٨٠.

(٣) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١٤٩-١٥٠.

(٤) انظر: ص٤٤٧.

(٥) وانظر كذلك: الدائرة البريطانية "Micro" ٥/ ٥٧٩.

الذي كتب لجميع المؤمنين بالمسيح ربًّا ومخلِّصا دون أن يختص بطائفة أو جماعة منهم، كما هو الحال بالنسبة للأناجيل الثلاثة الأخرى[١].

ز- من المؤلف الحقيقي لهذا الإنجيل؟

هذا سؤال صعب جدا؛ ولقد دارت فيه مناقشات عدّة وكتبت فيه مئات الصفحات. فلما كان الشيء الذي لا يدرك كله لا يُترك جله فسأحاول تناول الموضوع بشيء من الإيجاز مع الإحالة إلى المصادر والمراجع التوسعية إن شاء الله.

أولا:- حسب الرأي الكنسي التقليدي فإن كاتب الإنجيل الرابع هو يوحنا ابن زبدي التلميذ الحواري[٢]، ويعتمد هذا الرأي على دعامتين سموهما بالشهادة الخارجية والشهادة الداخلية.

أما الشهادة الخارجية فالمقصود بها شهادات خارج هذا الإنجيل، ومن أهمها:

أ ـ شهادات آباء الكنيسة، أمثال: إيريناوس، وأوريجانوس، وكلمنت الإسكندري وغيرهم[٣].

ب ـ وثيقة موراتوري[٤]، التي اكتُشفت عامَ ١٧٤٠م، ويُزعم أن تأريخها

---

(١) انظر: وليم إدى (م.ن.) ٣/ ٧.

(٢) انظر: قاموس ك.م. ص١١١٠، ووليم إدى (م.ن.) ٣/ ٥.

(٣) راجع أقوالهم في: يوسابيوس (م.ن.) ص٢٥٣ و٣١٧، ومقدمة إنجيل القديس يوحنا ـ مذكرة ـ للدكتور موريس تاوضروس ص١٧ وما بعدها، نقلا عن: محمد علي زهران (م.ن.) ص٩٢-٩٨، والدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٥.

(٤) موراتوري: عالم إيطالي قام باكتشاف هذه الوثيقة فسميت باسمه، وهو: لودوفيكو أنتونيو موراتوري، رائد التأريخ الإيطالي الحديث، ولد سنة ١٦٧٢م، ورسم كاهنا في ١٦٩٤م، ومات =

يرجع إلى النصف الثاني من القرن الثاني للميلاد، وأنه وردت فيها إشارة إلى أن كاتب الإنجيل الرابع هو يوحنا تلميذ المسيح ﷺ[١].

ج ـ شهادة النسخ القديمة لكتاب النصارى المقدس، كالنسخة الفاتيكانية والنسخة السينائية وغيرهما[٢].

وأما الشهادة الداخلية، فهي ما يؤخذ من نصوص الإنجيل نفسه من دلائل تحدد شخصية الكاتب على النحو الآتي:

١ ـ أنه كان يهوديا ومن أهل فلسطين. وذلك ـ كما يقولون ـ ظاهر من معرفته الدقيقة التفصيلية لجغرافية فلسطين، وتأريخ وعادات اليهود[٣].

٢ ـ أنه كان شاهد عيان، وذلك يؤخذ من استخدامه ضمير المتكلم الجمع، ووصفه للأمور والحوادث وصفا دقيقا[٤].

٣ ـ أنه كان تلميذا للمسيح ﷺ، ويظهر ذلك من وصفه نفسه بأنه التلميذ الذي كان يسوع المسيح يحبه[٥]، وذكره أشياء ليست في الأناجيل الأخرى... الخ[٦].

=

١٧٥٠م. أما الوثيقة فعبارة عن قائمة لكتب العهد الجديد يرجع أصلها إلى القرن الثاني للميلاد. الدائرة البريطانية ١٥/ ١٠٠٤.

(١) انظر: محمد علي زهران (م.ن.) ص٩٦.

(٢) وقد تقدم الحديث عن هذه النسخ في الباب الأول عند التعريف بكتاب النصارى المقدّس.

(٣) انظر: يوحنا ١/ ٤٤ و٢/ ١-١٠ و٣/ ٢٣ و٧/ ٣٧ على سبيل المثال.

(٤) انظر: يوحنا ١/ ١٤ و٦/ ٥-١٠ مثلا.

(٥) انظر: يوحنا ١٣/ ٢٣ و١٩/ ٢٦.

(٦) انظر: قاموس ك.م. ص١١١٠-١١١١، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٥٤٨-٥٤٩، والدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٥.

والآن نأتي إلى مناقشة هاتين الشهادتين لمعرفة مدى قوتهما أو ضعفهما في ميزان النقد العلمي. ولكن قبل ذلك، إليكم نص دائرة المعارف البريطانية بهذا الصدد، حيث جاء فيها: « من أجل أن الشهادة الخارجية والداخلية **محل شك** فالمفترض أن إنجيل يوحنا ورسائل يوحنا كتبت وحررت في مكان ما في الشرق (لعله أفسس)، باعتبار أنها إنتاج مدرسةٍ أو دائرة يوحانية في نهاية القرن الأول [للميلاد] »(١)!

أولا: شهادة آباء الكنيسة:- هذه الشهادات لا يمكن الاحتجاج بها فيما نحن فيه، لأمور كثيرة، منها:

١ ـ أن معظمها ليس صريحا في نسبة الإنجيل إلى يوحنا الحواري، وإنما غاية ما فيه مجرد إشارات، كما في قول أوريجانوس مثلاً: « وآخر الكل الإنجيل الذي كتبه يوحنا »(٢) واكتفى بعضها بذكر أن ذلك هو ما تعتقده الكنيسة فقط.

٢ ـ أن أصحابها أناس عاش بعضهم في القرن الثالث، وبعضهم في أواخر القرن الثاني للميلاد، وليس منهم أحد قد عاصر يوحنا أو كان بينهما أقل من قرن، فضلا عن أن يكون أحدهم من تلاميذ يوحنا. و في المقابل وجدنا من ينكر نسبة الإنجيل إليه منذ القرن الثاني للميلاد كما سيأتي قريبا إن شاء الله.

٣ ـ أنه لا سند متصل لرواية هذه الشهادات، كمالم يوجد سند بين الشاهد والمشهود له، فإن أقدم كتاب ـ موجود ـ يأتي فيه ذكر هذه الشهادات هو كتاب يوسابيوس القيصري في تأريخ الكنيسة، والمؤلف من رجال الكنيسة في القرن الرابع

---

(١) الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٥.

(٢) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٣١٧.

للميلاد، فضلا عن أنه لم يكن مؤرخا محايدا حتى يوثق به في مثل هذا.

٤ ـ أن المصادر التأريخية التي اعتمدت عليها الكنيسة في هذه الشهادات، هي المصادر نفسها التي تردها أيضا عندما تعارض هواها، أو يعارضها فريق من النصارى لعدم توافقها مع هواهم، ومن أمثلة ذلك نفي الكنيسة الأرثودكسية والبروتستانتية صحة الروايات التي تنسب تأسيس كنيسة روما إلى القديس بطرس[١].

ثانيا: وثيقة موراتوري:- وهذه كذلك هي الأخرى توجد عليها جملة ملحوظات، من أهمها ما يلي:-

١ ـ جهالة كاتبها من حيث العدالة والضبط والصدق... الخ

٢ ـ أن الزعم بأنها ترجع إلى القرن الثاني للميلاد مجرد ادّعاء لا دليل عليه، لأنه تحديد خاضع لتقديرات علماء الآثار والمهتمين بها، وهي في الغالب تبنى على نظريات وأسس خاصة واجتهادية لا عصمة لها من الخطأ، كما أن احتمال خضوعها للأهواء وارد[٢].

٣ ـ أنها لا تعطي تأكيدا قاطعا على أن كاتب الإنجيل هو يوحنا الحواري، وهذا ما يقوله بعض الباحثين النصارى[٣].

---

(١) انظر: يوسابيوس (م.ن.) ص٨٧ ـ تعليق المترجم ـ، ومحمد علي زهران (م.ن.) ص٩٨-١٠٣، بتصرف.

(٢) انظر: محمد علي زهران (م.ن.) ص٩٦ و١٠٣-١٠٤، بتصرف.

(٣) ومنهم د/ فهيم عزيز في المدخل إلى العهد الجديد ص٥٥١.

ثالثا: شهادة نسخ وترجمات كتاب النصارى المقدس:-

أما بالنسبة لهذه فلا علاقة لها البتة بالموضوع، إذ إن هذه النسخ مهما توغلت في القِدم، فإنها بالتأكيد ليست من تأليف يوحنا أو أيّا كان كاتب الإنجيل، وذلك لأن أقدمها إنما يرجع إلى القرن الميلادي الرابع فقط كما تقدم بيان هذا في الباب الأول عند التعريف بكتاب النصارى المقدّس.

وأما بالنسبة للشهادات الداخلية، فالقول فيها:

أولا: أن جميع ما ذكر من الأوصاف لا يُسلَّم بأنها من خصوصيات يوحنا، بل كما هو واضح يشاركه فيها بقية التلاميذ وربما غيرهم أيضا. ومن الجدير بالذكر أن الدراسات الحديثة أثبتت ـ كما سيأتي قريبا إن شاء الله ـ رجحان نسبة هذا الإنجيل الفلسفي إلى شخص كان يُدعى يوحنا الشيخ، ويشترك مع يوحنا الحواري في كثير من الصفات، فهما يهوديان، متنصّران، ومن أهل فلسطين، ونزيلا أفسس!

فما المانع من أن يكون هو (يوحنا الشيخ) أو غيره قد عثر على بعض مذكرات يوحنا التلميذ أو سمع منه، ـ لا سيما وقد أقام كلاهما في وقت واحد بأفسس ـ فيكتب ما كتب وكأنه شاهد عيان واصفا نفسه بالتلميذ الذي كان يسوع يحبه ترويجا لمؤلَّفه؟!!![1]. علما بأن هناك نظرية في النصرانية تقول: إن التلميذ **(الذي كان يسوع يحبه)** هو التلميذ المثالي الذي يمثل التلمذة الحقيقية، وأنه لم يكن له وجود حقيقي بين تلاميذه كافة![2].

---

(١) انظر: محمد علي زهران (م.ن.) ص١٠٥، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٥٥٢، بتصرف.

(٢) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٥٥٤.

ومن جهة أخرى لا يُسلّم بما وصف به كاتب الإنجيل من دقة المعرفة بجغرافية فلسطين، أو دقة وصفه للحوادث، وذلك لما يأتي:

١ ـ أن الكاتب وقع في أخطاء في معرض وصفه لبلاد فلسطين ومعالمها، ومن ذلك ما جاء في الإصحاح الثالث من إنجيله هذا: « وكان يوحنا أيضا يُعمِّد في عين نون بقرب ساليم، لأنه كان هناك مياه كثيرة وكانوا يأتون ويعتمدون »[١]. وهذا الموضع: "عين نون" لم يعرف قط ولم يتفق علماء النصارى على تحديده ـ إذ لا وجود له أصلا ـ بل لهم في ذلك آراء تصل إلى ثلاثة وقد تزيد[٢]. أما بالنسبة لتحديد الموضع بأنه قرب ساليم فتلك هي مشكلة أخرى، وذلك لأن مدينة ساليم المعروفة[٣] ليس بقربها موضع يسمى عين نون، أما عين نون المعروفة[٤]، فبينها وبين ساليم ما يزيد على ثمانية أميال، ويقع بينهما واد، ومدينة أخرى مشهورة[٥].

وكذلك ما جاء في الإصحاح الرابع: « فأتى إلى مدينة من السامرة يقال لها سوخار بقرب الضَّيعَة[٦] التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه، وكانت هناك بئر يعقوب... »[٧]. فهذه المدينة "سوخار" أيضا غير معروفة، حتى إن علماء كتاب

---

(١) يوحنا ٣/ ٢٣.

(٢) انظر: قاموس ك.م. ص٦٥٣-٦٥٤.

(٣) وهي الواقعة على مسافة أربعة أميال شرق مدينة شكيم. قاموس ك.م. ص٤٤٧.

(٤) وهي الخرائب الممتدة على منحدر وادي طوباس، على بعد نحو عشرة أميال شمال شرق شكيم. قاموس ك.م. ص٤٤٧.

(٥) انظر: قاموس ك.م. ص٤٤٧ بتصرف.

(٦) الضيعة: العقار، والأرض المُغِلَّة. القاموس ص٩٦٠.

(٧) يوحنا ٤/ ٥-٦.

النصارى المقدس لا يجزمون في تحديدها بشيء[١].

٢ ـ أما بالنسبة لوصف الأحداث فلنأخذ مثالا واحدا فقط في ذلك، وهو حادثة طرد المسيح ﷺ للباعة من الهيكل، فإن أصحاب الأناجيل الثلاثة الأخرى يذكرونها في وقت متأخر من دعوته ﷺ[٢]، وأما كاتب هذا الإنجيل فيذكرها في وقت مبكر منها[٣]. ومن غير المعقول أن يسوع المسيح وهو لا يزال في بداية أمره، يقوم بضرب الناس بالسياط، ويطرد الباعة، ويقلّب الموائد والكراسي، وهو الذي كان يذهب بعد ذلك إلى أورشليم نفسها مختفيا متخوفا من اليهود كما يذكر هذا الإنجيل نفسه أيضا[٤]!!!

كما يلاحظ أن الإنجيل قد انفرد بذكر بيع البقر والغنم في الهيكل. بينما أسفر التحقيق التأريخي عن خطأ هذا القول، وأن عملية بيع وشراء البقر والغنم لم يكن لها موضع في الهيكل أصلا، وإنما كانت تجري في سوق نائية عنه[٥]. فأين الوصف الدقيق في هذا كله يا قوم[٦]!؟

ثانيا:- الرأي العلمي الحديث.

أخذ الرأي الكنسي التقليدي في التراجع والضعف منذ بداية القرن الميلادي

---

(١) انظر: قاموس ك.م. ص٤٩١.

(٢) انظر: متّى ٢١/ ١٢، ومرقس ١١/ ١٥-١٦، ولوقا ١٩/ ٤٥-٤٦.

(٣) انظر: يوحنا ٢/ ١٤-١٥.

(٤) انظر: يوحنا ٧/ ١٠-١٣، و١١/ ٥٣-٥٤.

(٥) انظر: كتاب دين الخوارق ص٥٥٠، نقلا عن: محمود علي حماية (م.ن.) ص٦٦.

(٦) راجع: محمد توفيق صدقي (م.ن.) ص٣٥-٣٧، نقلا عن: محمود علي حماية ص٦٦.

التاسع عشر، حيث برز موقف النصارى المعارضين لنسبة الإنجيل إلى يوحنا الحواري وقوي[١]. ومن ذلك ما جاء في دائرة المعارف الكبرى الفرنسية[٢]: «أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزوّر، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما القديسان يوحنا ومتّى. وقد ادّعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاّتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، **ووضعت اسمه على الكتاب نصّا**، مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا. ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نُسبت إليه. وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ـ ولو بأوهى رابطة ـ **هذا الرجل الفلسفي** الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليل، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى»[٣].

وتقول دائرة المعارف البريطانية: «ومع أن الإنجيل يدّعى أن كاتبه هو يوحنا التلميذ الذي كان يسوع يحبه، فقد كانت هناك مباحثة جسيمة حول الهوية الحقيقية للكاتب»[٤].

هذا وهناك عدة احتمالات وافتراضات في تحديد هوية الكاتب الحقيقي

---

(١) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٠٩، وعبد الرحمن البغدادي (م.ن.) ص٣٤١، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٥٤٩، ومحمد علي زهران (م.ن.) ص١٠٥، و Bucaille, Maurice (op.cit.) P. 69-70.

(٢) ١٦/ ٨٧١-٨٧٢.

(٣) ويلاحظ أن بعض المراجع العربية تذكر أن هذا النص في الدائرة البريطانية، وهذا ليس بصحيح.

(٤) الدائرة البريطانية "Micro" ٥/ ٥٧٩.

للإنجيل، ومنها ما تقدمت الإشارة إليه من أن بعض المعاصرين ليوحنا الحواري قد استخدم المذكرات أو المواعظ التي سمعها منه، فكتب هذا الكتاب ثم نسبه إليه[١]، أو أن الإنجيل من إنتاج مدرسة أو دائرة تُعرف باليوحانية في نهاية القرن الأول للميلاد[٢]. وثمة افتراض ثالث، وهو أن الإنجيل ينتمي إلى أكثر من كاتب، حيث إن تلامذة المؤلف قد أضافوا إليه الإصحاح الأخير منه وكذلك بعض فقرات أخرى[٣]. ويفترض بعضهم أن الإنجيل من تصنيف طالب من طلبة المدرسة الفلسفية الإسكندرية[٤][٥]. ويبقى احتمال آخر وهو أن شخصا معيّنا اسمه يوحنا ـ غير الحواري ـ هو كاتب هذا الإنجيل[٦].

ولكن قبل أن نأتي إلى دراسة أبعاد هذا الاحتمال دراسة علمية، يستحسن ذكر شيء من حجج الذين نفوا نفيا قاطعا أن يكون الإنجيل من تأليف تلميذ المسيح عليه السلام المسمى يوحنا بن زبدي، ومن أهمها:

أ ـ إنكار بعض علماء النصارى وأعلامهم هذه النسبة، بل وجد منذ وقت مبكر جدا ـ في القرن الثاني للميلاد ـ من ينكر نسبة الإنجيل إلى يوحنا. وكان إيريناوس،

---

(١) انظر: ص٤٥٩.

(٢) انظر: ص٤٥٧.

(٣) مثل ما بين ٧/ ٥٣ و٨/ ١١، و١٩/ ٣٥. انظر: Bucaille, Maurice (op.cit.) P.69-70، وعبدالرحمن البغدادي (م.ن.) ص٣٤٢.

(٤) تقدم الحديث عن المدرسة في الباب التمهيدي.

(٥) انظر: عبد الرحمن البغدادي (م.ن.) ص٣٤٢.

(٦) انظر: ما سيأتي في ص٤٦٥.

تلميذ تلميذ يوحنا، بوليكارب[١] بين ظهرانيهم، ولم يَصدر منه أي نقل عن أستاذه بوليكارب أنه يقر بنسبة الإنجيل إلى شيخه يوحنا، بل أغرب من هذا أن بوليكارب نفسه كتب رسالة إلى أهل فيلبي[٢]، ولم يشر فيها إلى هذا الإنجيل أصلا ولا اقتبس منه شيئا[٣].

ب ـ أن الكنيسة كانت بطيئة جدا في قبول هذا الإنجيل والاعتراف به، فلذلك وجد من أعلامها في القرن الثاني للميلاد من لا يذكرون الإنجيل أو لا يشيرون إلى كاتبه[٤].

ج ـ الطابع الفلسفي لهذا الإنجيل ورقي أسلوبه، من الدلائل على عدم صلته بيوحنا بن زبدي الذي جاء وصفه في أحد أسفار العهد الجديد[٥] نفسه ب"العامي وعديم العلم"[٦]!

د ـ كما أن الغالب على أسلوب الإنجيل هو أسلوب الناقل عن الغير، فلا

---

(١) بوليكارب: "Polycarp" أسقف سميرنا، وتلميذ يوحنا، وأحد الآباء الكنسيين. ولد سنة ٦٩م ومات سنةَ ١٥٥م. الدائرة البريطانية ١٨/ ١٨٢.

(٢) فيلبي: مدينة في مكدونية، وكان اسمها القديم: كرينيدس أي الينابيع الصغيرة، وقد وجّه بولس إلى أهلها إحدى رسائله. انظر: قاموس ك.م. ص٧٠٢-٧٠٣. وأما رسالة بوليكارب هذه فقد كتبها فيما بين سنة ١١٢ و١١٨م. انظر: الدائرة البريطانية ١٨/ ١٨٢.

(٣) انظر: عبد الرحمن البغدادي (م.ن.) ص٣٤٢، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٥٤٩، ومحمود علي حماية (م.ن.) ص٦٤.

(٤) ومن هؤلاء: جاستن مارتر، وفيلمو وغيرهما. انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٥٥١.

(٥) انظر: الأعمال ٤/ ١٣.

(٦) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٥٥٠، ومحمد علي زهران (م.ن.) ص١١٧-١١٨.

يمكن الوثوق بدعوى أن الكاتب إنما كتب ما شاهده بنفسه[١]. وهذا يختلف تماما عما في سفر الرؤيا المنسوب إلى يوحنا أيضا، فهناك يكتب عن نفسه بضمير المتكلم فيقول مثلا: «أنا يوحنا أخوكم وشريككم... كنتُ في الجزيرة التي تُدعى بطمس... كنت في الروح...»[٢].

ونأتي الآن إلى القول بأن مؤلف هذا الإنجيل: شخص يشترك مع ابن زبدي في الاسم وربما في أشياء أخرى، لنرى كيف توصلّوا إلى هذا القول، ومدى مطابقته للحق إن شاء الله.

لقد نسب كثير من الباحثين هذا الإنجيل إلى شخص يدعى **يوحنا الشيخ**، كان معاصرا ليوحنا الحواري، وسكن معه في أفسس، وكان فيلسوفا يهوديا فلسطينيا قد اعتنق بعض المبادئ النصرانية[٣].

وهناك نقطتان مهمتان تذكرهما المصادر النصرانية لاسيما القديمة منها، أولاهما: الوجود الحقيقي التأريخي لهذا الشخص المدعو يوحنا الشيخ أو القديس، والثانية: التفريق بين مؤلف الإنجيل الرابع الذي نحن في دراسته حاليا، وبين مؤلف سفر الرؤيا وإن كان الاثنان يحملان اسم يوحنا[٤]. وذلك على أساس أن أسلوب

(١) انظر: محمود علي حماية (م.ن.) ص٦٣.

(٢) رؤيا يوحنا اللاهوتي ١/ ٩-١٠.

(٣) انظر: الأنبا أثناسيوس (م.ن.) ص١٥، واختلافات في تراجم الكتاب المقدس لأحمد عبد الوهاب ص٨٧، والدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٥، وAjijola,A.D; (op.cit.) P.100.

(٤) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١٧٥-١٧٦، و٣٧٣-٣٧٨، والدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٥، والمرشد إلى الكتاب المقدس لسيكل سيل ص٢٢٧ و٢٨٤ ـ نقلا عن: محمد علي زهران =

الكتابين يختلف اختلافا واضحا، من حيث السلامةُ من الأخطاء اللغوية، والسموُّ في التعبير والمنطق، اللذان هما سمتان بارزتان للإنجيل وكاتبه. بخلاف كاتب الرؤيا الذي لا تتفق لهجته ولغته مع اللغة اليونانية الفصحى، والكتاب نفسه مليئ بالأغلاط وركاكة الأسلوب[1].

فهنا بيت القصيد ومربط الخيل، إذ كيف يذهب النصارى ـ بعد إقرارهم بكل ما تقدم ـ إلى نسبة الإنجيل الراقي الأسلوب إلى يوحنا العامي وعديم العلم، ثم ينفي بعضهم ضمنيًا نسبة سفر الرؤيا الركيك الأسلوب إليه؟! فلما ذا لا يكون العكس؟ أعني أن ينسب سفر الرؤيا الركيكُ الأسلوب إلى يوحنا الحواري العامي وعديم العلم، وينسب الإنجيل الفلسفي الراقي الأسلوب إلى يوحنا الشيخ الفيلسوف اللاهوتي كما هو مقتضى العقل والمنطق.

وأما محاولة بعض علماء النصارى دمجَ شخصية يوحنا الحواري في شخصية يوحنا الشيخ، كما جاء في قاموس كتاب النصارى المقدس في قولهم: « من المحتمل أن يوحنا الشيخ هو نفس يوحنا الرسول! »[2]، فهي محاولة فاشلة للخروج من هذا المأزق والاضطراب. ويتضح بطلان قولهم هذا وضعف الاحتمال المشار إليه فيما يلي:-

١ـ أن هذا القاموس نفسه في شرحه لكلمة أو مصطلح "الشيخ" عند النصارى[3] لم يذكر أن أحدا من الحواريين أو رسل المسيح ـ كما يقال ـ عُرف بهذا

=

(م.ن.) ص١٠٨ و١٠٩.

(١) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٣٧٧-٣٧٨.

(٢) قاموس ك.م. ص١١١٠.

(٣) انظر: قاموس ك.م. ص٥٣١-٥٣٢.

اللقب، بل أشار إلى أن المشيخة هذه رتبة أدنى من الحوارية أو الرسولية. فكيف يُعرف يوحنا في بداية أمره بالحواري أو الرسول، ثم ينزل في آخر حياته ليصبح يحمل لقب الشيخ؟!

٢ ـ أن هذا الاحتمال يعارضه ما جاء في كتابهم المقدس، حيث فرّق بين المصطلحين فقال: «فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا في هذا الأمر»[(١)]، وقال أيضا: «الرسل والمشايخ والإخوة يهدون سلاما إلى الإخوة الذين من الأمم...»[(٢)]، إذًا، فالرسولية غير المشيخة، وهما غير الأخوّة العادية.

٣ ـ وكذلك فإنه يتعارض مع مصادر التأريخ الكنسي نفسه، حيث أفادت وجود شخصيتين مختلفتين متعاصرتين مهمتين بأفسس في نهاية القرن الأول للميلاد، كان اسم كل منهما يوحنا[(٣)]، حتى قال يوسابيوس في تأريخه: «وكان هناك قبران في أفسس لا يزال إلى الآن كل منهما يُدعى قبر يوحنا»[(٤)][(٥)].

وختاما لموضوع دراسة إسناد الأناجيل الأربعة، أنقل ما قاله أحد آباء الكنيسة ـ سرابيون[(٦)] ـ ونصه: «لأننا أيها الإخوة نقبل كلاً من بطرس وسائر الرسل كرسل المسيح، ولكننا نرفض بشدة الكتابات المنسوبة إليهم زورا، عالمين أن مثل هذه لم

(١) الأعمال ١٥/ ٦.

(٢) الأعمال ١٥/ ٢٣.

(٣) انظر ما تقدم في ص٤٦٥.

(٤) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١٧٦.

(٥) وللمزيد في موضوع دراسة تأريخ إنجيل يوحنا، راجع: محمد علي زهران (م.ن.) ص٨٩-١٣٩.

(٦) Serapion: الأسقف الثامن لأنطاكية، توفي عام ٢١١م. The New inter. Dictionary of the Christian Church P.897.

تسلَّم إلينا »[١].

فلسنا ننازع في هذا أيها الآب سرابيون، وإنما نطالب فقط أتباعك اليوم بالعمل بموجبه، ولكن قبل ذلك الحين، وبعد كل ما تقدم، فهل تُعتبر هذه الأناجيل كتبا مقدسة، أم ـ كما يقول العلامة ابن حزم رحمه الله ـ إنها: « أربعة تواريخ ألّفها أربعة رجال »[٢]؟ وليس بعد الحق إلا الضلال.

المطلب الثاني: مصادر الأناجيل، عرضا ونقدا.

إن هناك أكثر من سبب يدعو للبحث في منهل هؤلاء الكتبة فيما دوّنوا عن حياة المسيح عليه السلام وأقواله وأفعاله، خاصة وأنهم لم يكونوا شاهدين لهذه كلها، كما تقدم توضيح ذلك في المطلب السابق. ثم إن اختلافهم وتضارب رواياتهم، يشكّلان دعما آخر لتوجّه الباحثين نحو التنقيب عن مصادر أناجيلهم، إذ لو كانوا قد سُقوا من منهل واحد لاتفقوا.

أولاً: عرض النظريات.

هناك عدة نظريات في موضوع مصادر الأناجيل، ويمكن تصنيفها هنا إلى نظريات قديمةٍ وأخرى حديثة، ليسهل تناولها وتفصيلها بإذن الله تعالى.

أ- النظرية القديمة:-

منذ القرون الأولى في التأريخ النصراني، تصدّى آباء الكنيسة لحل مشكلة

---

(١) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٣٠٠.

(٢) الفصل في الملل... لابن حزم الظاهري ٢/ ٣.

المصادر هذه، ولكن بطريقة ساذجة وغير واقعية. إذ يفترضون وجود إنجيل متّى كان مكتوبا بالآرامية، ومنه أُنتج كل من إنجيل متّى وإنجيل مرقس اليونانيين، ثم جاء منهما أيضا إنجيل لوقا لاحقا. وكانوا لا يتعرضون في هذه المرحلة إلى مصدر إنجيل يوحنا، إذ يشكل هذا ـ في نظرهم ـ حالة منفصلة[١]. و كان من أشهر هؤلاء الآباء أصحاب النظرية، القديس أوغسطين[٢] الذي كان يعتبر إنجيل مرقس ملخّص إنجيل متّى[٣].

استمرت هذه النظرية إلى عام ١٧٨٩م، حيث زعم ج.ج. غريسباش الألماني[٤] أن كاتب إنجيل مرقس لم يعتمد على إنجيل متّى فحسب، بل وحتى على إنجيل لوقا كذلك!!![٥].

ب- النظرية الحديثة:-

منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهرت في مجال مصادر الأناجيل نظريات أكثر دقّة أو تعقيدا ـ قل ما تشاء ـ أخذت باهتمامٍ وجودَ معلوماتٍ خاصة في كل إنجيل من الأناجيل الأربعة لا توجد في غيره، إلى جانب معلومات أخرى

---

(١) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 72 .

(٢) هو: Saint Augustine، أحد كبار علماء اللاهوت في الغرب بين القرنين الرابع والخامس للميلاد. انظر: الدائرة البريطانية "Macro"٢/ ٩٥٠.

(٣) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٠، وBucaille,Maurice(op.cit.) P. 72.

(٤) هو: J.J. Griesbach، عالم اللاهوت النصراني، وكان أستاذا في جامعة هيلّ من عام ١٧٧٣م وحتى عام ١٧٧٥م، توفي سنة ١٨١٢م. الدائرة الأمريكية ١٣/ ٤٦٩.

(٥) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٠.

مشتركة، الأمر الذي يكشف عن سذاجة النظرية السابقة وعدم دقتها وواقعيتها.

وأولى هذه النظريات ـ الحديثة ـ هي ما تعرف بنظرية المصدرين: "Two-source Hypothesis"، لعالمين ألمانيين من علماء كتاب النصارى المقدس هما: أينريش هولتزمان[١] في عام ١٨٦٣م، و برنهارد ويس[٢] في ١٨٨٧ ـ ١٨٨٨م. ومفاد هذه النظرية ـ باختصار ـ أن كلا من كاتب إنجيل متّى وكاتب إنجيل لوقا قد استخدم إنجيل مرقس[٣]، بالإضافة إلى وثيقة أخرى مشتركة مفقودة اليوم! ويُرمز لها بحرف "Q" اختصارا لكلمة "Quelle" وتعني

---

(١) هو: Heinrich J. Holtzman، عالم لاهوتي بروتستانتي وناقد كتاب النصارى المقدس، له تفسير للأناجيل المتشابهة (السينوبتية)، ولد عام ١٨٣٢ وتوفي عام ١٩١٠م. الدائرة البريطانية ١٠/ ٥٩٤، وOxford Dictionary of the Christian Church P. 657.

(٢) Bernhard Weiss، عالم لاهوتي ألماني، وكان أستاذا لشروح العهد الجديد في جامعة بيرلن من عام ١٨٧٧م إلى١٩٠٨م. توفي عام ١٩١٨م. Oxford Dictionary of the Christian Church P.1‹ ٤ 4، وThe New inter. Dictionary of the Christian Church P.1032.

(٣) د ـ ف بناء على الاعتبارات الآتية:ـ

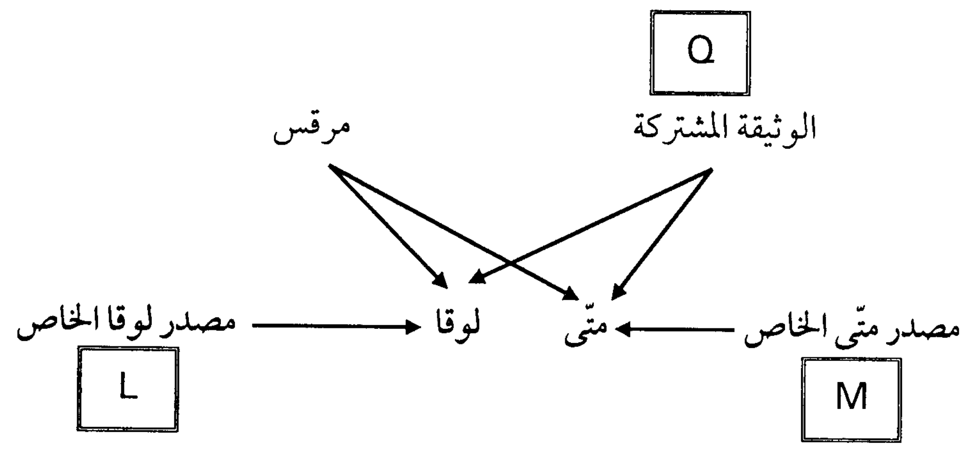
أ ـ أكثر من ٦٠٠ فقرة من بين فقرات إنجيل مرقس البالغ عددها ٦٦١ يوجد في متّى، و٣٥٠ منها في لوقا. وأما الفقرات التي لا توجد في كليهما من بين فقرات إنجيل مرقس فلا تتجاوز الواحدة والثلاثين.

ب ـ ولأنه في حالة اختلاف متّى ولوقا في ترتيب شيء من قصة المسيح، فإن مرقس يتفق مع أحدهما ويختلف مع الآخر، ولكن لم يوجد موضع واحد اتفقا فيه فيختلفان فيه عن مرقس، فلهذا اعتبر ـ مرقس ـ حلقة الوصل بينهما.

ج ـ ولوجود صعوبة أكثر في إنجيل مرقس بالنسبة للنصوص التي اتفقت الثلاثة في إيرادها، فمن المرجّح أن الأسهل متأخر عن الأصعب دون العكس. ا.هـ. ملخصا من: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٠، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٢١٥-٢١٧.

"مصدر" باللغة الألمانية.

ثم تابعهما في بداية القرن العشرين، وبالتحديد في عام ١٩٢٥م: ب. هـ. ستريتير الإنجليزي[١]، فجاء بنظريته المعروفة بنظرية الأربع وثائق "Four-document Hypothesis" يعني: المصدرين المذكورين في النظرية السابقة، ثم مصدر خاص بمتّى ويُرمز له بحرف "M"، ومصدر آخر خاص بلوقا ويرمز له بحرف "L"، وقد استقى كل منهما من مصدره الخاص تلكم المعلومات التي لا توجد في الآخر[٢]. وفيما يلي الرسم البياني[٣] لنظرية ستريتير هذه:



وبين عامي ١٩٧٢ و١٩٧٣م ظهرت نظرية أخرى أوضحت وجود عملية أكثر تعقيدا في مسألة المصادر هذه. وقد تميزت هذه النظرية التي نادى بها كلٌّ من

(١) هو: B.H. streeter، إنجليزي، عالم اللاهوت النصراني وكتاب النصارى المقدس. ولد في عام ١٨٧٤م ومات في سنة ١٩٣٧م. الدائرة البريطانية ٢١/ ٤٦٨.

(٢) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٠، وBucaille,Maurice(op.cit.) P. 73، والمسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٤٦، وفهيم عزيز (م.ن.) ص١٧٣-١٧٥.

(٣) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٠، وBucaille,Maurice(op.cit.) P. 73

الآب بينوا والآب بومار[١] بتغطيتها لمصدر الإنجيل الرابع الذي ظل متجاهَلا في جميع النظريات السالفة الذكر، كما أنها تقسم المصادر هذه إلى مصادر أصيلة ومصادر وسيطة، وإليكم تفصيل كل ذلك فيما يلي:

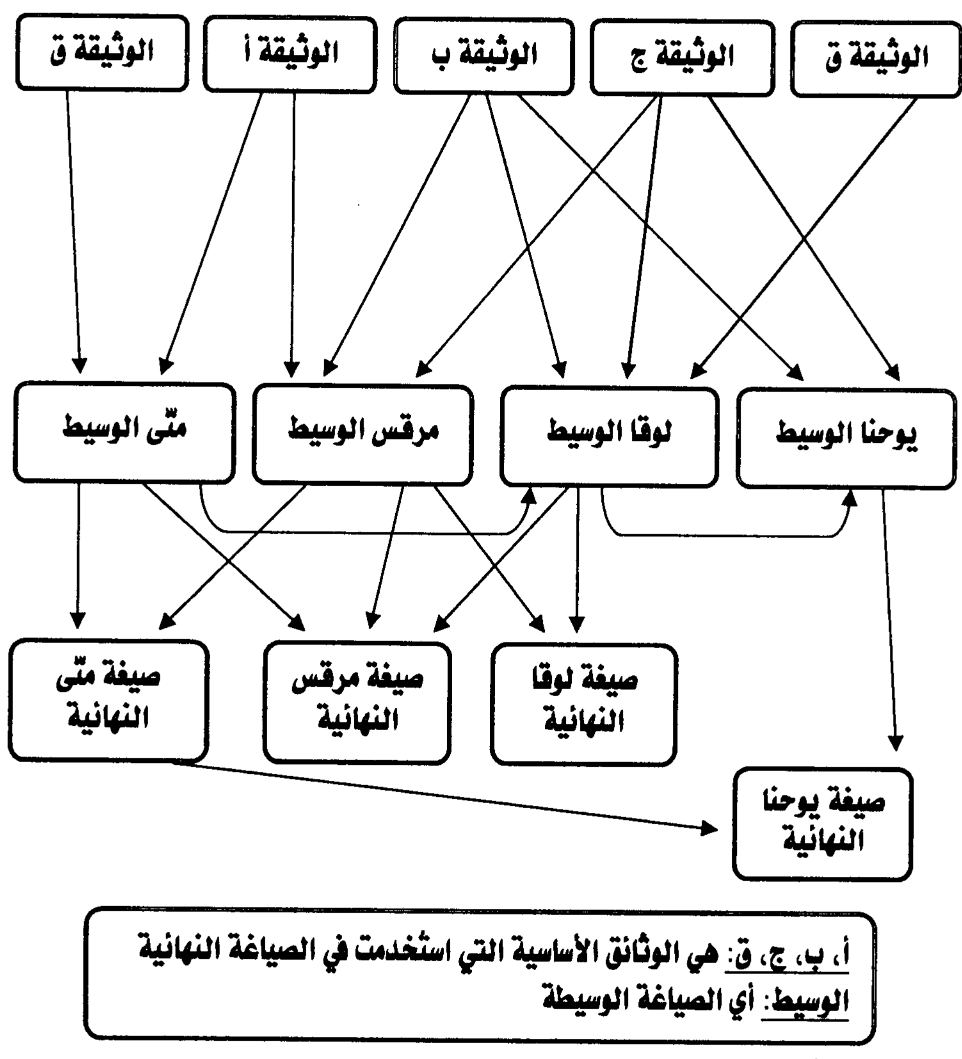
تقول هذه النظرية: إن هناك أربع وثائق أساسية، يُرمز لها بـ"أ" و "ب" و "ج" و "ق": الأولى "أ" نبعت من أوساط يهودية مسيحية، ومنها نهل كل من كاتب إنجيل متّى وكاتب إنجيل مرقس. والثانية "ب" ـ وهي إعادة تفسيرٍ للأولى ـ وقد استخدمتها الكنائس الوثنية المسيحية! واستقى منها جميع الإنجيليِّين باستثناء كاتب إنجيل متّى. والثالثة "ج"، منها استقى كتاب أناجيل مرقس ولوقا ويوحنا مادة أناجيلهم. والرابعة والأخيرة "ق" هي الوثيقة المشتركة لكل من إنجيل متّى و إنجيل لوقا[٢]، والتي تقدم الحديث عنها في نظرية المصدرين.

وهذه الوثائق الأربع ـ حسب هذه النظرية ـ وإن كانت تمثل المصادر الأصيلة للأناجيل، إلا أن أيًّا منها لم يؤدّ إلى تحرير النصوص النهائية للأناجيل كما هي اليوم، فبينها وبين التحرير النهائي للنصوص مصادر وسيطة خاصة بكل إنجيل، وكانت هي بالأحرى المسؤولة عن الصيغ النهائية لهذه الأناجيل، وهكذا جاءت هذه الشبكات المعقدة كما في الرسم البياني الآتي[٣]:-

(١) الآب بينوا "Benoit" والآب بومار "Boismard": أستاذان بمعهد الكتاب المقدس في القدس. (Bucaille,Maurice(op.cit.) P.74).

(٢) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P.74-75

(٣) ibid P.75-76، والترجمة العربية ص٩٧.



ثانياً: نقد هذه النظريات:

هناك حقيقة لا بد من التطرق إليها ههنا، وهي أن هذه النظريات التي توصل إليها الباحثون من القوم، تدل دلالة قوية على صدق ما نؤمن به نحن المسلمين من أن الأناجيل الموجودة ليست هي الوحي المنزل من الله ﷻ، بل ترجع إلى أصول أو وثائق أخرى ـ كما رأينا ـ غير أن هذه النظريات مع تأييدها لاعتقادنا بأن النصارى حرّفوا كتبهم ولم ينقلوا لنا الإنجيل المنزل على المسيح ﵇، فلا يمكن الجزم بأن

المصادر التي ذكروها هي الإنجيل المنزل بحال من الأحوال، وذلك لأمور من أهمها:-

أ- أنه بات واضحا أن هذه النظريات كلها مبنية على الاجتهادات الشخصية، من مقارنة النصوص بعضها ببعض، والنظر في أوجه الاختلاف والاتفاق بينها...الخ، ولا سبيل للقطع أوالجزم بشيئ منها. بل إن احتمال وقوع خلاف ما قرروا فيها وارد. وهذا سر تضارب الأقوال في هذا الأمر، فبينما يرى فريق أسبقية إنجيل مرقس ومصدريته لكل من إنجيل متّى وإنجيل لوقا، يذهب غيرهم إلى أن هذا الإنجيل - أعني إنجيل مرقس - ذاته ملخّص لإنجيل متّى! أو أن كاتبه قد اعتمد على كل من إنجيل متّى و إنجيل لوقا... وهكذا دواليك.

ب - ثم إن الناظر في هذه النظريات يدرك أنها قد مرت بمراحل، يتم في كل مرحلة إصلاح أو تصحيح خطأ سابقتها والاستدراك عليها. فمثلا: جاءت النظرية التي تقول بوجود المصدر المشترك "Q" لمتّى ولوقا - على ما يبدو - للتخلص من مشكلة النصوص والمعلومات الموجودة فيهما ولا توجد في إنجيل مرقس الذي يُزعم أنه مصدرهما. ثم بعد الوقوف على نصوص ومعلومات أخرى يختلف فيها متّى ولوقا، أتت نظرية الوثائق الأربع وفرضت أوافترضت وجود المصدرين: "M" لمتّى وخاص به، و "L" للوقا وخاص به وهكذا...

ج - وأما نظرية المصادر الوسيطة، فهي بعبارة أخرى إخضاع المصادر الأصيلة لتعديلات وتحريفات في مرحلة ما قبل ظهور الصيغة النهائية للأناجيل[1]، فكيف

(١) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 75.

تصبح هي المصادر المباشرة لمحتويات الأناجيل التي هي سجل وقائع حياة المسيح عليه السلام كما يقال؟!

لذا، نجد أن حادثة عينية واحدة هي حكاية معجزة صيد السمك جاءت في إنجيل لوقا على أنها وقعت في حياة المسيح عليه السلام على الأرض قبل أن يرفع[١]، وتأتي في إنجيل يوحنا على أنها حادثة من حوادث ظهور المسيح بعد قيامته ـ فيما يزعمون ـ[٢].

د ـ وبغض الطرف عن الانتقادات الموجهة ضد هذه النظريات، سواء التي تجعل إنجيل متّى هو المصدر الأصيل، أو التي تجعله إنجيل مرقس، أو وثائق أخرى مجهولة مرموز لها فقط بالحروف... فمن الواضح أن هذه كلها ليست هي الوحي الذي أنزله الله تعالى على عبده ورسوله: عيسى بن مريم عليه السلام، فلا بد إذًا من وجود مصدر أقدم منها، ألا وإن ذلك هو التراث الشفهي. يقول بعض علماء النصارى المعاصرين: إن كتّاب الأناجيل لم يكونوا إلا « متحدّثين باسم الجماعة المسيحية الأولى التي ثبّتت التراث الشفهي... وقد نسج [هؤلاء] كتبة الأناجيل ـ كل على طريقته وبحسب شخصيته الخاصة واهتماماته اللاهوتية الخاصة ـ الروابط بين هذه الروايات والأقوال التي تلقّوها من التراث السائد»[٣]. و جاء في أول إنجيل لوقا: « إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلّمها إلينا الذين كانوا

---

(١) انظر: لوقا ٥/ ١-١١.

(٢) انظر: يوحنا ٢١/ ١-١٤.

(٣) قول: كولمان "O.Culman" في كتابه: "العهد الجديد"، نقلا عن Bucaille,Maurice (op.cit.) P.55-56.

منذ البدء معاينين وخداما للكلمة»[١]. وتوجد إشارة إلى هذا المصدر كذلك في كتابات بولس التي هي أقدم من الأناجيل الأربعة كافة. ومن ذلك: «فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضا أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب. وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب. وأنه ظهر لصفا ثم للاثني عشر...»[٢].

إذًا، فالإنجيليون جمعوا ودوّنوا أناجيلهم ـ كلٌّ حسب وجهة نظره ـ مما قد تلقوا من الأقوال الشفهية المتوارثة، كما يقرر هذا أكثر من مائة عالم كاثوليكيين وبروتستانتيين الذين اجتمعوا لإصدار الترجمة العالمية للعهد الجديد[٣].

والنتيجة من هذا كله أن أحدا لا يضمن صحة كل ما ينسب إلى المسيح عليه السلام في هذه الأناجيل من الأقوال والأفعال، كما أن هذه الأناجيل ومصادرها من إنتاج البشر، والعمل البشري مهما بلغ صاحبه من العلم والمعرفة معرَّض للسقط واللبس والنسيان وغير ذلك من العيوب.فأي دعوى بأن ما في الأناجيل الأربعة هي أقوال أو أفعال المسيح الحقيقية[٤]، فهي دعوى باطلة ومخالفة للعقل والواقع والتأريخ. يقول شارل جينيبير: «... وبانتهائه [يعني الجيل المعاصر للمسيح عليه السلام] لم يعد هناك شهود مباشرون لحياة المسيح. ثم رأى الحريصون من المسيحيين أنه قد يكون من الصالح أن يثبتوا بالتدوين تلك الذكريات التي افترضوا صحتها في الأخبار

---

(١) لوقا ١/ ١-٢.

(٢) ١ـ كورنثوس ١٥/ ٣-٥.

(٣) انظر: Bucaille, Maurice (op.cit.) P.56.

(٤) كالتي جاءت في وثائق المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ص٤١٢-٤١٣.

المتوارثة شفاها... وكانت هذه الكتيبات ـ وأهمها مجموعة الأحاديث المنسوبة إلى متّى، والروايات المنسوبة إلى مرقس ـ المصادر الأولى لأناجيلنا، إلا أنها لم تكن لتضم سوى عناصر شتّى مشوّشة من حياة عيسى... فكان على محرري الأناجيل أن يغربلوا[١] ثم يختاروا ثم ينسقوا سيرة متكاملة من هذه المتناثرات المشوشة»[٢].

ويقول فريدريك جرانت: «الأناجيل لم تكن سيرة للمسيح أو مذكرات عن حياته، أو حتى حوادث تستحق التدوين، سطرها أشخاص لتحكي لتعاليمه. إنما الأناجيل عبارة عن تجميع لموضوعات متواترة تناقلتها الكنيسة شفاها في أول الأمر، ثم كتبت فيما بعد وصنفت لتحقيق مطالب الكنيسة في التهذيب والعبادة والدفاع عن معتقداتها»[٣]. ويقول آخر: «ينبغي أن يتنازل الإنسان عن محاولة وضع كتاب في سيرة المسيح بكل صراحة، فإنه لا توجد المادة والمعلومات التي تساعد على تحقيق هذا الغرض، والأيام التي توجد عنها بعض المعلومات لا يزيد عددها على خمسين يوما»[٤] يعني من بين الثلاث سنوات الأخيرة من حياة المسيح عليه السلام قبل أن يرفع التي يُظن أن الأناجيل قد حوت تفاصيلها[٥].

---

(١) الغربلة: هي التصفية والاختيار، يقال غربلَه أي نخله (صفاه واختاره). القاموس ص١٣٤١ مع ١٣٧١.

(٢) شارل جنيبير (م.ن.) ص٢٧-٢٨.

(٣) فريدريك جرانت (م.ن.) ص٢٦، نقلا عن: المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٤٤.

(٤) الدائرة البريطانية "Macro" ١٣/ ١٧١.

(٥) انظر: مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٢٩٤.

فحري بنا كما يقول المؤرخ ول ديورانت ألا نحكم على المسيح ﷺ من خلال أقوال تُقولت عليه ودُونت بعد مرور أكثر من نصف قرن على الحادثة التي قيلت فيها[١]. وأضيف: بل نحن نبرّئ ساحة حوارييه ﷺ كذلك عن هذه الأقوال التي لا تليق بأي إنسان رفيع المقام، ومن ذلك: إطلاق الكلاب على غير اليهود تعصّبًا!!![٢].

المطلب الثالث: لغة الأناجيل.

عندما يفتح أي قارئ عربي نسخةَ كتاب النصارى المقدس بلسانه، تقع عينه على عبارة: «الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، **وقد ترجم من اللغات الأصلية**» في أول صفحة منها. ولو أنه انتقل بعد ذلك إلى أول صفحة من القسم الخاص بالعهد الجديد - والأناجيل جزء رئيس فيه - لفوجئ بعبارة أخرى تقول: «كتاب العهد الجديد لربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح، **وقد ترجم من اللغة اليونانية**»[٣]. فهل تعتبر اليونانية لغةً أصيلة لكتب تنسب إلى المسيح ﷺ أولتلاميذه؟!

إن المسيح ﷺ بدون أي نزاع كان يتكلم باللغة العبرية، أو الآرامية التي كانت اللغة السائدة في فلسطين مسقط رأسه، آنذاك[٤]. ومن جهة أخرى أن المسيح

---

(١) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٢٩ بتصرف.

(٢) انظر: متّى ١٥/ ٢٦.

(٣) انظر: الكتاب المقدس باللغة العربية، نشر: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

(٤) انظر: قاموس ك.م. ص٥٩٨، ومقارنة الأديان للطهطاوي ص١١١، Ajijola,A.D;(op.cit.) P.92.

عليه السلام وكذا تلاميذه كانوا يهودا في الأصل، لذا يجب ألا يكون أصل أقوالهم أو كتاباتهم إلا بالآرامية، أو بالعبرية[١] التي هي شديدة الشبه بالآرامية[٢].

ولم يقف علماء النصارى مكتوفي الأيدي تجاه هذا المأزق الجديد، بل حاولوا إطلاق بعض المزاعم وتلفيق بعض الأقاويل، أُورد هنا أهمها:-

أولا:- زعم بعضهم أن المسيح عليه السلام كان من خبراء اللغات الأفذاذ في عصره! إذ يقول: «كانت اللغة الآرامية هي ما يتحدث بها السيّد عادة، ومع أن اللغة العبرانية في أيامه كانت لغة غنيمة، لا يعرفها سوى المتعلمين ولا تُحفظ إلا بجهد، غير أن يسوع كان يتحدث بها، وهذا ظاهر من الاقتباسات التي أخذها رأسا من العبرانية. وكذلك كان يتكلم باليونانية، ويحتمل أيضا أنه تحدث باللاتينية، لأن الرومان كانوا كثيرين في اليهودية»[٣]. وأخشى ما أخشاه أن يأتي هذا القائل يومًا ما فيعلن أن المسيح عليه صلوات ربي وسلامه، كان يتحدث بالعربية والإنجليزية والفرنسية واليورباوية...الخ لوجود نسخ بهذه اللغات أيضا! وعلى كلٍّ، لا يخفى على أي عاقل أنها دعوى عارية عن الدليل فأولى بها أن تُطوى من أن تُروى.

ثانيا: وذهب آخرون إلى أن اللغة المسيطرة في زمن عيسى عليه السلام وفي البيئة التي تمت فيها كتابة الأناجيل هي اللغة اليونانية، لذا كانت هي اللغة الأصيلة لها[٤].

---

(١) انظر: Ajijola,A.D; (op.cit.) P. 85

(٢) انظر: قاموس ك.م. ص٥٩٨.

(٣) القول للدكتور فريدريك فارار في كتابه: حياة المسيح ص٩٠-٩١، نقلا عن: البشارة بنبي الإسلام للسقا ٢/ ٢٠.

(٤) انظر: Ajijola,A.D; (op.cit.) P. 85.

ويلاحظ هنا أمران، أولهما: أن هذا القول يخالف ما اتفق عليه النخبة من علمائهم المعاصرين واضعي قاموس الكتاب المقدس كما تقدم قبل قليل[١]. والثاني: أن عددا من علمائهم أيضا لا يوافقون على أن إنجيل متّى كُتب في الأصل باليونانية، وإنما قالوا: كُتب بالآرامية أو العبرية[٢].

هذا، ومن أحسن الأجوبة عن زعمهم سيادةَ اللغة اليونانية وسيطرتها في تلكم البيئة، وفي ذلكم الوقت، ما كتبه الحاج أجيجولا[٣] في كتابه القيّم: خرافة الصليب[٤]، وملخّصه كالآتي:

أ ـ من المعلوم أن الأمم ـ بصفة عامة ـ لا تتخلص عن لغتها أو تتنكرها بسهولة، إذ هي من أهم تراثهم ومن أهم ما يمتلكون. والأمثلة على هذا أكثر من أن تحصى، فلو نظرنا إلى أوروبا الشرقية، وأفريقيا، وبعض بلاد العرب نجد دولا وأمما

---

(١) وانظر كذلك: Ajijola,A.D; (op.cit.) P. 87.

(٢) انظر: يوسابيوس القيصري ص١٤٩، ووليم إدى (م.ن.) ـ المقدمة ـ ورحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٥٣٢-٥٣٧، ومحمود علي حماية (م.ن.) ص٤٧-٤٨، والبشارة بنبي الإسلام للسقا ١/ ٧٦. وأما القول بأنه كتب في الأصل باليونانية فانظره أيضا في: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٣، و"Micro" ٦/ ٦٩٧، وول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٠٧، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٢٤٣، ومحمد عبد الحليم أبو السعد (م.ن.) ص١٣٤، ومحمد علي زهران (م.ن.) ص١٣٣، ومحمد شلبي شتيوي (م.ن.) ص٤٧، وغيرها.

(٣) هو: المحامي الحاج إدريس أجيجولا، ولد في نيجيريا ونشأ فيها ثم سافر إلى إنجلترا وهناك تلقى تعاليمه الجامعية قبل عودته إلى بلاده مرة أخرى ليصبح أحد كبار المستشارين القانونيين للدولة، وفي الوقت نفسه من الدعاة إلى الله تعالى. انظر: ترجمته في ص١ من كتابه: خرافة الصليب.

(٤) والكتاب باللغة الإنجليزية لم أعلم له ترجمة بعد، وقد نشرته الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض ـ المملكة العربية السعودية.

كثيرة خضعت لسلطة المستعمرين من الروس والإنجليز والفرنسيين قرونا، ولكنهم مع ذلك احتفظوا بلغاتهم ـ مع ضياع كثير من تقاليدهم ـ. وكذلك لو نظرنا إلى حالة اليهود اليوم، وقد مرت على بعثة المسيح قرابة ألفي سنة، ومع ذلك لم ينسوا لغتهم مع طول هذه المدة، فكيف يُتصور هجرهم للغتهم في زمن لم تكن القوة الاستعمارية الرومانية آنذاك قد حكمت بلادهم إلا لنحو خمسين سنة فقط؟! أي في زمن بعثة المسيح عليه الصلاة والسلام، كما أن السيطرة اليونانية على البلاد لم تدم إلا لنحو ثلاثمائة عام فقط[1].

ب ـ أن أي أمة ذات تأريخ مهم وعريض كاليهود لا يمكن أن تهجر لغتها أو تتناساها هكذا، بكل سذاجة. أضف إلى هذا أن ديانتهم وعقائدهم لم تُدون إلا بهذه اللغة نفسها.

ج ـ في ميزان الحضارة والتهذيب، لم تعتبر اليهود أنفسهم قط دون مرتبة الرومان، بل بالعكس كانوا يعتقدون أنهم فوقهم ـ وفوق كل الخلق ـ وهذا وحده كاف في تصور عدم رغبتهم أصلا في هجر لغتهم مهما كانت الأحوال والظروف.

د ـ لو كان الحديث عن أي أمة أخرى تخشى على مستقبلها أو تتشاءم فيه لكان معقولا إلى حد ما، بخلاف اليهود الذين كانوا آنذاك في انتظار دؤوب ومستمر لظهور ملكهم الذي سوف يعيد لهم المجد والنفوذ كما يزعمون، فكيف يهملون لغتهم ولا يحمونها؟!

---

(١) أي من عام ٣٣٢ ق.م. إلى عام ٦٣ ق.م. انظر: محمد محمد شراب (م.ن.) ص٣٣، والموسوعة العالمية ١٧/ ٤٢٣.

هـ ـ وردت في سفر أعمال الرسل حكاية حادثة وقعت بعد رفع المسيح عليه السلام بقليل، يقول فيها: «وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا... فلما صار هذا الصوت اجتمع الجمهور وتحيّروا لأن كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته. فبُهت[١] الجميع وتعجبوا قائلين بعضهم لبعض: أتُرى ليس جميع هؤلاء المتكلمين جليليّين؟ فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته التي ولد فيها...»[٢].

فهذه القصة ـ بصرف النظر عن صحتها أو العدم ـ وهي موجودة في كتاب النصارى المقدس، تخبرنا أن الجمهور لما سمعوا بعض تلاميذ المسيح عليه السلام تحدثوا فجأةً بلغاتهم استغربوا وتعجبوا، ومن بين هؤلاء الجمهور المتعجبين كما يُذكر في القصة نفسها: الرومانيون، حتى ظن بعضهم أن هؤلاء التلاميذ إنما كانوا سكارى فتفوهوا بما لا يدركون[٣]. فهل كان كل هذا الاستنكار والتعجب والاستغراب ليحدث، لو كانت لغة الرومانيين هي السائدة في المجتمع فعلاً[٤]؟!

إذًا، فالحق الذي لا يُتصور سواه أن أصول هذه الأناجيل مفقودة ولا سبيل للوصول إليها[٥]! أما الأناجيل الموجودة باليونانية فأحسن ما يقال عنها

(١) البَهت: هو الحيرة والانقطاع والأخذ بغتة. القاموس ص١٨٩.

(٢) الأعمال ٢/ ٣-١٢.

(٣) انظر: الأعمال ٢/ ١٣و١٥.

(٤) انظر: Ajijola, A.D; (op.cit.) P.85-88 بتصرف.

(٥) من تعليق علماء النصارى على الترجمة المسكونية للعهد الجديد، نقلا عن: Bucaille, Maurice (op.cit.) P.81.

أنها ترجمات[١].

وهكذا ينفتح باب آخر من أبواب الإشكال والاضطراب بالنسبة لإسناد الأناجيل، إذ لا توجد أدنى معلومات عن مترجمي هذه الأناجيل سواء من حيث عدالتهم وأمانتهم، أو من حيث علمهم وثقافتهم ومدى معرفتهم باللغتين المترجم منها وإليها. حتى ولا من حيث التأكد من سلامة الترجمة ودقّتها ومطابقتها للأصل المترجم. وإنما غاية ما عند القوم أن يقولوا إن فلانا أو علاّنا من الناس قد قام بالترجمة[٢] ـ وهو مجهول العين والحال ـ أو لا يتطرقون أصلا إلى ذكر المترجم[٣]، وربما زعم بعضهم[٤] أن المؤلف نفسه قد قام بترجمة إنجيله من غير ذكر الدافع ولا المبرر ولا الكيف، وبدون استناد في ذلك إلى أي دليل سوى الظن والتخمين، والله المستعان.

وأما تمسك القوم بأن الأناجيل هذه مكتوبة أصلا باليونانية، فذلك هو الآخر لا يمكن أن يدل إلا على أنها لا تمت إلى تلاميذ المسيح عليه السلام بأي صلة.

المطلب الرابع: هل تصح دعوى كتابة الأناجيل بالإلهام؟

قد يتساءل البعض عن سبب طرح هذا السؤال بعد أن تبين لنا مصدر هذه الأناجيل، وأنه ليس الوحي الإلهي المنزّل. أجل، ولكن السؤال ذو أهمية كبرى،

---

(١) المقصود: ما ينسب منها إلى المسيح عليه السلام أو إلى تلاميذه رضوان الله عليهم.

(٢) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١٧٨، ورحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٥٣٢.

(٣) وهذا الواقع في معظم كتبهم، حيث يذكرون هذه الأناجيل اليونانية كأنها الأصول.

(٤) ومنهم الدكتور وليم إدى في مقدمة كتابه: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل.

ولتوجيهه مبرر قوي، حيث إن علماء النصارى قديما[١] وحديثا[٢] إذ لم ينجحوا في دعوى كون هذه الأناجيل ذاتها وحيا منزّلا من الله ﷻ، لجأوا إلى أسلوب آخر في تضليل البسطاء، فيقولون: إن كتّابها أوكتّاب أسفار كتابهم المقدس بصفة عامة لم يكتبوها من تلقاء أنفسهم، وإنما أملاها عليهم الروح القدس أو ألهمهم إياها الرب تبارك وتعالى. ويستدلون على هذا بنصوص من هذا الكتاب نفسه! ومن ذلك ما جاء في رسالة بطرس الثانية[٣]: «لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القدّيسون مسوقين من الروح القدس». وينسون أو يتناسون ما ورد في موضع آخر من هذا الكتاب أيضا، من احتمال أو إمكان وقوع الكذب على الروح القدس، وما ترتب على ذلك من وعيد شديد حيث يقول: «ومن قال كلمةً على ابن الإنسان يُغفر له، وأما من قال على الروح القدس فلن يُغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي»[٤].

وهذه جملة أمور أسوقها، لن يبقى بعدها أي شك ـ إن شاء الله ـ في بطلان هذه الدعوى:-

أولا: أن لوقا ـ وهو أحد هؤلاء الكتّاب ـ قد سلّط أضواء داحضةً لكل كذب وافتراء في مقدمة إنجيله على أنه قام بذلك العمل (كتابة الإنجيل) بدافع شخصي بحت، لا بتكليف من الله ولا من الروح القدس، فهو نفسه الذي رأى ذلك، كما

(١) انظر: قول يوسابيوس القيصري في تأريخه الكنسي ص٢٨٤.

(٢) انظر: كارل وليمز الكبير (م.ن.) ص٢٢ و٢٤، ومناظرة شواغارت مع ديدات (م.ن.).

(٣) ١/ ٢١، وانظر كذلك: متّى ١٠/ ١٩-٢٠، ولوقا ١٢/ ١١-١٢.

(٤) متّى ١٢/ ٣٢.

قاله نصًّا: «رأيت أنا أيضا»[(١)]، ومن ثم قام بتحديد مصادره للكتابة بنفسه أيضا دون تدخل أحد، لا الروح القدس ولا غيره[(٢)].

وكذا الحال بالنسبة لمرقس، الإنجيلي الآخر، يقر بعض علماء النصارى[(٣)] بأنه إنما استقى جل مادة إنجيله من أعضاء الكنيسة الأوائل الذين اتّخذوا من بيت أمه كنيسةً لهم[(٤)].

ثانيا: أن هؤلاء الكتاب لم يدّعوا قط أنهم كتبوا ما كتبوا بإلهام، وكان الواجب ذكر هذا لو كان واردا لأنه من أكبر الدلائل على صدق ما كتبوا، بل إن ذلك من أهم واجبات الكاتب في الأمور الدينية. فكيف يُدعى لهم ما لم يدّعوه!!!

ثالثا: كما تقدم معنا أن من هذه الأناجيل ما بعث به رسالةً شخصية من صديق لصديقه ـ أعني إنجيل لوقا[(٥)]، فأين هذا من الوحي وأين الإلهام منه؟

رابعا: أن القول بإلهامية هذه الأناجيل فرع عن القول برسولية كتّابها وقد ثبت خلاف ذلك كما تقدم في هذا البحث، إذًا، فليسقط الفرع مع أصله.

---

(١) لوقا ١/ ٣.

(٢) بتصرف من كتاب: مناظرتان في استكهولم (بين الشيخ أحمد ديدات وكبير قساوسة السويد: استانلى شوبيرج) لعلي الجوهري (المترجم) ص٢٧.

(٣) ومنهم الدكتور وليم باركلي، أستاذ العهد الجديد في جامعة جلاسجو الإسكوتلاندية، في كتابه: تفسير العهد الجديد ـ إنجيل مرقس ـ تعريب: د/ فهيم عزيز ص١١-١٢، نقلا عن: محمد عبد الحليم أبو السعد (م.ن.) ص١٥٥.

(٤) انظر: الأعمال ١٢/ ١٢.

(٥) انظر: ص٤٤٣.

خامسا: أن دعواهم الإلهامية هذه تستلزم الدّور[١]، وذلك لأنهم يستدلون على كون الأناجيل مكتوبة بالإلهام بذكرها للقصص المسلَّم صدقها عند النصارى، كصلب المسيح فداء للبشر وقيامته...الخ، كما يستدل على صدق هذه القصص بكونها ذُكرت في الأناجيل المكتوبة بالإلهام، إذًا، فإلهامية الأناجيل متوقفة على كونها صادقة، وصدقها كذلك متوقف على كونها إلهامية، فالنتيجة أن الأناجيل إلهامية لأنها إلهامية، وأنها صادقة لأنها صادقة![٢]، وهذا خلاف العقل والمنطق السليمين كما ترى.

سادسا: على فرض كون أصولٍ هذه الأناجيل إلهامية وقد فقدت، فهل تعتبر الترجمات كذلك نصّا مقدسا أو ملهَما به؟!

سابعا: أقر جمع من علماء النصارى القدماء بأنه ليس كل ما في هذه الأناجيل إلهاميا ولكن جزء منها فقط[٣]. إذًا، إقرارهم هذا بوجود أجزاء ـ أو قُلْ: جزءًا واحدا فقط ـ من الأناجيل غير إلهامية، هذا الإقرار بمثابة القول باختلاط الميتة بالمذكّاة، فتركهما هو الواجب حتما، إذ ما لايتم ترك الحرام إلا بتركه فتركه واجب[٤].

أما محاولة بعضهم التمييز بين ما كان منها بإلهام وبين ما لم يكن، بأن المسائل

---

(١) الدّور هو: توقف الشيء على ما يَتوقف عليه. انظر: التعريفات للجرجاني ص١٠٥.

(٢) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٣٦١ ـ تعليق المحقق ـ بتصرف.

(٣) انظر: الدائرة البريطانية ١٠/ ٥٩٥، ورحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٣٥٨-٣٥٩.

(٤) هذه القاعدة من قواعد علماء الأصول، راجع: أبو حامد الغزالي (م.ن.) ١/ ٢٣١-٢٣٣ و٢٣٤-٢٣٧، وموفق الدين ابن قدامة المقدسي (م.ن.) ١/ ١٨٠-١٨٣ و١٨٤-١٨٥، ونجم الدين الطوفي (م.ن.) ١/ ٣٣٥-٣٤٨.

والأحكام والإخبار بالحوادث الآتية الواردة في هذه الأناجيل كلها إلهامية[١]، فمحاولة غير موفّقة، ومجانبة للصواب. أما بالنسبة للإخبار عن الحوادث الآتية فسيأتي الحديث عنه إن شاء الله في موضوع المشكلات الرئيسة في الأناجيل. وأما عن المسائل والأحكام ـ وهي قليلة أصلا في الأناجيل ـ، فمع قلتها قد اختلف فيها النصارى الأوائل ـ حسب ما يذكره كتابهم المقدس[٢] ـ ولو أنهم اعتقدوا أنها إلهامية لما جاز لأحد منهم أن يخالف شيئا منها.

ثامنا: أن وجود التناقضات والأخطاء في هذه الأناجيل مناف للإلهامية.

تاسعا: أما بالنسبة للنص المنسوب إلى بطرس[٣] فلو فرضنا صحة نسبته إليه ـ وهو ما لا دليل عليه حتماً ـ فالظاهر منه أن المراد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وليس كتّاب الأناجيل أو غيرهم.

عاشرا: تصريحات بعض علماء النصارى بعدم إلهامية هذه الأناجيل، وقد تخللتْ حديثي في الأوجه المذكورة أعلاه، وأضيف هنا ما جاء في كتاب "أسطورة الإله المتجسد" الذي قام بتأليفه سبعة من أساتذة اللاهوت النصراني في الجامعات البريطانية[٤]، حيث قالوا: « وقَبِلت [المسيحية الغربية] أن الأناجيل

---

(١) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٣٥٩.

(٢) ومن ذلك خلافهم في الختان كما جاء في رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٢/ ٦-١٤.

(٣) انظر: بطرس الثانية ١/ ٢١.

(٤) وهم: جون هك: أستاذ اللاهوت بجامعة برمنجهام، وجون كوبيت: عميد كلية عمانوئيل، جامعة كامبردج، وميكائيل غولدر: محاضر في اللاهوت بجامعة برمنجهام، ولسلي هولدن: محاضر في دراسة الأناجيل، جامعة لندن، ودنيس ناينهام: مدير كلية كيبل بأكسفورد، وموريس وايلز: أستاذ =

كتبت بأقلام عدة أشخاص في حالات متنوعة، ولا يمكن أن يُضفى على كلماتها عصمة الأمر الإلهي »[(١)].

فالأناجيل الأربعة ما هي إلا كتب مؤلّفة ـ بكل ما تعنيه هذه الكلمة ـ فهي معرَّضة للخطأ والصواب، ولا يصح الادّعاء بأنها كتبت بإلهام، كيف وقد كتبها أناس مجاهيل، في أماكن غير معروفة، وفي تواريخ غير مؤكدة، وهي مع ذلك مختلفة غير مؤتلفة، بل ومتناقضة مع نفسها ومع حقائق العالم الخارجي[(٢)]. أما القالَب الجديد لدعوى إلهام الروح القدس فيتمثل اليومَ في التأويلات المضللة، والتفسيرات التعسفية لتناقضات هذه الأناجيل وسائر أسفار كتاب النصارى المقدس[(٣)]، فليُحذر منها كل الحذر، وبالله تعالى التوفيق.

= الإلهيات والكتاب المقدس في كلية المسيح بأكسفورد أيضا، وفرنسيس يونغ: محاضرة في دراسة الأناجيل بجامعة برمنجهام.

(١) أسطورة الإله المتجسد، تعريب: الدكتور نبيل صبحي ص٢٣ ـ توطئة ـ.

(٢) انظر: مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٤٧ بتصرف.

(٣) ومن الكتب التي تحوي هذه التأويلات: كتاب: حل مشاكل الكتاب المقدس للقس منسى يوحنا، وكتاب: الكتاب المقدس هل هو كلمة الله؟ للقس عبد المسيح بسيط أبي الخير، وتفاسير الأناجيل وشروحها المختلفة.

المطلب الخامس: التحريفات والتناقضات والأخطاء[(١)] في الأناجيل.

توطئة:-

إن المعيار الأول للتأكد من صحة الوحي الإلهي هو سلامته من الأخطاء والتناقضات. وثمة فرق بين كتاب مقدس أو موحى به من الله، وكتاب من تأليف البشر، حيث لا يُتصور وجود شيء في الوحي الإلهي غير الحق. ولكن من الممكن أن يتعرض الوحي السماوي ـ ما عدا القرآن الكريم الذي قد تكفل الله ﷻ بحفظه ـ للتحريف البشري، سواء بالإضافة أو الحذف أو التبديل أو التأويل، فينجم عن ذلك عدد من الأخطاء والتناقضات، فهو عندئذ لم يعد وحيا مقدّسا ـ وبعيد عن أن يكون مصدر هدى ونور[(٢)].

ولو أن الإنسان نظر إلى الأناجيل الأربعة على أنها تعابير عن وجهات النظر الخاصة بجامعي التراث الشفهي المنتمين إلى مختلف الجماعات، وأنها تتكيّف مع مختلف الأوساط والاحتياجات، كما وصفت في الترجمة المسكونية (العالمية) للعهد الجديد[(٣)]، أو أنها كتابات ظرفية خصامية كما يصفها الآب كانينجسر[(٤)(٥)]، لما كان

---

(١) انظر تعريف كل من التحريف والتناقض والخطأ لغةً واصطلاحا في الباب الأول: مبحث التحريفات والأخطاء والتناقضات في العهد القديم.

(٢) انظر: Ajijola,A.D; (op.cit.) P. 89 بتصرف.

(٣) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 58.

(٤) هو: R.P. Kannengiesser، أستاذ في المعهد الكاثوليكي بباريس (محمد شلبي شتيوي (م.ن.) ص٤٢).

(٥) انظر: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 57.

هناك أي استغراب أو استفهام عن هذه الأمور التي هي عيوب قد لا يسلم منها أحد من البشر غالبا. ولكن المشكلة أن تنسب هذه العيوب من تحريفٍ وتناقضٍ وخطأ إلى الله ﷻ كما هو اعتقاد جمهور النصارى. في حين يعترف القليل منهم بأنها من صنع البشر، ومن ذلك قول الآب بينوا: «... إن أشكال الأقوال أو الروايات الناتجة عن تطور طويل للتراث، لا تتمتع بنفس صحة الأقوال أو الروايات الموجودة في الأصل. وقد يدهش بعض قراء هذ العمل[١] أو قد يشعر بالحرج عندما يعلم أن هذا القول للمسيح أو هذا المثل أو ذاك التصريح بمصيره، كلهالم تُقَل مثلما نقرأ اليومَ، وأن هؤلاء الذين نقلوها إلينا قد كيّفوها وعدّلوها[٢]!».

إن شواهد التحريف والتناقض والأخطاء في الأناجيل أكثر مما قد يتصور بعض الناس، ولقد تجمعت عندي منها ـ وبتوفيق من الله ـ ما يفوق المائة عددا، وما سوف أذكر هنا من الشواهد ما هو إلا نماذج قليلة فقط، إذ يكفي من القلادة ما أحاط بالجيد.

المسألة الأولى: شواهد التحريف.

١ ـ في سلسلة نسب المسيح عليه السلام كما يذكرها كل من إنجيل متّى[٣] وإنجيل لوقا[٤]، حيث نقل يوسابيوس عن بعض آباء الكنيسة ـ وهو أفريكانوس[٥] ـ قوله:

---

(١) يشير إلى العمل المشترك له وللآب بومار في نظرية مصادر الأناجيل، وقد تقدم.

(٢) نقلا عن: Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 74.

(٣) انظر: ١/ ١-١٦.

(٤) انظر: ٣/ ٢٣-٣٨.

(٥) هو: سكستوس جوليوس أفريكانوس: رحّال ومؤرخ نصراني في القرن الميلادي الثالث، وهو مؤلف الكتب المسماة "سستي"، ورسالة إلى أوريجانوس، وخمسة كتب أخرى في التأريخ، ورسالة =

«إذا أحصينا الأجيال من داود عن طريق سليمان، وجدنا الثالث قبل الأخير هو متّان الذي ولد يعقوب أبا يوسف[١]. أما إذا أحصيناها مع لوقا من ناثان بن داود، وجدنا أيضا الثالث قبل الأخير هو ملكي الذي كان ابنه هالى أبا يوسف. لأن يوسف هو ابن هالى بن ملكي»[٢].

وقد تبين بالرجوع إلى سلسلة النسب المذكورة في إنجيل لوقا أن "ملكي" لم يكن الثالث قبل الأخير ـ كما زعم ـ وإنما الخامس، إذ بين هالى وملكى: متثات ولاوي، فليس هالي ابنا لملكي بل ابن لحفيده[٣]!!! وعلى هذا فإن أحد أمرين قد وقع لا محال، إما أن تكون النسخة التي رجع إليها أفريكانوس قد حُذف منها اسم كل من متثات ولاوي، ـ وهذا ما يرجحه المعلق على كتاب يوسابيوس وهو نصراني[٤] ـ، أو يكون أفريكانوس نفسه قد تعمد هذا الحذف، ويؤيد هذا كونه قد ذكر ما ذكر في صدد دفاعه عن التناقض بين إنجيلي متّى ولوقا في سلسلة النسب هذه، ومحاولة التوفيق بينهما[٥]. وأيا كان الأمر فإن التحريف واقع بلا ريب.

=

إلى أرستيديس، وفي هذه الأخيرة جاء قوله المنقول هنا. انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٣٤، و٣٢٢-٣٢٣، والدائرة البريطانية ١/ ٣١٥، والدائرة الأمريكية ١/ ٢٢٧.

(١) يقصد النص الوارد في إنجيل متّى١/ ١-١٦.

(٢) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٣٥.

(٣) انظر: لوقا ٣/ ٢٣-٢٤.

(٤) لعله معرِّب الكتاب نفسه: القمص مرقس داود، وانظر التعليق في هامش رقم "٥" من ص٣٥.

(٥) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٣٤-٣٥، و٣٢٣.

٢ ـ جاء في إنجيل متّى[١]: «الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يُخرِج الصالحات. والإنسان الشرير من الكنز الشرير يُخرج الشرور».

فلفظ "في القلب" في النص إضافة ملحَقة، ولذلك أُسقط في بعض الطبعات العربية[٢]، ووُضع في بعضها بين قوسين هلالين[٣]، كما استُبعد أيضا في النسخة القياسية المراجعة باللغة الإنجليزية[٤].

٣ ـ ما ورد في إنجيل متّى أيضا[٥]: «حينئذ تم ما قيل بإرميا النبي القائل: وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المُثمن الذي ثمّنوه من بني إسرائيل وأعطوها عن حقل الفخّاري[٦] كما أمرني الرب».

فهذا النقل المزعوم عن إرميا النبي ليس له وجود في سفر إرميا ـ ولو بالمعنى ـ من ألفه إلى يائه، وإنما يوجد نص آخر قريب منه في سفر زكريا وهو: «فقلت لهم إن حسُن في أعينكم فأعطوني أجرتي وإلا فامتنعوا. فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة. فقال لي الرب: ألقها إلى الفخّاري الثمن الكريم الذي ثمّنوني به. فأخذت الثلاثين

---

(١) ١٢/ ٣٥.

(٢) مثل طبعات سنوات ١٨٢٣م و١٨٤٤م و١٨٨٢م. انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٥٠٧ ـ تعليق المحقق ـ.

(٣) كما في طبعتي سنة ١٨٦٥م و١٩٨٣م.

(٤) انظر: طبعة ١٩٦٧م فما بعدها للناشر: Harper Collins Publishers، بجلاسجو، المملكة المتحة.

(٥) ٢٧/ ٩-١٠.

(٦) الفخّاري: هو صانع الأواني من الفخار أي الخَزَف، وهو كل ما عُمل من طين وشُوي بالنار. انظر: القاموس ص٥٨٥ و١٠٣٨، وقاموس ك.م. ص٦٧١.

من الفضة وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب »[١].

قلت، فعلى هذا الأساس يلزم النصارى أحد الأمور الآتية:

أ ـ إما أن يكون نص متّى كما هو حاليا صحيحا لم يُحرّف، فحينئذ يجب الإقرار بوقوع التحريف بالحذف والإسقاط في سفر إرميا.

ب ـ وإما أن يكون ذكر اسم "إرميا" في النص تحريفا، فيكون في الأصل: زكريا ثم أُبدل، وهذا رأي بعض علمائهم[٢]. أما قول بعضهم بأن زكريا لعله قد سُمي بإرميا أيضا[٣]، فقول لا برهان عليه ولا مستند له.

ج ـ وإما أن يكون نص متّى في الأصل بدون ذكر أي اسم لا إرميا ولا زكريا ثم حرّف النص بإضافة اسم إرميا إليه، وهذا أيضا قول لبعض علماء النصارى[٤].

المسألة الثانية: شواهد التناقض:-

١ ـ شهادة قائد المائة في حادثة الصلب كما وردت في كل من إنجيل متّى: « وأما قائد المائة والذين معه يحرسون يسوع فلما رأوا الزلزلة وما كان، خافوا جدا وقالوا: حقا كان هذا ابن الله »[٥]، و إنجيل مرقس: « ولما رأى قائد المائة الواقفُ مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح، قال: حقا كان هذا

---

(١) سفر زكريا ١١/ ١٢-١٣.

(٢) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٩٤.

(٣) نفسه ٢/ ٤٩٥.

(٤) نفسه ٢/ ٤٩٤.

(٥) متّى ٢٧/ ٤٥.

الإنسان ابن الله »[١]، وإنجيل لوقا: « فلما رأى قائد المائة ما كان، مجّد الله قائلا: بالحقيقة كان هذا الإنسان بارّا »[٢].

فالتناقض بين الأناجيل الثلاثة هنا من أوجه:

أ ـ في الرائي والقائل، أهو شخص واحد كما في مرقس ولوقا، أم مجموعة من الأشخاص كما في متّى؟

ب ـ في الدافع للقائل إلى قوله هذا: ففي متّى هو: رؤيتهم للزلزال وما قد وقع، و في لوقا، رؤيته ما قد وقع، وأما في مرقس، فإنه قال ما قال لما رأى أن المصلوب صرخ وأسلم الروح، أي خرجت روحه.

ج ـ في القول نفسه ففي متّى: « حقا كان هذا ابن الله »، وفي مرقس: « حقا كان هذا **الإنسان** ابن الله »، وفي لوقا: « بالحقيقة كان هذا **الإنسان** بارّا ».

وهنا نقطة مهمة وهي أن في إنجيل متّى استُخدم لفظ: "ابن الله" وليس "الإنسان"، وأما في مرقس فقد عُبّر بالاثنين أعني: الإنسان وابن الله. بينما في لوقا جاء التعبير بالإنسان والبار دون ذكر ابن الله. فيستنتَج من هذا أن كتّاب الأناجيل قد استخدموا العبارتين، أعني "ابن الله" و"البار" على أنهما مترادفتان، فكل بار ـ في اصطلاحهم ـ ابن الله، وعلى هذا الأساس كان المسيح ابن الله[٣].

مع ملاحظة أن اللفظ الوارد في النسخة القياسية المراجعة RSV هو:

---

(١) مرقس ١٥/ ٣٩.

(٢) لوقا ٢٣/ ٤٧.

(٣) انظر: Ajijola, A.D; (op.cit.) P.55-56 بتصرف.

"Innocent" و يعني: البريء وليس البار!!!

٢ ـ جاء في إنجيل متّى على لسان المسيح عليه السلام: «وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس وعلى هذه الصّخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السماوات، وكل ما تحُلُّه على الأرض يكون محلولا في السماوات»(١).

وبعد ذكر هذه الأوصاف العجيبة والامتيازات الرهيبة لبطرس، بعد كل ذلك بثلاث فقرات وفي الإصحاح نفسه، تحوّل هذا الحواري من إنسان إلهي يُحل ما يشاء ويعقد ما يريد سواء في السماوات أو في الأرض ـ والعياذ بالله ـ إلى شيطان مريد فوُصف مرة أخرى على لسان المسيح عليه السلام أيضا هكذا: «فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس»(٢)!

٣ ـ ومن تناقضات الأناجيل والعقائد النصرانية بصفة عامة ما جاء في قصة تسليم يهوذا الإسخريوطي المسيحَ لأعدائه والتي انتهت بصلبه كما يزعمون(٣)، وما يتبع ذلك من استنزال اللعن والويل على هذا التلميذ الذي صارت الخيانة علما بارزا ومعلما رئيسا له منذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا، فكيف يوفّق بين هذا وبين الركن الأصيل والأساس الركيز للملة النصرانية برمتها وهو أن المسيح قد أتى لخلاص البشرية، ولن يتم هذا الخلاص إلا بموته على

---

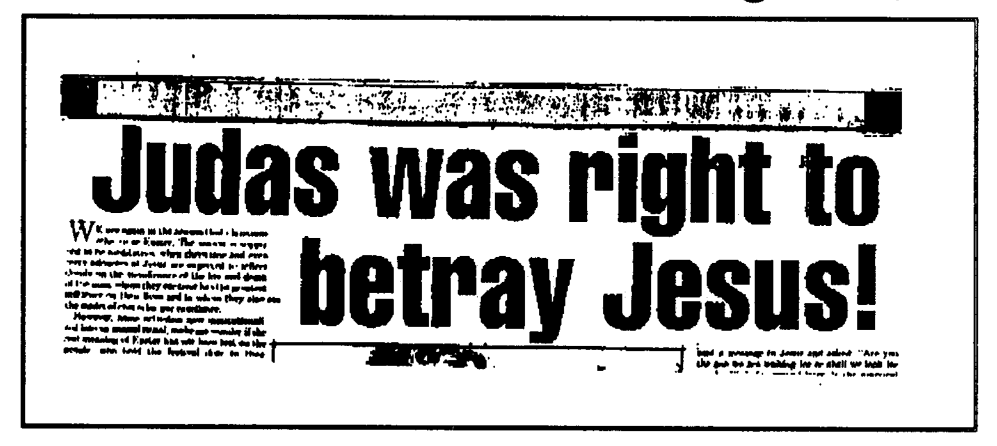
(١) متّى ١٦/ ١٨-١٩.

(٢) متّى ١٦/ ٢٣.

(٣) انظر: متّى ٢٦/ ١٤-١٦، و٤٧-٥٧، ومرقس١٤/ ١٠-١١و٤٣-٥٣، ولوقا ٢٢/ ٣-٦، و٤٧-٥٤.

الصليب[١]، وما كان هذا ليتم إلا من أعدائه، وما كانوا ليظفروا به إلا بواسطة هذا التلميذ القريب منه. فهل هو بعد ذلك يستحق أي عتاب فضلا عن اللعن والإبعاد؟

لقد أجاب كاتب نصراني معاصر في مقالة عنون لها بقوله: «إن يهوذا كان محقا في خيانته للمسيح»[٢]. وهي مقالة مصوغة بأسلوب أدبي رصين، أحُثّ كل نصراني على الاطلاع عليها إن أمكن ذلك.



Judas was right to betray Jesus!

صورة العنوان الرئيس من المجلة

هذا ولعل القارئ يلحظ تركيزي في شواهد التناقضات هذه على ما جاء في الأناجيل الثلاثة ـ متّى ومرقس ولوقا ـ وذلك راجع إلى سببين: أولهما أن هذه الثلاثة هي التي تسمى بالأناجيل المتشابهة، والثاني: أن اختلاف الإنجيل الرابع ـ إنجيل

---

(١) انظر: متّى ٢٠/ ٢٨، ومرقس ١٠/ ٤٥، ويوحنا ٣/ ١٦، و١ ـ كورنثوس ١٥/ ٣، و٢ ـ كورنثوس ٥/ ٢١.

(٢) انظر: مجلة هيد لانس "Head Lines" الشهرية النيجيرية، عدد٢٥١، الصادرة في مارس ١٩٩٤م، ص١٨-٢١.

يوحنا ـ عن هذه الثلاثة أمر مسلّم به حتى في الأوساط النصرانية، وقد جاء في دائرة المعارف الأمريكية ما نصه: «إن هناك مشكلة مهمة وصعبة تنجم عن التناقض الذي يظهر في نواح كثيرة بين الإنجيل الرابع والثلاثة المتشابهة. إن الاختلاف بينهما عظيم، ... لدرجة أنه لو قبلت الأناجيل المتشابهة أو اعتبرت صحيحةً وموثوقا بها، فإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا»[١]. ومن أراد الوقوف على شيء من شواهد هذه التناقضات فليرجع إلى مظانها[٢]، وبالله التوفيق.

المسألة الثالثة: شواهد الخطأ.

١ ـ جاء في إنجيل متّى[٣]: «فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع، وأتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما».

فلا أدري كيف جلس يسوع أو أُجلس على الأتان والجحش معا، ولا ما هو الدافع لذلك أصلا؟ أليس الجلوس على واحد منهما أسهل وأقرب؟ إن الواقع أن كاتب إنجيل متّى وقع هنا في خطأ لغوي، فظن أن الجحش[٤] غير الأتان[٥] بخلاف ما ورد حتى في سائر أسفار الكتاب المقدس نفسه[٦].

---

(١) الدائرة الأمريكية ١٣/ ٧٣.

(٢) راجع مثلا: إنجيل يوحنا في الميزان ص٥٠١-٥٩٢.

(٣) ٢١/ ٦-٧.

(٤) الجحش: ولد الحمار، ويجمع على جحاش وجحشان. القاموس ص٧٥٦.

(٥) الأتان: أنثى الحمار أي الحمارة، ويجمع على آتن وأتْن وأُتُن ومأتوناء. القاموس ص١٥١٥.

(٦) أي أن الجحش هو ابن الأتان كما في زكريا ٩/ ٩، ويوحنا ١٢/ ١٥. وانظر كذلك: مرقس ١١/ ٧ ولوقا ١٩/ ٣٥، ومحمود علي حماية (م.ن.) ص٩٣-٩٤.

٢ ـ جاء في إنجيل لوقا[(١)]: «وبالحق أقول لكم إن أرامل كثيرة كنّ في إسرائيل في أيام إيليا[(٢)] حين أغلقت السماء مدة ثلاث سنين وستة أشهر لما كان جوع عظيم في الأرض كلها».

فهذا التحديد لمدة انقطاع المطر عنهم في زمن إيليا خطأ، وذلك لأن المطر قد نزل في السنة الثالثة كما جاء في سفر الملوك الأول: «وكان من هنا إلى هنا أن السماء اسودت من الغيم والريح وكان مطر عظيم»[(٣)].

٣ ـ في نسب المسيح عليه السلام: وقد ورد في كل من إنجيل متّى[(٤)] وإنجيل لوقا[(٥)].

وحيث كانت معظم الدراسات السابقة تُركّز على إبراز التناقضات والاختلافات بين سلسلة متّى وسلسلة لوقا، أحببت أن أصرف الجهد في هذه الدراسة إلى جانب إبراز الأخطاء في ما يذكره الاثنان معا، ويتلخص ذلك في النقاط الآتية:

أولا: جاء في سلسلة متّى: «ويوشيا ولد يكنيا وإخوته عند سبي بابل»[(٦)]. وهذا خطأ لأمورٍ، من أهمها:

---

(١) ٤/ ٢٥، وانظر كذلك رسالة يعقوب ٥/ ١٧.

(٢) إيليا: أحد أنبياء بني إسرائيل في المملكة الشمالية (إسرائيل)، كما جاء في قاموس ك.م. ص١٤٤.

(٣) ١ ـ الملوك ١٨/ ٤٥، وأما النص على أن ذلك كان في السنة الثالثة ففي ١٨/ ١ من السفر نفسه. وانظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٣٤٣.

(٤) انظر: ١/ ١-١٧.

(٥) انظر: ٣/ ٢٣-٣٨.

(٦) متّى ١/ ١١.

أ ـ أن يوشيا هذا قد مات قبل السبي[١] المذكور بنحو اثني عشر عاما[٢] فكيف يولد له في ذلك الوقت؟ أي بعد موته باثنتي عشرة سنة!

ب ـ أن يكنيا ابن ابن يوشيا وليس ابنه المباشر، كما جاء ذلك بوضوح في سفر أخبار الأيام الأول[٣] حيث قال: «وبنوا يوشيا: البكر يوحانان، الثاني يهوياقيم، الثالث صدقيّا، الرابع شلّوم، وابنا يهوياقيم: يكنيا ابنه وصدقيّا[٤] ابنه».

ج ـ أن يكنيا كان عمره لما تولى الملك في ٥٩٧ق.م.ثماني عشرة سنة[٥] ـ حسب ما يرجحه واضعوا قاموس كتاب النصارى المقدس[٦] ـ فيكون قد ولد في عام ٦١٥ ق.م. أي (٥٩٧+١٨= ٦١٥)، وباتفاق النصارى أن السبي لم يكن قط في تلك السنة أعني: ٦١٥ ق.م. وإنما كان في ٦٠٥ و٥٩٧ أو ٥٩٨ أو ٥٩٩ و٥٨٧

---

(١) أي السبي الذي كان في ٥٩٧ ق.م. انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٥٤٠ ـ تعليق المحقق ـ. وحتى لو قلنا إن المراد هو: السبي الذي كان في عام ٦٠٥ ـ بناء على ما جاء في قاموس ك.م. ص٤٥٨ من أن السبي الأول لبني إسرائيل كان في عام ٦٠٥ ق.م. ـ فإن يوشيا قد مات قبل ذلك بثلاث سنوات أي في عام ٦٠٨ ق.م. انظر: قاموس ك.م. ص١١١٩.

(٢) أي في عام ٦٠٨م، حيث قد ملك بعده كل من يهوآحاز لثلاثة أشهر ويهوياقيم لإحدى عشرة سنة ثم يكنيا أو يهوياكين لثلاثة أشهر، وهو الذي سيق أسيرا إلى بابل في عام ٥٩٧ ق.م. انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٢٩٦، وقاموس ك.م. ص٤٥٨ و٩١٧ و١٠٨١و١٠٩٩.

(٣) ٣/ ١٥-١٦، وانظر كذلك: ٢ ـ الملوك٢٣/ ٣٤ و٢٤/ ٦، وقاموس ك.م. ص٩١٧و١٠٣٧ و١٠٩٩.

(٤) أي أن له ابنا اسمه صدقيا، وأخا اسمه كذلك.

(٥) انظر: ٢ ـ الملوك ٢٤/ ٨، وهناك ما يخالفه في سفر أخبار الأيام الثاني ٣٦/ ٩ حيث جاء فيه أنه كان ابن ثماني سنين فقط.

(٦) انظر: ص١٠٩٩ من القاموس.

و٥٨٢ ق.م.[١]، فما معنى قول متّى إن يكنيا ولد ـ هو وإخوته ـ عند سبي بابل؟!!!

د ـ أن يكنيا لم يكن له إخوة أصلا، وإنما كان له أخ واحد فقط اسمه صدقيا كما هو واضح في نص أخبار الأيام الأول المذكور أعلاه.

فالذي يظهر أن كاتب إنجيل متّى قد وقع في هذا الخطأ من حيث أسقط اسم يهوياقيم من السلسلة، فنسب يكنيا إلى جده يوشيا مباشرة، وجعل أعمامه إخوة له. فهل كان هذا الإسقاط منه مجرد سهو أو سبق قلم؟ لا والله. وإنما السبب هو أنه حسب ما جاء في العهد القديم فإن عيسى عليه السلام لو صح أنه من نسل يهوياقيم لما جاز له الجلوس أصلا على كرسي مُلك داود ولا أن يكون هو المسيح الموعود به. كما جاء هذا مصرحا به في سفر إرميا[٢]: «لذلك هكذا قال الرب عن يهوياقيم[٣] ملك يهوذا، لا يكون له جالس على كرسي داود... وأُعاقبه ونسله وعبيده على إثمهم...»[٤].

ثانيا: في سلسلة متّى ولوقا ورد ذكر "زربابل"، ولكن في متّى أنه والد أبيهود[٥]،

---

(١) انظر: قاموس ك.م. ص٤٥٨، ومقدمة NAB ص٤٠، وانظر ما تقدم في التعريف بالسبي البابلي في ص١٣٣.

(٢) ٣٦/ ٣٠-٣١.

(٣) هو: يهوياقيم بن يوشيا، ملك يهوذا، تولى الملك في ٦٠٨ ق.م. وكان عمره ٢٥ عاما، وقد ملك لإحدى عشرة سنة، وكان من عباد الأوثان، ولما كتب له النبي إرميا كتابا ينذره فيه بعقاب الله إذا لم يتب ويرجع إلى الله، استخفّه وأحرقه (الكتاب) بالنار، فلهذا استحق العقاب المذكور في السفر هو ونسله. انظر: إرميا ٣٦/ ٢٠-٢٩، وقاموس ك.م. ص١٠٩٨-١٠٩٩.

(٤) راجع: رحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ٢٠٣، و٢/ ٢٩٦-٢٩٧، و٣٤٣، و "K.Alan (op.cit.) P.55".

(٥) انظر: متّى ١/ ١٣.

بينها في لوقا أنه والد ريسا[١]. وكل منهما خطأ، إذ قد جاء ذكر أولاد زربابل في العهد القديم وليس فيهم أبيهود ولا ريسا[٢].

ثالثا: أشار متّى في سلسلته إلى أنه في كل قسم من الأقسام الثلاثة المذكورة عنده توجد أربعة عشر جيلا[٣]، مع أنه في القسم الأخير - أي من سبي بابل إلى يسوع - لم يذكر سوى ثلاثة عشر جيلا!!!

كما أنه أخطأ في القسم الثاني أيضا - أي من داود إلى سبي بابل - إذ فيه في الحقيقة ثمانية عشر جيلا وليست أربعة عشر جيلا كما قال، وهذا واضح جدا في سفر أخبار الأيام الأول حيث جاء فيه: « وابن سليمان رحبعام، وابنه أبيّا، وابنه آسا، وابنه يهوشافاط، وابنه يورام، وابنه أخزيا، وابنه يوآش، وابنه أمصيا، وابنه عزريا، و ابنه يوثام، وابنه آحاز، وابنه حزقيا، وابنه منسّى، وابنه آمون، وابنه يوشيا، وبنو يوشيا البكر يوحانان، الثاني يهوياقيم، الثالث صدقيا، الرابع شلّوم. وابنا يهوياقيم: يكنيا... »[٤]. فلذلك جاء قول أحد كبار رؤساء الكنيسة في القرن الماضي، نيومن[٥] متأسفا: « إنه كان تسليم اتحاد الواحد والثلاثة ضروريا في الملة المسيحية، والآن

---

(١) انظر: لوقا ٣/ ٢٧.

(٢) انظر: ١ - أخبار الأيام ٣/ ١٩-٢٠.

(٣) انظر: متّى ١/ ١٧.

(٤) ١ - أخبار الأيام ٣/ ١٠-١٦.

(٥) هو: نيو من، جون هنري، رجل إنجليزي، بروتستانتي النشأة، كان شديد الرغبة في إصلاح الكنيسة وقد تحوّل إلى الكاثوليكية وصار من أكبر أنصارها في إنجلترا، وله عدة مؤلفات منها: الدفاع عن حياتي. توفي سنة ١٨٩٠م. الموسوعة العربية الميسرة ص١٨٧٤، والدائرة البريطانية ١٦/ ٣٦٣.

تسليم اتحاد ثمانية عشر وأربعة عشر أيضا ضروري، لأنه لا احتمال لوقوع الغلط في الكتب المقدسة »[١]!

ولنكتف بهذا القدر القليل من شواهد التحريفات والتناقضات والأخطاء في ما يسمى بالأناجيل المقدسة[٢]، إذ في ذلك كفاية لمبتغي الحق وطالبه إن شاء الله. بل وقد أدّى الشعور بشناعة هذه الأمور بكثير من قرّاء هذه الأناجيل إلى ترك الديانة النصرانية بأكملها، على الرغم من محاولات قساوسة الكنيسة ورؤسائها تهوين الأمر أو التقليل من أهميته وخطورته، فيقولون تارة: "إن هناك بعض الفارق أو التناقض في قليل من الروايات" وتارة أخرى يقولون: "إن بين الأناجيل بعض الفوارق التافهة"[٣]، أو أن هذه الأخطاء والتحريفات من النساخ[٤] أو أن فيها "بعض السهوات الإملائية الطفيفة جدا"[٥]...الخ. ولكن السؤال: هل يُعقل وجود تناقضات وأخطاء وتحريفات في كتابٍ مقدّسٍ مكتوبٍ بإلهام، ولو كان كل ذلك أقل من قليل؟!!!

---

(١) نقلا عن: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٢٩٩.

(٢) ومن المراجع للتوسع في هذا: رحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٨٧-٢٤٤ و٢/ ٢٩٤-٣٥٠ و٤٩١-٥١٢ و٥٣٨-٥٤١، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٥٢-٥٦، ومناظرة الشيخ أحمد ديدات مع كل من القس جيمي شواغارت، والقس ستانلي شوبيرج بعنوان: هل الكتاب المقدس كلام الله. ومن المراجع الأجنبية:

Ajijola, A.D; (op.cit.) P.106-113, K. Alan (op.cit.) P.54-111, Abdul Hayee, SK.MD. (op.cit.) P.11-13 & Damashkiyah, AbdurRahman; Let the Bible Speak P.57-62

(٣) انظر: أديان العالم لحبيب سعيد ص٢٧٧، نقلا عن: محمود علي حماية (م.ن.) ص٨٠.

(٤) انظر: Deedat, Ahmed; Is the Bible God's Word P.23، وقول جيمي شواغارت في مناظرته مع الشيخ أحمد ديدات (م.ن.).

(٥) قاموس ك.م. ص٧٦٣.

المطلب السادس: المسيح في صفحات الأناجيل[(١)]

إذا كان كتاب النصارى المقدس قد وصف الله ﷻ بأوصاف العجز والعيوب، ورمى أنبيائه ورسله الكرام عليهم الصلاة والسلام ببعض أنواع الشرك والفجور، فإن نبيهم ـ أو إلههم ومخلصهم كما يزعمون ـ لم ينج حتى هو من بعض هذه الأوصاف القبيحة كما سنرى بإذن الله تعالى في السطور الآتية:

أ ـ المسيح يدعو على شجرةٍ بعدم الإثمار!!!

جاء ذلك في إنجيل مرقس[(٢)] حيث قال: «وفي الغد لما خرجوا من بيت عنيا[(٣)] جاع. فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق، وجاء لعله يجد فيها شيئا، فلما جاء إليها لم يجد شيئا إلا ورقاً، لأنه لم يكن وقت التين. فأجاب يسوع وقال لها: لا يأكل أحد منك ثمرا بعد إلى الأبد، وكان تلاميذه يسمعون». وفي إنجيل متّى[(٤)]: «... فقال لها لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد، فيبست التينة في الحال».

فحسب الرواية الأولى التي صرحت بأن الوقت لم يكن وقت تين، فإن معلومات المسيح الإله أو ابن الإله ـ في زعمهم ـ لم تصل إلى مستوى معلومات

---

(١) راجع في هذا: إتين دينيه (م.ن.) ص٤٣-٤٦، وترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية للدكتور محمد محسن خان والدكتور محمد تقي الدين الهلالي ص١٠٢٨-١٠٢٩، وAjijola, A.D; (op.cit.) P.118-124، وNiaz, Kaosar; Mirror of Trinity P.62.

(٢) ١١/ ١٢-١٤.

(٣) بيت عنيا: أي بيت البؤس، قرية إلى الجنوب الشرقي من جبل الزيتون على بعد ميلين تقريبا من أورشليم، وهي الآن تدعى العازرية. قاموس ك.م. ص٢٠٤.

(٤) ٢١/ ١٩.

الفلاّح العادي التي بها يميز موسم التين عن غيره، كما أن هذا الإله الجائع! ـ في زعمهم ـ لا يعلم إن كانت الشجرة التي يراها على مد البصر بها تين أم لا[(١)]!! وفوق هذا كله، فما الذي حمله على لعن الشجرة فيلحق بذلك ضررا بغيره نتيجة حرمانهم من الاستفادة منها؟!

ب. المسيح تحت تجربة شيطانية!

هذا ما نقرؤُه في الإنجيل حسب متّى وحسب لوقا أن المسيح ﷺ خضع لتجارب عديدة من قبل ألد أعداء الله والبشرية، إبليس الشيطان الملعون، لمدة أربعين يوما كاملةً بلياليها!: «ثم أُصعد يسوع إلى البريّة من الروح ليُجَرَّب من إبليس. فبعد ما صام أربعين نهارا وأربعين ليلةً جاع أخيراً. فتقدّم إليه المجرِّب وقال له: إن كنتَ ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً. فأجاب وقال: مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله. ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل... ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررتَ وسجدتَ لي. حينئذٍ قال له يسوع: اذهب يا شيطان...»[(٢)].

فغريب عجيب أمر هذا الإله ـ في زعمهم ـ الذي يجوع، بل يؤخذ ويقاد رغمَ أنفه في صولات وجولات استمرت عدة أسابيع، والقائد من؟ إبليس الملعون!!!

---

(١) مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٥٨ بتصرف.

(٢) هذا نص إنجيل متّى ٤/ ١-١٠، وقريب منه ما جاء في لوقا ٤/ ١-١٢.

ج. المسيح ﷺ مع أمه.

فكما تصوره الأناجيل: إنه لا يعرف أي احترام لوالدته مريم عليها السلام، ولعن الله المفترين. يقول إنجيل متّى(١): «وفيما هو يكلم الجموع إذا أمه وإخوته قد وقفوا خارجا طالبين أن يكلموه، فقال له واحدٌ: هو ذا أمك وإخوتك واقفون خارجا طالبين أن يكلموك. فأجاب وقال للقائل له: من هي أمي ومن هم إخوتي»!

وفي إنجيل يوحنا(٢): «وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل(٣) وكانت أم يسوع هناك. ودُعي أيضا يسوع وتلاميذه إلى العرس. ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له: ليس لهم خمر. قال لها يسوع: **ما لي ولكِ يا امراة!** لم تأت ساعتي بعد».

فهكذا مسيح الأناجيل يعرض عن التكلم مع أمه بل ويخاطبها بقوله: "يا امرأة". وحاشا أن يكون نبي الله ورسوله عيسى بن مريم ﷺ بهذه الصفات.

د. المسيح يخلع ثيابه نتيجة الإسكار. والعياذ بالله.

كما يقول إنجيل يوحنا(٤): «قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتّزر بها. ثم صبّ ماءً في مِغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان

---

(١) ١٢/٤٦-٤٨.

(٢) ٢/١-٤.

(٣) قانا الجليل: مدينة كانت في منطقة الجليل وتسمى كذلك بكفركنا، واختلف علماء النصارى في تحديد موضعها اليوم، وقيل إنها تقع شرقي مدينة الناصرة على بعد ستة كيلومترات. انظر: قاموس ك.م. ص٧٠٩-٧١٠، ومحمد محمد شرّاب (م.ن.) ص٦٢٨.

(٤) ١٣/٤-٥.

متّزرا بها». وقد علق المهتدي أحمد فارس الشدياق[١] على هذا النص قائلا: «هذا يوهم أن عيسى عليه السلام وقتئذ كان قد سرت فيه الخمرة حتى لم يكن يدري ما يفعل، فإن غسل الأقدام لا يوجب التجرد عن الثياب»[٢].

فتلكم صوَر مسيح النصارى وربهم ومخلصهم - فيما يزعمون - أما المسيح عيسى ابن مريم عبدُ الله ورسوله صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم، فبعيد كل البعد عن هذه الصفات القبيحة، كما أنه ليس من المعقول أن يكون تلاميذه وحواريّوه قد كتبوا عنه هذه الضلالات، والله تعالى أعلم.

المطلب السابع: مشكلات الأناجيل الرئيسة

هناك عدة مشكلات تواجه نصوص الأناجيل، قد تُشكّل هي وحدها بحثا علميا مستقلا. ولا يمكنني في هذا البحث إلا الاكتفاء بجزء من هذه المشكلات مع شدة الإيجاز والاقتصار أيضا.

ومن أهم هذه المشكلات أو الإشكالات الرئيسة في الأناجيل ما يأتي:

١ ـ نظرية نهاية أو خاتمة إنجيل مرقس[٣].

---

(١) أحمد فارس بن يوسف بن منصور الشدياق: الأديب اللغوي، ولد سنة ١٢١٩هـ ونشأ نصرانيا مارونيا، ثم أسلم، توفي عام ١٣٠٤هـ. من تصانيفه: الجاسوس على القاموس. معجم المؤلفين لعمر رضا كحّالة ٢/ ٤١-٤٢.

(٢) رحمت الله الهندي (م.ن.)٤/ ١٣٤٢.

(٣) راجع: فهيم عزيز (م.ن.) ص٢٣٠-٢٣١، ومقارنة الأديان للشرقاوي ص١٦٧-١٦٨، واختلافات في تراجم الكتاب المقدس لأحمد عبد الوهاب ص٨٤، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٣٩-٤٠ و١٣٧-١٣٨، والدائرة البريطانية "Micro" ٦/ ٦٣٣، =

٢ ـ طبيعة الأناجيل ذاتها، أهي سجل حياة للمسيح، أم ذكريات، أم ماذا؟[(١)].

٣ ـ ما تشتمل عليه الأناجيل من الأمور الخرافية بل وغير المعقولة، كالذي يُذكر في إنجيل متّى: « ... والقبور تفتَّحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين »[(٢)]. فكيف تقوم هذه الأجساد من قبورها أثناء حادثة الصلب ثم لا تخرج من القبور نفسها إلا بعد قيامة المصلوب، مع مراعاة الفاصل الزمني الطويل بين الحدثين كما يُذكر في كتابهم أيضا[(٣)]. وقد جزم بعض علمائهم بكذب هذه الحكاية[(٤)(٥)].

٤ ـ الاختلافات الحادة في رواية وقائع الصلب الذي هو إحدى الركائز الأساسية للعقيدة النصرانية[(٦)].

٥ ـ التناقضات الواضحة بين ما يسمى بالأناجيل المتشابهة، وهي أناجيل متّى ومرقس ولوقا، وبين الإنجيل الرابع، إنجيل يوحنا، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك عند التعريف بإنجيل يوحنا.

=

وBucaille, Maurice (op.cit.) P.65

(١) راجع: فهيم عزيز (م.ن.) ص١٥٩-١٦٠، ومحمود علي حماية (م.ن.) ص٦٧.

(٢) متّى ٢٧/ ٥٢-٥٣.

(٣) أي أكثر من يوم وليلة، كما سيأتي قريبا إن شاء الله.

(٤) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٣١٣-٣١٤.

(٥) وراجع في مسألة الحكايات الخرافية هذه: Bucaille, Maurice (op.cit.) P.61-62، وAjijola, A.D; (op.cit.) P.114-118.

(٦) راجع: مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٦٣-٧٠، و٨٤-١٠٧، والمسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص١٢٧-١٧٩.

وأمّا المشكلات التي سوف يتناولها البحث ههنا فهي: مشكلة النبوات التي لم تتحقق، ومشكلة الاستشهادات الخاطئة من العهد القديم، ومشكلة من سُمّوا بإخوة الرب في الأناجيل، ومشكلة عدم الوضوح، والشكوك في القضايا الجوهرية المهمة.

أولا: التنبؤات التي لم تتحقق.

إن الإحاطة بالأمور الغيبية علمًا، من خصائص الخالق جل وعلا، كما يقول ﷻ: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[النمل:٦٥]. ولكنه ﷻ في حكمته البالغة قد يُطْلع بعض خلقه المصطفين على بعض المغيبات، كما يقول هو أيضا ﷻ: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ [الجن:٢٦-٢٧]. قال قتادة[1] رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾: «فإنه يصطفيهم ويُطلعهم على ما يشاء من الغيب»[2]، ويقول ابن كثير رحمه الله: «وهذا يعم الرسول الملكي والبشري»[3].

وبهذا يتبين أن الهدف من هذه الدراسة ليس الطعن في نبوة نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام متمثلةً في إخباره بما أطلعه الله عليه من المغيبات، إن كان هناك شيء من

---

(١) هو: قتادة بن دعامة أبو الخطاب البصري الضرير، حافظ العصر قدوة المفسرين والمحدثين، وكان من أوعية العلم وممن يُضرب به المثل في قوة الحفظ. روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه، توفي عام ١١٧ بواسط. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي٥/ ٢٦٩-٢٨٢. وقال الحافظ ابن حجر: "ثقة ثبت... وهو رأس الطبقة الرابعة". تقريب التهذيب ص٤٥٣.

(٢) تفسير الطبري ١٢/ ٢٧٥.

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٣٣.

هذا القبيل. وإنما في ما يضعه كتّاب الأناجيل على لسان هذا الرسول العظيم ـ عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء والرسل أفضل الصلاة والسلام ـ ظلما وافتراءً. وكما جاء في العهد القديم المقدس عند القوم: « فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب »[١]! فمن أمثلة هذه التنبؤات التي لم تحدث أو لم يتكلم بها الرب ما يلي:-

أ. التنبؤ بنهاية العالم في القرن الميلادي الأول.

هذا ما تقوله الأناجيل، في إنجيل متّى جاء على لسان المسيح مخاطبا تلاميذه الاثني عشر: « ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب، فكونوا حكماء كالحيّات وبسطاء كالحمام... ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى، فإني الحق أقول لكم: لا تُكمّلون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان »[٢]. وفي هذا الإنجيل نفسه جاء نص آخر يقول: « فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، و حينئذ يجازي كلّ واحد حسب عمله. الحق أقول لكم: إن من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته »[٣].

وثمة نص آخر في إنجيل مرقس جاء فيه: « وأما في تلك الأيام بعد ذلك الضيق فالشمس تظلم والقمر لا يعطي ضوءه. ونجوم السماء تتساقط والقوات التي في السماوات تتزعزع. وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا في سحاب بقوة كثيرة

---

(١) تثنية ١٨/ ٢٢.

(٢) متّى ١٠/ ١٦-٢٣.

(٣) متّى ١٦/ ٢٧-٢٨.

ومجد. هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة فاعلموا أنه قريب على الأبواب. الحقَّ أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله»[١].

إذًا، بموجب هذه النصوص الإنجيلية كان الواجب أن تكون هذه الحياة الدنيا التي نعيشها قد انقرضت منذ القرن الأول من ميلاد المسيح ﷺ، إذ هذا ما عُبّر عنه في تلكم النصوص بعودة المسيح ثانية، إما قبل إكمال تلاميذه إبلاغ الدعوة إلى جميع المدن الإسرائيلية، أو قبل أن يذوقوا الموت كما في نص متّى، أو قبل انقراض الجيل الذي بعث فيه ﷺ، كما في النص المشترك بين الأناجيل الثلاثة، وهذا واضح لا خفاء فيه.

وها نحن الآن في القرن التاسع عشر بعد انقراض ذلك الجيل، ولا يزال العالم قائما وسيقوم إلى ما شاء الله الخالق ﷻ، وتبينت استحالة تحقق هذا التنبؤ المفترى نسبته إلى المسيح ﷺ.

ب ـ التنبؤ بمرافقة يهوذا ـ التلميذ الخائن ـ للمسيح ﷺ في العالم الآخر، حيث إنه قد جاء على لسان المسيح في إنجيل متّى أيضا وهو يخاطب تلاميذه الاثني عشر ومنهم هذا التلميذ (يهوذا) فقال: «متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضا على اثني عشر كرسيا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر»[٢]. وبشهادة الأناجيل ذاتها أن يهوذا كان من التلاميذ الاثني عشر في الأصل، ولكنه بعد خيانته وتسليمه المسيح للأعداء طُرد من

---

(١) مرقس ١٣/ ٢٤-٣٠ وقريب منه ما جاء في متّى ٢٤/ ٢٩-٣٤، ولوقا ٢١/ ٢٥-٣٢.

(٢) متّى ١٩/ ٢٨.

صحبته في الدنيا والآخرة[١]، فكيف يكون أيضا جالسا معه في المجد كما هو موجب هذا النص؟!!

والواقع أن كاتب إنجيل لوقا وحده قد تنبه إلى هذا المغزى فحذف العدد، أعني (اثني عشر) في نظير هذه الفقرة من إنجيله، فجعل النص عنده هكذا: «وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتا. لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر»[٢]. والسبب كما أسلفت أنه كان يفكر في يهوذا الإسخريوطي[٣].

ج. التنبؤ بدفن المسيح في الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال.

جاء في إنجيل متّى[٤]: «فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق، يطلب آية ولا تُعطى له آية إلا آية يونان النبي[٥]، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال».

ولا شك أن المقصود هنا وفي النصوص الأخرى[٦] القريبة من هذا، هو موت المسيح على الصليب ودفنه بعد ذلك للمدة المذكورة ثم قيامته بعدها. فلذلك

---

(١) انظر: لوقا ٢٢/ ٣، ويوحنا١٣/ ٢٦-٢٧، والأعمال ١/ ٢٠و٢٥.

(٢) لوقا ٢٢/ ٢٩-٣٠.

(٣) جون فنتون (م.ن.) ص٣١٧، نقلا عن المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٩٩.

(٤) ١٢/ ٣٩-٤٠.

(٥) أي نبي الله يونس عليه السلام، وقد وردت قصته هذه في كتاب الله الحكيم، سورة الصافات آية ١٣٩-١٤٦، وفي العهد القديم، سفر يونان، الإصحاحين الأول والثاني.

(٦) انظر: مرقس ٨/ ٣١ و٩/ ٣١ و١٠/ ٣٤، ويوحنا ٢/ ١٩-٢٢.

يجب الرجوع إلى ما تذكره الأناجيل عن أحداث الصلب والقيامة، لنرى هل تحقق هذا التنبؤ أم لا؟

يقول كاتب إنجيل مرقس: «ولما كان المساءُ إذ كان الاستعداد أي ما قبل السبت. جاء يوسف الذي من الرامة[١] مشير شريف، وكان هو أيضا منتظرا ملكوت الله فتجاسر ودخل إلى بيلاطس، وطلب جسد يسوع [يعني المصلوب]. فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعا فدعا قائد المائة وسأله هل له زمن قد مات؟ ولما عرف من قائد المائة وهب الجسد ليوسف. فاشترى كتّانا[٢] فأنزله وكفّنه بالكتّان ووضعه في قبر كان منحوتا في صخرة، ودحرج حجرا على باب القبر»[٣].

وفي إنجيل متّى: «وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية، ومريم الأخرى[٤] لتنظرا القبر. وإذا زلزلة عظيمة حدثت، لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه. فأجاب الملاك وقال للمرأتين: لا تخافا أنتما، فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب، ليس هو ههنا لأنه قام كما قال»[٥].

فكما نرى أن المصلوب وفق ما جاء في النص الأول قد أُنزل من فوق الصليب

---

(١) الرامة أو رامتايم صوفيم: لعلها مدينة رام الله الحالية بفلسطين. قاموس ك.م. ص٣٩٢.

(٢) الكتّان: نوع من النبات، ثيابه معتدلة في الحر والبرد واليبوسة، ولا تلزق بالبدن ويقل قمْله. القاموس ص١٥٨٣.

(٣) مرقس ١٥/ ٤٢-٤٦، وانظر أيضا: متّى ٢٧/ ٥٧-٦٠، ولوقا ٢٣/ ٥٠-٥٤.

(٤) أي مريم زوجة حلفى أو كلوبا ووالدة يعقوب. قاموس ك.م. ص٨٥٨.

(٥) متّى ٢٨/ ١-٦، وانظر أيضا: مرقس ١٦/ ١-٦، ولوقا ٢٤/ ١-٦، ويوحنا ٢٠/ ١-٨.

في مساء اليوم الذي تم فيه الصلب وهو اليوم الذي قبل السبت أي الجمعة. وأما النص الأخير فيفيد أن أتباع المسيح عليه السلام قد وجدوا القبر الذي دفن فيه المصلوب خاليا من الجثة منذ الساعات الأولى من فجر يوم الأحد! فالحاصل أن المصلوب إنما قضى في بطن الأرض ليلتين ويوما واحدا، لا ثلاثة أيام وثلاث ليال.

ومن الجدير بالذكر أن كاتب إنجيل لوقا إذ تنبه أيضا إلى عدم تحقق هذا التنبؤ وخطئه، صاغ عبارته بشكل يختلف عما جاء في إنجيل متّى فقال: «وفيما كان الجموع مزدحمين ابتدأ يقول: هذا الجيل شرّير يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي، لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى[1] كذلك يكون ابن الإنسان أيضا لهذا الجيل»[2][3].

ثانيا: الاستشهادات الخاطئة بنصوصٍ من أسفار العهد القديم.

كان الاستشهاد بفقرات من العهد القديم من أهم الوسائل التي استعان بها المسيح عليه السلام ـ كما تذكر الأناجيل ـ سواء في مواطن الجدل والتحدي الذي كان يلقاه من اليهود، أو في محاوراته مع تلاميذه. كما جاء في إنجيل يوحنا على لسان المسيح

---

(١) نينوى: عاصمة الإمبراطورية الآشورية التي ازدهرت ازدهارا عظيما في بعض القرون السابقة للميلاد، وقد شيدت على الضفة الشرقية من نهر دجلة، وعلى بعد ٢٥ ميلا من التقاء دجلة مع الزاب. قاموس ك.م. ص٩٩٠.

(٢) لوقا ١١/ ٢٩-٣٠.

(٣) راجع في موضوع التنبؤات التي لم تتحقق عموما: المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٩٩-١٠٣، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٥٨-٦٢، ومحمد السعدي (م.ن.) ص٤٥-٤٩، و Ajao, Shakiru; (op.cit.) P.43-46

عليه السلام وهو يخاطب اليهود: «فتّشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية، وهي التي تشهد لي»[١].

وقد حرص كتّاب الأناجيل أيضا من جانبهم على الربط بين ما كان من أمر عيسى عليه السلام وما رأوها تنبؤات سبق أن تحدث بها أنبياء العهد القديم. وكان كاتب إنجيل متّى أكثرهم اهتماما بذلك كما مرّ معنا في الكتاب. إلا أنهم قد أخطؤوا في مواضع كثيرة من هذه الاستشهادات، نتج بعضها عن الاجتهادات الشخصية من كتّاب هذه الأناجيل كما سوف نرى إن شاء الله في الشواهد الآتية.

أ . جاء في سفر هوشع[٢]: «لما كان إسرائيل غلاما أحببته، ومن مصر دعوت ابني. كل ما دعوهم ذهبوا من أمامهم يذبحون للبعليم[٣] ويُبَخِّرون للتماثيل المنحوتة». وفي الترجمة الإنجليزية: «...كل ما دعوتُهم ذهبوا من أمامي...»[٤].

فواضح أن المقصود بالابن أو ابن الله في هذا النص هو الشعب الإسرائيلي، كما جاء في موضع آخر من العهد القديم نفسه: «وقال الرب لموسى عندما تذهب لترجع إلى مصر... فتقول لفرعون هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر، فقلت لك أطلق ابني ليعبدني...»[٥].

وأما كاتب إنجيل متّى فقد حاول الربط بين هذا النص الدال على دعوة

---

(١) يوحنا ٥/ ٣٩.

(٢) ١١/ ١-٢.

(٣) البعليم: جمع بعل: وهو من الآلهة التي اتّخذها الكنعانيون في السابق. قاموس ك.م. ص١٨١.

(٤) انظر: نسخة RSV.

(٥) الخروج ٤/ ٢١-٢٣.

الإسرائيليين للخروج من مصر، وبين عودة المسيح لما كان صبيا من مصر بعد وفاة هيرودس الملك[١] فقال: «فقام [يوسف] وأخذ الصبي وأمه ليلا وانصرف إلى مصر. وكان هناك إلى وفاة هيرودس[٢]، لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: "من مصر دعوت ابني"»[٣].

ب. **جاء في إنجيل متّى**[٤]: «... وسألهم [الملك هيرودس]: أين يولد المسيح؟ فقالوا له في بيت لحم اليهودية، لأنه هكذا مكتوب بالنبي: وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا، لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل».

وهذا الذي ذكره في إنجيله إنما هو في الحقيقة خليط بين نصين مختلفين من العهد القديم، الأول في سفر ميخا وهو: «أما أنت يا بيت لحم أفراتة[٥]، وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطا على إسرائيل»[٦]. والثاني: في سفر صموئيل الثاني[٧] وهو: «وجاء جميع أسباط إسرائيل

---

(١) انظر قصة هروب المسيح مع أمه ويوسف زوجها ـ كما يقال ـ إلى مصر في: متّى ٢/ ١-٢٣، مع ملاحظة تعارضها مع ما جاء في لوقا ٢/ ٢٢-٤٣.

(٢) هو: هيرودس الكبير ابن انتيباس الأدومي الأصل، حكم فلسطين لمدة أربع وثلاثين سنة، وقد ولد المسيح عليه السلام في أواخر أيامه. قاموس ك.م. ص١٠٠٨-١٠٠٩.

(٣) متّى ٢/ ١٤-١٥.

(٤) ٢/ ٤-٦.

(٥) كلمة عبرانية تعني: مثمر، وهي الاسم الأصيل لمدينة بيت لحم اليهودية. قاموس ك.م. ص٩٠.

(٦) ميخا ٥/ ٢.

(٧) ٥/ ١-٢.

إلى داود إلى حبرون وتكلموا قائلين: هو ذا عظمك ولحمك نحن. ومنذ أمس وما قبله حين كان شاول ملكا علينا قد كنت أنت تُخرج وتُدخل إسرائيل وقد قال لك الرب: أنت ترعى شعبي إسرائيل وأنت تكون رئيسا على إسرائيل». فظن كاتب الإنجيل أن فيهما ـ بعد الخلط ـ ما يشير إلى أن ولادة المسيح عليه السلام في بيت لحم إنما كانت تحقيقا لنبؤة جاءت في العهد القديم.

ولكن بالنظر إلى النصين المذكورين يتبين أن نص ميخا يتنبأ عن حاكم صالح يحكم إسرائيل، وأن نص صموئيل الثاني إنما يتكلم عن قصة داود وكيف اختاره الشعب الإسرائيلي ملكا عليهم. في حين أن المسيح عليه السلام لم يتسلط ولو ليوم واحد فقط على إسرائيل، ولا رضي لنفسه أن يتوجوه ملكا عليهم أبدًا بشهادة الأناجيل نفسها، يقول إنجيل لوقا: «وقال له [المسيح] واحدٌ من الجمع: يا معلم، قل لأخي أن يقاسمني الميراث. فقال له: يا إنسان من أقامني عليكما قاضيا أو مقسّما؟»[١]. وجاء في إنجيل يوحنا أن المسيح إذ علم «أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا، انصرف أيضا إلى الجبل وحده»[٢].

ج ـ وفي إنجيل متّى أيضا[٣]: «وأتى [المسيح] وسكن في مدينة يقال لها ناصرة، لكي يتم ما قيل بالأنبياء: إنه سيدعى ناصريا».

فهذه النبوءة المشار إليها بأنها جاءت في أسفار أنبياء العهد القديم، ليس لها

---

(١) لوقا ١٢/ ١٣-١٤.

(٢) يوحنا ٦/ ١٥.

(٣) متّى ٢/ ٢٣.

وجود أصلا في شيء منها، ويتفق علماء النصارى على أن مصدر ما ذكره إنجيل متّى هنا مجهول![١].

د. جاء في إنجيل يوحنا على لسان المسيح ﷺ: «لست أقول عن جميعكم. أنا أعلم الذين اخترتُهم، لكن ليتم الكتاب، الذي يأكل معي الخبز رفع علي عقبه»[٢].

يعني أن ما عمله التلميذ الخائن ـ يهوذا ـ من اتفاقه مع رؤساء اليهود على تسليم المسيح لهم وقتله، قد تم الإخبار أو التنبؤ عنه قبلا في العهد القديم، وذلك ما ورد في سفر المزامير حيث يقول: «طوبى للذي ينظر إلى المسكين في يوم الشر ينجيه الرب. الرب يحفظه ويحييه، يغتبط في الأرض ولا يسلّمه إلى مرام أعدائه... أنا قلت يا رب ارحمني، اشف نفسي لأني قد أخطأت إليك. أعدائي يتقاولون عليّ بشرٍّ، متى يموت ويبيد اسمه. وإن دخل ليراني يتكلم بالكذب. قلبه يجمع لنفسه إثما يخرج في الخارج يتكلم. كل مبغضي يتناجون معا علي، علي تفكروا بأذيتي. يقولون أمر رديئ قد انسكب[٣] عليه. حيث اضطجع لا يعود يقوم. أيضا رجل سلامتي الذي وثقت به، آكِل خبزي رفع علي عقبه. أما أنت يا رب فارحمني وأقمني فأُجازيهم. بهذا علمت أنك سررت بي أنه لم يهتف علي عدوي. أما أنا فبكمالي دعمتني وأقمتني قدّامك إلى الأبد»[٤].

---

(١) جون فنتون (م.ن.) ص٥١، نقلا عن: المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص١١٨. وانظر كذلك: حقيقة النصرانية للدكتور أحمد حجازي السقا ص٨٥-٨٦.

(٢) يوحنا ١٣/ ١٨.

(٣) سكب الماءَ سكبا وتسكابا، فسكب هو سكوبا وانسكب أي صبّه فانصبّ. القاموس ص١٢٥.

(٤) المزامير ٤١/ ١-١٢.

وشتّان ما بين هذا النص الذي يقرر عنايةَ الله بعبده المسكين، وأنه قد نجاه من مؤامرة الأشرار ولم يسلمه إلى مرام أعدائه...الخ، وبين نصوص الأناجيل التي تقرر ما يؤمن به أصحابها من نجاح مؤامرة التلميذ الخائن ضد المسيح، وتمكّنه من تسليمه إلى مرام أعدائه.

فإن كان ما جاء في المزامير حقا تنبؤا عن المسيح عليه السلام، فلا بد إذًا من الاعتراف بسلامته عليه السلام ونجاته من كيد أعدائه، كما قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[النساء:١٥٧][١].

هـ . في سفر المزامير ايضا: « طلبتُ إلى الرب فاستجاب لي، ومن كل مخاوفي أنقذني. نظروا إليه واستناروا ووجوهم لم تخجل، هذا المسكين صرخ والرب استمعه، ومن كل ضيقاته خلّصه... أولئك صرخوا والرب سمع، ومن كل شدائدهم أنقذهم. قريب هو الرب من المنكسري القلوب، ويُخلِّص المنسحقي الروح. كثيرة هي بلايا الصدّيق، ومن جميعها ينجيه الرب. يحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر »[٢].

فهذا النص كسابقه يدل على سلامة العبد المسكين المتضرع إلى الله[٣]، وأنه لم يُصب بأي أذى وإنما نُجّي من جميع بلاياه، مؤكدا ذلك بأن عظما واحدا منه لم ينكسر.

---

(١) سورة النساء آية ١٥٧.

(٢) المزامير ٣٤/ ٤-٢٠.

(٣) وفي هذا إلزام آخر وهو أن يسلّموا بأن المسيح ليس إلها ولا ابن الإله.

وأما كاتب إنجيل يوحنا فيقول: «...سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم[١] ويُرفعوا. فأتى العسكر وكسروا ساقي الأول والآخر المصلوب معه. وأما يسوع فلما جاؤوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات... لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل: "عظمٌ لا يُكسر منه" »[٢]. فيرى الكاتب أن المسيح قد صُلب ومات على أيدي أعدائه إلا أن عظمه لم يُكسر!!! بينما قد رأينا في النص المستشهد به أنه إنما يفيد نجاة هذا العبد وسلامتة كليّا، وأنه قد حُفظ عظما ولحما ودما ونفسا. ولا يخفى على كل ذي حجا أنه لايضرُّ الشاةَ سلخُها بعد ذبحها.

ومما تقدم يتضح أن العهد القديم ليس مجمعا لتنبؤات عن أحداث المستقبل لا تُفهم أبدا إلا بعد مضي قرون على كتابتها، كما فهم منه ذلك كتّاب الأناجيل، وإنما كان أصحاب تلكم الأسفار يكتبون لمعاصريهم بالطريقة التي يفهمونها، بصرف النظر عن كون ما يتكلمون عنه مما قد حدث فعلا أو يمكن أن يحدث في مستقبل قريب أو بعيد، والله تعالى أعلم[٣].

ثالثا: مشكلة من سُمّوا بإخوة الرب في الأناجيل.

هذا التعبير شاع إطلاقه عند النصارى على من قيل بأنهم إخوة وأخوات

---

(١) يعني سيقان المصلوبين ومنهم المسيح عليه السلام كما يزعمون.

(٢) يوحنا ١٩/ ٣١-٣٦.

(٣) راجع في موضوع الاستشهادات الخاطئة من العهد القديم: المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص١٠٥-١٢٤، وحقيقة النصرانية للسقا ٨٥-٨٦، و٢٤٩-٢٥٠، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية ص١٠٩، و٢١٣-٢١٥.

للمسيح عليه السلام، على أن هناك عدة إشكالات تحيط بهذا الأمر. فهؤلاء الإخوة هل هم إخوة له على الحقيقة، أو على غير الحقيقة، بمعنى أنهم المؤمنون به والمناصرون له فقط. وإن كانوا إخوة له على الحقيقة، فهل هم إخوته لأم أو لأب أو أشقاء، وهل كان هو الأكبر منهم أو كان دونهم في العمر. ثم ماذا كان موقف هؤلاء الإخوة من دعوة أخيهم. وعلى فرض ثبوت أخوتهم للمسيح وهو عندكم إله، فهل هم كذلك آلهة إخوة إله؟ إلى غير ذلك من المشكلات التي سيحاول الباحث إلقاء الضوء عليها في السطور الآتية إن شاء الله.

وردت نصوص في الأناجيل تدل على أن للمسيح إخوةً من أمه مريم لزوجها ـ فيما يظنون ـ يوسف النجار. ومن ذلك ما جاء في إنجيل مرقس وهو يحكي قول الجماهير ليسوع في بداية دعوته: «أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان، أوَليست أخواته ههنا عندنا...»[(١)].

ومن أهم الإشكالات التي تواجهها هذه النصوص، ما يذكره بعض الأناجيل نفسها من أن المسيح عليه السلام وهو على الصليب ـ فيما زعموا ـ سلّم أمه إلى كفالة تلميذه يوحنا[(٢)]، فمن غير المعقول أن يقوم بهذا ولديه من الأم نفسها عصبة من الإخوة.

وإن قالوا إنما سلمها ليوحنا المؤمن به إذ كان إخوته أولئك غير مؤمنين به[(٣)]،

---

(١) مرقس ٦/ ٣.

(٢) انظر: يوحنا ١٩/ ٢٦-٢٧.

(٣) لما جاء في إنجيل يوحنا ٧/ ٥: "لأن إخوته أيضا لم يكونوا يؤمنون به".

قلنا فكيف بما جاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس[1] حيث ذكر يعقوب ـ أخا المسيح هذا ـ بعد أن ذكر التلاميذ الاثني عشر وغيرهم، ذكره ضمن من ظهر لهم المسيح ـ بعد قيامته ـ من المؤمنين به.

ثم إن هناك بعض علماء الكنيسة يرون أن هؤلاء الإخوة إنما كانوا أولاد يوسف من زوجته الأولى، أي قبل مريم العذراء.

ويعترض على هذا بأنه لو كان ليوسف أولاد من زوجة سابقة لما اعتُبر المسيح وارثا لعرش داود، لأنه يكون حينئذ أصغر من هؤلاء، فضلا عن أنه ابن بالتبني، وهؤلاء أبناء من الصلب.

ومنهم من يرى أن أولئكم الإخوة لم يكونوا من أمه مريم عليها السلام، ولا من متبنيه المزعوم، يوسف. وإنما هم أولاد خالته أي أخت أمه: مريم المشهورة بمريم الأخرى أو زوجة كلوبا[2].

أما ما جاء في إنجيل متّى على لسان المسيح عليه السلام أنه قال: « لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي »[3]، فهو يفيد أن إخوة المسيح عليه السلام هم الذين آمنوا برسالته واتبعوه، غير أن هذا لا يكفي في نفي الأخوَّة الحقيقية المزعومة هذه، وذلك لأنه قد ورد في موضع آخر: « وبعد هذا انحدر [المسيح] إلى كفرناحوم هو وأمه وإخوته وتلاميذه وأقاموا هناك أياما ليست

---

(١) ١٥/ ٥-٧.

(٢) انظر: متى ٢٨/ ١، ويوحنا ١٩/ ٢٥.

(٣) متّى ١٢/ ٥٠.

كثيرة »[١]. فهذا عطف التلاميذ على الإخْوة مما يشير إلى تقوية النصوص الأخرى الدالة على الأُخُوَّة الحقيقية، ومنها ما تقدم، وفيه ذكرٌ لأربعة إخوة فقط للمسيح عليه السلام، مع أن الذين يصنعون مشيئة أبيه الذي في السماوات أكثر من هذا العدد طبعا.

وإن كان هذا في الوقت نفسه لا يعكس بالضرورة صحةَ ثبوتِ أُخوَّة هؤلاء المذكورين له عليه السلام، لأن كونهم إخْوة له لأم يحتاج أولاً إلى إثبات زواج مريم العذراء من يوسف النجار بعد ولادة المسيح عليه السلام، وهذا ما ينفيه حتى كثير من النصارى[٢]، وأما أخوَّتهم له لأب فلا حقيقة لها أصلا إذ هو ابن مريم وليس ابن يوسف. وأبعد من الاثنين أن يكونوا إخوة أشقاء له لأنه لا أب له وإنما ولد بمعجزة إلهية من غير تدخل بشري كما يقول تعالى: ﴿ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴾ [مريم:٢٠]. ويقول إنجيل متّى: « فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر... »[٣].

كما أن مما يصعب استيعابه وتعقّله أن يدّعي النصارى وجود إخوة وأخوات للمسيح ثم يقولون إنه إله! بينما الأقرب أن يكون ذلك من أدلّ الدليل على إنسانيته وبشريته كما ترى. والأدهى والأمر أن يصدّق عاقل أن أم إلهٍ بعد ولادة الإله صارت زوجة لبشر يأتي منها ما يأتي الرجل من زوجته!! بل وقد أدت قلة الحياء

---

(١) يوحنا ٢/ ١٢.

(٢) انظر: حقيقة النصرانية للسقا ص٨٢.

(٣) متّى ١/ ٢٤-٢٥.

وعدم التأدب ببعضهم إلى القول بأنها كعلبة كبريت إذا فرغ منها الكبريت لم يُحتفَظ بها، فلا مانع من زواجها من أي بشر![١].

أما نحن المسلمين فلا نتجاوز حدودنا بل نكفّ عما لم يخبرنا الله تعالى ولا نبيه المصطفى ﷺ عنه، ولا نخوض فيما لا علم لنا به فندّعي أن العذراء قد تزوجت من فلان أو علان من الناس، بل نجعلها حيث جعلها الدليل، أنها أحصنت فرجها، وأنها من سيدات النساء ومن الكُمَّل منهن رضي الله تعالى عنها.

رابعا: مشكلة عدم الوضوح، والشكوك في القضايا الجوهرية والمهمة.

إن أي قارئ للأناجيل يندهش عندما يجد أن معظم ما فيها من الأخبار والحكايات مبناها الظن والتخمين ويكتنفها قدر كبير من الغموض والفجوات حتى فيما يتعلق بالمسيح نفسه عليه السلام. يقول الكاتب النصراني الأمريكي مايكل هارت[٢]: «أما قصة حياة المسيح عليه السلام فهي معروفة كما وردت في العهد الجديد، لكن مما تجدر الإشارة إليه أن أكثر المعلومات عن حياة المسيح ليست مؤكدة. فنحن لسنا على يقين من اسمه الحقيقي، وأغلب الظن أنه يحمل الاسم اليهودي المعروف "يشوع"، وسنة ميلاده ليست مؤكدة وإن كان يقال إنه قد ولد قبل السنة التي أجمع عليها رجاله بست سنوات[٣]، وحتى

---

(١) انظر: حقيقة النصرانية للسقا ص٨٢، وراجع في موضوع مشكلة من سموا بإخوة الرب: ص٧٧-٨٠.

(٢) هو Michael H. Hart: صاحب كتاب: الخالدون مائة، وقد جعل النبي ﷺ في مقدمة من ذكرهم في هذا الكتاب، ومنهم: موسى وعيسى عليهما السلام، وبولس.

(٣) أي في السنة السادسة ق.م. وانظر: مقدمة NAB ص٤١، وقيل إنما ولد في السنة الخامسة ق.م.، =

سنة وفاته[١] التي أجمع عليها حواريوه ليست معروفة ولا مؤكدة، كما أن المسيح لم يترك وراءه ورقة واحدة مكتوبة»[٢][٣].

وآخر منهم يقول: «إنها لحقيقة تصدمنا أنهم [كتبة الأناجيل] لم يخبرونا بأي شيء عن هيئته [المسيح] وبنيته الجسمية وصحته، كما لم يخبرونا بشخصيته، وعما إذا كان ـ على سبيل المثال ـ سعيدا مبتهجا رابط الجأش، أم أنه كان على العكس من ذلك. إنهم لم يفكروا حتى أن يخبرونا بطريقة قاطعة عما إذا كان قد تزوج أم لا. كذلك فإنهم لم يعطونا معلومات محددة عن طول فترة دعوته أو عمره حين توفي، كما أنه لا توجد أقل نبذة عن تأثير بيئته الأولى عليه، أو عن أي تطور في نظرته ومعتقداته... إن الحقيقة التي نقرها ـ لأسباب لا بد أن تكون قد وضحت الآن ـ هي أن الأناجيل ليست قصة حياة يسوع، ومن النادر أن تمدنا هذه الأناجيل

=

وقيل بل ولد فيها بين السنة الرابعة والخامسة ق.م. (انظر: قاموس ك.م. ص٨٧٠، وتأريخ الفكر المسيحي للدكتور القس حنا جرجس الخضري ١/ ١٩٩). وبهذا يتضح أن وضع التأريخ النصراني على أساس ميلاد المسيح ﷺ حيث يقال: قبل الميلاد (ق.م.) أو بعد الميلاد (ب.م.) أو الميلادي (م) مغلوط فيه ولا يستقيم لا عقلا ولا تأريخيا. فهل يعي ذلك كثير من أبناء المسلمين اليوم فيتركوا هذا التأريخ الخاطئ لأهله، ويهتموا بتأريخهم الهجري الإسلامي، كما أن في هذا أيضا مخالفة اليهود والنصارى وهي في حد ذاتها مطلب عظيم في ديننا الحنيف كما لا يخفى، والله الموفق.

(١) الصحيح أن يقال: رفعه.

(٢) هذا غير صحيح، بل المسيح ﷺ نزل عليه الإنجيل وليس معقولا أن لا يكون قد دُوّن في حياته، وما ذكره هارت هو عقيدة النصارى وهو أن المسيح لم ينزل عليه كتاب.

(٣) كتاب: الخالدون مائة لمايكل هارت ـ الفرع الخاص بالحديث عن المسيح ﷺ ـ نقلا عن: مقارنة الأديان للطهطاوي ص٤١٣-٤١٤.

بالأساسيات التي يستطيع بها الناس أن يكتبوا مثل هذه القصة »[(١)].

ومثالاً على كل ما تقدم أذكر ما جاء في إنجيل لوقا بشأن عمر المسيح ونسبه حيث قال: « ولما ابتدأ يسوع كان له **نحو** ثلاثين سنة، وهو **على ما كان يُظن**: ابن يوسف بن هالي »[(٢)]. فيا ترى إذا كان هذا الكتاب الملهم به ـ في تصورهم ـ تعتمد على الظن والتخمين (نحو! ـ على ما كان يظن!) في أمر يسير كالأجيال والأعمار البشرية المحصورة المعلومة، فكيف يكون الحال في المسائل العقدية؟[(٣)].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن المسيح عليه السلام ـ سواء أكان على ما يُظن أو على ما يُجزم به ـ ليس ابنَ يوسف وإنما هو ابن مريم كما جعله الله تعالى. وفي هذا يقول الدكتور موريس بوكاي: « فسلالة النسب التي تربط عيسى بآدم [عليهما السلام] عن طريق يوسف غير منطقية على الإطلاق، لأنه ليس هناك ما يربط يوسف على الإطلاق بوصول المسيح إلى العالم. وفي الحقيقة، فإن إنجيل لوقا إنما يعطينا السلالة المفترضة ليوسف، بينما الأصل المنطقي الوحيد للمسيح هو بكل وضوح من خلال مريم »[(٤)].

هذا، والأمر لا يقتصر على قصة حياة المسيح عليه السلام فحسب، بل وحتى في الأمور الأخرى التأريخية والجغرافية، وفي هذا يقول العالم النصراني وليم إدى عن

---

(١) القائل هو دنيس نواينهام في مقدمة تفسيره لإنجيل مرقس ص٣٥، نقلا عن: المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٤٥.

(٢) لوقا ٣/ ٢٣.

(٣) انظر: مناظرتان في استكهولم (م.ن.) ص٢٨، ومحمود علي حماية (م.ن.) ص٨٣.

(٤) ما أصل الإنسان؟ (إجابات العلم والكتب المقدسة) للدكتور موريس بوكاي ص١٤٨-١٤٩.

إنجيل متّى: «وقصته بعد يوم الخمسين[1] سقيمة، لا يُعتمد عليها لأنها ترتكز على التقليد»[2]. وقال الدكتور هـ. فراكين[3]: «إن كل المعلومات التي وردت في الإنجيل حول فلسطين والأردن في نهاية العصر البرونزي[4] وبداية العصر الحديدي[5] غير موثوق بها، لأنها كانت محاولة قام بها قساوسة من القدس لجعل التأريخ يتناسب مع الآراء الدينية...»[6].

---

(١) يوم الخمسين أو عيد الخمسين: من أعياد اليهود في الأصل، وقد كان في البداية يوم شكر لأجل الحصاد، ثم قيل إنه صادف اليوم الذي أُعطوا الناموس بعد خروجهم من مصر. أما تسميته بيوم الخمسين فلأنه يقع في اليوم الخمسين بعد اليوم الثاني من الفصح. انظر: قاموس ك.م. ص٣٤٩-٣٥٠.

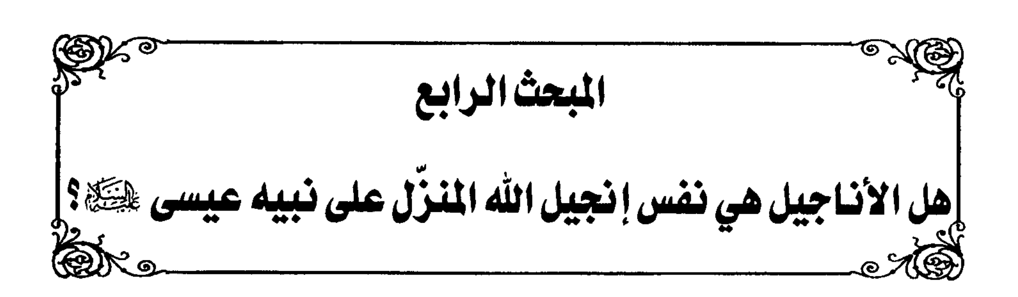
(٢) وليم إدى (م.ن.) ـ المقدمة ـ.

(٣) هو: رئيس البعثة الأثرية الهولندية التي اكتشفت في عام ١٩٦٧م وثائق تأريخية تتضمن نصوصا قديمة في وادي الأردن.

(٤) العصر البرونزي: هو الفترة التي استُعمل فيها البرونز في عمل الأدوات والأسلحة، ولا يمثل مرحلة معينة من الزمن، إذ بدأ في بعض الأماكن قبل غيرها. وعلى العموم بدأ استعمال البرونز مثلا في بلاد الرافدين (جنوب شرقي العراق حاليا) في حوالي ٣٥٠٠ ق.م.، وفي الصين حوالي ٢٠٠٠ ق.م. انظر: الموسوعة العالمية ١٦/ ٢٦١.

(٥) العصر الحديدي: فترة من فترات التأريخ بدأت فيما بين ١٥٠٠ و١٠٠٠ ق.م. حيث انتشر استخدام الحديد في صناعة الأدوات والأسلحة، واستمر إلى يومنا هذا. الموسوعة العالمية ١٦/ ٢٦٤.

(٦) جريدة الأهرام، القاهرة، الصادرة في ٣/ ٥/ ١٩٧٢م، من مقالة بعنوان: وثائق دينية تأريخية تسلمها هولندا إلى الأردن، نقلا عن: محمود علي حماية (م.ن.) ص١٠١.



المبحث الرابع

هل الأناجيل هي نفس إنجيل الله المنزّل على نبيه عيسى عليه السلام؟

المطلب الأول: موقف الكنيسة وموقف المنصفين من النصارى

من حيث المبدأ، لا يوجد أحد من رؤوس الكنيسة ولا من أقدامها من يقول بأن الأناجيل الموجودة حاليا قد أوحيت بألفاظها، لا إلى المسيح ولا إلى كاتبيها. وذلك بناءً على أنهم ـ كما يؤكّدون دائما ـ لا يؤمنون بالوحي اللفظي[1]، وإنما يعتقدون أن كل كاتب من كتبة هذه الأناجيل قد امتلأ من الروح القدس أو سيق منه، فصار يعبر عما تلقّى من هذه الروح بأسلوبه الخاص كما تقدم كل ذلك مفصلا في موضعه. وهذا ـ كما نرى ـ أشبه بقول بعض الفرق المبتدعة في زعمهم أن القرآن الكريم كلام نفسي أو معنوي ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[البقرة:١١٨].

ولكنهم في المقابل لا يعترفون ـ رسميا ـ بوجود إنجيل أصيل قد أصبح في عداد المفقودات، ولا بوقوع التحريف والتغيير في تعاليمه وأخباره، فتجدهم دائما

(١) انظر: كارل وليمز الكبير (م.ن.) ص٢٤.

يتحدّون المسلمين أن يثبتوا لهم متى وجد هذا الإنجيل الآخر، وكيف حُرّف، ومتى ومن حرّفه الخ[١].

بل ويذهب بعضهم إلى حد ادّعاء أن المسلمين حينما ينقدون أو يطعنون في هذه الأناجيل الموجودة حاليا، فإنهم يخالفون أمر القرآن والحديث بالإيمان بالتوراة والإنجيل[٢]، غافلا أو متغافلا عن أن القرآن الكريم والحديث الشريف إنما أَمرا المسلمين بالإيمان بالتوراة والإنجيل المنزلين لفظا ومعنىً، واللذيْن لا يؤمن بهما أي نصراني اليوم. وليس بالعهد القديم والعهد الجديد المحرريْن أو المنقَّحين أو المراجعيْن أو القياسيّين أو، أو، إلى آخر التسميات المعروفة عندهم.

علاوة على أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف قد ورد فيهما في مواضع كثيرة أن ما بأيدي أهل الكتاب من كتب أنبيائهم قد حُرّفت وبدّلت.

أما بالنسبة لموقف بعض النصارى المنصفين في هذا الأمر فأذكر هنا ثلاثة أقوال، اثنان منها لشخصين ماتا على النصرانية، والأخير لشخص أسلم قبل وفاته.

أ ـ قول أكهارن: «إنه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال إنها هي الإنجيل الأصل»[٣].

---

(١) وممن أطلق هذه التحديات الفارغة في الحقيقة ـ لوضوح الأمر وجلائه ـ القس بفندر، والقس جيمي شواغارت في مناظرته مع الداعية أحمد ديدات.

(٢) صرّح بهذا: باستور ستانلى شوبيرج في مناظرته الشيخَ أحمد ديدات في استكهولم بالسويد في عام ١٩٩١م (مسجلة على الأشرطة).

(٣) نقلا عن رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٣٧٩.

ب ـ قول الدكتور نظمي لوقا: « ... وأعني بالمسيحية هنا، ما جاء به المسيح من نصوص كلامه، لا ما ألحق بكلامه وسيرته من التأويل »[١].

ج ـ قول المصور الفرنسي إتين دينيه: « أما أن الله سبحانه قد أوحى الإنجيل إلى عيسى بلغته ولغة قومه فالذي لا شك فيه أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر ولم يبق له أثر، أو أنه باد أو أنه قد أبيد »[٢].

إذًا، فحصيلة هذه الأقوال الثلاثة أو مفادها يمكن أن يلخّص في نقاط:

١ ـ الاعتراف بوجود إنجيل آخر في زمن معين، مخالف للأناجيل الموجودة حاليا.

٢ ـ التصريح بوجود إنجيل منزل على نبي الله وعبده عيسى بن مريم عليه السلام.

٣ ـ عدم معرفة مصير هذا الإنجيل إلى اليوم.

المطلب الثاني: الشروط الواجب توافرها في أي كتاب سماوي وتطبيقها على الأناجيل الأربعة

بتتبع الأدلة سواء العامة منها والخاصة، نجد أن هناك أمورا يتميز بها الوحي السماوي عن غيره، ومن أبرز هذه الأمور ما يلي:-

١ ـ أن يكون قد أُوحي به وأنزل على رسول من رسل الله عليهم الصلاة والسلام، لأنهم حجة الله على خلقه، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ

---

(١) نظمي لوقا (م.ن.) ص٥٨.

(٢) إتين دينيه (م.ن.) ص٤٠-٤١.

نَبۡعَثَ رَسُولاً ﴾[الإسراء:١٥].

٢ ـ أن يكون هذا الرسول الذي يدّعي نزول الوحي عليه معلوم الصدق والصلاح والاستقامة، بالإضافة إلى ما قد يعطيه الله ﷻ من آيات ومعجزات، تصديقا لدعواه. إذ بهذا الضابط نعرف الصادق من الكاذب.

٣ ـ أن تثبت نسبة هذا الكتاب إلى ذلك الرسول المنسوب إليه بطريق القطع والتواتر مع السند المتصل إليه، لا بمجرد الظن والادعاء. وإلا لما كان لليهود والنصارى أنفسهم أي عذر في رد مجموعة كبيرة من الأسفار المنسوبة إلى بعض أنبيائهم[1].

٤ ـ أن يكون سالما من التناقض والاختلاف سواء في التعاليم أو في الأخبار. فهذا المقياس أو الاختبار الحاسم هو ما جاء التعبير عنه في قوله ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء:٨٢]. وهذا الشرط لاينبغي أن يختلف فيه اثنان، لأن العقلاء من الخلق يصونون كلامهم من التضارب والتناقض، فكيف بكلام خالقهم جل وعلا؟!

وكذلك يجب أن يكون خاليا عن الأخطاء، لما في ضد ذلك من التنقيص في مقام منزّله جل وعلا.

هـ ـ أن يحتوي على ما يحتاج إليه الخلق ـ الذين قد أُنزل من أجلهم ـ من أمور

(١) ومنها: سفر المعراج، وسفر الأسرار المنسوبان إلى موسى عليه السلام، وسفر صعود إشعياء، وإنجيل ميلاد مريم وطفولية المسيح... الخ. انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٠٩-١١٠، وقاموس ك.م. ص٨٥ و١٢٢.

دينهم ودنياهم، سواء فيما يتعلق بتوحيد الله ﷻ، وكيفية عبادته تعالى، أو تهذيب السلوك والأخلاق وما أشبه ذلك[١].

تطبيق هذه الشروط على الأناجيل النصرانية.

أما بالنسبة للشرط الأول، فما من شك أنه غير متوافر في الأناجيل الأربعة، لأن النصارى لا يقولون بنزول هذه الأناجيل على المسيح عليه السلام، بل ولم يدّعوا أنها وجدت طيلة الوقت الذي عاش فيه قبل رفعه إلى السماء، وإنما كتبت بعد ذلك بعشرات السنين.

بقي أن أشير إلى أنّ للنصارى اصطلاحا خاصا بهم في مسمى الرسول ـ كما أسلفت[٢] ـ فيعتبرون كتبة الأناجيل هؤلاء رسلاً لا لله وإنما للمسيح عليه السلام!

وعلى كل حال، فإنهم ـ كما تقدم عند التعريف بكلّ منهم وبإنجيله ـ مجاهيل العين في حقيقة الأمر، فضلا عن حالهم من الصدق والصلاح والعدالة وغيرها، فيكون الشرط الثاني على هذا الأساس أيضا معدوما في هذه الأناجيل. وقل القول نفسه فيما يتعلق بثبوت النسبة واتصال السند، كما تقدم كل ذلك مستوفى، ولله الحمد.

وأما بالنسبة لشرط السلامة من التناقض والتضارب والخطأ، فإنه من نافلة القول أن بينه وبين تلكم الكتب بونا شاسعا وبُعدا كبيرا. وقد تقدم أيضا ضرب

---

(١) راجع فيما تقدم: رحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٠٩-١١١، ومحاضرات أبي زهرة ص٧١-٧٢، وفي مقارنة الأديان للشرقاوي ص٦١، وDeedat,Ahmed; Is the Bible God'sWord P.45، ومناظرتان في استكهولم (م.ن.) ص٢٨-٢٩.

(٢) وانظر: قاموس ك.م. ص٤٠٣.

أمثلة لما وقع فيها من الأخطاء والتناقضات.

وفيما يتعلق بالشرط الأخير، فيكفي أن من ضمن ما في هذه الأناجيل: أن الله تعالى وتقدس وتبارك شريكين هو ثالثهما! في الألوهية والربوبية، وأن الإله الكامل هو بشر ناقص، وغير ذلك.

ففي ضوء ما تقدم، لا يمكن أن تكون هذه الأناجيل من الله الذي لا يوحي إلا بالحق. نقول هذا ونحن على يقين وجزم بأنه تعالى قد أوحى بإنجيل إلى رسوله عيسى عليه السلام، فمن ثَمَّ يُطرح السؤال الحساس المهم: **أين إنجيل المسيح؟**

المطلب الثالث: أين إنجيل عيسى عليه السلام؟

إذا كان عند النصارى وفي كتابهم المقدس ما يسمى بالإنجيل حسب متّى، وما سمي بالإنجيل حسب مرقس، وبالإنجيل حسب لوقا، وبالإنجيل حسب يوحنا، فلماذا لا نسمع شيئا عن الإنجيل حسب عيسى أو المسيح؟ عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء والرسل أفضل الصلاة والسلام.

تضطرب إجابة النصارى على هذا السؤال،وذلك لأن هذا الإنجيل قد ذُكر في غير موضع من كتابهم المقدس ـ كما سيأتي قريبا إن شاء الله ـ بينما هم لا يسلّمون إلا بالأناجيل الأربعة، وكتابهم إنما تكلم عن إنجيل منسوب إلى المسيح عليه السلام لا أناجيل. فهل يا ترى يكون واحد من هذه الأناجيل هو إنجيل المسيح أو مجموعها أو لا شيء منها؟؟!

وقبل أن نجيب على هذا السؤال، دعونا نستعرض البراهين على وجود إنجيل

المسيح عليه السلام، فأقول:

أولا: ورد ذكر هذا الإنجيل في القرآن الكريم في اثنتي عشرة آية[١]، ومنها قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾[آل عمران:٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾[المائدة:٤٦].

ثانيا: كذلك ورد ذكر هذا الإنجيل في كتاب النصارى المقدس في أكثر من خمسة عشر موضعا، منها سبعة مواضع عُبّر فيها عنه بالإنجيل[٢]، وأربعة عبّر فيها عنه بإنجيل الله[٣]، وثلاثة عبّر فيها عنه بإنجيل المسيح[٤]، وفي موضع عبّر عنه فيه بإنجيل ابن الله[٥].

ومن ذلك ما جاء في إنجيل مرقس على لسان المسيح: « فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يُخلّصها »[٦]، وقول بولس: « هكذا إذ كنا حانّين إليكم، كنا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل

---

(١) هي: سورة آل عمران /٣ و ٤٨ و ٦٥، وسورة المائدة/ ٤٦ و٤٧ و٦٦ و٦٨ و١١٠، وسورة الأعراف / ١٥٧، وسورة التوبة/ ١١١، وسورة الفتح/ ٢٩، وسورة الحديد/ ٢٧.

(٢) في: مرقس ١/ ١٥ و٨/ ٣٥ و١٠/ ٢٩ و١٤/ ٩ و١٦/ ١٥، وفي ١- تسالونيكي ٢/ ٤، و١- تيموثاوس ١/ ١٠.

(٣) في رومية ١/ ١ و١- تسالونيكي ٢/ ٢ و٢/ ٨ و٢/ ٩.

(٤) في: رومية ١/ ١٦، وغلاطية ١/ ٧، وو١- تسالونيكي٣/ ٢.

(٥) في: رومية ١/ ٩.

(٦) مرقس ٨/ ٣٥.

أنفسنا أيضا، لأنكم صرتم محبوبين إلينا»[١]، وقوله أيضا: «إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر. ليس هو آخر، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحوّلوا إنجيل المسيح»[٢]. فهذا بولس يقر بوجود فئة تريد صرف أتباع المسيح إلى إنجيل آخر غير الإنجيل الذي جاء به المسيح عليه السلام، وهو (بولس) نفسه على رأس هذه الفئة كما يكشف عن ذلك برنابا في إنجيله فيقول: «أيها الأعزاء! إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر به الله دائما. مجوزين كل لحم نجس. **الذين ضل في عدادهم أيضا بولس** الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى»[٣].

إذاً، وجود إنجيل مكتوب عُرف بالإنجيل (المنزّل) أو بإنجيل الله أو بإنجيل ابن الله أو بإنجيل المسيح، أمر لا مجال للنزاع فيه. فأين هذا الإنجيل وما ذا كان مصيره؟؟ هذان السؤالان قد طُرحا مرات عديدة، ولم يستطع النصارى أن يجيبوا عليهما بجواب مقنع. لذا فإن أحسن ما يقال عنه أنهم فقدوه كما فقد اليهود قبلهم توراة نبيهم موسى عليه السلام. وصدق المولى جل جلاله القائل في كتابه العزيز: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا

(١) ١ـ تسالونيكي ٢/ ٨.

(٢) غلاطية ١/ ٦-٧.

(٣) إنجيل برنابا ـ المقدمة/ ٢-٧.

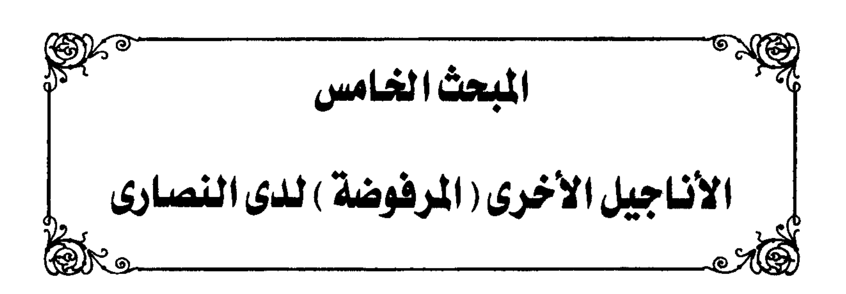
مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾[المائدة:١٣-١٤].

وأما بخصوص الأناجيل الأربعة المعترف بها لدى النصارى، فمن الواضح أنها ـ مجموعةً ـ ليست الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، إذ هي ـ بإقرار النصارى أنفسهم ـ لم تكتب إلا بعد رفع المسيح عليه السلام. وكذلك لا يصح القول بأنها نسخة مستخرجة منه أو ترجمة له، إذ لو كانت كذلك لما اختلفت ولما تناقضت كما هو الواقع المشاهد. وإن قيل يحتمل أن يكون واحد منها هو الإنجيل المنزّل، فالجواب: أنه على فرض التسليم الجدلي بهذا ـ مع بُعده كما لا يخفى ـ فهل هو إنجيل متّى أو إنجيل مرقس أو إنجيل لوقا أو إنجيل يوحنا؟ وإذ لم يمكن تعيينه من الأربعة بطل هذا الادّعاء، إذ يحتمل أن يكون واحدا غير معيّن منها، ويحتمل أن لا يكون أي منها أصلا، وهو الأظهر، لما تقدم أعلاه.

ومما يؤكد ذلك أن في نسخ الأناجيل المكتوبة باللغة السريانية وضع لفظ "كاروزونا" أي موعظة، محل كلمة "إنجيل". وذلك كما يحلله المهتدي عبد الأحد داود الآشوري: لأن أيَ كتاب من كتب العهد الجديد لا يحق له أن يطلق عليه لفظ "إنجيل" الذي هو خاص بالإنجيل المنزّل على المسيح ابن مريم عليهما السلام[1].

---

(١) انظر: الإنجيل والصليب لعبد الأحد داود الآشوري، نقلا عن: مقارنة الأديان للطهطاوي ص٩٩-١٠٠.



المبحث الخامس

الأناجيل الأخرى (المرفوضة) لدى النصارى

المطلب الأول: عدد هذه الأناجيل، والسبب في رفضها.

هذه الأناجيل في العهد الجديد بمثابة الكتب الأبوكيريفية في العهد القديم[(١)]، وإنما يفرِّق بينهما كون الكتب الأبو كريفية معترفا بها لدى بعض الطوائف النصرانية إلى اليوم، وأما هذه الأناجيل فلا تنال اعتراف أي من طوائفهم المعاصرة.

كثرت هذه الأناجيل كثرةً قد لا تتصوّر، حيث ذكر بعض الكتّاب أنها تفوق المائة عددا[(٢)]، ويكفي دليلا على هذه الكثرة ما جاء في أول إنجيل لوقا: « إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة »[(٣)].

ومن هذه الأناجيل ما هي منسوبة إلى بعض الشخصيات المذكورة في العهد الجديد من تلاميذ المسيح ﷺ وحوارييه، وبعضها ينسب إلى الطائفة أو الجماعة التي

---

(١) انظر ما تقدم عنها في الباب الأول، عند الحديث عن تقسيم أسفار العهد القديم.

(٢) انظر: عبد الرحمن البغدادي (م.ن.) ص١١، ومقارنة الأديان للطهطاوي ص١٠٤.

(٣) لوقا ١/ ١-٢.

استخدمته وقدّسته، وبعضها لا ينسب لأحد، وبعضها ينسب إلى نسوة من أتباع المسيح عليه السلام، كما أن هناك عددا من هذه الأناجيل والرسائل تنسب إلى المسيح نفسه عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام. إلا أن بعض هذه الأناجيل قد فقدت كليا، والبعض الآخر لم يصلنا منه إلا أجزاءً يسيرة متقطّعة[1].

وإليكم قائمة مفصّلة ببعض أشهر هذه الأناجيل والكتب:-

١ ـ إنجيل بطرس

٢ ـ إنجيل فيليبس[2]

٣ ـ إنجيل توما[3].

٤ ـ إنجيل مريم المجدلية

٥ ـ إنجيل العبرانيين

٦ ـ إنجيل الناصريين

٧ ـ إنجيل المصريين[4].

٨ ـ إنجيل برثولماوس[5].

٩ ـ إنجيل نيقوديموس[6].

---

(١) انظر: الدائرة الأمريكية ١٣/ ٧٠.

(٢) فيليبس: من التلاميذ الاثني عشر، انظر: متّى ١٠/ ٢-٤.

(٣) توما: من التلاميذ الاثني عشر انظر: متّى ١٠/ ٢-٤.

(٤) وقد عرف بهذا الاسم لانتشاره بين المصريين، وينسب إلى مرقس.

(٥) برثولماوس: من التلاميذ الاثني عشر أيضا.

(٦) نيقوديموس: جاء في قاموس ك.م. ص٩٨٨ أنه كان أحد رؤساء اليهود الفريسيين وأنه جاء خفية في الليل إلى المسيح عليه السلام للتشاور والمباحثة، وأنه قد اقتنع بكلام يسوع.

١٠ ـ إنجيل غمالائيل[١].

١١ ـ إنجيل التذكرة.

١٢ ـ إنجيل طفولية المسيح لمتى الحواري.

١٣ ـ إنجيل طفولية المسيح لتوما الحواري.

١٤ ـ إنجيل برنابا[٢].

١٥ ـ إنجيل ماركيون[٣].

١٦ ـ إنجيل الكمال.

١٧ ـ إنجيل الحق.

١٨ ـ إنجيل الاثني عشر.

١٩ ـ إنجيل السبعين.

٢٠ ـ إنجيل آخر ليوحنا.

٢١ ـ إنجيل يهوذا الإسخريوطي[٤].

---

(١) غمالائيل: حاخام يهودي وأحد رؤساء اليهود وكان معلما لبولس. وتذكر بعض المصادر النصرانية أنه قد عُمِّد على يدي بطرس ويوحنا. قاموس ك.م. ص٦٦٢.

(٢) وسيأتي قريبا إن شاء الله.

(٣) ماركيون: مؤسس الطائفة المعروفة بالماركونية، ولد في حوالي بداية القرن الثاني للميلاد، وتوفي حوالي ١٦٠م. وكان لا يؤمن بشيء من العهد القديم، ولا من العهد الجديد سوى عدد قليل من الرسائل ونسخته لإنجيل لوقا. وأما إنجيله هذا فهو نسخة محررة لإنجيل لوقا، حيث قام ماركيون بحذف ما أسماه الإضافات الملحقة بالنص الأصيل للإنجيل في زعمه. انظر: الدائرة البريطانية ١٤/ ٨٥٤، والدائرة الأمريكية ١٨/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٤) هذا الإنجيل يرجع إلى القرن الثاني للميلاد، وفيه يتم تصوير يهوذا على أنه كانت له زوجة =

٢٢ ـ إنجيل الباسليين[١]

٢٣ ـ كتاب التمثيلات والوعظ.

٢٤ ـ الزبور الذي كان يُعلم المسيح حوارييه خفيةً.

٢٥ ـ كتاب مسقط رأس المسيح ومريم وظئرها[٢].

٢٦ ـ رسالة المسيح التي سقطت من السماء في المائة السادسة!

٢٧ ـ كتاب حكمة يسوع (أي حواره مع التلاميذ بعد القيامة).

٢٨ ـ حوار المنقذ.

٢٩ ـ سؤالات مريم المجدلية الرئيسة وغير الرئيسة[٣].

هذا، وأكثر هذه الأناجيل كما أسلفت لا وجود لها في الوقت الراهن[٤]، كما أن الكنيسة النصرانية التي تعترف بإلغائها لم تسعفنا بشيء مما تشتمل عليه مما كان

= طمّاعة، وأنها التي شجعته على أن يسرق من الصندوق الرسولي لمصلحتها، فأطاعها وخان سيده. انظر: الدائرة الأمريكية ١٣/ ٧١. وهذا يتفق مع ما جاء في يوحنا ١٢/ ٦ و١٣/ ٢٩، والله أعلم.

(١) الباسليون "Basilidians": طائفة غنوسطية (روحية)، من الطوائف الهرطقية عند النصارى أسسها رجل فيلسوف يدعى باسليدس "Basilides" المتوفى بالإسكندرية عام ١٤٠م، وله شرح على الأناجيل في أربعة وعشرين مجلّدا. وكان الباسليون قد انتشروا جهة الغرب، لكن أخبارهم اختفت إلا نادرا بعد القرن الميلادي الرابع. انظر: الدائرة الأمريكية ٣/ ٣١٠.

(٢) الظئر: العاطفة على ولد غيرها، المرضعة له في الناس وغيرهم. القاموس ص٥٥٥.

(٣) انظر قائمة الأناجيل المرفوضة مفصلةً في كل من: الدائرة البريطانية ٢/ ١١٥-١١٦، والدائرة الأمريكية ١٣/ ٧٠-٧١، ورحمت الله الهندي (م.ن.) ٥٤٤-٥٤٧، والمسيحية لأحمد شلبي ص٢٠٤.

(٤) أما بعضها فقد قيل بأنها عثر عليها في نجع حمادي بصعيد مصر، كما تذكر الدائرة الأمريكية ١٣/ ٧٠-٧١.

يخالف مبادئها، وبسببه تم رفض هذه الأناجيل، ولو فعلت لكانت قد برهنت على أنها بموقفها هذا إنما أقامت ديانة المسيح الحقّة ولم تغيّرها. وأما الكثير من الباحثين والمؤرخين فقد توصلوا إلى أن معظم هذه الأناجيل كان رائجا إلى وقت انعقاد مجمع نيقية المسكوني[1]. ومن البعيد قبول قول القائل: لعل السبب في رفض هذه الأناجيل عدم ثبوتها أو عدم صحة نسبتها إلى من نسبت إليهم، إذ إن هذه سمة مشتركة لجميع ما اعترف به القوم من الأناجيل أيضا كما قد تقدم معنا في هذا البحث.

المطلب الثاني: إنجيل برنابا، ونقد موقف الكنيسة منه.

المسألة الأولى: التعريف ببرنابا وبإنجيله.

ولد برنابا من أبوين يهوديين في قبرس، وكان اسمه يوسف ثم لُقِّب بعد اتباعه للمسيح عليه السلام ببرنابا الذي معناه: ابن الوعظ[2]. وهو قريب لمرقس الذي ينسب إليه الإنجيل الثاني[3].

لم يختلف النصارى في كون برنابا أحد تلاميذ المسيح عليه السلام وأتباعه الذين عاشوا معه وآمنوا به ونصروه، ولكنهم لا يعدّونه من الحواريين الاثني عشر الذين وردت تسميتهم في الأناجيل[4] التي اعترفوا بها، وإنما يجعلونه أحد الرسل

---

(١) وسيأتي إن شاء الله في الباب الثالث.

(٢) انظر: الأعمال ٤/ ٣٦.

(٣) انظر: كولوسي ٤/ ١٠.

(٤) انظر: متّى ١٠/ ٢-٤، ولوقا ٦/ ١٣-١٦.

السبعين[١]. وبرنابا مشهود له بالصلاح والإيمان، حسب ما جاء في أسفار النصارى المقدسة نفسها. ومن ذلك ما جاء في أعمال الرسل[٢]: «لأنه [برنابا] كان رجلا صالحا وممتلئا من الروح القدس والإيمان. فانضم إلى الرب جمع غفير».

كما أن لبرنابا هذا مواقف لها تأثيرها في تأريخ النصرانية وفق ما يُذكر في كتاب النصارى المقدس، ومن ذلك: أنه هو الذي قام بتزكية شاول اليهودي (بولس) وشهد له بالإيمان حين أبدى تلاميذ المسيح الآخرون تخوفهم إزاء هذا التحول الفجائي من شاول. يقول سفر أعمال الرسل: «ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه، غيرَ مصدّقين أنه تلميذ. فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدّثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلّمه، وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع»[٣].

كما أنه كان من الدعاة الأوائل الذين أرسلهم التلاميذ للوعظ والإرشاد، كما جاء ذلك في سفر أعمال الرسل أيضا: «فسُمع الخبرُ عنهم في آذان الكنيسة التي في أورشليم، فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى أنطاكية، الذي لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب»[٤].

وقد كان معه بولس في بعض رحلاته التبشيرية[٥]، وذلك ـ فيما يبدو ـ قبل أن

---

(١) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٥٢.

(٢) ١١/ ٢٤.

(٣) الأعمال٩/ ٢٦-٢٧.

(٤) الأعمال ١١/ ٢٢-٢٣ وانظر كذلك: ١٥/ ٢٢-٢٥.

(٥) انظر: الأعمال ١١/ ٢٥-٢٦، و١٣/ ٤و٦، و١٥/ ١٢، ٢٢و٢٥-٢٦.

ينكشف أمر بولس له، ثم اختلفا بعد ذلك. وقد حاول كاتب سفر أعمال الرسل أن يُوهم أن سبب خلافهما هو اختلافهما في اصطحاب مرقس ـ صاحب الإنجيل وابن أخت برنابا ـ معهما، فقال: «فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضا يوحنا الذي يُدعى مرقس. وأما بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما من بمفيليّة[١] ولم يذهب معهما للعمل، لايأخذانه معهما. فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر...»[٢].

وأما برنابا نفسه فقد كشف النقاب عن السبب الحقيقي لخلافه وبولس، حيث صرّح في بداية إنجيله أنه كتبه ليحذّر الناس من ضلالات وابتداعات بولس وأمثاله فقال: «... الذين ضل في عدادهم أيضا بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى. وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله. وعليه، فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصا أبديا»[٣]. ويلاحظ على كلٍّ أن ذكر برنابا يختفي من سفر أعمال الرسل بعد هذه الحادثة ومفارقته لبولس، وذلك على الأرجح لكون سفر الأعمال من تصنيف بعض أتباع بولس[٤].

تلك هي شخصية برنابا ومكانته عند النصارى الأوائل، فلننتقل الآن إلى الحديث عن إنجيله باختصار قبل البسط في موقف الكنيسة منه.

---

(١) بمفيلية: مقاطعة في آسيا الصغرى، وهي تقع إلى الجهة الشمالية من بحر الروم بين كيليكية وليكية. قاموس كـ.م. ص١٨٩.

(٢) الأعمال١٥/ ٣٧-٣٩.

(٣) برنابا، المقدمة/ ٧-٩، وانظر الإصحاح الأخير منه أيضا.

(٤) انظر: أحمد غنيم (م.ن.) ص١٥٢.

هذا الإنجيل ـ حسب الترجمتين العربية والإنجليزية اللتين اطّلعتُ عليهما ـ يشتمل على مقدمة ومائتين واثنين وعشرين إصحاحا، وتقع النسخة العربية[١] منه في ثلاثمائة وثماني عشرة صفحة، وتقع النسخة الإنجليزية[٢] في مائتين واثنتين وسبعين صفحة[٣].

أقدم خبر عن هذا الإنجيل ما يُذكر عن كتابة إيريناوس في القرن الميلادي الثاني، والتي جاء فيها تأييد عقيدة التوحيد ومعارضة بولس والنظريات الوثنية والفلسفية التي أدخلها في النصرانية. وكان إيريناوس قد اقتبس بغزارة من إنجيل برنابا في عمله هذا[٤].

وفي عام ٣٨٣م احتفظ البابا داماسوس الأول[٥] بنسخة من هذا الإنجيل في مكتبته الخاصة، ولما اكتُشفت بقايا القديس برنابا في عام ٤٧٨م، قيل بأنه وجدت على صدره نسخة من الإنجيل مكتوبة بخط يده نفسه[٦]!

---

(١) أعني الترجمة العربية الأولى التي قام بها الدكتور خليل سعادة، ونشرها الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله في عام ١٩٠٨م.

(٢) أعني الترجمة الإنجليزية الأولى التي قام بها لونسديل ولورا راغ، طبعة عام ١٩٧٤م، كراتشي باكستان.

(٣) وأما المخطوطة الإيطالية فتقع في ٤٥٨ صفحة، والمخطوطة الأسبانية في ٤٢٠ صفحة. انظر: أحمد غنيم (م.ن.) ص٤٢.

(٤) انظر: مقدمة م.أ. رحيم للطبعة الإنجليزية الباكستانية للإنجيل ص١٥.

(٥) البابا داماسيوس الأول "Damasus I": كان البابا للكنيسة الكاثوليكية الرومانية من عام ٣٦٦م وحتى عام ٣٨٤م. انظر: Hughes,Philip, A Popular History of the Catholic Church P.283.

(٦) انظر: Acia sanctorum Boland Junii Tom II, PP.422 & 450 Antwerp: 1698، نقلا عن: م.أ. رحيم (م.ن.) ص١٥.

وبعد ذلك بثماني عشرة سنة (عام ٤٩٦م) أصدر البابا جيلاسيوس الأول[١] قراره الشهير الذي ذكر فيه إنجيل برنابا في قائمة الكتب الممنوعة، اقتفاءً بأثر سلفه: البابا إنوسنت[٢] الذي قد سبق أن حظر الإنجيل نفسه في عام ٤٦٥م[٣].

فمنذ صدور القرار البابوي هذا في نهاية القرن الخامس للميلاد اختفى الإنجيل تماما وخفيت أخباره، حتى أواخر القرن السادس عشر للميلاد حيث تم العثور عليه من قبل أحد الرهبان[٤] النصارى وهو يدعى: فرا مرينو. وكان هذا الراهب قد وقف على تلك الكتابات التي ندد فيها إيريناوس ببولس استنادا إلى الإنجيل المنسوب إلى برنابا، فكان منذ تلك اللحظة ملهوفا بالغ اللهفة أن يعثر على هذا الإنجيل الخفي. ولكي يتم أمر كان مقدورا، حصل أن هذا الراهب أصبح حينا من الدهر صديقا ومقرّبا من البابا سكستوس الخامس[٥]، فلما دخلا معا في يوم من

---

(١) البابا جيلاسيوس الأول: تولى البابوية من عام ٤٩٢م وحتى عام ٤٩٦م. Hughes, Philip; (op.cit.) P. 283.

(٢) هكذا قيل ويبدو لي - والله أعلم - أنه خطأ، ولعل الصواب أن يقال: البابا هلاري "Hilary" الذي كان البابا من عام ٤٦١م وحتى عام ٤٦٨م. وأما البابا إنوسنت فقد توفي في عام ٤١٧م بعد أن تولّى البابوية لستة عشر عاما (٤٠١-٤١٧م). انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، و Hughes,Philip; (op.cit.) P. 283

(٣) انظر: أحمد غنيم (م.ن.) ص١٣ و١٥، و م.أ. رحيم (م.ن.) ص١٦.

(٤) الرهبان جمع راهب، والرهبانية: شكل من أشكال الحياة الدينية عند غير المسلمين تعزل فيها جماعة نفسها عن الحياة العامة فتسكن في الأديرة، وتلزم نفسها بعض الأفاعيل كالاختصاء واعتناق السلاسل ولبس المسوح وترك اللحم ونحوها. وأصل الترهب هو: التعبّد. القاموس ص١١٨، الموسوعة العالمية ١١/ ٢٨٤.

(٥) البابا سكستوس الخامس: هو البابا الكاثوليكي من عام ١٥٨٥م إلى عام ١٥٩٠م.

الأيام مكتبة البابا الخاصةوغلبت البابا عيناه فنام، أراد فرا مرينو أن يستفيد من الوقت بمطالعة بعض الكتب ريثما يفيق البابا من نومه، وتصادف أن كان أول كتاب تقع عليه يده هو هذا الإنجيل، إنجيل برنابا. فرح بهذا الاكتشاف فرحا عظيما ثم خبأ الإنجيل في ثوبه وجلس ينتظر البابا حتى استيقظ فاستأذنه للانصراف. ولما خلا بنفسه طالع الإنجيل واعتنق الإسلام على إثر ذلك[١].

ثم ظل الإنجيل بعد هذه الحادثة غائبا مجهولا، إلى أن أُعلن عن اكتشافه في عام ١٧٠٩م، ثم قام مكتشفه[٢] بإهدائه بعد ذلك في عام ١٧١٣م للأمير ايوجين دى سافوى[٣]، وكان معروفا بولعه بالعلوم والآثار التأريخية. ثم انتقلت هذه النسخة المهداة مع سائر مكتبة الأمير في عام ١٧٣٨م إلى مكتبة البلاط الملكي بفينا (نمسا)، وهي لا تزال هناك حتى الآن[٤].

وهذه النسخة مكتوبة باللغة الإيطالية، وهناك نسخة أخرى بالأسابنية هي على الأرجح منقولة حرفيا عن النسخة الإيطالية، وقد كانت عند رجل يدعى دكتور هولم Dr.Holme ،

=

. Hughes,Philip; (op.cit.) P. 291

(١) هذه القصة كانت مسطورة على المخطوطة الأسبانية لإنجيل برنابا، حسب تعليق المستشرق جورج سيل في مقدمته المسماة "إلى القارئ" ص١٠. انظر: أحمد غنيم (م.ن.) ص٤٣-٤٤.

(٢) وهو رجل يُدعى: إي. كرامير.

(٣) هو: "Eugene of Savoy" أحد أمراء سلالة كاريغنان من الأسرة السافوية الإيطالية، ولد سنة ١٦٦٣م ومات سنة ١٧٣٦م. الدائرة البريطانية ٨/ ٨١٣.

(٤) انظر: Toland,John; A Catalogue of Books P.380-381، نقلا عن: أحمد غنيم (م.ن.) ص١٤-١٥، ومقدمة خليل سعادة ص"د".

ثم أعارها في الثلاثينات من القرن الميلادي الثامن عشر المستشرق: جورج سيل[١]، ومن هذا انتقلت إلى الدكتور توماس منكهوس، أحد أعضاء كلية الملكة في أكسفورد، الذي قام بدفعها مع الترجمة الإنجليزية[٢] إلى شخص يدعى دكتور: جوزيف وايت[٣] في عام١٧٨٤، وعند هذا الأخير اختفت النسخة الأسبانية مع ترجمتها الإنجليزية[٤]. هناك ترجمة يونانية لهذا الإنجيل وجد بعضها في قطعة منفردة والبعض الآخر قد أُحرق[٥].

أما النسخة الإيطالية اللاتينية وهي الفريدة الموجودة اليوم في فينا، فمنها نشأت الترجمة الإنجليزية التي قامت بنشرها مطبعة جامعة أكسفورد بإنجلترا في عام ١٩٠٧م، وفور إنزالها إلى السوق اختفت بطريقة غامضة، حيث لم يبق منها إلا نسختان، إحداهما في المتحف البريطاني بلندن، والثانية في مكتبة الكونجرس

---

(١) جورج سيل: مستشرق إنجليزي، ولد حوالي سنة١٦٨٠م، ومات سنة ١٧٣٦م. له ترجمة لمعاني القرآن الكريم نُشر في عام ١٧٣٤م. الدائرة الأمريكية ٢٤/ ١٧٩.

(٢) هذه الترجمة الإنجليزية للنسخة الأسبانية لا يُعرف بالتحديد من قام بها، وإنما كل ما في الأمر أن منكهوس سلم الإنجيل مصحوبا بترجمته إلى وايت. انظر: أحمد غنيم (م.ن.) ص٤٩.

(٣) جوزيف وايت: مستشرق وُلد عام ١٧٤٦م، وتخرج في جامعة أكسفورد ثم عُيّن أستاذا للعربية فيها من عام ١٧٧٥م، وأستاذا للعبرية من عام ١٨٠٤م، كما أنه انتدب كاهنا بدون راتب في جلوشستر عام ١٧٨٨م، وبعد ذلك عُيّن راعيا لكنيسة المسيح في أكسفورد، وتوفي عام ١٨١٤م. نجيب العقيقي (م.ن.) ٢/ ٤٧٤.

(٤) مقدمة لونسديل ولورا راغ للترجمة الإنجليزية لإنجيل برنابا ص١١، نقلا عن: أحمد غنيم (م.ن.) ص٤٨-٤٩.

(٥) انظر: م.أ. رحيم (م.ن.) ص١٦.

بواشنطن[١].

وأما الترجمة العربية لإنجيل برنابا فيرجع تأريخها إلى سنة ١٩٠٨م، أي بعد نشر الترجمة الإنجليزية بسنة، وذلك لأن المترجمَيْن[٢] قد بعثا بنسخ من الترجمة الإنجليزية هذه إلى بعض مراكز الطبع والنشر في مصر، ومنها دار المنار للشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله، الذي قدّمها للدكتور خليل سعادة ـ وهو نصراني من أهل لبنان ـ فقام بترجمتها إلى اللسان العربي[٣]. وقد صدرت حديثا ترجمة عربية أخرى من مسلم مصري معاصر، هو الأستاذ الدكتور أحمد غنيم[٤].

أما بالنسبة لمحتوى هذا الإنجيل فقد يطول بنا المقام لو حاولنا سرده، لذا سأكتفي بالإشارة إلى أهم مبادئه التي تخالف ما ورد في كتاب النصارى المقدس، ومنها:

أ ـ التصريح بإنسانية المسيح عليه السلام ونبوته، مع إنكار ألوهيته وبنوته لله[٥].

ب ـ أن الذبيح هو إسماعيل بن إبراهيم، وليس أخاه إسحاق، على جميعهم الصلاة والسلام[٦].

ج ـ التصريح بالبشارة بالنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم باسمه، وأنه المسيح المنتظر[٧].

---

(١) نفسه.

(٢) وهما: لونسديل راغ وزوجته لورا راغ.

(٣) انظر: مقدمة الشيخ محمد رشيد رضا ص"ر".

(٤) أستاذ الدراسات الإسلامية والعربية بالجامعة الأمريكية في القاهرة.

(٥) انظر: برنابا: المقدمة/ ٢و٤، و١١/ ١-٦، و٢٢٠/ ١٩.

(٦) انظر: برنابا: ٤٣/ ٣١، و٤٤/ ١-١١، و٢٠٨/ ٧.

(٧) انظر: برنبا: ٤٤/ ١٩-٣٠، و٩٦/ ٣-٥، و٩٧/ ١٤-١٥.

د ـ أن المسيح عليه السلام لم يُصلب وإنما رفع إلى السماء، وأن الذي صُلب هو التلميذ الخائن، يهوذا الإسخريوطي[١].

المسألة الثانية: موقف الكنيسة من إنجيل برنابا: عرضا ونقدا.

قد يبدو طرح مثل هذا الموضوع تحصيل حاصل، بعد أن أوردت قائمة مطولةً بأسماء الأناجيل التي ترفضها الكنيسة ومنها هذا الإنجيل المنسوب للقديس برنابا. لكن المراد بيان ما تبرر به الكنيسة رفضها وعدم اعترافها بقانونية هذا الإنجيل، ولهم في ذلك قولان.

الأول: أن الإنجيل ثابت النسبة إلى برنابا، لكن أهل الإسلام حرّفوه ودسّوا فيه ما ليس منه. وممن يمثلون هذا الرأي: المستشرق جورج سيل حيث قال: «هذا الكتاب يبدو أنه ليس بمزيف الأصل ولا من تزييف المحمديّين[٢]... إن المحمديين قد دسّوا فيه وحرّفوه، ليكون أفضل نفعا لغرضهم»[٣]. ويقول أيضا في موضع آخر: «إن إنجيل برنابا هذا يشتمل على تأريخ كامل للمسيح عيسى [عليه السلام] منذ مولده إلى صعوده، ومعظم الملابسات [المذكورة] في الأناجيل الأربعة الصحيحة توجد فيه، لكن كثيرا منها قد عُدّلت وباصطناع كاف لمجاملة

---

(١) انظر: برنابا، الإصحاحات ٢١٥و٢١٦و٢١٧/ ١-٧٩.

(٢) هكذا يسمى معظم الكتّاب الغربيين لاسيما القدماء منهم، يسمون المسلمين بالمحمديين، والإسلام بالمحمدية، إذ زعموا ـ وبئس ما زعموا ـ أن الإسلام من إحداث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كلاّ. بل إن دائرة المعارف اليهودية "Encyclopedia Judaica" تورد الآيات القرآنية صراحة على أنها أقوال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

(٣) Sale, George; The Prelim.sec 4. P.58، نقلا عن: أحمد غنيم (م.ن.) ص٤٠.

النهج المحمدي»[١].

والقول الثاني: أن الإنجيل أساسا لم يكتبه برنابا وإنما هو من وضع المسلمين، والأرجح أن يكون الواضع يهوديا أو نصرانيا اعتنق الإسلام[٢]، حتى إن بعضهم ليطلق على الإنجيل اسم: الإنجيل المحمدي[٣]، كما يعتقد بعضهم أنه مكتوب أصلا باللسان العربي[٤]. وألّف بعضهم كتبا كاملة في الطعن في هذا الإنجيل ودعوى تزييفه[٥].

ونستعرض فيما يلي أهم ما يتمسكون به في موقفهم العدائي من هذا الإنجيل:-

١ ـ أنه يحتوي على أمور تخالف ما ورد في الأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم، ومنها ما سلف ذكره منذ قليل.

٢ ـ أن فيه مخالفات للحقائق التأريخية والجغرافية[٦].

٣ ـ وجود تعليقات مكتوبة باللغة العربية في هوامش النسخة الإيطالية الفريدة

---

(١) مقدمة جورج سيل (إلى القارئ) ص١٠، نقلا عن: أحمد غنيم (م.ن.) ص٤٤.

(٢) انظر: أحمد غنيم (م.ن.) ص٤٤، ومقدمة خليل سعادة للترجمة العربية ص"ي".

(٣) انظر: أحمد غنيم (م.ن.) ص٦١.

(٤) وممن صرّح بهذا: الأديب الفرنسي برنارد دى لامنوى، والمستشرق جوزيف وايت ـ انظر: أحمد غنيم (م.ن.) ص٢٩و٥٩ ـ والدكتور خليل سعادة في مقدمة ترجمته ص"ط".

(٥) ومنها: ١ ـ كتاب: إنجيل برنابا، شهادة زور على القرآن الكريم ليوسف الحداد.

٢ ـ كتاب: حول الإنجيل وإنجيل برنابا لإلياس زحلاوي.

٣ ـ كتاب: إنجيل مزيف.. إنجيل برنابا في ضوء التأريخ والعقل والدين بقلم عوض سمعان.

(٦) انظر: الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة لمحمد عبد الرحمن عوض ص٤٧.

لهذا الإنجيل، وزعم بعضهم أنها تتوافق مع بعض ما جاء في القرآن الكريم[١].

٤ ـ أن في هذا الإنجيل نفسه ما يوافق بعض ما جاء في القرآن الكريم[٢].

٥ ـ ومما استدلوا به على الأصالة العربية لهذا الإنجيل أن النسخة الإيطالية المكتشفة جُلدت تجليدا هو من نوع الطراز الشرقي أو العربي، وأن أوراق المخطوطة كذلك[٣].

٦ ـ أن هذا الإنجيل نفسه لا صلة له بالقديس برنابا، وإنما كُتب في القرون الوسطى، وادّعى خليل سعادة إجماعا على هذا[٤].

٧ ـ أن هذا الإنجيل تتخلل الفلسفة مباحثه، الأمر الذي ينبئ عن كون كاتبه على جانب كبير من الفلسفة، وسمو المدارك، وقوة الحجة. وأن هذا يتنافى مع الطبع الساذج لتلاميذ المسيح الأوائل، وقلة ثقافتهم[٥].

هذا مجمل ما عند القوم من الحجج، وإليكم مناقشتها فيما يلي:

أولا: بالنسبة لمخالفة هذا الإنجيل للأناجيل الأربعة في مسائل معينة، أو بالأحرى مخالفتها له، أقول: فأنّى لهما أن يتفقا وقد علمنا فيما مضى أن هذه الأناجيل هي ما أقرها النصارى من أتباع بولس، وهذا برنابا قد اختلف مع بولس وفارق

---

(١) وممن قالوا به: برنارد دى لامنوى ـ انظر: أحمد غنيم (م.ن.) ص٢٩ ـ واقرأ ما كتبه خليل سعادة في مقدمت ترجمته ص"و ـ ز".

(٢) انظر: خليل سعادة (م.ن.) ص"ط".

(٣) نفسه ص"ج".

(٤) انظر: قاموس ك.م. ص١٧٢، وخليل سعادة (م.ن.) ص"ك".

(٥) انظر: خليل سعادة (م.ن.) ص"ن" بتصرف.

بعضهما البعض منذ وقت مبكر جدا من دعوته (بولس) الضّالة، وبيّن برنابا في إنجيله هذا أن ضلالات بولس وابتداعاته من الدواعي الرئيسة، والدوافع الأساسية له لكتابة هذا الإنجيل.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن مجرد مخالفة شيء لمثيله لا يكفي للحكم على أحدهما بالصحة والآخر بالبطلان حتى نقف على الأصل الذي انبثق عنه الشيئان فنقيس على ضوئه. وإذ تعسر الوقوف على الإنجيل الأصيل المنزل على عيسى عليه السلام، أو على أي شيء مكتوب بخطه هو أو بإملائه أو حتى بإقراره، باعتراف من النصارى أنفسهم، فلا بد إذًا من النظر في القرائن الخارجية للترجيح، ولدينا كتاب قد أُنْزل من الذي أَنْزل الإنجيل، ووصَفَه بالهيمنة(١) على سائر الكتب المنزلة منه جل وعلا، ألا وهو القرآن الكريم. ومن غير عناء وتعب نجد أن القرآن الكريم قد صدّق إنجيل برنابا ـ إن صح التعبير ـ في أكثر هذه المسائل، مثل عدم صلب المسيح حقيقة(٢)، وكون الذبيح إسماعيل لا إسحاق عليهما السلام ـ على أرجح القولين عند العلماء ـ(٣)، والتصريح بعبودية عيسى لله عز وجل، ونفي ألوهيته عليه السلام(٤)،

---

(١) قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[النساء: ١٥٧].

(٣) لأن الله تعالى بعد ما ذكر قصة الذبيح وأنه أول ابنٍ بشر به إبراهيم عليه السلام ورُزق به، قال تعالى بعد ذلك: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، فدل ذلك على أن الذبيح غير إسحاق عليه السلام، والله أعلم. وانظر الآيات في سورة الصافات/ ٩٨-١١٢، وراجع تفسير ابن كثير٤/ ١٤ وزاد المسير لابن الجوزي٦/ ٣١٤-٣١٥.

(٤) كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾[النساء: ١٧٢]، وقوله تعالى: =

والبشارة بالنبي الخاتم محمد بن عبد الله القرشي صلوات الله وسلامه عليه[(١)].

يضاف إلى هذا أنه وجد من قدماء النصارى من يُقر بأن هذه المسائل التي صارت مأخذا على إنجيل برنابا لدى متأخريهم لم ينفرد بها هذا الإنجيل، وأنها قد وجدت منذ العصور الأولى في تأريخ الكنيسة. فهذا جورج سيل ـ ومن قبله جون تولند[(٢)] ـ يقول: «فالباسليون في البداية الأولى للمسيحية قد أنكروا أن المسيح نفسه قد مسّه العذاب وإنما كان سمعان القريني[(٣)] هو الذي صلب بدلا منه، ومن قبلهم كان السيرنتيون[(٤)] والكربكراتيّون[(٥)]، ولن نذكر مزيدا من أسماء هؤلاء

= ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[المائدة: ١٧].

(١) كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[الصف: ٦].

(٢) جون تولند: فيلسوف بريطاني من أصل إيرليندي، نشأ كاثوليكيا ثم تحول إلى الطائفة الأنغليكانية البروتستانتية، توفي عام ١٧٢٢م. الدائرة البريطانية ٢٢/ ٢٧٥.

(٣) سمعان القريني "Simon of Cyrene" أو سمعان القيرواني: جاء في التعريف به في قاموس ك.م. ص٤٨٤، أنه الرجل الذي أُجبر على حمل صليب المسيح عندما سقط تحته (متّى٢٧/ ٣٢ ومرقس١٥/ ٢١)، وأنه من قريني في ليبيا.

(٤) السيرنتيون "Cerinthians": أتباع سيرنتيوس، وهو رجل معاصر ليوحنا الإنجيلي، ومن أشهر مبادئه: أن المسيح ﷺ لم يصلب، وأنه مولود من مريم ويوسف كما يولد سائر الناس. كما أنه لم يعترف بشيء من العهد الجديد غير إنجيل متّى فقط. انظر: الدائرة البريطانية ٥/ ٢٠٧، والدائرة الأمريكية ٦/ ٢٢٥ و١٢/ ٧٣٦.

(٥) الكربكراتيّون "Carpocratians": أتباع كاربوكراتيس الإسكندري الذي عاش في القرن الميلادي الثاني، وتوصف الطائفة بأنها طائفة غنوستية أسست على المبادئ الأفلاطونية. الدائرة الأمريكية ١٢/ ٧٣٦.

الذين أكدوا أن عيسى كان مجرد إنسان»، ثم نقل عن فوتيوس[١] قوله إنه قرأ كتابا بعنوان "رحلات الحواريين" "The Journey of the Apostles" يروي أعمال بطرس ويوحنا واندراوس وتوما[٢]، وبولس، وأن من بين ما جاء فيه أن المسيح عليه السلام لم يُصلب، وإنما صُلب شخص آخر بدلا منه[٣].

وأما تولند، فيزيد الأمر إيضاحا إذ يقول: «ولما كان سيرنتوس[٤] معاصرا لبطرس ويوحنا وبولس وقد وردت عنه هذه الأقوال التي لم ينفرد بها إنجيل برنابا، فمن الممكن أن يكون هذا الإنجيل قديما، بل يرجع أيضا إلى عصر الحواريّين أنفسهم، مع إسقاط الحواشي المدسوسة عليه... ليس هذا فحسب بل إن إنجيل برنابا لم يذكر كل ما ذكره غيره في تلك الكتابات القديمة المخالفة للعهد الجديد، فإن الذين أنكروا صلب عيسى لم يقفوا عند هذا في خلافهم لما ورد في العهد الجديد، وإنما أنكروا أيضا نسب عيسى المقرر في إنجيل متّى»[٥].

وأخيرا، لو كان يحكم على بعض الكتب بالبطلان وعلى بعضها بالصحة لمجرد المخالفة، لكان واجبا على النصارى الحكم على بعض هذه الأناجيل الأربعة

---

(١) Photius: بطريرك الكنيسة القسطنطينية، ولد عامَ ٨٢٠م وتوفي عامَ ٨٩١. الدائرة البريطانية ١٧/ ٧٨٠.

(٢) بطرس ويوحنا واندراوس وتوما: من تلاميذ المسيح الاثني عشر كما جاء في متّى ١٠/ ٢-٤.

(٣) Sale,George; Prelim. P.82 & 83 & Sale, George; Koran P.38 & 106Photius; cod 114, col 291,_Bible، نقلا عن: أحمد غنيم (م.ن.) ص٤٥-٤٧.

(٤) أي مؤسس طائفة السرنتيين.

(٥) Toland, John; Nazarenus P.17-19، نقلا عن: أحمد غنيم ص٢٠.

ذاتها بالبطلان لمخالفة بعضها لبعض في المسائل الجوهرية الحساسة كما سلف ضرب أمثلة لذلك[1].

ثانيا: أما زعمهم أن في إنجيل برنابا مخالفة للحقائق التأريخية والجغرافية فالجواب عنه من وجوه:

أ ـ أن المعلومات التأريخية ـ في أغلب أحوالها ـ ظنية، ولذلك يجري فيها من التسامح والتساهل ما لا مجال له في غيرها[2]. وعليه، فقد يكون ما ذكره إنجيل برنابا في تلكم القضايا هو الصحيح لا العكس.

ب ـ أنه إذا كانت مخالفة إنجيل برنابا لبعض الحقائق التأريخية والجغرافية ـ على فرض صحة الدعوى ـ هي معتمَد القوم في الحكم على الإنجيل بالتزوير، فما بالهم بمخالفة أناجيلهم الأربعة لتأريخ الرسالات السماوية قاطبة! فمنذ العهود الأولى للبشرية في تأريخها لم تسمع الأرض ولا البشر ولا حكى لنا التأريخ عن رسالة أيدت التثليث أو دعت إليه إلى أن جاءت هذه الأناجيل.

ج ـ أنه توجد في الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى القوم مخالفة صريحة لكثير من الحقائق التأريخية والجغرافية والعلمية وغير ذلك مما سبق أن أوردتُ أمثلة لها،

---

(١) انظر فيما مضى: مطلب: التحريفات والتناقضات والأخطاء في الأناجيل.

(٢) ومن ذلك: المرونة في تطبيق قواعد المحدثين على الروايات التأريخية، انظر: السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري١/ ٤٥. وأرى من المستحسن أن أنبه في هذه الزاوية على خطورة ما يقدم عليه بعض الدعاة المعاصرين من استنباط أحكام شرعية من الروايات التأريخية الصرفة قبل التأكد والتثبت من صحة الرواية وعدم ورود ما يقيد إطلاقها أو يخصص عمومها، والله الهادي إلى سواء السبيل.

ويكفي في ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما حدث في نسب ذلك الرسول المعظَّم عيسى ابن مريم عليه السلام[(١)].

ثالثا: مسألة التعليقات الهامشية باللغة العربية في المخطوطة الإيطالية للإنجيل، وما فيها من زعم توافقها مع بعض ما جاء في القرآن الكريم، ومحاولتهم الاستدلال بذلك على الأصالة العربية لهذا الإنجيل. ولنا وقفات مع أصحاب هذا الزعم:-

أ ـ أن هذا القول قد تبيّن ضعفه ووهنه لبعض علمائهم ومثقفيهم، فتراجعوا عنه وقالوا بعكسه، ومن هؤلاء: أحد صاحبي الترجمة الإنجليزية الأولى لهذا الإنجيل حيث جاء عنه قوله: « ... ووفقا للخبراء، فإن النص [يعني المخطوطة الموجودة في فينا] لا تنطق عبارته كترجمة حرفية من اللغة العربية. أما أنه توجد بجواره تعليقات عربية في الهامش، فإن تلك الواقعة سوف تبدو ناطقة ضد هذه النظرية لا لتأييدها. ذلك أن الغرض من هذه التعليقات غامض على نحو ما »[(٢)].

وكذلك المستشرق مرجليوث[(٣)] الذي قرر بشأن هذه التعليقات أنها « يستحيل أن يكتبها عربي ـ أي عربي ـ سواء أكانت لغته الأصيلة هي العربية أم نحوا من

---

(١) انظر: محمد عبد الرحمن عوض (م.ن.) ص٤٨ بتصرف.

(٢) مجلة "دراسة الإلهيات"، الصادرة في لندن في أبريل ١٩٠٥م ص٤٢٤-٤٣٣ (من مقالة فيها للونسديل راغ، أحد صاحبي الترجمة)، نقلا عن: أحمد غنيم (م.ن.) ص١٠٦.

(٣) هو: المستشرق الإنجليزي د.س. مرجليوث، ولد في لندن عام ١٨٥٨م وتوفي بها عام ١٩٤٠م، وكان قد درس اللغات الشرقية في جامعة أكسفورد. من أشهر مؤلفاته: التطورات المبكرة في الإسلام، والجامعة الإسلامية. ويصنّفه بعض الكتّاب في فئة المستشرقين المتعصبين ضد الإسلام. انظر: نجيب العقيقي (م.ن.) ص٢/ ٥١٨، والموسوعة العالمية ١/ ٦٧٨.

العربية»[١]. ويبدو أن مرجليوث لم يقل هذا الذي قاله هنا إلا بعد ما اتضح له ما تشتمل عليه هذه التعليقات من الأخطاء، وما تتسم به من الضعف، كما سيأتي في الوقفة الآتية.

ب ـ أن مجموع عدد هذه التعليقات بلغ تسعةً وعشرين وألف تعليقٍ، توجد منه أربعة وستون وستمائة فقط سليمة العبارة، والباقي سقيمها، ثمانية ومائة منها فيها ركاكة[٢]، والأخرى وعددها سبعة وخمسون ومائتان فيها أخطاء إملائية أو نحوية[٣][٤].

ج ـ وأما زعم موافقة هذه التعليقات ـ لا سيما المقرونة منها بلفظ "منه" ـ للقرآن الكريم، فإن ما يمكن القول بأنها موافقة لبعض ما جاء في القرآن الكريم من هذه التعليقات لا يصل مجموعها إلى ثلاثين جملة، مثل عبارة: "الله واحد لا كفؤ له[٥]"، و عبارة "الله لا تدركه الأبصار[٦]"، ومثل عبارة: "لا يسقط ورق من

---

(١) مقدمة الترجمة الإنجليزية للوسنديل ولورا راغ ص١٩، نقلا عن: أحمد غنيم (م.ن.) ص١٩١.

(٢) مثلا: "لا يترك عبادة الله تعالى لأجل خدمتيْ أبوين منه" ص١٠ ـ والصحيح: خدمة أبوين ـ، ونحو: "الله معبد" ص٤٨ ـ ويريد الكاتب أن يقول: الله معبود ـ... وهكذا.

(٣) ومن ذلك: "كانت طائفة في زمان موسى يسخرون قوما ويضحكونهم، يبدلون الله تعالى صورتهم لأجل السخريتهم صورة سوء الحيوان منه" ص٣٩، ونحو كتابة الاسم: "إسماعيل" هكذا: "إسمائل" ص٦٨، و"المشركين" بتقديم الكاف على الراء ص٤٩... وهكذا (الصفحات فيما تقدم حسب ترجمة د/ خليل سعادة).

(٤) انظر: أحمد غنيم (م.ن.) ص١٩٢.

(٥) انظر: ترجمة د/ خليل سعادة للإنجيل ص٢٠ هامش "ث".

(٦) نفسه ص٢١ هامش "ت".

الشجر إلا بإرادة الله تعالى[١]". في حين توجد من بين هذه التعليقات جمل لا يمكن إلا أن تكون اقتباسات صريحة من العهد القديم أو العهد الجديد، وهي فوق هذا العدد المذكور ـ أعني: ثلاثين ـ. ومن ذلك ـ على سبيل المثال ـ: «يقول الله في التورية يا بني إسرائيل كنو [أي: كونوا] وليا، فإني ولي، وكنو طاهرا فإني طاهر، وكنو كاميلا [أي: كاملين] فئني [أي: فإني] كاميل منه»[٢].

د ـ ومما يزيد في إبطال القول بوجود أصل عربي نشأ عنه هذا الإنجيل، أن أحدا لم يستطع إلى الآن أن يأتي بهذا الأصل العربي ولا حتى مجرد الإشارة إلى مكان وجوده، بل على العكس من ذلك نجد مجموعة من علماء الغرب النصارى ينكرون ويشككون أو يتشككون في صحة هذه الدعوى العارية عن إثبات. بل يذكر جون تولند منهم: أن الرحّالة الغربيين الذين جاءوا إلى الأقطار الإسلامية منذ العصور القديمة ينكرون وجود مثل هذا الإنجيل[٣].

هـ ـ أنه بإمكاننا التعرّف على شخصية كاتب هذه التعليقات، وذلك عن طريق المعايير نفسها التي بها استحال أن يكون كاتبها عربيا. فأي عربي ـ أيا كانت عربيته ـ يكتب "حى" بدل "حيّة"، و "أوا" بدل "حوّاء"، ويجعل المضاف معرّفا بالألف واللام فيقول: "الجزاء آدم وأوا وحي[٤]"...الخ.

(١) نفسه ص٢٣ هامش "ت".

(٢) انظر: ترجمة د/ أحمد غنيم للإنجيل ص٤٤ هامش "د".

(٣) انظر: Toland John; Nazarenus P.14، نقلا عن: أحمد غنيم (م.ن.) ص١١.

(٤) انظر: ص٦١ هامش "أ" من ترجمة خليل سعادة.

فإذا ما استعرضنا خصائص هذه التعليقات المشار إليها آنفا بهدف التوصل إلى معرفة كاتبها نجد:

١ ـ أن الكاتب أعجمي عريق العجمة، وأنه قد تعلم شيئا قليلا من اللغة العربية.

٢ ـ أنه ضئيل المعرفة بالقرآن الكريم.

٣ ـ أن له معرفة عميقة وعلما واسعا بأسفار النصارى المقدسة (العهد القديم والعهد الجديد).

٤ ـ أن فيه حماسة للإسلام هي من قبيل ما توجد في كل متحول إلى دين آخر برضا واقتناع.

فهذه الأوصاف مجتمعةً تُرشِّح الراهبَ فرامرينو ـ مكتشف هذا الإنجيل في القرن السادس عشر للميلاد ـ أن يكون كاتب هذه التعليقات، فهو أعجمي وراهب كنسي ومعتنق للإسلام عن قناعة تامة فيكون ذلك دافعا له لتعلم اللغة العربية. أو أيَ أعجمي آخر قد دخل في الإسلام ثم تعلَّم لغة أهل الإسلام، والله أعلم[١].

أما ما أثاره الدكتور خليل سعادة ـ صاحب الترجمة العربية الأولى لإنجيل برنابا ـ من أن كاتب هذه التعليقات قد يكون أكثر من شخص، بدليل وجود بعض العبارات السليمة فيها، والأخرى سقيمة. فالجواب عنه: أن المتأمل في العبارات

---

(١) انظر: محمد رشيد رضا (م.ن.) ص"ت"، ومحمد أحمد الحاج (م.ن.) ص٢٩٧، وأحمد غنيم (م.ن.) ص١٩٩-٢٠٠.

التي فيها أخطاء من هذه التعليقات يجد أن معظمها في الجمل ذوات الكلمات الكثيرة، بينما تقل الأخطاء هذه أو تنعدم في الجمل قصار التراكيب. وهذه ظاهرة معلومة لدى المتخصصين في تعليم اللغة لغير الناطقين بها، لا سيما الكبار من هؤلاء المتعلمين، حيث تزيد الأخطاء عندهم مع زيادة الكلمات المكوّنة للجملة المرادة صياغتها(١).

هذا أمر، وأمر آخر أن أكثر العبارات الصحيحة في هذه التعليقات إما منقول من القرآن الكريم، أو من بعض الكتب العربية التي ليس ببعيد أن يكون الكاتب قد اطّلع عليها(٢).

وفي الختام أقول: إنه من غرابة أمر القوم كونهم يتخذون من التعليقات العربية الهامشية دلالة على أصل هذا الإنجيل الإسلامي، ولا يتّخذون من صلبه الإيطالي دليلا على أصله النصراني!!!(٣).

رابعا: قولهم إن في هذا الإنجيل نفسه ما يوافق بعض ما جاء في القرآن الكريم.

فأقول: لا غرابة في ذلك أصلا، فبرنابا من تلاميذ المسيح عليه السلام وقد أخذ منه التعاليم الإلهية التي أُوحي بها إليه عليه السلام، ودين الأنبياء واحد، ومرسِلهم واحد هو الله عز وجل. وهذا الجواب على التسليم الجدلي بالدعوى.

---

(١) انظر: أحمد غنيم (م.ن.) ص١٩٤ بتصرف.

(٢) انظر: محمد رشيد رضا (م.ن.) ص"ت".

(٣) انظر: محمود علي حماية (م.ن.) ص١١٦ بتصرف.

ومن جهة أخرى أننا لانُسلّم لكم هذه الدعوى، إذ ما كل ما وافق شيئا في بعض مسائله يكون مأخوذا منه. وإذا تصفحنا هذا الإنجيل نجد أن بينه وبين القرآن الكريم اختلافات عظيمة. بل حتى ما عدّوه موافقات بينهما ـ عند التحقيق ـ هو إلى الاختلافات أقرب. وأورد هنا نصين فقط مثالا على هذا الأمر.

النص الأول جاء فيه: «هكذا يقول الله للإنسان الذي سوف يتعبد له بإخلاص: إنني أعلم أعمالك التي تعملها من أجلي، لعمري وأنا الحي أبدا... لأنني سأثيبك كما **لو كنت أنت إلَهًا، ولي ندّاً**. لأنني لن أضع في يديك رغد الفردوس فحسب، ولكن لأهبنك نفسي كهدية لك...»[(١)].

والنص الثاني يقول: «إن الجنة تبلغ من العظمة أنها لا يستطيع إنسان أن يقيسها. بالحق أقول لكم: **إن السماوات تسع أقيمت فيما بينها الكواكب**...»[(٢)].

خامسا: قضية ورق وتجليد النسخة الخطية الإيطالية المكتشفة.

إن أول من أثار هذا الأمر هو جون تولند[(٣)]، وهو مع ذلك لم يتخذه دليلا على الأصالة العربية أو الإسلامية المزعومة، بل نجده على عكس من ذلك يقول: «ما أعظم جهالة أولئك الذين يجعلون ذلك الإنجيل [إنجيل برنابا] اختلاقا مما اصطنعه المحمديون أصلا»[(٤)].

---

(١) إنجيل برنابا ١٧٠/ ١-٧ (ترجمة أحمد غنيم).

(٢) إنجيل برنابا ١٧٨/ ٥-٦ (ترجمة أحمد غنيم).

(٣) انظر: أحمد غنيم (م.ن.) ص٢١.

(٤) Toland, John; Nazarenus P.17، نقلا عن: أحمد غنيم (م.ن.) ص٢١.

ومن جهة أخرى فإن هذا الذي قاله تولند عن نوع الورق والتجليد لم يكن عن سابق خبرة في هذا المجال، وإنما انسياقا وراء الوهم الشائع آنذاك، وهو أن لهذا الإنجيل أصلا عربيا مفقودا. ولذا فإن الخبراء من بني جلدته أيضا قد تكفلوا بتفنيد هذه المقولة الكاذبة. وهاهو برنارد دى لامنوى[(١)] يقرر في حسم أن أوراق هذه المخطوطة مصنوعة من القطن السميك[(٢)].ويقول لوسنديل و لورا راغ - صاحبا الترجمة الإنجليزية الأولى للإنجيل -: «لقد وصف [تولند] ورق المخطوطة بأنه تركي، لكن الفحص الدقيق يتعسر عليه أن يشهد لذلك الحكم...، كما أن الفحص عن قرب يكشف العلامة المائية [الموجودة على الورق] بصورة لم يحملها ورق شرقي على الإطلاق»[(٣)].

وأما بالنسبة للتجليد الذي يبدو بكل مظهره شرقيا، فإن ثمة رأيا قويا فيه وهو أن التجليد إنما كان من صنع اثنين من المجلِّدين المشهورين في باريس بفرنسا، وأن الأمير ايوجين دي سافوى قد استقدمهما للقيام بهذا العمل له يوم أن كانت النسخة مِلكًا له، وأنهما جلداها تقليدا للطراز الشرقي العربي تقليدا مذهلا رائع الدقة[(٤)]. ويدل على هذا أمران، أولهما أن المحفظة الخارجية لهذه النسخة من عمل هذين المجلّدين بلا نزاع. والثاني، وجود نظير لهذه المخطوطة

(١) أديب فرنسي، لم أقف على ترجمته.

(٢) انظر: أحمد غنيم (م.ن.) ص١٨٦.

(٣) مقدمة لوسنديل ولورا راغ للترجمة الإنجليزية ص١٤، نقلا عن أحمد غنيم (م.ن.) ص٢٤، وانظر كذلك: مقدمة خليل سعادة للترجمة العربية ص"ج-د".

(٤) انظر: لنسنديل ولورا راغ (م.ن.) ص١٣ - المقدمة - نقلا عن: الترجمة العربية لأحمد غنيم ص٢٢-٢٣.

في هذا النوع من التجليد، وهذا النظير هو نسخة وثيقةٍ دولية باللغة الإيطالية أيضا، وورد ذكرها في مراسلاتٍ يرجع عهدها إلى بداية القرن السادس عشر للميلاد[١].

سادسا: دعوى أن الإنجيل لم يكتب إلا في القرون الوسطى.

وأشير في بداية رد هذه الفرية أن ناقلها وهو الدكتور خليل سعادة نفسه قد تناقض، إذ زعم في موضع آخر من مقدمته أن النسخة الإيطالية التي يرجع أصلها إلى ما بين القرن الخامس عشر والسادس عشر[٢] مأخوذة عن نسخة أخرى قديمة[٣].

أما بالنسبة لرد هذا القول نفسه فيتم من أوجه:

الأول: ما تقدم ذكره من اكتشاف بقايا برنابا صاحب الإنجيل ووجود نسخة من الإنجيل على صدره في عام ٤٧٨م[٤]. فهذا ـ إن صح ـ يكون دليلا واضحا على وجود هذا الإنجيل قبل القرون الوسطى.

الثاني: وجود ذكر لهذا الإنجيل في قرارت الآباء الكنسيين في القرنين الرابع والخامس للميلاد، لاسيما قرار البابا جيلاسيوس الشهير.

---

(١) نفسه ص٢٣، وخليل سعادة (م.ن.) ص"ج".

(٢) انظر: خليل سعادة (م.ن.) ص"هـ".

(٣) نفسه ص"ز".

(٤) انظر، فيما مضى: مسألة التعريف ببرنابا وبإنجيله.

4. Hujus Decreti verba huc ſpectantia, cum variantibus quorundam codicum lectionibus, ſic ſe habent. Itinerarium nomine Petri apoſtoli, quod appellatur ſancti Clementis, libri octo [*potius decem*] apocryphum: Actus, nomine Andreae apoſtoli, apocryphi: Actus nomine Philippi apoſtoli, apocryphi: Actus nomine Petri apoſtoli, apocryphi: Actus nomine Thomae apoſtoli, apocryphi: Evangelium, nomine Thaddaei [*ut & Matthiae*] apocryphum: Evangelium, nomine Thomae apoſtoli, quo utuntur Manichaei, apocryphum: Evangelium, nomine BARNABAE, apocryphum: Evangelium nomine Bartholomaei apoſtoli [*etiam nomine Jacobi minoris*] apocryphum: Evangelium, nomine Andreae apoſtoli [*ut & Petri*] apocryphum: Evangelia, quae falſavit Lucianus, apocrypha: Evangelia, quae falſavit Heſychius, apocrypha: liber de Infantia Salvatoris, apocryphus: liber de nativitate Salvatoris, & de Sancta Maria, & de Obſtetrice Salvatoris, apocryphus: liber qui appellatur Paſtoris, apocryphus: libri omnes, quos fecit Leucitius [*potius Leucius, Charinus ſcilicet*] diſcipulus Diaboli, apocryphi: liber, qui appellatur Actus Theclae & Pauli apoſtoli, apocryphus: Revelatio, quae appellatur Thomae apoſtoli, apocrypha: Revelatio, quae appellatur Pauli apoſtoli, apocrypha: Revelatio, quae appellatur Stephani, apocrypha: liber, qui appellatur Tranſitus Sanctae Mariae, apocryphus: liber, qui appellatur Sortes Apoſtolorum, apocryphus: liber, qui appellatur Laus Apoſtolorum, apocryphus: liber Canonum Apoſtolorum, apocryphus: Epiſtola Jeſu ad Abgarum regem, apocrypha.
Apud Gratian. diſtinct. 15. can. 3. & in Tomo 4. Concilior. ac alibi paſſim.

صورة قرار البابا جيلاسيوس في عام ٤٩٦م،

ويذكر فيه إنجيل برنابا على أنّه أحد الأسفار الممنوعة(١)

الثالث: أنه لو فرضنا عدم العثور على نسخة أقدم من النسخة الإيطالية، فإن ذلك لا يمكن أن يدل بأي حال على القطع بعدم وجود مثل تلكم النسخة، لا سيما أن الجميع متفقون على أن النسخة الإيطالية عبارة عن ترجمة لنسخة أخرى وليست هي الأصل(٢).

---

(١) الصورة مأخوذة من: Toland, John; Nazarenus P.6 (انظر: أحمد غنيم (م.ن.) ص٢٠٧).

(٢) انظر: خليل سعادة (م.ن.) ص"ز"، وأحمد غنيم (م.ن.) ص١٨٩.

سابعا: قولهم إن الإنجيل ذو طابع فلسفي، ولنا عن ذلك جوابان:-

الأول: أن القول في بعض الأسفار يجب أن يكون هو عينه القول في البعض الآخر، فإذا كانت الكنيسة ترفض إنجيل برنابا لكون الفلسفة تظهر في بعض مسائله، فحري بها أن ترفض إنجيلا آخر وهو إنجيل يوحنا الذي هو أشد تأثرا بالمبادئ والآراء الفلسفية المعقّدة. وإن قالت لا، فنقول: ما كان جوابكم عن هذا فهو عين جوابنا عن ذاك، وإلا لزمكم أن تقولوا فيها أثبتتم نظيرَ ما قلتموه فيما نفيتم.

الثاني: أن ما اتخذوه ذريعة للحكم على هذا الإنجيل بأنه فلسفي هو ما لمسوه من أسلوب كاتبه من قوة الحجة وشدة المعارضة وجلاء البيان...الخ[1]، وليس هناك دليل ينفي هذه الميزات عن القديس برنابا، بل بالعكس يوجد ما يقوي الظن بتحلّيه بها، خاصة إذا علمنا أن برنابا ـ بخلاف باقي التلاميذ ـ من أهل قبرس، وذو دراية واسعة باللغة اليونانية[2]. ولم يكن من صيادي السمك أو الجباة أو نحوهم. وقد كان المجتمع النصراني الأول يرسله إلى مناطق عدة لإقامة الحجة وبيان المحجة، ولا ينبغي أن ننسى بهذا الصدد أنه الوحيد الذي استطاع أن يقنع التلاميذ حتى رحبوا ببولس ووثقوا فيه.

الثالث: وهو من تناقضات الدكتور خليل سعادة أيضا، إذ أقر بأن تصريح كاتب إنجيل برنابا باسم النبي محمد ﷺ في مواضع متكررة من إنجيله، مما يبعد

---

(١) انظر: خليل سعادة (م.ن.) ص"ن".

(٢) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٦٨٩.

وقوع الرجل الفيلسوف الماهر في أمثاله[١]، والله أعلم.

ومن البراهين على بطلان قول من قال إن هذا الإنجيل من وضع المسلمين: أمورأخرى، أكتفي بذكر بعضها فقط خشية الإطالة.

أ ـ أن أسلوب هذا الإنجيل من أوله إلى آخره أقرب إلى أساليب النصارى وأسفارهم المقدسة منها إلى أساليب المسلمين، فأي مسلم يذكر الله ﷻ ولا يثني عليه[٢]؟! أو يذكر الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ولا يصلي أو يسلم عليهم ولو مرة واحدة[٣]؟! ويسمي الملائكة بغير أسمائهم الواردة في الكتاب والسنة[٤]! ويدّعي أن السماوات تسع[٥]!!! ...الخ.

واقرءوا إن شئتم أول جملة من هذا الإنجيل والتي هي: «برنابا حواري عيسى الناصري المدعو المسيح، يودّ لسائر الذين يقطنون على الأرض سلاما وعزاءً»[٦]. وقد علق جون تولند على الجملة قائلا: «إنه مهما يمكن أن يكون في ذلك من الحق فإن هذا هو أسلوب الكتاب المقدس بتمام الدقة»[٧].

---

(١) انظر: خليل سعادة (م.ن.) ص"ن"، وما هي النصرانية لمحمد تقي العثماني ص٢٤٣.

(٢) انظر في هذا الإنجيل على سبيل المثال: ٤٤/ ٣١-٣٢، و٦٩/ ١، و١٧٠/ ١.

(٣) انظر مثلا: ذكر نبينا محمد ﷺ في ٤٤/ ٣٠، وذكر موسى عليه السلام في ٩٦/ ٣، وذكر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في ٢٠٨/ ٧، وذكر إسحاق عليه السلام في ٤٤/ ١، وذكر عيسى عليه السلام في مواضع كثيرة منه.

(٤) حيث جاءت في هذا الإنجيل تسمية الملائكة الأربعة (أعني: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت) هكذا: "جبريل ـ ميخائيل ـ أوريل ـ رافائيل" انظر: ٢١٥/ ٤ و٢١٩/ ٧ و٢٢٠/ ٧-١٠.

(٥) انظر: برنابا ١٧٨/ ٦.

(٦) هذا النص وفق الترجمة العربية للدكتور أحمد غنيم ص٣.

(٧) Toland, John; Nazarenus P.15، نقلا عن: أحمد غنيم ص١٨-١٩.

ب ـ أنه لم يرد ذكر لهذا الإنجيل في كتب مشاهير العلماء والكتّاب المسلمين قديما وحديثا ـ قبل اكتشاف الإنجيل وشيوع أمره ـ ولم يرد حتى في مؤلفات من تفرغ منهم للأبحاث والمجادلات في مجال مقارنة الأديان، مع أن هذا الإنجيل يعتبر من أمضى سلاح لهم في مثل ذلك. بل ولم يرد ذكر لهذا الإنجيل في الفهارس الموضوعة لأسماء الكتب العربية القديمة لا سيما النوادر منها، حتى ما كان من وضع المستشرقين من هذه الفهارس[١].

ج ـ أن اكتشاف هذا الإنجيل إنما تم في بيئة نصرانية محضة كما أسلفت[٢].

د ـ أضف إلى ذلك ما ناله الإنجيل قبل وبعد اكتشافه هناك من عناية فائقة، فكيف لإنجيل كاذب أن يعيش في مكتبة البابا الخاصة، ثم ينحدر بعد ذلك إلى أحد وجهاء أمستردام بهولندا، ويمر بغيرهما كذلك من الأيدي والأوساط النصرانية المختلفة إلى أن يصل إلى الأمير ايوجين دى سافوى وينال تلكم العناية والاهتمام من تجليد وتذهيب... الخ. بل وقد أشار كرامير ـ أول من عثر على الإنجيل في مطلع القرن الثامن عشر كما أسلفت[٣] ـ إلى أن هذا الوجيه الذي وجد عنده الإنجيل بأمستردام كان يعدّه كنزا ثمينا جدا، ويسبغ عليه قيمة كبيرة[٤].

بقيت كلمة لا بد منها، ونحن بصدد إغلاق ملف الحديث عن الأناجيل

---

(١) انظر: محمد رشيد رضا (م.ن.) ص"ت"، وخليل سعادة (م.ن.) ص"ط".

(٢) انظر فيما مضى: مسألة التعريف ببرنابا وبإنجيله.

(٣) انظر فيما مضى: مسألة التعريف ببرنابا وبإنجيله.

(٤) انظر: Toland,John; Nazarenus PP.14,15، نقلا عن: أحمد غنيم ص١٥، وانظر كذلك: خليل سعادة (م.ن.) ص"د".

المرفوضة من قبل الكنيسة النصرانية، ألا وهي أنه ينبغي أن لا يفهم مما تقدم من المناقشات، لا سيما في ما يتصل بإنجيل برنابا، أن الباحث يرى ضرورة صحة هذا الإنجيل، أو أن ما فيه وحي صحيح من الله تعالى، كلاّ. بل إنه لا يهمنا نحن المسلمين في قليل أو كثير أن تثبت صحة هذا الإنجيل المنسوب إلى برنابا، كما أنه لا يهمنا في مجال الاعتقاد أو غيره أن يكون ما بداخل هذا الإنجيل صحيحا أو فاسدا. فإنه كتاب من الكتب لا يقدم شيئا ولا يؤخر بالنسبة لنا، فلدينا كتاب الله الحكيم، المصونُ من الخطأ والتحريف، مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليه.

وإنما كل ما في الأمر أن نوجّه رسالةً إلى الكنيسة مفادها: ضرورة التزام منهج متحد في التعامل مع كافة ما ينسب إلى المسيح ﷺ أو إلى تلاميذه من الكتب، من غير تفريق بين متماثلين، أو انتهاج سياسة الكيل بمكيالين، فما الفرق بين أناجيل متّى ومرقس ولوقا ويوحنا، وإنجيل برنابا؟ غير أن تلك منسوبة لأناس وهذا منسوب لآخر. أما من حيث انقطاع السند والأصالة البشرية لهذه الأناجيل جميعها فلا فرق. والله تعالى أعلم.



الفصل الثالث

رسائل الرسل

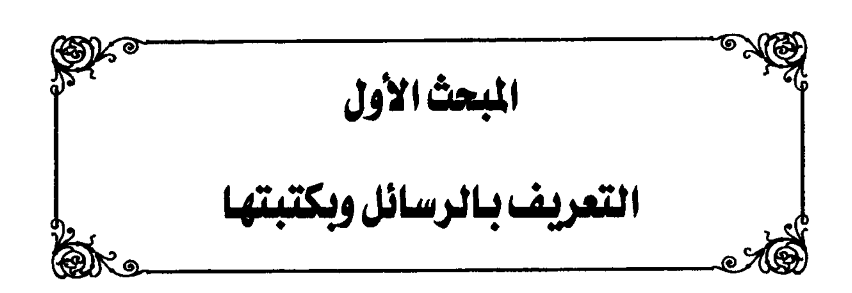
وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالرسائل وبكتبتها.

المبحث الثاني: الرسل في الاصطلاح الكنسي، والفرق بينهم وبين الحواريين.

المبحث الثالث: ارتباط النصارى بالرسائل.

المبحث الرابع: الدراسة النقدية لرسائل الرسل.



المبحث الأول
التعريف بالرسائل وبكتبتها

جاء في قاموس كتاب النصارى المقدس ما نصه: « رسالة ورسائل: أطلق هذا الاسم على واحد وعشرين سفرا في العهد الجديد، كتبها الرسل[1] إلى كنائس معيّنة أو أشخاص معينين أو المسيحيين بصفة عامة »[2]. فيؤخذ من هذا أن الرسائل المقدسة عند النصارى والواردة في العهد الجديد على ثلاثة أقسام:

١ ـ قسم بعث به إلى كنائس معينة.

٢ ـ قسم وجّه إلى أشخاص معينين.

٣ ـ قسم وجِّه إلى عامة النصارى والكنائس.

تندرج تحت القسمين الأولين أربعَ عشرةَ رسالة أو ثلاث عشرة[3]، كلها تنسب إلى بولس، وهي: ـ رسالته الأولى والثانية إلى أهل تسالونيكي[4].

---

(١) يلاحظ ما يناقض هذا التعريف في قاموس ك.م. نفسه، حيث ذكروا في ص١٠٩٢ منه أن كاتب رسالة "يهوذا" ليس رسولا!

(٢) قاموس ك.م. ص٤٠٤.

(٣) وذلك لخلافهم في ثبوت نسبة الرسالة إلى العبرانيين إلى بولس كما سيأتي.

(٤) تسالونيكي: مدينة كانت حاضرة إحدى مقاطعات مقدونية، وتدعى في الوقت الحاضر: =

- ورسالته الأولى والثانية إلى أهل كورنثوس[١].

- ورسالته إلى أهل غلاطية[٢].

- ورسالته إلى أهل رومية[٣]. وتسمى هذه المجموعة بمجموعة رسائله التي كتبها أثناء رحلاته التبشيرية.

ثم تأتي مجموعة رسائله المعروفة برسائل السجن، وهي:

- رسالته إلى أهل أفسس.

- ورسالته إلى أهل فيلبي.

- ورسالته إلى أهل كولوسي[٤].

- ورسالته إلى فيلمون[٥].

= "سالونيك". انظر: قاموس ك.م. ص٢١٧.

(١) مدينة كورنثوس: من المدن الشهيرة قديما في بلاد اليونان، وتبعد عن أثينا بنحو أربعين ميلا من الناحية الغربية. قاموس ك.م. ص٧٩٦.

(٢) غلاطية: ولاية في القسم الأوسط من شبه جزيرة آسيا الصغرى، وقد اشتق اسمها من لقب القبائل الغاليّة التي انتقلت إلى آسيا الصغرى بعد أن تركت موطنها الأصيل في غرب أوروبا. وكانت من أشهر مدن غلاطية: تافيوم، وأنقرا، وبسينوس. قاموس ك.م. ص٦٦٠.

(٣) رومية هي نفسها روما وقد تقدم التعريف بها.

(٤) كولوسي: مدينة في آسيا الصغرى، تقع على نهر ليكوس، وقد اشتهرت بصوفها الناعم، وبلديتها المستقلة تحت الحكم الروماني. ولم يبق منها اليوم سوى خراب، وتوجد في الوقت الحاضر قرية وضيعة تسمى خوني على بعد ثلاثة أميال جنوبي موضع كولوسي هذه. قاموس ك.م. ص٧٩٩

(٥) فيلمون: اسم يوناني معناه: "محب"، وكان فيلمون هذا أحد سكان مدينة كولوسي، وقد اعتنق النصرانية على يد بولس، وبعث بولس بإحدى رسائله إليه. قاموس ك.م. ص٦٩٧.

وأخيرا ما تُعرف من رسائله بالرسائل الرعوية، وهي: ـ

ـ رسالته الأولى والثانية إلى تيموثاوس.

ـ ورسالته إلى تيطس[(١)][(٢)].

وفي القسم الأخير ـ من الأقسام الثلاثة الرئيسة للرسائل ـ رسائل توصف بأنها رسائل عامة أوجامعة أوكاثوليكية، لكونها لم توجّه إلى كنيسة معيّنة، أو إلى شخص أو أشخاص معينين، وإنما إلى جميع الطوائف النصرانية، أو إلى مجموعة كبيرة من الكنائس[(٣)]، وهي:-

ـ رسالة يعقوب[(٤)].

ـ ورسالة بطرس[(٥)] الأولى والثانية.

ـ ورسالة يهوذا[(٦)].

ـ ورسائل يوحنا[(٧)] الأولى والثانية والثالثة.

---

(١) تيطس: ولد من أبوين أمميين، وكان رفيقا أمينا لبولس، وقد وجه بولس إليه إحدى رسائله. قاموس ك.م. ص٢٢٧.

(٢) انظر هذا التقسيم في: فهيم عزيز (م.ن.) ص٣٥١-٣٥٢.

(٣) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص١٧، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٧٠٦.

(٤) هو يعقوب الذي يُزعم أنه من إخوة المسيح ﷺ، ويقال إنه دخل النصرانية بعد رفع المسيح ﷺ، ولايُعرف متى ولا كيف تم ذلك. قاموس ك.م. ص١٠٧٦.

(٥) أي بطرس أحد تلاميذ المسيح ﷺ الاثني عشر.

(٦) هو يهوذا أحد إخوة المسيح ﷺ ـ فيما يزعمون ـ ويُظن أنه كاتب هذه الرسالة المنسوبة إليه. قاموس ك.م. ص١٠٩١.

(٧) أي يوحنا أحد تلاميذ المسيح ﷺ الاثني عشر.

كما تندرج تحت هذا القسم أيضا الرسالة إلى العبرانيين، فهي رسالة عامة على اصطلاحهم هذا، نظرا لعدم تحديد المرسَل إليهم بها بعامل جغرافي، لكنها ليست جامعة على وفق الاصطلاح نفسه لكونها أُرسلت إلى جماعة محددة، وإن كانت غير معروفة بيقين[١].

وتعتبر هذه الرسائل المصدرَ الناطق بالتعاليم النصرانية، تصويرًا للأفكار، وتحديدًا للواجبات والشعائر والطقوس، فلذلك هي بمثابة الأسفار التعليمية في العهد الجديد. إذ إنها تشرح وتوضّح ـ في زعم النصارى ـ حياة المسيح عليه السلام ومواعظه من الناحية العملية التطبيقية، بخلاف الأناجيل التي هي عبارة عن الأسفار التأريخية في العهد الجديد[٢].

هذا، ويلحق بالرسائل في هذه الدراسة سفر أعمال الرسل، الذي هو سجل أعمال كتّاب هذه الرسائل وغيرهم، وكذلك سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي الذي هو عبارة عن حلم وخيال من كاتبه، وذلك لوجود سمة مشتركة بينهما وبين سائر الرسائل في أسلوب توجيهها إلى المرسَل إليهم، فقد افتتح كاتب سفر الأعمال سفره هذا بقوله: «الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلّم به»[٣]، وقال كاتب سفر الرؤيا: «يوحنا إلى السبع الكنائس التي في آسيا، نعمة لكم وسلام...»[٤].

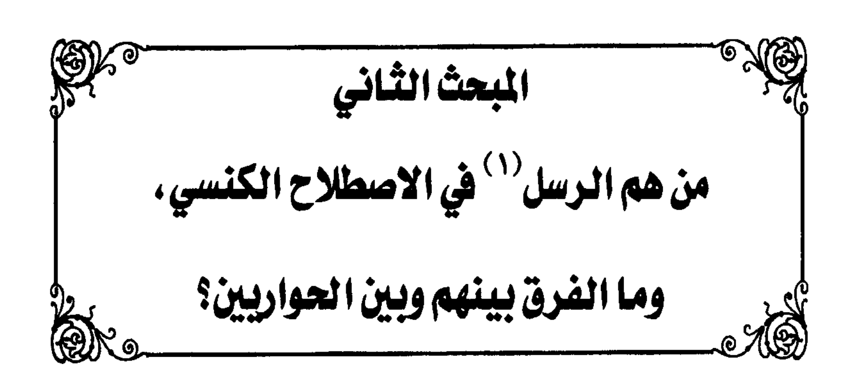
---

(١) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٦٨١.

(٢) انظر: متولي يوسف شلبي (م.ن.) ص٨١.

(٣) الأعمال ١/ ١.

(٤) الرؤيا ١/ ٤.



المبحث الثاني

من هم الرسل[1] في الاصطلاح الكنسي، وما الفرق بينهم وبين الحواريين؟

في الواقع لم أجد تعريفا محددا لمسمى الرسول في اصطلاح النصارى، ولا ضابطا واحدا لإطلاق هذا اللقب على شخص من الأشخاص.

وإذا تتبعنا المواضع التي ورد فيها لفظ الرسول في كتب النصارى لوجدنا أنه قد أطلق عدة إطلاقات وهي كما يلي:-

أ ـ إطلاقه على المسيح عليه السلام نفسه كما جاء في الرسالة إلى العبرانيين: « من ثم أيها الإخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع، حال كونه أمينا للذي أقامه كما كان موسى أيضا في كل بيته »[2].

ب ـ إطلاقه على تلاميذ المسيح الاثني عشر، كما جاء في إنجيل متّى: « وأما

---

(١) أما الرسول في اصطلاح المسلمين فالتعريف المختار أنه: من أوحى الله تعالى إليه بشرع جديد، بخلاف النبي، وهو من بُعث من الله عز وجل لتقرير شرع من قبله. انظر: د/ عمر سليمان الأشقر (م.ن.) ص١٥.

(٢) العبرانيون ٣/ ١-٢.

أسماء الاثني عشر رسولا فهي هذه: الأول سمعان الذي يقال له بطرس، وأندراوس أخوه...»[(١)]. ويُلحِق النصارى بهم في استحقاق هذا اللقب بولس، نظرا لاعتقادهم أنه أيضا قد دعي من المسيح عليه السلام مباشرة بعد رفعه، ومتياس[(٢)] الذي اختير ليقوم مقام التلميذ الخائن: يهوذا بعد هلاكه[(٣)].

ج ـ إطلاقه على التلاميذ الآخرين للمسيح عليه السلام غير الاثني عشر ـ ومنهم برنابا ـ فقد جاء في أعمال الرسل[(٤)]: «فلما سمع الرسولان برنابا وبولس مزقا ثيابهما...». ويُذكر أن عدد هؤلاء الرسل يصل إلى سبعين كما جاء أيضا في موضع آخر من العهد الجديد[(٥)].

د ـ إطلاقه على كل مبشّر بالإنجيل[(٦)].

هـ ـ إطلاقه على أي شخص يُرسل في مهمة خاصة[(٧)].

هذا، والأكثر استعمالا في الأوساط النصرانية اليوم هما الإطلاقان الثاني والثالث مما تقدم.

وأما بالنسبة للفظ "الحواري"، فإنه لم يرد في أسفار النصارى ولا يكاد يذكرونه

---

(١) متّى ١٠/ ٢.

(٢) هذا على القول بأن متياس هذا غير متّى كما قُرر في قاموس ك.م. ص٨٣٥-٨٣٦، وانظر ما تقدم في التعريف بـ متّى مما يعارض هذا القول.

(٣) انظر: قاموس ك.م. ص٤٠٣ مع الأعمال ١/ ١٥-٢٦.

(٤) ١٤/ ١٤.

(٥) انظر: لوقا ١٠/ ١.

(٦) انظر: ٢ ـ كولوسي ٨/ ٢٣، وفيلبي ٢/ ٢٥.

(٧) انظر: ١ ـ صموئيل ١١/ ٧، ويوحنا ١٣/ ١٦.

في مؤلفاتهم، لذا سأقتصر في البحث عن مدلولاته على كتب المسلمين فقط.

ورد ذكر الحواريين في القرآن الكريم خمس مرات، وذلك في قوله ﷻ:

١ ـ ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾[آل عمران:٥٢].

٢ ـ ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ﴾[المائدة:١١١].

٣ ـ ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ ﴾[المائدة:١١٢].

٤و٥ ـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ ﴾[الصف:١٤].

وأما في السنة النبوية الصحيحة فقد وردت أيضا جملة أحاديث جاء فيها ذكر لفظ "الحواري" مفردا، أو "الحواريّون" بالجمع. ومنها ما أخرجاه في الصحيحين من حديث جابر ﷺ **«قال: قال النبي ﷺ: من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب؟ فقال الزبير ﷺ: أنا. ثم قال: من يأتيني بخبر القوم؟ قال: الزبير: أنا، فقال النبي ﷺ: «إن لكل نبي حواريا، وحواريّ الزبير»**[1].

وفي رواية أخرى عن جابر كذلك أن النبي ﷺ ندب الناس ثلاث مرات فانتدب الزبير ﷺ في المرات الثلاث كلها، فقال النبي ﷺ: **«إن لكل نبي حواريا وإن**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الطليعة، رقم الحديث ٢٨٤٦، انظر: الفتح ٦/ ٥٢.

حواريّ الزبير بن العوام»(١).

هذا، وقد حاولتُ تتبع كلام العلماء ـ مفسرين ومحدثين ولغويّين ـ قدر المستطاع، في المراد بالحواري فكان الحصاد ما يلي:-

قال في القاموس: الحواري: «الناصر أو ناصر الأنبياء»(٢)، وفي تهذيب اللغة: «الحواريّون: الأنصار، وقيل الحواري: الناصح، وأصله الشيء الخالص، وكل شيء خلص لونه فهو حواري. فالحواريّون هم الذين أخلصوا ونُقّوا من كل عيب، وكذلك الحوّارَى من الدقيق، سمي به لأنه ينقّى من لباب البر. وقال: أبو عبيد(٣): إن أصل هذا كان بدؤه من الحواريّين أصحاب عيسى... فلما كان عيسى ابن مريم نصره هؤلاء الحواريّون فكانوا أنصاره دون الناس، قيل لكل ناصرٍ نبيّه: حواريّ إذا بالغ في نصرته، تشبيها بأولئك»(٤).

وقال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره لآيتي المائدة: إن الحواريّين: «هم وزراء عيسى على دينه»(٥)، ونقل عن غيره أن الحواريين هم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب هل يبعث الطليعة وحده، رقم الحديث ٢٨٤٧، انظر: الفتح٦/ ٥٣ ـ والنص منه ـ، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما، انظر: صحيح مسلم مع شرح النووي ١٥/ ١٨٨ ـ طبعة المطبعة المصرية ـ.

(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادي ص٤٨٧.

(٣) هو: القاسم بن سلاّم الهروي الأزدي من كبار علماء الحديث والفقه والأدب. ولد عام ١٥٧ وتوفي عام ٢٢٤هـ. ومن مؤلفاته: الغريب المصنف، والأموال. انظر: الأعلام للزركلي ٥/ ١٧٦.

(٤) تهذيب اللغة للأزهري ٥/ ٢٢٨ و٢٢٩.

(٥) تفسير الطبري ٥/ ١٢٩.

«خاصة الأنبياء وصفوتهم»[1]. ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآيتين أيضا وكذلك في آية الصف: «الحواريّون هم أتباع عيسى عليه السلام»[2]، وفي تفسير آية آل عمران قال: «... والصحيح أن الحواري الناصر كما ثبت في الصحيحين»[3]، يعني حديث جابر السالف الذكر. ولامنافاة بين قوليه في تفسير الحواري، إذ لا ممانعة ولا مدافعة بين كونهم أتباع عيسى عليه السلام، و كونهم أنصاره في الوقت ذاته، بل قد يكون الأخير من لوازم الأول. وقيل: إن الحواري هو صادق الحب في السر والعلن، وأن الحواريين هم أصحاب عيسى عليه السلام وهم أول من آمن به[4].

وروى البخاري معلّقا عن سفيان[5] ـ رحمهما الله ـ قوله: «الحواري الناصر». قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «هو موصول عند الحميدي[6] عنه»[7]. كما ذكر (الحافظ) معاني أخرى وردت في تفسير "الحواري"، ومنها: الغسّال، والصالح للخلافة، والوزير، والخالص، والخليل[8].

---

(١) نفسه ٣/ ٢٨٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ١١٦ و٤/ ٣٦٢.

(٣) نفسه ١/ ٣٦٥.

(٤) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للشيخ أبي بكر الجزائري ١/ ٥٧٩ و٤/ ٤٧٥.

(٥) هو ابن عيينة، أبو محمد الكوفي ثم المكي. قال الحافظ: ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أنه تغيّر حفظه بأخرة. توفي سنة ثمان وتسعين بعد المائة. تقريب التهذيب ص٢٤٥.

(٦) هو: عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي الأسدي، أبوبكر. قال الحافظ: ثقة حافظ فقيه، أجلُّ أصحاب ابن عيينة. مات سنة تسع عشرة بعد المائتين، وقيل بعدها. تقريب التهذيب ص٣٠٣.

(٧) فتح الباري ٦/ ١٣٨.

(٨) نفسه ٧/ ٨٠.

وإذا رجعنا إلى جميع الأقوال الواردة في معنى الحواري والحواريين ـ أعني: الأنصار والوزراء والأتباع والأصحاب والصالح للخلافة والخاصة والصفوة وصادق الحب والناصح والخالص والخليل والغسّال ـ نجد أنها متقاربة، ما عدا الأخير وهو تفسير الحواري بالغسال ـ وهو مما حكاه الحافظ ابن حجر في الفتح كما أسلفت ـ، وسيأتي قريبا إن شاء الله ذكر قول من ذهب إلى أن سبب تسمية الحواريين بالاسم هو كونهم غسّالين.

وفي ذلك يقول ابن جرير الطبري رحمه الله: «فإن أهل التأويل اختلفوا في السبب الذي من أجله سمّوا "حواريّين"، فقال بعضهم: لبياض ثيابهم... وقال آخرون: لأنهم كانوا قصّارين [غسّالين] يبيضون الثياب»[(١)]. وبمثله أيضا قال ابن كثير في تفسيره[(٢)]. والتبييض هو عينه التحوير، يقال: حوّرت الثوب إذا بيّضتَه. قاله في تهذيب اللغة[(٣)]. وعلّق البخاري أثرا عن ابن عباس رضي الله عنهما، جاء فيه أن الحواريين سمُّوا بذلك لبياض ثيابهم. قال الحافظ رحمه الله: «وصله ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس به، وزاد: "أنهم كانوا صيّادين"، وإسناده صحيح إليه»[(٤)]. ونقل في تهذيب اللغة عن أبي عبيد رحمه الله قوله: «... وإنما سموا حواريين لأنهم كانوا يغسلون الثياب، يحورونها وهو التبييض، ومنه قيل: امراة حوّارية إذا

---

(١) تفسير الطبري ٣/ ٢٨٥.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٣٦٥.

(٣) انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٥/ ٢٢٨.

(٤) انظر: صحيح البخاري مع الفتح ٧/ ٧٩-٨٠ (كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير بن العوام).

كانت بيضاء»[(١)].

وهناك قول آخر ذكره أيضا في تهذيب اللغة[(٢)]، وهو أن أصل التحوير في اللغة من: حار يحور وهو الرجوع. وتأويله في الناس: الذي قد روجع في اختياره مرة بعد مرة فوُجد نقيّا من العيوب.

ورجّح الطبري رحمه الله القول بأن سبب تسميتهم بهذا الاسم هو بياض ثيابهم، ولكونهم غسّالين، وذلك استنادا إلى أن معنى الحوَر في لغة العرب[(٣)] هو شدة البياض[(٤)].

أما كونهم قد سمّوا بالاسم لأنهم كانوا قصّارين، أي اتّخذوا ذلك حرفة لهم ففيه نظر من حيث إنه لا دليل في ذلك يجب الرجوع إليه، لا سيما وأن ما دُوّن عن هؤلاء الحواريين من التأريخ والسير الشخصية لا يساند هذا القول.

أما بالنسبة لعدد الحواريين، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا اثني عشر رجلا[(٥)]. وفي إشارة إلى ذلك أيضا ذكر قتادة رحمه الله أن الحواريين من الصحابة رضي الله عنهم كلهم من قريش، فذكر اثني عشر اسما: أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وجعفر وأبو عبيدة وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد

---

(١) تهذيب اللغة ٥/ ٢٢٨.

(٢) ٥/ ٢٢٩.

(٣) انظر: القاموس ص٤٨٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٣/ ٢٨٦.

(٥) انظر: تفسير الطبري ١٢/ ٨٦، وتفسير ابن كثير٤/ ٣٦٢.

وطلحة والزبير[1] رضي الله تعالى عنهم وعن سائر أصحاب نبينا محمد ﷺ.

ولا ينبغي أن يفهم من هذا أن أنصار النبي ﷺ وأصحابه هم هؤلاء الاثنا عشر فقط، كما لا يفهم من حديث «**وحواريّ الزبير**» نفي الحوارية عن غيره ﷺ، والله أعلم.

فمن هنا ندخل في موضوع التفريق بين الحواريين الاثني عشر والرسل في الاصطلاح الكنسي على ما سبق إيضاحه، حيث نجد أن هذا الاسم أعني: "الحواريين" ـ في ضوء ما تقدم أيضا ـ لا ينطبق على المسيح عليه السلام نفسه ولا على السبعين رسولا، كما أنه أخص من أن يطلق على كل مبشر بالإنجيل، أو أي شخص يُبعث في مهمة خاصة[2]. فهكذا لم يبق من إطلاقات أو معاني الرسل ـ عند النصارى ـ سوى إطلاقه على تلاميذ المسيح الاثني عشر، وهم: "سمعان (بطرس)، وأندراوس أخوه، ويعقوب ويوحنا ابنا زبدي، وفيلبس، وبرثولماوس، وتوما، ومتّى العشار، ويعقوب بن حلفى، ولبّاوس، وسمعان القانوي، ويهوذا الإسخريوطي"[3].

فهل هم أنفسهم الحواريّون أم غيرهم؟

قال العلامة ابن حزم رحمه الله: «ليَعلم كل مسلم أن هؤلاء الذين يسمونهم النصارى ويزعمون أنهم كانوا حواريين للمسيح عليه السلام، كباطرة [يعني بطرس]، ومتّى الشرطي[4]، ويوحنا، ويعقوب، ويهوذا... **لم يكونوا قط مؤمنين، فكيف**

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١٢/ ٨٦.

(٢) تقدمت هذه الإطلاقات الأربعة قريبًا.

(٣) انظر: متّى ١٠/ ٢-٤.

(٤) في الحقيقة إنما كان عشّارا أو جابيا للضرائب، كما في متّى ٩/ ٩ و١٠/ ٣.

حواريين؟ بل كانوا كذّابين كفّارا... وأما الحواريّون الذين أثنى الله عليهم فأولئك أولياء الله حقا، ندين الله تعالى بمحبتهم، ولا ندري أسماءهم، لأن الله تعالى لم يسمهم لنا. إلا أننا نبتّ ونوقن ونقطع أن باطرة [بطرس] الكذّاب، ومتّى الشرطي، ويوحنا المستخف، ويهوذا ويعقوب النذليْن، ومارقش [يعني مرقس] الفاسق، ولوقا الفاجر، وبولش[1] [يعني بولس] اللعين، ما كانوا قط من الحواريين، لكن من الطائفة التي قال الله تعالى فيها: ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾[2] [3].

وأقول: قد يؤيد ما ذهب إليه العلامة ابن حزم ما ورد في أسفار النصارى المقدسة نفسها من أوصاف العيب والخيانة وعدم الإخلاص لهؤلاء المذكورين، ومن ذلك:

أ ـ أن أحدهم ـ يهوذا الإسخريوطي ـ تآمر على المسيح عليه السلام ليسلّمه لأعدائه مقابل ثلاثين من الفضة[4].

ب ـ تسمية المسيح عليه السلام نفسه كبيرَ هؤلاء المذكورين ـ وهو بطرس ـ بشيطان[5].

ج ـ وإنكاره (بطرس) للمسيح عليه السلام في وقت الشدة كما سبق أن تنبأ المسيح بذلك، حسب ما تذكره الأناجيل[6].

(١) إن لوقا وأستاذه بولس لم يكونا معدودين من التلاميذ الاثني عشر أصلا، وانظر القائمة أعلاه.

(٢) يعني قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾[الصف: ١٤].

(٣) الفصل في الملل... لابن حزم ٢/ ٨٩-٩١.

(٤) انظر: متّى ٢٦/ ١٤-١٦، ومرقس ١٤/ ١٠-١١.

(٥) انظر: متّى ١٦/ ٢٣.

(٦) انظر: متّى ٢٦/ ٣٤-٣٥، و٦٩-٧٥، ومرقس ١٤/ ٦٦-٧٢، ويوحنا ١٨/ ٢٥-٢٧.

د ـ اتّهام المسيح ﷺ إياهم بعدم الإيمان ولو مثل حبة خردل[١].

إلا أننا إذ لا نملك معلومات مستقلة خارجَ أسفار النصارى المقدسة ـ وهي فيها ما فيها ـ عن هؤلاء، فمن الصعب القطع بشيء في حقهم، والله تعالى أعلم.

بقيت مسألة مهمة يستحسن طرحها قبل اختتام الحديث عن الحواريين، ألا وهي: أن تسميتهم أو غيرهم ـ ممن ليسوا برسل الله عليهم الصلاة والسلام ـ بالرسل، كما يفعل النصارى مجانبة للصواب. فإن الرسل هم الذين اصطفاهم الله ﷻ من الخلق وأوحى إليهم بشرائع ليبلغوها إلى الناس. وأما ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ﴾[المائدة:١١١]، فإن الوحي هنا إنما هو بالإلهام أو بواسطة نبيهم عيسى ﷺ. ومن نظائر هذا في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾[النحل:٦٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾[القصص:٧][٢]. إذًا، فكون هؤلاء رسلا من الله تعالى موحى إليهم ممتنعٌ.

أما إن كان قصدهم بالرسولية في حقهم أنهم رسل المسيح ـ عبد الله ورسوله ـ فليس في ذلك مانع شرعي ولا عقلي في حالة ثبوت وصحة ما ذكر عنهم من الإيمان به واتباعه...الخ. غير أن الأولى حتى في هذه الحالة عدم الإطلاق في لفظ

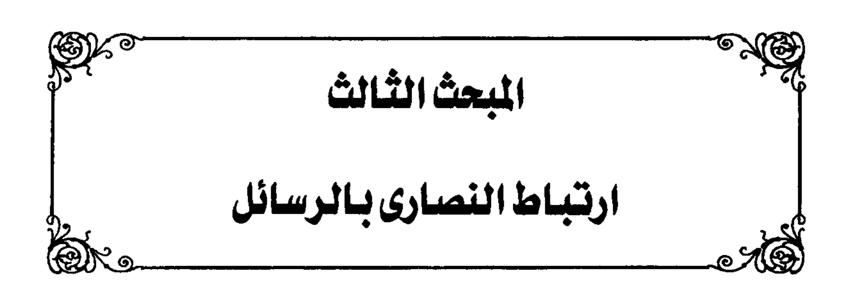
---

(١) انظر: متّى ١٧/ ١٤-٢٠.

(٢) راجع: تفسير ابن كثير ٢/ ١١٥.

"الرسل" بل يُقيّد بالإضافة، فيقال: رسل المسيح، أو رسل عيسى، أو نحو ذلك، والله تعالى أعلم[١].

(١) أما فيما يتعلق بدعوى أن الحواريين رسل المسيح الذي هو الله ـ تعالى الله عن قول النصارى ـ فراجع ما قاله شيخ الإسلام ﷺ في: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/٣٥٧ طبعة مطابع المجد التجارية.



المبحث الثالث
ارتباط النصارى بالرسائل

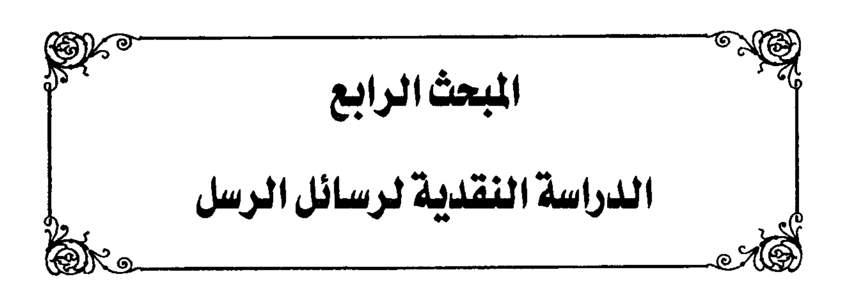
هذه الرسائل ـ كما أسلفت ـ هي الأسفار التعليمية في العهد الجديد، لذا فهي أكثر شرحا وتقريرا للنصرانية الحاضرة وعقائدها من الأناجيل الأربعة كما يتضح ذلك جليا لكل مطّلع على هذه الرسائل.

إلا أن القوم ـ وكما سبق أن ذكرت أيضا في موضوع ارتباطهم بكتب العهد القديم والأناجيل ـ لا تجدهم يتقيدون التقيد التام بتعاليم كتبهم المقدسة ولا يلتزمون بها. فالأمر بالنسبة لهذه الرسائل أيضا لا يختلف، وأضرب مثالا واحدا فقط لبعض ما يهجره النصارى اليوم من تعاليمها:-

جاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس[1]: «لتصمت نساؤكم في الكنائس، لأنه ليس مأذونا لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضا. **ولكن إن كنّ يردن أن يتعلّمن شيئا فليسألن رجالهنّ في البيت، لأنه قبيح بالنساء أن** تتكلم في كنيسة». ومن يعرف حال النصارى والوضع في كنائسهم اليوم يكاد أن ينكر وجود نص كهذا في كتابهم المقدس.

---

(١) ١٤/ ٣٤-٣٥.



المبحث الرابع
الدراسة النقدية لرسائل الرسل

المطلب الأول: رسائل الرسل سندا.

وسوف أتناولها في أربع مجموعات وهي:-

١ ـ سفر أعمال الرسل.

٢ ـ مجموعة الرسائل المنسوبة إلى بولس.

٣ ـ مجموعة الرسائل العامة أو الكاثوليكية.

٤ ـ سفر الرؤيا.

١- سفر أعمال الرسل.

هذا السفر هو الخامس في ترتيب أسفار العهد الجديد، وفيه ثمانية وعشرون إصحاحا، ومن الواضح أن تسميته بهذا الاسم ليست من عمل الكاتب نفسه الذي كانت مهمته هي كتابة رسالة خاصة موجهة إلى شخص يدعى ثاوفيلس، فقال في مستهلها: «الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلّم به...»[1]. وقد اعتبر النصارى الإشارة في هذا النص إلى الإنجيل الثالث المنسوب إلى

(١) الأعمال ١/ ١.

لوقا، وبناء على ذلك جرى التقليد الكنسي على أن كاتب إنجيل لوقا وسفر أعمال الرسل شخص واحد[(١)].

فهذا غاية ما عند القوم في نسبة هذا السفر العظيم ـ في نظرهم ـ إلى مؤلفه. فهل يكفي مثل هذا في إسناد كتاب هو سبب هداية البشرية ونجاتها كما يزعمون؟ فما قولكم في احتمالات أخرى كثيرة؟ من أقربها أن مؤلف هذا السفر إنما قلّد أو حاكا أسلوب الإنجيل الثالث بغرض الترويج لبضاعته هذه، وليس إلاّ!

وعلى أية حال، فإن ثبوت نسبة سفر الأعمال إلى لوقا أو عدمه لا ينبغي الاهتمام به كثيرا، إذا ما تذَكَّرْنا ما سبق إيضاحه من أن لوقا هذا لم يكن قط من تلاميذ يسوع المسيح عليه السلام ولا من تلاميذ تلاميذه![(٢)].

أما بالنسبة لتأريخ كتابة السفر فهو الآخر لا يُعرف عنه سوى أنه كُتب بعد كتابة الإنجيل الثالث (إنجيل لوقا) بفترة وجيزة[(٣)].

٢- الرسائل المنسوبة لبولس.

تشغل الرسائل المنسوبة إلى بولس حيزا كبيرا من العهد الجديد، مثل ما أن أفكاره تطغى على العقائد النصرانية ككل. وقد عبر بعضهم عن أهمية هذه الرسائل بوصفها أنها «تتمة لرسالة المسيح كما يظهر من تكوين العهد الجديد: **أن التنزيل في**

---

(١) انظر: قاموس ك.م. ص٨٧-٨٨، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٢٧٠، والدائرة البريطانية "Macro" ٢/٩٥٦.

(٢) انظر ما تقدم عن التعريف بلوقا وبإنجيله.

(٣) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٢٧٧.

الإنجيل، وعند بولس التفصيل، فرسالة بولس هي الكشف عن سر الإنجيل... وهي أيضا الكشف عن سر المسيح»[١]. والنصارى شأنهم دائما محاولة إضفاء القداسة على أسفارهم ولو أدى ذلك بهم إلى إنكار الواضحات وتنكّر المسلّمات، فمن ذلك نسبتهم هذه الرسائل إلى بولس فكأن ذلك أمر مسلّم وواقعي![٢]. ولنا عليه جوابان، أحدهما إجمالي والآخر تفصيلي.

الجواب أو الرد الإجمالي:

ويتلخص في الآتي:-

أ ـ ما صرّح به القس د/ فهيم عزيز من أن مجموعة رسائل بولس هذه، لم تعرف إلا بعد القرن الأول للميلاد، وأما قبل ذلك فبنص كلامه: «لم تكن في تلك الفترة كتب مقدسة تسمى العهد الجديد»[٣]. وبولس نفسه لم يعش في الثلث الأخير من القرن الأول، حيث إنه قد قُتل عامَ ٦٧ أو ٦٨م[٤]. فعلى فرض أن هذه الرسائل قد كتبت فيما بين سنة ٥٢م و٦٧م كما يدّعي واضعو قاموس كتاب النصارى المقدس[٥]، فهي لم تعرف إذًا، إلا بعد وفاة كاتبها بما يزيد عن ثلث قرن، ولم تُرو عنه

(١) مصادر الوحي الإنجيلي (فلسفة المسيحية) ليوسف دره الحداد ١/ ٢٢.

(٢) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص١٤٦، وقاموس ك.م. ص١٩٨و١٩٩.

(٣) فهيم عزيز (م.ن.) ص١٤٦ و١٤٨، وانظر كذلك: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٨.

(٤) انظر: قاموس ك.م. ص١٩٩ و٤١٧.

(٥) انظر: ص١٩٩ منه، وقريب منه أيضا ما جاء في الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٨، وهو أن رسائل بولس كتبت بين السنة العشرين والسنة الثلاثين بعد الصلب. وهم يقولون إن حادثة الصلب كانت في عام ٣٠م (ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٠٢).

بسند. أما على فرض امتداد تأريخ كتابة بعض هذه الرسائل إلى نحو نهاية القرن الأول للميلاد أو بعده كما يرى آخرون[١]، فإن هذا يعني أنها كُتبت بعد وفاة من تُنسب إليه ـ وهو بولس ـ وفي كلا الأمرين دليل على وجود خلل في نسبة الرسائل إلى كاتبها الحقيقي. ولهذا جاء في دائرة المعارف البريطانية ما نصه: «أما كيف تم جمع ونشر هذه المجموعة البولسية [أي رسائله] فيبقى أمرا غامضا»[٢].

ب ـ قول أوريجانوس ـ وهو من آباء الكنيسة القدماء ـ: «أما ذلك الذي جعل كفؤا لأن يكون خادم عهد جديد لا الحرف بل الروح، أي بولس... فإنه لم يكتب إلى كل الكنائس التي علّمها، ولم يرسل سوى **أسطر قليلة** لتلك التي كتب إليها»[٣]. ويقول المؤرخ الكنسي يوسابيوس: «فبولس مثلا الذي فاقهم جميعا في قوة التعبير وغزارة التفكير لم يكتب **إلا أقصر الرسائل**»[٤].

فبموجب هذين النصين يتعين أحد أمرين، إما أن الرسائل الموجودة حاليا والتي تنسب إلى بولس ليست هي رسائله الأصيلة التي وصفت هنا بأنها أسطر قليلة أو أنها أقصر الرسائل، أو يكون قد وقع فيها ما وقع في غيرها من إضافات وزيادات حتى أصبحت بهذا الحجم الذي نشاهد اليوم[٥]. ويقول فردناند كرستيان بور[٦]

---

(١) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٣٠.

(٢) الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٨.

(٣) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٣١٧.

(٤) نفسه ص١٤٨.

(٥) انظر: النصرانية والإسلام للدكتور سعود عبد العزيز الخلف ص١٤٧.

(٦) "Ferdinand Christian Bour": لم أقف على ترجمته.

عن رسائل بولس هذه: «إنها كلها مدسوسة عليه عدا رسائله إلى أهل غلاطية وكورنثوس وورومية»[١].

الجواب أو الرد التفصيلي:-

أ- رسالته إلى أهل أفسس[٢].

لم تتفق الآراء بشأن كاتب هذه الرسالة، وإن اشتهرت بنسبتها إلى بولس فترةً زمنية طويلة في تأريخ الكنيسة، فمنذ بداية القرن التاسع عشر للميلاد بدأ كثير من الباحثين يشكّون في صحة هذه النسبة، وعلى رأس هؤلاء: دي وايت[٣][٤].

يستند من ينسب الرسالة إلى بولس إلى أنه ورد فيها ما يؤيد هذه النسبة، ومن ذلك التصريح باسم الكاتب، وأنه بولس[٥]، وأنها مليئة بعبارات واصطلاحات وأساليب بولس المستعملة في بقية رسائله، لا سيما طريقته في كتابة المقدمة والشكر، والشروح اللاهوتية، والسلام الختامي والبركة... الخ. وأنه وُجدت كذلك شهادات خارجية على صحة النسبة، ومنها شهادات بعض آباء الكنيسة القدماء، وشهادة بعض

---

(١) ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٠٤.

(٢) الرسالة فيها ستة إصحاحات.

(٣) Wilhelm Martin De Wette: عالم لاهوتي ألماني وصاحب كرسي علم اللاهوت النصراني في جامعة بيرلن عام ١٨١٠م، توفي سنة ١٨٤٩م. Oxford Dictionary of the Christian Church P.398، و The New inter. Dictionary of the Christian Church P.295

(٤) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٤٨٤، و Thompson,G.H.P; The cambridge Bible commentary (Ephesians, Coloss., & Philemon) P.4.

(٥) انظر: أفسس ١/ ١ و٣/ ١.

القوائم مثل قائمة موراثوري، والترجمات[(١)].

وأما المعارضون فقد تصدّوا هم أيضا لتفنيد جميع هذه الحجج، فعلى عكس ما يقول أولئك، يرى هؤلاء أن هناك اختلافا واضحا بين هذه الرسالة وسائر رسائل بولس الأخرى، سواء من حيث الألفاظ والعبارات، أو من حيث الصياغة والأسلوب. فمثلا قالوا: إن الرسالة مملوءة بالحشو الزائد بجمل كقول الكاتب: «حسب رأي مشيئته»[(٢)]، وقوله: «حسب عمل شدة قوته»[(٣)]. وكذلك الجمل الطويلة التي تتخللها جمل اعتراضية، ثم الأسماء المتعددة التي ترتبط بالإضافة أو حروف الجر[(٤)]، وغير ذلك مما لا يتفق مع أسلوب بولس في رسائله الأخرى[(٥)].

وكذا من الناحية اللاهوتية فقد وجد هؤلاء أن ما قرره الكاتب في هذا يختلف عما هو معروف في رسائل بولس الأخرى مثل رسائله إلى أهل رومية وغلاطية وكورنثوس[(٦)]، فمثلا لم يرد ذكر المجيء الثاني للمسيح في رسالة أفسس هذه، كما أن كاتبها ذكر فيها أعمالا، قد نسبها بولس في رسائله الأخرى إلى الله تعالى، فنسبها هو إلى المسيح عليه السلام! كاختيار الرسل والأنبياء[(٧)]، وغيره[(٨)].

---

(١) فهيم عزيز (م.ن.) ص٤٨٧-٤٨٨.

(٢) أفسس ١/ ١١.

(٣) أفسس ١/ ١٩.

(٤) انظر: أفسس ٢/ ١٤و١٥ و٤/ ١٣.

(٥) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٤٨٥، وThompson,G.H.P; (op.cit.) P.6-8.

(٦) أي الرسائل التي لا خلاف في نسبتها إلى بولس.

(٧) انظر: ١ ـ كورنثوس ١٢/ ٢٨ مع أفسس٤/ ١١.

(٨) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٤٨٦، و Thompson, G.H.P; (Op.cit.) P 13.

أما عن شهادات القوائم والترجمات فقد تقدم معنا في البحث ما يُضعف الاحتجاج بها[١].

وأما بالنسبة لورود ذكر اسم بولس في الرسالة على أنه كاتبها، فلا غرابة فيه إذ إن الكاتب ـ كما تصفه دائرة المعارف البريطانية ـ استمر في استعمال اللغات والأساليب البولسية في رسالته هذه حتى **«جعلها بولسيةً أكثر من بولس نفسه»**[٢].

ومما حمل النقاد على الجزم بأن رسالة أفسس لم يكتبها بولس وإنما كتبها أحد أتباعه في وقت متأخر[٣]: ما ورد فيها من نصوص هي أنسب لأحداث ما بعد بولس منها إلى الأحداث في حياة بولس. فعلى سبيل المثال قول الكاتب: «... الذي في أجيال أخر لم يُعرّف به بنو البشر كما قد أعلن الآن لرسله [يعني المسيح] القديسين وأنبيائه بالروح»[٤]. فهذا بالتأكيد كان في زمن متأخر عن الزمن الذي عاش فيه بولس نفسه، إذ جاء فيه ما يفهِم أن العهد الرسولي قد مضى. والتأريخ الممكن تخمينه لمثل هذا التصريح هو بداية القرن الثاني للميلاد لا قبله[٥].

ومن الأمثلة أيضا ما جاء فيها من أن الأمميين شركاء لليهود في الميراث[٦]،

---

(١) انظر: ص٤٥٧-٤٥٩.

(٢) انظر: الدائرة البريطانية "Macro"٢/ ٩٦٣.

(٣) نفسه ٢/ ٩٥٨، و Thompson,G.H.P; (Op.cit.) P.4.

(٤) أفسس ٣/ ٥.

(٥) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٦٣، وThompson,G.H.P;(Op.cit.) P. 14 بتصرف

(٦) انظر: أفسس٣/ ٦.

وكذلك اتحاد الجميع في المسيح[١] ...الخ، وكله إنما يعكس تفكيرا متأخرا عن عهد بولس نفسه، حيث أصبحت الكنيسة جامعة عالمية فيها اليهود والأمميون قد اتحدوا معا، بل تفوّق فيها العنصر الأممي. وهذا لم يكن قطعا إلا بعد عام ٧٠م[٢].

بقيت مشكلة أخرى لهذه الرسالة تجدر الإشارة لها، وهي تتعلق بمن كُتبت لهم الرسالة. وذلك لأنها في أحسن مخطوطات كتاب النصارى المقدس وأقدمها ـ كالفاتيكانية والسينائية وغيرهما ـ لا تشتمل على العنوان المعروف اليوم أعني: "رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس"، كما أن الفقرة الأولى من الرسالة نفسها كانت مكتوبة في هذه المخطوطات كما يلي: « بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله إلى القديسين والمؤمنين في المسيح يسوع »[٣]، أي مختلفة عما هي عليه اليوم: « ... إلى القديسين الذين في أفسس، والمؤمنين في المسيح يسوع »[٤].

كما أن الرسالة تخلو من أي عبارة توحي بوجود صلة أو علاقة شخصية بين الكاتب والمكتوب إليهم، بل توجد فيها إشارات واضحة إلى أن الكاتب لا يعرف المكتوب إليهم عن كثب، وإنما سمع عنهم وعن إيمانهم بالمسيح فقط[٥]، ولا يَعرف مقدار ما وصلهم من تعاليمه ولا كيف وصلهم[٦]. وهذا ما لا يمكن تصوره في

---

(١) انظر: أفسس، الإصحاح الرابع كله.

(٢) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٦٣، وThompson,G.H.P;(Op.cit.) P. 15، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٤٨٧.

(٣) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٦٣، وقاموس ك.م. ص٩٣، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٤٨٩.

(٤) أفسس ١/ ١.

(٥) انظر: أفسس ١/ ١٥.

(٦) انظر: أفسس٣/ ٢ و٤/ ٢١.

حق بولس الذي سبق أن قضى في أفسس مُبشِّرا نحو ثلاث سنوات[١].

وقد أجاب مدّعو نسبة الرسالة إلى بولس عن هذا بعدة أجوبة، أقواها ـ عندهم ـ أن رسالة أفسس هذه عبارة عن منشور عام كتبه بولس لجميع الكنائس في آسيا، وقد ترك فيها فراغا للمِلء اسم كل كنيسة تأخذ نسختها منها، ولما كانت كنيسة أفسس هي الكنيسة الرئيسة هناك جرى التقليد على اعتبار الرسالة مرسلة إليها خاصة[٢].

ب. رسالته إلى أهل فيلبي[٣].

هذه الرسالة عند أكثر علماء النصارى صحيحة النسبة إلى بولس[٤]، ويرى فريق آخر منهم أن الرسالة كما هي اليوم ليست من كتابة بولس نفسه، وإنما هي عبارة عن مجموع مراسلات بولس لكنيسة فيلبي التي كان قد أنشأها، وأنه لا أدل على هذا مما نشاهده الآن من عدم التجانس بين بعض أجزاء هذه الرسالة، مثل ما وقع بين الإصحاحين الثاني والثالث منها، حيث تأتي في الأخير مجادلات حادّة غير متوقعة بعد الأول الذي ساده الهدوء التام نسبيا[٥].

ولعل مما يُعد كذلك من شواهد عدم التجانس في رسالة فيلبي هذه، ما ورد في افتتاحها أنها من كل من بولس ورفيقه تيموثاوس: «بولس وتيموثاوس عبدا

---

(١) انظر: قاموس ك.م. ص١٩٩.

(٢) نفسه ص٩٣، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٤٩١-٤٩٢.

(٣) وفيها أربعة إصحاحات.

(٤) انظر: الدائرة البريطانية "Macro"١٣/ ١٠٩٠.

(٥) نفسه ٢/ ٩٦٤.

يسوع المسيح إلى جميع القديسين في المسيح يسوع الذين في فيلبي مع أساقفة[١] وشمامسةٍ[٢] »[٣]، وما جاء في قاموس كتاب النصارى المقدس[٤]: « الفيلبيون سكان مدينة فيلبي، كتب إليهم بولس الرسالة مشاركا فيها معه تيموثاوس ». مع ما ورد في الإصحاح الثاني من هذه الرسالة نفسها: « على أني أرجو في الرب يسوع أن أرسل إليكم سريعا تيموثاوس، لكي تطيب نفسي إذا عرفتُ أحوالكم »[٥].

ج- رسالته إلى أهل كولوسي[٦].

هذه الرسالة تتفق مع الرسالة إلى أهل أفسس في نقاط عدة، حيث توجد حوالي ٢٥٪ من محتويات رسالة أفسس فيها، كما أن رسالة أفسس تشتمل على نحو ٣٣٪ مما تتضمنه هذه الرسالة. حتى إن بعضهم يرى أن كاتب رسالة أفسس - من أتباع بولس كما تقدم قريباً - إنما اعتمد على رسالة كولوسي هذه[٧].

---

(١) الأساقفة جمع أسقف وهو مقتبس من كلمة يونانية "ابسكوبوس" وتعني: "مشرف". والأساقفة في اصطلاح العهد الجديد هم شيوخ الكنيسة ورعاتها، وأما في اصطلاح الكنيسة المعاصر فالأسقفية رتبة في الكنيسة النصرانية فوق رتبة القسيس ودون رتبة المطران. انظر: القاموس ص١٠٥٩، وقاموس ك.م. ص٧٢-٧٣.

(٢) الشمامسة جمع شمّاس، وهم خدّام الكنيسة والديانة النصرانية بالوعظ ونحوه. قاموس ك.م. ص٥١٩-٥٢٠.

(٣) فيلبي ١/١.

(٤) ص٧٠٣.

(٥) فيلبي ٢/١٩.

(٦) وفيها أربعة إصحاحات.

(٧) انظر: الدائرة البريطانية "Macro"٢/ ٩٦٤، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٤٦٩-٤٧١.

وهذا القول يتضمن بطبيعة الحال القول بصحة نسبة رسالة كولوسي إلى بولس، وهو رأي أكثر علماء النصارى كما تقول دائرة المعارف البريطانية[(١)]. في حين يتمسك فريق آخر منهم بالرأي القائل بأن هذه الرسالة ـ مثل شقيقتها: رسالة أفسس ـ إنما كتبها أحد أتباع بولس بعد وفاته! لذا فهي الأخرى تعكس حالة في الكنيسة متأخرة عن وقت بولس نفسه[(٢)]. كما أنها تتضمن بعض الأساليب والتصويرات التي لا تتفق مع ما جاء في رسائل بولس الأخرى، لا سيما الموثوقة منها، ومن ذلك: الجمل الطويلة العريضة من غير تنفس تقريبا[(٣)]، وكذلك ما جاء فيها من وصف المسيح بأنه رأس الجسد أو الكنيسة[(٤)]، على عكس ما عُرف عن بولس من نظرية تساوي أعضاء هذا الجسد (الكنيسة)، مع اختلاف في الوظائف والمسئوليات فقط لا غير[(٥)(٦)].

د ـ رسالته الأولى[(٧)] والثانية[(٨)] إلى أهل تسالونيكي.

تعتبر الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي أقدم أسفار العهد الجديد على

---

(١) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ١٣/ ١٠٩٠.

(٢) نفسه ٢/ ٩٥٨ و٩٦٤، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٤٧١، وThompson, G.H.P; (p.cit.) P. 104.

(٣) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٦٥.

(٤) انظر: كولوسي ١/ ١٨.

(٥) انظر: رومية ١٢/ ٤-٨، و١ ـ كورنثوس١٢/ ٤ فما بعدها.

(٦) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٦٥ بتصرف.

(٧) فيها خمسة إصحاحات.

(٨) فيها ثلاثة إصحاحات.

الإطلاق، فقد كتبت في نحو سنة ٥٠م[١]، إلا على أحد القولين في رسالة يعقوب، وهوأنها كتبت في عام ٤٥م فتكون هي الأقدم[٢]، والقول الآخر أنها (رسالة يعقوب) إنما كتبت في حوالي سنة٩٥م[٣]. وعلى أية حال فإن غالبية علماء النصارى يرون صحة نسبة رسالة تسالونيكي الأولى هذه إلى بولس[٤].

أما بالنسبة للرسالة الثانية، ففي نظر الكثير من النقاد أنها مزورة النسبة، فكاتبها ـ على ما يبدو ـ وقف على بعض التراث البولسي لا سيما رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي فحاول محاكاتها في الأسلوب، وأضاف شروحا من عنده عليها مما جعل مكتوبه هذا يعكس حالة زمن متأخر عن بولس نفسه[٥]. وقد أكّد غير واحد من علماء القوم أن الرسالة الثانية هذه جاءت توضيحا وشرحا للأولى[٦]، والله أعلم.

هـ- الرسائل الرعوية الثلاث:

رسالة الأولى[٧] والثانية[٨] إلى تيموثاوس، ورسالته إلى تيطس[٩].

تصل الآراء حول كاتب هذه الرسائل إلى ثلاثة، الأول أن نسبتها إلى بولس

---

(١) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٨، والمسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٣٠.

(٢) انظر: قاموس ك.م. ص٤٠٤.

(٣) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٣٠.

(٤) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ١٣/ ١٠٩٠.

(٥) نفسه ٢/ ٩٥٨و٩٦٦.

(٦) انظر: قاموس ك.م. ص٢١٨.

(٧) فيها ستة إصحاحات.

(٨) فيها أربعة إصحاحات.

(٩) فيها ثلاثة إصحاحات.

نسبة صحيحة[١]، والثاني أنها نسبة مكذوبة مزورة ولا توجد أي علاقة بين هذه الرسائل وبولس[٢]، والأخير أن هذه الرسائل تحوي أجزاءً من خطابات بولس حقيقيةً[٣]، وأما وضعها مجموعة ثم الإضافة إليها وصياغتها كما هي الآن، فقد كان كل ذلك من عمل بعض أتباع بولس أو المعجَبين به في زمن متأخر عنه[٤].

فالرأي الأول هو الرأي الكنسي التقليدي، والعمود الفقري له هو ما يروونه ـ بلا إسناد ـ عن بعض آباء الكنيسة من نسبة هذه الرسائل إلى بولس أو الاقتباس منها[٥]. غير أن هذه وإن اعتبرت شهادات لصحة النسبة إلا أنها تُقَابَل بشهادات أخرى كنسية تنكر ثبوت هذه النسبة[٦].

وأما القائلون بعدم ثبوت نسبتها إلى بولس فلهم أيضا عدة أسباب وعوامل أوصلتهم إلى هذا الحكم، ومن أهمها:-

١ ـ عدم وجود هذه الرسائل في بردية تشستر بيتي "Chaster Beaty P46"، وهي مخطوط يرجع إلى أوائل القرن الثالث للميلاد. بل إنه لم توجد أية شهادة كنسية واضحة بشأن هذه الرسائل إلا بعد نهاية القرن الثاني للميلاد[٧].

---

(١) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٥٢٤.

(٢) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٨.

(٣) وقالوا منها: تيطس ٣/ ١٢-١٥، ٢ ـ تيموثاوس١/ ١٦-١٨ و٣/ ١٠-١١ و٤/ ١-٢. انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٥٣٢ بتصرف.

(٤) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ١٣/ ١٠٩٠، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٥٣١-٥٣٢.

(٥) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٥٢٤.

(٦) نفسه ص٥٢٥.

(٧) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٦٦، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٥٢٥.

٢ ـ لوحظ عدد من الاختلافات بين هذه الرسائل وبين رسائل بولس السليمة من النزاع في نسبتها إليه، سواء في الأسلوب أو في المفردات اللغوية أو المصطلحات الدينية، أو ما تذكرها من نوعية التنظيم الكنسي، والبدع التي تحاربها، أو المسائل العقدية التي تتناولها...الخ[١].

٣ ـ كما أنه توجد اختلافات بين ما تذكره هذه الرسائل من السير الشخصية لحياة بولس ورحلاته، وبين ما في رسائله الأخرى وكذلك ما جاء في سفر أعمال الرسل[٢].

ويجب القول هنا بأنه ليس كل هذه الاعتراضات يُسلَّم بها، وهناك أجوبة يذكرها المخالفون أيضا لايسع المجال لسردها هنا[٣]. كما أنبه إلى أن الكاتب النصراني المعاصر القس الدكتور فهيم عزيز قد تناقض، إذ زعم في كتابه: المدخل إلى العهد الجديد[٤] أننا « لو اعتمدنا على الرسائل [أي الرسائل الرعوية الثلاث] نفسها لما كان هناك شك في أن الرسول بولس هو الذي كتبها إلى تلميذيه: تيموثاوس

(١) راجع: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٦٦، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٥٢٥-٥٣١.

(٢) قارن مثلا بين: ١ ـ تيموثاوس١/ ٣-٤ والأعمال١٩/ ٢١و٢٢ و٢٠/ ١، من حيث خلافة تيموثاوس لبولس في أفسس، أم خروجه منها إلى مكدونية حتى قبل بولس؟ وبين تيطس ١/ ٥ والأعمال ٢٧/ ٧-٢١، من حيث طبيعة زيارة بولس لكريت وطولها أم قصرها؟ وبين تيطس٣/ ١٢ والأعمال٢٧/ ٤٤-٢٨/ ١، من حيث المكان الذي قضى فيه بولس الشتاء بعد هذه الرحلة أهو مالطة أم نيكابوليس؟ وراجع: فهيم عزيز (م.ن.) ص٥٣٣-٥٣٤، والدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٦٦.

(٣) راجع: فهيم عزيز (م.ن.) ص٥٢٦، ٥٢٨-٥٣١، و٥٣٥-٥٣٦.

(٤) ص٥٢٣.

وتيطس »، علما بأن الدكتور نفسه في تناوله الجيّد حقا لهذا الموضوع قد صرّح في أكثر من موضع بنقيض هذا الزعم، وأكتفي بذكر إحدى عباراته بهذا الصدد وهي قوله: « على كل حال لا يستطيع إنسان أن ينكر الاختلاف الواضح بين أسلوب كتابة هذه الرسائل وغيرها من رسائل الرسول بولس »(١)!

و- رسالته إلى فليمون.

فهذه أقصر الرسائل المنسوبة لبولس، إذ فيها إصحاح واحد فقط وعدد فقراته خمس وعشرون. كما أنها تحمل الطابع الشخصي أكثر من غيرها من تلكم الرسائل. ولعل هذا السبب جعلها لا تثير مشكلة كبيرة فيما يتصل بنسبتها إلى بولس، إلا أن نسبتها إليه ليست محل اتفاق بين النصارى على كل حال(٢).

ز- الرسالة إلى العبرانيين(٣).

تعتبر الرسالة إلى العبرانيين من بين الرسائل الأربع عشرة المنسوبة لبولس الأكثر إثارة للأسئلة، لا سيما فيما يتعلق بكاتبها الحقيقيي، حيث لم تستطع الكنيسة أن تتفق على شيء في ذلك إلى يومنا هذا. فهذا سر العنوان الغريب والفريد الذي تحمله أعني: "الرسالة إلى العبرانيين" من غير نسبة(٤)، حتى اشتهر عن أوريجانوس أنه كان

---

(١) فهيم عزيز (م.ن.) ص٥٢٦.

(٢) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ١٣/ ١٠٩٠، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٥٠٢.

(٣) فيها ثلاثة عشر إصحاحا.

(٤) ويذكر يوسابيوس في تأريخه تعليلا لذلك، مفاده: أن اسم بولس لم يوضع في مقدمة الرسالة لأن المرسل إليهم بها كانوا وقتئذ متشككين فيه، فلم يُرِد تنفيرهم. انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٣٠٣.

يقول: « أما من كتبَ الرسالة إلى العبرانيين يقينا، فالله وحده يعلم ذلك »[١].

والخلاف في كاتب هذه الرسالة خلاف قديم جدا، وكان أول إقرار بنسبتها إلى بولس قد جاء من الكنيسة الشرقية القديمة[٢]، فهذا كلمنت الإسكندري: من رؤسائها في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث للميلاد يقرر أن الرسالة من تأليف بولس، وأنه كتبها بالعبرانية للعبرانيين، ثم قام لوقا ـ صاحب الإنجيل ـ بترجمتها إلى اليونانية[٣]. إلا أن هذا القول مجرد زعم بلا دليل يذكر[٤]، كما أنه لا يعكس وجهة نظر جميع آباء الكنيسة الإسكندرية، وإن حاول بعض الكتاب إيهام ذلك[٥]. فهذا أوريجانوس ـ خليفة كلمنت في رئاسة المدرسة الإسكندرية اللاهوتية ـ يقول: « إن كل من يستطيع تمييز الفرق بين الألفاظ اللغوية يُدرك أن أسلوب الرسالة إلى العبرانيين ليس عاميا كلغة الرسول [بولس] الذي اعترف عن نفسه بأنه عامي في الكلام، أي في التعبير[٦]، بل تعبيراتها يونانية أكثر دقة وفصاحة... بل لا بد أن يعترف كل من يفحص النص الرسولي بدقة أن أفكار الرسالة عجيبة وليست دون

---

(١) الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٦٧، ويوسابيوي القيصري (م.ن.) ص٣١٩، وقاموس ك.م. ص٥٩٩.

(٢) الكنيسة الشرقية: يطلق هذا الاسم على الكنائس الأرثوذكسية عامة في مقابل الكنيسة الغربية الكاثوليكية، أما وصفها بالقدم فلكونها انقسمت بعد ذلك كما سيأتي.

(٣) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٣٠٢-٣٠٣، والدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٦٧.

(٤) انظر: قاموس ك.م. ص٥٩٩.

(٥) ومن ذلك ما أشار إليه د/ فهيم عزيز من أن القول بنسبة الرسالة إلى بولس قول علماء المدرسة الإسكندرية اللاهوتية. انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٦٨٣.

(٦) انظر: ٢ ـ كورنثوس١١/ ٦.

الكتابات الرسولية المعترف بها»[1]. ويقول أيضا: «وإن سُمح لي بإبداء رأيي قلتُ: إن الأفكار هي أفكار الرسول، أما الأسلوب والتعبيرات فهي لشخص تذكّر تعاليم الرسول، ودوّن ما قاله معلّمه عند ما سنحت له الفرصة»[2].

وأما الكنيسة الغربية[3] فقد تباطئت في قبولها أو اعتبارها الرسالةَ الرابعة عشرة لبولس، حيث لم تقبلها إلا في القرن الرابع للميلاد في عام ٣٦٧م، أي بعد انعقاد المجمع المسكوني الأول باثنتين وأربعين سنة[4].

أما في الوقت الراهن فإن الغالبية العظمى من علماء النصارى ينفون نسبة هذه الرسالة إلى بولس[5][6]. وهناك أشخاص آخرون يُعتقد أن نسبتها إلى أحدهم أنسب وأولى، ومن هؤلاء: برنابا صاحب الإنجيل، وأبلّوس[7]، ولوقا صاحب الإنجيل، واكلمندس أسقف روما[8]، وسيلا[9]،

(١) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٣١٨.

(٢) نفسه ص٣١٨-٣١٩، والدائرة البريطانية "Macro"٢/ ٩٦٧.

(٣) أي الاسم الذي كان يطلق على الكنيسة الكاثوليكية قبل انشقاق البروتستانتيين عنها.

(٤) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٥٨ و٩٦٧، وقاموس ك.م. ص٥٩٩.

(٥) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٦٨٨.

(٦) وراجع حجج الفريقين في إثبات النسبة ونفيها في: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٦٧، وقاموس ك.م. ص٥٩٩، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٦٨٣-٦٨٨.

(٧) أبلّوس: رجل يهودي متنصر من أهل الإسكندرية. انظر: سفر الأعمال١٨/ ٢٤ وقاموس ك.م. ص١٥.

(٨) اكلمندس أو كلمنت "Clement": أسقف أو بابا روما من عام ٨٨م حتى عام ٩٧م. الدائرة البريطانية ٥/ ٨٩٧، والدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦.

(٩)سيلا: رفيق بولس، كان مواطنا رومانيا ومن أعضاء كنيسة أورشليم آنذاك. قاموس ك.م. ص٤٩٦.

وبريسكلا[(١)(٢)]، على أن يكون التأريخ المحتمل لكتابتها هو ما بين سنة٨٠م وسنة٩٠م[(٣)]، وقيل في حوالي سنة٩٥م[(٤)].

أما كيف اشتهرت الرسالة أصلا بالانتساب إلى بولس، فيعتبر واضعو قاموس كتاب النصارى المقدس ذلك انتصارا لنظرية الكنيسة الشرقية مع افتقارها إلى الإثبات العلمي[(٥)]، ولعل أقوى ما يفيد عدم صحة نظريتها هذه: ما جاء في الإصحاح الثاني من الرسالة نفسها: «فكيف ننجوا نحن إن أهملنا خلاصا هذا مقداره، قد ابتدأ الرب بالتكلم به ثم تثَبَّتَ لنا من الذين سمعوا»[(٦)]. ففي هذا دليل واضح على أن الكاتب من نصارى الجيل الثاني الذين أخذوا الإنجيل أو البشارة من الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدّاما للكلمة ـ حسب تعبير لوقا[(٧)]. وهذا لا ينطبق على بولس الذي قد عُرف عنه أنه لو تنازل عن كل شيء فلن يتنازل أبدا عن الإعلان عن نفسه أنه إنما أخذ إنجيله من المسيح مباشرة ودون أي وساطة بشرية[(٨)]، وهذا نص كلامه في ذلك: «وأُعرّفكم أيها الإخوة الإنجيل

---

(١) بريسكلا: زوجة أكيلا، رجل يهودي متنصر، وقد كانت هي وزوجها من رفقاء بولس في بعض رحلاته. انظر: سفر الأعمال ١٨/ ٢و١٨و٢٦، وقاموس ك.م. ص١٧٢.

(٢) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٦٧-٩٦٨، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٦٨٨-٦٨٩.

(٣) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٦٨.

(٤) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٣٠.

(٥) انظر: قاموس ك.م. ص٥٩٩.

(٦) العبرانيون ٢/ ٣.

(٧) انظر: لوقا ١/ ٢.

(٨) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٦٨٨، وقاموس ك.م. ص٥٩٩ بتصرف.

الذي بشّرتُ به أنه ليس بحسب إنسان، لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلّمته، بل بإعلان يسوع المسيح»[١].

هذا، وتعتبر مجموعة رسائل بولس التي قيل إنه كتبها أثناء رحلاته التبشيرية هي فقط السليمة من بين الرسائل المنسوبة إليه، أعني من حيث نسبتها إلى بولس. وهي: **رسالته إلى أهل رومية، ورسالتاه إلى أهل كورنثوس، و رسالته إلى أهل غلاطية اتفاقا، ورسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي عند الأكثرية**[٢] بخلاف الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي، والله أعلم.

٣- الرسائل الكاثوليكية (العامة).

أ- رسالة يعقوب[٣].

تلقت هذه الرسالة انتقادا واسعا في بعض الأوساط النصرانية، وذلك لما يلاحظ فيها من معارضة بعض التعاليم البولسية، لا سيما فيما يتعلق بقضية التبرير وتحقق النجاة بالإيمان دون العمل كما يقررها بولس[٤]، كما أن الرسالة ليست فيها إشارة إلى آلام يسوع وقيامته[٥].

لقد تأخرت الكنيسة كثيرا وترددت في قبولها هذه الرسالة والاعتراف

---

(١) غلاطية ١/ ١١-١٢.

(٢) كما قد تقدم في البحث، وانظر كذلك: Thompson, G.H.P; (Op.cit.) P.6-7.

(٣) فيها خمسة إصحاحات.

(٤) انظر: غلاطية، الإصحاح الثالث بأكمله، وقارنه مثلا بما جاء في رسالة يعقوب ١/ ١٠ و١٤-٢٦.

(٥) انظر: قاموس ك.م. ص١٠٧٧.

بها[١]، وضمّها يوسابيوس في تأريخه إلى قائمة الأسفار المتنازع عليها[٢]. ولا يُعرف بالتحديد متى تم قبولها، إلا أنهم يذكرون أن أول من قبلها واعتبرها هو أوريجانوس المصري في القرن الثالث للميلاد، وإن أبدى هو أيضا شكوكا في بعض اقتباساته من الرسالة[٣].

هذا، ويمكن إرجاع سبب هذا التردد والشك إلى حقيقة مهمة، وهي أن الرسالة وإن صرّح كاتبها في بدايتها باسمه: "يعقوب" إلا أن رجال الكنيسة عجزوا عن القطع في تحديد الشخصية التي تحمل هذا الاسم، وكان لها شرف ـ أو وزر ـ كتابة هذا السفر. وذلك أيضا راجع إلى حقيقة تأريخية لا تقل أهمية، ألا وهي أن هذا الاسم كان شائعا جدا في العصور الأولى للنصرانية، وكان عدد من الشخصيات ـ كلٌّ لها وزنها ـ قد عُرفت بهذا الاسم أيضا[٤]. وإليكم أشهرَ الأقوال في تعيين كاتب رسالة يعقوب هذه:-

القول الأول: أن الكاتب هو: يعقوب بن حلفى[٥]، أخو متّى الحواري الذي ينسب إليه الإنجيل الأول[٦].

---

(١) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٣/ ٥٧٨، والدائرة الأمريكية ٢١/ ٦٥٨، ورحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٥٨و١٦٢.

(٢) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١٥٢.

(٣) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٧١٠.

(٤) راجع: قاموس ك.م. ص١٠٧٥-١٠٧٧.

(٥) أي أحد الاثني عشر تلميذا، وكان يعرف بيعقوب الصغير. انظر: قاموس ك.م. ص١٠٧٥-١٠٧٦.

(٦) انظر: تأريخ الأقباط لزكي شنودة ١/ ٧٧، نقلا عن: نصرانية عيسى ونصرانية بولس لعلي عتيق الحربي (م.ن.) ص١٦.

القول الثاني: أن الكاتب هو: يعقوب بن زبدي[١]، أخو يوحنا الحواري الذي ينسب إليه الإنجيل الرابع[٢].

القول الثالث: أن الكاتب هو: يعقوب، أحد إخوة المسيح[٣]، أو إخوة الرب[٤] كما يقولون.

القول الرابع: وهو متفرع عن الثالث: أن الكاتب هو أحد تلاميذ يعقوب أخي الرب، ثم نسبه إلى أستاذه: يعقوب الذي يعتبر صاحب المادة العلمية التي استمدّت منها الرسالة[٥].

ومن بين هؤلاء الثلاثة المذكورين نجد أن أشهرهم وأكثرهم تأثيرا في التأريخ الكنسي هو يعقوب المسمى أخا الرب، الذي كان أول رئيس لكنيسة أورشليم، ورئيس المجمع الرسولي الأول فيها[٦]. لذا يبدو أنه أوفر المرشَّحين حظّا، ـ أعني في تحديد شخصية يعقوب الذي تحمل الرسالة اسمه ـ وذلك لأن بساطة العنوان في ذكر الاسم "يعقوب" دون أي لقب أو نسبة، لها دلالتها القوية على أن المعني كان شخصا معروفا ومشهورا في الأوساط النصرانية. بخلاف يعقوب بن حلفى التي

(١) وهو كذلك من التلاميذ الاثني عشر، وكان يعرف بيعقوب الكبير. انظر: قاموس ك.م. ص١٠٧٥.

(٢) انظر: محاضرات أبي زهرة ص٦٤، ومتولي يوسف شلبي (م.ن.) ص٨٤.

(٣) انظر: قاموس ك.م. ص١٠٧٦، ومحمد تقي العثماني (م.ن.) ص٢١٣.

(٤) تقدم الحديث عن هذه المسألة (إخوة الرب!) ضمن مشكلات الأناجيل الرئيسة، وانظر كذلك: قاموس ك.م. ص١٠٧٦.

(٥) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٧١٦.

(٦) انظر: الأعمال ١٥/ ٦-٢٢، وقاموس ك.م. ص١٠٧٦، ومحمد تقي العثماني (م.ن.) ص٢١١.

تثبت المصادر عدم معرفة الكثير من سيرته[١]، كما أن يعقوب الآخر ـ أعني ابن زبدي ـ لا يمكن أن يكون كاتب الرسالة التي بين أيدينا، نظرا لأنه قد قتل في وقت مبكر جدا، يقال في حوالي سنة ٤٤م[٢] بأمر هيرودس أغريباس[٣]، والرسالة إنما كتبت ـ فيما يقال ـ بين سنة ٥٠ وسنة ٦٠م[٤][٥].

وللعلم فإن القول بنسبة الرسالة إلى يعقوب أخي الرب قد تعرض هو الآخر إلى انتقادات لا يستهان بها، من أبرزها أن أسلوب الرسالة بما فيه من يونانية فصيحة، ومقاطع شعرية، وطريقة الأسئلة والأجوبة، لا ينسجم مع أسلوب كاتبٍ، مثل يعقوب الذي عاش طيلة حياته في بيئة فلسطين، وتغذى بثقافتها التقليدية فيما قبل نهاية النصف الأول من القرن الميلادي الأول.

وكذلك خلو الرسالة من أي إشارة إلى تلك المناقشات[٦] التي هزت المجتمع النصراني الأول بعد رفع المسيح ﷺ، وانعقد من أجلها المجمع الرسولي الأول الذي ترأسه يعقوب نفسه! مما أضعف التمسك بالرأي القائل بنسبة الرسالة إليه[٧]،

---

(١) انظر: قاموس ك.م. ص١٠٧٦.

(٢) انظر: الأعمال١٢/ ١-٢، وقاموس ك.م. ص١٠٧٥.

(٣) هو: هيرودوس أغريباس الأول، ابن ارسطوبولوس، وحفيد هيرودوس الكبير، عُين حاكما على بعض أجزاء فلسطين في عام ٣٩م، وتوفي في عام ٤٤م. قاموس ك.م. ص١٠١١.

(٤) انظر: قاموس ك.م. ص١٠٧٦.

(٥) راجع فيما تقدم: فهيم عزيز (م.ن.) ص٧١١-٧١٢.

(٦) أعني ما يتعلق بدخول غير اليهود في النصرانية والتزامهم ما يلزم اليهود كالختان مثلا ونحوه. انظر: الأعمال ١٥/ ١-٢٢.

(٧) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٧١٥.

فانشق عنه عدد من أصحابه وقالوا: إن الأفكار يعقوبية، وأما الكتابة والصياغة فقد كانتا من نصيب غيره كما تقدّم قريباً.

وثمة أمور أخرى تعترض طريق القول بصحة نسبة الرسالة إلى يعقوب أخي الرب، منها أنه ـ مثل بولس ـ لم يؤمن بالمسيح عليه السلام طيلة حياته قبل الرفع، ولم يُعلم بالضبط كيف ومتى تمَّ له هذا الإيمان فيما بعد[١]. كما أن الرسالة ـ حسب بعض المصادر والمراجع ـ إنما كتبت في نهاية القرن الأول للميلاد[٢]، في حين لا خلاف في أن يعقوب هذا قد فارق الحياة منذ حوالي سنة ٦٢م[٣]!! يقول جامس ماك كينون[٤]: «إن رجحان الدلائل لا يؤيد أن محررها [يعني رسالة يعقوب] هو يعقوب»[٥].

بقي أن أشير هنا إلى لبس وقع فيه بعض الكتّاب المعاصرين[٦]، وذلك في تعريفهم بيعقوب الكبير ابن زبدي أخي يوحنا الحواريين: أنه كان أول أسقف لكنيسة أورشليم، وأنه قتل على أيدي اليهود في عام ٦١ أو ٦٢م...الخ. وكل هذا ليس بصحيح، لأن يعقوب المعروف بأخي الرب هو الذي كان أسقف أو رئيس الكنيسة

---

(١) انظر: قاموس ك.م. ص١٠٧٦.

(٢) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٧١٥، وفريدريك جرانت (م.ن.) ص٢٠-٢١، نقلا عن: المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٣٠، و Ajijola,A.D; (op.cit.) P. 99

(٣) انظر: قاموس ك.م. ص١٠٧٦.

(٤) صاحب: كتاب: من المسيح إلى القسطنطين (بالإنجليزية).

(٥) James, M. K; From Christ to Constantine P. 120، نقلا عن: محمد تقي العثماني (م.ن.) ص٢١٣.

(٦) ومنهم فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله في كتابه: محاضرات في النصرانية ص٦٤، وفضيلة الشيخ متولي يوسف شلبي في كتابه: أضواء على المسيحية ص٨٤.

في أورشليم، وهو الذي قُتل في عام ٦٢م، وأما يعقوب بن زبدي فقد قتله هيرودس قبل ذلك كما أسلفت[١]، والله تعالى أعلم.

ب- رسالة بطرس الأولى[٢] والثانية[٣].

هاتان الرسالتان القصيرتان تحملان اسم بطرس، أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر[٤]، على أنه مؤلفهما. وهل كان الأمر كذلك أو لا؟

أولاً: الرسالة الأولى.

تنسب هذه الرسالة إلى بطرس حسب التقليد الكنسي القديم استنادا إلى ما جاء في الرسالة نفسها: «بطرس رسول يسوع المسيح إلى المتغربين من شتات[٥] بنتس[٦] وغلاطية...»[٧]، وإلى شهادات بعض آباء الكنيسة أو اقتباساتهم منها، ومنهم: ترتليان، وكلمنت الإسكندري، وغيرهما[٨].

ولكنّ الواقع أن هذين الدليلين ـ الداخلي والخارجي معا ـ يبدوان ضعيفين

---

(١) انظر: ص٦٠٨.

(٢) فيها خمسة إصحاحات.

(٣) فيها ثلاثة إصحاحات.

(٤) وقد توفي في عهد نيرون مصلوبا في حوالي سنة ٦٨م. انظر: قاموس ك.م. ص٤١٧.

(٥) شتات: شتّ يشتّ شتّا وشَتاتا وشَتيتا: فرّق وافترق، والشتيت: المفرّق المشتّت، والشتيت من الثغر: المفلّج. القاموس ص١٩٧.

(٦) بنتس: اسم المقاطعة الشمالية الشرقية من آسيا الصغرى، كانت مملكة مستقلة ومن ملوكها: مثرادتس الشهير، إلا أنها أضيفت إلى أملاك الرومانيين بعد ذلك. قاموس ك.م. ص١٩٠.

(٧) ١ ـ بطرس ١/ ١.

(٨) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٧٢٨، وقاموس ك.م. ص١٧٧.

إذا قوبلا بالحجج الأخرى التي يتمسك بها منكرو نسبة الرسالة إلى بطرس، ومن أهمها:-

أ ـ وجود شواهد من داخل الرسالة نفسها تفيد أنها كتبت بعد وفاة بطرس، أي في بداية القرن الثاني للميلاد. ومن ذلك ما جاء في الإصحاح الرابع منها: « إن عُيّرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحلّ عليكم. أما من جهتهم فيجدف عليه، وأما من جهتكم فيمجّد. فلا يتألم أحدكم كقاتل أو سارق أو فاعل شر أو متداخل في أمور غيره. ولكن إن كان كمسيحي فلا يخجل بل يمجّد الله من هذا القبيل »[(١)]. حيث ذهب النقاد إلى أن هذا الكلام يعكس طبع المراسلات التي جرت بين الإمبراطور تراجان[(٢)] و بليني الصغير[(٣)] في أوائل القرن الثاني للميلاد، حيث طلب توضيحا عن السبب الذي به يستحق النصارى الاضطهاد والتعذيب، أهو هذا الاسم ذاته "نصراني أو مسيحي"، أم جرائم يُفترض اقترانها بكون الرجل نصرانيا؟[(٤)].

---

(١) ١ ـ بطرس ٤/ ١٤-١٦.

(٢) تراجان: الإمبراطور الروماني من عام ٩٨م حتى عام ١١٧م. الدائرة البريطانية ١٩/ ٥٠٨، والدائرة الأمريكية ٢٣/ ٦٧٢ب.

(٣) بليني الصغير "Pliny": كاتب وإداري روماني، حاكم ولاية بيثينية (في الشمال الغربي من آسيا الصغرى)، توفي سنة ١١٣م. وقد أرسل رسالته هذه في طليعة القرن الثاني للميلاد. انظر: الدائرة البريطانية ١٨/ ٧٨، والدائرة الأمريكية ٢٢/ ٢٤٩، وقاموس ك.م. ص١٦٢، كما أن بيثينية نفسها من الولايات أو المقاطعت التي بعث كاتب رسالة بطرس الأولى بالرسالة إليها، كما جاء في الفقرة الأولى منها.

(٤) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٦٩، وانظر كذلك: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١٦٦-١٦٧، وقاموس ك.م. ص١٦٢، وجون لوريمر (م.ن.) ١/ ٩٢.

وكذلك بالنسبة للنصوص الكثيرة التي تشير إلى ما عانت منه النصارى من الاضطهادات في وقت كتابة هذه الرسالة[١]، ووصَفها الكاتب بأنها بلوى محرقة[٢]، وأنها عمت جميع النصارى[٣]...الخ، فهذه الأوصاف إنما تنطبق على الاضطهاد الرسمي، أعني الذي تكون للسلطة العليا فيه يد. وإذا رجعنا إلى التأريخ الكنسي نجد أن الاضطهادات المبكرة من هذا النوع هي ما كان في عهد نيرون (سنة ٦٤م ـ ٦٨م)، ثم في عهد دوميتيان[٤] (٨١ ـ ٩٦م)، ثم في عهد تراجان (٩٨ ـ ١١٧م)[٥]. وأما بالنسبة لاضطهاد نيرون، وهو وحده الذي شهده بطرس وراح ضحيته، فلا يمكن أن يكون هو المقصود بتلكم الإشارات أو النصوص، وذلك لأنه كان قاصرا على روما: مقر الإمبراطورية[٦]، ولم يتعداها إلى المدن الأخرى التي يُزعم أن رسالة بطرس الأولى قد وجهت إليها[٧]. إذًا، فهذه النصوص تشير إلى الاضطهاد فيما بعد نيرون، وبطرس ـ كما يدّعي النصارى الكاثوليك ـ قد قتله نيرون، فكيف يمكن أن يكون هوكاتبَ هذه الرسالة؟!

---

(١) انظر: ١ ـ بطرس ١/ ٦ و٢/ ١٢و١٥، و٤/ ١٢-١٦، و٥/ ٨-٩.

(٢) انظر: ١ ـ بطرس ٤/ ١٢.

(٣) نفسه ٥/ ٩.

(٤) دوميتيان: الإمبراطور الروماني من سنة ٨١م إلى سنة ٩٦م. الدائرة البريطانية ١٩/ ٥٠٨، والدائرة الأمريكية ٢٣/ ٦٧٢ب.

(٥) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ١/ ٩٠-٩٢، وقاموس ك.م. ص٤١٧.

(٦) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ١/ ٩١.

(٧) وهي: بنتس وغلاطية وكبدوكية وأسيّا وبيثينية. انظر: ١ ـ بطرس ١/ ١.

ب ـ أن لغة هذه الرسالة وأسلوبها أرقى من أن يكونا للتلميذ الجليلي[(١)] بطرس الذي وُصف في سفر أعمال الرسل[(٢)] بأنه عامي وعديم العلم[(٣)].

ج ـ خلو الرسالة عن أي شيء يذكر عن حياة المسيح ﷺ وعمله. وهذا غير متصور وقوعه من تلميذ كبطرس الذي قضى معه أحرج الأوقات والظروف، ولازمه خلال دعوته[(٤)].

د ـ أن المرسل إليهم بهذه الرسالة بلا شك من النصارى الأمميين، ولا توجد أي علاقة لبطرس بهم، لأنه بحسب التقسيم التبشيري المزعوم، فإن بطرس رسول الختان (أي لليهود)، وبولس: رسول الأمميين[(٥)]، فكيف ولماذا يكتب بطرس إلى هؤلاء الأمميين؟[(٦)].

ثانياً: الرسالة الثانية.

هذه الرسالة ليست كسابقتها، فقد انقسمت الكنيسة في تحديد كاتبها إلى معسكرين رئيسين، الأول، ويمثل جمهور علماء الكنيسة الكاثوليكية وبعض المحافظين من علماء الكنيسة البروتستانتية، ويقولون: إن كاتبها هو بطرس الرسول. والثاني، ويمثل الغالبية العظمى من البروتستانتيين والبعض من الكاثوليكيين، ويرون

---

(١) نسبة إلى مقاطعة الجليل الفلسطينية.

(٢) ٤/ ١٣.

(٣) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٦٩، والدائرة الأمريكية ٢١/ ٦٥٨.

(٤) انظر: الدائرة الأمريكية ٢١/ ٦٥٨، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٧٢٨.

(٥) انظر: غلاطية٢/ ٧-٨.

(٦) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٦٩-٩٧٠، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٧٣١و٧٣٤.

أن لا صلة للرسالة ببطرس وأن شخصا آخر قد كتبها في وقت متأخر ثم نسبها إليه.

وهناك رأي ثالث قد يندرج في إطار الرأي الثاني، وهو أن الكاتب غير بطرس، وربما كان أحد تلاميذه، وقد استخدم بعض أقواله وتعاليمه[١].

وقبل إيراد جزء من أدلة كل فريق، أنبّه إلى أن هذه الرسالة قد واجهت من المعارضة الشديدة ما لم يواجهه أي سفر آخر من أسفار العهد الجديد. سواء من حيث النسبة إلى المؤلف[٢]، أو من حيث التسليم بقانونيته، حتى إن بعض الكنائس لم تقبلها إلا في القرن الميلادي السادس[٣].

أما القائلون بصحة نسبة الرسالة إلى بطرس، فقد اعتمدوا في ذلك على ما ورد فيها من التصريح باسم الكاتب وأنه بطرس التلميذ[٤]. أو ذكر بعض أوصافه، مثل: أنه الذي تنبأ المسيح ﷺ باستشهاده[٥]، وأنه كان مع المسيح فوق الجبل المقدس[٦]، وأن هذه الرسالة هي الرسالة الثانية التي يكتبها[٧]...الخ[٨]. وكذلك اعتمدوا على بعض الشهادات الخارجية غير المؤكدة، إذ رأوْا أن شهادات الآباء الكنسيين الأُول

---

(١) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٧٤٤و٧٤٥ و٧٥٠.

(٢) انظر: الدائرة الأمريكية ٢١/ ٦٥٨.

(٣) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١١٣، والدائرة الأمريكية ٢١/ ٦٥٨، وقاموس ك.م. ص١٧٨.

(٤) انظر: ٢ـ بطرس ١/ ١.

(٥) انظر: ٢ـ بطرس ١/ ١٤ وقارنه بيوحنا ٢١/ ١٨-١٩.

(٦) انظر: ٢ـ بطرس ١/ ١٦-١٨ وقارنه بمتّى ١٧/ ١-٥ ومرقس ٩/ ٢-٧.

(٧) انظر: ٢ـ بطرس ٣/ ١ أي إشارة إلى رسالته الأولى.

(٨) انظر: قاموس ك.م. ص١٧٨، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٧٤٤.

ليست جازمة في نفي نسبة الرسالة إلى بطرس. وأخيرا، اعتمدوا كذلك على قبول الكنيسة لها، وإن جاء ذلك متأخرا[١].

وأما دعوى قبول الكنيسة الأولى لها ضمن مجموعة أسفار العهد الجديد كما أطلقها واضعو قاموس كتاب النصارى المقدس[٢]، فلم أجد أي مستند لهم في ذلك، بل على العكس وجدتُ ما يعارضه في كلام المؤرخ الكنسي الشهير: يوسابيوس حيث قال: « ... على أننا علمنا بأن رسالته [بطرس] الثانية الموجودة بين أيدينا الآن ليست ضمن الأسفار القانونية »[٣]. وقال أيضا: « أما الأسفار التي تحمل اسم بطرس، فالذي أعرفه هو أن رسالة واحدة فقط [يعني رسالته الأولى[٤]] قانونية ومعترف بها من الشيوخ الأقدمين »[٥].

وكذا بالنسبة لما ورد من التصريح أو التلميح حول شخصية بطرس أنه كاتب الرسالة، فليس شهادةً لصحة نسبتها إليه في الحقيقة، وإنما دليل قوي على أن الكاتب شخص آخر في وقت متأخر عن زمن بطرس، فقد نسبها إليه ترويجا لها، فحاول جاهدا عن طريق هذه الإشارات المتكررة إقناع القارئ بصدق تزويره هذا. وهذا الأسلوب معروف جدًا، ويكاد أن يكون سنة متبعة عند كل

---

(١) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٧٤٤و٧٤٥.

(٢) انظر: ص١٧٨ منه.

(٣) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١١٣.

(٤) وذلك لأنه قد قال قبل هذا بجمل يسيرة: "إن رسالة بطرس الأولى معترف بصحتها، وقد استعملها الشيوخ الأقدمون في كتابتهم كسفر لا يقبل أي نزاع".

(٥) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١١٣.

من يكتب كتابا ثم ينسبه إلى غيره ممن سبق وكان له وزن أو ثقل ديني أو سياسي أو اجتماعي[(١)].

أما عن شهادة الآباء الكنسيين الأولين، ولو سلمنا أنها لم تكن جازمة في نفي النسبة، فالمعلوم أنه يصار إلى الظاهر عند عدم النص، والله أعلم.

هذا، ويذكر منكرو نسبة الرسالة إلى بطرس الحواري جملة أدلة هي أقوى - في نظري - وإليكم طرفا منها فيما يلي:-

أ - أن الرسالة بمحتواها وأسلوبها إنما تعكس حالة الكنيسة النصرانية وظروفها في وقت متأخر نسبيا، ربما في فترة ما بين عام ١٢٠م و١٨٠م[(٢)]. ومن الشواهد على هذا: إشارة الكاتب إلى رسائل بولس وتسميته إياها كتبا كباقي الكتب[(٣)]. فهذا يدل على أن تلكم الرسائل كانت متداولة في زمن الكاتب إن كان بطرس، والحقيقة أن مجموعة رسائل بولس هذه لم تكن كذلك قبل نهاية القرن الأول للميلاد، أي بعد وفاة بطرس[(٤)].

ب - وجود اختلاف كبير بين هذه الرسالة، وبين الرسالة الأولى المنسوبة إلى بطرس أيضا، سواء في الأسلوب[(٥)] أو في المضمون. فعلى سبيل المثال: تفسير المجيء الثاني للمسيح ﷺ، نجد في الأول أنه مجيء الدينونة والجزاء، فيه يهب الرب فرحا

---

(١) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٧٤٥ بتصرف.

(٢) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٧٠، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٧٥١.

(٣) انظر: ٢ - بطرس ٣/ ١٥-١٦.

(٤) انظر: الدائرة الأمريكية ٢١/ ٦٥٩، وقاموس ك.م. ص١٧٨، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٧٤٩.

(٥) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٧٠، والدائرة الأمريكية ٢١/ ٦٥٩، وقاموس ك.م. ص١٧٨.

أبديا عظيما للمؤمنين[1]، وأما في الثانية[2] فهو حدث عالمي ترافقه كارثة كونية تحترق فيه العناصر والمصنوعات وتنحل وتذوب[3]. مع أن الكاتب يدّعي أنه كاتب الرسالتين[4].

ج ـ طوال القرنين الأول والثاني للميلاد لم يظهر أي أثر لاقتباس آباء الكنيسة منها في جميع كتاباتهم كما هي عادتهم بالنسبة للكتب المقدسة لديهم. اللهم إلا ما جاء في كتابين آخرين هما كذلك مرفوضان، ويحمل كل منهما اسم بطرس أيضا، أعني: كتاب أعمال بطرس، وكتاب رؤيا بطرس[5]، وقد كُتب الأول في سنة ٢٠٠م، وظهر الثاني في النصف الأول من القرن الثاني للميلاد[6].

ج- رسائل يوحنا الأولى[7] والثانية[8] والثالثة[9].

أما الرسالتان الثانية والثالثة فليستا مرسلتين إلى عموم النصارى كما يظهر من مقدمتيهما، إلا أنهما اعتبرتا من الرسائل العامة لارتباطهما الطبيعي بالرسالة الأولى،

---

(١) انظر: ١ ـ بطرس ١/ ٧-٩، و٤/ ٥و١٣و١٧، و٥/ ٤.

(٢) انظر: ٢ ـ بطرس ٣/ ١٠-١٣.

(٣) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٧٤٩، وراجع كذلك: الدائرة الأمريكية ٢١/ ٦٥٩.

(٤) انظر: ٢ ـ بطرس ٣/ ١.

(٥) ومما ينسب إليه أيضا: إنجيل بطرس وكرازة بطرس. انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١١٣.

(٦) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٧٤٣، وانظر كذلك: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١١٣ في الاعتماد على اقتباسات آباء الكنيسة أو عدمها في الحكم بثبوت نسبة كتاب إلى كاتبه أو العكس.

(٧) فيها خمسة إصحاحات.

(٨) فيها إصحاح واحد فقط.

(٩) وفيها أيضا إصحاح واحد فقط.

حيث تنسب الثلاث معا إلى يوحنا التلميذ الحواري[١].

وبالنسبة للرسالتين الثانية والثالثة، فقد صرّح كاتبهما بلقبه الذي كان يعرف به وهو "الشيخ"[٢]، ولم يبق أمامنا سوى الكشف عن هوية صاحب هذا اللقب الحقيقي كما سيأتي إن شاء الله بعد قليل. وتبقى كذلك الرسالة الأولى التي يبدو أن الكشف عن كاتبها يتطلب جهدا أكبر، نظرا لسكوته التام عن اسمه وعن المكتوب إليهم.

لذا فقد اختلف النصارى في كاتب هذه الرسالة إلى فريقين، فريق يرى أن كاتبها هو يوحنا الحواري، والآخر يذهب إلى نفي نسبتها إليه. ولكن هل لنا أن نتعرف أولا على محور هذا الخلاف ومنشأه، ومن ثَم معرفة مدى أصالته، وأهميته إن وُجدت؟

هذا الخلاف مبناه إنما هو علاقة الرسالة الأولى هذه بالإنجيل الرابع المنسوب إلى يوحنا نفسه، من حيث التشابه أو الاختلاف بينهما في الأساليب والمصطلحات والأفكار. فمن ترجح عنده جانب التشابه فيما ذُكر قال: إن مؤلف الكتابين واحد وهو يوحنا، ومن رأى أن الاختلاف هو الأغلب نفى أن يكون يوحنا ـ كاتب الإنجيل في زعمه ـ هو كاتب الرسالة[٣].

والواقع أن هذا الخلاف لا يقدم شيئا ولا يؤخر، وذلك لأن الأصل الذي بُني

---

(١) انظر: قاموس ك.م. ص١١١٢.

(٢) انظر: ٢ ـ يوحنا/ ١، و٣ ـ يوحنا/ ١.

(٣) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٥٧٧ – ٥٨٠ بتصرف.

عليه أساسا لا يستقيم، أعني القول بنسبة الإنجيل الرابع إلى يوحنا الحواري الصيّاد كما تقدم في موضعه، ومن المعلوم أنه لا عبرة بالظن البيّن خطؤه.

نعود الآن إلى الرسالتين الثانية والثالثة لنقول: من هو مؤلفهما الذي عُبر عنه فيهما بالشيخ، أو "Elder" باللسان الإنجليزي؟ إنه فيلسوف نصراني من أصل يهودي، كان معاصرا ليوحنا الحواري وسكن معه في مدينة أفسس ـ كما أسلفت(١) ـ وأؤكد هنا مجدّدا أن القول بأن يوحنا الشيخ هو نفسه يوحنا الرسول أو الحواري لا أساس له من الصحة إطلاقا.

وبناء على القول بأن كاتب الرسالتين الثانية والثالثة هو نفسه كاتب الرسالة الأولى ـ كما يرجّحه بعض المتخصصين في دراسات كتاب النصارى المقدس(٢) ـ فإنه يتعين ـ وعلى ضوء ما تقدم أعلاه ـ القول بنسبة الرسائل الثلاث إلى يوحنا الشيخ الفيلسوف، لا إلى يوحنا الحواري الصيّاد. كما تظهر أيضا في الإطار نفسه أهمية القول بوجود التشابه بين الرسالة الأولى والإنجيل الرابع المشار إليه آنفا، لأن الجميع وراءها عقلية واحدة، والله تعالى أعلم(٣).

أما عن تأريخ كتابة الرسائل الثلاث، فقد قيل إنه خلال الربع الأول من القرن الثاني للميلاد(٤).

---

(١) انظر: ص٤٦٥-٤٦٦.

(٢) ومنهم القس د/ فهيم عزيز في كتابه: المدخل إلى العهد الجديد ص٥٧٥و٥٧٧، وكذلك واضعو قاموس ك.م. في ص١١١٢.

(٣) وانظر ما تقدم في موضوع تأريخ أو إسناد إنجيل يوحنا.

(٤) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٧١، والمسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد =

د- رسالة يهوذا[١].

هذه الرسالة كذلك من الرسائل التي تأخرت الكنيسة النصرانية وتباطئت في قبولها[٢]، فإن المؤرخ يوسابيوس يضعها في قائمة الأسفار المتنازع عليها[٣]. وأما عن تأريخ كتابتها فيُذكر أنها كتبت في نهاية القرن الأول للميلاد[٤].

نأتي الآن إلى كاتب الرسالة من هو؟ فعلى الرغم من تسمية الكاتب نفسه بيهوذا عبد يسوع المسيح [٥]، فقد اختُلف في ذلك إلى قولين، الأول أن الكاتب هو يهوذا أحد إخوة الرب[٦] (أي المسيح كما يقولون)، والثاني أن نسبة الرسالة إليه نسبة مزورة[٧].

وعمدة القائلين بنسبة الرسالة إلى يهوذا هي التصريح الوارد في الرسالة نفسها باسم الكاتب كما أسلفت. وقد رأينا في صفحات مضت كيف أن مثل هذا الدليل لا يمكن الوثوق به أو الاعتماد عليه في نسبة كتاب إلى مؤلفه الحقيقي.

وثمة حجة أخرى لهم منبثقة عن الأولى، وهي أن الكاتب لو كان غير يهوذا وإنما نسبها إليه لكسب الشهرة وللترويج كما هو الحال في غيرها مما تقدم، لما اكتفى في

=

الوهاب ص٣٠.

(١) فيها إصحاح واحد فقط.

(٢) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٣/ ٥٧٨، ورحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٥٨.

(٣) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١٥٢.

(٤) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٧١.

(٥) انظر: يهوذا/ ١.

(٦) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٧١، وقاموس ك.م. ص١٠٩١، ويلاحظ في المرجع الأخير أنه عبر عن ذلك بالظن "ويظن أنه [يهوذا] كاتب رسالة يهوذا".

(٧) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٧١، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٧٥٩.

ذكر اسمه بأنه: «يهوذا عبد يسوع المسيح وأخو يعقوب»[١]، ولا استغل جزءًا من الحوادث الإنجيلية ـ كذكر اسم يهوذا من ضمن إخوة المسيح[٢] عليه السلام مثلا ـ كي يعطي القارئ انطباعا جادّا بأنه فعلا يهوذا أخو الرب صاحبُ الوزن والمكانة في الكنيسة[٣].

أما القائلون بعدم صحة نسبة الرسالة إلى يهوذا فقالوا: إن الرسالة تعكس ظرفا وزمنا لا يتفقان والزمنَ الذي عاش فيه يهوذا[٤]، ويضربون لهذا مثلا هو ما ورد فيها: «وأما أنتم أيها الأحبّاء فاذكروا الأقوال التي قالها سابقا رسل ربنا يسوع المسيح. فإنهم قالوا لكم إنه في الزمان الأخير سيكون قوم مستهزئون، سالكين بحسب شهوات فجورهم»[٥]، فقالوا: من الواضح أن الكاتب كان يشير إلى زمن حاضر في وقته، سبق أن وردت نبوة عن وقوع مثل هذه الهرطقة[٦] فيه، ورجّحوا أن يكون ذلك في نهاية القرن الأول للميلاد، وأن الكاتب من أهل آسيا الصغرى[٧] أومن أهل سوريا[٨].

---

(١) يهوذا/ ١.

(٢) انظر: مرقس ٦/ ٣.

(٣) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٧٥٨-٧٥٩.

(٤) نفسه ص٧٥٩.

(٥) يهوذا/ ١٧--١٨.

(٦) الهرطقة: يقصدون بها أي معتقد أو مذهب ديني نصراني يخالف ما عليه الكنيسة، وأصل الكلمة من لفظ "Artic" اليوناني ويعني الكفر. Collier's Dictionary P.482، ومحمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٦٨.

(٧) آسيا الصغرى: شبه جزيرة في غربي آسيا، وتقع بين البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط، وهي تمثّل الجزء الأسيوي من تركيا، وتسمى أيضا لدى بعض الناس: الأناضول. الموسوعة العالمية ٢/ ١٩٢.

(٨) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٧١.

وسواء أكان الصحيح هو ثبوت نسبة الرسالة إلى يهوذا أم عدمه، فالذي يجب تأكيده أنه لم يكن قط من الرسل حتى عند النصارى أنفسهم[١]، وكما يوحي به أيضا ما تقدم نقله من فقرتي الرسالة.

هذا وأرى أنه من واجب الأمانة العلمية أن أذكر ملحوظاتي على ما ذكره الشيخان الجليلان، فضيلة الأستاذ محمد أبو زهرة[٢]، وفضيلة الأستاذ متولي يوسف شلبي[٣] ـ رحمهما الله ـ بخصوص كاتب رسالة يهوذا هذه وذلك من نواح:-

الأولى: دعوى الخلاف في شخصية يهوذا الذي تنسب الرسالة إليه، أهو يهوذا الإسخريوطي ـ التلميذ الخائن ـ أم يهوذا الملقب تدّاوس[٤]، أم يهوذا أخو يعقوب الصغير[٥]. والحقيقة أنه لاخلاف في أن يهوذا الذي تنسب الرسالة إليه هو يهوذا المسمى أخا الرب ـ حسب ما تيسر لي الاطلاع عليه من المصادر والمراجع ـ وليس أحد هؤلاء الثلاثة المذكورين أصلا، بل هو شخصية مغايرة مستقلة.

الثانية: أن المعروفين بهذا الاسم "يهوذا" في العهد الجديد كلِّهِ: ستة أشخاص[٦]، ليس منهم من عرف بأخي يعقوب إلا واحدا كما جاء في إنجيل لوقا[١]،

---

(١) انظر: قاموس ك.م. ص١٠٩٢، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٧٥٨.

(٢) في كتابه: محاضرات في النصرانية ص٦٤-٦٥.

(٣) في كتابه: أضواء على المسيحية ص٨٤.

(٤) أي أحد الاثني عشر تلميذا، انظر: متّى ١٠/ ٣ ومرقس ٣/ ١٨.

(٥) أي يعقوب بن حلفى كما تقدم في ص٥٤٩.

(٦) وهم: يهوذا الإسخريوطي، ويهوذا أخو الرب، ويهوذا الجليلي، ويهوذا الدمشقي، ويهوذا الملقب برسابا، ويهوذا أخو يعقوب. انظر: قاموس ك.م. ص١٠٨٩-١٠٩٢.

أي من غير تفصيل، أهو أخو يعقوب الصغير أم أخو يعقوب الكبير. ولعل محاولة الشيخين ـ رحمهما الله ـ التفصيلَ هنا أوقعهما في الخطأ الآتي ذكره:

الثالثة: قولهما إن يهوذا إن كان أخا يعقوب الصغير، فذلك يعني أن لزبدي الصياد ثلاثة أولاد هم: يوحنا ويعقوب ويهوذا. فهذا بلا شك خطأ أو سبق قلم، لأن يعقوب الذي هو أخو يوحنا بن زبدي الصيّاد إنما يعرف بيعقوب الكبير، وأما يعقوب الصغير فهو ابن حلفى كما تقدم معنا[1].

الرابعة: تفريقهما بين شخصية يهوذا أخي يعقوب وشخصية يهوذا الملقب تدّاوس أو لبّاوس ـ وخاصة الشيخ أبو زهرة رحمه الله ـ غير سديد، لأن يهوذا الملقب تدّاوس أو لبّاوس هو نفسه يهوذا أخو يعقوب[2]، والله تعالى أعلم.

٤- رؤيا يوحنا اللاهوتي[3].

سفر الرؤيا، أو الإعلان كما سماه كاتبه[4]، هو السفر الأخير في العهد الجديد، وبه خُتم كتاب النصارى المقدس. ولعل تسميته بالرؤيا مأخوذة مما جاء في أوله: «إعلان يسوع المسيح... وبيّنه مرسلا بيد ملاكه[5] لعبده يوحنا، الذي شهد بكلمة الله وبشهادة يسوع المسيح بكل ما رآه»[6].

---

(١) انظر: ص٦٠٦-٦٠٧ (مع الهوامش).

(٢) انظر: قاموس ك.م. ص١٠٩٢.

(٣) فيها اثنان وعشرون إصحاحا.

(٤) انظر: الرؤيا ١/ ١.

(٥) هكذا يعتقدون أن المسيح عليه السلام إله وأن له ملائكة ورسلا! وانظر: قاموس ك.م. ص٣٩٤.

(٦) الرؤيا١/ ١-٢.

أما وصفه باللاهوتي فيُعتقد أنه جاء متأخرا، في القرن الرابع للميلاد، بعد ما كان يعرف بسفر رؤيا يوحنا فقط[١]. ويَعتقد البعض أن الوصف إنما هو لمن ينسب إليه السفر، أي يوحنا الشيخ المتقدم ذكره[٢]. وهذا عند من لا يرى نسبة السفر إلى يوحنا الحواري، كما سيأتي قريبا إن شاء الله.

هذا السفر من قبيل وصف أحلام رآها صاحبها، ومن مثيلاته من كتب العهد القديم: أسفار دانيال وحزقيال وإشعياء[٣].

أما تأريخ كتابته، فيرجحون أنه كتب في نهاية القرن الأول للميلاد أي حوالي سنة ٩٥م[٤] أو ٩٦م[٥]، وقيل إنما كتب في الستينات من القرن نفسه[٦]. وأما بالنسبة لقبوله والاعتراف بقانونيته فيلاحَظ أن الكنائس الشرقية قد ترددت كثيرا في ذلك، بل ظل السِّفر غير معترف به عند بعضها حتى القرن الميلادي الثاني عشر![٧].

ولنأت الآن إلى أهم عنصر فيما يتصل بموضوع السِفر، ألا وهو: من هو كاتبه؟ إن الآراء فيه منقسمة كما يقول يوسابيوس في تأريخه[٨]. ولكن قبل الخوض في

---

(١) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٦٤٢.

(٢) انظر: ص٤٦٥، وانظر كذلك: ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٧١.

(٣) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٦٤٢.

(٤) انظر: قاموس ك.م. ص٣٩٥، والمسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٣٠.

(٥) انظر: Thompson,G.H.P;(Op.cit.) P.2.

(٦) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٦٥٧و٦٥٨.

(٧) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١٥٢، والدائرة البريطانية "Macro" ٣/ ٥٧٨، ورحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٥٨-١٦٠ و١٦٥، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٦٤٠-٦٤١.

(٨) انظر: ص١٥١ منه.

تفصيل هذه الآراء، أليس من المستحسن أن نتعرف على ما ذا يقول الكاتب عن نفسه من خلال الكتاب ذاته؟

لقد صرّح بأن اسمه يوحنا ـ من غير أي لقب أو نسبة أو كنية ـ أربع مرات(١)، وأنه كان في جزيرة تسمى بطمس يومَ كتب سفره هذا(٢). كما أن توجيهه مكتوبه هذا إلى الكنائس السبع التي في آسيا(٣)، قد يفيد أنه على اتصال خاص وعلاقةٍ ما بأهلها(٤)، وأنه يعرف أحوالها وظروفها بحكم سكنه فيها أو عمله فيها فترةً من الزمن(٥)، مع ملاحظة عدم تعرضه لذكر كونه من التلاميذ الاثني عشر وإن بدت منه محاولة إضفاء القداسة على ما يكتبه، وذلك بالإشارة إليه على أنه نبوة أكثر من مرة(٦).

هذا، والخلاف في كاتب هذا السفر ينحصر في قولين على الإجمال، أو ثلاثة على التفصيل:

فالقول الأول: أن المؤلف هو يوحنا الحواري التلميذ ابن زبدي، وهو الرأي الرسمي للكنيسة النصرانية عامة اليومَ(٧). وهذ القول مستنده ما تقدمت الإشارة

---

(١) انظر: الرؤيا ١/ ١ و٤ و٩ و٢٢/ ٨.

(٢) انظر: الرؤيا ١/ ٩.

(٣) انظر: الرؤيا ١/ ٤.

(٤) آسيا: في اصطلاح العهد الجديد لا يقصد بها القارة الواسعة المعروفة بهذا الاسم اليوم، وإنما يُقصد بها المقاطعة الرومانية التي كانت تحمل الاسم، وكانت تقع في غرب آسيا الصغرى، وتشمل كلا من: ميسيا، وليديا، وكاريا، وجزءًا من فريجية، وبعض الموانئ البحرية المستقلة، وترواس، وبعض الجزر الساحلية، وعاصمتها آنذاك: أفسس. انظر: قاموس ك.م. ص٧٦.

(٥) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٦٥٠ بتصرف.

(٦) انظر: الرؤيا ١/ ٣، و٢٢/ ٧ و١٠.

(٧) انظر: قاموس ك.م. ص٣٩٥، وكذلك: الدائرة البريطانية "Macro" ٢/ ٩٧٢.

إليه من خصائص كاتب سفر الرؤيا المستخرجة من السفر نفسه، حيث زعم أصحاب هذا القول أنها جميعها تنطبق على شخصية يوحنا الحواري أو الرسول ـ كما يقولون ـ ولا يدانيه في بعضها أحد ممن عُرفوا في التأريخ بهذا الاسم(١). وقالوا أيضا إن السفر يعكس طبيعة يوحنا بن زبدي الذي سماه وأخاه المسيحُ بابني الرعد لحدة الطبع وسرعة الانفعال والغضب(٢)، كما يظهر هذا في بعض فقرات السفر(٣)(٤).

كما استند أصحاب هذا القول إلى شهادات بعض آباء الكنيسة القدماء، ومنهم يوستينوس المسمى بالشهيد(٥)، وبابياس، وغيرهما(٦).

والقول الثاني: أن المؤلف هو كاتب الإنجيل الرابع(٧). وهذا القول وإن أورده من أورده ضمن القول الأول، وهو كذلك إذا اتفقنا على أن كاتب الإنجيل الرابع هو يوحنا ابن زبدي، أما والحال أن الخلاف في ذلك مشهور ومعلوم، فلا أرى صحة إدراجه في القول الأول، والله أعلم.

---

(١) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٦٥١.

(٢) انظر: مرقس٣/ ١٧، ولوقا ٩/ ٥٤-٥٦، وقاموس ك.م. ص١١٠٩.

(٣) انظر: الرؤيا ٢/ ٩ و٣/ ٩.

(٤) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٦٥١.

(٥) يوستينوس: من نصارى القرن الثاني للميلاد، ولد من أبوين وثنيين في نابلس سنة ١٠٠م، وتحوّل إلى النصرانية عام ١٣٠م، وتوفي سنة ١٦٥م.

Oxford Dictionary of the Christian Church P.770.

(٦) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٢١٥، وقاموس ك.م. ص٣٩٥، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٦٥٠-٦٥١.

(٧) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٦٥٢.

وأما حجة أصحاب القول فهي: وجود التشابه بين الكتابين في بعض الأفكار والمصطلحات، مثل: تسمية المسيح بالكلمة[١]، والإشارة إلى عدم ضرورية الهيكل في العبادة[٢]، والإكثار من التمثيل والتشبيه في الكلام بالمياه والينبوع[٣] ونحوهما[٤].

والقول الثالث: أن المؤلف ليس يوحنا بن زبدي ولا كاتب الإنجيل الرابع وإنما هو شخص آخر[٥]. وهذا القول أيضا مدعوم بشهادات بعض آباء الكنيسة أمثال: غايس[٦]، وديونسيوس[٧] وغيرهما، بالإضافة إلى الاختلاف الملحوظ بين الإنجيل وهذا السفر، سواء في المناحي العامة، أو في الأسلوب، أو في الأفكار والمصطلحات[٨]. فعلى سبيل المثال: إن لغة الإنجيل سليمة، وأسلوبه راق وخال من الأخطاء اللغوية والنحوية، بينما كاتب سفر الرؤيا لا يهتم بقواعد اللغة وتطبيقاتها، وكذلك بعض عباراته في الأصل اليوناني ليست فصيحة، كما أن كاتب سفر الرؤيا يذكر اسمه مرة تلو

---

(١) انظر: يوحنا١/ ١ مع الرؤيا ١٩/ ١٣.

(٢) انظر: يوحنا٤/ ٢١ مع الرؤيا ٢١/ ٢٢.

(٣) انظر: يوحنا٤/ ١٠-١٤ و٧/ ٣٨ مع الرؤيا ٢١/ ٦ و٢٢/ ١٧.

(٤) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٦٥٢.

(٥) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص١٧٦، ورحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٦٠، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٦٥٢.

(٦) غايس: الكاهن الروماني ومؤلف كتاب: الحوار، عاش في أوائل القرن الثالث للميلاد.

Oxford Dict. of the Christian Church P.544، و The New inter. Dict. of the Christian Church P.398

(٧) ديونسيوس "Dionysius": أسقف الإسكندرية، ولد سنة ٢٠٠م لأسرة وثنية ثم ما لبث أن تحول إلى النصرانية ودرس على يدي أوريجانوس. مات سنة٢٦٥م. الدائرة البريطانية ٧/ ٤٦٤.

(٨) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٦٥٢-٦٥٤.

الأخرى، بينما كاتب الإنجيل لم يصرّح باسمه ولو مرة فقط[١]. يقول ديونيسيوس عن هذا السفر: «...لا أنكر أنه [المؤلف] كان يُدعى يوحنا وأن هذا السفر من كتابة شخص يُدعى يوحنا. وأوافق أيضا أنه من تصنيف رجل قدّيس ملهم بالروح القدس. ولكنني لا أصدّق بأنه هو الرسول ابن زبدي، أخو يعقوب: كاتب إنجيل يوحنا والرسالة الجامعة... وفي اعتقادي أنه كان هنالك كثيرون بنفس اسم الرسول يوحنا الذين بسبب محبتهم له وإعجابهم به واقتدائهم به ورغبتهم في أن يكونوا محبوبين من الرب مثله، اتّخذوا نفس اللقب كما يسمى الكثيرون من أبناء المؤمنين [يعني النصارى] بولس وبطرس... ولكنني أعتقد أنه [الكاتب] كان شخصا آخر ممن كانوا في آسيا، إذ يقولون إنه يوجد نصبان[٢] تذكاريان في أفسس يحمل كل منهما اسم يوحنا»[٣].

ويقول القس فهيم عزيز بعد إيراده هذه الآراء المتشابكة: «وفي الحقيقة لا يوجد عالم وحيد يمكنه أن يؤكد هذا الرأي أو نقيضه تأكيدا تاما»[٤]. أجل، ولكننا لا نرى أي وجه صحيح لنسبة هذا الكتاب إلى يوحنا الحواري، وذلك لما يأتي:

أولا: ضعف ما احتج به القائلون بهذه النسبة، أما ما ذكروا من اختصاص يوحنا بتلكم الأوصاف والخصائص، فلا يسلّم به بل يشاركه فيها غيره كما أسلفت[٥].

---

(١) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٣٧٥ و٣٧٧-٣٧٨.

(٢) النَّصْب والنصَب: العَلم المنصوب، والغاية. وكل ما رُفع واستُقبل به شيء فقد نُصب. انظر: القاموس ص١٧٧ بتصرف.

(٣) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٣٧٤-٣٧٦.

(٤) فهيم عزيز (م.ن.) ص٦٥٤.

(٥) انظر: ص٤٦٥-٤٦٦.

وأما قولهم إن بعض ما ورد من الألفاظ في هذا السفر يعكس طبيعة يوحنا الحادّة، فالجواب أن السفر من أوله إلى آخره رؤيا رآها الكاتب وأُمر بإبلاغها لغيره كما زعم. فالألفاظ الواردة فيه إنما تعكس طبيعة مرسِل الكاتب ـ بالأصح ـ لا الكاتب نفسه. وكذلك بالنسبة للشهادات المذكورة، قد ورد ما يضادها ويعارضها بمنتهى الصراحة من آباء الكنيسة الآخرين.

ثانيا: ورد نص في هذا الكتاب يدل دلالة قاطعة على أنه لم يكتبه يوحنا ولا غيره من الحواريين الاثني عشر، وذلك قول الكاتب: «وسور المدينة كان له اثناعشر أساسا وعليها أسماء رسل الخروف[(١)] الاثني عشر»[(٢)(٣)]. وإذ قلنا ببطلان نسبة السفر إلى يوحنا تلميذ المسيح عليه السلام، نقول ومن باب أولى أنه لا يصح اعتباره كتابا مقدسا موحى به من الله كما يزعم كاتبه[(٤)].

فهكذا وبكل وضوح وجلاء يظهر لنا أن هذه الرسائل ليست أحسن حالا من الأناجيل الأربعة من حيث الإسناد، بل كلٌّ قد نُسب إلى من نسب إليه لغرض في نفس الناسب، لا لسند صحيح أو مستند وجيه، والله أعلم.

---

(١) يعني المسيح عليه السلام ـ والعياذ بالله ـ بل قد جاء في موضع آخر من السفر تشبيهه (المسيح عليه السلام) بالخروف المذبوح! (انظر: ٥/ ٦-١٣). وفي هذا يقول الروائي الإنجليزي المعاصر: د.هـ. لورانس "D.H. Lorance": «إنني أشمئز من الربط بين المسيح وبين الخروف المذبوح، مع أن الخراف أغبى وأجشع ما في مملكة الحيوان)). نقلا عن: المسيحية لأحمد شلبي ص٢٠٣.

(٢) الرؤيا ٢١/ ١٤.

(٣) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٦٥٤.

(٤) انظر: الرؤيا ١/ ١.

المطلب الثاني: رسائل الرسل متنا.

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: بولس وأفكاره من خلال الرسائل المنسوبة إليه.

في البداية أقول: إن الحديث عن بولس وأفكاره لا يمكن تناوله بشكل كاف في مثل هذا البحث الذي له مرماه الخاص ومحوره المستقل. لذا، سأحاول الاقتصار على أهم ما يمكن أن يقال عن هذه الشخصية الأكثر تأثيرا على الديانة النصرانية على الإطلاق، وذلك من خلال العناصر الآتية:-

أ- تعريف موجز ببولس - شاول اليهودي - من بداية حياته إلى فترة التحول.

ب- هل تحول بولس إلى النصرانية فعلا أم بقي يهوديا؟

ج- بولس فيما بعد مرحلة التحول.

د- بولس وتلاميذ المسيح عليه السلام.

هـ- أبرز ما دعا إليه بولس مما فيه مخالفة للمسيح ولدعوته عليه السلام.

أولاً: بولس. شاول اليهودي. من بداية حياته إلى فترة التحول.

ولد من أبوين يهوديين عبرانيين فريسيّين في مدينة طرسوس[1] الرومانية في حوالي السنة العاشرة بعد الميلاد[2]، لذلك كان يهوديا: دما ولحما، وروماني

---

(١) كما قال عن نفسه: "أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية..." (الأعمال ٢٢/ ٣). وطرسوس: عاصمة كيليكيا في شرقي آسيا الصغرى، وهي في الوقت الحالي مدينة تركية وتدعى إلى اليوم طرسوس. قاموس ك.م. ص٥٧٥-٥٧٦.

(٢) انظر: الدائرة الأمريكية ٢٤/ ١٥٦-١٥٧، وول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٤٩.

الجنسية[1]. على خلاف في سبب اكتسابه الجنسية الرومانية هذه، أهو الولادة فقط أم الشراء؟[2].

ومن هنا كان له اسمان، اسم يهودي عبري وهو "شاول" أي مطلوب، واسم روماني وهو "بولس" أي الصغير[3]، كما جاء في سفر أعمال الرسل[4]: «وأما شاول الذي هو بولس أيضا».

أما سبب اشتهاره ببولس فقط دون الاسم الآخر فلا يُعرف على وجه اليقين، وإنما وردت فيه أقوال، منها: أن بولس كان يفتخر بجنسيته الرومانية ويُفضّل أن يُعرف بالاسم الروماني "بولس"[5]، وقيل: لأن الاسم "بولس" هو ما عُرف به لدى الأمميين، حتى كان يُظن أنه مرادف للاسم العبري "شاول"[6]. وعلى العموم فإن القارئ المتأمل لنصوص العهد الجديد يرى أن الاسم "شاول" كان يطلق عليه في سفر أعمال الرسل ـ الذي هو أهم وأوسع مصدر لسيرة حياته ـ إلى الفقرة التاسعة من الإصحاح الثالث عشر، حيث أُطلق عليه للمرة الأولى الاسم "بولس" واستمر الكاتب عليه بعد ذلك وتجنب ذكره باسم "شاول"[7]، وهذا يتزامن مع مرحلة بدء

---

(١) انظر: الأعمال ١٦/ ٣٧-٣٨، و٢٢/ ٢٥-٢٩.

(٢) انظر: فهيم عزيز (م.ن.) ص٣٤٥.

(٣) انظر: قاموس ك.م. ص١٩٦.

(٤) ١٣/ ٩.

(٥) انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ١٣/ ١٠٩٠.

(٦) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٤٩، وقاموس ك.م. ص١٩٦.

(٧) إلا فيما كان حكاية من بولس نفسه عن حياته السابقة كما في ٢٢/ ١٣.

رحلات بولس التبشيرية بعد تحوله المزعوم. وقد يكون هذا ما جعل بعض الناس يقولون: إن "بولس" هو الاسم النصراني ل"شاول"، والله تعالى أعلم.

أما إطلاق اسمين على شخص واحد في حد ذاته فلا غرابة فيه بالنسبة للعهد الجديد، لورود حالات أخرى مماثلة [١].

نشأته وتكوّن شخصيته:

لقد نشأ بولس وقضى أولى مراحل حياته في مدينة طرسوس، مسقط رأسه، في بيئة غارقة في الفلسفة والوثنية. حيث كانت المدينة مفرق الطرق التجارية المهمة التي تجلب إليها في آن واحد من اليونان وإيطاليا والشام ومصر وغيرها سيلا مندفعا من الأفكار والمعتقدات والتأثيرات المتنوعة. يقول البروفيسور شارل جنيبير: « وهكذا نستطيع أن نجد تفسيرا للأمر الذي يهمنا بالدرجة الأولى، وهو معرفة بولس للمبادئ الأولى للفلسفة الرواقية [٢]، وللوسائل الشائعة في الأساليب الخطابية لدى المفكرين اليونانيين، وذلك مع ترجيحنا أنه لم يكن من رواد جامعة طرسوس [٣]، ولا من دارسي الفلسفة الرواقية، فقد كفاه أنه عاش سني شبابه في

---

(١) انظر: الأعمال ١/ ٢٣، وكولوسي ٤/ ١١.

(٢) الفلسفة الرواقية: مذهب فلسفي ازدهر حوالي القرن الرابع ق.م. واستمر حتى القرن الرابع للميلاد، بدأت في اليونان ثم امتدت إلى روما. ومما عرف عن الفلاسفة الرواقيين القول بأن المادة تتجزء إلى غير نهاية، وأن النار أصل الوجود، وأن العالم لا ينفصل عن الله...، وأما تسميتها بالرواقية فيرجع السبب فيها إلى أن مؤسسها: زينون الفيلسوف كان يعلّم تلاميذه في رواق. المعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا ١/ ٦٢٢-٦٢٣، والموسوعة العالمية ١٧/ ٤٦٠.

(٣) جامعة طرسوس أو مدرسة طرسوس: كانت تعدّ الثالثة في الشهرة بعد مدرسة أثينا ومدرسة
=

هذا الوسط الذي تشبع بالتراث اليوناني على أيدي أساتذة الفلسفة هؤلاء، الذين جمعوا بين التفكير الفلسفي والأسلوب الخطابي»[(١)]. وجاء في قاموس كتاب النصارى المقدس في وصف بيئة طرسوس: «**وكانت مركزا للفلسفة الرواقية التي ظهر تأثيرها في كثير من تعبيرات الرسول [أي بولس] عن المبادئ المسيحية**»[(٢)]. ويقول المؤرخ ول ديورانت: «**ومن حقنا أن نعتقد أن بعض المبادئ الدينية والأخلاقية الرواقية انتقلت من البيئة المدرسية في طرسوس إلى مسيحية بولس**»[(٣)].

ولما كان بولس شابا يافعا في نحو العشرين من عمره ابتعثه أبواه إلى أورشليم ليتبحَّرَ في الثقافة اليهودية على يدي رجل يُدعى غمالائيل، وهو من أشهر أحبار اليهود ومفسري الناموس آنذاك، كما جاء على لسان بولس نفسه: «أنا رجل يهودي ولدتُ في طرسوس كيليكية، ولكن ربّيتُ في هذه المدينة[(٤)] مؤدَّبا عند رجلي غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوي»[(٥)]. وعن حصيلة هذه

=

الإسكندرية، بل كان المعلمون والمدربون للأسرة المالكة في الإمبراطورية الرومانية يُعيَّنون من طرسوس. قاموس ك.م. ص٥٧٦.

(١) شارل جنيبير (م.ن.) ص٦٨، وقريب منه ما جاء في تأريخ المسيحية (فجر المسيحية) لحبيب سعيد ١/ ٤٠.

(٢) قاموس ك.م. ص١٩٦.

(٣) ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٤٩.

(٤) يعني أورشليم أو القدس.

(٥) الأعمال ٢٢/ ٣.

المدرسة اليهودية يقول ول ديورانت: «واتّخذ بولس عنه [أي غمالائيل] وعن غيره تلك الطريقة الحصيفة[١] والجدلية السوفسطائية[٢] في بعض الأحيان في تفسير الكتاب المقدس»[٣].

ومن الجدير بالذكر أن بولس على الرغم من مجيئه إلى أورشليم، لم يُنقل أنه التقى بالمسيح قط حتى زمن رفعه ﷺ.

وبعد هذا الانتقال من طرسوس إلى أورشليم، لا نقرأ في سجل حياة بولس سوى أنه صار متحمسا جدّا لتقاليد آبائه ومتعصبا لها أشد تعصب، فبدأ في اضطهاد النصارى وإلحاق أكبر قدر ممكن من الضرر بهم بشتى الوسائل، كما يروي تفاصيل ذلك سفر أعمال الرسل وغيره[٤]. وإنما الذي يهمنا هنا معرفة بعض الوقفات المهمة مع أخبار اضطهاده هذا للنصارى وملابساته.

أولا: يقول القس د/ فهيم عزيز في سبب هذا الاضطهاد: «فلما رأى [بولس] أن الطريق المسيحي وتعاليم المسيحيين لا تتفق مع الناموس بل تناقضه، فقد بدأ

---

(١) حصُف أي استحكم عقله، فهو حصيف، وأحصف الأمر أي أحكمه. القاموس ص١٠٣٤.

(٢) السفسطة: عند الفلاسفة هي الحكمة المموهة، وعند المنطقين هي القياس المركّب من الوهميات، والغرض منه تغليظ الخصم وإسكاته. والسوفسطائيون: اسم يطلق على أعضاء حركة ثقافية وُجدت في المدن الإغريقية في النصف الثاني من القرن الرابع ق.م. انظر: د/ جميل صليبا (م.ن.) ١/ ٦٥٨، والموسوعة العالمية ١٣/ ٢٣٨.

(٣) ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٥٠.

(٤) انظر: الأعمال ٧/ ٥٨ و٨/ ١-٣، و٩/ ١-٢، و٢٢/ ٤-٥، و٢٦/ ١٠-١١، و١- كورنثوس ١٥/ ٩، وغلاطية١/ ١٣-١٤، وفيلبي ٣/ ٦، و١ -تيموثاوس١/ ١٣.

يضطهد الكنيسة اضطهادا مرّا»[١]. أي أن السبب في مقاومته للنصرانية العيسائية القائمة آنذاك هو مخالفتها للناموس الموسوي!

أقول: إن قصد ما يدعيه اليهود عموما من أن المسيح خالف دينهم فله وجه، أما كون المسيح قد خالف موسى عليه السلام في دعوته فهو أمر مرفوض وكل منصف غير متعصب لفكره أو رأيه يرفضه، لذا، جاء في قاموس كتاب النصارى المقدس ـ وهو من وضع نخبة من علماء النصارى ـ أن الدافع لبولس فيما أقدم عليه من الاضطهادات هو كونه: «يكره الفكرة أن ذلك المصلوب هو المسيا (المسيح)، ويعتقد أن تابعيه كانوا خطرا دينيا وسياسيا»[٢]. فالحقيقة إذًا، كما يقول الأستاذ شارل جنيبير أن بولس كره «هؤلاء الحمقى الذين اتبعوا رجل الجليل المصلوب»[٣] في زعمه.

ثانيا: أن الكيفية التي يتم بها عرض أخبار هذا الاضطهاد فيها شيء من المبالغة والمغالاة. يقول شارل جنيبير مرة أخرى: «وإن تفاصيل ما ترويه لنا أعمال الرسل عن عنفه [بولس] في الشر لتبعث على الشك، **ويبدو لنا من المرجّح أن الغرض منها لم يكن إلا إبراز تحوله المفاجئ عن هذه العداوة الشديدة في صورة برّاقة**»[٤]. ويؤيد هذا بعض الإشارات الدالة على أن بولس هذا لم تكن له شهرة أو

---

(١) فهيم عزيز (م.ن.) ص٣٤٥.

(٢) قاموس ك.م. ص١٩٧.

(٣) شارل جنيبير (م.ن.) ص٨٦.

(٤) نفسه والصفحة كذلك.

مكانة اجتماعية تؤهله لما وصف به، ومن ذلك أن مجمع اليهود في أورشليم ورؤساء الكهنة فيها لم يكونوا يعرفون أنه (بولس) من اليهود الفريسيين[١]! وكذلك كان الوالي أو الحاكم الروماني يجهل جنسيته (بولس) الرومانية![٢]، وفي حادثة قتل أول منْ قُتل من أتباع المسيح ﷺ بعد رفعه كان بولس مجرد حافظ لثياب الذين باشروا القتل![٣].

قصة تحوّل بولس إلى النصرانية:

وبعد فترة من الزمن زعم بولس أنه بمعجزة إلهية تحوّل من أحد ألدّ أعداء المسيح ﷺ ودعوته إلى ناصر من كبار أنصاره أو أكبرهم على الإطلاق. أما كيف تم ذلك؟ فلنترك الحديث لتلميذه لوقا حيث يقول: «أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة، وطلب منه رسائل إلى دمشق، إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسا من الطريق رجالاونساء يسوقهم موْثَقين إلى أورشليم. وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نورٌ من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له: شاول شاول لما ذا تضطهدني. فقال: من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده، صعب عليك أن ترفس مناخس[٤]. فقال وهو مرتعد ومتحيّر: يا رب ما ذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب:

(١) انظر: الأعمال ٢٣/ ٦-٩.

(٢) انظر: الأعمال ٢٢/ ٢٥-٢٩.

(٣) انظر: الأعمال ٧/ ٥٨ و٢٢/ ٢٠.

(٤) رفس يرفس رفسا ورِفاسا أي ركض برجله. ورفس البعير أي شدّه بالرفاس وهو الإباض. =

قم وادخل المدينة فيُقال لك ما ذا ينبغي أن تفعل. وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدا، فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصرُ أحدا فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق، وكان ثلاثة أيام لا يُبصر فلم يأكل ولم يشرب»[1]. ولنا وقفات مع القصة نفسها:

الأولى: من المعلوم أن أي كاذب إنما يُطلق كذبَه على أنه حقيقة، وحينما تختلف روايته في حالة تكرار أو إعادة هذا المخبر به مرة بعد أخرى، حينئذ ينكشف أمره، وتُعلم حقيقة الشيء الذي قد حاول إخفاءه. لذا كان عدم الثبات أوالتناقض عدوَ الكاذب اللدود. كما أن الوقت أيضا عامل لا يستهان به في انكشاف أمر الكاذب بعد نجاحه في تقبل الناس كذبَه على أنه حق، فإنه عادةً بعد مرور عدة سنوات مثلا يُضخِّم كذبه هذا وربما زيّنه ليكون أدعى للقبول والإقناع[2]. وعلى هذا الضوء نستعرض روايات قصة تحوّل بولس المتعددة، وبالله التوفيق:

ففي عام ٣٥م لما وقعت الواقعة[3]، كانت الحال بالنسبة للمسافرين مع بولس أنهم: «وقفوا صامتين **يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدا**»[4]، وبعد ذلك بخمسة وعشرين عاما أي في عام٦٠م يروي بولس القصة فيقول: «... والذين كانوا معي

=

والمنخوس هو البعير الذي في إبطه ناخس أي ضاغط أو عند ذنَبِه جرَبٌ. انظر: القاموس ص٧٠٧ و٧٤٤.

(١) الأعمال ٩/ ١-٩.

(٢) انظر: Sheard,W.J; Who founded Christianity? P.5-6، بتصرف.

(٣) انظر: قاموس ك.م. ص١٩٨.

(٤) الأعمال ٩/ ٧.

نظروا النور وارتعبوا، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني»[١]! ثم بعد هذا بسنتين أي في عام ٦٢م يروي بولس القصة نفسها مع عناصر تفخيم جديدة، منها أن المسيح عليه السلام تكلم باللسان العبراني كلاما أطول جدا مما ذكر في الموضعين السابقين، وأن جميع الذين كانوا معه في ذلكم السفر العجيب قد سقطوا معه على الأرض[٢] وليس إياه فحسب كما في الروايتين السابقتين!!![٣].

الثانية: أن المسيح في هذه القصة ـ على فرض ثبوتها ـ إنما قال لبولس: «أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده»[٤]، لكن بما ذا أجاب بولس؟ أجاب قائلا: «يا رب ماذا تريد أن أفعل؟»[٥]. إذًا، المسيح نفسه لم يدّع الربوبية وإنما اختلقها بولس من تلقاء نفسه. أضف إلى ذلك أن بولس بعد هذا الحادث سرعان ما بدأ ينادي ببنوة المسيح للإله أيضا كما جاء في سفر أعمال الرسل[٦]: «وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله».

الثالثة: أن القصة بلا شك تحوي أمورا غير معقولة، منها أن بولس هذا ظل ثلاثة أيام بلياليها لا يبصر ولا يأكل ولا يشرب شيئا!

---

(١) الأعمال ٢٢/ ٩.

(٢) انظر: الأعمال ٢٦/ ١٤-١٩.

(٣) انظر: Encyclopedia of Religion & Ethics 9/682، وSheard,W.J.; (op.cit.) P.6

(٤) الأعمال ٢٢/ ٨، وكذلك ٩/ ٥ و٢٦/ ١٥.

(٥) الأعمال ٩/ ٦ و٢٢/ ١٠.

(٦) الأعمال ٩/ ٢٠.

ثانياً: هل تحوّل بولس فعلا إلى النصرانية أو بقي يهودياً؟

لا غرابة في تحوّل إنسان من ديانة إلى أخرى خاصة إذا كانت الأخيرة هي الحق، وإنما الغرابة في حق بولس تكمن فيما تحوّل إليه، من الكفر المطلق بدينٍ إلى الرسالة في الدين نفسه![1]. ففي هذا مخالفة للسنن الكونية الإلهية، حيث لم يعهد ذلك في أنبياء أو رسل قط. فلم يوجد رسول بُعث من غير أن يكون في حياته الأولى ـ أعني قبل الرسالة ـ استعداد لتلقي الوحي، وصفاء نفسٍ يؤهله للإلهام، من غير أن يكون الاتهام والتكذيب يغلبان على رسالته. وأنه إذا لم تكن للرسالة مقدمات، فعلى الأقل لا يكون قبلها ما ينافيها أو يناقضها. لكن بولس ـ كما يصفه الأستاذ أبو زهرة ـ أبو العجب، حيث استطاع أن يتغلب على ذلك العجب في عصره، وأن يفرض نفسه على النصارى من بعده[2]، فترقّى من يهودي متعصب مضطهِد إلى مبشّر ثم عالم بالأسرار اللاهوتية من غير تعلم سابق ولا اتصال بتلاميذ المسيح عليه السلام، ثم رسول ملهم وموحى إليه من الروح القدس ومؤسس الكنائس وموجهها الرئيس.

ومن هذا المنطلق اختلفت الآراء في حقيقة تحوّل بولس أو تجدده كما يقولون إلى الآتي:-

الرأي الأول: أن بولس دخل في النصرانية صادقاً ولكنه بناءً على خلفيته الفلسفية وآرائه الشخصية خطّ لنفسه طريقاً في النصرانية خاصاً لم يلتزم فيه بما جاء عن المسيح وتصوّر فيه تصورات بثها في دعوته فقبلها الوثنيون، فساعد ذلك على

---

(١) انظر تسميته نفسه رسولا في: غلاطية ١/ ١.

(٢) انظر: محاضرات أبي زهرة ص٦٩.

تركيزه عليها والدعوة إليها، وهو في ذلك من جنس رؤوس البدع وأهل الضلالة من جنس ابن عربي[١] وابن سبعين[٢] وغيرهما ممن حاولوا التوفيق بين ضلالاتهم والوحي، والله أعلم.

إذًا، نستطيع القول ـ على ضوء ما تقدم ـ بأن بولس إنما تحوّل إلى النصرانية التي أرادها هو وليس إلى النصرانية على الصورة التي جاء بها المسيح عليه السلام وقاومها بولس واضطهد أهلها قبلا[٣].

الرأي الثاني: أن بولس لم يكن يوما نصرانيا أو مؤمنا برسالة المسيح عليه السلام بالأصح، وإنما بقي على يهوديته إلى أن مات. أما ما شوهد عنه في الظاهر أو ادّعاه هو نفسه من أنه تحول إلى النصرانية، فمجرد حيلة أو مكيدة استعملها كي يتمكن من القضاء التام على نصرانية عيسى عليه السلام، وذلك بأسلوب الهدم من الداخل، بعد أن عجز عن إبادتها واستئصال أهلها بأسلوب الهدم من الخارج المتصف بالعنف والاضطهاد[٤]. ويعتقد و.ج. شيرد[٥] أن قصة رؤيا طريق دمشق السالفة الذكر وما

---

(١) هو: أبو بكر محمد بن علي الطائي الأندلسي، من كبار أئمة الإلحاد والاتحاد والزندقة، وكان يقول بإيمان فرعون. توفي عام ٦٣٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٣/ ٤٨.

(٢) هو: أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم الإشبيلي، من رؤوس الإلحاد ومن القائلين بالاتحاد، وكان يقول إن النبوة مكتسبة، بل ويسخر من الطائفين بالبيت... الخ. توفي سنة ٦٦٩هـ. انظر: جلاء العينين للألوسي ص٨١-٨٢.

(٣) انظر: شارل جنيبير (م.ن) ص٩٦-٩٨، بتصرف.

(٤) انظر: يا أهل الكتاب تعالو إلى كلمة سواء للدكتور رؤوف شلبي ص١٠٢، والبشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل للسقا ١/ ٧١-٧٢، ومحمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٤٤.

(٥) هو: محمد وليم يوحنا شيرد "Muhammad William John Sheard"، كان نصرانيا ثم أسلم =

تلاها من أحداث، إنما كانت تنفيذا لخطة مدروسة استغرقت عملية تخطيطها وتدبيرها عدة أيام بين بولس ورئيس كهنة اليهود في أورشليم[(١)]. بل إن أكثر علماء المسلمين على أن بولس يهودي تظاهر بالتنصر لهدم الديانة.

الرأي الثالث: ـ وهو الرأي التقليدي عند معظم النصارى ـ وهو: أن بولس تغير مجرى حياته تغيرا تاما ـ على إثر حادثة طريق دمشق ـ من كافر بالمسيح ورسالته إلى مؤمن بهما، ومن مضطهِد لأتباعه إلى مضطهَد من قبل أعدائه[(٢)].

ومن خلال هذا العرض لأهم الآراء في حقيقة تحوّل بولس أو تجدّده، نستنتج ما يلي:-

أ ـ أن رؤيا طريق دمشق باعتبارها أساسا لتحوّل بولس، لا يقين بصحتها، فشأنها شأن ما يماثلها من القصص الخرافية[(٣)]، ومن المحتمل أن يكون بولس قد استفاد في تأليف هذه القصة من قصة رؤيا دانيال الواردة في العهد القديم، حيث رأى هو أيضا رجلا لابسا كتّانا، وجهه كمنظر البرق وعيناه كمصباحي

=

وهو عضو المجلس التعليمي في المنظمة العالمية للدعوة الإسلامية، ومن مؤلفاته ـ بعد إسلامه ـ كتاب: من أسس المسيحية، يسوع أم الشعب اليهودي؟ (باللغة الإنجليزية).

(١) انظر: Sheard, W.J; (op.cit.) P.3-4.

(٢) انظر: قاموس ك.م. ص١٩٧، وفهيم عزيز (م.ن.) ص٣٤٥.

(٣) ومنها: رؤيا فرانسوا داسيز على طريق سبوليت، وظهور العذراء للقديس إيجانس دي لويولا، وظهورها في كنيسة السيدة العذراء بمدينة إدفو المصرية في عام ١٩٨٢م. انظر: شارل جنيبير (م.ن.) ص٩٩، وكتاب: العذراء تظهر في إدفو، للقمص صليب إلياس الديك، نشر: لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف.

نار... الخ. وقد رأى دانيال الرؤيا وحده أيضا، والذين كانوا معه كذلك لم يروها ولكن وقع لهم اضطراب عظيم، وكذلك بعد سماع دانيال الصوت سقط على الأرض! إنما الاختلاف الوحيد بين الموقفين أو القصتين، أن دانيال أصيب بخرس مؤقت بعد رؤياه، بينما أصيب بولس بعمى مؤقت عقب رؤياه[1]، فما أشبه اليوم بالبارحة؟!!!

ب ـ أن رؤيا طريق دمشق هذه في الحقيقة ليس لها أي أثر على بولس، كما يقول جنيبير: «ولنؤكد هنا أن رؤيا طريق دمشق لم تغير من ذات بولس، بل دفعته فحسب إلى تطبيق مبادئه القديمة في اتجاه جديد»[2].

ج ـ أن بولس سواء تحول عن اليهودية أم لم يتحول، فإن المؤكد أنه لم يتحول إلى النصرانية العيسائية. ومما يؤيد هذا:-

١ ـ أن بولس منذ بدء دعوته الجديدة هذه كان يدعو مدعوه إلى البقاء على ما كان عليه قبل إيمانه بالمسيح ﷺ أو بالمسيحية[3]، لأن ذلك التشكيك فقط يكفيه في تنفيذ مخططه دون الحاجة إلى الخروج بهذا المدعو إلى أي نور أو بصيرة، وهذا عين الأسلوب المتبّع لدى المنصّرين في الوقت الحاضر[4].

---

(١) انظر: دانيال ١٠/ ٤-١٦، وSheard, W.J. (op.cit.) P.5.

(٢) شارل جنيبير (م.ن.) ص١٠٠.

(٣) انظر: ١ ـ كورنثوس٧/ ١٨-٢٤، و١٠/ ٣٢-٣٣. وكتاب: المسيحية عقيدة وعمل، الذي نشرته الفاتيكان عامَ ١٩٦٨م ص٥٠، نقلا عن: المناظرة بين الإسلام والنصرانية ص١٥٨.

(٤) انظر: معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير لإبراهيم بن سليمان الجبهان ص١٢٦ و١٣٠-١٣٢.

٢ ـ أن تظاهر بولس بالإيمان بالمسيح عليه السلام له نظائر في التأريخ وليس مستحيلا أو بعيدا، فإن عبد الله بن سبأ اليهودي[1] قد تظاهر بالدخول في الإسلام، وكان يهدف إلى النيل منه ومن أهله. ولكي أزيد المسألة إيضاحا أُورد هنا نص خطاب المجمع اليهودي العالمي المنعقد في اسطنبول عامَ١٤٨٩م، ردًّا على رسالة وردت إليه من حاخام اليهود في بعض المدن الفرنسية:-

«أيها الإخوة الأعزاء بموسى، تلقينا كتابكم الذي تطلعوننا فيه على ما تقاسونه من الهموم والبلايا، فكان وقع الخبر علينا شديد الوطأة، وإليكم رأي الحاخامين والربا نيين:

تقولون إن ملك فرنسا يجبركم على اعتناق الديانة المسيحية فاعتنقوها، لأنه ليس بوسعكم أن تقاوموا، لكن يجب عليكم أن تبقوا شريعة موسى راسخة في قلوبكم. وتقولون: إنهم يأمرونكم بالتجرد من ممتلكاتكم، فاجعلوا أولادكم تجّارا ليتمكنوا رويدا رويدا من تجريد المسيحيين من أملاكهم. وتقولون: إنهم يعتدون على حياتكم، فاجعلوا أولادكم أطبّاءً وصيادلة ليعدموا المسيحيين حياتهم. وتقولون: إنهم يهدمون معابدكم، فاجعلوا أولادكم كهنة وإكليريكيين[2] ليهدموا كنائسهم. وتقولون: إنهم يسومونكم تعديات أخرى كثيرة، فاجعلوا أولادكم وكلاء دعاوى

---

(١) هو: عبد الله بن سبأ الهمذاني أو الحميري، ابن السوداء، رأس الطائفة السبئية. كان يهوديا من أهل صنعاء ثم أظهر الإسلام نفاقا. ومن مذهبه: القول برجعة النبي ﷺ، والقول بألوهية علي رضي الله عنه. توفي نحو سنة ٤٠هـ. البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ١٨٣، وخير الدين الزركلي (م.ن.) ٤/ ٨٨.

(٢) الإكليريكي: أي رجل دين نصراني. انظر: المورد لمنير البعلبكي ص١٨٤.

وكتّاب عدل ليتدخلوا دوما في القضايا الحكومية، ويُخضعوا المسيحيين لنيركم، فتستولون على زمام السلطة العالمية، وبذلك يتسنى لكم الانتقام.

سيروا بموجب أمرنا هذا، فتتعلموا بالاختبار أنكم من مذلّتكم وضعتكم تتوصلون إلى ذروة القوة والعظمة.

أمير اليهود»[(١)].

وبعد هذا كله، إذا أمعنَّا النظر في أمر آخر يتمسك به النصارى في زعمهم أن بولس قد تحوّل فعلا إلى النصرانية، وهو ما لاقاه من تعذيب وتشريد وسجن وانتهى بقطع رأسه في روما[(٢)]، بتهمة الانتماء إلى هذه الديانة المشبوهة في نظر الحكّام الرومانيين والحاخامات اليهود. فكيف يا تُرى يمكن الجمع بين هذا وبين ما قلنا بأن بولس في حقيقة أمره لم يؤمن بالمسيح ولم يتّبعه قط؟

لقد ثبت ثبوتا يقينيا أن بولس لم يعتنق النصرانية العيسائية التي ظلّ يقاومها سنين، فالرأي الذي أميل إليه ـ والعلم عند الله ـ أن الرجل كان ذا ثقافة منحرفة فدخل في النصرانية بتلك الثقافات فابتدع فيها ما ابتدع وهو يظن أنه ينصر الحق فإذا هو يهدمه، شأنه شأن سائر المبتدعة في سائر الأديان، أو أنه دعا إلى ما دعا إليه ليخدم مصلحته الخاصة ولإشباع رغبته في الرئاسة والقيادة، فلا بد إذًا من تطبيق قاعدة "خالف تُعرفْ"، ولا أدلّ على ذلك من مخالفته لجميع من أخذوا العلم عن

---

(١) الصهيونية بين تأريخين ص٢٦٥-٢٦٦، دار العودة بيروت ١٩٧٢م، نقلا عن: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا ص٤٩٨ ـ الملحق ـ

(٢) انظر: قاموس ك.م. ص٤١٧، وتأريخ المسيحية لحبيب سعيد ١/ ٤٤.

المسيح ـ كما سيأتي قريبا إن شاء الله ـ، وموقفه العدائي من الناموس الموسوي في آن واحد، وتصدّيه أو تجرّئه على إنشاء الكنائس والتنظيمات الكهنوتية اللاهوتية المختلفة، والله تعالى أعلم.

ثالثاً: بولس بعد تحوّله إلى النصرانية.

المراد من هذا التعرف على أهم ما قام به بولس وما خلّفه من الآثار في الديانة النصرانية بعد تحوله إليها أو تظاهره بذلك على الأصح. ونتعرض كذلك لأهم أساليبه وعوامل نجاحه وانتشار أفكاره، إن شاء الله.

ويمكن إجمال هذه الإنجازات أو الآثار في النقاط الآتية:-

أ ـ إنشاء الكنائس أو التجمعات النصرانية في مناطق خارج حدود فلسطين.

ب ـ القيام بالرحلات التبشيرية إلى مدن مختلفة.

ج ـ ينسب إليه معظم رسائل العهد الجديد، وأكثر من نصف مجموع أسفار العهد الجديد بصفة عامة.

د ـ أثره الواضح على بعض كتبة الأناجيل كلوقا ويوحنامثلا.

هـ ـ إحداث أو ترسيخ عدد من العقائد الجديدة في الديانة النصرانية، والتي حوّلتها من ديانة التوحيد إلى ديانة وثنية.

و ـ اكتساب شعبية وتبعية لم تتها لأحد من تلاميذ المسيح عليه السلام ولا غيرهم من أتباعه[١].

---

(١) ملخصة من سيرة حياة بولس كما وردت في سفر الأعمال والرسائل المنسوبة إلى بولس نفسه.

أما بالنسبة لأهم ما استخدمه بولس من الأساليب لاصطياد الناس، فأقول:-

أولا:- دعوى الرسالة والوحي، كما وردت في مواضع عديدة من رسائله، من ذلك قوله: « بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولا المفرز[١] لإنجيل الله »[٢]، وقوله في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس[٣]: « إن كنت لست رسولا إلى آخرين، فإنما أنا إليكم رسول، لأنكم أنتم ختم رسالتي في الرب ». حتى إن بعض الكتّاب النصارى ليقول: « **فجاءت بعثة بولس بأسلوب بعثة الأنبياء العظام كموسى وإشعياء** »[٤]!!!

فهذه الدعوى، إن قصد بها دعوى الرسالة أو النبوة الإلهية فهي باطلة بدليل حديث: « **فليس بيننا - أي بينه ﷺ وبين عيسى ﷺ - نبي** »[٥]، وما يُنقل عن المسيح عليه السلام أيضا في أناجيلهم أنه قال: « لأنه سيكون مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يُضلّوا لو أمكن المختارين أيضا. ها أنا قد سبقتُ وأخبرتُكم »[٦].

وأما إن قصد بها أنه رسول لعيسى عليه السلام، فعليه إثبات إيمانه به أولا قبل الرسالة منه. وحيث لم يثبت الأصل فالفرع أولى بالسقوط.

ثانيا:- بعد ذلك ادّعى بولس وجود أسرار معيّنة في الديانة النصرانية وأنه

---

(١) الفرز والإفراز: عزل شيء من شيء وميزُه. القاموس ص٦٦٨.

(٢) رومية ١/ ١.

(٣) ٩/ ٢.

(٤) يوسف دره الحداد (م.ن.) ١/ ١٣٨.

(٥) الحديث متفق عليه وقد تقدم تخريجه.

(٦) متّى ٢٤/ ٢٤-٢٥.

الوكيل أو الباب إليها، كما جاء في إحدى رسائله: «لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر، ولا من عظماء هذا الدهر الذين يُبطَلون، بل نتكلم بحكمة الله في سر الحكمة المكتومة التي سبق الله فعيّنها قبل الدهور لمجدنا، التي لم يعلمها أحدٌ من عظماء هذا الدهر، لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد»(١)، وجاء عنه أيضا: «هو ذا سرٌّ أقوله لكم، لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير»(٢)، وقال أيضا: «هكذا فليحسبنا الإنسان كخدّام المسيح ووكلاء سرائر الله»(٣)!! وجاء عن بعضهم في تفسير هذا النص: «وبما أنه [بولس] وكيل المسيح على أسرار الله، فسلطانه من مرسله، **ولا يحق لأحد أن ينظر في أمره**، فهو لا يحتكم في أمانته إلا إلى منبر الرب»(٤)!

فبهذه الطريقة يتم لبولس نشر كل ما أراد نشره من الأفكار والمعتقدات، وليس لأحد حق النظر أو التدبر فيها! لأنه في زعمه وفي زعم أتباعه: روح الله، و«أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله»(٥).

ثالثا:- تلوّنُه ومجيئه لكل فئة من الناس بما يناسبها من عقائد وأفكار كما يفعل الباطنيون في حيلهم(٦). فهاهو يصف حالته تلك فيقول: «فإني إذ كنت حرا

---

(١) ١ ـ كورنثوس ٢/ ٦-٨.

(٢) ١ ـ كورنثوس ١٥/ ٥١.

(٣) ١ ـ كورنثوس ٤/ ١.

(٤) يوسف دره الحداد (م.ن.) ١/ ١٩٨.

(٥) ١ ـ كورنثوس ٢/ ١١.

(٦) راجع: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها للدكتور غالب علي العواجي =

من الجميع، استعبدتُ نفسي للجميع لأربح الأكثرين، فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس، وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس، مع أني لست بلا ناموس لله، بل تحت ناموس للمسيح لأربح الذين بلا ناموس. صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء، صرت للكل كلَّ شيء لأخلص على كل حال قوما»[(١)].

وقد كتب أحد المشاركين في المؤتمر التنصيري المنعقد في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٨م ما يلي: «والذي يعنيه الرسول بولس من هذا كله أنه بالنسبة لقضية الثقافة، فإن مبلّغ الرسالة وليس المستمع هو الذي عليه أن يتغير... فقد جسَّد الرسول بولس المسيح في شكل يهودي كي يصل إلى اليهود، وجسّده في **شكل وثني كي يصل إلى الوثنيين**، فهل لدينا الجرأة على سلوك مسلك يسوع والرسول بولس، وأن ندعوا إلى "**مسيح متجسد بشكل إسلامي**" **كي نصل إلى المسلمين**؟ ... فما المدى الذي نحن على استعداد للذهاب إليه كي نجسد المسيح في بيئة إسلامية؟ هل يمكننا أن نكون قد اتبعنا النموذج الذي أعطانا إياه المسيح في التجسد **إذا ما قمنا بلبس العمائم والجلابيب، وذهبنا إلى أماكن عبادتهم حتى لو نظر إلينا الناس خطأً كمسلمين**»[(٢)].

فهكذا كان الرجل يتلوّن تلون الماء بالإناء الذي فيه، يُدخل في ديانته بعض

= ١/ ٢٩٧-٢٩٨.

(١) ١ ـ كورنثوس ٩/ ١٩-٢٢.

(٢) كتاب: التنصير (الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر المنعقد في أمريكا في عام ١٩٧٨م) ص١١٦-١١٧.

تعاليم اليهود ليجذب إليه العامة من اليهود، وصوراً من فلسفة اليونان لكسب أتباع له من اليونان وهكذا...، فهو فريسي حتى بعد أن نبذ الشريعة اليهودية، وذلك حين تكفل له الفريسية النجاة[1]، وروماني، حين لا ينفع غير الرومانية[2][3] وملحد، إذا سُدَّت الطرق كلها إلا الإلحاد، فالغاية عنده تُبرِّر الوسيلة.

رابعا:- تبرير ما يذهب إليه بأدلة من العهد القديم، تلبيساً للحق بالباطل. كما جاء في بعض رسائله: « فماذا إذًا؟ أنحن أفضل؟ كلاّ البتة، لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية، كما هو مكتوب أنه ليس بارٌّ ولا واحد»[4]، وجاء في أخرى: « فإنّني سلّمتُ إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضا أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب»[5][6].

أهم عوامل انتشار أفكار بولس:

أولا:- ما امتاز به من الصفات الشخصية، ومنها أنه كان نشيطا دائم الحركة، ذا عشق عنيف للعمل وإحساس حاد بكل ما يقتضيه من أوجه النشاط، شديدَ التأثير في نفوس الجماهير، قويَ السيطرة على أهوائهم وعلى انتزاع الثقة به ممن

---

(١) انظر: الأعمال ٢٣/ ٦-٨.

(٢) انظر: الأعمال ٢٢/ ٢٥-٢٩.

(٣) انظر: محاضرات أبي زهرة ٦٦، ومقارنة الأديان لإبراهيم خليل أحمد ص١٧، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية ص١٥٥.

(٤) رومية ٣/ ٩-١٠.

(٥) ١ ـ كورنثوس ١٥/ ٣-٤.

(٦) انظر: علي عتيق الحربي (م.ن.) ص٧٥.

يتحدث إليه، بالإضافة لما كان يتمتع به من قوة الذكاء والموهبة الخطابية[١]، وتعدد الثقافات واللغات[٢].

ثانيا:- ما تقدمت الإشارة إليه قبل قليل من الأساليب الماكرة التي استخدمها عموما، والتي قد أعطت ثمارها يانعةً بشكل ملموس وملحوظ.

ثالثا:- ومن ذلك أيضا ما انتهجه من منهج موافقة المدعو على ما هو عليه من العقائد والأفكار، بل وتشجيعه على البقاء عليها مع اعتناقه الدين الجديد. فقد كان هذا من أمضى أسلحته الفتّاكة لمحاربة دعوة نبي الله عيسى عليه السلام الإلهية الأصيلة، نتيجة ما يلقاه مثل هذا المنهج الخبيث من إقبال رهيب من كل مَنْ هبَّ ودبَّ.

رابعا: سعيه لضمان وجود بعض التنازلات في الديانة النصرانية عن معتقداتها لتذوب وسط المعمعة[٣] الفكرية الوثنية في بيئة الأخيرة[٤]، حيث زعم بولس أنه قد أمر بنقل الأولى إليها إذ هو رسول الأمم أو الأمميين[٥].

خامسا:- ـ وله تعلق بالرابع ـ زعمه ودعوته إلى عالمية النصرانية كما سيأتي إن شاء الله قريبا.

---

(١) انظر: محاضرات أبي زهرة ص٦٨، وشارل جنيبير (م.ن.) ص٨٥-٨٦.

(٢) انظر: محمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٤٤-١٤٥.

(٣) المعمعة: صوت الحريق في القصب ونحوه، والسير في الحر، والعمل في عجل، والإكثار من قول "مع"، والقتال. القاموس ص٩٨٧.

(٤) انظر: محمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٢٦.

(٥) انظر: غلاطية ٢/ ٧-٨.

سادسا:- تخلّيه السريع، ثم التشاجر مع تلاميذ المسيح عليه السلام، مع دعوى استقلاله عنهم سواء في التحمل أو في الأداء كما سيأتي قريبا إن شاء الله.

سابعا:- الرعوية أو الجنسية الرومانية التي كان بولس يتمتع بها، حيث قد استفاد منها الجرأة والتحدّي. فبينما كان غيره يسجن ويجلد في بعض المواقف، كانت الجنسية الرومانية هذه ترفع عنه كل هذا[١]، كما جاء في سفر أعمال الرسل[٢]: « فلما مدّوه [أي بولس] للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف: أيجوز لكم أن تجلدوا إنسانا رومانيا غير مقضي عليه؟! فإذ سمع قائد المائة ذهب إلى الأمير وأخبره قائلا: انظر ما ذا أنت مزمع أن تفعل، لأن هذا الرجل روماني. فجاء الأمير وقال له [أي بولس]: قل لي أنت روماني؟! فقال: نعم... وللوقت تنحّى عنه الذين كانوا مزمعين أن يفحصوه واختشى الأمير لما علم أنه روماني، ولأنه قد قيّده ».

ثامنا:- رسائله التي بعث بها إلى الكنائس وإلى النصارى في جهات عديدة من العالم.

تاسعا:- مساندة الحكام الرومانيين للنصرانية المثلِّثة، المتمثلة في الأفكار والمعتقدات البولسية، ابتداءً من عهد الإمبراطور قسطنطين. وقد أشرتُ إلى هذا في الباب التمهيدي.

---

(١) انظر: محمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٤٥، وAjijola,A.D; (op.cit.) P. 68.

(٢) ٢٢/ ٢٥-٢٩.

رابعاً: بولس وتلاميذ المسيح عليه الصلاة والسلام.

أ- موقف بولس منهم:

بولس، بحكم كفره المعلوم بعيسى وبدعوته حتى رُفع عليه السلام، كان يُنتظر منه وهو يتحول إلى الديانة نفسها وقد رُفع مُبلّغها، أن يقضي أقصى ما يمكن من أوقاته في صحبة تلاميذ ذلك المبلغ وحوارييه الذين تلقّوا التعاليم منه، وتشرفوا بالتربية والنشأة الدينية في رعايته وتوجيهاته النبوية من غير واسطة، وكانوا في وقتهم ذاك ـ من البشر ـ أعلم بنبيهم وبدعوته عليه السلام.

ولكن بولس يسجّل رقما قياسيا آخر في سجل الشذوذ والشاذين، حيث أعلن استقلاله فورا عن هؤلاء التلاميذ، ونفى أن يكون تابعا لهم في شيء مما سبقوه إليه، وأبى أن يتقدموا عليه ولو بدرجة أو شبر. فلم يلتزم بالتعاليم الموجودة، معلنا عن استغنائه عن إرشاد أو نصح من أي بشر كائنا من كان، وزاعما أنه قد تلقّى كل شيء عن المسيح عليه السلام مباشرة، فأدلى بتصريحه الساخن الشهير قائلا: «وأُعرّفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشّرت به إنه ليس بحسب إنسان، لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلّمته بل بإعلان يسوع المسيح... ولكن لما سرّ الله الذي أفرزني من بطن أمي، ودعاني بنعمته أن يُعلن ابنَه فيّ، لأبشّر به بين الأمم، للوقت لم أستشر لحما ولا دما، ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي، بل انطلقت إلى العربية[1] ثم رجعتُ أيضا إلى دمشق، ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرّف

---

(١) أي المنطقة الشمالية من شبه الجزيرة العربية، وتسمى أيضا في كتاب النصارى المقدس بأرض المشرق وجيل المشرق وأرض بني المشرق. قاموس ك.م. ص٦١٦.

ببطرس، فمكثت عنده خمسة عشر يوما، ولكنني لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب، والذي أكتب به إليكم هو ذا قدّام الله أني لست أكذب فيه»[١].

إذًا، بولس كما يدل عليه كلامه هنا ظلَّ يدعو إلى النصرانية وفق مفهومه الخاص لمدة ثلاث سنوات، حتى قبل أن يتعرف على أيٍّ من تلاميذ المسيح عليه السلام، وذلك ـ كما جاء تحليله في دائرة المعارف البريطانية ـ لشعوره بالحاجة إلى العيش في جو هادئ صامت، يتمكن فيه من التفكير في موقفه الجديد، فقصد مكانا في جنوبي دمشق... وكانت القضية الأساسية عنده أن يفسر الناموس في ضوء تجاربه الحديثة تفسيرا جديدا[٢].

والغريب من أمر بولس أنه قد ذكر في قصة رؤيا طريق دمشق أنه قيل له: «قم وادخل المدينة فيقال لك ما ذا ينبغي أن تفعل»[٣]، وذلك على إثر قوله: «يا رب ما ذا تريد أن أفعل»[٤]، حيث إن العبارة وحدها تكفي للدلالة على أن الواجب عليه الاتصال بمن سبقوه في الإيمان ـ لو فرضنا صحة دعواه ـ لكن على العكس نجد أن بولس ليس لديه أي رغبة أو استعداد لمقابلتهم أو التلقي منهم، فهل كان هذا الإجراء أمرا عشوائيا أو غير مقصود؟ كلاّ، فإنه بعد هذا التحول المزعوم لم يكن يريد اتباع الديانة أو التعاليم التي ظل تلاميذ المسيح عليه السلام يعتبرونها دين المسيح، لهدف كان منشودا ومرسوما ومخطّطا له. بل كان يريد

(١) غلاطية ١/ ١١-٢٠.

(٢) انظر: الدائرة البريطانية ١٧/ ٣٨٩.

(٣) الأعمال ٩/ ٦.

(٤) نفسه.

تفسير الناموس وهذا الدين تفسيرا جديدا ـ كما تقدم أعلاه ـ فكان لا بد، كي يتحقق هذا، من إمعان النظر والتفكير في جو هادئ ومنعزل. وبعد خروجه من هذه العزلة التي فرضها على نفسه، وفيها قد تم رسم خط سيره نحو الهدف المنشود رسما نهائيا لا يقبل أي تعديل أو تدخل خارجي، كان من الطبيعي أن لا يرغب في مقابلة هؤلاء التلاميذ وهو على يقين من أنهم سيختلفون معه في كل صغير وكبير[1].

فهكذا انطلق بولس ليُكوّن النصرانية البولسية على حساب هؤلاء التلاميذ بعد أن تشاجر معهم، وقد بدأ بمقدِّمه إليهم: برنابا[2]. واستطاع بفضل العوامل المتقدمة الذكر اكتساحهم جميعا، فتصدّر هو الدعوة إلى النصرانية لكن من منظوره الخاص، فكانت لهؤلاء منه كذلك مواقف.

ب- موقف تلاميذ المسيح ﷺ من بولس ومن دعوته.

لقد قوبل خبر تحول بولس إلى النصرانية من قِبل تلاميذ المسيح ﷺ بالشك والحيرة منذ لحظته الأولى، وإنما أبدوْا شيئا من المرونة في ذلك بعد أن توسط له برنابا عندهم كما يقول لوقا تلميذ بولس في سفر أعماله: «ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غيرَ مصدّقين أنه تلميذ. فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدّثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلّمه، وكيف

---

(١) انظر: Ajijola,A.D; (op.cit.) P. 70، ومحمد تقي العثماني (م.ن.) ص١٧٢ بتصرف.

(٢) انظر: الأعمال١٥/ ٣٦-٣٩.

جاهر في دمشق باسم يسوع»[١]. ولكن لما كان بولس ابتدع في النصرانية أموراً مخالفة لما كان لدى الحواريين، كان لا بد من وقوع خلافات متسلسلة أعقبت هذا الوفاق الصوري السطحي. ولكن السؤال هو: كيف تعاون معه الحواريون في بداية الأمر، ولماذا اختلفوا معه بعد ذلك؟

إن الواقع أن بولس لما قدّمه برنابا لم يكن يُبدي نظرياته الانقلابية، فكان طبيعيا أن يرحِب به هؤلاء التلاميذ، خاصة وقد زكّاه عندهم برنابا الموثوق به. ثم بدأت بوادر الخلاف تظهر بينهم من لحظة ظهور بولس في صورته الحقيقية، فهذا برنابا الذي كان المُزكّي الرئيس لبولس في بداية الأمر، بعد شراكة دامت عدة سنين بينهما[٢]، هاهو يكتب عن بولس في مقدمة إنجيله حيث قال: «...والآيات التي اتّخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشّرين بتعليم شديد الكفر... **الذين ضل في عدادهم أيضا بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى**»[٣]. وعن هذا الخلاف المفاجئ بين برنابا وبولس وأسبابه، يقول لوقا في أعمال الرسل[٤]: «ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا: لنرجع ونفتقد إخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم. فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضا يوحنا الذي يُدعى مرقس[٥]، وأما بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما من بمفيلية ولم يذهب معهما للعمل لا

---

(١) الأعمال ٩/ ٢٦-٢٧.

(٢) انظر: الأعمال ١١/ ٣٠، و١٢/ ٢٥، و١٣/ ١-١٥/٣٦.

(٣) مقدمة إنجيل برنابا/ ٢-٧.

(٤) ١٥/ ٣٦-٣٩.

(٥) أي الذي يُنسب إليه الإنجيل الثاني.

يأخذانه معهما، فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر».

هذا الخلاف العنيف الذي صار على إثره كلٌّ من الطرفين لا يرضى أن يعاشر الآخر، هل يمكن إرجاعه إلى سبب تافه كهذا الذي يذكره سفر الأعمال، أعني استصحاب مرقس معهما في السفر أو عدمه؟ أجل، ليس غريبا أن يقع خلاف في مثله ولا مستحيلا، وإنما الغريب أن يفارق أحدٌ على أساسه زملائه القدماء مفارقة أبدية، وأي زمالة! زمالة قائمة على أساس الغرض الشريف الذي يتفق كلا الزميلين على قداسته. فالخلاف إنما كان خلافا عقديا منهجيا مهما، حاول المغرضون تأويله أو إيراده في غير قالبه، ويدل على ذلك عدة أمور منها:

١ ـ أن الألفاظ التي استخدمها كاتب سفر الأعمال نفسه لبيان هذا الخلاف ألفاظ شديدة عنيفة، ويبعد استخدامها في الحالات العادية أو الخلافات اليسيرة، كما يقول بعض مفسري السفر: «والآن بدأ لوقا يتحدث عن القصة الأليمة لوقوع الخلاف بين الزميلين (بولس وبرناب) والكلمة التي استخدمها: (Axusmus ـ Par) عنيفة للغاية وقد أصاب المترجم الإنجليزي في نسخة الملك جيمس[١] في ترجمة هذه الكلمة بكلمة "Sharp" [أي لاذعة حادة]. يفترق بولس وبرنابا أحدهما عن الآخر، وههنا كذلك استخدم كلمة يونانية قاسية للغاية لا تُستخدم بصورة عادية، ولا توجد في العهد الجديد [كله] سوى هذا الموضع. إلا في الرؤيا ٦/ ١٤[٢] حيث جاء ذكر فساد وتدمر السماوات

(١) سيأتي الحديث عنها وعن غيرها من النسخ والترجمات إن شاء الله في مبحث خاص.

(٢) يقصد ما جاء في سفر الرؤيا: «والسماء انفلقت كدِرج ملتف، وكل جبل وجزيرة تزحزحا من =

وتفرقها»[١].

٢ ـ لو كان سبب هذا الخلاف ما ذُكر للزم انتفاؤه بانتفاء السبب، إذ الحكم يدور مع علته وجودا وعدما. وبعبارة أخرى: لما ذا لم تعد العلاقة بين بولس وبرنابا إلى مجراها الطبيعي بعد ما رضي بولس عن مرقس ورضي بصحبته كما جاء ذلك في الرسالة الثانية إلى تيموثاوس[٢]: «لوقا وحده معي، خذ مرقس وأحضره معك لأنه نافع لي للخدمة»، وفي الرسالة إلى أهل كولوسي[٣]: «يسلّم عليكم أرسترخس[٤] المأسور معي ومرقس ابن أخت برنابا الذي أخذتم لأجله وصايا، إن أتى إليكم فاقبلوه». ومع هذا كله لا نجد لا في صفحات العهد الجديد كله ولا في غيره من كتب التأريخ أي تحسن في علاقة برنابا مع بولس![٥].

هناك شخصية أخرى ذات وزن وثقل من بين هؤلاء التلاميذ، والتي ظلت الكنيسة الكاثوليكية تعتبرها سيد الكنيسة، أعني: سمعان بطرس، لا يختلف الأمر بالنسبة إليه أيضا فيما يتعلق بالموقف المعارض من بولس وما دعا إليه من البدع والضلالات، لا سيما وقد عاشا معا فترةً من الزمن في أنطاكيا التي كانت من أقوى

=

موضعها)) حسب الترجمة العربية لدار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

(١) Blaiklock, Commentary on Acts. Edited by: R.V.J. Tasker PP.118, 119، نقلا عن: محمد تقي العثماني (م.ن.) ص١٧٨.

(٢) ٤/ ١١.

(٣) ٤/ ١٠ وانظر كذلك: فيلمون/ ٢٤.

(٤) أرسترخس: رجل مكدوني من تسالونيكي وأحد رفاق بولس. قاموس ك.م. ص٤٩.

(٥) انظر: محمد تقي العثماني (م.ن.) ص١٨٠ بتصرف.

المراكز البولسية آنذاك[١]، حتى كوّن بطرس جماعة مستقلة متميزة عن جماعة بولس أوأتباعه، كما يدل عليه كلام بولس نفسه في إحدى رسائله: « لأني أُخبرت عنكم يا إخوتي من أهل خُلوي[٢] أن بينكم خصومات، فأنا أعني هذا أن كل واحد منكم يقول: أنا لبولس، وأنا لأبلّوس، وأنا لصفا[٣]، وأنا للمسيح، هل انقسم المسيح؟... »[٤]، ويقول بولس في رسالة أخرى عن هذا التلميذ أيضا: « ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوما »[٥][٦].

وأما ما جاء في الرسالة الثانية المنسوبة لبطرس مما قد يفيد عدم وجود أي خلاف بينه وبين بولس، لما أبدى فيها من النظريات والأقوال المماثلة لما جاء عن بولس، حتى جاء فيها: « كما كتب إليكم أخونا الحبيب: بولس أيضا بحسب الحكمة المعطاة له »[٧]، فالجواب عنه ما تقدم من أن نسبة الرسالة ونظيرتها إلى بطرس نسبة مزورة وغير ثابتة كما هو أقوى القولين في ذلك[٨].

---

(١) انظر: غلاطية ٢/ ١١-١٥.

(٢) خُلوي: اسم امراة نصرانية، كان أهلها هم الذين أخبروا بولس عن الانشقاق الذي حصل في كنيسة كورنثوس. قاموس ك.م. ص٣٤٧.

(٣) أي بطرس، و"صفا" صيغ عربية لـ"كيفا" بالآرامية ومعناها: صخرة. انظر: قاموس ك.م. ص١٧٤و٥٤٣.

(٤) ١ ـ كورنثوس ١/ ١١-١٣.

(٥) غلاطية ٢/ ١١.

(٦) انظر: محمد تقي العثماني (م.ن.) ص٢٠٥-٢٠٦.

(٧) ٢ ـ بطرس ٣/ ١٥.

(٨) انظر ما تقدم في ص٦١٠ فما بعدها.

وهناك أمر قد يعترض به على ما تقدم بيانه من موقف تلاميذ المسيح ﷺ من بولس بعد ما ظهر في صورته الحقيقية، وأظهر نظرياته الانقلابية الثورية، وراح ينادي إلى هجر الشريعة الموسوية أو الناموس، وأن يُضرب بأحكام التوراة عرض الحائط، وذلك ما ورد في سفر أعمال الرسل[1] من وقائع المجمع الرسولي الأول في أورشليم ـ كما يسمونه ـ، حيث يُعتقد أن هؤلاء التلاميذ أجمعوا وغيرهم على ألا يُلزم النصارى من غير اليهود ببعض أحكام الناموس أو الشريعة الموسوية كالختان وغيره، وأن يُكتفى بمطالبتهم بالإيمان ـ على قاعدة الإرجاء[2] ـ مع اجتناب بعض المحرّمات التي تأباها الفطرة البشرية السليمة من الزنا وأكل الدم المخنوق وما ذُبح للصنم[3]. والجواب عن ذلك من وجوه:-

أ ـ أن الجو الذي تم فيه اتّخاذ هذا القرار لا يدل دلالة قاطعة على أنه صدر عن قناعة ورضا، وإنما نتيجةً لضغوط تعرّض لها هؤلاء التلاميذ من نواح عديدة منها: إعجاب بعض الحاضرين بنبأ تحوّل جمع غفير من الأمميين إلى النصرانية، و كذلك ارتياحهم لأسلوب بولس الذي أدّى إلى هذا التحول، بالإضافة إلى ما يمتاز به بولس نفسه عن غيره من المجتمعين، من قوة البيان، وفصاحة اللسان، والمهارة

---

(١) انظر: ١٥/ ٦-٢٩.

(٢) أعني قول المرجئة: إن الإيمان هو التصديق، ولا تضر معه معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وذلك لأن حتى هذه الأشياء القليلة التي يُطلب من هؤلاء اجتنابها، لا يُلزمون بذلك أيضا، كما جـاء في آخر الفقرات المتعلقة بهذا الحكم: "التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعـما تفعلون". الأعمال ١٥/ ٢٩.

(٣) انظر: الأعمال ١٥/ ٢٨-٢٩.

الفائقة في الجدل والمناقشة[١].

ب ـ أن المسألة المطروحة للدراسة في ذلك المجمع هي: هل يُلزم النصارى من غير اليهود عند دخولهم في الدين الجديد ابتداءً بأحكام الشريعة الموسوية أو لا؟ وليست المسألة مسألة وجوب هذه الأحكام من حيث هو، إذ إن ذلك موضع اتفاق لدى الجميع، ولا نسخ هذه الأحكام أو رفعها، فذلك لم يكن يدور في فكر أحد منهم إلا بولس ومن نهل منه. إذًا، إنما كان مدار النقاش بالنسبة للحواريين: النظر إلى ما تؤكّده التجارب من كون النصارى الأمميين يستوحشون هذه الأحكام من ختان ونحوه، فيتحرّجون من الدخول في الدين النصراني مخافةَ أن يضطروا للعمل بها. فرأى المجتمعون ـ حسب ما يرويه سفر أعمال الرسل ـ الاكتفاء بدعوتهم إلى العقائد الجذرية والمسائل الأصيلة في الدين، وهذا ما أخبر عنه الناطق الرسمي عنهم وهو يعقوب المسمى أخا الرب إذ قال: «لذلك أنا أرى أن لا يثقَّل على الراجعين إلى الله من الأمم»[٢]. وجاء في البيان الختامي لأعمال المجمع ما نصه: «لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلا أكثر غير هذه الأشياء الواجبة: أن تمتنعوا عما ذُبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا...»[٣].

ج ـ أنهم إنما اتّخذوا هذا القرار ـ إن صح ذلك ـ على أنه إجراء مرحلي مؤقت فقط، حتى يتمكن الإيمان في قلب هذا المتحول إلى الدين الجديد، فلا يشقّ عليه

---

(١) انظر: Ajijola, A.D; (op.cit.) P.71-72.

(٢) الأعمال ١٥/ ١٩.

(٣) الأعمال ١٥/ ٢٨-٢٩.

التزام هذه الأحكام بتيسير الله وتوفيقه. ويدل على هذا ما جاء عن بعضهم أنه صرّح به خلال انعقاد المجمع: «فالآن لماذا تجرّبون الله بوضع نير على عنق التلاميذ، لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله، لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضا»[١].

د ـ إذا نظرنا إلى أصل المسألة أو السبب الدافع لانعقاد المجمع، نجد أنه ما حكاه لوقا بقوله: «وانحدر قوم من اليهودية وجعلوا يعلمون الإخوة أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى، لا يمكنكم أن تخلصوا»[٢]. أي أن هؤلاء جعلوا الختان مدار الكفر والإيمان، ومناط الخلاص الأخروي. وهذا الذي اتفق الحواريون على ردّه، ومعلوم أنه درجة زائدة عن الوجوب المطلق لهذا الحكم، وإليه الإشارة في قول بطرس السالف الذكر: «لماذا تجربون الله بوضع نير على عنق التلاميذ ...الخ». أي إذا كنّا مؤمنين راجّين الخلاص والنجاة رغم أننا لم نستطع ولا آباؤنا أن نوفي بعض الأحكام العملية الفرعية حقها من العمل والاتّباع، فلِم يُستبعد خلاصُ هؤلاء الأميين ونجاتهم لمجرد تركهم بعض الأحكام أيضا؟

هـ ـ أن ذلك الإجراء منهم ـ على فرض ثبوته ـ إنما كان من باب ارتكاب أخف الضررين أو الأخذ بأهون البليتين، وذلك لأن بعض هذه الأحكام كالختان ونحوه كانت تحول بين هؤلاء الأميين وبين دخولهم في النصرانية، فكان الغرض إنقاذهم من الكفر الذي هو شر الأمرين.

---

(١) الأعمال ١٥/ ١٠-١١.

(٢) الأعمال ١٥/ ١.

و ـ أنه لما بدأ بولس يستغِلُّ موقف الحواريين هذا سوءَ استغلال، حيث بدأ ينادي بأن أحكام الناموس قد نُسخت، وأنها كانت لعنةً وقد تخلّصنا منها الآن، ولم تعد بنا حاجة إلى العمل بها ...الخ[١] خالفه واعترض عليه جمهور من أهل غلاطية، آخذين عليه مخالفته لتلاميذ المسيح، لا سيما بطرس وبرنابا[٢]، فبعث بولس برسالته إلى أهل غلاطية للرد على هؤلاء المعترضين[٣].كان الواجب على بولس أو المنتظَر منه على الأقل وهو يَعلم أن هؤلاء التلاميذ والحواريين يشاطرونه الرأي وأنه لا يخالفهم في شيء ـ كما زعم أهل غلاطية ـ أن يطلب منهم (التلاميذ) أو من بعضهم، لا سيما من كان معه في أنطاكيا منهم تحريرَ رسالة لتوضيح الأمر وإزالة الشبهة. أو على الأقل يصرّح هو نفسه فيما حرّره بموافقة الحواريين له، وأنهم قد أصدروا في مجمع أورشليم حكما مماثلا ـ في جميع الأوجه ـ لما نادى به بعد هذا المجمع. إلا أن بولس لم يفعل هذا ولا ذاك وإنما أعلن ثورته الانقلابية وأنه ليس بحاجة إلى تلاميذ المسيح ﷺ في شيء، فكل ما يبشّر به قد تلقّاه من الوحي مباشرة!!![٤]. علما بأن الصحيح أن رسالة غلاطية هذه إنما كتبها بولس بعد مجمع أورشليم لا قبله[٥] كما يدّعي البعض[٦].

---

(١) انظر مثلا: غلاطية ٣/ ١٠-١٣.

(٢) انظر: غلاطية ٢/ ١١-١٣.

(٣)انظر: الدائرة البريطانية ٩/ ١٠٧٩، وكتبنا المقدسة تأليف: ج.ت. مينلي ص٣٧٣، نقلا عن: محمد تقي العثماني (م.ن.) ص١٩٢-١٩٣، واقرأ كذلك: غلاطية ١/ ١-١٢.

(٤) انظر: غلاطية ١/ ١١-١٢.

(٥) انظر: ج.ت. مينلي (م.ن.) ص٣٧٣، نقلا عن: محمد تقي العثماني (م.ن.) ص١٩٨.

(٦) وانظر فيما تقدم من النقاط (ب ـ و): محمد تقي العثماني (م.ن.) ص١٨٥-٢٠٠.

ز ـ أن حكاية ما جرى في هذا المجمع وما نتجت عنه من القرارات، ليس أمامنا أي مصدر آخر للوقوف عليها غير سفر أعمال الرسل الذي ينسب إلى تلميذ بولس ورفيقه لوقا، ولا يخفى على الدارسين والباحثين ما فيه من الجراثيم والتأثيرات البولسية. فإنه من غير المستبعد أن تكون الحكاية من ألفها إلى يائها أسطورة ملفّقة من لوقا لمساندة موقف أستاذه بولس، كما حاول بعد ذلك إلصاق التهمة ببرنابا وإبراء بولس منها، فحمّل الأول سبب وقوع الخلاف بين الاثنين، زاعما أنه (برنابا) جعل الأغراض التبشيرية وزمالة بولس ضحيةً لرغبته الأنانية في استصحاب قريب له وهو يوحنا مرقس، ناسيا أو متناسيا ما سبق أن أورده هو نفسه من أن برنابا هذا قد ضحّى بكل ما ملك من أجل الغرض التبشيري ذاته[١]، فكيف يتنازل عنه لمجرد إرضاء قريب من أقربائه؟![٢].

ومما ينبغي ذكره هنا أن مظان أخبار هؤلاء التلاميذ أو الرسل ـ كما يسمونهم ـ وأعمالهم، ليس إلا هذا السفر المسمى سفر أعمال الرسل من بين كتب العهد الجديد، غير أن الملاحظ فيه هو انقطاع أخبارهم من لحظة اختلافهم مع بولس! فهذا برنابا: أحد الشخصيات البارزة والمؤثرة في العهد الأول للكنيسة وحتى في حياة بولس نفسه ـ كما تقدم[٣] ـ يسود ضباب التأريخ في شأنه فور مفارقته بولس، فلا نجد له ذكرا ولا يَذكر له خبرا[٤]، وكذا بطرس الذي لا تكاد تخلو صفحة من

(١) انظر: الأعمال ٤/ ٣٦-٣٧.

(٢) انظر: محمد تقي العثماني (م.ن.) ص١٧٩-١٨٠.

(٣) وذلك عند التعريف ببرنابا وبإنجيله.

(٤) أعني: بعد الإصحاح الخامس عشر من السفر، الذي يصل عدد إصحاحاته إلى ثمانية وعشرين إصحاحا.

السفر من ذكره حتى الإصحاح الخامس عشر منه، يُرخَى الستار على أخباره بعد ذلك إلى نهاية السفر، أي من لحظة خلافه مع بولس عقب مجمع أورشليم. وهكذا الحال بالنسبة ليوحنا ويعقوب وغيرهما منهم، إما لا يُذكرون أصلا، أو تختفي أخبارهم تلقائيا بعد ظهور بولس في صورته الحقيقية وخلاف هؤلاء الرسل - على اصطلاحهم - معه[1]. وهل أدركنا السر الآن في إطلاق بعضهم اسم "سفر أعمال بولس" على هذا السفر بدلا من "سفر أعمال الرسل"؟! والله تعالى أعلم.

خامساً: أبرز ما دعا إليه بولس مما فيه مخالفة للمسيح ولدعوته ﷺ.

كانت النصرانية في بداية أمرها ديانة سماوية، بُعث بها المسيح ﷺ عقيدةً وشريعة مبنية على التوحيد، مخففة لبعض الأحكام الواردة في شريعة موسى ﷺ ومصححة لما شابها من الانحرافات والزيغ مع توالي الحقب والأزمان[2]. إلا أن المشاهد اليوم هو أن النصرانية قد تحولت من التوحيد إلى التثليث، وانتقلت من فلسطين إلى جميع ربوع العالم تقريبا، وتتضمن ألوانا من البدع والانحرافات، فيا ترى من يكون المسؤول عن هذه التغييرات والتبديلات. إنه بولس شاول اليهودي، المؤسس الحقيقي للنصرانية الحديثة أو بالأحرى: البولسية الشاولية، وان استخدَم اسم المسيح ﷺ في إذاعة آرائه ومبادئه، فإليه (بولس) تنسب أربعة

---

(١) انظر: الدائرة البريطانية ١٧/ ٦٣٥، ومحمد تقي العثماني (م.ن.) ص٢٠١-٢٠٢، و٢٠٤-٢٠٥، و٢١٢-٢١٤.

(٢) انظر ما تقدم في الباب التمهيدي.

عشر كتابا من الكتب السبعة والعشرين المكونة للعهد الجديد المقدس عند النصارى، والأناجيل الأربعة المقدسة عندهم هي ما أقرها أتباعه من بين عشرات الأناجيل. يقول مايكل هارت: «إن القديس بولس كان المنشئ الرئيس للاهوت المسيحي»[١]! وجاء في دائرة المعارف البريطانية: «لم يعمل أحد من أتباع يسوع أكثر مما عمله بولس في تأسيس نماذج الأفكار والممارسات المسيحية»[٢]! ويقول بعض الباحثين النصارى[٣]: «إن بولس هو الذي وضع أساس الدين الذي يسمى بالدين المسيحي، الدين الذي ولد طفلا عملاقا متكاملا[٤] في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م[٥] بأمر الإمبراطور قسطنطين»، وقال آخر: «يُدان هذا الرجل [بولس] بأنه مسخ تعاليم يسوع الخالصة الأصيلة مسخا كاملا»[٦]. وأما فوكس جاكسون[٧] فقد كان أكثر صراحة إذ قال: «لو لم يكن بولس لكانت المسيحية غير المسيحية، ولو لم يكن يسوع لما كانت المسيحية»[٨]، وقريب منه ما قاله شارل جنيبير: «بدون بولس كان من المحتمل أن لا توجد

---

(١) Hart, Michael; "The 100" P.38، نقلا عن: Deedat,Ahmed; Muhammed the Greatest P.5

(٢) الدائرة البريطانية "Macro" ١٣/ ١٠٩٠.

(٣) هو: آرثر فندلاى، في كتابه: الكون المنثور ص١١٧، نقلا عن: رؤوف شلبي (م.ن.) ص١٨٣.

(٤) أما التكامل فلا، ويشهد لذلك ما عقدوه من المجامع بعد نيقية قررت فيها عقائد وشرائع جديدة.

(٥) وسيأتي بالتفصيل إن شاء الله في الباب الثالث.

(٦) القائل هو: والتر فون لويوينش "Walter Von Loeweinch"، صاحب كتاب: بولس، حياته وأعماله. انظر: كتابه هذا ص٥، نقلا عن: محمد تقي العثماني (م.ن.) ص٢٢٥.

(٧) هو: "Foakes Jackson"، صاحب كتاب: حياة بولس، طبع في لندن عام ١٩٣٣م.

(٨) Jackson, Foakes; The life of Paul P.18، نقلا عن: محمد تقي العثماني ٢٢٦.

المسيحية»[١]! ومما يؤكد القول بأن بولس هو المؤسس الحقيقي للنصرانية الحديثة، بالإضافة إلى ما تقدم أعلاه من أن أكثر من نصف مجموع كتب العهد الجديد ينسب إليه، ولا ينسب ولو واحد منها إلى المسيح ﷺ، فإن العبارات التي يُزعم أنها صدرت عن المسيح ﷺ في جميع هذه الكتب لا تتجاوز نسبتها عشرة في المائة. وأما واقع الدعاة النصارى وعلمائهم اليوم فهو الآخر دليل على ما قلت، إذ تجد جل استشهاداتهم من كتابهم المقدس لا تخرج غالبا عن الكتب المنسوبة إلى بولس[٢]. فما هي أهم ما أدخله بولس على الديانة النصرانية؟

أولا: إلغاء الشريعة أو الناموس الموسوي أو شريعة العهد القديم.

ومن أشهر أقواله في ذلك: «وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذي كنّا ممسَكين فيه»[٣]، وقوله: «لأنه إن كان بالناموس برٌّ فالمسيح إذًا مات بلا سبب»[٤].

كما أن بولس كان إمام المرجئة[٥] في زمانه، حيث كان يقرر ويكرر في رسائله ألا دخل للعمل في الإيمان بل يلغي العمل تماما ويبطله ويحرمه فيقول: «لأنه بأعمال

---

(١) شارل جنيبير (م.ن.) ص١١١.

(٢) انظر: Deedat, Ahmed; Muhammed the Greatest P.6-7.

(٣) رومية ٧/ ٦.

(٤) غلاطية ٢/ ٢١.

(٥) المرجئة: أي أهل الإرجاء، وهو إرجاء أو تأخير العمل عن درجة الإيمان، وجعله في منزلة ثانية بالنسبة للإيمان، لا أنه جزء منه. وأن الإيمان إنما يتناول الأعمال على سبيل المجاز، بينما هو حقيقة في مجرد التصديق. والمرجئة على مراحل وطبقات. راجع: الفصل في الملل... لابن حزم ٢/ ٢٦٥-٢٦٦، والملل والنحل لأبي الفتح محمد الشهرستاني، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل١/ ١٣٩-١٤٦، وغالب علي العواجي (م.ن.) ٢/ ٧٤٦-٧٩١.

الناموس لا يتبرر جسد ما »[١]، وقال أيضا: « ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر، لأن البار بالإيمان يحيا، ولكن الناموس ليس من الإيمان، بل الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها »[٢]. ثم تدرج في ذلك إلى أن اعتبر الناموس كله لعنة وأنه لا بد من هجره وتركه كما يقول في إحدى رسائله: « المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا »[٣]، ويقول أيضا: « لأن الناموس ينشئ غضبا، إذ حيث ليس ناموس ليس أيضا تعدٍّ »[٤]، كما أن مما ينسب إليه قوله: « فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت »[٥].

فأين هذا كله من تعاليم المسيح ﷺ وأقواله؟! ومنها ـ كما يُروى في العهد الجديد أيضا ـ « لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلّم الناس هكذا يُدعى أصغر في ملكوت السماوات. وأما من عمل وعلّم، فهذا يُدعى عظيما في ملكوت السماوات. فإني أقول لكم إن لم يزد بركم على الكتبة[٦]

---

(١) غلاطية ٢/ ١٦.

(٢) غلاطية ٣/ ١١-١٢.

(٣) غلاطية ٣/ ١٣.

(٤) رومية ٤/ ١٥.

(٥) كولوسي ٢/ ١٦.

(٦) الكتبة جمع كاتب، وهم كتّاب الناموس والأجزاء الأخرى من العهد القديم، وأما المتأخرون منهم فقد كان عملهم تفسير الناموس وتعليمه للناس. قاموس ك.م. ص٧٥٩.

والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السماوات»[١]، وما جاء في موضع آخر أنه قال: «ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس»[٢].

ولكن بولس أبى إلا أن يخالف سيده يسوع، ففعل ما فعل مع علمه بقول السيد ـ كما ينقل عنه مرقس في إنجيله[٣] ـ «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول»، وما ينقل عنه في إنجيل لوقا[٤]: «كل من يأتي إليّ ويسمع كلامي ويعمل به، أريكم من يشبه، يشبه إنسانا بنى بيتا وحفر وعمّق ووضع الأساس على الصخر، فلما حدث سيل صدم النهر ذلك البيت فلم يقدر أن يزعزعه لأنه كان مؤسسا على الصخر. وأما الذي يسمع ولا يعمل، فيشبه إنسانا بنى بيته على الأرض من دون أساس فصدمه النهر فسقط حالا، وكان خراب ذلك البيت عظيما»، فلهذا كله لا غرابة في ما عبر عنه المؤرخ ول ديورانت قائلا: «وكان الاعتقاد بأن النجاة إنما تكون بالإيمان والعقيدة نصرا لبولس على المسيح»[٥]! لأنه كما يقال: إذا عُرف السبب بطل العجب.

هذا، ومما دعا بولس إلى نقضه من شريعة العهد القديم ما يأتي ذكره:-

أ ـ الختان[٦]: كما جاء عنه: «ها أنا بولس أقول لكم إنه إن اختتنتم لا ينفعكم

---

(١) متّى ٥/ ١٧-٢٠.

(٢) لوقا ١٦/ ١٧.

(٣) ١٣/ ٣١.

(٤) ٦/ ٤٧-٤٩.

(٥) ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٧٠.

(٦) انظر: التكوين ١٧/ ٩-١٤، ولوقا ٢/ ٢١-٢٢ في ختان المسيح عليه السلام نفسه.

المسيح شيئا »[١].

ب ـ الراحة يوم السبت[٢]: كما تقدم في قوله[٣]: « فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب... أو سبت ». ثم بعد بولس حل يوم الأحد محل السبت بالتدرج، كما جاء في قاموس كتاب النصارى المقدس: « وقد قدّس المسيحيون الأولون يوم السبت، ولكن اليوم الأول من الأسبوع أي (الأحد) حلّ تدريجيا محل اليوم السابع »[٤]، علما بأن اليوم ـ أعني يوم الأحد ـ في الأصل يوم عبادة الشمس عند الوثنيين، كما يدل عليه اسمه بالإنجليزية "Sunday"[٥].

ج ـ تحريم لحم الخنزير[٦]: وأما في ما ابتدعه بولس، فلا فرق بين نوع وآخر من الأطعمة من حيث الطهر والنجاسة، بل الجميع حلال طاهر، كما يقول في إحدى رسائله: « كل الأشياء تحل لي، لكن ليس كل الأشياء توافق. كل الأشياء تحل لي لكن لا يتسلط علي شيء، الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة، والله سيبيد هذا وتلك »[٧]! وقال أيضا: « إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيء نجسا بذاته، إلا من يحسب شيئا نجسا فله هو نجس »[٨].

---

(١) غلاطية ٥/ ٢، وانظر كذلك ٥/ ٦.

(٢) انظر: الخروج ٢٠/ ٨-١٠، والتثنية ٥/ ١٢-١٤، وكذلك لوقا ٤/ ١٦و٣١.

(٣) انظر: كولوسي ٢/ ١٦.

(٤) قاموس ك.م. ص٤٥٤.

(٥) انظر: كتاب: "الله"، كتاب في نشأة العقيدة الإلهية لعباس محمود العقاد ص١٥٦.

(٦) انظر: لاويين ١١/ ٧-٨.

(٧) ١ ـ كورنثوس ٦/ ١٢-١٣.

(٨) رومية ١٤/ ١٤.

ثانياً: فصل النصرانية عن الشريعة الموسوية.

إذ يعتبر بولس المسؤول الأول والأخير عن إخراج النصرانية من بساطتها ووضوحها إلى تعقيدات الفكر اليوناني، فعلى حد تعبير بعض الكتاب الغربيين النصارى: «لو لم يكن بولس لعادت المسيحية فرقة من الديانة اليهودية، ولَمَّا كانت ديانةً كونية»، وقال أيضا: «إنه [أي بولس] أضفى على المسيحية بتمزيقها إطارا غير اليهودية، ولذلك بات خالق الكنائس التي أُسست باسم يسوع»[١].

ولتحقيق هذا الغرض بدأ بولس يمهد له باستحداث معتقدات مناسبة، إذ ـ كما يقول شارل جنيبير ـ: «لم يكن الإيمان المسيحي على أي حال يستطيع تجنب تأثيرات البيئة الهلينية متى ما خرج من حدود فلسطين»[٢]. ويقول أيضا: «تم الانفصال الفعلي بين الكنيسة والمعبد، وأصبح أتباع عيسى يتحدثون عن اليهود بعبارات لا شك في أنها كانت غريبة كل الغرابة عن تعاليم أستاذهم، ولن يلبث هؤلاء الأتباع حتى يرفضوا الاعتراف لليهود بأي إدراك للحق وبأي فهم للشريعة الموسوية نفسها»[٣]. وأما المؤرخ ول ديورانت فله أيضا كلمته في هذا حيث يقول: «ومع هذا كله بقي الرجل الذي فصل المسيحية عن اليهودية من حيث الجوهر والأساس [أي بولس] يهوديا في قوة خلقه، وصرامة مبادئه»[٤].

(١) Loewenich, W.V; Paul,His life and work (Trans. By: G.E. Harris) PP.71 & 6، نقلا عن: محمد تقي العثماني (م.ن.) ص٢٢٥.

(٢) شارل جنيبير (م.ن.) ص١١٢-١١٣.

(٣) شارل جنيبير (م.ن.) ص١١٦.

(٤) ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٦٩-٢٧٠.

ومما يجب إيضاحه هنا أن النصرانية ليست صورة وفق الأصل للشريعة الموسوية، فإن عيسى عليه السلام رسول موحى إليه من الله بشرع مستقل لكنه عبارة عن تصحيح لما دخل اليهودية من التحريفات، وتخفيف لبعض ما فيها من المشقّات كما جاء في قول الحق تبارك وتعالى حكاية لقول المسيح عليه السلام: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[آل عمران:٥٠]. قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية الكريمة: «فيه دلالة على أن عيسى عليه السلام نسخ بعض شريعة التوراة، وهو الصحيح من القولين، ومن العلماء من قال: لم ينسخ منها شيئا، وإنما أحل لهم بعض ما كانوا يتنازعون فيه خطأً»[1]. وجاء في تفسير الإمام الطبري فيما رواه عن الحسن البصري[2] رحمه الله: «كان حرّم عليهم أشياء فجاءهم عيسى ليحل لهم الذي حرّم عليهم يبتغي بذلك شكرهم»[3]، وكذلك كانت شريعة عيسى عليه السلام بيانًا لبعض ما وقع فيه نزاع بينهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[الزخرف:٦٣].

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٣٦٥.

(٢) هو: الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري: من سادات التابعين وكبرائهم، توفي بالبصرة سنة عشر ومائة وله ثمان وثمانون سنة. انظر: وفيات الأعيان لأبي العباس أحمد بن خلكان ٢/ ٦٩-٧٢، وتذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي ١/ ٧١-٧٢، وتهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ٢/ ٢٦٣-٢٦٤.

(٣) تفسير الطبري ٣/ ٢٨١.

ثالثاً: دعوى عالمية الديانة النصرانية.

ومن أقواله في ذلك: «...يسوع المسيح ربنا الذي به لأجل اسمه قبلنا نعمة ورسالةً لإطاعة الإيمان في جميع الأمم»(١)، وقوله: «إني مديون لليونانيين والبرابرة(٢)، للحكماء والجهلاء»(٣)، وقوله أيضا: «لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح، ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبدٌ ولا حر، ليس ذكرٌ و أنثى، لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع»(٤)... وغير ذلك، حتى إنه اعتبر نفسه صاحب حق الخروج بالنصرانية عن حدود فلسطين، كما يُنقل عنه قوله: «لي أنا أصغر جميع القديسين أعطيتْ هذه النعمة، أن أبشّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى»(٥).

ولكن يا ترى لماذا ركز بولس دعوته في الأمم أو غير اليهود، كما صرح به في رسالته إلى أهل غلاطية حيث اعتبر نفسه رسولا إلى الأمم(٦)؟ إن ذلك لم يكن بلا سبب، بل له دواع يمكن حصرها في الآتي:-

١ ـ لأن اليهود كانوا أشد أعداء النصرانية ورسولها عيسى عليه السلام.

٢ ـ أن بولس علم أنه بهذا سيكسب أنصارا من الوثنيين الذين لا علم لهم

---

(١) رومية ١/ ٤-٥.

(٢) البرابرة: جمع البربر، وهم في الوقت الحالي قبائل تقطن شمال غربي أفريقيا في منطقة الصحراء الكبرى. انظر: الدائرة البريطانية ٣/ ٤٩٦-٤٩٧، والموسوعة العالمية ٤/ ٢٩٠.

(٣) رومية ١/ ١٤.

(٤) غلاطية ٣/ ٢٦-٢٨.

(٥) أفسس ٣/ ٨.

(٦) انظر: غلاطية ٢/ ٧-٨.

بالكتب السماوية المقدسة، فإذا ما جاء هو إليهم بشيء قريب مما هم عليه زاعما أنه قد أرسل به من عند الله قبلوه فورا.

٣ ـ لأنه واجه معارضة عنيفة من قبل تلاميذ المسيح ﷺ وأتباعه الأوائل، فلا يمكن أن ينشر ضلالاته حيث ينشط هؤلاء.

٤ ـ لما كان هدفه الأساسي هدم النصرانية أو التستر بها على الأقل، وليس نصرتها، فقد كان يعمل كل شيء يخالف ما جاء به المسيح ﷺ من الهدى والبينات[١].

وأما مناقشة هذا الزعم ـ أعني عالمية النصرانية ـ فقد تقدمت في الباب التمهيدي، وبالله التوفيق.

رابعاً: عقيدة الحلول والتجسد، وما نتج عنها من القول بألوهية المسيح ﷺ.

ومما يروى عنه في ذلك: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضا، الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله، لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائرا في شبه الناس. وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفعه الله أيضا وأعطاه اسما فوق كل اسم لكي تجثو[٢] باسم يسوع كلُّ ركبة ممن في السماء، ومن على الأرض، ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب»[٣].

---

(١) انظر: أهم عوامل انحراف النصرانية (رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة) لإبراهيم خلف التركي ص٧٦ بتصرف.

(٢) جثا جثُوّ وجثِيًا أي جلس على ركبتيه أو قام على أطراف أصابعه. القاموس ص١٦٣٨.

(٣) فيلبي ٢/ ٥-١١.

وثمة نص آخر جاء فيه: « ... الذي هو [أي المسيح] صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة. فإنه فيه خُلق الكل، ما في السماوات وما على الأرض، ما يُرى و ما لا يرى، سواء كان عروشا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خُلق، الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل »[(١)]، وفي موضح آخر أكثر صراحة: « فإنه فيه [أي المسيح] يحل كل ملء اللاهوت جسديا »[(٢)]، كما جاء عنه أيضا قوله: « ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلها مباركا إلى الأبد »[(٣)]. وهذا ما يقوله أحد علماء القوم في تفسيره لهذه النصوص: « ... لا يوجد سر أعظم من هذا، الإنسان الذي ليس له روح الله لا يستطيع أن يدرك هذا، لا يستطيع أن يتصور **أن الله ينزل ويصير إنسانا، يأكل ويشرب وينام مثلنا** »[(٤)]!!! وتعالى الله عما يقول الظالمون.

خامسا: التثليث:

فعقيدة التثليث وإن جاء إقرارها في وقت متأخر من التاريخ النصراني إلا أن جذورها تعود إلى أفكار هذا الرجل. ومما جاء عنه في ذلك، قوله: « نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس مع جميعكم »[(٥)].

وقد ثبت إبطال هذه الفرية العظيمة على الله، والشرك البواح، في قوله ﷻ:

---

(١) كولوسي ١/ ١٥-١٧.

(٢) كولوسي ٢/ ٩.

(٣) رومية ٩/ ٥ وانظر كذلك ١ ـ تيموثاوس ٣/ ١٦.

(٤) تفسير رسالة بولس إلى تيموثاوس لناشد حنا ص٦١، نقلا عن: علي عتيق الحربي (م.ن.) ص٨١.

(٥) ٢ ـ كورنثوس ١٣/ ١٤.

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[المائدة:٧٣]. كما أنه توجد بقايا أدلة التوحيد ونفي التثليث فيما يسمى بالعهد القديم والعهد الجديد اليوم، ومن ذلك ما جاء في سفر التثنية[1]: «إنك قد أُريت لتعلم أن الرب هو الإله ليس آخر سواه»، وفي إنجيل مرقس[2]: «فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون، فلما رأى أنه أجابهم حسنا، سأله أية وصية هي أول الكل؟ فأجاب يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد».

سادسا: ومما نادى به بولس مخالفا للمسيح ولدعوته فيه: عقيدة الصلب والفداء[3].

وفي هذا يقول في بعض رسائله: «نعمة لكم وسلام من الله الآب ومن ربنا يسوع المسيح، الذي بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبينا»[4].

وقد قال الله تبارك وتعالى مكذّبا هذا الزعم والافتراء الشنيعين: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل

---

(١) ٤/ ٣٥.

(٢) ١٢/ ٢٨-٢٩.

(٣) أي أن المسيح ﷺ صُلب فداء لخطايا البشر أجمعين. انظر: فايز فارس (م.ن.) ص١٠١، وكارل وليمز الكبير (م.ن.) ص٦٢.

(٤) غلاطية ١/ ٣-٤.

﴿رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[النساء:١٥٧-١٥٨]. كما أن فكرة الفداء وبذل النفس طوعا من قبل المسيح كما زعم بولس في النص السابق وفي غيره[١] لا يتفق مع ما أوردته الأناجيل من معاناة المصلوب وقلقه وحيرته، إلى حد تمني صرف كأس الموت عنه[٢]، مما يبين بوضوح أن فكرة قتله كانت تسبب له رعبا يصل إلى حد الانهيار[٣].

ومما تقدم كله يتأكد لنا بما لا يدع مجالا للشك أن النصرانية المعاصرة ليست من تعاليم عيسى عبد الله ورسوله ﷺ، وإنما من صنع بولس شاول اليهودي، الذي غيّر مسار دعوة عيسى عليه السلام وطمس هويتها، كما يقول كاتب مقالة "بولس" في دائرة المعارف البريطانية: «لولا العمل المكرّس من هذا الرجل [بولس]... لكانت إمكانية تحوّل الديانة النصرانية لتصبح ديانة عالمية، أمرا قابلا للنقاش»[٤].

المسألة الثانية: الرسائل الأخرى.

هذه الرسائل مهما يكن كاتبها فإنه من الواضح أن ما تشتمل عليه من المعاني والألفاظ لا تسلم من النقد، سواء من حيث الأسلوب أو تحرِّي الصحة في الأخبار ودقتها، أو السلامة من التناقض والتضارب عند مقابلة بعضها

---

(١) انظر: ١ـ تيموثاوس ٢/ ٥-٦.

(٢) انظر: مرقس ١٥/ ٣٤ ولوقا ٢٢/ ٤١-٤٦، ويوحنا ٧/ ١٩ و٨/ ٣٧و٤٠.

(٣) انظر: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس لأحمد عبد الوهاب ص١٠٠.

(٤) الدائرة البريطانية ١٧/ ٣٨٧.

ببعض. وسنتعرض فيما يلي إن شاء الله لنماذج من الأخطاء والتناقضات والتحريفات في هذه الرسائل.

فعلى سبيل المثال، نقرأ في سفر أعمال الرسل خبر تحوّل بولس المفاجئ على طريق دمشق في ثلاثة مواضع من السفر، ولا يتفق أي منها مع الآخر، وقد تقدم[١].

وفي هذا السفر نفسه جاء عن نهاية يهوذا الإسخريوطي ما نصه: «فإن هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم، وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه[٢] كلها، وصار ذلك معلوما عند جميع سكّان أورشليم حتى دُعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دما أي حقل دمٍ»[٣]. وهذا لا يتفق مع ما جاء في إنجيل متّى بل يناقضه تماما، وإليكم النص كما جاء فيه: «فطرح [يهوذا] الفضة في الهيكل وانصرف ثم مضى وخنق نفسه، فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقيها في الخزانة لأنها ثمن دم، فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرةً للغرباء. لهذا سمي ذلك الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم»[٤]. فهل كان سبب موت يهوذا خنقه لنفسه، أم انشقاق بطنه وانسكاب أحشائه بعد ذلك، أم بكليهما؟ لا يدري أحد. وهل الذي اشترى حقل الدم بأجرة الظلم هو قابضها

---

(١) راجع: مسألة (بولس وأفكاره من خلال الرسائل المنسوبة إليه).

(٢) أحشاء جمع حشا، وهو ما في البطن، والمحشى: موضع الطعام في البطن. القاموس ص١٦٤٤، ومعنى انسكبت أي صبّها فانصبت. القاموس ص١٢٥.

(٣) الأعمال ١/ ١٨-١٩.

(٤) متّى ٢٧/ ٥-٨.

(يهوذا) نفسه، أو رؤساء الكهنة، أو من؟!

وفي سفر الرؤيا، يقول الكاتب على لسان يسوع: «ها أنا آتي سريعا، تمسّك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك»[١]. وفي موضع آخر من السفر نفسه يقول: «ها أنا آتي سريعا، طوبى لمن يحفظ أقوال نبوة هذا الكتاب... لا تختم على أقوال نبوة هذا الكتاب لأن الوقت قريب»[٢]. وأما في رسالة يعقوب ففيها: «فتأنّو أنتم وثبتوا قلوبكم لأن مجيئ الرب قد اقترب»[٣]، ومثله في رسالة بطرس الأولى[٤]: «وإنما نهاية كل شيء قد اقتربت، فتعلّقوا واصحوا للصلوات». وفي رسالة يوحنا الأولى[٥]: «أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة، وكما سمعتم أنه ضد المسيح يأتي، قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون، من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة».

فهذه النصوص وأضرابها من النصوص التي تحوي تنبؤات كاذبة استحال تحققها، وقد تقدم الحديث عنها في ما مضى.

وفي رسالة يوحنا الأولى نفسها: «فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة، الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد»[٦]. فهذه العبارة

(١) الرؤيا ٣/ ١١، والإكليل: التاج وجمعه أكاليل. القاموس ١٣٦١.

(٢) الرؤيا ٢٢/ ٧و١٠.

(٣) يعقوب ٥/ ٨.

(٤) ٤/ ٧.

(٥) ٢/ ١٨.

(٦) ١ ـ يوحنا ٥/ ٧.

المثبتة للتثليث النصراني ملحقَة بالنص الأصيل للرسالة، فهذا من التحريف بالزيادة في النص المقدس في زعمهم، وقد أقر به جمع من علمائهم، ومن أشهرهم القس بفندر في مناظرته الشهيرة مع الشيخ رحمت الله الهندي رحمه الله[١]. وكذلك فإنه قد تم حذف هذه الزيادة في النسخة القياسية المراجعة بالإنجليزية RSV، وإن بقيت إلى اليوم في الطبعات العربية!

ومن أمثلة التحريف في هذا الجزء من كتاب النصارى المقدس كذلك ما جاء في سفر أعمال الرسل[٢]: « والآن ارسل إلى يافا[٣] رجالا واستدع سمعان الملقب بطرس، إنه نازل عند سمعان رجل دبّاغ بيته عند البحر ». فالنص ينتهي عند هذا الحد حسب ما في أقدم النسخ وأصحها، بينما توجد زيادة في نسخ أخرى حديثة[٤] وهي عبارة "هو يقول لك ما ذا ينبغي أن تفعل"، ووُضعت هذه الزيادة بين قوسين هلاليين في بعض الطبعات كما في طبعتي عام ١٨٦٥م و١٩٨٣م العربيتين مثلا[٥]. وأما في النسخة القياسية المراجعة RSV، فقد تم حذفها كليا.

وأما قوله في سفر الأعمال أيضا[٦]: « فلما أتوا

(١) انظر: المناظرة الكبرى بتحقيق د/ محمد أحمد ملكاوي ص٢٥٩، ورحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٩٨.

(٢) ١٠/ ٥-٦.

(٣) يافا: مدينة قديمة على شاطئ البحر المتوسط، على بعد خمسة وثلاثين ميلا إلى الغرب الشمالي من أورشليم. قاموس ك.م. ص١٠٤٦-١٠٤٧.

(٤) ومنها الترجمة العربية لدار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

(٥) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٥٠٥ ـ تعليق المحقق ـ هامش "٢".

(٦) ١٦/ ٧.

إلى ميسيّا[١]، حاولوا أن يذهبوا إلى بيثينية[٢] فلم يدعهم الروح»، فالحاصل فيه أنهم قطعوا اللفظ الأخير عن الإضافة لإحداث اللبس. لأنه في الأصل هكذا: "روح يسوع"، وقد أثبتت هذه الكلمة المحذوفة في بعض الطبعات العربية[٣] وكذلك في النسخة القياسية المراجعة RSV.

وأخيرا نأتي إلى ما جاء في سفر الأعمال، ونصه: «فأرسل يوسف واستدعى أباه يعقوب وجميعَ عشيرته خمسةً وسبعين نفسا»[٤]، إذ يُفهم منه أن عدد بني إسرائيل حين قدومهم إلى مصر كان ما ذُكر من غير عدِّ يوسف عليه السلام وأولاده. لكن تعالوْا لنقرأ معًا ما جاء في العهد القديم من كتاب النصارى المقدس ذاته حيث يقول: «جميع النفوس ليعقوب التي أتت إلى مصر الخارجة من صلبه ما عدا نساء بني يعقوب، جميع النفوس: ست وستون نفسا، وابنا يوسف اللذان ولدا له في مصر: نفسان، جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر: سبعون»[٥]. أي أن العدد سبعون بعد عدِّ يوسف وولديه ويعقوب (إسرائيل) نفسه. وأما قبل ذلك فمجموعهم ست وستون نفسا فقط. وفي كلا الحالين لا تناسب بين العدد هنا والعدد الوارد في نص سفر الأعمال المذكور آنفا، فتجب إذًا غربلة العددين لمعرفة

---

(١) ميسيّا: مقاطعة في آسيا الصغرى، في الزاوية الشمالية الغربية منها. قاموس ك.م. ص٩٣٩.

(٢) انظر: ما تقدم في التعريف ببليني الصغير (حاكم ولاية بيثينية) في ص٦١١.

(٣) منها طبعات عام١٦٧١م و١٨٢١م و١٨٢٣م و١٨٤٤م. انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٥٣١.

(٤) الأعمال ٧/ ١٤.

(٥) التكوين ٤٦/ ٢٦-٢٧.

الحقيقة من الزيف، إن كانت هنالك حقيقة أصلا فيما نحن فيه.

اختار الكاتب الأمريكي المعاصر: ك.ألان "K. Alan"(١) في دراسته لنصوص كتاب النصارى المقدس نص العهد القديم ورجّحه على النص الوارد في سفر الأعمال، نظرا لأن العدد "سبعين" جاء ما يشهد له في موضع آخر من السفر نفسه، حيث سردت أسماء بني إسرائيل الذين قدموا إلى مصر حسب أصولهم الأربعة ـ أي أزواج يعقوب (إسرائيل) الأربع ـ فكانت النتيجة كما يلي:

* ليئة، ومن نسلها ثلاث وثلاثون نفسا.

* زلفة، ومن نسلها ست عشرة نفسا.

* راحيل، ومن نسلها أربع عشرة نفسا.

* بلهة، ومن نسلها سبع أنفس. فالمجموع: سبعون نفسا(٢).

لكنني أقول: إن الواقع أن هذا الذي اختاره أيضا فيه مجانب للصواب ـ والعلم عند الله ـ بل إن كلاّ من نص التكوين ونص الأعمال باطل ولا يصح ولا يستقيم، أما نص سفر الأعمال فقد انتهينا منه ولا إشكال، وأما نص سفر التكوين وإن كان قد ذكر السبعين، إلا أنه مثل الذي ذكر الخمسة والسبعين، فكلاهما قول بلا دليل وتحكم بلا برهان. وذلك لأن ما أشرت إليه قبل قليل من سردٍ لأسماء الإسرائيليين الذين جاءوا إلى مصر وأن عددهم سبعون ليس دقيقا،

---

(١) انظر: K. Alan (op.cit.) P.104.

(٢) انظر: التكوين ٤٦/ ٨-٢٥.

حيث إنه قد ذكر في أثناء السرد نفسه أن كلاً من عير، وأونان ـ من نسل ليئة ـ قد مات في أرض كنعان[١]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإننا لو أضفنا يعقوب (إسرائيل) إلى العدد المذكور ـ إذ لم يكن معدودا معهم أصلا كما هو واضح في الإحصائية المذكورة أعلاه ـ لكان العدد واحدا وسبعين، بينما الذي يُفهم من نص التكوين أن العدد بدون يعقوب يكون تسعة وستين، وبه يكتمل السبعون.

فرع: في نسخ كتاب النصارى المقدس وترجماته وطبعاته، وما بينها من الاختلافات.

هذا الموضوع وإن كان جزءًا من موضوع التحريف والتناقض في العهدين القديم والجديد، إلا أنني آثرت تأخيره ثم عقد مبحث خاص له لأهميته، ولقلة من اهتم به من الباحثين والنقاد ـ حسب علمي ـ. فالتحريف والتناقض في أسفار النصارى المقدسة لم ولن ينتهيا، بل هما مستمران، وهذا مما يهدف الباحث إلى إبرازه هنا، وبالله التوفيق.

إن نصوص هذا الكتاب تخضع لتغييرات وتعديلات من قبل رؤساء الكنيسة الذين ينصبون أنفسهم لمراجعة الكتاب الإلهي ـ فيما يزعمون ـ أو تنقيحه حينا بعد آخر، ومن ثم الاستدراك عليه بتبديل أو إسقاط أو إضافة!! يقول بعضهم: «في مسائل معينة نجد بحوزتنا نسختين تتحدثان عن شيء واحد وفي إنجيل واحد مع أنهما ليستا متشابهتين من حيث الألفاظ. وفي بعض الفقرات المهمة جدا، لا يمكن

---

(١) انظر: التكوين ٤٦/ ١٢.

التوفيق بين النسخ، وهذا صحيح، خصوصا فيما يتعلق بقصص ولادة العذراء[١] والقيامة. وبالنسبة لقصص الولادة هذه في إنجيل متّى نجد أنفسنا في شك تجاه كثير من النقاط المشابهة...»[٢].

لذا قد صدرت عشرات من طبعات هذا الكتاب، كل لاحقة تستدرك على سابقة، ومع ذلك لم يجدوا أيَّ مانع في استقاء العقيدة والشريعة من أيٍّ منها. ومن أغرب ما وقفت عليه في هذا الأمر، أن دار النشر اليهودية بالقدس قامت في عام ١٩٧٠م بإصدار طبعة لأسفار العهد الجديد[٣] مع نشر ترجمتها بمختلف لغات العالم، ومنها الترجمة الإنجليزية التي قامت بنشرها وكالة ريد اللندنية، وجاء في مقدمتها: «إن هذه الترجمة اليهودية المعتمدة للعهد الجديد يمكن وصفها بأنها العهد الجديد خاليا من معاداة السامية[٤]. إن التعديلات التي أُدخلت هنا على ترجمة عام ١٦١١م[٥] يمكن إثباتها من المصادر الأولى، وقد اختيرت جميعها لهدف واحد هو: التخلص ـ بقدر ما تسمح به الحقيقة ـ مما تحويه تلك الترجمة النكدة[٦]، والتي تهدف إلى بذر العداوة بين المسيحيين واليهود... وفيما عدا ذلك من التعديلات فإن

(١) أي ولادة مريم المسيح عليهما السلام.

(٢) Ajijola,A.D; (op.cit.) P. 102.

(٣) علما بأن اليهود لا يقدسون شيئا من كتب العهد الجديد.

(٤) السامية: نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام أي الأمم السامية وهم: العرب، والعبرانيون (اليهود)، والآراميون، والآشوريون. انظر: قاموس ك.م. ص٤٤٨. ولكن المقصود هنا اليهود فقط.

(٥) أي نسخة الملك جيمس الإنجليزية.

(٦) وهي الترجمة المعتمدة إلى اليوم لدى معظم الشعوب الناطقة بالإنجليزية!

نصوص هذه الترجمة تبقى كما هي[١] في ترجمة عام ١٦١١م»[٢].

ولنبدأ الآن في عرض بعض النماذج لهذه الاختلافات، وبالله تعالى التوفيق.

أولاً: الاختلافات بين النسخ[٣].

أ ـ جاء في سفر التكوين[٤] ـ حسب النسخة العبرية ـ «فدعا يعقوب اسم

---

(١) والسبب واضح، إذ ليس في ذلك ما يعارض المصلحة اليهودية، وإن كان هو أيضا جزءًا مما سموه قبل قليل ترجمة نكدة!

(٢) نقلا عن: مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٢٩٨-٢٩٩.

(٣) يدخل في المراد بالنسخ هنا بالإضافة إلى ما تقدم بيانه في التعريف بالعهد القديم (في الباب الأول)، ما يسمى ـ اصطلاحا ـ في اللغة الإنجليزية بـ "versions" (النسخ أو الترجمات)، وهي في الحقيقة تختلف عن الترجمات التي ستأتي من حيث إنها قد تكون بلغة واحدة، وكذلك من حيث إنها يختلف بعضها عن بعض في الألفاظ وربما في الجمل والفقرات. كما أنها تختلف عن الطبعات، من حيث إن كلا منها قد يكون لها عدد من الطبعات والإصدارات ترجع إليها خاصة، فيقال مثلا: النسخة القياسية المراجعة طبعة عام ١٩٥٢م وطبعة عام ١٩٧١م... وهكذا.

ومن أشهر هذه النسخ أو الترجمات ما يلي:-

١ ـ نسخة الملك جيمس King James Version (KJV).

٢ ـ الترجمة العالمية الجديدة New World Translation (NWT).

٣ ـ النسخة الدولية الجديدة New International Version (NIV).

٤ ـ النسخة المراجعة أو المنقحة (لنسخة الملك جيمس) Revised Verson (RV).

٥ ـ النسخة القياسية المراجعة أو المنقّحة (لنسخة الملك جيمس) Revised Standard Version (RSV).

٦ ـ النسخة الحيّة (لطائفة الكاثوليك) Living Bible version (LBV).

٧ ـ الكتاب المقدس ذو الخبر المفرح، أو الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية الحديثة Good News Bible (GNB) or Today's English language Bible.

٨ ـ النسخة الأمريكية الجديدة (لطائفة الكاثوليك) New American Bible (NAB).

٩ ـ النسخة الأمريكية القياسية (لنسخة الملك جيمس) American Standard Version (ASV).

١٠ ـ الكتاب المقدس المرجعي لسكوفيلد Scofield Reference Bible (SRB).

(٤) ٣٢/ ٣٠.

المكان فنيئيل، قائلا: لأني نظرت الله وجها لوجه ونجّيت نفسي». وأما في النسخة السامرية:

«... إذ نظرت الملائكة[١] وجها لوجه وخلصت نفسي».

ب ـ وفي سفر التثنية[٢]: «حين تعبرون الأردن تقيمون هذه الحجارة التي أنا أوصيكم بها اليومَ في جبل عيبال». وهذا النص العبري، وأما النص السامري ففيه: «... تقيمون الحجارة هذه التي أنا موصيكم اليوم في جبل جرزيم». وهذان الجبلان يوجد أحدهما في الشمال ـ وهو جبل عيبال[٣] ـ والآخر في الجنوب ـ وهو جبل جرزيم[٤] ـ ويتبادل كل من اليهود العبرانيين واليهود السامريين التهم في تحريف هذا النص![٥].

ج ـ وفي سفر التكوين أيضا[٦]: ـ حسب النسخة السامرية ـ «وأخذ أبومالك[٧] ألف درهم وغنما وبقرا وعبيدا وإماء، وأعطى لإبراهيم وأعاد عليه

---

(١) ومن الملحوظ على وجه عام، كثرة ورود لفظ الملائكة أو الملاك في النسخة السامرية في المواضع التي يُذكر فيها لفظ الجلالة "الله" أو "الرب" في النسخة العبرية، ومن الأمثلة أيضا: الخروج٣/ ٦ و١٩/ ١١ و١٧و١٨و٢٠.

(٢) ٢٧/ ٤.

(٣) أي على الجانب الشمالي من نابلس. قاموس ك.م. ص٦٤٨.

(٤) أي على الحد الجنوبي من نابلس. قاموس ك.م. ص٢٥٨، والجبلان متقابلان ويوجد بينهما واد عميق (قاموس ك.م. ص٢٥٨ و٦٤٨، وانظر كذلك: التثنية ٢٧/ ١٢-١٣ و١١/ ٢٩).

(٥) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٣٨-٤٣٩.

(٦) ٢٠/ ١٤.

(٧) أبومالك أو أبيمالك: اسم ملك فلسطين الذي أتى النبي إبراهيم عليه السلام إلى بلاده ومعه سارة زوجته، =

سارة زوجته». وأما في النسخة العبرية فلم يُذكر "ألف درهم" في النص.

د ـ وفي سفر العدد[١]: «وفي يوم فرحكم وفي أعيادكم ورؤوس شهوركم تضربون بالأبواق على محرَقاتكم وذبائح سلامتكم، فتكون لكم تذكارا أمام إلهكم، أنا الرب إلهكم». فبهذه الجملة تنتهي الفقرة العاشرة من الإصحاح العاشر حسب النسخة العبرية، وأما في النسخة السامرية فتزيد الجمل الآتية: «وخاطب الله موسى قولا: حسبكم المقام في الجبل هذا، اتجهوا وادخلوا جبل الأموري[٢]، وإلى كل سكانه في البقاع وفي الجبال وفي السهول من الجنوب وساحل البحر أرض الكنعاني واللبناني إلى النهر الأكبر نهر الفرات. انظروا جعلت بين أيديكم الأرض، ادخلوا ورثوا الأرض التي أقسمت لآبائكم، لإبراهيم ولإسحاق وليعقوب للإعطاء لنسلهم تبعهم».

هـ ـ وفي سفر التكوين[٣]:«ونظر وإذا في الحقل بئر وهناك ثلاثة قطعان[٤] غنم رابضة عندها، لأنهم كانوا من تلك البئر يسقون القطعان، والحجر على فم البئر

=

ولكنه قال عنها انها أخته... الخ انظر: قاموس ك.م. ص٢٣.

(١) ١٠/١٠.

(٢) الأموريون: شعب كان يتكلم لغة سامية، وقد حكموا أجزاء من فلسطين وسوريا وبابل بعض الزمن. وكانوا في وقت إبراهيم عليه السلام أهم قبيلة في الأرض الجبلية في جنوب فلسطين، وسكنوا هناك حتى زمن الخروج. قاموس ك.م. ص١١٩.

(٣) ٢٩/ ٢-٨.

(٤) قطعان: جمع قطيع وهو طائفة من الغنم والنعم ونحوه، والغالب عليه أنه من عشر إلى أربعين، وقيل ما بين خمس عشرة إلى خمس وعشرين. ويجمع أيضا على أقطاع وأقطعة وقطاع وأقاطيع. لسان العرب ١١/ ٢٢٥.

كان كبيرا، فكان يجتمع إلى هناك جميع القطعان فيدحرجون الحجر عن فم البئر ويسقون الغنم... فقالوا لا نقدر حتى تجتمع جميع القطعان ويدحرجوا الحجر عن فم البئر ثم نسقي الغنم». وهذا النص العبري، وأما في النسخة السامرية فقد جاء لفظ الرعاة محل القطعان: «... وتجتمع هناك كل الرعاة ويدحرجون الحجر... لا نقدر إلى أن تجتمع كل الرعاة ويدحرجون الحجر...».

وأكتفي بهذه الأمثلة من العهد القديم[١]، لأنتقل إلى ذكر أمثلة لاختلافات النسخ من العهد الجديد أيضا:-

و - في رسالة يوحنا الأولى: «فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد»، حيث إن العبارة هي الفقرة السابعة من الإصحاح الخامس للرسالة حسب نسخة الملك جيمس (KJV)، وقد تم إخراجها من النص في كل من النسخة المراجعة(RV)، والقياسية المراجعة (RSV)، والأمريكية الجديدة - الكاثوليكية - (NAB). وأما في نسخة (LBV) الكاثوليكية أيضا[٢]؛ فقد تم حذف الفقرة والتي قبلها والتي بعدها مباشرة (أي الفقرات السادسة والسابعة والثامنة من الإصحاح)![٣].

---

(١) وراجع فيما تقدم، وللمزيد من الأمثلة والشواهد أيضا: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٢٩-٤٤٠، وكتاب: من الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية في الألفاظ والمعاني للدكتور أحمد حجازي السقا (مطبوع مع: التوراة السامرية، نشر: د/ أحمد حجازي السقا) ص٣٤٣-٣٩٤، ونقد التوراة للمؤلف نفسه ص١٢٧-١٣٦.

(٢) انظر: رمز كل نسخة في ص٦٨٥.

(٣) انظر: Dimaskhiah, AbdurRahman (op.cit.) P45، وAjijola,A.D; (op.cit.) P. 108،

ز ـ وفي إنجيل يوحنا[١]: «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه مولوده الوحيد...». هكذا النص في نسخة (KJV) أعني: قولهم: "Begotten Son" بمعنى: الابن المولود[٢]، بينما في كل من نسخة (RSV) و(GNB) و(LBV) و(NAB) حُذف لفظ مولود "Begotten"[٣].

ح ـ ينتهي إنجيل مرقس بنهاية الفقرة الثامنة من الإصحاح السادس عشر، حسب نسخة الملك جيمس، بينما يصل عدد فقرات هذا الإصحاح إلى عشرين في النسخة القياسة المراجعة "RSV"، وفي الأمريكية الجديدة "NAB".

ط ـ في إنجيل متّى، الإصحاح السابع عشر: «وأما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم»، والعبارة هي الفقرة الحادية والعشرون في الإصحاح المذكور حسب نسخة الملك جيمس، ولكن لا وجود لها أصلا في كل من: نسخة "NIV" و"GNB"، ووضعت في الهامش في الطبعات الحديثة لنسختي "RSV" و"NAB".

ي ـ وفي إنجيل يوحنا، الإصحاح الخامس: «يتوقعون تحريك الماء، لأن ملاكا كان ينزل أحيانا في البركة[٤] ويحرّك الماء، فمن نزل أولاً بعد تحريك الماء كان يبرأ من أي مرض اعتراه»، والعبارة هي تتمة الفقرة الثالثة مع كامل الفقرة الرابعة من الإصحاح المذكور، حسب نسخة الملك جيمس، وقد تم حذفها في نسختي

= ومناظرة الشيخ أحمد ديدات مع القس أنيس شروش في إنجلترا (م.ن.).

(١) ١٦/٣.

(٢) أي مولود غير مخلوق، كما يقولون: "Begotten not made".

(٣) انظر: Dimashkiah, AbdurRahman (op.cit.) P.46، ومناظرة ديدات وشروش (م.ن.).

(٤) البركة: مستنقع الماء. القاموس ص١٢٠٤.

"NIV" و"GNB"، ووضعت في الهامش في نسخة "RSV" البروتستانتية ونسخة "NAB" الكاثوليكية[١].

ثانياً: الاختلافات بين الترجمات: وفيه توطئة ومسألتان:

توطئة:-

إن مفهوم الترجمة أو "Translation" باللسان الإنجليزي هو نقل الكلام من لسان إلى آخر من غير إضافة أو حذف، وإن اقتضت الضرورة إضافة شيء للتوضيح فيجب بيانه. لذا، أصبح لزاما أن تتوفر في أي مترجم جملة شروط من أهمها: الإلمام التام باللغتين المنقول منها وإليها، وكذلك الأمانة والدقة، كما أن إمكانية الحصول على النص الأصيل ـ عند الحاجة ـ أمر بالغ الأهمية.

وتظهر أهمية صحة الترجمة وسلامتها، من حيث إن معظم الذين يعتمدون عليها هم من لا معرفة لهم باللغة الأصيلة للنص المترجَم، فعليه، تكون الترجمة بمثابة الأصل عندهم. فأي خطأ صغير أو كبير في الترجمة، لا سيما فيما يتعلق بالأسفار المقدسة، تترتب عليه فتنة في الأرض وفساد كبير. وعلى سبيل المثال، هناك كلمتان في أسفار النصارى المقدسة وقع خلل في ترجمتهما من اللغة الأصيلة ـ سواء بقصد أو بغير قصد ـ: فكلمة "آب" بمد الهمزة تعني في العبرية: "الله أو الفاطر"[٢]،

---

(١) راجع فيما تقدم وغيره:

Ajijola,A.D; (op.cit.) P.107-109، وDimashkiah, AbdurRahman (op.cit.) P.43-45،

بالإضافة إلى النسخ المذكورة وكلها باللغة الإنجليزية.

(٢) وانظر: قاموس ك.م. ص١.

وكلمة "رِبي" بكسر الراء معناها في الآرامية: "معلِّم"[١]، فلما نقلت الكلمتان إلى اللسان العربي نطقا ورسما دون المعنى، أصبحت الأولى بمفهوم "أب" بقصر الهمزة أي الوالد[٢]، والثانية بمفهوم "رَبي"[٣] بفتح الراء[٤].

وثمة أمر آخر لا يقل أهمية عما تقدم، وهو: أن ترجمات الكتب المقدسة هل تعتبر كالنص الأصيل فتقوم مقامه أم لا؟ عند النصارى نعم، وعند المسلمين لا. ولذلك لا توجد ترجمة لمعاني القرآن الكريم متداولة لا يُكتب إلى جانبها النص الأصيل. والسبب في ذلك واضح جلي، ألا وهو أن قرآننا بحروفه وأصواته وحي من الله القدير، وأما نصوص العهد القديم والعهد الجديد فلا يمكن إطلاق الوحي عليها كما يعترف بهذا علماء النصارى أنفسهم[٥]. وهذا سر ما نحن فيه من الأمان وعدم القلق تجاه أي ترجمة تصدر لهذا الكتاب العظيم، إذ بالإمكان الوقوف على النص الأصيل ومعرفة مدى مطابقة الترجمة له بكل سهولة ولله الحمد والمنة. وأما غيرنا فقد حرموا هذا الفضل، حتى إن بعض الترجمات عندهم لا تكون مختلفة عن أصلها في بعض الأمور فحسب، وإنما تزيد عليه إصحاحات، بل وأسفارا كاملة كما قد رأينا!

---

(١) كما جاء في إنجيل يوحنا ١/ ٣٨: " فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان، فقال لهما ماذا تطلبان. فقالا: "ربّي" الذي تفسيره "يا معلم" أين تمكث؟".

(٢) كما جاء في إنجيل متى ٦/ ٩: "فصلّوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السماوات...".

(٣) انظر: يوحنا ٢٠/ ٢٨.

(٤) انظر: مقارنة الأديان للطهطاوي ص٢٩٢-٢٩٤ بتصرف.

(٥) انظر: كارل وليمز الكبير (م.ن.) ص٢٤.

وبالمناسبة، ألفت الأنظار إلى مغالطة أثارها القس د/ أنيس شروش[١]، حيث ادّعى أن المسلمين المعاصرين يمنعون القيام بترجمة كتابهم (القرآن الكريم) إلى لغات أخرى غير العربية[٢]! فأقول: لا يا دكتور شروش، بل إن الذي يُمنع أن تنزّل الترجمة منزلة النص الأصيل الموحى به من الله ﷻ حرفا وصوتا باللغة العربية، وأما ترجمة المعاني فقد أجمع على جوازها علماء المسلمين خلفا عن سلف، وما أكثر الترجمات الموجودة اليوم في أيدي هؤلاء المسلمين المعاصرين، ولم نسمع بأي عالم من علماء الأمة المعتبرين يمنع أيّا منها ما لم تكن الترجمة في حد ذاتها مخلة بالمعاني الأصيلة للألفاظ المترجمة.

توجد لكتاب النصارى المقدس ترجمات قديمة وحديثة متعددة[٣]، قيل إن مجموعها يزيد عن مائة وألف لغة أولهجة[٤]! ولما كان كاتب هذه الرسالة لا يجيد سوى ثلاث فقط من هذه اللغات ـ هي العربية والإنجليزية واليورباوية ـ فسوف

---

(١) د/ أنيس شروش: قس أمريكي معاصر، من أصل عربي فلسطيني، يعتبر من ألد أعداء الإسلام ونبيه ﷺ في الغرب، وله عدة مناظرات مع بعض علماء المسلمين.

(٢) من مناظرة سعادة الدكتور جميل البدوي، والدكتور أنيس شروش المقامة في ولاية كانساس الأمريكية. (مسجلة على الأشرطة).

(٣) ومنها: الترجمة اليونانية (السبعينية)، والترجمات الكلدانية، والترجمة السريانية، والترجمة اللاتينية (الفولجاتا)، والترجمة السريانية الفلسطينية، والترجمة القبطية، والترجمة الحبشية، والترجمة الغوطية، والترجمة العربية، والترجمة الأرمينية، والترجمة الجورجانية، والترجمة السلافية، والترجمة الإنجليزية، والترجمة الفرنسية، والترجمة اليورباوية. انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٣٠٥، وقاموس ك.م. ص٧٦٨-٧٧٢، ومحنة التوراة على أيدي اليهود لعصام الدين حفني ناصف ص٥٧، ومقارنة الأديان لإبراهيم خليل أحمد ص٤٠-٤١.

(٤) انظر: قاموس ك.م. ص٧٧٢.

ينحصر البحث في الاختلافات بين ترجمات كتاب النصارى المقدس بهذه اللغات الثلاث[١] دون غيرها.

ومما يجدر بالذكر في هذه الزاوية أن قضية الاختيار بين الألفاظ المتقاربة في المعنى، وما ينجم عن ذلك من الاختلاف بين المترجمين لا تدخل معنا في بحثنا هذا، بل ولا ينبغي أن يؤاخذ ذلك على أي مترجم ولا أي ترجمة، خلافا لبعض القساوسة المعاصرين الذين يلجئون إلى هذا للطعن في القرآن الكريم[٢].

المسألة الأولى: شواهد الاختلافات[٣].

أ ـ «فأخذ الملك ابني رصفة... وبني ميكال ابنة شاول الخمسة الذين ولدتهم لعدرئيل»[٤]. فقد جاء النص في الترجمتين الإنجليزية واليورباوية هكذا: «... وبني ميرب[٥] ابنة شاول الخمسة...». ويبدو أن الصواب معهما، وذلك لما ورد في سفر صموئيل الثاني نفسه[٦] من أن ميكال بنت شاول لم يكن لها ولد إلى يوم موتها.

(١) والنسخ المعتمدة هي: ترجمة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (العربية)، والنسخة القياسية المراجعة "RSV" (الإنجليزية)، وترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة اليورباوية للأسقف أجايي كراودار.

(٢) ومن هؤلاء: القس جيمي شواغارت الأمريكي، والقس ستانلى شوبيرج السويدي في مناظرتيهما ـ كل على حدة ـ مع الداعية الشيخ أحمد ديدات حفظه الله وجزاه عن الإسلام خيرا.

(٣) يلاحظ هنا تقديم ذكر النص في الترجمة العربية.

(٤) ٢ ـ صموئيل ٢١/ ٨.

(٥) ميكال وميرب ابنتان لشاول. انظر: قاموس ك.م. ص٩٣٩و٩٤٠.

(٦) ٦/ ٢٣.

ب ـ « كان أخزيا[١] ابن اثنتين وعشرين سنة حين ملك، وملك سنة واحدة في أورشليم، واسم أمه عثليا بنت عمري، ملك إسرائيل »[٢].

إذًا، عثليا ـ أُم أخزيا الملك ـ بنت عمري ملكِ إسرائيل، حسب الترجمة العربية. أما الترجمة الإنجليزية للنص ففيها: « واسم أمه عثليا، وكانت حفيدة عمري ملك إسرائيل »، وأما الترجمة اليورباوية فهي موافقة للعربية هنا![٣].

ج ـ « هل مسرّة أسر بموت الشرير يقول السيد الرب؟ ألا برجوعه عن طُرُقه فيحيا »[٤]. فهنا عبّر بالجمع ـ أعني "طرق" جمع طريق، بينما عبر بالمفرد في كل من الترجمة الإنجليزية والترجمة اليورباوية.

د ـ « أرسل ظلمةً فأظلمت، ولم يعصوا كلامه »[٥]. إذًا، أفاد النص هنا عدم العصيان أو نفيه، ومثله أيضا في الترجمة اليورباوية! وأما الترجمة الإنجليزية فالنص فيها بالإثبات أي: « وعصوْا كلامه ».

هـ ـ « فأخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير ورجع إلى أرض مصر... »[٦].

---

(١) أخزيا بن يورام: الملك السادس من ملوك يهوذا، خلف أباه في الحكم في حوالي ٨٤٣ ق.م. قاموس ك.م. ص٣١ و٩١٧.

(٢) ٢ ـ الملوك ٨/ ٢٦.

(٣) مع أن الترجمة اليورباوية هذه قد انبثقت عن الإنجليزية!

(٤) حزقيال ١٨/ ٢٣.

(٥) المزامير ١٠٥/ ٢٨.

(٦) الخروج ٤/ ٢٠.

وأما في الترجمة الإنجليزية فقد جاء النص فيها بالإفراد «وأركبهم على حمار».

ولا يزال الخلاف قائماً حول ما هو الصحيح من هذين النصين، إذ يرى البعض أن الصواب الإفراد، لأن موسى ﷺ إنما رُزق بولد واحد فقط، فناسب أن يُركبه مع أمه على حمار واحد لا حمير، ويرى البعض الآخر أنه قد رُزق بأكثر من ولد[١]، فهو بذلك قد أركب امرأته مع بنيه، أو ابنيه - كما في النسخة السامرية - على حمير وليس على حمار، وليس هذا مجال التفصيل في ذلك[٢].

و - «قد أقنعتني يا رب فاقتنعتُ، وألححتَ علي فغَلبتَ...»[٣]. وإذا جئنا إلى النص في الترجمة الإنجليزية نقرأ فيه: «يا رب لقد خدعتني فخُدعتُ، أنت أقوى مني وقد تغلبتَ». وأما في الترجمة اليورباوية: «ربّ لقد اقنعتني فاقتنعت، أنت أقوى مني وغلبتني».

ز - «وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل، ولكن لم يُطرد سكان الوادي لأن لهم مركبات حديد»[٤]. وأما في الترجمتين الإنجليزية واليورباوية ففيهما: «...ولكنه لم يقدر على طرد سكّان الوادي...».

ح - «فكان تخمهم... إلى عروعير[٥] التي هي

---

(١) انظر: قاموس ك.م. ص٩٣٠و٩٣١، حيث ذكروا أن له ابنين فقط، مع ملاحظة كون هذا مخالفة صريحة للنص العبري "بنيه" في الخروج ٤/ ٢٠.

(٢) راجع: نقد التوراة للسقا ص١٠٧.

(٣) إرميا ٢٠/ ٧.

(٤) القضاة ١/ ١٩.

(٥) عروعير: مدينة في جلعاد، على صدر المنطقة التي كانت من نصيب بني جاد بالقرب من ربّة، التي =

أمام ربّة »[١]. وأما الترجمة الإنجليزية ففيها: « إلى عروعير التي هي شرق ربّة ».

ط ـ « هو ذا فتايّ الذي اخترته، حبيبي الذي سُرَّت به نفسي، أضعُ روحي عليه فيخبر الأممَ بالحق »[٢]. ففي هذا النص إثبات عبودية المسيح عليه السلام لله عز وجل، ولكن بدلا من لفظ "عبدي" كما جاء في الترجمة الإنجليزية: "My Servant" قالوا: "فتاي" في الترجمة العربية كما رأينا، و"رسولي" في الترجمة اليورباوية!

ي ـ « والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة، الروح والماء والدم، والثلاثة هم في الواحد »[٣]. ويأتي النص في الترجمة الإنجليزية هكذا: « هناك ثلاثة شهود: الروح، الماء، والدم، وتتفق هذه الثلاثة »، مع ملاحظة سقوط لفظ "في الأرض"، ومثل ذلك ورد في الترجمة اليورباوية أيضا[٤].

المسألة الثانية: مشكلات الترجمة العربية.

يرجع تأريخ الترجمة العربية لكامل كتاب النصارى المقدس إلى عام ٧٥٠م، حين ظهر أول ترجمة عربية للكتاب على يد رجل يُدعى يوحنا[٥]، ثم تلتها ترجمات أخرى باللسان العربي في بقع مختلفة من العالم، ومن أشهر هذه الترجمات ما يأتي:-

---

= هي ربة عمون: عمان، عاصمة الأردن الحالية. قاموس ك.م. ص٦١٩.

(١) يشوع ١٣/ ٢٥.

(٢) متّى ١٢/ ١٨.

(٣) ١ ـ يوحنا ٥/ ٨.

(٤) ولمزيد من الشواهد، راجع: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس لأحمد عبد الوهاب ص٢٧-٥٧.

(٥) يوحنا: أسقف أشبيلية بأسبانيا.

١ ـ ترجمة هبة الله بن العسّال القبطي[1] في عام ١٢٥٠م.

٢ ـ ترجمة روما في عام ١٦٧١م.

٣ ـ ترجمة فارس الشدياق، وقد نشرت في عام ١٨٥١م ثم ١٨٥٧م بلندن.

٤ ـ الترجمة العربية الحديثة، وقد صدرت الطبعة الأولى منها في بيروت عام ١٨٦٥م.

٥ ـ الترجمة اليسوعية، صدرت في بيروت عام ١٨٧٦م و١٨٨٠م.

٦ ـ ترجمة الآباء الدومنيكان[2]: صدرت في الموصل عام ١٨٧٨م[3].

وتلاحظ على الترجمة العربية لكتاب النصارى المقدس من حيث العموم عدة أمور، من أهمها ما يأتي ذكره:-

أولا: الأخطاء النحوية.

ومن ذلك ما جاء في سفر أخبار الأيام الأول[4]: «ولكن الله قال لي لا تبني بيتا لاسمي...»، أي بإثبات الياء في آخر "تبني"، والصحيح حذفها لأن "لا" التي قبله للنهي كما هو واضح من السياق، وكما جاء أيضا في الترجمة اليورباوية.

---

(١) هبة الله بن عسال القبطي: لم أقف على ترجمته.

(٢) الطائفة الدومنيكانية: أو جماعة الواعظين، إحدى الطوائف المنبثقة عن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، تأسست في عام ١٢١٥م على يد القديس دومنيك (١١٧٠-١٢٢١م). الدائرة البريطانية "Micro"٣/ ٦١٤.

(٣) انظر: قاموس ك.م. ص٧٧١، والبشارة بنبي الإسلام... للسقا ١/ ٧٤-٧٥، ومحمود علي حماية (م.ن.) ص١٨-٢٠.

(٤) ٢٨/ ٣.

ثانيا: الأغلاط الإملائية.

وذلك ناجم - فيما يبدو - عن محاكاة المترجمين رسمَ المصحف العثماني الخاص بالقرآن الكريم، فتجدهم يكتبون: "إسمعيل" و "إسحق" (بدون الألف)، و"حيوة" (باستبدال الألف واوا)...[1] ...الخ.

ثالثا: خلوها عن بعض علامات الترقيم اللازمة،

كالقوسين مثلا في قول كاتب إنجيل متّى[2]: "ليفهم القارئ"، وهو موضوع بين قوسين في الترجمة الإنجليزية للدلالة على أنه ملحق أو مدرج في النص.

رابعا: ركاكة الأسلوب،

ومن ذلك قولهم: «وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدّسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا»[3]. وتعالى الله عما يقول الظالمون.

خامسا: عدم توخي الدقة في الترجمة،

ومن ذلك قولهم: «بل تطلب كل امرأة من جارتها، ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب...»[4] والصواب: "حلي فضة وحلي ذهب"، كما جاء أيضا في الترجمة الإنجليزية أعني لفظ "Jewelry". وفي القرآن الكريم: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ

---

(١) انظر: التكوين ٢٥/ ٦-٩.

(٢) ٢٤/ ١٥.

(٣) التكوين ٢/ ٢-٣، وانظر أيضا: الخروج ٧/ ٢٣ و١٠/ ١٤، ويوحنا ٨/ ٤.

(٤) الخروج ٣/ ٢٢.

مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ ﴾[الأعراف:١٤٨]. قال ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى عن ضلال من ضل من بني إسرائيل في عبادتهم العجل الذي اتّخذه لهم السامري[١] من حلي القبط[٢] الذي كانوا استعاروه منهم...»[٣].

سادسا: تأثر المترجمين بمعلوماتهم الخاصة، سواء كانت صوابا أو خطأً.

ومن ذلك ما جاء في قولهم: «...فباعوه في مصر لفوطيفار[٤] خصي فرعون رئيس الشرط»[٥]. فلفظ "خصي" هذا إنما أدخله المترجمون لتصورهم أن حاشية القصر كلها كانت من الخصيان، ولم ينتبهوا إلى ما ورد في موضع آخر[٦] من الإشارة إلى استثناء رئيس الشرط من هذا، ولهذا جاء التعبير بالضابط "Officer" في بعض الترجمات الإنجليزية[٧]، وبأحد رجال الحاشية الملكية "Courtier" في بعضها الآخر[٨]، وأما في النسخة السامرية فقد جاء التعبير فيها بالخادم[٩].

---

(١) السامري: أي الوارد ذكره في قوله ﷻ: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾[طه: ٨٥].

(٢) القبط أو الأقباط: إسم يشير إلى بعض سكان مصر القديمة، وكانوا يتكلمون لهجة من لهجات اللغة المصرية القديمة، ويعيش اليوم في مصر نحو أربعة ملايين من الأقباط. الموسوعة العالمية ٢/ ٤٠١.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٤٧.

(٤) جاء في التعريف به في قاموس ك.م. ص٦٩٩: أنه رئيس شرطة فرعون، وسيدُ يوسف، حاولت زوجته إغراء يوسف وإضلاله، ولما فشلت المحاولة حملت زوجها على سجنه.

(٥) التكوين ٣٧/ ٣٦.

(٦) انظر: التكوين ٤٠/ ٢-٣.

(٧) انظر: نسخة RSV.

(٨) انظر: نسخة NAB.

(٩) انظر: التوراة السامرية، نشر: د/ أحمد حجازي السقا.

سابعا: مشكلة صيغة المثنى الخاصة باللغة العربية.

وذلك لأن في غيرها من اللغات ـ كالإنجليزية مثلا ـ تستوي صيغة المثنى وصيغة الجمع، فعلى سبيل المثال كلمة "Houses" تعني "بيوتا" (جمع)، أو"بيتين" (مثنى)، ولا فرق. والأمر ليس كذلك في اللغة العربية كما هو معلوم.

إذًا، فعدم مراعاة هذه الحقيقة أدّى إلى بعض الأخطاء في الترجمة العربية لهذا الكتاب، ومن ذلك قولهم: «وبنو زربابل: مشلام وحننيا وشلومية أختهم»[(١)]، والصواب: أختهما.

ثامنا: عدم التنسيق فيما يتعلق بترجمة ما تكرر ورودها من الألفاظ، ومن أمثلة ذلك:-

أ ـ الاسم "Enoch" في الترجمة الإنجليزية جاء في مقابلها في العربية اسمان: حنوك[(٢)]، وأخنوخ[(٣)].

ب ـ وجاء الاسم "يعقوب" في الترجمة العربية مقابل اسمين مختلفين في الإنجليزية، هما: "Jacob"[(٤)] و "James"[(٥)(٦)].

---

(١) ١ ـ أخبار الأيام ٣/ ١٩.

(٢) انظر: التكوين ٤/ ١٧.

(٣) انظر: التكوين ٥/ ٢٤.

(٤) انظر: التكوين ٢٧/ ٦و٣٦.

(٥) انظر: مرقس ٦/ ٣.

(٦) راجع في موضوع: مشكلات الترجمة العربية لكتاب النصارى المقدس: محنة التوراة لعصام الدين ناصف ص٨٠-١٤٦.

ثالثاً: الاختلافات بين الطبعات.

أ ـ توجد عبارتان في كتاب النصارى المقدس تتحدثان عن صعود المسيح ﷺ إلى السماء، وهما: «ثم إن الرب المسيح بعد ما كلمهم أُصعد إلى السماء وجلس عن يمين الله »[(١)]، و «وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأُصعد إلى السماء »[(٢)].

فهاتان العبارتان تم حذفهما في طبعة عام ١٩٥٢م للنسخة القياسية المراجعة "RSV"، ثم أُثبتتا في طبعة عام ١٩٧١م للنسخة نفسها[(٣)].

ب ـ وفي طبعة عام ١٩٥٢ لنسخة "RSV" نفسها، ينتهي إنجيل مرقس بنهاية الفقرة الثامنة من الإصحاح السادس عشر، وأما طبعة عام ١٩٧١م فتزيد اثنتي عشرة فقرة أخرى![(٤)].

ج ـ «ثم رأيت ملكا طائرا في وسط السماء»[(٥)]، هذا النص ورد في كل من طبعة عام ١٨٢٥م، وطبعة عام ١٨٢٦م للترجمة العربية، وأما في طبعتي عام ١٨٢٣م وعام١٨٤٤م، فالنص هكذا: «ورأيت وسمعت صوت نسر واحد يطير في وسط السماء»، وفي طبعة عام ١٨٦٥م فما بعدها نقرأ: «ثم نظرت وسمعت ملاكا طائرا في وسط السماء»[(٦)].

---

(١) مرقس ١٦/ ١٩.

(٢) لوقا ٢٤/ ٥١.

(٣) انظر: Ajijola,A.D; (op.cit.) P. 103 & Dimashkiah, AbdurRahman (op.cit.) P.46

(٤) انظر: Dimashkiah, AbdurRahman (op.cit.) P.44، ومناظرة ديدات وشوبيرج (م.ن.).

(٥) الرؤيا ٨/ ١٣.

(٦) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٦٠ هامش "٢" ـ تعليق المحقق ـ.

د ـ « لأن الرب ذلل يهوذا بسبب آحاز ملك إسرائيل »[١]، هكذا جاء النص في طبعة عام ١٨٦٥م فما بعدها للترجمة العربية، وأما في طبعة عام ١٨٤٤م، فآحاز « ملك يهوذا »[٢]، وليس ملك إسرائيل، وقد تقدم تحقيق المسألة.

هـ ـ « كان لسليمان أربعون ألف من الخيل »[٣]، هكذا في طبعة عام ١٨٤٤م العربية، وفي طبعة عام ١٨٦٥م فما بعدها: « وكان لسليمان أربعة آلاف مذود خيل »[٤].

و ـ « وأخذ عمرام يوكابد **عمّته** زوجة له »[٥]. هذا نص الترجمة العربية حسب طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ـ بدون تأريخ ـ، وأما في طبعتي لندن عام ١٨٣١م و١٨٦٦م فالنص هكذا: « فتزوج عمران يوخابد **ابنة عمّه** »[٦].

ز ـ « فصنع بنو لاوي كما أمرهم موسى فقتلوا في ذلك اليوم من الشعب نحو **ثلاثة وعشرين ألف رجل**»[٧]، هكذا النص في طبعتي ١٨٣١م و١٨٦٦م العربيتين، ويختلف عما جاء في طبعة دار الكتاب المقدس، وهو: « ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى، ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو **ثلاثة آلاف رجل** »!

---

(١) ٢ ـ أخبار الأيام ٢٨/ ١٩.

(٢) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ٢/ ٤٤٣ هامش "١" ـ تعليق المحقق ـ.

(٣) ٢ ـ أخبار الأيام ٩/ ٢٥.

(٤) انظر: رحمت الله الهندي (م.ن.) ١/ ١٧٩ هامش "٢" ـ تعليق المحقق ـ.

(٥) الخروج ٦/ ٢٠.

(٦) انظر: عبد السلام محمد (م.ن.) ص١٢٠.

(٧) الخروج ٣٢/ ٢٨، وانظر: عبد السلام محمد (م.ن.) ص١٢١.

ح ـ « وضرب أهلَ بيتشمس[١] لأنهم نظروا إلى تابوت الرب، وضرب من الشعب **خمسين ألف رجل وسبعين رجلا**»[٢]، هذا نص طبعة دار الكتاب المقدس. وأما طبعة الآباء اليسوعيين لعام ١٩٨٦م ففيها: « وضرب الرب أهل بيت شمس لأنهم نظروا إلى تابوت الرب، **وقتل من الشعب سبعين رجلا، وكانوا خمسين ألف رجل**»[٣].

ط ـ « كان أخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك، وملك سنة واحدة في أورشليم»[٤]:- نص طبعة دار الكتاب المقدس، وأما في طبعة عام ١٩٨٦م للآباء اليسوعيين فالنص هكذا: « وكان أخزيا ابن اثنتين وعشرين سنة حين ملك، وملك سنة واحدة بأورشليم»[٥].

ي ـ « كان شاول ابن سنة في ملكه، وملك سنتين على إسرائيل»[٦]، هكذا النص في طبعة دار الكتاب المقدس، وفي طبعة ١٨٣١م اللندنية: « فلما ملك شاول كان ابن سنة، وملك سنتين على إسرائيل»، وأما في طبعة عام ١٩٨٦م للرهبنية اليسوعية، فقد أتى النص بدون تحديد لعدد السنين، إذ نقرأ فيها: « وكان شاول ابن

---

(١) بيت شمس: مدينة واقعة في تخم أرض يهوذا الشمالي، وكانت تخص بني هارون، وربما هي عين شمس وجبل حارس. قاموس ك.م. ص٢٠٣.

(٢) ١ ـ صموئيل ٦/ ١٩.

(٣) انظر: عبد السلام محمد (م.ن.) ص١٢٣.

(٤) ٢ ـ أخبار الأيام ٢٢/ ٢.

(٥) انظر: عبد السلام محمد (م.ن.) ص١٢٩.

(٦) ١ ـ صموئيل ١٣/ ١.

ـــ حينا صار ملكا، وملك ـــ سنة على إسرائيل »، مع تعليق في الهامش ونصه: « في النص العبري: "كان شاول ابن سنة حين صار ملكا، وملك سنتين على إسرائيل" ». وهذ أمر غير معقول، ومن يدري لعلهم لم يعرفوا عمر شاول عند ارتقائه العرش! أو ربما سقط هذا العمر من النص! أو ربما قصرت مدة ملكه إلى سنتين لعبرة لاهوتية!!!

وأغرب من هذا أن النص نفسه يأتي في طبعة عام ١٩٨٨م بالقاهرة كما يأتي: « كان شاول ابن (ثلاثين) سنة، حين ملك، وفي السنة الثانية من ملكه... »[1].

وأكتفي بهذا القدر من الشواهد، معتقدا أن ما تقدم عرضه منها كاف في إثبات تلاعب النصارى بكتابهم المقدس إلى وقتنا هذا، والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) انظر: عبد السلام محمد (م.ن.) ص١٢٤-١٢٥.



الباب الثالث

المجامع النصرانية وأهم قراراتها

وفيه أربعة فصول.

الفصل الأول: ماهية المجامع النصرانية وأنواعها وأهمية دراستها.

الفصل الثاني: الكنيسة النصرانية ونشأتها.

الفصل الثالث: أهم المجامع النصرانية وما تمخّضت عنها من القرارات.

الفصل الرابع: دور المجامع في انحراف النصرانية وانقسام النصارى إلى طوائف.



الفصل الأول

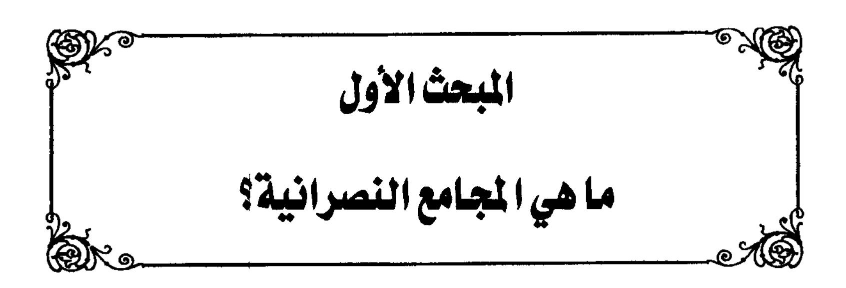
ماهية المجامع النصرانية وأنواعها وأهمية دراستها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ما هي المجامع النصرانية؟

المبحث الثاني: أنواع المجامع النصرانية.

المبحث الثالث: أهمية دراسة المجامع النصرانية.



المبحث الأول

ما هي المجامع النصرانية؟

يقول مصنّف كتاب "مجموعة الشرع الكنسي"[١]: « على أن الكنيسة المسيحية شعرت بعد أن أسسها المسيح[٢] الفادي الكريم ابن الله الحي على صخرة الإيمان، وأثناء جهادها الشاق في القرون الأولى بالحاجة الماسة إلى تنظيم وظيفة السلطة الدينية للقضاء في كل خلاف، فاجتمع المجمع الرسولي الأول[٣] على إثر مشادة[٤] بين فريقين من الرسل والمؤمنين... وعلى هذا المثال جرت الكنيسة وأخذت كلما دعت الحاجة، تعقد المجامع من مكانية ومسكونية »[٥].

إذًا، فالمجمع في المفهوم النصراني عبارة عن مؤتمر يعقد كل ما دعت إليه الحاجة لمعالجة قضية، أو لحل مشكلة، أولمناقشة أمرٍ كثر فيه الجدال واحتدم فيه

(١) وهو: الأرشمندريت حنانيا إلياس كسّاب، والكتاب في مجلد ضخم يحوي جميع قوانين المجامع النصرانية المسكونية السبعة وغيرها من القوانين والشرائع الكنسية.

(٢) هذه من الدعاوي العارية عن الدليل، وستأتي مناقشتها إن شاء الله.

(٣) هو ما تقدمت الإشارة إليه قبلاً، وانظر كذلك سفر الأعمال، ١٥/ ١-٢٩.

(٤) المُشادّة: المغالبة، يقال شادَّه مشادة أي غالبه. (المعجم الوسيط ١/ ٤٧٥).

(٥) مجموعة الشرع الكنسي لحنانيا إلياس كسّاب ص١.

الصراع سواء في أصول ديانتهم أو في فروعها، فهي ـ باختصار ـ بمثابة هيئة تشريعية وضعية في المفهوم المعاصر.

هذا عند النصارى أنفسهم، أما عند النقاد والباحثين من غيرهم، فالمجامع إنما هي: مجالس يلجأ إليها النصارى لإحداث بدعة، أو لتغيير نص في كتابهم المقدس، أو تأويله وفق هواهم أو ما تقتضيه الأوضاع والمصالح الراهنة[١].

ومما يظهر عند الدراسة المتأنية لمجريات أحداث معظم المجامع التي عقدت، وظروفها وملابساتها...الخ، أن اختلاف النصارى في تفاسير وشروح كتابهم، ـ لا سيما الأناجيل التي عولوا عليها ـ أوجب صيرورة دينهم عرضةً لآراء البشر ومجادلاتهم. كما كان ذلك أيضا سببا لظهور البدع بأنواعها المختلفة، ثم كان ظهور هذه البدع سببا لانعقاد المجامع، فأصبحت تعاليم وقرارات تلكم المجامع فيما بعد سببا لانقسام الكنيسة[٢]، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في مبحث مستقل.

وعلى كلٍّ، فإن ثمة أمرا يجب الكشف عنه، وهو أن الدعوى بأن تلاميذ المسيح عليه السلام قد وضعوا أساسا للمجامع أو رسموا نظامها، مغلوط فيها. فلا ننسى أن هؤلاء المجتمعين ـ إن صح خبر اجتماعهم هذا ـ إنما كان الموضوع المطروح أمامهم للدراسة هو: هل يُكتفى في دخول الدين الجديد (النصرانية) لأمم غير اليهود باعتناق العقائد الأساسية فقط في المرحلة الابتدائية، من غير التزامهم جميعَ أحكام التوراة العملية من ختان ونحوه. فلم يكونوا يناقشون وجوب هذه الأحكام

(١) انظر: المسيحية لأحمد شلبي ص٢٠١ بتصرف.

(٢) انظر: عبد الرحمن سليم البغدادي (م.ن.) ص١٥ ـ المقدمة ـ.

أو عدمه، أو نسخها أو إبدالها...الخ، وإنما نظروا فيها يقتضيه مبدأ ارتكاب أخف الضررين كما أسلفت الحديث عن ذلك.

وعن نطاق صلاحية المجمع وقراراته، يقول مصنف المجموعة أيضا: « وفي هذه المجامع ثبتت نهائيا عقائد الإيمان القويم، ووضعت قوانين عديدة لحفظ النظام في الإدارة الكنسية، ولتنظيم العلاقة بين الأبرشيات[١] المتعددة، أو بين فروع الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية، وبين أعضائها من أكليريكيين وعوام »[٢].

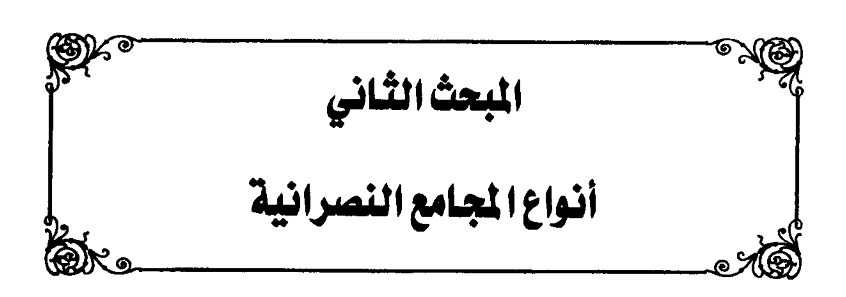
فالمجامع لها الكلمة الأخيرة في جميع القضايا المتعلقة بالعقيدة، وحكمها فيها وفي غيرها من التنظيمات الكنسية وإدارتها هو الحكم النهائي، بل إن أحكام المجامع وقراراتها تقضي على أحكام البابوات وتنسخها، كما جاء التصريح بهذا في موضع آخر من الكتاب نفسه[٣].

---

(١) الأبرشيات جمع الأبرشية وهي: وحدة صغرى من وحدات الكنيسة، فالأبرشية جزء من الأسقفية. الموسوعة العالمية ١/ ٦٤.

(٢) حنانيا إلياس كساب (م.ن.) ص١.

(٣) انظر: ص٤٤٩ منه.



المبحث الثاني

أنواع المجامع النصرانية

يوجد نوعان من المجامع النصرانية، وهما: المجمع المسكوني، والمجمع المكاني.

أما المجمع المسكوني أو العالمي، فهو ـ عندهم ـ كل مجمع « حازت تحديداته وقوانينه القبول في المسكونة[١] كلها »[٢].

وهذا التعريف كان مقبولا لدى جميع الطوائف النصرانية حتى عهد الانشقاق الكبير بين الكنيستين الشرقية والغربية[٣]. وأما بعد ذلك، ونظرا لعدم واقعية التعريف، فقد جاء تعريف آخر من متأخري الكتّاب الكاثوليكيين، وهو أن المجمع المسكوني هو: « الذي يدعى إليه الأساقفة ومن لهم حق التصويت من كل أنحاء العالم، والذي يُعقد برئاسة البابا أو أحد مندوبيه، ويجيز مراسيمه، فيتحتم على المسيحيين لذلك وجوب التقيد بأوامره »[٤].

---

(١) أي العالم المسكون.

(٢) حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص١٠.

(٣) وسيأتي في مبحث: دور المجامع في انقسام النصارى إلى طوائف.

(٤) حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.)ص١٠.

ويبدو أن البروتستانتيين لا يرتاحون لهذا التعريف، فيقول قائلٌ منهم، ريتشرد فيلد[1]: «وهكذا فليس هناك إلا سبعة مجامع عمومية تعترف بها الكنيسة عموما، وقد دُعيت لتحديد مسائل في الإيمان والسلوك. وأما سائر المجامع التي عقدت فيما بعد والتي يريد خصومنا (الكاثوليكيون الرومانيون) أن يُعترف بها أنها مجامع عمومية[2]، فقد رفض الشرقيون قبولها، كما رفضناه نحن»[3].

ومما يؤاخذ على التعريف أيضا، ما جاء فيه أن المجمع المسكوني يعقد برئاسة البابا أو أحد مندوبيه. فإن المجمع المسكوني الثاني المنعقد في عام ٣٨١م لم يحضره البابا داماسوس الأول، ولم يكن له نائب فيه، وتعترف الكنيسة الغربية الكاثوليكية بمسكونيته[4]، على تفصيل في ذلك سيأتي إن شاء الله.

هذا ولا يشترط في الأساقفة الحاضرين في مجمع مسكوني أن يبلغوا عددا معينا، كما أنه ليس من الضروري أن تكون جميع أقطار العالم ممثلة فيه، أو أن الدعوة قد وجهت إلى أساقفتها. وإنما المهم في اعتبارالمجمع مسكونيا أن يجري الاعتراف به في جميع أنحاء المعمورة أنه مجمع مسكوني[5].

---

(١) Richard Field: ولد عام ١٥٦١م، وصار مستشارا روحيا للملكة اليصابت الإنجليزية في عام ١٥٩٨م، ثم في عام ١٦١٠م عُيّن عميدا لكلية غلوسستر، ومات سنة ١٦١٦م. من أشهر مؤلفاته: "الكنيسة". انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٧٦٣، و Oxford Dictionary of the Christian Church P.512

(٢) ومنها المجمع الفاتيكاني الأول والثاني كما سيأتي إن شاء الله.

(٣) حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.)ص٧٦٣.

(٤) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٤٢.

(٥) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص١٠ بتصرف.

ومما لا بد من ذكره أن هذه المجامع تنسب إلى نفسها العصمة من الخطأ في التعاليم والعقائد والآداب، وإن كانت مسألة ثبوت الإلهام أو الإشراف الإلهي - كما يقولون - لهذه المجامع، فيها نزاع بين علماء النصارى أنفسهم[1]. ونتج عنه عدم التزامهم ببعض قوانينها، لا سيما ما لا يتفق منها وهواهم، كما هو الحال بالنسبة للقرض لقاء فائدة ربوية، على الرغم من تحريم ذلك في القانون النيقوي السابع عشر[2].

ويبلغ مجموع هذه المجامع المتفق[3] على مسكونيتها سبعة مجامع هي:-

١ - المجمع المسكوني الأول أو مجمع نيقية الأول في عام ٣٢٥م.

٢ - المجمع المسكوني الثاني أو القسطنطيني الأول في عام ٣٨١م.

٣ - المجمع المسكوني الثالث أو مجمع أفسس في عام ٤٣١م.

٤ - المجمع المسكوني الرابع أو مجمع خلقيدونية في عام ٤٥١م.

٥ - المجمع المسكوني الخامس أو القسطنطيني الثاني في عام ٥٥٣م.

٦ - المجمع المسكوني السادس أو القسطنطيني الثالث بين عامي ٦٨٠ و ٦٨١م.

---

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص١٠-١١ و٧٦٣.

(٢) نفسه ص٨٧، وكذلك القانون الرابع من قوانين مجمع اللاذقية المكاني (حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.)ص١٩٦).

(٣) لوجود خلاف في مسكونية بعض المجامع، ومنها: المجمع القسطنطيني الرابع في عام ٨٦٩ (حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص١٤-١٥)، كما أن هناك مجامع عقدت بعد عهد الانشقاق في الكنيسة على أنها مجامع مسكونية، ولا يوافق خصوم منظميها على ذلك كما تقدم نقل قول بعضهم في هذا في الصفحة السابقة.

٧ـ المجمع المسكوني السابع أو مجمع نيقية الثاني في عام ٧٨٧م[١].

فتكون القسطنطينية لها نصيب الأسد، إذ احتضنت ثلاثة من هذه المجامع السبعة، تليها نيقية التي كانت مقرا لاثنين منها.

المجمع المكاني :-

وأما المجامع المكانية فهي: «التي كانت الكنائس ولا تزال تعقدها في حيزها الخاص لإقرار عقائد معينة أو رفضها، أو النظر في بعض الشؤون المحلية الخاصة»[٢].

ففي ضوء هذا التعريف يمكننا القول بأن المجمع المكاني لا يقل عن المجمع المسكوني خطورة، من حيث تشريع شرائع جديدة لأتباعها أو إلغاء الشرائع القائمة أو تعديلها لهم، وإنما الفيصل بينهما أن المجمع المكاني خاص بمنطقة أو مناطق جغرافية محددة، بينما المسكوني لا حدود لقراراته في العالم النصراني.

والواقع أن المجمع المكاني أسبق زمنا من نظيره المسكوني، فقد كان يعقد منذ أوائل القرن الثاني للميلاد، بينما لم يعقد أول مجمع مسكوني إلا في القرن الرابع، مما يجعلنا نقول: إن فكرة انعقاد المجمع المسكوني أصلها نابع عن خبرتهم في انعقاد المجامع المكانية. وهذا المجمع المكاني في حد ذاته إنما صيغ هيكله واقتُبست أنظمته من النظم القانونية والتشريعية القائمة في آسيا واليونان حينذاك، كما يقر به الكاتب النصراني حبيب سعيد الذي يلقي مزيدا من الضوء على منشأ هذه المجامع فيقول:

---

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤٠، ٢٤١، ٢٨٨، ٣٦٤، ٤٤٦، ٤٨٦، و٧٦١.

(٢) انظر: رؤوف شلبي (م.ن.) ص١٩٤.

« وسرعان ما تقرر كعرف متواضع عليه وقانون مسلّم به، أن يجتمع أساقفة الكنائس المستقلة في عاصمة الولاية، مرة في الربيع وأخرى في الخريف. وكان يشترك في مداولاتهم كمستشارين نخبة من الشيوخ الممتازين، ويحضرها أيضا عدد من أفراد الشعب كمستمعين. وقد تعرضت قراراتهم إلى كل مشاكل الإيمان والنظام، وكان مفهوما أن الروح القدس هو الذي هيمن على إجراءات هذا المجتمع المسيحي الحرّ، وقد أشبع نظام المجامع كل المطامع الشخصية وكافة المصالح العامة، وما انقضت سنوات قلال حتى عم هذا النظام كل أرجاء الإمبراطورية... »[١].

هذا، وقد أضاف بعض الباحثين نوعا ثالثا وهو المجمع الملّي أو الطائفي[٢]، وبعبارة أخرى: المجامع الخاصة بطائفة من طوائف النصارى أو بملة من مللهم[٣].

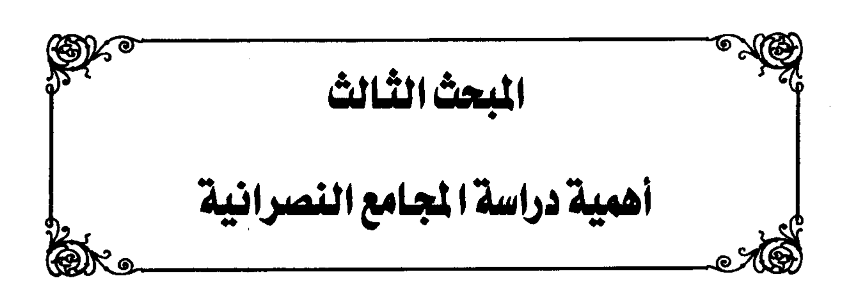
ويلاحظ أن بين المجمع المكاني وهذا المجع الملّي عموما وخصوصا من وجه، حيث إن المجمع المكاني أعم من حيث مذاهب الحاضرين وأخص من حيث مناطق إقامتهم بينما المجمع الملي أعم من حيث أماكن إقامة الحاضرين وأخص من حيث مذهبهم.

---

(١) تأريخ المسيحية لحبيب سعيد ١/ ٨٩.

(٢) انظر: محاضرات أبي زهرة ص١١١

(٣) مثل مؤتمر لمبث "Lambeth Conference" الخاصة بالطائفة الأنجليكانية، ويعقد كل عشر سنين. راجع: " Marshal,Michael;Lambeth1988 (Church at the cross roads) PP.3,4,6 & 13-32"، وكذلك المجامع الفاتيكانية الكاثوليكية.



المبحث الثالث

أهمية دراسة المجامع النصرانية

وأما عن أهمية دراستنا لهذه المجامع فيمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

أولا: أنها تبرز العوامل التي ساهمت في بناء العقيدة النصرانية وفي تطورها أو بالأصح انحرافها عن الجادة، وانتشارها. لا سيما في ظل الظروف الصعبة سواء التي عايشها المسيح أو تلاميذه بعده ﷺ، يقول شارل جنيبير: «إننا نعلم تماما أن الحواريين الإثني عشر والأتباع المباشرين لعيسى ﷺ لم يكونوا ليستطيعوا القيام بنشاط يذكر في القدس بل كان موقفهم هو موقف أستاذهم فيما مضى وكانت تتهددهم عين الأخطار التي هددته»[(١)].

بل إننا لا نكاد نجد عقيدة يؤمن بها النصارى اليوم إلا وقد أقرت في مجمع من مجامعهم، وما من انحراف حدث في دينهم إلا بموافقة أحدها عليه[(٢)]. وكانت

(١) شارل جنيبير (م.ن.) ص٦٥.

(٢) عقيدة تأليه المسيح ﷺ أقرت في مجمع نيقية عام ٣٢٥م، وقرر تأليه الروح القدس في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م، وأمومة العذراء للإله في مجمع أفسس عام ٤٣١م، وعصمة البابا في مجمع روما الفاتيكاني عام ١٨٦٩م، وهكذا...!!

بمثابة آداة للضرب والقمع بأيدي رجال الكنيسة والسلاطين ضد الحركات التصحيحية في النصرانية على مر العصور[١].

ثانيا: كما أنها توضح لنا الخطوط العريضة لكيفية انقسام الكنيسة عقديًّا إلى كاثوليكية وأرثودكسية (عامة)، وأرثودكسية قبطية، وبروتستانتية. وكيفية انفصالها جغرافيًّا إلى غربية وشرقية، والمناخ الذي حدث فيه كل ذلك، وما وراءه من الدوافع والأسباب.

ثالثا: من خلالها أيضا نتوصل لمعرفة نشأة البابوية، ومرجعيتها أو مصدريتها المستقلة.

رابعا: تعرّفنا كذلك بموضوعات أخرى خطيرة، كنشأة الإصلاح الديني، وفصل الدين عن الحياة في أوروبا، وغيرهما[٢].

خامسا: كما تساعدنا هذه الدراسة على معرفة الظروف التي أحاطت بالمجامع هذه، سواء من تأثيرات سياسية أو أهواء نفسية، نتج عنها صدور قرارات هي في غاية الانحراف والزيغ[٣].

سادسا: تؤكد لنا كيف كانت هذه المجامع أهم مصدر للنصرانية المعاصرة، ومدى بشرية عقائدها.

---

(١) انظر: محمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٨٢.

(٢) انظر: رؤوف شلبي (م.ن.) ص١٩٢-١٩٣.

(٣) انظر: إبراهيم خلف التركي (م.ن.) ص٩٧-٩٨.

الفصل الثاني

الكنيسة النصرانية ونشأتها



لما كانت قرارات المجامع تعتبر جزءًا من الشرائع الكنسية، لما للكنيسة ورجالها من دور في صنع هذه القرارات، ناسب أن نتكلم ولو بشكل وجيز عن ماهية الكنيسة ذاتها ومَنشئِها، لا سيما وقد أُثبت في أذهان عوام النصارى أن مؤسس الكنيسة ومُنشئَها هو المسيح عليه السلام [1]، كما يقول قائلهم: «وجمع المسيح حوله جماعة صغيرة سماهم صيادي الناس، وكانوا هم بدء كنيسة المسيح» [2]!

ماهي الكنيسة؟

ورد ذكرها بصريح اللفظ في العهد الجديد أكثر من مائة مرة [3]. وأما عن تحديدها أو بيان مفهومها، فيقول الدكتور فهيم عزيز: «هي الجماعة التي تجتمع باسم المسيح، وهي التي يكون فيها هو... وهي المجمع المرسلي الذي يذهب إلى العالم كله لكي يتلمذ ويعمّد ويعلّم» [4]، وجاء في مجموعة الشرع الكنسي [5] أن الكنيسة هي: «جماعة المؤمنين إيمانا واحدا بالله خالقا وفاديا وديّانا، وكل أعضائها من إكليريكيين وعوّام: أعضاء جسد المسيح الواحد، تجمعهم شريعة واحدة هي

---

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.)ص١، وكارل وليمز الكبير (م.ن.) ص١١٧-١١٨.

(٢) مواقف من تأريخ الكنيسة لرولاند بينتون، ترجمة: القس عبد النور ميخائيل ص٧.

(٣) انظر: كارل وليمز الكبير (م.ن.) ص١١٧.

(٤) فهيم عزيز (م.ن.) ص٢٦٤-٢٦٥.

(٥) ص١.

شريعة الإيمان والرجاء والمحبة».

فمن هذين التعريفين ندرك أن مفهوم الكنيسة أعم مما اشتهر عنها اليوم من أنها مبنى للاجتماع والتعبد، بل لم يرد استعمال الكلمة لهذا المعنى في العهد الجديد كله[١]. أو جماعة من النصارى يوحّد بينهم عامل جغرافي أو فلسفي أو نحوهما، كما يقال: الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية، أو الكنيسة الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية ونحو ذلك.

وقيل إن للكنيسة مفهومين، مفهومًا عاما ـ وهو ما تقدم تعريفه ـ ومفهومًا خاصا، وهو الذي يُقصد به اجتماع النصارى في إقليم أو مكان معيّن للعبادة[٢].

أما مفهوم الكنيسة باعتبارها هيئةً تنظيمية تعبدّية، فيها تسلسل الوظائف والمسئوليات والرُّتب والدرجات لرجالها، فإنه شيء طارئ على النصرانية نفسها، وترجع جذوره إلى ربوع العالم اليوناني بعيدا عن أرض فلسطين التي نشأ فيها المسيح عليه السلام وبشّر فيها برسالته الإلهية السماوية[٣].

وعن السبب المباشر الذي أدّى إلى تأسيس الكنيسة أو إنشائها، يرى بعضهم أنه نتيجة لتأخر تحقق الحلم المنشود لدى جميع النصارى الأوائل، من حلول مملكة الله سريعا أو قرب عودة المسيح ثانية إلى هذا العالم، ولإدراكهم إمكانية مرور مئات

---

(١) انظر: قاموس ك.م. ص٧٨٨.

(٢) انظر: كارل وليمز الكبير (م.ن.) ص١٢٦، وانظر كذلك: قاموس ك.م. ص٧٨٨.

(٣) انظر: مقارنة الأديان للطهطاوي ص٢٠٤، ويشير المؤرخون إلى أن أقدم كنيسة هي كنيسة روما. انظر: محمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٦٥.

السنين قبل تحققه، فكّروا في إحداث طريقة للتجمع لتوحيد الصف ولَمِّ الشمل إبَّان فترة الانتظار هذه، فهكذا جاءت فكرة إقامة النظام الكنسي[١].

ويذهب آخرون إلى أن السبب هو أن اليهود المغتربين في مهاجرهم قاموا بطرد أتباع يسوع - من يهودي أو أممي - من معابدهم اليهودية، وفي الوقت نفسه يتم إبعاد الوثنيين اليونانيين الذين آمنوا به عن المعابد الوثنية، فتكوّن من هؤلاء ومن أولئك تجمّع تعبدي[٢].

ويتفق أصحاب القولين السابقين على أن تجمّع هؤلاء أو أولئك آنذاك كان بدائيا تقليديا بسيطا إلى أن جاء بولس فشرع في تأسيس جمعيات نصرانية في صورة خلايا سرية، يطلق عليها لفظا يونانيا هو: "Ekklesia" أي الكنيسة[٣]، ويضع على رأس كل جمعية أو خلية سرية مراقبا أو مشرفا، والذي يعني في اللسان اليوناني: "Episkopos"[٤] أي أسقف[٥]. وفي هذا يقول ول ديورانت: «المسيحيون كانوا يجتمعون في حجراتهم الخاصة أو في معابد صغيرة، وقد نظموا أنفسهم على مثال المجامع اليهودية، وأطلقوا على كل جماعة منهم اسم "الاكليزيا" "Ekklesia" وهو اللفظ اليوناني الذي كان يطلق على الجمعية الشعبية في حكومات البلديات»[٦].

---

(١) انظر: Ajijola,A.D; (op.cit.) P. 129.

(٢) انظر: شارل جنيبير (م.ن.) ص١٣٢.

(٣) انظر: رولاند بينتون (م.ن.) ص٧.

(٤) انظر: قاموس ك.م. ص٧٢.

(٥) انظر: مقارنة الأديان للطهطاوي ص٢٠٥.

(٦) ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٢٧٧.

أما المسيح ﷺ وحواريّوه فلم ينشئوا كنائس ولا فكّروا في ذلك، وتؤكّد هذا عدة أمورٍ، منها:-

أ ـ أن نصوص الأناجيل ذاتها تدل على أن المسيح كان يترقب حلول مملكة الله الوشيك ويبشر به[١]، فكان طبيعيا أن ينفي هذا الأمل عنده أي فكرة تتعلق بالتنظيم الدنيوي لأتباعه من منطقه. هذا على فرض صحة هذه النصوص، وهي ليست كذلك حتماً.

ب ـ أن المسيح قد جاء ليتم شريعة موسى عليهما السلام [٢]، ولذلك كان يخضع لها تمام الخضوع. وعليه فإنه يَبْعد أن يفكر لحظة واحدة في رسم خطوط ما يُسمى بالكنيسة اليوم[٣].

ج ـ كما أنه لا يدّعي أحد، سواء بدليل أو بغير دليل وجودَ كنيسة في زمن المسيح ﷺ، فضلا عن أن يكون قد تعبَّد فيها أو أقام الدعوة بين جدرانها، وإنما الثابت عنه ـ حسب رواية العهد الجديد ـ أنه كان يعلن دعوته ويبلّغها في مجامع أو معابد الإسرائيليين باعتباره رسولا من رسلهم[٤].

د ـ أنه يوجد اليومَ من النصارى من لا يعترفون بالكنيسة ولا بأنظمتها القائمة، ويرونها نوعا من البدع وإضاعة الوقت، ومن هؤلاء: طائفة شهود

---

(١) انظر: متّى ٤/ ١٧ و٢٤/ ٣٤.

(٢) انظر ما تقدم في الباب التمهيدي.

(٣) انظر: شارل جنيبير (م.ن.) ص١٣٠.

(٤) انظر: متّى ٤/ ٢٣-٢٥، و٢١/ ١٠-١٣.

يهوه[١][٢].

وكذا الأمر بالنسبة لحوارييه أو تلاميذه الأولين، ـ على حد تعبير بعض علماء النصارى أنفسهم ـ، فإنهم قد آمنوا «أن سيّدهم أمرهم أن يترقبوا نهاية العالم الحاضر في حياتهم[٣]، وسواء فهموا قصده أم لم يفهموا، فإنه ما كان لهم أن يتمسكوا بهذه الفكرة لو أنهم تلقّوْا عنه تعليمات عن إنشاء كنيسةٍ»[٤].

وأما بالنسبة للنص الذي يعوّل عليه النصارى عادةً في تقوية موقفهم في إنشاء الكنائس، ألا وهو ما جاء على لسان المسيح عليه السلام في إنجيل متّى[٥]: «وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس[٦]، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها»، فيجاب عنه بالأجوبة الآتية:

أ ـ أننا لو فرضنا ثبوت هذا النص، فإنه بلا شك يعارض محور دعوة المسيح عليه السلام نفسه ويقلّبه رأسا على عقب. يقول شارل جنيبير: «ولكن هذا الحديث

---

(١) طائفة شهود يهوه: منظمة دينية وسياسية تدّعي أنها نصرانية، وأن مهمتها الشهادة عن الله أو يهوه كما يسمونه، والواقع أنها تحت سيطرة اليهود وتعمل لحسابهم، وقد تأسست في الولايات المتحدة الأمريكية حوالي سنة١٨٧٢م. انظر: Collier's Ency.13/534، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٢٩٣.

(٢) انظر: بدعة شهود يهوه ومشايعيهم لإسكندر جديد ص٨٣.

(٣) انظر: ما تقدم في ص٣٢٠ و٤٥٥-٤٥٦.

(٤) تفسير أعمال الرسل للورانس براون، ترجمة: حبيب سعيد ص٤٣، نقلا عن: محمد عبد الحليم أبو السعد ص٣٨٢.

(٥) ١٦/١٨.

(٦) وبطرس: لفظ يوناني يعني: صخرة أو حجرا. انظر: قاموس ك.م. ص١٧٤.

المشهور [يعني هذا النص] والذي استُغلَّ أقصى الاستغلال، لا يمكن بحال من الأحوال الاعتماد على صحته، إلا إذا أعلنا أن المسيح في ساعة من ساعات الغفلة والتيه[١] قد تنكر لتعاليمه ولعمله ولرسالته بل ولذاته أيضا»[٢].

ب ـ وعلى فرض ثبوت الكلام أيضا، فإن تفسيره حسب سياق ما قبله وما تلاه هو أن المسيح عليه السلام إنما أشار إلى مدى ثقته بتلميذه بطرس، وأن دعوته ستنهض وتنتشر على أكتاف المؤمنين بها المخلصين أمثاله، فلقّبه بالصخرة كناية عن الثبات والصمود[٣]، بدليل أن المسيح عليه السلام في هذا السياق إنما قال لبطرس ما قاله ـ إن ثبت عنه عليه السلام ـ على إثر سروره بإجابة بطرس على سؤال طرحه على الجميع، فارتاح لإجابة بطرس حتى قال: «طوبى لك يا سمعان بن يونا... وأنا أقول لك أيضا: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي»[٤].

ج ـ ومما يدل على عدم ثبوت هذا النص أصلا، بل يدل على تزويره، أن فحواه يشير إلى أسبقية بطرس وأفضليته على سائر التلاميذ. وهذ أمر لا يزال الخلاف حوله مريرا بين الكاثوليكيين وغيرهم من طوائف النصارى[٥]. وهذا شارل جنيبير ـ وهو كاثوليكي فرنسي وأستاذ تأريخ النصرانية ـ يقول: «إن النصوص والأحداث في تسلسلها لتدل دلالة قاطعة لا تقبل الجدل على أن أسبقية بطرس الحواري ـ التي

---

(١) حاشا نبي الله عيسى عليه السلام من هذه الأوصاف التي لا تليق به.

(٢) شارل جنيبير (م.ن.) ص١٣١.

(٣) انظر: محمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٦٣ بتصرف.

(٤) متّى ١٦/ ١٧-١٨.

(٥) انظر: قاموس ك.م. ص١٧٧.

يقال في إنجيل متّى أن عيسى قد صرّح بها ـ لم يكن لها أي حظ من الواقع ولم توجد قط »[١]! وأما فيما يتعلق بتجمّع أتباع المسيح حوله بعد رفعه ﷺ ـ حسب ما جاء في سفر أعمال الرسل[٢] ـ فيرجع شارل ذلك إلى اعتبارهم إياه رجلا يُحترم لثقة المسيح به ومودته له لا غير[٣]. ويقول القمص مرقس داود[٤] ـ وهو أرثوذكسي المذهب ـ معلّقا على النص ذاته: « ... فالمسيح لم يبن كنيسته على بطرس بل على الصخرة، أي الإيمان الذي دفع بطرس إلى الاعتراف به بأنه هو ابن الله. وحاشا له أن يبني كنيسته على شخص غير ثابت كبطرس »[٥]!

د ـ ثم إن النص لو سلّمنا بصحته وقلنا إنه يفيد أن المسيح ﷺ سيبني كنيسة، وهاهو ﷺ قد رُفع عن الأرض وانتهى الجيل الذي بشّر فيه ولم يعرف إنسان أين كانت هذه الكنيسة أو على الأقل بقاياها أو آثارها، بل إنها لم توجد على الإطلاق[٦].

وإن قال قائل: لعل ذلك يكون عند عودته ثانية إلى الأرض وقبل القيامة، فالجواب من وجهين:

الأول:أن ذلك يعني حتما أن ما يوجد الآن من الكنائس ونظمها لا أساس لها ـ وهو كذلك ـ ويجب محوها لوقوعها قبل الموعد المحدد لها.

---

(١) شارل جنيبير (م.ن.) ص١٣١.

(٢) انظر: الأعمال ١/ ١٥-٢٦.

(٣) انظر: شارل جنيبير (م.ن.) ص١٣١.

(٤) نصراني مصري قبطي أرثوذكسي: صاحب ترجمة تأريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري.

(٥) يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٣١٨ ـ تعليق المترجم ـ هامش ١١.

(٦) انظر: مقارنة الأديان للطهطاوي ص٢٠٤.

والثاني: أن نبينا محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وشريعته كذلك خاتمة للشرائع، فعندما يأتي المسيح ﵇ في آخر الزمان إنما يأتي مؤمنا بالله ﷻ على شريعة المصطفى ﷺ، كما روى الإمام مسلم ﵀ في صحيحه قال: «وحدثنا زهير بن حرب حدثني الوليد بن مسلم حدثنا ابن أبي ذئب عن ابن شهاب عن نافع مولى أبي قتادة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمّكم منكم**»، فقلت لابن أبي ذئب إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري عن نافع عن أبي هريرة: «**وإمامكم منكم**»[(١)] قال ابن أبي ذئب[(٢)]: تدري ما أمّكم منكم؟ قلت: تخبرني قال: **فأمّكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ**»[(٣)].

إذًا، فالنتيجة من هذا كله أن المسيح ﵇ لم ينشئ كنيسة ولم يردها، فهذا من أكثر الأمور المحقَّقة ثبوتا لدى أي باحث حُرّ يدرس النصوص في غير ما تحيز أو تعصب، وأما دعوى العكس فلا يمكن أن يوجد لها سند تأريخي يرتقي إلى درجة القبول، بل وقد عجز حيال هذا الأمر رجال اللاهوت النصراني بكل ما

---

(١) وقد ورد بهذا اللفظ عند البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم ﵉، رقم الحديث: ٣٤٤٩، وعند مسلم أيضا في الباب نفسه.

(٢) هو: محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب القرشي العامري، أبو الحارث المدني: قال الحافظ: ثقة فقيه فاضل. مات سنة ثمان وخمسين بعد المائة، وقيل تسع وخمسين. تقريب التهذيب ص٤٩٣.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم وحكمه بشريعة نبينا محمد ﷺ، رقم الحديث: ١٥٥، انظر: صحيح مسلم (م.ن.)١/ ١٣٧. وأخرجه أيضا البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم ﵇، رقمه: ٣٤٤٩ انظر: الفتح ٦/ ٤٩١.

« أما أن تنسب إليه [المسيح] إرادة تأسيس كنيسة، كنيسة تكون كنيسته هو، كنيسة تختص بالعبادات والطقوس التي يعيِّنها لها والتي يظهر فيها رضاه عنها، كنيسة يمهد لها فتح الأرض جميعا، فهذا قول لا يقره واقع الأحداث ولا صريح التسلسل التأريخي. ولن نتعدى الحق إن أضفنا: أن كل ذلك لا يمكن اعتباره إلا تحريفا لفكرته، وأنه لم يكن ليرضى عنه قط لو نمى إلى علمه منه شيء »[١].

(١) شارل جنيبير (م.ن.) ص٤٨-٤٩، وانظر كذلك ص١٣٠.



الفصل الثالث

أهم المجامع النصرانية وما تمخضت عنها من القرارات

وفيه خمسة مباحث

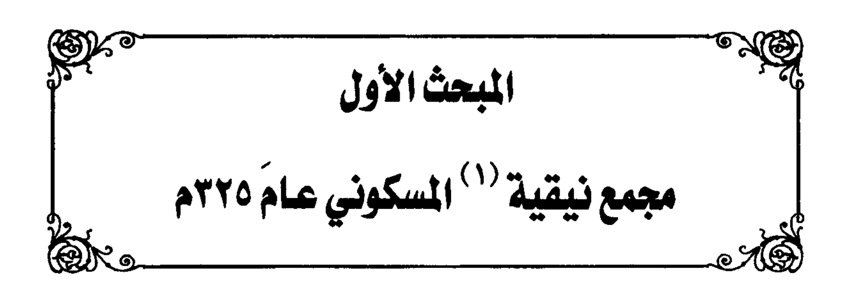
المبحث الأول: مجمع نيقية المسكوني عام.

المبحث الثاني: المجمع المسكوني الثاني أو مجمع القسطنطينية الأول عام.

المبحث الثالث: المجمع المسكوني الثالث أو مجمع أفسس عام.

المبحث الرابع: المجمع المسكوني الرابع أو مجمع خلقيدونية عام.

المبحث الخامس: المجامع الأخرى.



المبحث الأول

مجمع نيقية[١] المسكوني عامَ ٣٢٥م

المطلب الأول: افتتاح عام:-

يعرف هذا المجمع بالمجمع المسكوني الأول، وبمجمع نيقية الأول، نسبة إلى المدينة التي عقد فيها، وقد تم عقده في عهد الإمبراطور قسطنطين الكبير، وفي عهد البابا سلفستر الأول[٢]،وإن كان الأخير لم يحضره شخصيا لأسباب صحية[٣].

افتتح المجمع في العشرين من أيار (مايو)، وقيل في الحادي والعشرين، وقيل إنما افتتح في السادس عشر من حزيران (يونيو) سنة ٣٢٥م، وانتهت أعماله في الخامس والعشرين من آب (أغسطس) في العام نفسه، أي أنه استمر لمدة سبعة وتسعين يوما أو

(١) نيقية: مدينة قديمة في بيثنيا آسيا الصغرى على بحيرة أسكانيان، وهي الآن واقعة في شمال غربي تركيا. الدائرة البريطانية ١٦/ ٤٧٢، والموسوعة العالمية ٢٥/ ٥١٦.

(٢) البابا سلفستر الأول: "Silvester I"، البابا الكاثوليكي من عام ٣١٤م-٣٣٥م. انظر: Hughes,Philip; (op.cit.) P.283.

(٣) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤٢، وول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٣٩٤، وتأريخ المسيحية لحبيب سعيد ١/ ١٥٠.

ستة وتسعين[١] ـ وذلك إذا لم يُعدّ يوم الافتتاح أو يوم الاختتام ـ أو لمدة واحد وسبعين يوما حسب الرواية الأخرى.

تضاربت الأقوال واختلفت حول الشخص المسئول عن فكرة الدعوة لعقد هذا المحمع، أهو الإمبراطور قسطنطين نفسه، أم هوسيوس[٢]، أم الكسندروس[٣]. وعلى أي حالٍ، أمر الإمبراطور بعقد هذا المؤتمر الأول من نوعه في تأريخ النصرانية بعد أن تَوَلَّدت فكرتُه[٤].

المطلب الثاني: سبب انعقاد المجمع.

هناك سبب عام وآخر مباشر هيّئا الجو لالتئام هذا المجمع، أما السبب العام فقد كان شدة الخلاف بين النصارى آنذاك حول شخص المسيح عليه السلام نفسه، أهو رسول من عند الله ومخلوق فحسب، أم له بالله صلة خاصة فوق ما ذُكر؟ ومن الملاحظ أن هذا الخلاف إنما ظهر بعد اعتناق طوائف مختلفة لهذا الدين، حيث تكوّن في النصرانية مزيج غير تام التكوين وغير تام الاتحاد والامتزاج. إذ أراد هؤلاء، أعني أرباب النحل المتباينة، من وثنيين وفلاسفة فهمَ ما اعتنقوه جديدا على ضوء ما

---

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤٢، ومحمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٧٦.

(٢) Hosius: المستشار الكنسي للإمبراطور قسطنطين الأول، ولد عامَ ٢٥٦م، وعيّن رئيسا لأساقفة قرطبة حوالي سنة ٢٩٥م، توفي سنة ٣٥٧ أو ٣٥٨م. الدائرة البريطانية ١١/ ٧٤٢.

(٣) ألكسندروس: بابا وبطريرك الكنيسة الإسكندرية أو رئيس أساقفتها، يعتبره أتباع الكنائس الأرثوذكسية الشرقية خليفة مرقس الإنجيلي، توفي عام ٣٢٦م. الدائرة البريطانية ١/ ٥٨٦، والدائرة الأمريكية ١/ ٣٦٠ب.

(٤) انظر: تأريخ الفكر المسيحي للدكتور القس حنا جرجس الخضري ١/ ٦٢٥.

عندهم سابقا من الآراء والمبادئ[١] .

ومن الواضح أن الخلاف من هذا النوع ليس وليد القرن الرابع للميلاد بل قد وُجد قبله، فلم يتزامن وجوده من حيث هو مع انعقاد مجمع نيقية. ولكن انشغال القوم بعديد من المحن والكوارث والاضطهادات فيما مضى قد ساعد على إخفائه بل وحتى الدين نفسه، والتستر به وعدم إظهاره أو إعلانه إلى أن جاء الإمبراطور قسطنطين فأعطاهم الأمان، ونزلت عليهم سحائب الاطمئنان، بموجب مرسومه المشهور تأريخيا بمرسوم ميلان، القاضي بالاعترافِ بالديانة النصرانية ومساواتها بسائر الأديان الموجودة في الإمبراطورية الرومانية، من حيث حريةُ الاعتناق والممارسة، وإرجاعِ ما تمت مصادرته من ممتلكات النصارى إليهم[٢] .

أما السبب المباشر لانعقاد المجمع، فلا يختلف المؤرخون في كونه ما عُرف في التأريخ النصراني بهرطقة آريوس أو بدعته. وذلك أن رجلا كان يُدعى آريوس[٣] من ليبيا، درس اللاهوت في أنطاكيا ثم حلّ بعد ذلك في مدينة الإسكندرية حيث كُلف بمهمة من مهام الكنيسة، قيل رُسم كاهنا، وقيل شيخا[٤] وقيل شماسا. ويتفق

---

(١) انظر: محاضرات أبي زهرة ص١١٢.

(٢) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ص١١٩، وتأريخ المسيحية لحبيب سعيد ١/ ١٤١، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ص١/ ٦١٨. وانظر نص مرسوم ميلان في: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٤٩٨-٤٩٩.

(٣) ولد حوالي عام ٢٥٦م وتوفي عام ٣٣٦م. الموسوعة العالمية ١/ ٥٤٨.

(٤) الشيخ: قيل هو الأسقف نفسه، وأن الفرق إنما بدأ يظهر بين المصطلحين بوضوح في القرن الثاني للميلاد، فكان يقصد بلقب الشيخ الكرامة التي تليق به، ويُقصد بلقب الأسقف نوع العمل الذي يؤديه وهو الإشراف على الكنيسة. انظر: قاموس ك.م. ص٥٣١.

جميع من كتبوا عن الرجل على علمه وثقافته الواسعة، وأنه كان واعظا بارعا، وزاهدا متقشفا، بالإضافة إلى ما يتمتع به من قوة الشباب، فاستطاع أن يجذب حوله جماعة من أهل الإسكندرية، لا سيما من الرهبان والراهبات الذين أعجبوا بأسلوبه في الوعظ والتعليم، ورأوا في ذلك ابتكارا يختلف عما اعتادوا سماعها من العظات التقليدية[1].

بدأ آريوس يهاجم عقيدة ألوهية المسيح أو أزليته، ودعا إلى توحيد الإله الواحد الأزلي الذي لا يدانيه أو يساويه شيء لا في الجوهر ولا في العرض. فهو بذلك يهدم قواعد الكنيسة النصرانية البولسية ويدمرها، الأمر الذي لفت نظر الأساقفة والقساوسة إليه وإلى دعوته التي لم يروها إلا مِعولاً لهدم وتدمير الكيان الكنسي برمته.

وقبل المضي في تناول تفاصيل الإجراءات المتخذة لمقاومة فكرة آريوس، يستحسن أن نعطي نبذة عن أهم معالم الدعوة الآريوسية هذه ـ حتى يعرف ما لها وما عليها ـ فقد كان الرجل يُعلِّم بأن:

١ ـ الله إله واحد بذاته وصفاته.

٢ ـ وأنه تعالى أزلي لا بداية له، وأنه غير مولود.

٣ ـ وأنه عندما أراد خلق العالم احتاج إلى وسيط، فخلق كائنا يُدعى الكلمة أو الحكمة.

---

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤١، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦١٩، وأحمد غنيم (م.ن.) ص١٥٥.

٤ ـ وأن هذا الوسيط أو الكلمة يُدعى ابن الله على غير حقيقة، وهو ـ أي الابن ـ مخلوق غير أزلي، إذ إن الله وُجد في وقتٍ لم يكن الابن فيه موجودا، وإن سبق وجوده (الابن) خلق العالم.

٥ ـ أن هذا الابن المخلوق من العدم مثل كل الخلق، غير مولود من جوهر الآب، ولا هو مساو للآب في الجوهر.

٦ ـ إذًا، فالمسيح (الابن) ليس إلها ولا يملك من الصفات الإلهية شيئا، فليس كليَّ العلم ولا كلي المقدرة... الخ[1].

الحركة الآريوسية:

تعتبر هذه الحركة من أخطر ما نزل بالكنيسة النصرانية على مر العصور إن لم يكن أخطره على الإطلاق، كما يقول حبيب سعيد في تأريخه الكنسي: « ومنذ أوائل القرن الثالث[2] برزت بقرنيها هرطقة أخرى، وكانت على الكنيسة أشد خطرا من سائر الهرطقات، وذلك أن كاهنا من كهنة الكنيسة في الإسكندرية يُدعى آريوس أعلن جهارا على الملأ أن المسيح لم يكن إلها... »[3].

انشقت الكنائس وتوزعت بسببها بين مُقرِّين بألوهية المسيح ومنكرين لها،

---

(١) راجع: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤١، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦١٩-٦٢٠، وول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٣٩٢ و٣٩٥.

(٢) يبدو أن هذا سبق قلم، فالصحيح أن يقال: القرن الرابع، لأن آريوس نفسه إنما عاش بين أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الميلادي.

(٣) تأريخ المسيحية لحبيب سعيد ١/ ١٤٧.

فظهرت انقسامات واضطرابات في الكنيسة بصورة بشعة، أصبحت كنضال بين حزبين سياسيين، بل وكحرب عصابات بين جيشين متقاتلين، ولم يكن الأمر مقتصرا على الكنيسة الإسكندرية أو حتى المدينة فحسب، بل تجاوز حدودها ليشمل كنائس كثيرة في الشرق بين الأساقفة والقساوسة والشمامسة والعوام، وكان من أبرز من انضموا إلى صفوف الآريوسيين أساقفة كل من نيقوميدية(١)، وبيروت، وقيصرية فلسطين وغيرها، إلى جانب جمع غفير من الأتباع في كنيسة أسيوط، وحتى في الإسكندرية التي ظل أسقفها ألكسندروس كبير المعارضين لآريوس ولدعوته(٢).

بعد ما باءت كل المحاولات لإقناع آريوس بالتراجع عن رأيه هذا بالفشل، دعا أسقف الإسكندرية لعقد مجمع محلي حوالي عام ٣٢٠م أو ٣٢١م ضم حوالي مائة أسقف من كنائس مصر وليبيا للنظر في أمر آريوس. وانتهى المجمع بالحكم عليه بالحرمان وفصلِه عن خدمة الكنيسة، إلا أن آريوس من جانبه كسب أنصارا جددا من الحاضرين في هذا المجمع، قدّرهم بعضهم بأسقفين وستةٍ من القساوسة، وستة من الشمامسة(٣).

---

(١) نيقوميدية: مدينة في مقاطعة كوكايلي التركية وهي عاصمتها،بالقرب من رأس خليج إزميت في بحر مارمارا، حوالي أربعة وخمسين ميلا شرق جنوب شرقي إسطنبول. الدائرة البريطانية ١٢/ ٨٢٢.

(٢) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٢١، ومحاضرات أبي زهرة ص١١٣-١١٤، ومحمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٧٣.

(٣) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤٢، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٢١، ومحمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٧٣.

فهكذا استمرت نار الحركة الآريوسية تتأجج وخطرها يستفحل، ويزداد يوما فيوما، حتى أصبح يهدد لا الكيان الكنسي فحسب، بل أمن جزء من الإمبراطورية بأسرها، الأمرالذي جذب انتباه الإمبراطور ودعاه إلى عقد المجمع النيقوي كما سيأتي قريبا إن شاء الله.

ومن الملاحظ أن المراجع النصرانية كلها إنما تتحدث عن آريوس وحركته عند حديثها عن الالحاد والزندقة والخروج عن الطريق السوي. أضف إلى ذلك قضية الحكم على جميع رسائله أو أي كتاب أو إنجيل لا يقر بالعقيدة التثليثية في مجمع نيقية، كل هذا يفرض الاعتماد الكلي للباحثين على ما كتبه مخالفوه في الاستكشاف عن آرائه ومدى قوة حركته وتأثيرها، ومن ثم مصيرها(١).

لقد استمرت الحركة الآريوسية في الوجود على الرغم من جميع المقاومات والتحديّات، حتى إنه مما يذكر أن الإمبراطور قسطنطين نفسه رجع في آخر لحظة من عمره إلى المذهب الآريوسي، فجرى تعميده عليه وهو على فراش الموت(٢).

ثم تختفي هذه الحركة بعد القرن الرابع للميلاد نتيجة المقاومة العنيفة والاضطهاد الشديد من الطائفة الكاثوليكية خصوصا، إلا أنها كانت تظهر بين الفينة والأخرى بأسماء متعددة وتحمل العقيدة ذاتها، أعني عقيدة إنكار ألوهية المسيح عليه السلام ومساواته للآب في الجوهر، كما ظهرت في القرن الخامس باسم الفرقة

(١) انظر: محمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٦٨-١٦٩.

(٢) راجع: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٥٠، وجون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٥٩، ورؤوف شلبي (م.ن.) ص١٩٨-٢٠٠، وأحمد غنيم (م.ن.) ص١٥٩.

البولسية[١]، وباسم الفرقة النسطورية[٢][٣]، وفي القرن السادس عشر ظهر مذهب الموحدين "Unitarians" الذين نفوا أن يكون الله قد حَلَّ في بشر أو أن في المسيح شيئا من الإلهية[٤]. وحتى في وقتنا هذا فإنه لا تزال طائفة من النصارى يؤمنون بإله واحد لا ثالث ثلاثة، لكنهم بلا حول ولا قوة ولا سلطة تحميهم[٥].

بقي أن أشير إلى مسألة مهمة ذات صلة بموضوع استمرار وجود الطائفة الآريوسية بعد القرن الرابع للميلاد، وذلك أنه جاء في نص كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل[٦] عظيم الروم: «**بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن**

---

(١) الفرقة البولسية "Paulicians"، نسبة إلى بولس السمساطي "Paul of Samosata" الذي أصبح أسقفا لكنيسة أنطاكيا في عام ٢٦٠م، وقد انتشرت هذه الطائفة في جميع أنحاء آسيا الصغرى وأرمينيا في القرن الخامس للميلاد، وكان هؤلاء البولسيون يقولون: إن المسيح عليه السلام ليس إلها وإنما ملك أرسله الله ليولد عن طريق امراة، وأنه مخلوق كسائر الخلق، وأن تسميته بالمسيح ابن الله إنما كانت تكريما له لطاعته لله عز وجل. انظر: الدائرة البريطانية ١٧/ ٣٩٩، وحنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص١٧٣، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٠٢.

(٢) ستأتي ضمن الحديث عن المجمع المسكوني الثالث (مجمع أفسس) إن شاء الله.

(٣) راجع: محمد تقي العثماني (م.ن.) ص٦٣-٦٨.

(٤) انظر: عباس محمود العقاد (م.ن.) ص١٧٤، وجون لوريمر (م.ن.) ٥/ ٦٠-٦١.

(٥) انظر: أحمد غنيم (م.ن.) ص١٦٢-١٦٣.

(٦) هرقل: أحد شخصيات الأساطير اليونانية والرومانية، كان ابن الأميرة الكمين وزيوس ملك الألهة ـ كما تزعم هذه الأساطير ـ، وكانت عبادته من أكثر العبادات انتشارا في بلاد اليونان ثم في إيطاليا. الموسوعة الميسرة ص١٩٢٥، والموسوعة العالمية ٢٦/ ٩٦.

توليت فإن عليك إثم الآريسيّين»[١].

فمن الممكن أن تكون الإشارة هنا إلى هذه الطائفة التي كانت مغلوبة على أمرها في ذلك الحين في ظل السيطرة الكاثوليكية التامة. كما جاء عن بعض أهل العلم أن الكلمة تعني: «أن في رهط هرقل فرقة تعرف بالأروسية فجاء [الحديث] على النسب إليهم»[٢]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: إنه «نسبة إلى عبد الله بن أريس - رجل كان تعظمه النصارى، ابتدع في دينهم أشياء مخالفة لدين عيسى»[٣]. كما نقل عن ابن حزم رحمه الله قوله بأن أتباع عبد الله بن أريس هذا كانوا أهل مملكة هرقل، ثم قال: «وما أظن قول ابن حزم إلا عن أصل فإنه لا يجازف في النقل»[٤]. وورد عن بعضهم أن الآريسيين كانوا ينكرون التثليث[٥]. ونقل النووي رحمه الله أيضا في شرح صحيح مسلم القول بأنهم أتباع ابن أريس: «الذي تنسب إليه الأروسية من النصارى»[٦][٧].

---

(١) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ رقم الحديث ٤٥٥٣، انظر: الفتح ٨/ ٢١٤-٢١٥ - والنص منه - وفي كتاب الجهاد والسير، رقمه: ٢٩٤١، انظر: الفتح٦/ ١٠٩-١١١، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل...، رقمه: ١٧٧٣ انظر: صحيح مسلم (م.ن.) ٣/ ١٣٩٣-١٣٩٧، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٦٣.

(٢) ابن الأثير (م.ن.) ١/ ٣٨.

(٣) أما قوله رحمه الله: "في دينهم" فصحيح أي في دينهم المبتدَع، وأما قوله: "مخالفة لدين عيسى" ففيه نظر، لأن تأليه الابن ومساواته للآب، والتثليث... كل ذلك ليس من دين عيسى عليه السلام والله أعلم.

(٤) انظر: فتح الباري ٨/ ٢٢١.

(٥) نفسه والصفحة كذلك.

(٦) شرح صحيح مسلم للنووي ١٢/ ١٠٩.

(٧) وهناك أقوال أخرى في المراد بالآريسيين في الحديث الشريف، منها أنهم الخدم والخول، وقيل: =

فهذا ما تيسر لي جمعه عن آريوس وعن فكرته، أما الحكم على الرجل نفسه بأنه كان موحدا أو أنه رائد عقيدة التوحيد كما يفعل البعض[(١)]، فلي بعض التحفظات فيه، نظرا لعدم الانسجام التام بين عقيدة التوحيد التي ارتضاها الله تعالى للعباد، وبين ما وصل إلينا من تفاصيل فكرة آريوس، لا سيما فيما يتعلق باحتياج الخالق إلى وسيط لكي يخلق العالم، وأسبقية وجود المسيح (الابن) على خلق العالم. مع ملاحظة عدم القطع مني أو الجزم بصحة نسبة هذا كله إلى الرجل، إذ مصدرنا في هذا كله هو ما سجله أعداؤه. ومما يُذكر أيضا أن أتباع آريوس ومؤيديه في مجمع نيقية وافقوا على أن يقال: إن الله والمسيح "من جوهر واحد" ـ تعالى الله وتقدّس ـ وإنما رفضوا فقط المماثلة والمساواة بينهما في الجوهر[(٢)].

وإذا رجعنا إلى تسلسل الأحداث كما بدأنا في سردها، نجد أن الجدال حول شخصية المسيح عليه السلام بين آريوس وأتباعه من جهة، وبين أسقف الإسكندرية وأنصاره من جهة أخرى بدأ يمزق جميع الأقاليم الساحلية الشرقية للإمبراطورية

=

الأكارون أي الفلاّحون، وقيل العشّارون، وقيل: الملوك... راجع: الفتح ٨/ ٢٢١، وشرح النووي على صحيح مسلم ١٢/ ١٠٩، وغريب الحديث لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق: د/ عبد المعطي أمين قلعجي ١/ ١٩.

(١) ومنهم: أدلوف هرنك، أستاذ تأريخ الكنيسة بجامعة برلين في ألمانيا. انظر: مقارنة الأديان للطهطاوي ص٢٥٧.

(٢) وهذا ما يُعرف في كتب النصارى بهوموسيوس"Homoousious" أي المساواة في الجوهر، وسينوسيوس "Synousios" أي من جوهر واحد. وكلا اللفظين مأخوذان من اللغة اليونانية. انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤٤-٤٥، وول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٣٩٥، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٤٢.

الرومانية. ونظرا للرواج السريع الذي لاقته فكرة آريوس في الأوساط النصرانية، لا سيما خارجَ مصر، لم تعد القضية خلافا داخليا بين آريوس وألكسندروس - أسقف الإسكندرية - فحسب، بل باتت مشكلةً تهدد أمن جزء من الإمبراطورية واستقراره، وحتى سلطة الكنيسة التي انقسم رجالها إلى فريقين متحاربين متنازعين. وترددت في المدن والأرياف أصداء الضجيج والاضطراب إلى غاية أن الدين النصراني كان موضع السخرية والاستهزاء من الوثنيين حتى في دور التمثيل![1].

فعندئذ شعر الإمبراطور قسطنطين بخطورة الموقف، فجعل هذا الصراع العقدي القائم موضع اهتمامه البالغ، حرصا منه بالدرجة الأولى على أمن دولته واستقرارها، وضمان وحدتها واستقلالها، فاتّخذ كافة الإجراءات اللازمة لصدّ هذا الخطر. فكان أول ما بدأ به أن اتصل بصديقه هوسيوس - أسقف قرطبة بأسبانيا - مستشيرا إياه فيما يجب فعله لإخماد نار الفتنة. وفي آخر المطاف اتفق الاثنان على أن يبعث الإمبراطور برسالة إلى كل من ألكسندروس وآريوس يدعوهما فيها إلى ضرورة إيجادِ حلٍّ سلمي وعاجل للقضية، وتركِ المجادلات العقيمة التافهة، وكان هوسيوس نفسه حامل الرسالة إليهما.

ثم بدا أن الأمر أخطر مما تصوره قسطنطين وهوسيوس، حيث لم تثمر هذه الرسالة من النتائج الإيجابية شيئا، غير أن رحلة هوسيوس ومقابلته للأطراف المعنية في القضية مكّنتاه من التصوّر الكامل للموقف بكل أبعاده، ومن ثم اقترح على الإمبراطور أن الحل الوحيد أو الأمثل لحسم الموقف هو عقد مجمع عالمي

---

(١) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٣٩٣.

لدراسة الأمر، ووافق الإمبراطور دون تردد، فكان المجمع المسكوني الأول في تأريخ النصارى[(١)].

المطلب الثالث: الحاضرون في المجمع، عددهم، مذاهبهم، ومن ترأس الجلسات منهم.

أولا: عددهم:-

وردت في ذلك أقوال مختلفة، أورد هنا أهمها: فقد قيل إن عددهم كان ثمانية عشر وثلاثمائة أسقفا، يساندهم عدد وافر من القساوسة والشمامسة، وهذا القول هو الأكثر ورودا في المصادر النصرانية وغيرها[(٢)]. وقيل إنهم كانوا بين ٣٠٠ و٥٢٠[(٣)]، وقيل إن العدد كان ألفين وثمانية وأربعين أسقفا، وأن الأساقفة الثلاثمائة وثمانية عشر إنما كانوا هم المؤيدين لفكرة تأليه المسيح[(٤)].

ولعل الأظهر من مجموع الروايات والأقوال أن عدد المجتمعين كان يزيد على الألفين، منهم أساقفة وقساوسة وشمامسة وغيرهم من رجال الدين

---

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤٢، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٢٥، وتأريخ المسيحية لحبيب سعيد ١/ ١٤٩-١٥٠.

(٢) انظر: مثلا: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤١و٤٢، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٢٧، وول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٣٩٤، ومحمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٧٦.

(٣) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٢٧.

(٤) وهو رأي ابن البطريق فيما ينقل عنه الشيخ أبو زهرة في محاضراته ص١١٤-١١٥، ورأي القس (سابقا) إبراهيم خليل أحمد كما في كتابه: مقارنة الأديان ص٢٢، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٢٤٣.

النصراني، والله أعلم.

لكن المؤكد ـ على أية حال ـ أن لكنائس الشرق نصيب الأسد من مجموع الحاضرين، فالأغلبية الساحقة منهم إنما جاءت من الشرق، في حين لم يأت من الغرب سوى أربعة أو خمسة أشخاص، وحتى بابا روما لم يتمكن من الحضور وإنما أوفد شخصين لينوبا عنه، كما أوفد كل من كنيسة أسبانيا وفرنسا شخصا واحدا فقط، ولم يوجد ممثل لكنيسة بريطانيا فيه[1]. وقد يكون السبب في هذا كون المشكلة الأساسية التي من أجلها انعقد المجمع إنما نبعت من الشرق وانتشرت أكثر في أرجائه.

ثانياً: مذاهبهم.

إن هؤلاء المجتمعين في نيقية لم يكن يجمعهم في الحقيقة سوى الاسم ـ أعني "النصارى" ـ والتمسك الظاهري باتّباع المسيح عليه السلام، غير أنهم أشد اختلافا وتباينا في نظرتهم إلى المسيح نفسه وحقيقته.

ولست أريد هنا الدخول في تفاصيل ما كان يعتقده كلٌّ من هؤلاء تجاهَ المسيح وحقيقته، بقدر ما أود إعطاء الصورة المتكاملة للجوّ الذي تم فيه عقد هذا المؤتمر الخطير. لذا، سوف أكتفي بذكر أهم التجمعات أو المذاهب الفكرية في هذا المجمع.

أ ـ الكتلة المصرية، ويرأسهم الكسندروس أسقف الإسكندرية[2]، وأحد

---

(١) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٢٧.

(٢) ويذكر بعض المراجع أن أسقف الإسكندرية لم يحضر المجمع شخصيا (انظر مثلا: أحمد غنيم (م.ن.) ص١٥٧)، لكن المراجع التي تقول بعكس هذا القول أكثر عددا.

شمامستها، أثناسيوس[(١)]. وقد انضم إليها أعضاء الكنائس الغربية الحاضرون. وهذا الحزب هو رافع راية تأليه المسيح ومساواة الابن بالآب في الجوهر[(٢)].

ب ـ الحزب الآريوسي، وهم الذين أنكروا ألوهية المسيح ومساواته بالله تعالى كما تقدم.

ج ـ ما أسماه القس حنا جرجس الخضري[(٣)] بحزب المحايدين، أي الذين لم يُظهروا بعدُ ميلهم إلى أي من الحزبين المتقابلين، وإن كان لهم ميل ولا شك إلى أحدهما إلا أن حضورهم للمجمع كان بصورة الحياد. وكان على رأس هؤلاء ـ وهم الأكثر عددا ـ المؤرخ الكنسي يوسابيوس القيصري[(٤)] الذي ظهر فيما بعد توجهُه الآريوسي[(٥)].

د ـ ومما يُذكر أن بعض الفلاسفة الوثنيين حضروا جلسات المجمع وناقشوا الأساقفة الحاضرين، إلا أن ناقل هذا القول نفسه قد شكك فيه بحجة أن رجال الاختصاص يردونه[(٦)]. وعلى أية حال هناك أمر لا جدال فيه وهو حضور

---

(١) أثناسيوس وقد صار هو أيضا أسقف الكنيسة الإسكندرية بعد موت الكسندروس سنةَ ٣٢٦م، ومات هو نفسه عامَ ٣٧٣م. الدائرة الأمريكية ٢/ ٤٩١.

(٢) وراجع تفاصيل أخرى عن أقسام حزب المؤلهين هولاء في: محاضرات أبي زهرة ص١١٤-١١٥

(٣) قس مصري معاصر يحمل الدكتوراة في اللاهوت من فرنسا، ويعمل راعيا لعدد من الكنائس هناك. (مقدمة الجزء الثالث من كتابه: تأريخ الفكر المسيحي ٣/ ٧).

(٤) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٢٧ و٦٢٩.

(٥) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ـ مقدمة المترجم ـ ص٥.

(٦) انظر: كنيسة مدينة الله أنطاكيا العظمى للدكتور أسد رستم ١/ ٢٠١، نقلا عن: محمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٧٧.

الإمبراطور قسطنطين في هذا المجمع ولم يزل في ذلك الوقت على وثنيته ـ ظاهرا وباطنا ـ وسيأتي إن شاء الله. كما أن كاتبا نصرانيا آخر يقر بحضور هؤلاء الفلاسفة الوثنيين في المجمع[١].

ثالثاً: رئيس المجمع.

أما بالنسبة لرئيس المجمع ومدير النقاش في جلساته، فإن الآراء فيه متضاربة ومتباينة، غير أن الأقرب إلى الواقع أن يكون: الأسقفَ هوسيوس من أسبانيا، وذلك لعدة مرجحات، من أبرزها أنه كان أول الموقِّعين على محضر الاجتماع[٢]، كما أنه كان صديقا مقرّبا للإمبراطور ومستشاره بل هو الذي اقترح عليه عقد هذا المجمع وسعى في بداية الأمر في التوسط بين المتنازعين[٣]. ولا يغيب عن بالنا أيضا أنه من ممثلي الكنيسة الغربية المنحازين إلى فرقة المؤلهين كما أسلفت، فمعنى ذلك أن الشخص الذي ترأس المجمع كان ممن يرون ويعتقدون ويؤمنون بألوهية المسيح عليه السلام، فهذا أهم ما نريد الوصول إليه في هذه الفقرة بالذات.

وأما حضور قسطنطين المجمعَ فقد كان بصفته راعيا له أو رئيسا فخريا فقط، إلا أنه تدخّل في صنع بعض القرارات الصادرة عن المجمع كما سيأتي إن شاء الله.

---

(١) وهو حبيب سعيد في تأريخ المسيحية ١/ ١٥٠.

(٢) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤٣، وحنا جرجس الخضري (م.ن.)١/ ٦٢٦.

(٣) انظر: ما تقدم في ص٧٣٤-٧٣٥ و٧٤٣.

المطلب الرابع: أهم قرارت المجمع.

القانون ١٦

اي قس او اي شماس او اي اكليريكي (وفي المنارة: او سائر المعدودين قانونيين) غامر بدون ان يضع خوف الله امام عينيه او يراعي قوانين الكنيسة فيترك كنيسته لا يجوز قبوله على الاطلاق في كنيسة اخرى، بل يجب ان يرغم على الرجوع الى رعيته واذا اصر على غيه فيجب قطعه من الشركة. واذا تجاسر احد بطريقة خفية ان يختطف شخصاً من ليسوا تحت سلطته وشرطته في كنيسته بدون رخصة من اسقفه وامسك اسمه مسجلاً في تعداد اكليروسه فلتكن السيامة باطلة. (الرسل ١٥ و ١٦، السادس ١٨).

خلاصة قديمة للقانون ١٦

القسوس والشمامسة الذين يهجرون كنائسهم لا يسوغ قبولهم في كنيسة اخرى، بل يجب ان يعودوا الى رعاياهم. واذا قام اسقف بسيامة شخص ينتمي الى ابرشية اخرى بدون رضى اسقفه فالسيامة يجب ان تلغى.

بلسامون

انه من الصواب الا يسمح لاكليريكي بان ينتقل من مدينة الى مدينة، او يغير مكان اقامته القانوني بدون رسالة تصريف من اسقفه الذي سامه. واي اكليريكي اقدم على ذلك واستدعاه اسقفه ليعود الى محرسه ولم يمتنع يقطع من الشركة اي لا يسمح له

نموذج من القوانين النيقية[1]

من الغرائب أو نقول الطرائف ألا تتفق المصادر النصرانية حتى في عدد القوانين التي وُضعت وأُقرت في مجمعٍ يُعتبر أهم حدث تأريخي في حياة الكنيسة في القرن كله، أهي عشرون أم أربعون أم ستون أم سبعون أم ثمانون قانونا؟ لا ندري ولا يدري أحد على وجه اليقين إلا الله ﷻ. فغاية ما في الأمر أنهم يرجِّحون الرأي

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٨٦.

القائل بأنها عشرون قانونا لكثرة القائلين به[١]. وهذه القوانين في الجملة، تدور حول التنظيمات الأساسية في الكنيسة، وتحديد مسئوليات رجالها وواجباتهم وحقوقهم، وعلاقتهم مع الآخرين من أعضاء الكنيسة وغيرهم. وحول كيفية قبول أعضاء جدد في الكنيسة، وبأي موجب يجب طردهم بعد ذلك، وما ذا لكل عضو من حقوق وما عليه من واجبات تجاه الكنيسة ...الخ[٢]. ولا تَمُتُّ هذه القوانين بأي صلة إلى المسائل الأساسية التي من أجلها التئم المجمع.

أما فيما يخص مسألة تأليه المسيح (الابن) ومساواته للآب في الجوهر، فقد دار حولها نقاش حاد طويل عريض[٣]، تدخّل لحسم الموقف في نهاية المطاف الإمبراطور نفسه، الذي لاحظ أن حساباته لما سوف يجري في قاعة الاجتماع لم تكن دقيقة، وأن توقعاته لما سوف يؤول إليه الأمر قد لا تكون صائبة، فلا بد من الرمي بثقله إلى جانب من رأى فيهم وفي رأيهم تحقق مصلحة الدولة وضمان وحدتها وأمنها، ومن يكون هؤلاء غير القائلين بفكرة التأليه التي تتفق مع الوثنية، وهي الدين الرسمي للدولة الرومانية منذ قرون!!!

فالنتيجة أنه تم اختيار دستور الإيمان أو قانون الإيمان الذي قدّمه وفد الإسكندرية وشيعتهم من القائلين بألوهية الابن ومساواته للآب في الجوهر، وهم يمثلون أقلية في المجمع. ورُفض ما اقترحه الوفد الآريوسي والمحايدون تباعا، على

---

(١) راجع: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤١و٩٧-١٠٠.

(٢) انظر هذه القوانين بالتفصيل في: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤٦-١٠٠.

(٣) راجع طرفا من هذه المناقشات في كل من: ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٣٩٥، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٣٠، ومحمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٧١-١٧٢.

الرغم من كونهم أكثر عددا وأقوى حجة[١]. وإليكم نص هذا القانون، أعني قانون أو دستور الإيمان النيقوي كما يسمونه: «نؤمن بإله واحد آب ضابط الكل، خالق كل شيء، ما يُرى وما لا يُرى، وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد المولود من الآب ومن جوهر الآب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، ما في السماء وما على الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسّد وتأنس، وتألم وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء، وسيأتي ثانية ليدين الأحياء والأموات.

و(نؤمن) بالروح القدس[٢]، وكل من يقول إنه كان وقت لم يكن فيه ابن الله، أو أنه قبل أن يولد لم يكن، أو أنه خلق من العدم، أو أنه من جوهر يختلف عن جوهر الآب أو طبيعته، أو أنه مخلوق، أو أنه عرضة للتغير والتبدل، فالكنيسة الرسولية الجامعة تبسل[٣] كل من يقول هذه الأقوال»[٤].

ومما أصدره المجمع من القرارات: الحكم على آريوس بالابتداع واللعن وإبعاده عن الحياة الكنسية مع تجريده عن كل ما كان يتمتع به فيها من الصلاحيات.

---

(١) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٢٨-٦٣١، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٢٤٣.

(٢) يلاحظ أنه لم يُنص على تأليه الروح القدس، لأن ذلك لم يتم إلا في المجمع المسكوني الثاني في عام ٣٨١م.

(٣) الإبسال: أي التحريم. القاموس ص١٢٤٨.

(٤) حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤٣ ـ والنص منها ـ وعلم اللاهوت النظامي، إصدار: دار الثقافة المسيحية للهيئة القبطية الإنجيلية بمصر ص١٧٠، حنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٣١.

كما أمر الإمبراطور نفسه بنفيه وأتباعه المصرّين على فكرته، وبإحراق جميع مؤلفاته ومؤلفات هؤلاء المشايعين، وحظر تملكها أو التستر عليها[(١)].

كما حكم المجمع أيضا بضرورة حظر تداول كتاب النصارى المقدس بين شعب الكنيسة، وقصر التعاليم الدينية على ما يتلقى من أفواه الكهنة والأساقفة ومن في حكمهم[(٢)].

ومن أهم ما أصدروه من القرارات في هذا المجمع أيضا تعيين يوم من تلقاء أنفسهم لعيد الفصح[(٣)]، مؤكّدين ضرورةَ مخالفة اليهود في كيفيةِ تعييدهم عيدَ الفصح، فقرروا أن يكون عيد الفصح دائما في يوم الأحد، وأن يكون في الأحد الذي بعد اليوم الرابع عشر من الشهر القمري، مع تكليف أسقف الإسكندرية بمهمة تعيين يوم الفصح في كل عام بموجب ما تقرر في المجمع، وذلك استنادا إلى ما تمتاز به الإسكندرية على غيرها من المعارف الفلكية[(٤)].

فهكذا يختتم المجمع أعماله بفرض قرار ألوهية المسيح على الأكثرية فرضا، وحُمِّل جميع الحاضرين بقوة السلطة وجبروت السلطان على التوقيع بالمصادقة عليه،

---

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤٣، وول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٣٩٦، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٣١.

(٢) انظر: مقارنة الأديان لإبراهيم خليل أحمد ص٢٢.

(٣) عيد الفصح: في الأصل هو عيد الفطير اليهودي، وقد أقيم تذكارا لحادث خروج بني إسرائيل من مصر ليلا. ويبدأ هذا العيد من مساء اليوم الرابع عشر من شهر أبريل (نيسان)، ويستمر سبعة أيام. انظر: قاموس ك.م. ص٦٧٨-٦٧٩.

(٤) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص١١٥و١١٩.

ولم يمتنع عن التوقيع على القرار إلا أسقفان فقط[١]، كما امتنع عن التوقيع على قرار إبعاد آريوس كلٌّ من أسقف نيقوميدية، وأسقف نيقية نفسها[٢].

ولكن سرعان ما انكشف الأمر واتضح أن المجمع لم يستطع أن يقضي على رأي آريوس، وأن الأساقفة الذين أُجبروا على التوقيع على قرار التأليه والمساواة لم ينسلخوا بذلك عن معتقدهم، وإليكم مقولة كاتب نصراني يصف الوضع بعد مجمع نيقية هذا: «ولكن للأسف الشديد، كانت الحقيقة الواقعة تختلف الاختلاف كله عن القرارات السنودستية[٣] والمجمعية، فقد رجع الأساقفة بعد مجمع نيقية إلى أبرشياتهم والقسوس إلى كنائسهم، وبدأ كل منهم يعلم ما كان يعلّم به قبلا. بل إن البعض تطرف في الهرطقة التي فاقت هرطقة آريوس نفسه، فمع أن آريوس وبعض أتباعه نُفوا، إلا أن الآريوسية بنت عُشها في حدائق كثيرين من الأساقفة والرعاة»[٤].

---

(١) هما: سكندوس: أسقف بطولومايس، وثاوناس: أسقف ماريكس. (حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤٣).

(٢) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤٣، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٣١.

(٣) أي عبارة عن اجتماع محلي بين الأساقفة. (حنا جرجس الخضري (م.ن.)١/ ٦٢٠)، وأما أصل الكلمة في الإنجليزية "Synod" فتعني: مجلس أو مجمع رؤساء الكنيسة عموما. (انظر: المورد لمنير البعلبكي ص٩٤١، والقاموس المدرسي لإلياس أنطون إلياس ص٣٠٠).

(٤) حنا جرجس الخضري (م.ن.)١/ ٦٤٣.

المطلب الخامس: أهم الملحوظات على أحداث مجمع نيقية.

أولا:- أن سلطان الترغيب والترهيب من قِبل الإمبراطور كان له تأثير قوي في مجرى أحداث المجمع، وما انتهى إليه من القرارات. فجو الرعب والخوف من الإمبراطور كان يخيم على المجمع، ولم يكن هؤلاء المجتمعون يشعرون بكامل حريتهم في الأخذ والرد، ومن ثَمَّ النظر والترجيح بين الآراء وفق ما يقتضيه النقل الصحيح والعقل الصريح. وخير دليل على هذا ـ كما يقول ول ديورانت ـ: أن الأساقفة الذين امتنعوا عن التوقيع على الصيغة التي خرج بها المجمع وسموها قانون الإيمان، كانوا خمسة في البداية، إلا أنهم نقصوا آخر الأمر إلى اثنين فقط[١]، ولم يكن رجوع من رجع منهم عن اقتناع. بل لم يكن توقيع من وقعوا قبل هؤلاء الثلاثة من الأساقفة عن رضا واقتناع، وإنما لعامل الخوف من بطش الإمبراطور، كما تدل على ذلك حقيقة تأريخية ثابتة، وهي عودة هؤلاء الأساقفة إلى كنائسهم بعد المجمع حاملين راية عقيدة وحدة الإله، وداعين إليها وإلى التمسك بها، مما ضمن انتشار الحركة الآروسية واستمرارها في الوجود. ويقول كاتب نصراني آخر: «وفي مجمع نيقية نجد أن الإمبراطور أطلق يد المجتمعين في أول الأمر، إلا أنه ما لبث ان وضع نهاية المجادلات واتخذ صفة عالم اللاهوت حين فسر بنفسه الصيغة التي يجب أن يوافق المجمع عليها»[٢].

ثانيا:- إن الإمبراطور قسطنطين وهو يدعو لعقد هذا المجمع له غاية منشودة

---

(١) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٣٩٥.

(٢) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس لأحمد عبد الوهاب ص١٠٧.

وهدف مقصود ومحدد، ألا وهو الحفاظ على عرشه والسعي لتحقيق كل ما له علاقة صغرت أو كبرت بذلك، كضمان وحدة الإمبراطورية واستتباب الأمن والأمان فيها، ولا يمكن تجاهل النصارى والكنيسة باعتبارهما كِيانا مهما وعنصرا رئيسا من العناصر المكوّنة للشعوب الخاضعة للإمبراطورية الرومانية آنذاك، خصوصا بعد الاعتراف بديانتهم، والسماح للناس باعتناقها بموجب مرسوم ميلان الآنف الذكر[1].

فهكذا يتبين لنا السر فيما أقدم عليه قسطنطين الذي ما كان يهمه الدين بقدر ما يهمه عرشه، فإذا ما رجّح كفّة آريوس وأتباعه وكلهم من الجناح الشرقي للإمبراطورية، فقد تفسر هذا شعوبُ الإمبراطورية في جناحها الغربي ـ التي لم تمثلها في المجمع سوى أفراد معدودين على الأصابع ـ على أنه انحياز من الإمبراطور للشرقيين، وبذلك تكون الثورة من هناك قد باتت محققة.

أما إذا تهيّأ انعقاد مثل هذا المؤتمر ويُجمع فيه على آريوس وشيعته بالهرطقة، فيعاملون معاملة الأعداء، من غير أن يقابَل هذا الإجراء بأي انتقاد من قبل الشرقيين ـ وهم الأكثرية الكاثرة في المجمع ـ إذ هو حتى في هذه الحالة ـ حسب اعتقادهم ـ إنما ينفذ أمرا مشروعا أجمعت عليه الكنيسة الجامعة قاطبة[2].

كما يؤخذ من كلمته الافتتاحية في المجمع، حيث طالب الجميع بضرورة

---

(١) وراجع في مسألة شدة حرص الإمبراطور على وحدة الإمبراطورية وعلاقة ذلك بانعقاد المجمع: تأريخ المسيحية لحبيب سعيد ١/١٤٩، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٣١، ومحمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٣٢.

(٢) انظر: السيد المسيح يلوح بالأفق، لمحمد سعيد الزعبي ص١٩٦-١٩٧، نقلا عن: محمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٣٣-١٣٤.

وحدة الصف، ومن قبله ما صرح به في رسالته التي بعث بها إلى كل من ألكسندروس وآريوس قبل المجمع، من أن الاختلاف العقدي أمر فلسفي دقيق لا أهمية له ولا يستوجب ذلك الاهتمام[١]. يؤخذ من ذلك كله أن غايته لم تكن تحقيق المذهب الصحيح فيما يجب اعتقاده بشأن يسوع المسيح. أضف إلى ذلك أن مجمعا تاريخيا كهذا لم يعتن أحد بتسجيل أعماله ـ حسب ما ورد في مجموعة الشرع الكنسي ـ وكل ما وصلهم من ذلك إنما أُخذ من كتابات فلان وعلاّن من الناس، بل إن بعضهم ممن عاش في القرن الخامس للميلاد![٢].

ولا غرابة كبيرة في ذلك، فإن ديدنهم دائما هكذا، حتى كتابهم المقدس فإن معظمه لم يُدوّن إلا بعد انقراض عصر من تنسب إليهم كتابته. ولكن الذي يهمنا في هذا المقام هو مدلول هذا الإهمال السافر من قسطنطين الذي لم ير ضرورة قيد وقائع المجمع كتابةً، لأن الهدف بدون ذلك متحقق حتما. ويصوغ المؤرخ ول ديورانت هذه المعاني في عبارة لطيفة يحسن إيرادها هنا إلزاما به وليس إعجابا. يقول: « ... ويتضح من رسائله التي بعث بها إلى الأساقفة المسيحيين أنه لم يكن يُعنى بالفروق اللاهوتية التي كانت تضطرب بها المسيحية، مع أنه لم يكن يتردد في القضاء على الانشقاق محافظة على وحدة الإمبراطورية، **وقد كان في أثناء حكمه كله يعامل الأساقفة على أنهم أعوانه السياسيون**، فكان يستدعيهم إليه ويرأس مجالسهم ويتعهد بتنفيذ ما تقره أغلبيتهم من آراء. **ولو أنه كان مسيحيا حقّا، لكان مسيحيا أولا**

---

(١) انظر: محمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٣٢، ١٣٣، و١٧٥.

(٢) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤١.

وحاكما سياسيا بعدئذ، ولكن الآية انعكست في حال قسطنطين، فكانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية»[١].

ثالثا: قرار التأليه الصادر عن المجمع كان في صالح الأقليّة وضد رأي الأكثرية من الحاضرين. حيث كان الحاضرون قد زاد عددهم عن ألفين[٢]، فكيف ينزل هذا العدد إلى ثمانية عشر وثلاثمائة فقط، الذي هو في الواقع عدد الأساقفة المؤيدين لرأي التأليه والمساواة[٣]، فلماذا أُهمل رأي الآخرين الذين كانوا أكثر عددا وأعز نفرا، أعني آريوس وطائفته، وكذلك الطائفة الأكثرية التي وصفت بالحياد في بداية المجمع، وكان على رأسهم يوسابيوس القيصري، مؤرخ الكنيسة الشهير، ثم اتحدت مع الآريوسيين حتى قبل انتهاء أعمال المجمع بشهادة كتب النصارى أنفسهم[٤].

رابعا: أن الإمبراطور قسطنطين يتدخّل إلى ذلك الحد في صناعة العقيدة النصرانية ورسمها، وهو نفسه لم يتنصّر بعد. فهذه حقيقة تأريخية ثابتة، لا ينكرها إلا مكابر أو متعصب أعمى بصيرته داء التعصب. فقد بقي الإمبراطور قسطنطين على وثنيته يزور معابد الوثنيين ويحضر اجتماعاتهم، واحتفظ لنفسه بمنصب الكاهن الأعظم "Maximum_Pontifex"، وإنما تم تعميده إيذانا بالدخول في النصرانية

---

(١) ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٣٨٧.

(٢) انظر: ص٧٤٥-٧٤٦.

(٣) انظر: محاضرات أبي زهرة ص١١٥ .

(٤) انظر:حنا جرجس الخضري (م.ن.)١/ ٦٢٩، ويوسابيوس القيصري (م.ن.)ص٥ ـ مقدمة المترجم ـ.

وهو على فراش الموت على يد يوسابيوس أسقف نيقوميدية الآريوسي، بعد أن تبرأ من ألكسندروس وشيعته من القائلين بألوهية الابن ومساواته للآب[(١)].

لكن ما ذا يقال عن تظاهره بالنصرانية وتضامنه مع النصارى وتعاطفه معهم من لحظة إصداره مرسوم ميلان؟ يمكن عزو ذلك إلى أحد السببين الآتيين أو إلى كليهما معًا:

الأول:- أن ذلك استجابة لما أملت عليه الظروف السياسية وحنكته الكياسية، فلا ننسى وقوف بعض رؤساء النصارى إلى جانبه في بعض نضالاته ومعاركه المسلّحة، لا سيما موقعة جسر ميلفيان، والذي أصدر على إثرها مرسوم ميلان الشهير[(٢)]، ولهذا يقول ول ديورانت: «ترى هل كان قسطنطين حين اعتنق[(٣)] المسيحية مخلصا في عمله هذا؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية، أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية؟ أكبر الظن أن الرأي الأخير هو الصواب... وما من شك في أنه تأثر بما ناله من انتصارات في المعارك الحربية التي

---

(١) راجع: حنا جرجس الخضري (م.ن.)١/ ٦٤٩ و٦٥٠، وكتاب: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم للدكتور أسد رستم ١/ ٥٤و٧٢-٧٣ (وقد أشار فيه إلى ضعف الرواية التي تقول بأن قسطنطين قد عُمّد قبل ذلك ـ) نقلا عن: محمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٣٤، ومحاضرات أبي زهرة ص١١٨، ـ وقد وقع فيه خلط بين يوسابيوس المؤرخ القيصري، ويوسابيوس النيقوميدي، وهما متعاصران ـ ورؤوف شلبي (م.ن.) ص١٩٨، وتأريخ المسيحية لحبيب سعيد١/ ١٥٢، وRahim M.A.(op.cit.) P.xiii.

(٢) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٢/ ١١٨-١١٩، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦١٨، ورؤوف شلبي (م.ن.) ص١٩٦-١٩٧.

(٣) الصحيح أن يقال: تظاهر بذلك.

خاض غمارها مستظلا بلواء المسيح وصليبه[١]، ولكن المتشكك وحده هو الذي يحتال هذا الاحتيال على استخدام مشاعر الإنسانية الدينية لنيل أغراضه الدنيوية»[٢].

والثاني: أن غرضه الأساسي هو محو المسيحية أو النصرانية بالأصح عن الوجود واستبدالها بالوثنية التي نشأ عليها وظل يؤمن بها. وإن تعسر ذلك فعلى الأقل يعمل على التقريب بينهما ما أمكن. حتى إنه لمما يُذكر أن العملة الرسمية للدولة في عهده ضُربت وعلى وجه منها علامة الصليب وعلى الوجه الآخر شعار عبادة الشمس[٣]!

فلم يكن يلتزم في نفسه بشيء من شعائر النصرانية أو شرائعها، بل كما يصفه ول ديورانت: «قلّما[٤] كان اعتناقه دينه الجديد يخضع لما تتطلبه العبادات المسيحية من شعائر وطقوس»[٥]، ويقول أيضا في تقويمه لنتائج مجمع نيقية ودور قسطنطين فيه: «وقد أثمر آخر الأمر ذاك الإجماع[٦] العملي على العقيدة الأساسية التي اشتق منها اسم الكنيسة في العصور الوسطى وهو الكنيسة الكاثوليكية، وكان في الوقت نفسه إيذانا باستبدال المسيحية بالوثنية، وجعلها المظهر الديني والعضد القوي للإمبراطورية الرومانية»[٧].

---

(١) هذا فيما يعتقده الكاتب طبعاً.

(٢) ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٣٨٧.

(٣) انظر: رؤوف شلبي (م.ن.) ص١٩٨.

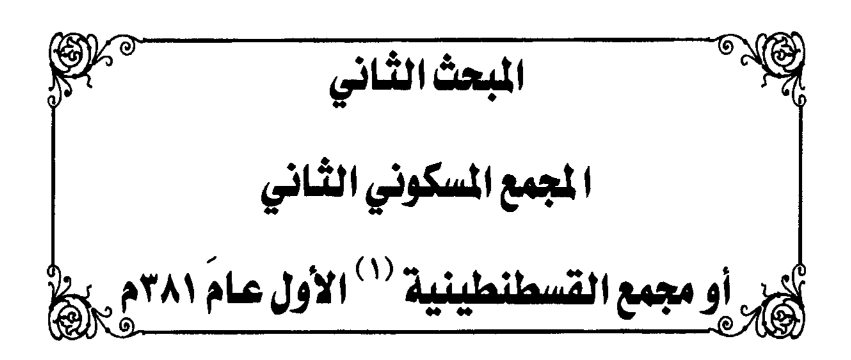
(٤) في الأصل: "كلما"، ولعله خطأ مطبعي والعلم عند الله تعالى.

(٥) ول ديورانت (م.ن.) ١١/ ٣٨٧.

(٦) أما الإجماع فلا، لوجود معارضين للقرار حتى في لحظة إقراره كما سبق.

(٧) ول ديورانت ١١/ ٣٩٦.

خامساً: عدم الاتفاق على عدد القوانين التي سنّها المجمع، فهذا من أغرب ما قرأت عن هذا المجمع الذي يُذكر له عشرون قانونا عند بعض علماء النصارى، فإذا بها سبعون عند آخرين، وثمانون عند غيرهم وهكذا... فأنّى لنا أن نعرف الحق من هذه الأقاويل التي يدّعي أصحابُ كلٍّ منها وصلاً بليلى!



المبحث الثاني

المجمع المسكوني الثاني

أو مجمع القسطنطينية[1] الأول عامَ ٣٨١م

المطلب الأول: افتتاح عام

عقد هذا المجمع في شهر تموز (يوليو) عام ٣٨١م[2] في عهد الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الكبير[3] وبأمره[4]، إلا أنه لم يحضر شيئا من جلساته على ما

---

(١) القسطنطينية أو بيزنطة، وفي الوقت الحالي: إسطنبول: مدينة واقعة عند الطرف الجنوبي من خليج البوسفور، وهو مضيق في الشمال الغربي من تركيا، يربط البحر الأسود ببحر مرمرة. الموسوعة العالمية ١/ ٧٣٠-٧٣١.

(٢) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٤٣.

(٣) كان الإمبراطور في الجزء الشرقي فقط من الإمبراطورية من عام ٣٧٩م حتى عام ٣٩٤م، ثم الإمبراطور الوحيد في الإمبراطورية الرومانية إلى أن توفي عام ٣٩٥م.، والإمبراطور في الغرب آنذاك هو: غراتيان من عام ٣٦٧ إلى ٣٨٣م.(انظر: الدائرة البريطانية ٤/ ٥٢٠، والدائرة الأمريكية ٢٣/ ٦٧٢ب)، ولم يكن غراتيان قد اشترك في إصدار الدعوة لعقد هذا المجمع. انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٤١.

(٤) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٤٣، وحنا جرجس الخضري (م.ن.)١/ ٦٦٤، وعلم اللاهوت النظامي ص١٧٠.

يبدو من الخطاب الذي بعث به المجتمعون إليه بعد اختتام أعمال المجمع[(١)].

وتأتي أهمية هذا المجمع من حيث إن عامة النصارى اعتبروه امتدادًا لمجمع نيقية المسكوني، وتكملة لما بدأه ذلك المجمع من وضع أسس الثالوث النصراني. بل وقد جاء هذا صريحا في القانون الأول من قوانين هذا المجمع إذ جاء فيه: «لا يجوز إغفال الآباء الثلاثمائة والثمانية عشرة الذين اجتمعوا في نيقية من أعمال بيثينية، بل يجب أن يبقى ثابتا مؤيَّدا»[(٢)]. كما أنه جاء لاعتماد، والمصادقة على ما تَقرر في عدد من المجامع المكانية، عقدت بعد مجمع نيقية في كل من روما سنة٣٧٧م، والإسكندرية سنة ٣٧٨م، وأنطاكيا سنة ٣٧٩م بشأن التعاليم المضادة لما تقرر في المجمع النيقوي من ألوهية المسيح ومساواته لله[(٣)].

أما القول بأن قانون الإيمان الذي وضعه مجمع القسطنطينية قانون جديد ومستقل ولا علاقة له بالقانون النيقوي[(٤)]، فهو قول شاذ ومخالف لكثير من الحقائق، ـ منها ما تقدم ـ وكذلك الخطاب الذي رفعه المجمع بعد نهايته إلى الإمبراطور وجاء فيه: « ... إننا عندما اجتمعنا في القسطنطينية، تلبيةً لرسالة تقواكم، جدّدنا قبل كل شيء عهد وحدتنا في القلب أحدنا مع الآخر، ثم أعلنّا تحديدات موجزة تثبيتا لإيمان آباء المجمع النيقوي، وإبسالا للبدع التي برزت مخالفة لهذا الإيمان... »[(٥)].

---

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٥٥، وحنا جرجس الخضري (م.ن.)١/ ٦٦٥.

(٢) حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٥٧، وانظر كذلك: حنا جرجس الخضري (م.ن.)١/ ٦٦٥.

(٣) راجع: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٧٤، و٢/ ٤٥-٤٦.

(٤) كما يزعم بعض علماء النصارى، انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٤٥.

(٥) حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٥٥.

المطلب الثاني: سبب انعقاد المجمع

لقد تقرر في المجمع المسكوني النيقوي بأن الابن إله ومساو للآب في الجوهر، ولم يتعرض للأقنوم الثالث من أقانيم التثليث النصراني[1]، والذي هو الروح القدس، وإن صُرّح فيه بوجوب الإيمان بوجوده[2]. فظهرت أفكار ومذاهب بين النصارى لا تقر بألوهية الروح القدس بل تنكرها، كما برزت إلى الساحة من جديد فكرة إنكار ألوهية الابن أو مساواته للآب في الجوهر. فباختصار فإن هذا المجمع قد انعقد لمحاربة الأفكار والمذاهب التي صارت خطرا يهدد الكنيسة من جديد، والتي من أشهرها:-

أ ـ مذهب مكدونيوس[3] القائل بأن الروح القدس مخلوق وليس إلها[4].

ب ـ مذهب أبولوناريوس[5]، وخلاصته أن للمسيح جسدا بشريا ونفسا بشرية ـ يشترك فيها سائر البشر والحيوانات ـ ولكنه نفى أن تكون له روح عاقلة،

---

(١) أي الآب والابن والروح القدس.

(٢) انظر: نص قانون الإيمان النيقوي في ص٦٨٣-٦٨٤.

(٣) مكدونيوس: كان أسقفا لكنيسة القسطنطينية ثم خُلع من المنصب عام ٣٦٠م، ويسمى أتباعه بالمكدونيين أو محاربي الروح أو نصف آريوسيين. حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٥٨.

(٤) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٤٢و٢٥٨، وعلم اللاهوت النظامي ص١٧٠، ومحاضرات أبي زهرة ص١٤٣، ومقارنة الأديان لإبراهيم خليل أحمد ص٢٥، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٢٤٩.

(٥) أبولوناريوس: كان أسقفا للاذقية وصديقا حميا لأثناسيوس، الشماس المصري ورائد عقيدة ألوهية الابن، ثم انقلب عليه أبولوناريوس بعد أن كان عنصرا قويا من أنصاره. انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.)١/ ٦٦٧.

بل جعل محل الروح: الكلمة ـ إله في زعمهم ـ التي جاءت فحلّت في هذا الجسد ـ فيما يزعمون ـ، ثم قرر أن المسيح ليس إنسانا تاما ولا إلها ولكنه مزيج من الاثنين، محتجا بأن اتحاد طبيعتين تامتين في وحدة واحدة تامة أمر غير معقول[1]. كما قال أيضا بتفاوت العظمة بين الأقانيم الثلاثة، فالآب أعظم من الابن، والابن أعظم من الروح القدس[2][3].

المطلب الثالث: الحاضرون في المجمع، عددهم، انتماءاتهم، ومن ترأس المجمع منهم.

أولا: عددهم:-

بلا خلاف بين المؤرخين والكتّاب، إن عدد الأساقفة والآباء الكنسيين الذين اجتمعوا في هذا المجمع لم يتجاوز مائة وخمسين فقط[4]، كان من أشهرهم أساقفة كلٍّ من القسطنطينية نفسها، والإسكندرية، وأنطاكيا، وأورشليم[5].

---

(١) قلت: فعدم معقولية حلول الإله في بشر أكثر وأكبر.

(٢) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٥٩-٢٦٠، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٥٩، وتأريخ الأقباط لزكي شنودة ١/ ١٧٦، نقلا عن: محمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٨٣.

(٣) ولمزيد عن مذهب أبولوناريوس وجذوره الأفلاطونية راجع: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٦٨-٦٧٤.

(٤) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٤١، وحنا جرجس الخضري (م.ن.)١/ ٦٦٤، ومحاضرات أبي زهرة ص١٢٢، ومقارنة الأديان لإبراهيم خليل أحمد ص٢٥، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٢٤٩.

(٥) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٤٢.

ثانيا :انتماءاتهم :-

من حيث الواقع، إنما ينتمي جميع المجتمعين هناك إلى المدرسة الكرستيولوجية[(١)] الشرقية، والأيدولوجية[(٢)] الإسكندرية اللاهوتية التي تزعمت الدعوة إلى ألوهية المسيح ومساواته لله في مجمع نيقية. فالحاضرون كلهم من الأساقفة والآباء الشرقيين، ولم يحضر واحد من أساقفة الغرب على الإطلاق، حتى إن البابا في الكنيسة الكاثوليكة بروما آنذاك لم يحضره ولم يرسل نائبا عنه ولا كاتبا، بل لم توجّه إليه الدعوة للحضور أصلا[(٣)]، مما أثار الضجة والنزاع حول عالمية هذا المجمع، كما سيأتي بإذن الله.

وعن سبب عدم حضور الأساقفة من الغرب، قيل لأن هؤلاء الغربيين كانوا قد عقدوا مجمعا في روما وبعثوا بالدعوة للحضور والمشاركة إلى أساقفة الشرق، إلا أن هؤلاء اعتذروا واكتفوا بإرسال ثلاثة منهم فقط، وبعثوا بخطاب إلى زملائهم الغربيين يخبرونهم فيه عن التئام مجمعهم القسطنطيني[(٤)].

وفيما ذُكر هنا نظرٌ وخلطٌ وعدمُ وضوحٍ، إذ كيف يكون مجمع قد افتتح في روما ويُرسل إلى الأساقفة الشرقيين طلب بحضوره فيعتذر هؤلاء عن الحضور

---

(١) كلمة معرّبة، أصلها في الإنجليزية: "Christiology" وتعني ما يعتقده الإنسان عن المسيح وطبيعته. حنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٤١٧.

(٢) لفظ معرّب من كلمة "Ideology" الإنجليزية، وتعني فكرة أو مذهبا فكريا أو نظرية أو مفهوما... الخ. انظر: المورد لمنير البعلبكي ص٤٤٧.

(٣) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٤١و٢٤٣.

(٤) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٤٣-٢٤٤.

بسبب انعقاد مجمع آخر خاص بهم في القسطنطينية، ونقول إن ذلك الاعتذار هو سبب عدم حضور الأساقفة الغربيين الذين لم توجَّه إليهم الدعوة أصلا، وربما لم يعلموا بانعقاد مجمع في القسطنطينية في ذلك الوقت.

فالصحيح - والله أعلم - أن المجمعَيْن اللذيْن وقع فيهما هذا الطلب وذاك الاعتذار إنما انعقد بعد المجمع المسكوني القسطنطيني في عام ٣٨٢م في كل من روما والقسطنطينية، وهما مجمعان محليان مكانيان كما ورد في موضع آخر من مجموعة الشرع الكنسي أيضا[١] وفي غيرها[٢].

إذًا، سبب عدم حضور الغربيين هو غير ما ذُكر، وإنما لكون المجمع في حد ذاته خاصا بالشرقيين وإن اعتُبر لاحقا من المجامع المسكونية لأمر آخر كما سيأتي قريبا إن شاء الله.

ثالثا: رئيس المجمع:-

عندما افتتح المجمع، كان أسقف أنطاكيا ويُدعى ملاتيوس هو الرئيس، ولكنه توفي أثناء انعقاد المجمع فتولى الرئاسة بعده أسقف القسطنطينية ويدعى: غريغوريوس النزينزي، وكان قد رُفعت ضده فيما سبق دعوى، لخرقه بعض قوانين الكنيسة[٣]، وبعبارة أخرى: إنه كان متّهما في دينه ولم يمنع هذا من ترأسه للمجمع!!!

---

(١) ص٢٨٤.

(٢) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٤٦.

(٣) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٤٢، وانظر كذلك: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٦٤، ومحاضرات أبي زهرة ص١٢٢، إلا أنه رحمه الله أطلق في كون أسقف القسطنطينية رئيس المجمع أي من أوله إلى آخره، وهذا فيه نظر بلا شك والله تعالى أعلم.

المطلب الرابع: قرارات المجمع

إن أهم ما تقرر في هذا المجمع إثبات ألوهية الروح القدس تكملة لعقيدة الثالوث النصراني، وهي: أن الآلهة ثلاثة: الآب والابن والروح القدس، وتجديد عقيدة المجمع النيقوي الأول المتعلقة بتأليه المسيح، وذلك بإجراء تعديلات معينة في قانون الإيمان النيقوي، كإضافة جملة "الذي لا فناء لملكه" للرد على قول أبولوناريوس: إن ملك المسيح يمتد فقط لألف سنة(١). وإليكم نص قانون الإيمان المتفق عليه في هذا المجمع(٢):-

« نؤمن بإله واحد آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل ما يُرى وما لايُرى. وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وتأنس وصُلب عنا على عهد بيلاطس البنطي، وتألم وقُبر وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب، وسيأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات، الذي لا فناء لملكه.

---

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٤٣، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٦٤-٦٦٥، ومقارنة الأديان لإبراهيم خليل أحمد ص٢٥، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٢٤٩. وراجع في عقيدة الألف سنة هذه وكيف تطورت: كارل وليمز الكبير (م.ن.) ص١٨٨-١٩٠.

(٢) ظل هذا القانون يعرف باسمه الأول، أعني: قانون الإيمان النيقوي حتى بعد التعديلات التي أدخلت فيه في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م، وذلك نظرا لعدم اعتبار قانون مجمع القسطنطينية قانونا جديدا. انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٤٣.

و (نؤمن) بالروح القدس، الرب المحيي المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن، مسجود له وممجّد، الناطق بالأنبياء، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا. ونرتجي قيامة الموتى والحياة في الدهر الأتي، آمين »[١].

ولعلنا نلاحظ فروقا ـ وَصَفُوها بأنها يسيرة ـ بين هذا النص وبين نص القانون النيقوي الآنف الذكر، فأشير إلى هذه الفروق فيما يلي، ليكون من حق المطّلع عليها نفسه الحكم عليها إما بالخفة والقلة أو بالشدة والكثرة.

م	القانون النيقوي	القانون القسطنطيني
١	نؤمن بإله.... خالق كل شيء	نؤمن بإله... خالق السماء والأرض
٢	---	(المولود من الآب[٢] قبل كل الدهور
٣	(المولود من الآب) ومن جوهر الآب	---
٤	إله من إله نور من نور إله حق من إله حق	نور من نور إله حق من إله حق
٥	(الذي به كان كل شيء) ما في السماء وما على الأرض	---
٦	نزل من السماء وتجسد	نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء
٧	---	وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي

(١) حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٤٥-٢٤٦، وعلم اللاهوت النظامي ص١٧١، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ١/ ٦٦٥-٦٦٦.

(٢) ما بين قوسين إنما جيئ به ليستقيم الكلام وليكون أوضحَ، وهكذا إلى آخر الجدول.

م	القانون النيقوي	القانون القسطنطيني
٨	وتألم وقام في اليوم الثالث	وتألم وقُبر وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب
٩	---	وجلس عن يمين الآب
١٠	وسيأتي ثانية ليدين الأحياء والأموات	وسيأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات
١١	---	(يسوع المسيح) الذي لا فناء لملكه
١٢	و (نؤمن) بالروح القدس	و (نؤمن) بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن، مسجود له وممجد، الناطق بالأنبياء
١٣	وكل من يقول إنه كان وقت لم يكن فيه ابن الله... أو أنه مخلوق... فالكنيسة الرسولية الجامعة تبسل كل من يقول هذه الأقوال	---
١٤	---	وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا
١٥	---	ونترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي، آمين

وحكم المجمع كذلك على كل من مكدونيوس وأبولوناريوس وغيرهما ممن رأوا فيهم خروجا على قوانين الكنيسة باللعن والإسقاط عن رتبهم في الخدمة الكنسية[1].

أما بالنسبة للقوانين الأخرى العامة التي سنّها المجمع فقد وقع نزاع في عددها أيضا، هل هي سبعة قوانين، كما في المجموعات اليونانية القديمة لقوانين الكنيسة، أم أربعة كما تفيد الترجمات اللاتينية القديمة لهذه القوانين أيضا؟ فأيًّا كان الأمر فإن

(١) انظر: محاضرات أبي زهرة (م.ن.) ص١٢٣، ومحمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٨٣.

القوانين الثلاثة الأخيرة (الخامس والسادس والسابع) أكثر تعرضا للشك أو الرد لدى الكثيرين[١].

ولنمر مرورا سريعا على محتويات هذه القوانين وبشيء من الإيجاز غير المخل إن شاء الله تعالى:-

- **القانون الأول**: يتعلق بتثبيت قانون الإيمان النيقوي.

- **القانون الثاني**: يحدد نطاق صلاحية كل أسقف، وأنها لا تتجاوز حدود أبرشيته، وليس له أن يتخطاها إلى غيرها لأي خدمة كنسية إلا أن يكون ذلك بدعوة أو طلب خاص.

- **القانون الثالث**: يرفع مقام أسقف القسطنطنية - مقر المجمع - فوق سائر الأساقفة ما عدا أسقف روما (البابا) الذي تقرر في المجمع أن يظل رئيس الأساقفة قاطبة، إبقاءً لما كان على ما كان.

- **القانون الرابع**: يقضي بعدم أهلية مكسيموس الكلبي[٢] لتولي منصب أسقف القسطنطينية.

- **القانون الخامس**: يتعلق بقبول كتاب الغربيين الذي يعترف بأن الآب والابن والروح القدس (الأقانيم الثلاثة) متساوون في الجوهر.

---

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٥٦ بتصرف.

(٢) جاء وصفه في مجموعة الشرع الكنسي ص٢٧٠-٢٧٢ بأنه رجل قضى شبابه في حياة مشوبة بالعار، وأنه قد سيق إلى القضاء بتهمة ارتكاب جرائم، لكنه بعد ذلك تمكن من الوصول إلى كرسي القسطنطينية الأسقفي بعد أن كسب ثقة بعض رجال الدين أمثال: بطرس الثاني، أسقف الإسكندرية آنذاك...، وانظر كذلك: Oxford Dictionary of the Christian Church P.895.

ـ **القانون السادس**: يعالج موضوع تقديم الشكاوى ضد الأساقفة، من حيث الضوابط والأشخاص المسموح لهم بتقديم مثل هذه الشكاوى.

ـ **القانون السابع**: في كيفية قبول من رُمي ببدعة في دينهم مرة أخرى إلى حظيرة الكنيسة، بعد التوبة والرجوع عن هرطقته[١].

المطلب الخامس: أهم الملحوظات على أحداث المجمع.

أولا: النزاع في كونه مجمعا مسكونيا، وهناك عدة عوامل تدعو لهذا، من أهمها قلة الحاضرين، وعدم تمثيله لجميع كنائس العالم وأقاليمه، بالإضافة إلى تعرض بعض قوانينه للانتقاد الشديد من أوساط نصرانية متعددة، ولذا قال أحد الكتّاب الأمريكيين[٢]: «لم يقم في كل تأريخ الكنيسة معضلة شائكة على مثل معضلة المجمع القسطنطيني الأول في كثرة مشاكله ووقائعه المدهشة»[٣].

وهذا الخلاف قديم جدا، إذ بدأت بوادره تظهر في العام نفسه الذي عقد فيه المجمع، حيث أصدرت كنيسة روما حكمها ضد هذا المجمع، واستمرت في رفضها لقوانينه مدةً طويلة. وعندما التئم مجمع أفسس المسكوني الثالث بعده بنصف قرن تجوهل هذا المجمع، حتى إنه لم يرد ذكره في سجل أعمال مجمع أفسس هذا مع ورود ذكر مجمع نيقية ودستور إيمانه فيه بكل احترام وتقدير، وهكذا الحال في المجمع

---

(١) راجع تفاصيل هذه القوانين السبعة في: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٥٧-٢٨١.

(٢) هو: هنري برسيفال "Henry Percival"، صاحب المجموعة الأمريكية للقوانين الكنسية المسماة: قوانين المجامع المسكونية السبعة "The Decres of the seven ecumenical synods".

(٣) حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٤١.

المدعو مجمع اللصوص[1] المكاني المنعقد في عام ٤٤٩م، حيث لم يذكر سوى مجمعين مسكونيين: مجمع نيقية، ومجمع أفسس، وكان يشار فيه إلى هذا الأخير باسم المجمع المسكوني الثاني. ولم يُعرف لهذا المجمع (القسطنطيني) أي قبول أو اعتباره مجمعا مسكونيا على نطاق واسع وفي مصاف المجامع المسكونية الأخرى إلا بعد انعقاد المجمع المسكوني الرابع في عام ٤٥١م، أعني في الشرق، أما في الكنيسة الغربية اللاتينية فمن المؤكد أن المجمع لم يكتسب أي اعتراف صريح بمسكونيته قبل القرن السادس للميلاد![2].

ثانيا: على أن الاعتراف بمسكونية هذا المجمع أو عالميته مع كونه متأخرا، فإنه لم يكن للمجمع ذاته، وإنما لقانونه الإيماني الذي اعتبر امتدادا لقانون الإيمان النيقوي فحسب[3]. والأدلة على هذا كثيرة، من أظهرها أنه لا يمكن إنكار أن المجمع لم يُدع في الأصل على أن يكون مجمعا مسكونيا، وإنما هو في الحقيقة مجمع مكاني لم يجتمع فيه أكثر من خمسين ومائة أسقف كلهم من الكنائس الشرقية، ولم توجّه الدعوة لحضوره حتى إلى البابا في روما[4]. وكذلك ما نجد من رفض قاطع لبعض قرارات هذا المجمع أو قوانينه من قبل الأساقفة الغربيين وكرسي روما البابوي، لا سيما القوانين الثالث والرابع والسادس[5].

---

(١) انظر: ما سيأتي في ص٧٣٣ (الهامش).

(٢) راجع: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٤٢و٢٨١-٢٨٣.

(٣) نفسه ص٢٤٢، و٢٤٣ و٢٨١.

(٤) نفسه ٢٤١.

(٥) نفسه ٢٨١-٢٨٣، وانظر خلاصة هذه القوانين الثلاثة في ص٧٠٣-٧٠٤ مما تقدم.

فبهذا نرى أن الادّعاء بأن المجمع قد نال اعتراف جميع الأساقفة شرقا وغربا ـ دون أي تفصيل ـ كما هو الحال في معظم الكتب، فيه شيء من المغالطة والمبالغة، والله أعلم.

ثالثا: إن القول بأن الكنائس الغربية قبلت قانون الإيمان القسطنطيني ليس على إطلاقه، كما يظن الكثير، لأن عبارة: " وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من **الآب**" الواردة في نص القانون، إنما توافق عقيدة الشرقيين في الروح القدس، بخلاف ما يعتقده النصارى الغربيون تجاه الروح القدس، وهو أنه قد انبثق لا من الآب فحسب وإنما من الآب والابن معا[(١)]، ولذلك زادوا عندهم على هذه العبارة في قانون الإيمان القسطنطيني نفسه، فكانت: «و (نؤمن) بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من **الآب والابن**»[(٢)]. أما تأريخ هذه الزيادة فلا يزالون مختلفين فيه، قيل حصلت في مجمع طليطلة[(٣)] المكاني عام ٥٨٩م، وقيل بل قبله في نحو سنة ٤٠٠م[(٤)].

رابعا: أنه في هذا المجمع اكتملت عقيدة التثليث النصراني بأقانيمها الثلاثة، والتي تشبه إلى حد كبير المذهب الفلسفي الأفلاطوني كما تقدّم بيان ذلك في الباب

---

(١) راجع: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٤٨-٢٥٤، و٣٤٦، وعباس محمود العقّاد (م.ن.) ص١٧٤.

(٢) علم اللاهوت النظامي ص١٧٢.

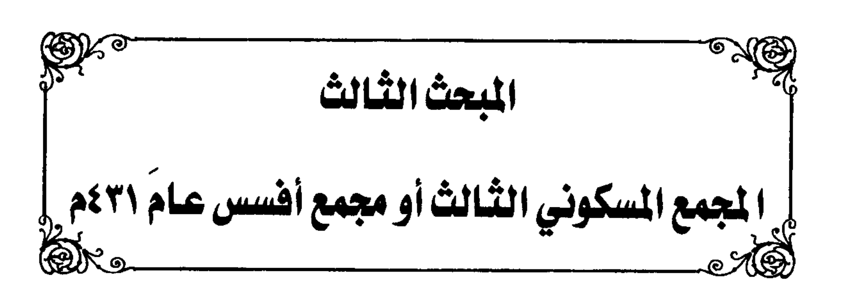
(٣) طليطلة: مدينة أسبانية تقع على هضبة عالية تبعد ٦٥ كيلا جنوب غربي مدريد، وهي عاصمة إقليم طليطلة فيها. الموسوعة العالمية ١٥/ ٦٢٥-٦٢٦.

(٤) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٥٠، وعلم اللاهوت النظامي ص١٧٢.

التمهيدي.

خامسا: خلافهم في عدد القوانيين التي سنّها وأقرها المجمع، ويعني ذلك على الأقل الشك في ثبوت بعض هذه القوانين، فكيف تبنى دعائم الكنيسة على أسس الشك وعدم اليقين؟!

سادسا: أن رجلا اتُّهم سابقا بخرق بعض قوانين الكنيسة قد ترأس جزءًا من المجمع، فهل يدل هذا على أنه أفضل من بقية الحاضرين؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف يوثق بهؤلاء المجتمعين الذين هم أحط درجةً من شخص متّهم في دينه!!!



المبحث الثالث

المجمع المسكوني الثالث أو مجمع أفسس عامَ ٤٣١م

المطلب الأول: افتتاح عام.

انعقد هذا المجمع في مدينة أفسس، في كبرى كنائسها المعروفة بكنيسة والدة الإله مريم، وذلك في عام ٤٣١م[١]. وهل كان اختيار هذه المدينة وتلكم الكنيسة المذكورة مجرد صدفة ليس له ما يبرره؟ إن الذي يتبادر أن اختيار الكنيسة الموجودة بأفسس والتي تحمل اسم "والدة الإله" له علاقة بموضوع المجمع الرئيس، ألا وهو مناقشة استحقاق مريم العذراء لقب: "والدة الإله". ولكن الباحث النصراني: حنا جرجس الخضري يبدي وجهة نظر مغايرة، إذ يرى أن مدينة أفسس إنما اختيرت بحكم موقعها الجغرافي الممتاز، وإمكانية الوصول إليها بسهولة برا وبحرا، وتوفُّر المنتجات المتنوعة التي يحتاج إليها المجتمعون خلال فترة انعقاد هذا المجمع[٢].

ونحن لا ننازع في ضرورة مراعاة الامتيازات الطبيعية والصناعية في عملية

---

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٣١.

(٢) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٣١.

اختيار منطقة للاجتماع أو التجمع ما وجدنا إلى ذلك سبيلا، ولكن في الوقت نفسه نرى أن من أهم ما يراعى من هذه الامتيازات هو حالات الطقس والجو، وها هو القس الخضري نفسه يقر في موضع آخر من كتابه[١] أن الحياة في أفسس صعبة وقاسية، قد لا يقوى على تحملها المتقدمُ في السن، نظرا لحرارة الجو فيها. حتى إنه بالفعل تعرّض بعض الأساقفة والآباء المجتمعين لأمراض خطيرة، بل لقي بعضهم مصرعهم فيها.

صدر أمر الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني[٢] بعقد هذا المجمع في التاسع عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) عام٤٣٠م، مع تحديد يوم لافتتاحه هو: السابع من يونيو (حزيران) عام ٤٣١م، [٣] إلا أنه تأخر الافتتاح عن هذا التأريخ نظرا لتأخر بعض الوفود في الوصول إلى مقر الاجتماع. وفي الجملة لقد قضى الأساقفة الذين جاءوا إلى أفسس لهذا المجمع ما يقرب من أربعة أشهر فيها، أي من يونيو إلى أكتوبر[٤].

بدأ الوفود يصلون إلى مكان الاجتماع من كل حدب وصوب منذ أوائل شهر يونيو، وكان من أوائل الوفود وصولا وفدُ كلٍّ من القسطنطينية المكوّن من ستة عشر

---

(١) نفسه ٢/ ٢٣٤، وانظر كذلك: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٥٦.

(٢) كان هو آنذاك إمبراطور الشرق ومقر حكومته: القسطنطينية، إلا أن الدعوة إلى المجمع قد أرسلت باسمه واسم إمبراطورالغرب فالتينيان الثالث (حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٣٠)، وذلك على ما يبدو يعبر عن رغبته في مشاركة الأساقفة الشرقيين حتى لا يتكرر ما كان في مجمع عام٣٨١م بالقسطنطينية.

(٣) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٢٩و٢٣٠ و٣/ ٤٨.

(٤) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٥٢، وجون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢٢٠.

أسقفا، ووفد الإسكندرية ويتكوّن من خمسين أسقفا[(١)]، بالإضافة إلى وفد أفسس المضيف وكان يتكوّن من نحو أربعين أسقفا، وكذلك مندوب الإمبراطور الذي كان قد وصل إلى أفسس منذ أواخر شهر مايو (آيار)[(٢)].

وأما غير هؤلاء فلم يصلوا قبل الموعد المحدد للافتتاح، ومنهم المندوبون عن البابا وكنيسة روما، ووفد أنطاكيا، ووفد أورشليم وغيرهم من الوفود المشاركة[(٣)]، وقد نجم عن هذا ـ أعني تأخر بعض الوفود ـ ما يعرف في تأريخ هذا المجمع بمشكلة افتتاحه.

وذلك أن الحاضرين من الأساقفة انتظروا الآخرين بعضَ الوقت حتى وصل بعضهم، مثل وفد أورشليم الذي وصل أفسس في الثاني عشر من يونيو، ولكنهم بعد ذلك استعجلوا في افتتاح أعمال المجمع في يوم الاثنين الثاني والعشرين من الشهر نفسه[(٤)] في غياب وفدين رئيسين هما: وفد روما ووفد أنطاكيا، حيث إن الأول لم يصل حتى أوائل شهر يوليو (تموز)، ووصل الأخير في ما بين ٢٤ و٢٦ من شهر يونيو، أي بعد افتتاح المجمع بيومين أو أربعة أيام

(١) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٣١-٢٣٢.

(٢) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٣٣.

(٣) نفسه ٢/ ٢٣٢-٢٣٣، وحنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٣٤و٣٥٦.

(٤) يروى عن الأساقفة المجتمعين وعلى رأسهم كيرلس، أسقف الإسكندرية ـ الذي تولى إعلان افتتاح المجمع في ٢١/ يونيو/ ٤٣١م ومن ثم رئاسته ـ في خطابهم إلى البابا بعد نهاية المجمع أن السبب في ذلك إصابة كثير من الحاضرين بالمرض، وموت بعضهم، ونفاد نفقات بعضهم في مدة الانتظار التي دامت أسبوعين (من٧ إلى ٢٢ يوينو)، ومن ثَم مطالبتهم بالافتتاح. انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٥٦-٣٥٧، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٣٤.

فقط[1]، وقيل إنما وصل بعد خمسة أيام أي في٢٧ من يونيو[2].

وهنا بدأت الفتنة، وذلك لأن الذي تولى كبر افتتاح هذا المجمع دون انتظار الوفود الأخرى هو أسقف الإسكندرية، كيرلس، على الرغم من اعتراض بعض الأساقفة الحاضرين ـ قُدّر عددهم بثمانية وستين أسقفا ـ ومندوب الإمبراطور في المجمع على هذا القرار، وأصرّوا على ضرورة الانتظار حتى تكتمل الوفود[3]، لا سيما وفد أنطاكيا الذي يُذْكر أن خطابا قد وصل من رئيسهم، يوحنا الأنطاكي أسقف أنطاكية إلى المجمع في العشرين من شهر يونيو ـ أي قبل إعلان الافتتاح بيوم واحد ـ عبّر فيه عن أسفه الشديد بسبب تأخره والوفد المرافق له، وأن ذلك نتيجة تعرّض قافلتهم لبعض الحوادث، وأنهم سيصلون أفسس في القريب العاجل[4]. وهنا تحصل مشكلة تأريخية من الصعب التحقيق فيها، وذلك لأن هناك ثمة رواية أخرى ـ وكلتا الروايتين بلا إسناد طبعا ـ تفيد أن يوحنا الأنطاكي نفسه قد قال في خطابه هذا بألا ينتظرهم الأساقفة الموجودون في أفسس، بل لهم أن يبدءوا الاجتماعات قبل وصوله والوفد المرافق له[5].

لكن أقول: يمكن الجمع بين الروايتين بأن نقول: إن يوحنا قد قال فعلا بأن يفتتح المجمع أعماله قبل وصوله ووفده رجاءً منه أنهم سيدركون جزءًا منه على

---

(١) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٣٢-٢٣٦ و٢٤٤.

(٢) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٣٤.

(٣) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٣٤-٢٣٥.

(٤) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٣٣.

(٥) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٥٦-٣٥٧.

الأقل، وبذلك تتسنَّى لهم أيضا فرصة إبداء وجهة نظرهم في الأمر الدائر، والتي هي في الحقيقية مخالفة لما عليه أسقف الإسكندرية ومعظم الأساقفة الموجودين في مقر المجمع آنذاك[١]. غير أنه فوجئ بأن المجمع على الرغم من أهميته وخطورة موضوعه، قد افتُتِح واختتم في يوم واحد فقط[٢]، ولم يدرك هو ولا وفده شيئا من أعماله، فماذا كان رد فعله إذًا؟

فورا بعد وصوله مدينة أفسس وقبل أن ينفضَّ عنه غبار الطريق دعا يوحنا لعقد مجمع منافس لمجمع كيرلس في مقر إقامته، وقد ضم مجمع يوحنا هذا أعضاء وفده (وفد أنطاكيا) وعددا من الأساقفة المنشقين عن مجمع كيرلس، فكان عددهم جميعا ثلاثة وخمسين أسقفا[٣]، وقيل ثلاثة وأربعين[٤][٥]، بالإضافة إلى مندوب الإمبراطور الذي كان من المعارضين لفكرة افتتاح المجمع الأُم قبل وصول الوفد الأنطاكي كما أسلفت. وقد انتهى هذا المجمع بصدور قرار يقضي بخلع كل من أسقف الإسكندرية، كيرلس، وأسقف مدينة أفسس: أمنون عن منصبيهما، ومنعهما عن ممارسة الخدمة الكنسية، مع قطع بقية الأساقفة المجتمعين

---

(١) نفسه ٣٣٤ و٣٥٦-٣٥٧، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٢٣ و٢٢٧ و٢٣٥.

(٢) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٤٣.

(٣) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٤٥.

(٤) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٣٥، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٥٢.

(٥) يبدو أن سبب هذا الخلاف هو أنه لم يكن واضحا إذا كان هذا المجمع الذي اشتهر بمجمع الأنطاكيين قد شارك فيه فعلا غير الأنطاكيين أم لا. فلعل عدد الأساقفة الأنطاكيين كان ٤٣ بما فيهم يوحنا نفسه، فمن رأى ان غيرهم من الأساقفة المنشقين قد شاركوهم في المجمع جعل العدد ٥٣، والعلم عند الله تعالى.

معهم في يونيو٢٢ من الشركة[1] إلى أن يعترفوا بخطئهم. وكان من أبرز ما أخذه المجمع على كيرلس وأمنون أنهما كانا سبب الاضطراب والفوضى، وأنهما خالفا أمر الإمبراطور ببدء أعمال المجمع في ٢٢ يونيو قبل وصول الوفود الأخرى، ووقوع كيرلس بالذات في هرطقة آريوس وأبولوناريوس في إبسالاته[2] ضد أسقف القسطنطينية[3].

فهكذا شهدت مدينة أفسس مجمعين يحرّم أحدهما الآخر. ولما بلغ خبر ما آل إليه الأمر من الفوضى والاضطراب إلى الإمبراطور، أَمر بإلغاء جميع القرارات[4]، وأن تُستأنف الجلسات فقط عندما تكتمل جميع الوفود[5].

---

(١) الشركة في اصطلاح النصارى: الأخوة والاشتراك بين المسيح ومسيحي، أو بين مسيحي وغيره من المسيحيين. قاموس ك.م. ص٥٠٩

(٢) وقد أصدر كيرلس هذه الإبسالات أو الحرمانات الاثني عشر ضد أسقف القسطنطينية: نسطوريوس قبل انعقاد مجمع أفسس أصلا، وأمر يوحنا الأنطاكي بعض أتباعه بالرد عليها في حينها على أساس أن فيها شيئا من الهرطقة (انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٢٣ و٢٢٧). وانظر هذه الإبسالات بنصها في: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٠٧-٣٢١، وأولها: "ليكن مبسلا كل من لا يعترف أن عمانوئيل [أي المسيح] هو إله حق، وأن العذراء القديسة هي لذلك والدة الإله...". وقيل إن نسطوريوس نفسه قد كتب ردّا على هذه الإبسالات (انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٠٧-٣٢١)، وقيل بل كتبه أحد أتباعه ونُسب إليه (حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٢٧).

(٣) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٣٥-٣٣٦، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٤٥.

(٤) وقيل إن الإمبراطور إنما أصدر أمره هذا قبل وصول خبر انعقاد مجمع الأنطاكيين إليه (حنا جرجس الخضري (م.ن.)٢/ ٢٤٦).

(٥) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٤٦.

وفعلا استؤنف المجمع من جديد وعقد الأساقفة عددا من الجلسات تم فيها تثبيت الحكم على أسقف القسطنطينية بالهرطقة والإسقاط غيابيا، وكذلك حُكم على مؤيده الرئيس: يوحنا رئيس أساقفة أنطاكيا، ومن معه من الأساقفة بالحرمان أيضا في حالة غيابهم المتعمّد هذه المرة ـ فيما يبدو ـ. وأما وفد روما فقد وصل قبل الاستئناف وشارك في جميع الجلسات بعد ذلك[١]. فهكذا ينتصر أنصار التثليث مرة أخرى في ثالث مجمع مسكوني يعقده رؤساء النصارى.

المطلب الثاني: سبب انعقاد المجمع.

إن الداعي لانعقاد هذا المجمع لا يختلف في شيء عما دعا إلى انعقاد سابقيه، وذلك لأن نسطوريوس[٢] الذي كان أسقف القسطنطينية آنذاك أفصح عن بعض آرائه في طبيعة المسيح عليه السلام، وفيها مخالفة لما عليه النصرانية التثليثية البولسية التي كانت تسود الأجواء حينئذ. وكانت النقطة التي وصل فيها نسطوريوس إلى أحَدِّ صراعٍ وأعنف صدامٍ مع مدرسة الإسكندرية ـ رائدة عقيدة التثليث والتأليه في المجمعين السابقين ـ، بل ومع معظم كنائس العالم في وقته، هي إطلاق لقب والدة الإله ("Theotokos" باليونانية) على مريم العذراء.

---

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٢٣-٣٣٠ و٣٣٤ و٣٥٨-٣٥٩، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٤٧-٢٥٢.

(٢) ولد نسطوريوس في منطقة جرمانيكيا في جنوب تركيا ـ وتدعى حاليا: ماراس ـ ثم ذهب إلى أنطاكيا وتعلم فيها وظل هناك إلى عام ٤٢٨م حين أصدر الإمبراطور الأمر بتعيينه أسقفا للقسطنطينية، وتوفي في مصر حوالي سنة ٤٥٠م. انظر: الدائرة البريطانية ١٦/ ٢٥٣، وجون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢١٥ و٢٢١، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ١٥٣-١٥٥، و١٥٧-١٥٨.

فكان يفضِّل نسطوريوس أن يُطلق عليها بدلا منه: لقب والدة المسيح ("Christokos" باليونانية)، لأن الله ليست له والدة. وإن كان نسطوريوس لا ينكر ألوهية المسيح صراحة، إلا أنه يرى أن فيه طبيعتين: طبيعة إلهية (لاهوت)، وأخرى إنسانية (ناسوت)، وأنهما منفصلتان[١]، فلذلك كان يقول إن مريم إنما ولدت إنسانا كان فيه الله[٢] ـ والعياذ بالله تعالى ـ. ووردت عنه أقوال أخرى ظاهرها أنه ينكر حلول الإله في المسيح ﷺ ومن ذلك قوله: إن مريم إنما ولدت إنسانا كان مملوءً من البركة والنعمة، أو كان ملهما من الله فلم يرتكب خطيئة[٣]. ومما اشتهر عنه من أقواله أيضا: «إنني لا أعترف أنّ طفلا عمره شهران أو ثلاثة إله»[٤]، وكان ينكر أيضا أن الله رضع لبنا أو وُلد أو تألم أو مات...[٥]، كما يترتب على أقواله هذه إنكاره عقيدةَ التجسّد[٦][٧].

أما النسطورية باعتبارها طائفة وفرقة، فقد استمرت في الوجود على الرغم

---

(١) فهنا يظهر جوهر الخلاف بين نسطوريوس ومعارضيه، وهو أنه يرى انفصال الطبيعتين، والآخرون يرون اتحادهما من كل الوجوه. راجع: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٣١، وفايز فارس (م.ن.) ص٨١، وكارل وليمز الكبير (م.ن.) ص٥٦-٥٧.

(٢) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ١٦٩.

(٣) انظر: محاضرات أبي زهرة ص١٢٤.

(٤) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٥٧.

(٥) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٤٢.

(٦) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٣٩ و٣٥٧.

(٧) ولمزيد عن عقيدة نسطوريوس، راجع: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٠٧-٣٢١، و٣٣١، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ١٦٠-١٦١، و١٦٥-١٦٦، و١٦٩-١٧١، والدائرة البريطانية ١٦/ ٢٥٣.

من جميع الاضطهادات والتحديات، ويوجد لها أتباع حتى هذا القرن في كل من العراق وإيران وسوريا، يقدّر عددهم بحوالي مائة ألف، ويوجد ما لا يقل عن ثلاثة آلاف آخرين في الولايات المتحدة الأمريكية، ويُعرفون اليوم باسم: أعضاء الكنيسة الآشورية أو الكنيسة النسطورية[١].

المطلب الثالث: الحاضرون، عددهم، انتماءاتهم، ورئيس المجمع منهم.

أولا: عددهم.

اضطربت الأقوال والروايات في عدد الأساقفة وآباء الكنيسة المجتمعين في هذا المجمع، فقد قيل إنّ عددهم كان نحو مائتين[٢]، أو مائتين بالتحديد[٣]، وقيل بل كان أكثر من مائتين[٤]، وقيل إن العدد يتراوح بين مائة وخمسين ومائة وثمانين[٥]، وقيل بل كانوا مائة وستين[٦]، وقيل مائة وسبعة وثمانين[٧]، وقيل مائة وسبعة وتسعين[٨]!

وقد يكون من أسباب هذا الخلاف بين المؤرخين، أن بعضهم ذكر عدد جميع الوافدين إلى مدينة أفسس بنية حضور المجمع، متجاهلا من انشقوا منهم وانسحبوا

---

(١) انظر: الدائرة البريطانية ١٦/ ٢٥١، وجون جوليمر (م.ن.) ٣/ ٢٢١.

(٢) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٣١، ومحاضرات أبي زهرة ص١٢٥.

(٣) انظر: مقارنة الأديان لإبراهيم خليل أحمد ص٢٦.

(٤) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٣٥و٣٥٦.

(٥) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٣٩.

(٦) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢١٩.

(٧) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٥٠.

(٨) نفسه ٢/ ٢٤٢.

حتى قبل افتتاحه، والبعض الآخر إنما ذكر فقط عدد الذين اجتمعوا فعلا وأصدروا قرارات. أو أن بعضهم ذكر عدد المجتمعين في الجلسة الأولى فقط، والبعض الآخر ذكر عدد الذين اجتمعوا في الجلسات اللاحقة بعد وصول مزيد من الوفود، أو أن بعضهم إنما ذكر عدد الذين وقعوا على القرار بالحكم على نسطوريوس فقط، ولا يبعد أن يكون بعض هذه الروايات غير صحيح على كل الاعتبارات والأوجه. وعلى كلٍّ فقد اتفقوا على أنه كان من أبرز هؤلاء الحاضرين، أساقفة كل من الإسكندرية وأفسس وأورشليم[١].

ثانيا: انتماءاتهم.

كانت الأغلبية الساحقة من أعضاء هذا المجمع من أنصار ومؤيدي كيرلس، أسقف الإسكندرية، ومدرستها المعروفة بدور الريادة في إثبات عقيدة التثليث والطبيعة الواحدة للمسيح[٢]. إلى جانب عدد قليل جدا من أنصار نسطوريوس أو أنصار فكرته[٣].

كما كان من الحاضرين أيضا مندوب الإمبراطور، وكانت مهمته الحفاظ على أمن المجتمعين، وعدم الإخلال بالنظام. ومُنع من أن يشارك في شيء من أعمال المجمع لأنه ليس مؤهلا لذلك[٤].

---

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٣١.

(٢) أي ان اللاهوت والناسوت متحدان في المسيح، وليستا بطبيعتين منفصلتين كما علّم به نسطوريوس (حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٣١، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ١٧٦).

(٣) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٤٣.

(٤) انظر خلاصة مرسوم الإمبراطور إلى المجمع في: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٩٤.

ثالثا: رئيس المجمع.

كان الذي تولى رئاسة المجمع هو عين الرجل الذي تصدّى لإعلان افتتاحه قبل وصول جميع الوفود، ألا وهو كيرلس كبير أساقفة الإسكندرية[١]. وللعلم، إنه في الوقت نفسه أحد طرفي النزاع!

المطلب الرابع: أهم قرارات المجمع.

كان من أبرز ما قرره المجمع بعد كل هذه المداولات والجلسات ما يلي:-

أ ـ رد تعاليم نسطوريوس، وإعلان أمومة مريم العذراء للإله ـ والعياذ بالله تعالى ـ واستحقاقها لقب: والدة الإله "Theotokos"[٢].

ب ـ الحكم على نسطوريوس بالحرمان والتجريد عن الأسقفية وسائر الامتيازات الكنسية، وإليكم نص هذا القرار: «إن ربنا يسوع المسيح الذي جدّف[٣] عليه [نسطوريوس] يحكم بواسطة هذا المجمع المقدس بوجوب تجريد نسطوريوس من الكرامة الأسقفية ومن كل شركة كهنوتية»[٤]. كما بعث المجمع بالرسالة الآتية إلى نسطوريوس نفسه:

---

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٩٠، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٣٦ و٢٣٩

(٢) انظر: الدائرة البريطانية ١٦/ ٢٥٣، وحنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٥٧، ومقارنة الأديان لإبراهيم خليل أحمد ص٢٧، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية ٢٥١.

(٣) التجديف: الكفر بالنعم أو استقلال عطاء الله تعالى. القاموس ص١٠٢٨.

(٤) حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٢٢ ـ والنص منها ـ وجون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢١٩، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٤٢.

« إلى نسطوريوس يهوذا الجديد، فليكن معلوما لك بأنه بسبب عظاتك التجديفية، وبسبب عدم طاعتك للقوانين الكنسية، قرر المجمع المقدس الذي اجتمع في يوم ٢٢ يونيو شلحَك[١] ... وليس لك أي نصيب في الكنيسة »[٢].

ج ـ وسنّ المجمع مجموعة ثمانية قوانين، إليكم ملخّصها:-

ـ القانون الأول: في إنهاء وظيفة أي مطران[٣] أو أسقف أو غيرهما انشق عن المجمع وانضم إلى ما سموه بمؤتمر العصاة (أي مجمع الأنطاكيين المنعقد في أفسس)، أو ينوي الانضمام إليه فيما بعد. وكذلك كل مَن قَبِل أو سيقبل تعاليم بيلاجيوس[٤] وتلميذه كليستيوس، وهي أن الروح القدس ليس مانحَ الوسائل لكل من يريد الوصول إلى حسن العبادة والخلاص، وإنما بإمكان قوة إرادة الطبيعة الإنسانية نفسها أن تتحسن وتنصلح. ومن جهة ثانية أنكر بيلاجيوس بالذات فكرة الخطيئة الموروثة، قائلا: إن خطيئة آدم ـ عليه السلام ـ قاصرة عليه، كما أن خطيئة كل إنسان تخصه

---

(١) التشليح هو: التعرية. القاموس ص٢٩٠، والمراد هنا العزل والإقالة عن منصبه.

(٢) حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٤٣ ـ والنص منه ـ، وجون لوريمر ٣/ ٢١٩.

(٣) المطران: كبير الأساقفة لمقاطعة دينية في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والكنائس الأخرى، وتشتمل المقاطعة على عدد من الأسقفيات، وعادةً يحكم المطران أسقفية تسمى الأسقفية الرئيسة. والمقابل التقريبي للمطران في الكنائس الشرقية الأرثودكسية يُدعى المتروبوليتان (المطران العاصمي). الموسوعة العالمية ٢٣/ ٤١٢.

(٤) ولد بيلاجيوس في بريطانيا، قيل في الجزء الايرلندي منها في سنة ٣٥٥م، وأصبح راهبا وواعظا في روما في حوالي سنة ٤٠٠م، وكان وافر التعليم ـ في مجاله ـ وعظيم الاهتمام بالأخلاقيات، توفي في ٤٢٥م.، وأما كيليستيوس "Celestius" فقد كان من أبرز أتباعه وتلاميذه. الموسوعة العربية الميسرة ص٤٧١، وحنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٣٦-٣٣٨، وجون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢٠٦.

وحده وتقع عليه وحده، فلا تولد الأطفال بالآثام أصلا. كما أنكر كذلك فكرة الفداء والخلاص(١)، واعتبرها إنكارا لحرية الإنسان ومسئوليته(٢).

وقد لخص بعضهم مذهب كل من نسطوريوس وبيلاجيوس مع تلميذه كيليستيوس بأن الأول: أنكر تجسد الكلمة، والأخيرَيْن أنكرا الحاجة إلى التجسد وإلى النعمة الممنوحة ـ زعما ـ بواسطته(٣).

ـ والقانون الثاني: أيضا في عزل أي أسقف يوافق نسطوريوس فيما بعد، سواء كان من الذين شاركوا في المجمع الذي حكم عليه أو من غيرهم.

ـ والقانون الثالث: يقضي بعدم تنفيذ أي حكم بالعزل أو الحرمان يصدر عن نسطوريوس أوأنصاره ضد معارضيهم.

ـ والقانون الرابع: في خلع أي إكليريكي يجاري نسطوريوس أو كليستيوس في الرأي سرا أو علنا.

ـ والقانون الخامس: يقرر أن من حكم عليه المجمع أو أسقف كنيسته بالإسقاط، فإنه لا يستفيد شيئا من قبول نسطوريوس أو أحد أتباعه إياه.

ـ والقانون السادس: فيمن يقاوم أو يهمل أوامر المجمع، فإن كان عاميا يُقطع من الشركة، وإن كان إكليريكيا أو أسقفا فليعزل عن وظيفته.

---

(١) أي أن المسيح عليه السلام قد جاء ليُصلب فداءًا وخلاصا لجميع البشر من الخطيئة الموروثة عن أبيهم آدم عليه السلام!

(٢) راجع: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٣٧ و٣٣٣٨-٣٣٩، وجون لوريمر (م.ن.) ٣/٢٠٦، ومحمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٨٤.

(٣) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٣٩.

ـ **والقانون السابع**: يقرر عدم جواز وضع قانون آخر للإيمان غير القانون النيقوي مع التعديلات التي أُدخلت عليه في مجمع القسطنطينية الأول، سواء بالإضافة أو الحذف أو نحوهما ولو بحرف واحد[(١)].

وهنا أمر أرى أن الإشارة إليه مهمة جدا، وذلك أن هذا القانون لم يوضح بشكل كاف، ما هو الممنوع في هذا الشأن، أهو مجرد إضافة أو حذف شيء من القانون النيقوي، أم وضع قانون إيمان مستقل عنه؟ وقد رأينا أن نص هذا القانون المانع يقول: « حكم المجمع المقدس بأنه لا يسمح لأي إنسان بأن يقدم أن يكتب أو يضع إيمانا آخر غير الذي وضعه الآباء القديسون الذين اجتمعوا بنعمة الروح القدس في مدينة نيقية »[(٢)].

لذا، حاول بعض جامعي القوانين الكنسية[(٣)] في تعليقهم على هذا القانون تفسيرَه على أساس أن المحظور هو الإضافة أو الحذف من قانون نيقية، وادّعوْا بناءً على ذلك تقيّدَ سائر المجامع المسكونية بهذا القانون فلم تضف إليه أو تحذف منه شيئا! إلا أننا كما سوف يأتينا عند دراستنا للمجمع المسكوني الرابع ـ إن شاء الله ـ أن الأساقفة المجتمعين هناك قد فهموا من قانون المنع عدم جواز وضع قانون آخر مستقل عن القانون النيقوي، غير أنهم تنازلوا عن هذا الفهم أخيرا، نتيجة الضغوط

---

(١) فهل أصبح هذا القانون الوضعي وحيا من الله لا يضاف إليه ولا ينقص منه؟!!

(٢) حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٤١.

(٣) كما في المجموعة اليونانية المعروفة بمجموعة البيذاليون "Pedalion" لقوانين الرسل والمجامع والآباء للراهبين: أغابيوس ونيقوديموس، وقد طبعت الطبعة الأولى في عام ١٨٠٠م. انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣ و٣٢.

والإصرار من الإمبراطور على وضع قانون إيمان جديد فوضعوه!!

ويُذكر أن سبب وضع هذا القانون ـ أعني قانون المنع ـ ما علم به المجمع من محاولة بعض المحكوم عليهم بالحرمان والقطع من الشركة تأليفَ قوانين إيمانية منافسة ومناقضة لعقيدة المساواة في الجوهر بين الأقانيم الثلاثة، الآب والابن والروح القدس[١].

تقيدت المجامع بعد هذا بالقانون ـ على مفهوم عدم جواز الإضافة أو الحذف ـ على الرغم من قيام دواعي الإضافة والاستدراك على القانون النيقوي[٢]، إلا أنّ صلاحيته أُنهيت عند ما قام الغربيون بزيادة لفظ "والابن" في انبثاق الروح القدس على نص القانون النيقوي، وذلك في القرن السادس أو بداية القرن الخامس للميلاد كما قد قدّمنا[٣]. وكان هذا نقطة تحول في تأريخ الكنيسة إذ بدأ فيها ظهور بذور خلاف جديد في الكنيسة بين الشرق والغرب[٤].

ـ **والقانون الثامن**: يتعلق بصون حقوق كل أبرشية من أي اعتداء أو تطاول من قبل أسقف لم تكن الأبرشية واقعة تحت سلطته. وقد كان هذا القانون بمثابة إجابة على عريضة تقدم بها أساقفة قبرص يشكون فيها من تدخل أسقف أنطاكيا في بعض مناطقهم[٥].

---

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٤٢.

(٢) حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٤٣.

(٣) في أواخر الكلام عن المجمع المسكوني الثاني (مجمع القسطنطينية).

(٤) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٤٤ بتصرف.

(٥) انظر تفاصيل هذه القوانين في: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٣٢-٣٥٠.

المطلب الخامس: أهم الملحوظات على أحداث المجمع.

أولا: أن إنكار نسطوريوس إطلاق لقب والدة الإله على مريم لم يكن عن كراهية لها أو قصد تنقيص من قدرها أو من قدر المسيح عليهما السلام، كما يدّعي معظم الكتّاب والمؤرخين النصارى، وإنما قد يكون الدافع له لذلك ما اشتهر في عهده من الغلو فيها غلوا وصل عند بعضهم إلى درجة العبادة[١] والعياذ بالله، فأراد الرجل ردّ هذا النوع من الغلو[٢].

ثانيا: كان كيرلس: أسقف الإسكندرية أول من تصدّى لمعارضة نسطوريوس وبسرعة مدهشة، فبدأ بتأليف رسائل بل ومجلدات ضد نسطوريوس وفكرته، ثم وشى بالرجُل لدى الإمبراطور ولدى البابا في روما، ولم يكتف بذلك بل دعا لعقد مجمع محلي في الإسكندرية في نوفمبر (تشرين الثاني) عام ٤٣٠م، ثم أتبع ذلك بإصدار إبسالاته الاثني عشر ضد الرجل[٣]، فبهذا يحكم عليه بالحرمان حتى قبل التئام المجمع المسكوني!

فهل كان كل هذا يا تُرى من أجل حماسة كيرلس الدينية؟ كلاّ، بل وراء كل ما قام به في الحقيقة دوافع سياسية وتنافسية وحتى انتقامية.

---

(١) راجع: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ١٦٤-١٦٥ و٢٣١.

(٢) بل ومما يجدر بالذكر أن نسطوريوس لم يكن أول من نادى بفكرة تجريد مريم عن لقب "والدة الإله"، وإنما سبقه إلى ذلك الشماس أناستاسيوس الذي اتخذه نسطوريوس واعظا في القسطنطينية. الدائرة البريطانية ١٦/ ٢٥٣، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ١٦٠-١٦١.

(٣) راجع: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٠٣و٢٠٥-٢٠٨ و٢١١-٢١٢ و٢١٩-٢٢٢.

أما الدافع السياسي، فهو أن كيرلس كان يسعى لنشر نفوذه وسلطانه في جميع أرجاء الشرق من الناحيتين الدينية والسياسية[١].

وأما الدافع التنافسي، فهو أن الصراع بين كرسي الإسكندرية وكرسي القسطنطينية الأسقفيين صراع قديم وعميق نتيجة المنافسة التقليدية بين الكنيستين، فعندما قُرر في المجمع المسكوني الثاني -كما تقدّم- جعل الكنيسة القسطنطينية وأسقفها في المرتبة الثانية بعد روما والبابا، أثار القرار غيرة بل وحقد أعضاء الكنيسة الإسكندرية. وقبل كيرلس كان الأسقف ثيوفيلوس خاله قد تزعم حركة محاكمة ونفي رئيس أساقفة القسطنطينية في وقته، يوحنا ذهبي الفم[٢] في مطلع القرن الخامس للميلاد[٣].

وأما الدافع الانتقامي، فهو أن أربعة من سكان الإسكندرية قدّموا شكوى على معاملة كيرلس معهم إلى الإمبراطور، فأحال القضية إلى نسطوريوس: رئيس أساقفة القسطنطينية، حيث مقر الإمبراطور نفسه. واعتبر كيرلس هذا الأمر - أعني إقامة أسقف القسطنطينية قاضيا عليه - غير مقبول بالكلية، فلذلك كتب رسائل إلى الإمبراطور في محاولة للتأثير عليه وتهييجه ضد نسطوريوس[٤].

ثالثا: أن إعلان كيرلس افتتاح المجمع في ٢١/ يونيو/ ٤٣١م فيه شبهة،

---

(١) نفسه ٢/ ٢٠٤.

(٢) هو: يوحنا كريسوستوم، لُقب ذهبي الفم أو فم الذهب لحسن بيانه وفصاحة مواعظه، ولد في أنطاكيا عام ٣٤٧م، واختير رئيسا لأساقفة القسطنطينية عام ٣٩٨م. جون لوريمر (م.ن.) ٣/ ١٨٠-١٨٣.

(٣) راجع حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٦٦ و٢٧٠، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٠٥ و٣/ ٣٨.

(٤) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢١٨.

وذلك لأن الإعلان إنما جاء بعد ورود خطاب وفد أنطاكيا الموالي لنسطوريوس في العشرين من شهر يونيو نفسه. وفيه بينوا سبب تأخرهم، وأهم من ذلك أنهم سيصلون إلى أفسس ـ مقر الاجتماع ـ بعد أيام قليلة فقط، فالسؤال: إذا كان الأساقفة الموجودون قد انتظروا هذه المدة الطويلة، فما المانع من أن يزيدوا بضعة أيام ـ أربعة أو خمسة فقط ـ أخرى، نظرا لأهمية هذا الوفد المعروف بوقوفه إلى جانب أحد طرفي النزاع؟[١].

لذا يرى النقاد ـ ومن النصارى أنفسهم ـ أن الدافع لكيرلس في اتّخاذ قراره هذا أمران، وهما:

أ ـ خوفه من وقوف الوفد الأنطاكي (ويتكوّن من أكثر من أربعين أسقفا على الأقل[٢] خلف نسطوريوس ومساندته، مما كان سيغير الموقف وربما رجّح كفة الخصم.

ب ـ رغبته في التخلص أو التنصل من مناقشة إبسالاته ضد نسطوريوس، حيث كانت كنيسة أنطاكيا قد أبدت ملاحظات كثيرة عليها واتهمت كاتبها بالهرطقة والكفر[٣]، كما أسلفت[٤].

رابعا: أما رئاسة أسقف الإسكندرية لهذا المجمع فيتوجه إليها النقد من

---

(١) أما ما قيل من أن رئيس أساقفة أنطاكيا نفسه قد طلب افتتاح المجمع قبل حضورهم، أو أنه إنما طلب انتظارهم قبل الافتتاح فقد تقدم الجمع بينهما في ص٧٧٧.

(٢) انظر: ص٧٧٨.

(٣) راجع: حنا جرجس الخضري (م.ن.)٢/ ٢٣٤-٢٣٦.

(٤) انظر: ص٧٧٩-٧٨٠.

ناحيتين، أولاهما: أننا لا ننسى أن المهمة التي كان على المجمع البَتُّ فيها والتي من أجلها دعا الإمبراطور لعقد المجمع أصلا هي عرض تعاليم كل من كيرلس ونسطوريوس، والبحث فيهما ثم إصدار الحكم ضد التعاليم الخاطئة منهما وقبول التعاليم الصحيحة. فعليه كان من الواجب نظاما وعدالةً أن يجلس كل من أسقف الإسكندرية وأسقف القسطنطينية أمام هذا المجمع متَّهِمًا ومتهَمًا[1]، ويجيب الاثنان على الأسئلة التي تُوجه إليهما باحترام وخضوع تامين لسلطة المجمع، فيُعامل الطرفان على قدم المساواة إلى أن تظهر نقاوة تعاليم أحدهما فتقبل، أو تظهر هرطقة تعاليم الآخر فتُرفض. وهذا بطبيعة الحال لا يتم إلا تحت رئاسة شخص محايد، لا أن يترأس أحد طرفي النزاع. وإلا فالنتيجة معلومة سلفًا.

والثانية: أنه لكي تتم المناقشة الحرة والنزيهة للتعاليم المتصارعة يجب أن تكتمل الوفود أولا، أعني المؤيدة والمعارضة لكل من الطرفين فينظرون جميعا فيمن يصلح لرئاسة مثل هذا المجمع الخطير. ولكن الحاصل أن كيرلس سارع في إعلان افتتاح المجمع وفي تنصيب نفسه رئيسا له[2] قبل وصول الوفود جميعها، لا سيما المؤيدة لخصمه نسطوريوس[3].

---

(١) كما فعلوا في مجمع خلقيدونية المسكوني بين أسقف الإسكندرية بعد كيرلس: ديوسقوروس، وأسقف دوريلوس أو دوريلوم: يوسابيوس. راجع: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٧٦، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٥٣.

(٢) أما ما يقال بأن البابا قد رشّح كيرلس لرئاسة المجمع، فهو قول ترفضه الأكثرية من النصارى أنفسهم. انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٣٦.

(٣) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.)٢/ ٢٣٧-٢٣٨ بتصرف.

خامسا: وجدنا هنا برهانا على مدى التأثير الواسع للأباطرة على المجامع النصرانية وقراراتها، إلى حد أن الإمبراطور يطالب في خطابه الموجّه إلى الأساقفة في دعوتهم إلى المجمع بتقليل عدد المجتمعين ـ دون تحديد[١] ـ ورأينا أيضا كيف ألغى الإمبراطور قرار ما يسمى بالمجمع المقدس المنعقد في أفسس في ٢٢/ يونيو / ٤٣١م![٢].

سادسا: أن الجو الذي تم فيه عقد هذا المجمع لم يكن ملائما للمناقشة الحرة والنزيهة، الهادفة إلى التوصل إلى نتيجةٍ مقنعة للجميع. ونلمس ذلك من خلال النقاط الآتية:-

أ ـ عدم مثول نسطوريوس ـ المتّهم الرئيس ـ أمام المجمع، على الرغم من حضوره في مدينة أفسس قبل وصول أي وفد آخر قدم من خارجها[٣]. والسبب كما يقول هو نفسه فيما كتبه في آخر حياته: «لقد كوّن [كيرلس] محكمة، وكل ما كان يقوله قبِله الآخرون... كان هو المحكة... وجمع حوله كل الذين يعملون مسرّتَه[٤]، البعيدين والقريبين... ولقد دعاني كيرلس الذي أمر بافتتاح المجمع، استدعاني كيرلس الذي كان رئيسا لهذا المجمع. من هو القاضي؟ كيرلس. ومن هو موجِّه الاتهام؟ كيرلس، كان كيرلس الكل في الكل...»[٥].

---

(١) نفسه ٢/ ٢٣٠.

(٢) انظر ما تقدم في ص٧٧٩.

(٣) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢١٩، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٣١.

(٤) يقصد: الذين يفعلون ما يسرّه.

(٥) نقلا عن: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٣٦.

ب ـ قلة أنصار نسطوريوس وفكرته في هذا المجمع، حيث لا ننسى أن المجمع افتتح واختتم بدون حضور الوفد الأنطاكي ـ المؤيد الرئيس لنسطوريوس ـ وكذلك الوفد القسطنطيني المرافق لنسطوريوس أيضا لم يشارك فيه كما هو واضح من كلامه السالف الذكر.

ج ـ أن تعاليم نسطوريوس لم تُستوف في عرض فكرته على أعضاء المجمع، فقد اكتُفي بعرض ودراسة رسالته الجوابية التي رد فيها على كيرلس حين بعث هو أيضا بخطاب شديد اللهجة إلى نسطوريوس، وأما مواعظه الأخرى والتي جاء فيها شرح واف لتعاليمه وبيان شاف لوجاهتها فقد أُهملت ولم يتطرق النقاش إليها أصلا[(١)].

د ـ شهادة مندوب الإمبراطور في المجمع بعدم قانونيته[(٢)]، ومن ثم رفع الاحتجاج ضد قراره إلى الإمبراطور[(٣)].

سابعا: أن اختيار مدينة كأفسس لعقد مثل هذا المجمع الذي سينظر في قضية تمس شخصية مريم العذراء رضي الله عنها ليس له مبرر مقبول على الإطلاق.

وذلك لما عُرف عن أهل هذه المدينة من الغلو والإطراء الشديدين في مريم، حتى وصل ذلك في كثير من الأحيان إلى درجة العبادة، بل أطلقوا عليها إلى جانب

---

(١) راجع: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٩٨، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٠٥-٢٠٧، و٢٤١-٢٤٢.

(٢) أعني جلسة ٢٢/ يونيو، وإن كان في الحقيقة لا فرق بينها وبين الجلسات الأخرى للمجمع، لا من حيث القرار ولا من حيث مذهب الحاضرين.

(٣) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٣٥ و٢٤٥.

لقب والدة الإله، لقبا آخر هو: "شفيعة مدينة أفسس"[١]. ولكيلا يُظن أن هذه الدعوى مني مجرد تخمين أو مجازفة، أسوق فيما يلي بعض الشواهد في كيفية تعامل أهل هذه المدينة مع نسطوريوس ومؤيديه إبان فترة وجودهم فيها سواء قبل صدور قرار الحرمان أو بعده:

أ ـ كان استقبال أسقف المدينة: أمنون لنسطوريوس ووفده استقبالا سيئا وعدوانيا، بل قدّمهم للشعب في صورة أعداءٍ لوالدة إلههم[٢] ـ فيما يزعمون.

ب ـ كما أغلقت أبواب الكنائس في وجه نسطوريوس وأتباعه بأمر من أسقف المدينة، في حين كانت مفتوحة على مصارعها أمام أسقف الإسكندرية وأشياعه[٣].

ج ـ وكذلك مُنع نسطوريوس من إلقاء أي وعظ أو محاضرة في المدينة[٤].

د ـ أما شعب أفسس فقد اعتبروه وأتباعه أعداء مريم شفيعة مدينتهم، فاعتبروهم هراطقة، وعاملوهم معاملة الأعداء[٥].

هـ ـ بعد صدور حكم المجمع ضد نسطوريوس صرخ شعب أفسس قائلين: « إلى الهاوية نسطوريوس اليهودي... إن مريم أم الله انتصرت على نسطوريوس »[٦].

---

(١) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٣١.

(٢) نفسه ٢/ ٢٣١-٢٣٢ بتصرف.

(٣) نفسه ٢/ ٢٣١و٢٣٣-٢٣٤.

(٤) نفسه ٢/ ٢٣١.

(٥) نفسه ٢/ ٢٣٣-٢٣٤.

(٦) نفسه ٢/ ٢٣٥.

و ـ كما فرح هذا الشعب فرحا عظيما بالحكم الذي أصدره المجمع ضد عدو مريم وعدو الإيمان في نظرهم، ورافقوا كيرلس إلى مقر إقامته في موكب بالمشاعل والمباخر(١).

ثامنا: عدم تكافؤ عدد الوفدين المتنازعين. فكما رأينا، إن وفد الإسكندرية تكوّن من خمسين أسقفا، في حين لا يضم وفد القسطنطينية إلا ستة عشر أسقفا فقط.

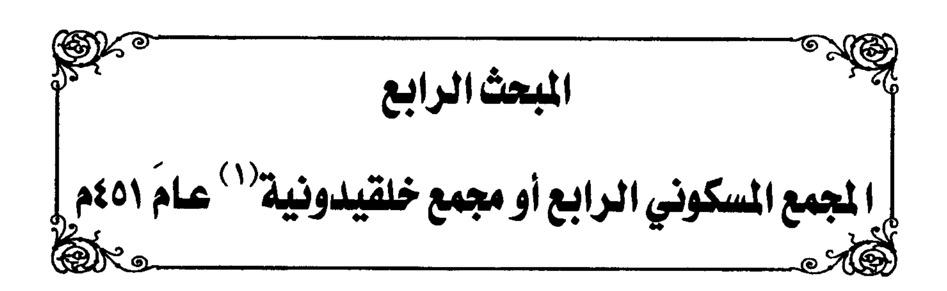
تاسعا: أن المجمع الذي دُعي إليه من أجل الوفاق وحل مشكلة الانقسام(٢) انتهى بتمزيق الكنيسة وتقسيمها على نطاق أوسع.

عاشرا: استمرار الطائفة النسطورية في الوجود على الرغم من كل المقاومة والمعارضة.

---

(١) نفسه ٢/ ٢٤٢، وجون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢١٩.

(٢) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٥٢.



المبحث الرابع

المجمع المسكوني الرابع أو مجمع خلقيدونية[(١)] عامَ ٤٥١م

المطلب الأول: افتتاح عام.

بعد حوالي عشرين سنة فقط مرت على انعقاد المجمع المسكوني الثالث بأفسس، تصدر دعوة أخرى من الإمبراطور الروماني الشرقي وقتذاك: مركيانوس[(٢)] في السابع عشر من شهر مايو (آيار) عام ٤٥١م إلى انعقاد مجمع مسكوني آخر في مدينة نيقية ابتداء من أول شهر سبتمبر (أيلول) من العام نفسه. إلا أن ظروف الحرب القائمة في ذلك الحين في هذا الجزء من الإمبراطورية، والتي ستحول دون حضور الإمبراطور نفسه ـ وقد وعدهم بالحضور سلفا ـ أدت إلى نقل مقر المجمع إلى خلقيدونية، كما سببت تأخير افتتاح أعمال المجمع حتى اليوم الثامن من شهر أكتوبر (تشرين الأول) عام ٤٥١م[(٣)]. وعلى الرغم من أن المجمع قد استمر لأقل من

---

(١) خلقيدونية: مدينة قديمة في بيثينيا بآسيا الصغرى، على بعد ميلين جنوبي أسكودار "Uskudar"، وهي الآن تعرف باسم مدينة كاديكوي "Kadikoy" في تركيا. الدائرة الأمريكية ٦/ ٢٥٧.

(٢) مركيانوس أو ماركيان: الإمبراطور الروماني (البيزنطي) من عام ٤٥٠ إلى ٤٥٧م. الدائرة البريطانية ٤/ ٥٢٠، وConcise Columbia Ency. P.123

(٣) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٧٥و٣٧٦و٤٠٠، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) =

شهر، قيل من ٨/ ١٠ إلى ١/ ١١ [(١)]، وقيل من ٨/ ١٠ إلى ٣١/ ١٠ [(٢)]، إلا أن جلساته فاقت جلسات المجامع السابقة عددا، حيث عقدت فيه ست عشرة جلسة[(٣)].

هذا المجمع يعتبر من أهم المجامع النصرانية التي عقدت على مر العصور، ـ إذا استثنينا مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية الأول ـ وذلك إذا نظرنا إليه من الزوايا الآتية:

أ ـ أنه يتعلق بصلب العقيدة النصرانية أو لبها، ألا وهو طبيعة المسيح عليه السلام.

ب ـ وأنه أساس انشقاق الكنيسة وانشطارها.

ج ـ وأنه أول مجمع مسكوني تكون الغلبة فيه لخصم المدرسة الإسكندرية.

المطلب الثاني: سبب انعقاد المجمع.

إن المجمع المسكوني الثالث وإن حكم بحرمان نسطوريوس ونفيه إلا أنه عاجز عن حسم الخلاف في مسألة اجتماع العنصر الإلهي والعنصر البشري (اللاهوت والناسوت) في المسيح عليه السلام [(٤)]، فكان هذا السبب العام لانعقاد هذا المجمع الرابع.

أما بالنسبة للأسباب المباشرة للدعوة إلى عقد المجمع، فيمكن حصرها في السببين الآتيين:-

---

=

٢/ ٢٥٠-٢٥١، وجون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢٢٦.

(١) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢٢٦.

(٢) انظر: علم اللاهوت النظامي ص١٧٦.

(٣) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤٠٢.

(٤) لأنه اجتماع معدوم أصلا.

الأول: للنظر فيما تم إقراره في مجمع عقد في مدينة أفسس أيضا في عام ٤٤٩م، برئاسة أسقف الإسكندرية: ديوسقورس، وهو المجموع المشهور بمجمع اللصوص[١].

وقصة هذا المجمع ـ مختصرةً ـ أن رئيس دير[٢] القسطنطينية، ويُدعى أوطيخا أو إفتيشيوس "Eutyches"، وكان من ألد أعداء نسطوريوس وفكرته، لم يكتف بما حدده المجمع المسكوني الثالث بأفسس ضد مذهب نسطوريوس، وإنما تطرف إلى القول بأن المسيح عليه السلام ـ بعد التجسد ـ مؤلّف من طبيعة واحدة فقط، وأن الطبيعة الإنسانية فيه تلاشت باتحادها مع الطبيعة الإلهية. وذلك فيما يبدو للرد على قول نسطوريوس: إن في المسيح طبيعتين، لاهوتية وإنسانية...الخ[٣]، إلا أن قوله هذا لم يرض به كثير من معاصريه.

ففي مجمع محلي لأساقفة القسطنطينية في نوفمبر عام ٤٤٨م تمت مناقشة رأي أوطيخا في طبيعة المسيح، وخلصوا إلى الحكم بقطعه من الشركة وحرمانه وتجريده عن منصبه في الكنيسة. فمن هنا بدأت المعركة، حيث إن أوطيخا رفض قرار

---

(١) يُذكر أن أول من أطلق عليه هذا الاسم: "مجمع اللصوص أو مجمع القراصنة" البابا ليون الأول، وذلك للدلالة على عدم قانونيته. انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢٢٥، وحنا جرجس الخضري (م.ن.)٣/ ٢٤١و٢٤٢.

(٢) الدير: قال في القاموس ص٥٠٦: الدير: خانُ النصارى، وجمعه أديار، وصاحبه ديّار، ويقال لمن رأس أصحابه: رأس الدير. والدير اصطلاحا: مكان خاص عند النصارى ينعزل فيه الرهبان والراهبات، وأول من أنشأ الأديرة: البوذيون والهندوس واليانيون. الموسوعة العالمية ١٠/ ٥٣٩.

(٣) انظر ما تقدم في ص٧٨٠-٧٨١.

المجمع، ثم بفضل ما يتمتع به من الشعبية الواسعة، وقربه من الإمبراطور وحاشيته، ونتيجة اتصالاته المكثّفة بسائر رؤساء الكنيسة خارج القسطنطينية، استطاع أن يسترد مكانه ومكانته بعد مرور عدة أشهر فقط. إذ انعقد مجمع آخر بأمر الإمبراطور في أغسطس (آب) ٤٤٩م في مدينة أفسس تحت رئاسة أسقف الإسكندرية، للنظر في قضية أوطيخا هذه. وانتهى المجمع بالحكم بإعادة أوطيخا إلى حظيرة الكنيسة وإرجاعه إلى منصبه السابق رئيسا لدير القسطنطينية، ثم الحكم على أسقف القسطنطينية ومسانديه في مجمع عام ٤٤٨م بمثل ما حكموا به على أوطيخا في ذلكم المجمع. وأهم من ذلك كله، إقرار المجمع عقيدة الطبيعة الواحدة للمسيح عليه السلام [(١)] كما نادى به أوطيخا سابقا. وقد وافق الإمبراطور على جميع قرارات هذا المجمع [(٢)].

فمنذ لحظة وصول أخبار ما جرى في المجمع إلى البابا في روما، بدأ يشنُّ حملة شرسة ضده وضد رئيسه: ديوسقورس، وأطلق على المجمع اسم "مجمع اللصوص"، وشرع في سعي حثيث لعقد مجمع آخر يلغي قرارات هذا المجمع كلها، إلا أنه لم يوفّق في سعيه هذا، إذ لم يكن الإمبراطور مقتنعا بفكرة الدعوة إلى مجمع آخر

---

(١) قيل إن قصد أسقف الإسكندرية بذلك أن المسيح عليه السلام لم تبق فيه بعد التجسد سوى طبيعة واحدة هي الإلهية، ولذلك كان يقول: "أوافق على عبارة: إن المسيح من طبيعتين [أي قبل التجسد]، ولا أقبل عبارة: توجد طبيعتان في المسيح" [يعني بعد التجسد]. انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٥٧. وليته اهتدى وقال بعكس هذا، أعني أن ليس في المسيح عليه السلام دائما وابداً سوى طبيعة واحدة وهي طبيعته البشرية التي فطره الله عليها.

(٢) راجع: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٧٤-٣٧٥، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٠٠-٢٤٠، وجون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢٢٣-٢٢٥.

على أمر مقضي ومفروغ منه كهذا، ولكن بعد وفاة هذا الإمبراطور (ثيودوسيوس الثاني)، ومجيئ آخر (مركيانوس)، تهيئت الفرصة لعقد المجمع الجديد[١].

الثاني: أن الإمبراطور وهو يدعو لعقد هذا المجمع لعلى علم تام بأن المشكلة العقدية فيما يتعلق بطبيعة المسيح أو حقيقته عليه السلام لم تُحل بعد، فكان غرضه الأساسي من الدعوة لعقده مناقشة هذه المشكلة، ثم تحديد صيغة متفق عليها لما يجب أن يؤمَن به في حقه عليه السلام، وتكون الصيغة هي المعتبرة دون سائر التعاليم والأفكار الأخرى الكثيرة المنتشرة في أنحاء الإمبراطورية[٢].

*ملحوظة: جاء في كتاب: علم اللاهوت النظامي[٣] أن سبب انعقاد المجمع دحض هرطقتي أوطيخا ونسطوريوس. وهذا عليه ملحوظة من ناحيتين.

الأولى: أنه إما أن يكون ذكر نسطوريوس هنا خطأً أو سبق قلم.

الثانية: أو يكون الكاتب قد تعمّد ذكره مع أوطيخا، متجاهلا ذكر المتّهم الرئيس[٤]، والذي من أجله ومن أجل تصرفاته في مجمع عام ٤٤٩م[٥] انعقد المجمع،

---

(١) راجع التفاصيل في: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٧٥، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٤٣-٢٤٥و٢٤٧، وجون لوريمر ٣/ ٢٢٥، وكذلك محاضرات أبي زهرة ص١٢٦، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٢٥٢.

(٢) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٧٠ و٣٧٨ و٤٠٠، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٤٩و٢٥٠و٢٥٩و٢٧٤و٢٧٨.

(٣) ص١٧٦.

(٤) راجع: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٦٤-٣٦٥و٣٧٦، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٥٣و٢٦٣، وجون لوريمر ٣/ ٢٢٦.

(٥) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٧٠.

ألا وهو رئيس أساقفة الإسكندرية: ديوسقورس، وهذا هو الأرجح عندي. علما بأن الكتاب المذكور قامت بتأليفه ونشره: دار الثقافة المسيحية للهيئة القبطية الإنجيلية!!!

المطلب الثالث: الحاضرون، عددهم، مذاهبهم وانتماءاتهم، ورئيس المجمع منهم.

أولا: عددهم:-

تضاربت الأقوال في ذلك واختلفت، وإليكم بعضا منها في ما يأتي:

- قيل إن عددهم ستمائة وثلاثون أسقفا، وبهذا قال أكثر الكتّاب والمؤرخين[١].
- وقيل بل حضره خمسمائة وعشرون أسقفا[٢].
- وقيل إن العدد يتراوح بين خمسمائة وستمائة[٣].
- وقيل إن عددهم يتراوح بين خمسمائة وعشرين وستمائة وثمانين[٤].
- وقيل إنما حضره ثلاثمائة وخمسون أسقفا فقط[٥].

ومن الصعب ترجيح قول على آخر في مثل هذا المقام، بل الذي يبدو أن هذه الأرقام المذكورة كلها أقرب إلى أن تكون أرقاما تقريبية منها إلى أن تكون

---

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٦٤و٤٠٠، وعلم اللاهوت النظامي ص١٧٦، حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٥٢.

(٢) انظر: محاضرات أبي زهرة ص١٢٦.

(٣) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢٢٦.

(٤) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٥٢.

(٥) حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٥٢.

حقيقية، والله تعالى أعلم.

ثانيا: مذاهب الحاضرين وانتماءاتهم :-

أما بالنسبة للمذاهب، فقد برز في المجمع مذهبان رئيسان هما:

أـ مذهب القول بوجود طبيعتين في المسيح، ويمثل هذا المذهب وفد روما، ويضم مندوبي البابا، ووفد وأساقفة كل من القسطنطينية وأنطاكيا، ومعظم الحاضرين.

ب ـ مذهب القول بوجود طبيعة واحدة فقط في المسيح، ويرفع رايته وفد وأسقف كل من الإسكندرية وأورشليم، لكن الوفد الأورشليمي تراجع عن القول قبل نهاية المجمع[1].

وأما عن الانتماءات، فيلاحظ أن أولئك الحاضرين يتوزعون على النحو الآتي:-

أـ إن الأغلبية الساحقة منهم ينتمون إلى الكنائس الشرقية.

ب ـ ومن الكنائس الغربية حضر أربعة فقط، هم وفد روما وممثلو البابا في المجمع.

ج ـ كما حضر ـ بالصدفة ـ شخصان ينتميان إلى كنائس إفريقية.

د ـ حضر نحو عشرين شخصا من العلمانيين[2]، ـ منهم قضاة وأشراف

---

(١) راجع: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٦٤، مع حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٥٢ و٢٥٦-٢٥٧.

(٢) العلماني نسبةٌ إلى العلمانية، وهي الفصل المطلق بين السياسة والدين، أو الدعوة إلى إقامة الحياة على غير أسس الدين. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٣٦٧، والموسوعة العالمية ١٦/ ٤٠٢ . أما المراد بالعلمانيين هنا فهم من ليسوا من رجال الدين أو علمائه.

ومسئولون من الدرجة الأولى في الدولة ـ جاءوا يمثِّلون الإمبراطور، وقد كُلّفوا بمهمة إدارة المجمع والقضاء فيه!

هـ ـ وحضر أيضا كل من الإمبراطور مركيانوس وزوجته الإمبراطورة بلشرية جلسة أو جلستين من جلسات المجمع[١].

ثالثا: رئيس المجمع:- لقد ترأس هذا المجمع أحد ممثلي البابا، وهو الأسقف باسشاسينوس "Paschasinus" بناءً على طلب من البابا نفسه، و سانده في رئاسته وإدارته بقية أعضاء الوفد الروماني، والوفد الإمبراطوري.[٢]

المطلب الرابع: أهم قرارات المجمع ونتائجها.

أولا: القرارات:- وهي تتلخص فيما يأتي:

أ ـ إلغاء جميع قرارات المجمع المسمى بمجمع اللصوص المنعقد عام ٤٤٩م، خاصة فيما يتعلق بالأشخاص الذين حكم عليهم فيه بالحرمان والخلع أمواتا[٣] كانوا أو أحياءً[٤].

---

(١) راجع: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٧٥ و٣٩٩ و٤٠٠و٤٠٢، وجون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢٢٦، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٥١-٢٥٣.

(٢) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٥٠ و٢٥٣.

(٣) كان أسقف القسطنطينية: فلابيانوس ممن توفوا قبل انعقاد هذا المجمع بعد أن حُكم عليه في مجمع عام ٤٤٩م. انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٦٥و٣٧٥، وجون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢٢٥و٢٢٧.

(٤) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٦٥ و٤٠١-٤٠٢، وجون لوريمر ٣/ ٢٢٧، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٧٥-٢٧٧.

ب - الحكم على كلٍّ من رئيس أساقفة الإسكندرية: ديوسقورس، ورئيس دير القسطنطينية:، أوطيخا[١] بالحرمان والتجريد من جميع مسئولياتهما الكنسية[٢].

ج - إقرار القول بوجود طبيعتين (إلهية وإنسانية) في المسيح عليه السلام، وإبطال القول بوجود طبيعة واحدة فقط فيه[٣].

وأذكّر هنا بأن نسطوريوس المحكوم عليه في المجمع المسكوني الثالث كان يقول أيضا بالطبيعتين لا الطبيعة الواحدة، فماالذي يفرّق بين قوله ورأي الكنيسة المجمعي بعد مرور عشرين سنة على حرمانه؟

يرى بعض الباحثين أن الفارق بين الرأيين أمران، أولهما أن نسطوريوس قال بطبيعتين متميزتين أو منفصلتين[٤]، بينما قرر المجمع أن في المسيح طبيعتين غير منفصلتين. والأمر الثاني أن المجمع قرر انبثاق الابن من الطبيعتين معا، في حين يرى نسطوريوس أن الابن مكوّن من الطبيعة البشرية أو العنصر الإنساني وحده[٥].

والحقيقة أن الفارقين المذكورين يرِد عليهما إشكال، لأن بعض الذين قرروا

---

(١) وحكم بدايةً على غيرهما أيضا مثل أسقف أورشليم وأسقف بيروت، إلا أنه تم العفو عن هؤلاء بعد إقرارهم بالخطأ. انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٥٨و٢٦١ و٢٦٥-٢٦٧.

(٢) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٦٤و٣٧٧و٣٩٢ و٤٠١، وجون لوريمر ٣/ ٢٢٧، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٦٥ و٢٧٠، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٢٥٢.

(٣) انظر: محاضرات أبي زهرة ص١٢٧، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٢٥٢، ومقارنة الأديان لإبراهيم خليل أحمد ص٢٨-٢٩، وانظر كذلك ما سيأتي إن شاء الله عند إيراد نص قانون الإيمان الخلقيدوني.

(٤) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ١٨٠.

(٥) انظر: محاضرات أبي زهرة ص١٢٧.

عقيدة نسطوريوس وأخذوا بها يرون أنه كذلك قد قال باتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح، وأن ما يُشم من أقواله من رائحة الانفصال بين الطبيعتين إنما يرجع إلى خوفه من الاندماجية الكاملة للطبيعتين وعدم التمييز بينهما على الإطلاق[(١)].

وكذلك القول بإنكار ألوهية المسيح أو الابن كما يدل عليه الفارق الثاني، لم يُسلّم بنسبته إلى نسطوريوس كثير من النصارى[(٢)].

لذا أرى ـ والعلم عند الله ـ أن القوم إنما رجعوا إلى العقيدة نفسها التي لعنوا صاحبها قبل خُمس قرن من الزمن حين التئم مجمعهم الثالث في أفسس عامَ ٤٣١م، وذلك لأمورٍ، منها:-

١ ـ أن هذا اعتقاد الوفد الإسكندري، فلذلك أصرّوا على التمسك بعقيدة الطبيعة الواحدة وإن قرر المجمع خلافها. وقد رُوي عن بعضهم تعليق ساخن عقب صدور قرار المجمع يقول فيه: «أي شيء أوضح من هذا؟ ها إن نسطور[أي نسطوريوس] أخذ بثأره، والأساقفة في خلقيدون [أي خلقيدونية] ومحرّضهم البابا ليو[(٣)] كانوا شلةً[(٤)] نسطوريين. أية كوميديا[(٥)] هذه! كانوا يحرّمون نسطور

---

(١) راجع: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ١٧٧و١٨٢ و١٩٣.

(٢) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ١٨٩-١٩٠.

(٣) ليو الأول، أو لاون ـ كما يذكر في بعض المراجع العربية: كان البابا الكاثوليكي من عام ٤٤٠م وحتى عام ٤٦١م. Hughes,Philip; (op.cit.) P.283

(٤) الشُّلة: النية أو النية في السفر، والأمر البعيد تطلبه. القاموس ١٣١٨.

(٥) كوميديا أو "Comedy" بالإنجليزية تعني: مسرحية هزلية أو حادثة مضحكة. انظر: المورد لمنير البعلبكي ص١٩٦.

ويقنّنون عقيدته»[(١)].

٢ ـ أن أعضاء هذا المجمع أنفسهم ظهر لهم هذا الأمر ـ على ما يبدو ـ، فلذلك تحيّروا في السبب الذي به يستحق أسقف الإسكندرية اللعن والإبعاد، هل لأنه قال بعقيدة الطبيعة الواحدة؟ أو لتصرفه ودوره في إدارة مجمع اللصوص؟ أو لغير ذلك. وقد قرروا أخيرا أنه إنما استحق اللعن فقط لسوء سلوكه وتصرفاته في المجمع المسمى مجمع اللصوص[(٢)]، أو لامتناعه عن الحضور في الجلسة الثالثة من جلسات المجمع، وهي الجلسة التي تم فيها الحكم عليه غيابيا بعد استدعائه للحضور ثلاث مرات[(٣)].

٣ ـ ما يُلاحَظ من الازدواجية في مواقف المؤيِّدين سواء لعقيدة الطبيعة الواحدة أو لعقيدة الطبيعتين، الأمر الذي يدل على مدى الحيرة والشك في ما هو أصح الأمرين عندهم. فقد كان الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني مؤيّدا ومساندا لنسطوريوس وقوله بالطبيعتين في المجمع المسكوني الثالث بأفسس عام٤٣١م[(٤)]، ولكنه في مجمع عام ٤٤٩م وبأفسس أيضا صار يؤيد القائلين بالطبيعة الواحدة ومقاوما للقائلين بالطبيعتين[(٥)]. وكذلك إن لم ننس أحداث مجمع عام ٤٣١م، فإن

---

(١) Louis, Duchesne; The Early History of the Church,Vol.III P.310، نقلا عن: جون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢٢٨.

(٢) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٧٠.

(٣) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٩٢.

(٤) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٢/ ٢٢٨.

(٥) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢٢٥.

البابا سيليستينوس[1] كان في صف واحد مع كيرلس أسقف الإسكندرية في حملته ضد نسطوريوس والقول بالطبيعتين، وأما الآن وبعد مرور عشرين سنةً، ها هو البابا الجديد (ليو الأول) يقف مع خصوم أسقف الإسكندرية وضد مذهب الطبيعة الواحدة الإسكندري!

كما يؤكّد هذا الشك وتلكم الحيرة ما ورد في قانون الإيمان المتفق عليه في هذا المجمع ـ وسيأتي قريبا ـ أن الطبيعتين في المسيح غير مختلطتين ولا متغيرتين ولا منفصلتين ولا منقسمتين! فما أشبه هذا بكسب الأشعري[2] وطفرة النظّام[3]

---

(١) سيليستينوس الأول: كان البابا لكنيسة روما الكاثوليكية من عام ٤٢٢م وحتى علم ٤٣٢م. انظر: Hughes,Philip; (op.cit.) P. 283.

(٢) الأشعري هو: أبو الحسن علي بن إسماعيل، ولد سنة ٢٦٠هـ وقيل ٢٧٠هـ كان عجبا في الذكاء وقوة الفهم، أخذ عن أبي علي الجبائي وزكريا الساجي، ولما برع في معرفة الاعتزال كرهه وتبرأ منه، مات ببغداد سنة ٣٢٤هـ. تأريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١/ ٣٤٦-٣٤٧، وسير أعلام النبلاء للذهبي١٥/ ٨٥-٨٦، وأما الكسب عنده فالمراد به: قول عامة الأشاعرة في مسألة القدر وخلق أفعال العباد، وهو أن للعبد قدرة ـ بخلاف قول الجبرية ـ لكنها قدرة لا تأثير لها. فبذلك جعلوا مباشرة العبد الفعلَ مجرد الكسب منه أي مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون منه تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلا له!!! راجع: المواقف في علم الكلام لعضد الدين الإيجي ص٣١١-٣١٦، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لشمس الدين ابن قيم الجوزية، تحرير: الحساني حسن عبد الله ص١١٠، والبيهقي وموقفه من الإلهيات للأستاذ الدكتور أحمد عطية الغامدي ص٣٢٣-٣٢٩، وجميل صليبا (م.ن.) ٢/ ٢٢٩.

(٣) النظام هو: إبراهيم بن سيار أبو إسحاق النظّام، شيخ المعتزلة وأحد فرسان أهل النظر، وله شعر دقيق المعاني على طريقة المتكلمين. من تصانيفه: كتاب "الطفرة" والجواهر والأعراض. مات سنة بضع وعشرين ومائتين بعد الهجرة. الخطيب البغدادي (م.ن.) ٦/ ٩٧، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/ ٥٤١-٥٤٢، وأما الطفرة عنده فالمقصود به: دعواه أن الجسم قد يكون في المكان الأول ثم =

وغيرهما من المحالات!

٤ ـ أن هؤلاء المجتمعين في خلقيدونية اختلفوا أثناء وضعهم للقانون الإيماني الجديد، لأن كاتب القانون استعمل عبارة "كان المسيح مكوّنا من طبيعتين"، وهي عين العبارة التي رضي بها ديسقوروس الملعون المخلوع، وإنما رفض أن يقال: "توجد في المسيح طبيعتان". ولما كانت العبارة الأخيرة هذه قد جاءت من البابا وبإصرار من الوفد الروماني بوجوب قبولها وإلا انسحبوا، وافق المجمع عليها وترك العبارة الأولى التي نالت تأييد الأغلبية![1]، فكأن الحق عندهم يعرف بالرجال، والصواب أن يُعرف الرجال بالحق لا العكس. وفي هذا يقول القس المعاصر: حنا جرجس الخضري: «من الغريب العجيب أن مجمع خلقيدونية حكم بحرمان تعاليم نسطوريوس الازدواجية التي قبلها المجمع نفسه»[2]!

د ـ صياغة قانون إيمان جديد فيما يخص شخصية المسيح (الابن) وطبيعته، وهذا نصه:- «إننا نتبع الآباء الإلهيين ونضم إليهم أصواتنا باتفاق معلِنين ومعلِّمين أننا نعترف بالابن أو الرب يسوع المسيح هو نفسه كاملا في اللاهوت وكاملا في الناسوت، **هو إله حق وإنسان حق** مؤلَّف من نفس وجسد، وهو واحد في الوقت

=

يصير منه إلى المكان العاشر من غير أن يمر بالأماكن المتوسطة بينه وبين العاشر، ومن غير أن يكون معدوما في الأول ومعادا في العاشر!!! انظر: الفرق بين الفِرق لعبد القاهر البغدادي ص١٢٤، وأبو الفتح محمد الشهرستاني (م.ن.) ١/ ٥٥-٥٦، والمعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها لعوّاد بن عبد الله المعتق ص٥٩.

(١) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٦٩-٢٧١.

(٢) نفسه ٣/ ٢٨٣.

نفسه من جوهر كجوهر الآب من جهة لاهوته، ومن طبيعة كطبيعتنا من جهة ناسوته، مثلنا في كل شيء ما عدا الخطيئة، وهو وإن يكن قد وُلد من الآب قبل الدهور باللاهوت، ولد في الأيام الأخيرة بالناسوت من العذراء مريم والدة الإله[١] لأجلنا ولأجل خلاصنا. إنه واحد هو نفسه المسيح، والابن، والرب الوحيد المولود بطبيعتين بلا اختلاط، ولاتحوّل، ولا انقسام، ولا انفصال. ولم يتغير بالاتحاد، أي اختلاف بين الطبيعتين، ولم ينزع أو يُلغ بل بالعكس إن خواص كلٍّ من طبيعتي المسيح الواحد حُفظت سالمةً. والطبيعتان لم تنقسما أو تنفصلا إلى شخصين بل بالعكس كان منهما شخص واحد (أقنوم واحد) هو نفسه الابن الوحيد الله الكلمة الرب يسوع المسيح كما تنبأ عنه الأنبياء قديما بالتمام، وكما علّمنا بوضوح هو نفسه، أي الرب يسوع المسيح. وكما تسلّمنا التعليم عنه في دستور الإيمان دستور الآباء»[٢].

هذا، ويذكرون بعض القصص الخرافية ذات العلاقة بهذا القانون، ومن ذلك أنه لما اختلف الفريقان في المجمع حول مسألة الطبيعة هذه، اتفقا على أن يكتب كل فريق ما يؤمن به ويعتقده في ورقة خاصة، ثم وُضعت الورقتان في الصندوق الذي فيه جثة القديسة ـ يزعمون ـ أوفيمية[٣] وانصرف الفريقان، ثم بعد ثلاثة أيام فتح

---

(١) تعالى الله عما يقول الظالمون وتقدّس.

(٢) حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٦٥ ـ والنص منها ـ، وعلم اللاهوت النظامي ص١٧٦-١٧٧، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٧٢-٢٧٣، وجون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢٢٨-٢٢٩.

(٣) أي التي تحمل اسمَها الكنيسةُ التي جُعلت مقرا للمجمع في خلقيدونية. انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤٠٠.

الصندوق فوُجدت الورقة التي فيها هذا القانون الآنف الذكر في يد أوفيمية اليمنى، وأما الورقة الأخرى فقد وُجدت عند رجليها![١].

قلت: أما بقي عند مختلق هذه الفرية قليل من الخجل والحياء!؟ أم كيف يُعقل أن قانون إيمان بالله ﷻ لا يقوم بوضعه بشر فحسب، بل وتتوقف معرفة صلاحيته على إشارات الأموات أو إيماءات الميْتات!!!

هـ ـ وضع هذا المجمع ثلاثين قانونا، كان أكثرها إثارة للنزاع القانون الثامن والعشرون الذي يكرر رفع رتبة الكنيسة القسطنطينية وأسقفها ليكونا بعد الكنيسة الرومانية والبابا في الدرجة[٢].

ومما يُلفت النظر ويدعو للعجب، ما صرحوا به في رسالة المجمع إلى البابا عقب هذا المجمع، حيث جاء فيها بكل صراحة وبساطة: «لأن الكرسي القسطنطيني الغيور في جميع الأمور المقدسة والمتفق دائما معكم، **يجب أن يأخذ أجرته**»[٣]!! إذًا، فالمسألةُ مسألةُ عوضٍ ومصلحة ومكافأة.

وأما سائر قوانين هذا المجمع فلا تختلف كثيرا عن قوانين المجامع السابقة، فكلها تقريبا في التنظيمات الإدارية والاجتماعية والأخلاقية للكنيسة وشعبها، وتحديد الاختصاصات والواجبات الكنسية والمدنية لبعض الأساقفة والأبرشيات[٤].

---

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤٠٢.

(٢) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤٣٠-٤٣١.

(٣) نفسه ص٤٠٤.

(٤) راجع هذه القوانين في: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤٠٦-٤٣٩.

ثانيا :- نتائج قرارِ المجمع وجودَ طبيعتين في المسيح، والحكمِ على رئيس أساقفة الإسكندرية بالحرمان

رفض أعضاء الوفد الإسكندري رفضا قاطعا الموافقة أو التوقيع على قرار عقيدة الطبيعتين، و على قرار الحكم على رئيسهم ديوسقورس. وتلا هذا انسلاخ كنيسة الإسكندرية وتوابعها من الكنائس الحبشية[١] والأرمينية[٢] وغيرها، من الكنيسة الأم، وأصبحت تعرف بالكنائس اللاخلقيدونية[٣]، ويطلق على الكنيسة المصرية (الإسكندرية) خاصة: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وقد ظلت محافظة على عقيدة الطبيعة الواحدة التي راح زعيمها ضحيتها، وتُوالي عليها وتعادي إلى يومنا هذا[٤].

المطلب الخامس: أهم الملحوظات على أحداث المجمع.

أولا: عدم اعتراف كنيسة الإسكندرية بقرار المجمع ولا حتى بالمجمع نفسه من حيث هو[٥] بعد صدور القرار بلعن رئيسها وبتأييد المذهب المخالف لمذهبها الوحدوي، أعني القول بوحدة الطبيعة في المسيح عليه السلام.

---

(١) الحبشة: أي أثيوبيا حاليا.

(٢) أرمينيا القديمة: تمثلها في الوقت الراهن دولة أرمينيا الحالية (في إقليم جبال القوقاز) ومعظم ما يعرف الآن بشرقي تركيا. الموسوعة العالمية ١/ ٥١٧-٥١٨.

(٣) أي التي لا تعترف بقرار مجمع خلقيدونية المسكوني في طبيعة المسيح عليه السلام.

(٤) راجع: جون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢٢٩و٢٣٠و٢٣٣و٢٣٦و٢٣٩، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٦٧-٢٦٨ و٢٧٨-٢٧٩، ومحاضرات أبي زهرة ص١٢٨ و١٢٩-١٣٠، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٢٥٢، ومقارنة الأديان لإبراهيم خليل أحمد ص٢٨-٢٩.

(٥) انظر: محاضرات أبي زهرة ص١٣١، ومحمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٨٦.

والغريب أنهم بهذا يأبون الشرب من الكأس نفسها التي سقوْا بها غيرهم طوال قرن وربع قرنٍ آخر من الزمن (من ٣٢٥م إلى ٤٥١م) مرارةَ الحرمان والخلع والإسقاط، حيث كان الحكم دائما في صالح الإسكندريين وحلفائهم في جميع المجامع المسكونية السابقة. ويُذكّرني حالهم هذا بمثل مشهور عند اليورباويين[١] وهو أن: "أي سفاك للدماء لا يرضى أبدا حتى بمجرد مرور السيف في ناحيته".

ثانيا: من الملاحظ أن الحكم في المجامع ـ على الأقل التي تقدمت دراستها ـ يكون دائما في صالح الفريق الذي يكون منه رئيس المجمع، مهما بدت وجهة نظر الفريق الآخر ذات وجاهة وسداد.

ثالثا: أن الدارس لأحداث هذا المجمع وظروفه المتعددة يُدرك أن للإمبراطور وللسلطة الإمبراطورية سيطرة محكمة عليه، ومن ثَمَّ على ما انتهى إليها من القرارات. ويتجلى هذا من خلال النقاط المذكورة أدناه:

أ ـ عندما طرق مسامعَ الأساقفة الحاضرين طلبُ الإمبراطور وضعَ قانون إيمان جديد، ثاروا وهاجوا ورفضوا هذا الطلب، محتجين بالمنع الوارد في القانون السابع من قوانين المجمع المسكوني الثالث كما تقدم. لكنهم بعد ما بلغهم إصرار الإمبراطور وإلحاحه على الطلب ضربوا بهذا القانون عرض الحائط فوضعوا قانونا جديدا للإيمان[٢]، هو ما تقدم نصه قريباً.

---

(١) اليورباويون: من شعوب غرب أفريقيا، ومعظمهم في نيجيريا، وبنين، وشمال توجو، ولغتهم هي اليوربا. الموسوعة العالمية ٢٧/ ٣٥٥.

(٢) راجع: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٧٨-٣٧٩، و٣٩٣و٤٠١، وحنا جرجس الخضري (م.ن.)٣/ ٢٥٩-٢٦٠و٢٦٦، و٢٦٩-٢٧٤، و٢٧٨-٢٧٩.

ب ـ الإمبراطور نفسه يأمر برفع الرتبة الكنسية للمدينة التي انعقد فيها المجمع وهي خلقيدونية، إلى "المطرانية"[١] اسما فقط. وذلك دون أي مناقشة أو استشارة أحد من الأساقفة المجتمعين[٢].

ج ـ تعيين علمانيين من قِبل الإمبراطور وعددهم نحو عشرين يعملون قضاةً ومديري جلسات هذا المجمع كما سبق ذكره، يكشف عن عمق تدخل السلاطين في تخطيط ورسم سياسة الكنيسة ومجامعها.

رابعا: في الجلسة الثالثة التي حُكم فيها على أسقف الإسكندرية بالخلع، لم يحضر هؤلاء القضاة العشرون أو مندوبو الإمبراطور في المجمع[٣]، ويعللون ذلك بأن هؤلاء لم يحضروا إما لكونهم علمانيين ولا يحسن أن يحكم علماني بخلع أسقف، أو أنهم تغيبوا لكي يتركوا للسلطة الكنسية الحرية الكاملة دون ضغط أو تدخل من جانبهم![٤].

وأيا كان منهما، فإن التعليلين عليلان، إذ لو كان كما ذُكر أنه لا يحسن حكم العلماني بخلع أسقف، أليس أكبر من ذلك وأقبح أن يحكم العلماني بإقرار صيغة إيمان بالله ﷻ؟ وإذا كان قصدهم عدم التدخل في السلطة الكنسية، أَوَيكون ذلك في هذه الجلسة فقط!؟ فَلِمَ التدخل في بقية جلسات المجمع البالغ عددها خمس عشرة جلسة؟!

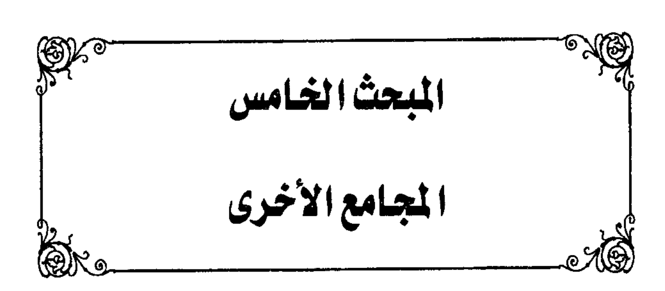
---

(١) انظر تعريف "مطران" في ص٧٨٥.

(٢) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٩٩، وحنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٧٥.

(٣) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٩٢.

(٤) انظر: حنا جرجس الخضري (م.ن.) ٣/ ٢٦٢.



المبحث الخامس
المجامع الأخرى

توطئة: في بيان سبب الإجمال والاختصار في دراسة المجامع غير المجامع المسكونية الأربعة الأُول.

وذلك يرجع إلى أمرين، أولهما أن تلكم المجامع الأربعة هي التي قررت أهم العقائد النصرانية المعاصرة، كألوهية المسيح وبنوته لله ـ والعياذ بالله تعالى ـ وألوهية الروح القدس، وولادة العذراء لإلهٍ ـ تعالى الله وتقدس ـ واجتماع الطبيعتين الإلهية والإنسانية (اللاهوت والناسوت) في المسيح ـ والعياذ بالله ـ. وأما المجامع التي بعدها فقد كانت عالةً عليها.

والأمر الثاني: أن الكنيسة انشقت واختلفت على إثر ما حصل في المجمع الرابع ـ كما رأينا ـ فلذلك لا تكون جميع الأفكار والآراء والمذاهب ممثَّلةً في المجامع التي بعده، كما أن هذه المجامع معرّضة لدى البعض لعدم الاعتراف بها أو قبول قراراتها كما لا يخفى[1].

---

(١) انظر: محاضرات أبي زهرة ص١٣١، وجون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢٤٤ بتصرف.

فلنشرع الآن في دراسة أهم ما تبقّى من المجامع مسكونيةً كانت أو مكانية، وذلك بضابط أهمية المسائل المطروحة أو القرارات المتخَذة في كلّ، وبالله تعالى التوفيق.

المطلب الأول: مجمع الصوَر أو مجمع تحريم اتّخاذ الصور، عامَ ٧٥٤م.

لقد مرت ظاهرة عبادة صور الشخصيات التأريخية الكنسية بعدة مراحل، بدءًا بما ترسّخ منذ عهد آباء الكنيسة أمثال أوريجانوس ويوحنا ذهبي الفم وغيرهما، حيث جعلوا لها من الصفات الإلهية الشيء الكثير. فهذه الشخصيات أو من يسمونهم بالقديسين والشهداء، يُعتقد أنهم الحرّاس على المدن، والمعضدون للتجارة، والشّافون للأمراض، فهم في كل مكان حاضرون، ولكل سائل مجيبون[(١)]، والعياذ بالله من الإشراك به ﷻ. ثم انتقلت بعد ذلك إلى عبادة - ويسمونها إكراما - صور هؤلاء الأشخاص وتماثيلهم، وتعليقها على الحيطان والجدران في أماكن العبادات والابتهالات.....

فلما تبوّأ الإمبراطور قسطنطين الخامس[(٢)] عرشَ الإمبراطورية الشرقية في عام ٧٤١م، شرع هو وأسقف القسطنطينية، مقر الإمبراطورية، في شن حملة وهجوم شديدين ضد عبادة الصور والتماثيل، كما فعل قبله والده: الإمبراطور لاون الثالث[(٣)].

---

(١) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٣/ ٢٥٥.

(٢) قسطنطين الخامس: إمبراطور الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) من عام ٧٤١م وحتى عام ٧٧٥م. الدائرة البريطانية ٤/ ٥٢٠، وConcise Columbia Encyclopedia P.123.

(٣) لاون أو ليو الثالث: تولى حكم الإمبراطورية من عام ٧١٧م حتى عام ٧٤٠م. الدائرة البريطانية =

ومما يُذكر أنه (لاون) وُلد في إحدى مناطق سوريا حيث تأثر بالمفاهيم الإسلامية الداعية إلى إخلاص العبادة لله وتنزيهه تعالى عن الشركاء[١].

ففي عام ٧٥٤م دعا الإمبراطورقسطنطين الخامس لعقد مجمع في مدينة هيرية "Hieria"[٢]، وفيه حكم الأساقفة المجتمعون البالغ عددهم ثمانية وثلاثين وثلاثمائة أسقفٍ بتحريم نصب التماثيل والصور سواء أكانت للمسيح أو للعذراء أو لغيرهما في أماكن العبادة[٣]، أو صرف شيء من العبادة لها في أي مكان من باب أولى. بل رُوي أن الإمبراطور نفسه أخذ تعهدا على سكان العاصمة ألا يسجدوا بعد ذلك للتماثيل[٤] أو ما يسمونها بالأيقونات[٥]، كما حارب هو وأعوانه نظام الرهبنة المبتدَع بشدة[٦].

أما بالنسبة لموقف الكنيسة وعامة النصارى من هذا المجمع وقراره، فقد كان موقف معارضة وعناد، بل سعوْا لإلغاء قراره بعقد مجمع مسكوني في مدينة نيقية كما سيأتي قريبا إن شاء الله.

=

٤/ ٥٢٠، وConcise Col. Ency. P123.

(١) انظر: إلياس كويتر المخلصي (م.ن.) ١/ ٤٠٩.

(٢) هيرية أو هيرابوليس: مدينة قديمة في سوريا، وهي الآن خراب، حوالي خمسين ميلا شمال أليبو في مقاطعة أليبو السورية. الدائرة البريطانية ١١/ ٤٧٦.

(٣) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٧٩٠-٧٩٣و٧٩٦، وإلياس المخلصي (م.ن.) ١/ ٤٠٩، ومحاضرات أبي زهرة ص١٣٣.

(٤) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٧٩٧.

(٥) الأيقونة في المفهوم النصراني: هي "صورة تمثّل شخصا مقدسا تبرز فيه نفسيته. ولا تُعدُّ الصورة أيقونة ما لم تُرسم على الخشب". إلياس المخلصي (م.ن.) ١/ ٤٠٨.

(٦) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٧٩٧-٧٩٨، وإلياس المخلصي (م.ن.) ١/ ٤٠٩.

وقبل ذلك أظهروا عدم رضاهم أو موافقتهم لما جرى في هذا المجمع وقراره بشتى الوسائل والأساليب، ومنها تشهيرهم بالمجمع بأنه مجمع باطل[١]، كما لقبوا الإمبراطور الذي دعا لانعقاده بلقب قبيح هو: "الزبلي"[٢].

ومن الجدير بالملاحظة عن هذا المجمع وأحداثه مدى صلة الدين الإسلامي بإصلاح النصرانية وتوجيهها الوجهة الصحيحة، فكما رأينا أن الإمبراطور لاون أو ليو الثالث ـ بإقرار من النصارى أنفسهم ـ إنما قام بمحاربة عبادة الصور والتماثيل نتيجة تأثره بالتعاليم الإسلامية الصحيحة في ذلك، فهل للنصارى المعاصرين أن يفيقوا ويتّبعوا الحق حيث ما وجدوه، فإنه ضالة الكل وأحق أن يُتّبع، والله المستعان.

المطلب الثاني: المجمع المسكوني السابع في نيقية عامَ ٧٨٧م.

عندما جاءت الإمبراطورة إيريني[٣] إلى السلطة في الإمبراطورية الرومانية، وكانت (إيريني) من مشجعي عبادة الصور والأيقونات، دعت إلى عقد مجمع مسكوني كي تتمكن من رفع أو إلغاء الحكم الصادر بشأن الصور والتماثيل في مجمع عام٧٥٤م[٤].

---

(١) انظر تسمية هذا المجمع بمجمع باطل لأكثر من مرة في: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٧٩٠ و٧٩٦.

(٢) الزِّبْل: السرجين أو السرقين، والمزبلة: ملقاه وموضعه. انظر: القاموس ص١٣٠٣ و١٥٥٥.

(٣) أيريني "Irene": زوجة الإمبراطور ليو الرابع. وبعد وفاة زوجها في سنة ٧٨٠م أصبحت وليَ أمر ولديها: الإمبراطور قسطنطين السادس البالغ من العمر آنذاك عشر سنوات فقط، وشريكته في إدارة الإمبراطورية. توفيت عامَ ٨٠٣م. الدائرة البريطانية ١٢/ ٥٨٧.

(٤) انظر: إلياس المخلصي (م.ن.) ١/ ٤٠٩.

وقد بدأ هذا المجمع أعماله بحضور خمسين وثلاثمائة أسقفا في مدينة القسطنطينية، وعقد جلسته الأولى الافتتاحية فيها وذلك قبل نهاية عام ٧٨٦م، ثم انتقل[١] المجمع منها إلى مدينة نيقية في مايو (آيار) عام ٧٨٧م، حيث عقد ثماني جلسات عملٍ خلال شهر واحد فقط، انتهت إلى إلغاء قرارات مجمع عام ٧٥٤م ـ أي مجمع تحريم اتّخاذ الصور ـ وقرروا عبادة ـ وسموها تكريم أو تقديس (ظلما وبهتانا) ـ صور وتماثيل المسيح وأمه مريم عليهما السلام، وجميع القديسين. وذلك بإحناء الرأس لها وتقبيلها وإضاءة الشموع أمامها وحرق البخور بل وحتى السجود لها![٢]. كما جاء ذلك في إعلان المجمع أو ما نسميه في الأسلوب الحديث بالبيان الختامي له، فقد قالوا فيه: «...نحدد بكل جزم وتدقيق أنه كما يُرفع الصليب الكريم المحيي، هكذا يجب أن تعلَّق الصور الموقرة المقدسة المصبوغة بالدهان... أو من مواد أخرى في كنائس الله المقدسة، وأن توضع على الأواني المكرسة والحلل الكهنوتية، وأن تُرفع وتعلّق في المنازل وفي الطرق، ونعني بذلك صورة ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، وصورة سيّدتنا الكلية الطهارة والدة الإله، وصور الملائكة[٣] المكرمين،

---

(١) يُذكر أن سبب الانتقال: هو لتجنب الاضطرابات والاحتجاجات التي كان يقوم بها المعارضون في القسطنطينية. انظر: إلياس المخلصي (م.ن.) ١/ ٤٠٩.

(٢) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٧٦٦ و٨٠١، وإلياس المخلصي (م.ن.) ١/ ٤٠٩-٤١٠.

(٣) واعجباه!!! فمن أين لهم معرفة الملائكة حتى يضعوا لهم صورا؟ كما أود التنبيه هنا إلى ما انتشر لدى كثير من المسلمين اليوم من تعليق صورٍ لبعض مشايخهم أو لبعض الملائكة أو الأنبياء ـ فيما يزعمون ـ. والأغرب من هذا أن بعضهم ـ لاسيما من المتصوفة ـ يجعلون هذه الصور في جهة القبلة ويصلون إلى جهتها! فهذا كله من البدع والضلالات، وربما كان شركا بالله ﷻ في بعض الحالات، والعياذ بالله تعالى من أن يكون فينا شبه من الأمة الغضبية أو الضّالة.

وصور كل القديسين، وكل الأشخاص الأتقياء...، ويجب أن يقدَّم لهذه الصور الإكرام وسجود الاحترام دون العبادة [!!!] المختصة بالطبيعة الإلهية دون سواها»[١].

وإن كان لا بد من تعليق على هذا فهو أن نقول: ألا يُريح القوم أنفسهم من دعوى المحالات ومحاولة الجمع بين النقيضات، يقولون بإحناء الرأس وبالسجود وإضاءة الشموع لهذه التماثيل والصور، ثم يقولون لا نعبدها، فأي تلاعب بالعقول هذا، وأي تنكر للحقائق ذاك؟!

بل ورد في القانون السابع من مجموعة قوانين هذا المجمع ـ وعددها اثنان وعشرون قانونا ـ وجوب وضع بقايا من سموهم بالقدّيسين والشهداء (من آباء الكنيسة المتوفين) أو جثثهم في الكنائس أثناء تشييدها[٢] أو تدشينها[٣]، وأن أي أسقف يدشن كنيسة بدون جثث أوبقايا هؤلاء الآباء يجب عزله لمخالفته تقاليد الكنيسة[٤].

أما قرار المجمع اتخاذَ الصور والتماثيل والسجود لها...الخ من حيث هو، إنما هو مجرد موافقة هوى النفس، وإلا فإنه يوجد في العهد القديم من كتابهم المقدس

---

(١) حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٨٠١.

(٢) التشييد: يقال شاد الحائطَ يشيده أي طلاه بالشيد: وهو ما طُلي به حائط من جص أو طين ونحوهما. انظر: القاموس ص٣٧٣ بتصرف.

(٣) التدشين: هو افتتاح شيء جديد كالمبنى مثلا، قال في القاموس: "الدّاشن: معرَّب الدّشن، يعنون به الثوب الجديد لم يُلبس، والدار الجديدة لم تُسكن". القاموس ص١٥٤٣.

(٤) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٨١٦.

نص صريح يعارض هذا الإجراء بشدة، ألا وهو قوله: «ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا... لا تصنع لك تمثالا منحوتا، ولا صورة ما، مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور...»[(١)].

لذا فإن طائفة البروتستانت من النصارى ترى أن قرار هذا المجمع بخصوص اتخاذ الصور والتماثيل والسجود لها... قرار باطل[(٢)].

ولقد كنت أعجب من قول بعض قدماء النصارى:[(٣)] إن شريعة منع اتخاذ الصور والتماثيل الواردة في العهد القديم خاصة باليهود دون النصارى الذين أعطُوا ـ حسب كلامه ـ نعمة الإيمان ونعمة الاتصال بالله[(٤)]. لكن العجب زال والدهشة تلاشت إثر ما تبين لي أخيرا من أن النصارى دُرِّبوا ولقنوا أن يلجأوا إلى هذه الحجة الواهية كلما وجدوا أنفسهم في مأزق أو معضلة كهذه. ولأبرهن على ما أقول ـ مثالا فقط لا حصرا ـ أشير إلى مناظرة جرت في الولايات المتحدة الأمريكية[(٥)]. فبعد

---

(١) الخروج ٢٠/ ١-٥.

(٢) راجع: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٧٦٢-٧٦٤.

(٣) أعني: يوحنا الدمشقي: ولد في أواخر القرن السابع للميلاد في دمشق وكان اسمه العربي: المنصور. كان والده قد ولي وظيفة من وظائف الدولة في عهد خلفاء بني أمية في دمشق، ثم خلفه ابنه يوحنا في تلك الوظيفة. حُكم عليه بالحرمان في مجمع منع اتخاذ الصور في عام ٧٥٤م. انظر: تأريخ المسيحية لحبيب سعيد ١/ ٢١٥، وتأريخ المسيحية لجاد المنفلوطي ٢/ ٥٤، وإلياس المخلصي (م.ن.) ١/ ٤٠٩.

(٤) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٧٧١.

(٥) في مدينة لورينس بولاية كانساس "Kansas".

هجوم عنيف من الطرف النصراني: د/ أنيس شروش، على الإسلام ونبيه: محمد بن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه، في مسألة مكانة المرأة وحقوقها في الإسلام، قدّم له الطرف المسلم في المناقشة: د/ جميل البدوي ـ حفظه الله ـ قائمة نصوص من العهد القديم والعهد الجديد فيها إهانة بالغة للمرأة وإهدار لحقوقها[1]. ولم يجد الطرف النصراني أيَ مناص إلا القول بأن ما جاء في العهد القديم من هذه النصوص إنما هو خاص باليهود دون النصارى[2]!! علما بأنه ـ أعني القس د/ أنيس شروش ـ نفسه وفي المناظرة ذاتها، وغيره من القساوسة يحتجون بالعهد القديم عينه في مسائل عدّة، لا سيما النصوص الدالة على نبوة نبينا محمد ﷺ فيه فيؤولونها على أنها إنما جاءت في إثبات مجيئ المسيح عليه السلام.

المطلب الثالث: مجمع القسطنطينية عام ٨٦٩م، وتعتبره الكنيسة الغربية حتى اليوم المجمع المسكوني الثامن[3].

انعقد هذا المجمع لا للنظر في المسائل المتعلقة بالابن هذه المرة، وإنما بالروح القدس، الأقنوم الثالث من أقانيمهم. فقد كان أسقف القسطنطينية حينذاك ينادي بأن الروح القدس منبثق من الآب فقط ـ وقوفا عند ما ورد في قانون الإيمان النيقوي

(١) وهذه النصوص في: تكوين ٣/ ١٢ و١٥-١٦، و٦/ ١-٤، واللاويين ١٢/ ١-٧، و١٥/ ١٩-٣٠، و١ـ كورنثوس ١١/ ٣و٥-٦ و١٤/ ٣٤-٣٥، وأفسس ٥/ ٢٢-٢٤، و١ـ تيموثاوس ٢/ ١١-١٤.

(٢) هذه المناظرة مسجلة على أشرطة الفيديو ومتوفرة، قام بنشرها كل من: مؤسسة قرطبة للانتاج الفني، وفيديو الانطلاق، وكلاهما في الرياض بالمملكة العربية السعودية.

(٣) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٧٦٥.

بعد تعديله في مجمع القسطنطينية الأول عامَ٣٨١م ـ ورفض مذهبَ الكنيسة الغربية بما فيها كرسي روما البابوي القائل بأن الروح القدس إنما انبثق من الآب والابن معا[١]. ولكن الغلبة كانت للبابا وللكنيسة الغربية في هذا المجمع، فقُرر مذهبهم، وحُكم باللعن والخلع على أسقف القسطنطينية: فوتيوس المعارض[٢].

غير أن الأمر لم ينته عند ذلك الحد، بل تمكن فوتيوس المخلوع من استعادة منصبه بعد عشر سنوات من الحكم عليه، فعقد هو وحزبه مجمعا آخر في القسطنطينية نفسها، وتعتبره الكنيسة الشرقية المجمع المسكوني الثامن عندها[٣]، وفيه تمت إعادة فوتيوس إلى منصبه الأسقفي رسميا، وقرروا مذهب انبثاق الروح القدس من الآب وحده مخالفين بهذا قرار مجمع عام ٨٦٩م الذي صار يُعرف بعد ذلك بالمجمع الغربي اللاتيني، كما يُعرف هذا الأخير بالمجمع الشرقي اليوناني[٤].

فهذه النقطة بالذات تشير إلى أمر هام في تأريخ الكنيسة، ألا وهو انشطار الكنيسة وانقسامها عمليا ـ لا صوريا أو جغرافيا فحسب ـ إلى الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية، وسوف يأتي مزيد توضيح لهذا إن شاء الله[٥].

وأما الجدير بالملاحظة في هذه المرحلة فهو أن المجمعين (في عام٨٦٩م

---

(١) انظر ما تقدم في المبحث الخاص بالمجمع الثاني.

(٢) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٨٤٦، ومحاضرات أبي زهرة ص١٣٤، ومقارنة الأديان لإبراهيم خليل أحمد ص٣٠.

(٣) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٨٤٦، ومحاضرات أبي زهرة ص١٣٥.

(٤) انظر: محاضرات أبي زهرة ص١٣٤-١٣٥.

(٥) انظر: ص٨٤١ فما بعدها.

وعام٨٧٩م) يخطّئ أحدهما الآخر ويلعنه. ومفاد هذا أن يكون كلاهما إما باطلين ـ كما هو الواقع ـ أو يكون أحدهما صحيحا، والآخر باطلا ولا سبيل إلى تعيينه، فإن كان الأول هو الباطل فمعناه أن القوم أجمعوا على باطل وتعبدوا الله به لمدة عشر سنوات كاملة، وإن كان الباطل هو الأخير فمعناه أنهم استبدلوا الحق بالباطل والرشد بالغيّ. وأيًّا كان الأمر، فقد ثبت احتمال بطلان المجمع أو إصداره قرارات خاطئة، فإذا كان المجمع معرّضا للخطأ فأنّي يؤخذ به وبقراراته في مسائل الاعتقاد والإيمان!

المطلب الرابع: مجمع ترولو[1] المنعقد عام ٦٩٢م أو المجمع الخامس السادس.

أما سبب تسميته بالمجمع الخامس السادس، فقيل لأن المجمعين المسكونيين الخامس والسادس لم يضعا شيئا من القوانين لنظام العمل والسلوك والإدارة في الكنائس ـ كما هو المعتاد ـ فانعقد هذا المجمع لإتمام أو إنجاز مالم يقم به المجمعان السابقان[2].

ويرى البعض أن تسميته بالمجمع السادس فقط أولى لقرب العهد به، ولأنه قد انعقد في القاعة ذاتها التي انعقد فيها المجمع المسكوني السادس بين عامي ٦٨٠ و٦٨١م، أي قاعة ترولو في القصر الإمبراطوري[3]. فمعنى هذا أن

(١) نسبة إلى اسم القاعة التي عقد فيها المجمع في القصر الإمبراطوري. انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٥٢٥و٥٢٨.

(٢) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٥٢٧و٥٢٨و٥٢٩.

(٣) نفسه ص٤٨٦ و٥٢٨و٥٢٩.

يقال إن المجمع المسكوني السادس التئم مرتين، ففي الأولى لم يضع قوانين، ووضعها في الثانية(١).

ويجدر بالذكر أن قوانين هذا المجمع على كثرتها ـ بلغت مائةً واثنين قانونا ـ لم تكن لها سوى سلطة نظرية فقط لا عملية. سواء لدى الشرقيين الذين اعتبروه أول الأمر مجمعا مسكونيا، أو الغربيين الذين لم يروه قط إلا مجمعا مكانيا شرقيا(٢). بل أعلن بعضهم صراحةً أن قوانين هذا المجمع منها ما ليس صالحا للتطبيق في الوقت الحاضر(٣)، ويقصد من هذه القوانين: الثامن، وفيه تحديد الزمن لعقد المجامع سنويا، والعاشر، وفيه الحكم بالإسقاط على أي أسقف أو قس أو شمّاسٍ يأخذ الربا أو ما يسمى بالفائدة المئوية "Interest" ـ مع أن هذا القانون تقريبا هو بعينه القانون السابع عشر من قوانين المجمع المسكوني الأول المتفق عليه عند جميعهم(٤) ـ والحادي عشر، وفيه منع النصارى من التعامل أو التعاون مع اليهود على أي وجه كان حتى في العلاج والطب!(٥).

ومن أبرز ما جاء في هذه القوانين: تحريم الزواج على القس والشماس ونحوهما كما ورد في القانون السادس، وأما القانون الثاني عشر فيأمر بانفصالٍ فوري بين أي إنسان ينتخَب أسقفا وبين زوجته إن كانت له سابقا، وفي القانون العشرين

---

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٥٣١.

(٢) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٥٢٩ و٥٣١و٥٣٢.

(٣) نفسه ص٥٣٢.

(٤) نفسه ص٨٧.

(٥) انظر هذه القوانين المائة والاثنين في: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٥٣٣-٦١١.

منعوا أي أسقف من أن يُعلّم جهرا في مدينة ليست تحت ولايته الأسقفية، وأما القانون الرابع والأربعون فيقضي بمعاقبة الراهب إذا تزوج عقوبة الزاني![1].

ومن الجدير بالذكر ـ تحقيقا لمبدأ الانصاف والنقد البنّاء الهادف ـ أن المجمع سعى في تحسين بعض الأوضاع في الكنيسة خاصة، وفي المجتمعات النصرانية عامة، من خلال سنّها بعض القوانين، ومنها: القانون الخمسون الذي يمنع الإكليريكي والعامي على حد سواء من اللعب بالنرد، كما يمنع القانون الخامس والسبعون استعمال أصوات وأنغام غير لائقة في الكنيسة، وإنما يسبَّح الله فيها بانتباه وخشوع تامين، والقانون السابع والسبعون ينبذ عادة سيئةً وهي اغتسال الرجال في حمّام واحد مع نساء أجنبيات، والقانون السادس والثمانون يتعلق بمعاقبة الذين يمارسون أعمال الدعارة والفاحشة، كما نص القانون الحادي والتسعون على أن أي امراة تُسقط جنينَها تُعتبر قاتلة[2].

المطلب الخامس: مجمع قرطاجة[3] عام ٤١٩م.

هذا المجمع تُعرف قوانينه بقوانين الكنيسة الإفريقية أو مجموعة الشرع

---

(١) لكن له أن يرتكب جرائم الزنا كيفما يحلو له وإن كان ذلك مع الفتيات زبائن الكنيسة أنفسهن ـ كما هو الواقع المشاهد ـ وينجو من عقوبة الزنا!!!

(٢) راجع: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٥٣٣-٦١١.

(٣) قرطاجة: مدينة على الساحل التونسي من شمال إفريقيا، وكانت كنيستها رئيسة كنائس إفريقيا كلها. وهي اليوم من ضواحي مدينة تونس السكنية. انظر: الدائرة البريطانية ٤/ ٩٧٦، وحنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٦٥٣، وAcademic American Encyclopedia 4/173، والموسوعة العالمية ١٨/ ١٥١.

الكنسي الإفريقي[(١)]، حيث كان آخر مجمع عقد في قرطاجة الإفريقية، وسبق أن عقدت فيها قبل ذلك ستة عشر مجمعا فيما بين عام ٣٤٥م وعام ٤١٩م[(٢)] الذي انعقد فيه هذا المجمع، فأعيد فيه النظرُ في كل ما وُضع قبله من القوانين، وثُبِّت القسم الأوفر منها[(٣)]. وتم عرض هذه القوانين البالغ عددها مائة وثمانية وثلاثين قانونا[(٤)] في كل من مجمع ترولو (الخامس السادس)، والمجمع المسكوني السابع وثُبِّتت فيهما، حتى زعم فريق أنها صارت في رتبة القوانين المسكونية بعد ذلك[(٥)].

وسوف أتعرض هنا إلى ذكر بعض القوانين الغريبة منها فيما يأتي:-

جاء في القانون التاسع بعد المائة أن آدم عليه السلام أبا البشر إنما مات من أجل الخطيئة التي ارتكبها، ولعنوا كل من يقول بعكس هذا القول، وإليكم نص القانون: «فليكن مبسلا كل من يقول إن آدم الإنسان الأول خُلق إنسانا مائتا أي أنه معرّض للموت بالجسد سواء أخطأ أو لم يخطئ وأنه كان مزمعا أن يفارق الجسد، لا قصاصا على خطيئة بل لأن ذلك من خصائص طبيعته نفسها»[(٦)].

وأما القانون العاشر بعد المائة فيقرر عقيدة الخطيئة الموروثة ووجوب تعميد الأطفال من أجل ذلك، وهذا نص القانون: «إن كل من ينكر أن يعمّد الأطفال

---

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٦٥٢و٦٥٣.

(٢) انظر تأريخ انعقاد كل مجمع في: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٦٥٣-٦٥٤.

(٣) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٦٥٣.

(٤) نفسه ص٦٦٠-٧٤٩.

(٥) نفسه ص٦٥٣.

(٦) حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٧٠٣.

المولودين حديثا، وكل من يقول إن المعمودية هي لغفران الخطايا، وإن الأطفال لا يرثون من آدم الخطيئة الجدية التي تحتاج إلى التنقية بحميم الولادة الثانية، ويَستنتج من ذلك أن رسم المعمودية لغفران الخطايا للأولاد هو رسم باطل لا حقيقي، فليكن مبسَلا »[1].

وخير ما يرد به على هذا الزعم الباطل وسوء الظن بالله ﷻ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[فاطر:١٨]. ومن نصوص كتاب النصارى المقدس في ذلك: « لا يُقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيّته يقتل »[2].

المطلب السادس: المجامع المنعقدة بعد انقسام الكنيسة إلى الشرقية والغربية.

وهذه المجامع تعتبر لدى كنيسة روما الغربية الكاثوليكية مجامع مسكونية، إلا أن هذا في منأى عن الحقيقة والواقع، لأنها مجامع قد انعقد كلها إما في روما، مقر البابا، أو في المناطق الخاضعة له ويحضرها للمناقشة والمداولة أساقفة روما وحلفاؤهم من سائر كنائس الغرب. ولم تعد الكنائس الشرقية تعترف لروما بالسيادة

---

(١) حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٧٣١.

(٢) التثنية ٢٤/ ١٦، وانظر كذلك ٣١/ ٣٠، وحزقيال ١٨/ ٢٠، ومتى٧/ ١و٢، و١٩/ ١٤، و١ - كورنثوس٣/ ٨.

أو الرئاسة بعد انفصالها عنها[١]، لذا فالواقع أنها مجامع مكانية بل وملّية أو طائفية. ومن أهم هذه المجامع ما يأتي ذكره:

أ- **المجمع المسمى بالمجمع الثاني عشر**، وقد عقد في روما في سنة ١٢١٥م، وفيه قرروا أن الكنيسة الكاثوليكية تملك حق الغفران، تمنحه لمن تريد وتمنعه عمن تشاء، وأن الخبز والخمر فيما يسمونه العشاء الرباني[٢] يتحولان إلى جسد ودم المسيح عليه السلام، والعياذ بالله عز وجل.

ولا تزال هذه النقطة، أعني تحوّل الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح موضع خلاف بين الكنيسة الكاثوليكية البابوية التي تثبت التحوّل، وسائر الطوائف النصرانية التي تنكره بشدة، وتعتبره ضلالا وانحرافا[٣].

ب- **مجمع روما بين عامي ١٨٦٩م و١٨٧٠م**، ويعرف عندهم بالمجمع العشرين أو المجمع الفاتيكاني الأول. وفيه أُتُخذ قرار إثبات العصمة للبابا (رئيس الكنيسة الكاثوليكية) "Decree of Pastor Aeternus"، أي أنه لا يمكن أن ينطق بخطأ أو تزلّ قدمه في شيء من أمور الدين والأخلاق[٤]. أي أنه

---

(١) انظر: محاضرات أبي زهرة ص١٣٥و١٣٦، ومتولي يوسف شلبي (م.ن.) ص١١٤.

(٢) العشاء الرباني: المقصود به: قطع من الخبز مع كأس من الخمر يتناولها النصارى في كنائسهم زعما منهم أنهم يفعلون ذلك اقتداء بالمسيح في عشائه الأخير مع تلاميذه (متّى٢٦/ ٢٦-٢٨) وتخليدا لذكر صلبه، أو أنهم أُمروا بذلك من المسيح نفسه(لوقا ٢٢/ ١٩). انظر: فايز فارس (م.ن.) ص٢٤٨، وكارل وليمز الكبير (م.ن.) ص١٤٤-١٤٥.

(٣) انظر: فايز فارس (م.ن.) ص٢٥٢، وكارل وليمز الكبير (م.ن.) ص١٤٨-١٤٩.

(٤) راجع في المجمعين السابقين: الدائرة البريطانية٢٣/ ٨، ومحاضرات أبي زهرة ص١٣٦، ومتولي يوسف شلبي (م.ن.) ص١١٥و١١٦، والمسيحية لأحمد شلبي ص١٩٧.

ـ والعياذ بالله ـ أرفع مقاما من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين قد يقع منهم بعض صغائر الذنوب ولكنهم لا يقَرون عليها ولا يداوِمون عليها، فسبحانك اللهم إن هذا إلا بهتان عظيم.

ج- **المجمع الفاتيكاني الثاني**: وقد انعقد فيما بين أكتوبر(تشرين الأول) عام ١٩٦٢م، وديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٦٥م وحضره نحو أربعمائة وألفين أسقفا كاثوليكيا، إلى جانب ممثلي الكنائس والطوائف غير الكاثوليكية حضروا بصفة مراقبين فقط[١]. ومن القرارات المتّخَذة في هذا المجمع ما يأتي ذكره:-

١ ـ الاعتراف بوجود بعض النواقص والأباطيل في ما يسمى بالعهد القديم من كتاب النصارى المقدس[٢].

٢ـ تحسين علاقة النصارى باليهود، وقد تضمن هذا إصدارَ وثيقةِ تبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام[٣]، وجاء فيها: «ولئن كان ذووا السلطان والأتباع من اليهود عملوا على قتل المسيح، إلا أن ما اقتُرِف إبّان الآلام والصلب لا يمكن أن ننسبه في غير تمييز إلى جميع اليهود الذين عاشوا آنذاك ولا إلى اليهود المعاصرين لنا...»[٤].

٣ ـ تحديد علاقتهم (النصارى) بالمسلمين، وذلك بالنص الآتي: «تنظر الكنيسة بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الأحد الحي القيوم الرحمن القدير

---

(١) انظر: وثائق المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ص٦و٧.

(٢) نفسه ص٤١٠، مع Bucaille,Maurice(op.cit.) P. 41.

(٣) وقد برأهم منه ـ أو برّأه منهم بالأحرى ـ القرآن الكريم منذ قرون، حيث قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[النساء: ١٥٧].

(٤) وثائق المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ص٤٧٤.

فاطر السماوات والأرض، الذي كلم الناس. إنهم يجتهدون في التسليم بكل نفوسهم لأحكام الله وإن خفيت مقاصده، كما سلم الله إبراهيم الذي يفخر الدين الاسلامي بالانتساب إليه[١]. وبرغم أنهم لا يعترفون بيسوع إلها فإنهم يكرمونه نبيا[٢] ويكرمون أمه العذراء مريم ويذكرونها في خشوع. ثم إنهم ينتظرون يوم الدين الذي يجازي الله فيه جميع الناس عندما يُبعثون أحياءً، من أجل هذا يقدّرون الحياة الأبدية ويعبدون الله بالصلاة والصدقة والصوم.

ولئن كان عبر الزمان قد وقعت من المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع يهيب بالجميع أن ينسوا الماضي، وأن يعملوا باجتهاد صادق سبيلا للتفاهم فيما بينهم، وأن يتماسكوا من أجل جميع الناس على حماية وتعزيز العدالة الاجتماعية والقيم الأدبية والسلام والحرية»[٣].

فبهذه الكلمات المعسولة والأسلوب الجذّاب اغتر كثير من ضعاف الإيمان من المسلمين اليوم، فراحوا يرددون دعوة التفاهم وتبادل الثقة بين أمة القرآن وعبّاد الصلبان. ويا ليتهم أدركوا ما يخبِّئ لهم هؤلاء من المخططات، وما يهدفون إليه من وراء مثل تلكم الكلمات، وليس المقام مقام التفصيلات[٤].

---

(١) ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾[آل عمران: ٦٧]، فالمسألة ليست مسألة انتساب فقط.

(٢) تنزيلا له عليه السلام في المنزلة التي أنزله الله تعالى فيها.

(٣) وثائق المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ص٤٧٣.

(٤) والمرجو: قراءة كتاب: تصحيح مفهوم الحوار بين الأديان للدكتور رفيع أوونلا بصيري الإجيبوي (نشر: دار العلوم بإجيبو إغبو ـ نيجيريا، الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) فقد أجاد فيه المؤلف ـ حفظه الله ـ وأفاد.

الفصل الرابع

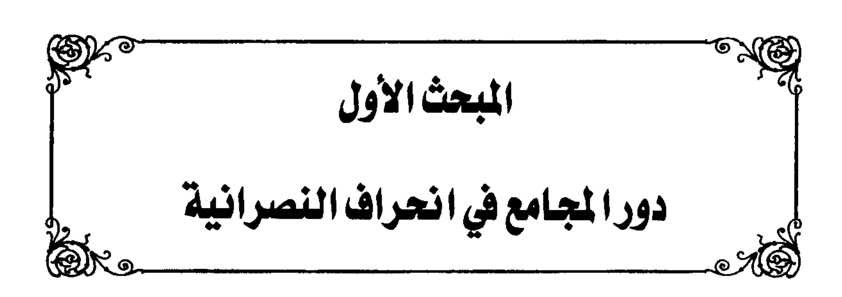
دور المجامع في انحراف النصرانية وانقسام النصارى إلى طوائف

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: دور المجامع في انحراف النصرانية

المبحث الثاني: دور المجامع في انقسام النصارى إلى طوائف





المبحث الأول
دور المجامع في انحراف النصرانية

يتجلى دور المجامع في انحراف النصرانية في الأمور الآتية:

الأول: أن فكرة المجامع تمثل انتقال سلطة التشريع الديني من الوحي الإلهي إلى الآراء البشرية التي غالبا ما تحكمها المصالح والأهواء والرغبات، لذا، نجد أن المناقشات والقرارات في هذه المجامع لم تكن تعتمد على نصوص من كتابهم المقدس، بل إن جزءًا كبيرا من هذا الكتاب نفسه لم ينل حظه من التقديس والاعتبار به إلا بقرار من بعض المجامع نفسها. وإنما على المفاهيم الخاصة والتصوّرات الذاتية بعضها لا نص فيه إطلاقا(١) - أعني حتى في كتابهم المقدس - وبعضها مصادم للنصوص ومعارض لها(٢)، وبعضها لا سند له سوى تقاليد الآباء والأجداد، كما جاء عن بعضهم(٣) قوله: «إن الآباء [آباء الكنيسة] لم يكن يهمهم ما يخطر لهم من

(١) كما هو الحال في قرار ألوهية الروح القدس وعصمة البابا.

(٢) كما هو الحال في قرار ألوهية المسيح عليه السلام.

(٣) القائل هو: هنري برسيفال "Henry R. Percival" الأمريكي، يحمل دكتوراة في علم اللاهوت النصراني، وهو صاحب أقدم مجموعة للقوانين الكنسية والمجمعية باللغة الإنجليزية. انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م. ن.) ص٣.

تفسير الكتاب المقدس... كان همهم الدائم التفتيش عن أمر واحد لا غير، وهو ما الذي تسلّموه؟ وأدركوا أن وظيفتهم هي في أن يكونوا شهودا لا مفسرين... وعندما جاء الوقت في المجمع الرابع لفحص رسالة البابا لاون [ليو الأول] لم تكن القضية: هل يمكن أن تتبرهن صحتها للآباء المجتمعين من الكتاب المقدس؟ بل هل كانت تلك الرسالة تنطق بإيمان الكنيسة التقليدي الذي تسلمته من الآباء؟ »(١).

ومما يستفاد من هذا النص أن ثمة فرقا بين إيمان الكنيسة وبين ما جاء فيما يعتقدون أنه وحي من الله تعالى، أعني كتابهم المقدس!!! بل وقد جاء تصريح بهذا أيضا في قول غيره: « كما تمتاز الشريعة الوضعية للحكومات والدول عن الشريعة الطبيعية، هكذا تمتاز الشريعة الكنسية لجماعة المسيح عن الشريعة الدينية، ولذلك يجب أن نحاذر الخلط بينهما »(٢)!

فهكذا أضفت المجامع على صانعيها مسحة من الأحقية في التشريع بما لا يوجد له ولا به ولا فيه نص صريح أو محتمل، وصدق الله ﷻ ـ وهو أصدق القائلين ـ إذ قال فيهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١](٣).

الثاني: إن جميع عقائد النصرانية المثلّثة المعاصرة تتحمّل هذه المجامعُ مسئوليةَ جزء منها، أعني وضعا وترويجا، وأما الجزء الآخر فالمسئول عنه هو بولس

---

(١) حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤٠.

(٢) جاء النص في مقدمة مجموعة البيذاليون (لأغابيوس ونيقوديموس)، نقلا عن: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٦.

(٣) راجع فيما تقدم: متولي يوسف شلبي (م.ن.) ص٩٣ و١٠٨، ودراسات في الأديان للدكتور سعود الخلف ص١٦٤-١٦٥، وإبراهيم خلف التركي (م.ن.) ص١٢٠.

كما رأينا من خلال العرض السابق لآرائه ولقرارات المجامع.

الثالث: لقد كانت أول محطة في رحلة النصرانية من التوحيد إلى التثليث نقطة انطلاق هذه المجامع نفسها، ثم مجمعا تلو الأخر تولّد ما يسمونه اليوم بالأقانيم أو الثالوث المقدس[1]. أي الآلهة الثلاثة: الآب والابن والروح القدس - والعياذ بالله - جاء في دائرة المعارف الأمريكية ما نصه: «لقد بدأت عقيدة التوحيد - حركةً لاهوتيةً - بداية مبكرة جدا في التأريخ. وفي حقيقة الأمر إنها سبقت عقيدة التثليث بعشرات السنين... إن الطريق الذي سار من أورشليم [أي مجمع تلاميذ المسيح الأوائل كما يقال] إلى نيقية [أي المجمع المسكوني الأول بنيقية] من النادر القول بأنه كان طريقا مستقيما، **إن عقيدة التثليث التي أُقرت في القرن الرابع للميلاد [في مجمع عام ٣٢٥م ومجمع عام ٣٨١م المسكونيين] لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأول عن طبيعة الإله، بل كانت على العكس من ذلك انحرافا عن هذا التعليم»**[2].

الرابع: من الواضح أن هذه المجامع لم تكن قط هيئة شورية حرّة يتباحث الحاضرون فيها الآراء بغية التوصل إلى الحق بأدلته وبراهينه، وإنما كانت تُعقد - غالبا - لفرض رأي أو تصوّر معيّن وحمل الناس عليه، مع محاربة أي مخالف بقوة السلطان أو سلطة الحرمان.

إذًا، يمكن القول بأن المجامع تمثل إحدى الصور الواقعية لاضطهاد النصارى بعضهم لبعض، تلكم الاضطهادات التي قضت على كثير من الحركات التصحيحية

---

(١) انظر: متولي يوسف شلبي (م.ن.) ص٩٣.

(٢) الدائرة الأمريكية ٢٧/ ٢٩٤.

ورجالها في تأريخ النصرانية أو أسكتتهم على الأقل، حتى بدت الساحة اليوم كأنه لا توجد سوى النصرانية المثلّثة الصليبية البولسية. والكل يعلم أن الاضطهادات دائما لأهل الحق في أي حركة أو ديانة تقمع حرياتهم، ولا تُشجّع على البحث العلمي القائم على أسس التناظر والتباحث بسلطان الحجة والدليل لا بهيمنة السجن والتنكيل[١].

الخامس: ومما قام به بعض هذه المجامع حجب الحق عن الناس أو حظره عليهم، وذلك بقرار يقضي بإحراق أو حبس أي كتاب أو سفر لا يتوافق مع عقيدة التثليث أو غيرها مما تقرر في المجمع[٢]. وهذا بلا شك يلعب دورا عظيما في إقصاء الناس عن التعليم الإلهي ومن ثم الانحراف بهم إلى الضلالات والخرافات.

السادس: إن هذه المجامع كانت من أعظم أسباب الفُرقة وتثبيتها في عالم النصارى، حيث إن المراد من عقد مجمع ينبغي أن يكون اتفاق المجتمعين على رأي واحد، إلا أننا نلاحظ ـ كما في صفحات مضت ـ أن المجامع لم تنه خلافات قط، ولكنها ولدت خلافات جديدة وعمّقتها بقرارات الخلع واللعن والحرمان...[٣]. فتجدهم بعد كل مجمع وقد انقسموا أحزابا يكفِّر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا، فمن أين لعامتهم معرفة الخطأ من الصواب، والغث من السمين!!!

---

(١) انظر: محمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٨٢، ودراسات في الأديان لسعود الخلف ص١٦٤، وإبراهيم خلف التركي (م.ن.) ص١٦٣-١٦٤.

(٢) انظر: ما تقدم عن أهم قرارات مجمع نيقية ٣٢٥م.

(٣) انظر: متولي يوسف شلبي (م.ن.) ص١٠٨، وإبراهيم خلف التركي (م.ن.) ص٩٤، ودراسات في الأديان لسعود الخلف ص١٦٤.

بل وأكبر من ذلك أن بعض هذه المجامع يصدر قرارات بإلغاء ما أقرته المجامع السابقة، فتتعاقب أنواع من التضليل وأشكال من التسفيه، ومما ورد عنهم في هذا ما جاء على لسان بعضهم: «أما من جهة الشريعة الكنسية القانونية فالكنيسة تقدمية، لأنها تستطيع أن تضيف إليها أو تحذف منها أو تجري فيها من التعديل والتبديل ما يتلائم مع حاجات كل زمان ومكان. ولهذا السبب عقدت الكنيسة مجامعها المسكونية، ويستطيع مجمعٌ مسكوني تالٍ أن يُعدل ويبدل ما وُضع في مجمع سابقٍ إذا اقتنع الآباء بلزوم ذلك»(١).

السابع: أن قرارات المجامع في أغلب الأحيان إنما تأتي لإرضاء الأباطرة الرومانيين الذين وجدوا في المجامع وسيلةً ميسّرة لتحقيق بسط مزيدٍ من النفوذ والهيمنة على الشعوب(٢).

يقول المستشار زكي شنودة(٣): «كانت هذه المجامع في بداية أمرها وسيلة للدفاع عن الإيمان المسيحي، ثم لم تلبث أن أصبحت بعد ذلك أداة في يد الإمبراطور لتنفيذ أغراضه، مستغلا في ذلك مطامع بعض الأساقفة وطموحهم إلى الجاه والنفوذ والسلطان»(٤). وقد جاء في رسالة الأساقفة المجتمعين في المجمع المسكوني الثاني إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير ما نصه: «وبعد تأدية الشكر الواجب لله نرى

---

(١) من مقدمة مجموعة البيذاليون، نقلا عن: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٣٩.

(٢) راجع ما تقدم في أسباب انعقاد المجمع المسكوني الأول والملحوظات على أحداثها.

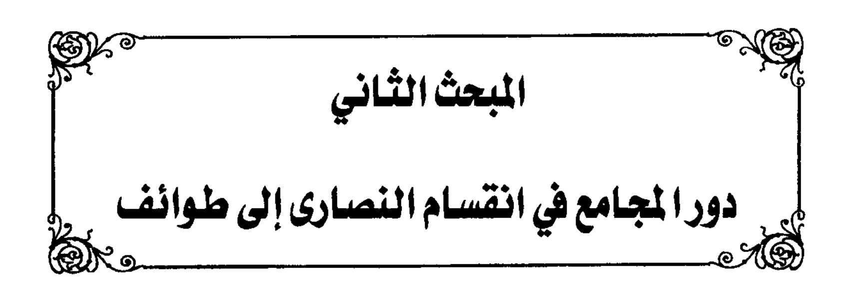
(٣) نصراني مصري قبطي معاصر، من أشهر مؤلفاته: موسوعة تأريخ الأقباط، وكتاب: المسيح.

(٤) موسوعة تأريخ الأقباط لزكي شنودة ١/ ١٧٧، نقلا عن: المسيحية لأحمد شلبي ص١٩٩.

لزاما علينا أيضا أن نرفع إلى تقواكم ما أُنجز من الأعمال في المجمع المقدس... ولذلك نلتمس من تقواكم إن أمكن أن توافقوا على تحديدات المجمع[1]، حتى إنكم كما كرّمتم الكنيسة برسالة دعوتكم [أي لعقد المجمع] تضعون ختمكم على نتيجة الاجتماع »[2].

(١) وكانت مرفقة بالرسالة!!!

(٢) حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٥٥.



المبحث الثاني

دور المجامع في انقسام النصارى إلى طوائف

بدأت الانقسامات تظهر في صفوف النصارى منذ وقت مبكر جدا. بدأ بإعلان بولس الفجائي لمبادئ نصرانيته الصليبية الفدائية التثليثية، فخالفه تلاميذ المسيح الأوائل كما تقدم. ثم توالت الانشقاقات وتعمقت، خاصة في صفوف النصارى التثليثيين، فانقسموا إلى أحزاب وطوائف مستقلة، كل حزب بما لديهم فرحون. فالانقسام من هذا النوع الأخير هو صاحب الصلة بموضوع هذا المبحث.

ولكن قبل الشروع في إيراد تفاصيل ذلك، من المستحسن أن يكون واضحا لنا أن أساس هذه الانقسامات وسببها الرئيس هو عدم وجود مصدر صحيح يعتمد عليه ثم الصراع الفكري والقومي، أو التعصب لرأي أو لشخص معيّن[1]. فقد رأينا فيما مضى كيف انفصلت كنيسة الإسكندرية وتوابعها عن بقية الكنائس مناصرةً لأسقفها آنذاك وتضامنا معه، ومعارَضةً لمنافِستها التقليدية: كنيسة القسطنطينية، فتمسكت بمذهبها ورأته الأصح والأسدّ وإن خالفته جميع كنائس العالم وأساقفتها

---

(١) انظر: متولي يوسف شلبي (م.ن.) ص١١٣و١١٧.

وقساوستها، فالمسألة ليست مسألة دين أوحق بقدر ما هي مسألة مراعاة الذوات والشعور وحفظ مياه الوجوه. وإليكم فيما يأتي بيانَ أشهر المجامع التي أدّت إلى الانقسامات بين النصارى:

أ ـ المجمع المسكوني الرابع المنعقد في خلقيدونية عامَ٤٥١م. وقد تقدم..

ففي أعقابه، ونتيجةً لقراراته انفصلت كنيسة الإسكندرية عن بقية الكنائس واستقلّت عنها نهائيا تحت اسم: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وتُعرف هي وجميع الكنائس الموالية لها بالكنيسة اللاخلقيدونية[١].

ب ـ المجمع المسكوني السادس.

وقد انعقد فيما بين شهر نوفمبر (تشرين الثاني) عام ٦٨٠م وسبتمبر (أيلول) عام ٦٨١م في قاعة ترولو بالقصر الإمبراطوري في القسطنطينية، بل كان الإمبراطور آنذاك: قسطنطين الرابع[٢] نفسه رئيس المجمع[٣].

أما الداعي لانعقاد المجمع فهو محاربة مذهب القائلين بأن المسيح ﷺ وإن كانت له طبيعتان ـ كما قُرر في المجمع المسكوني الرابع ـ إلا أنه ليست له إلا مشيئة واحدة فقط وهي الإلهية، فقرر هذا المجمع أن له مشيئتين إلهيةً وإنسانيةً غير

---

(١) راجع ما تقدم في ص٨١٢.

(٢) قسطنطين الرابع: إمبراطور الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) من عام ٦٦٨م وحتى عام ٦٨٥م. الدائرة البريطانية ٤/ ٥٢٠.

(٣) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤٨٩.

منفصلتين ولا مختلطتين[١]، أي تماما كقولهم في إثبات الطبيعتين للمسيح والعياذ بالله ﷻ. ثم حكموا على مخالفيهم ـ كالعادة ـ باللعن والحرمان، حتى إن بابا روما: هونوريوس الأول[٢] لم ينجو هذه المرة من الحكم عليه بالحرمان لقوله أيضا بالمشيئة الواحدة للمسيح مع الطبيعتين، ومعه في هذا مجموعة من أساقفة القسطنطينية[٣].

وعلى إثر هذا القرار انسلخت عن الكنيسة الأم أيضا طائفة المارونيين أو الموارنة، نسبة إلى زعيمهم يوحنا مارون[٤] الذي كان من أوائل من قرروا مذهب المشيئة الواحدة في الطبيعتين في النصف الثاني من القرن السابع للميلاد[٥].

تجمع الموارنة في الوقت الحاضر وعلاقتهم بالكاثوليكيين.

بعد قرون من تبعيتهم للمذهب القسطنطيني في القول بوحدة المشيئة، أصبحوا في الوقت الحاضر موالين للكنيسة الرومانية الكاثوليكية، ويوجد حوالي أربعمائة ألف منهم في لبنان وسوريا، ونحو خمسة عشر ألف منهم يسكنون في مصر والأردن وفلسطين المحتلة، كما أنهم بدءوا يتوجهون إلى جنوب أوروبا وشمال

---

(١) نفسه ص٤٨٦ و٥١٦، ومحاضرات أبي زهرة ص١٣٢.

(٢) وكان قد تولى البابوية في السابق، بين عام ٦٢٥م وعام ٦٣٨م.Hughes,Philip; (op.cit.) P. 284، والدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦.

(٣) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٤٨٦ و٥٢١-٥٢٣، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ٥١-٥٢.

(٤) يوحنا مارون "St.John Maron": كان أسقف أنطاكيا فيما بين عام ٦٨٥م وعام ٧٠٧م. الدائرة البريطانية ١٤/ ٩٢١.

(٥) انظر: محاضرات أبي زهرة ص١٣٢-١٣٣، ومتولي يوسف شلبي (م.ن.) ص١١١، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٢٥٤، ومقارنة الأديان لإبراهيم خليل أحمد ص٣٠.

وجنوب أمريكا في القرن التاسع عشر للميلاد[١]. أما مركز تواجدهم الرئيس فهو لبنان الذي كانوا قد وفدوا إليه في النصف الثاني من القرن السابع للميلاد، حتى إنه قد تقرر منذ عام ١٩٤٣م وإلى يومنا هذا أن يكون رئيس الجمهورية اللبنانية من هذه الطائفة![٢].

ج. مجمع القسطنطينية عام ٨٧٩م أو المجمع الشرقي اليوناني، أو المجمع المسكوني الثامن عند الشرقيّين.

كان انعقاد هذا المجمع في الحقيقة رد فعل على ما تم في مجمع عُقد قبله في القسطنطينية أيضا في سنة ٨٦٩م، والذي صدر فيه قرار انبثاق الروح القدس من الآب والابن معا، والحكم بالخلع واللعن على أسقف القسطنطينية: فوتيوس الذي كان يرى أن الروح القدس إنما انبثق من الآب وحده، وقد تقدم كل هذا في موضعه.

فبعد استرداد فوتيوس منصبَه بقرار مجمع عام ٨٧٩م والذي قُرر فيه أيضا مذهبه في انبثاق الروح القدس، انفتحت صفحة سوداء جديدة في تأريخ الكنيسة، فكان ما عُرف بالانقسام الرئيس أو الانقسام الأكبر بين كنائس الغرب برئاسة بابا روما، وكنائس الشرق التي كانت تعتبر القسطنطينية رأسا لها وقبلتَها، فأصبحت الأولى تُعرف حتى اليوم بالكنيسة الغربية اللاتينية، أو البطرسية أو الرسولية[٣]، أو

---

(١) انظر: الدائرة البريطانية ١٤/ ٩٢١-٩٢٢.

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٤٣٩-٤٤٣.

(٣) أي نسبةً إلى الرسول بطرس ـ كما يقولون ـ حيث زعموا أنه المؤسس الأول لها. انظر: محاضرات أبي زهرة ص١٣٥.

البابوية[1]. وتسمى أيضا بالكاثوليكية ـ أي العامة ـ لأنها تدّعي أنها أم الكنائس[2]، ومقرُ هذه الكنيسةِ أو رئاستِها: روما، أو الفاتيكان في العصر الحاضر[3]، ومعظم أتباعها اليوم في أمريكا الجنوبية وأوروبا الغربية[4].

وأما الثانية فتعرف بالكنيسة الشرقية اليونانية، أو الروم الأرثوذكسية ـ أي المستقيمة الرأي[5] ـ، وكان مقر رئاستها: القسطنطينية، إلا أن الكنائس الأرثوذكسية في الوقت الحاضر أصبحت وحدات مستقلة في الإدارة والرئاسة، وإن اتفقت في المشرب والاتجاه. ومعظم أتباعها اليوم في الجزء الشرقي من أوروبا[6] [7].

ولكن يا تُرى، هل كان كل هذا الانقسام والانشقاق من أجل الدين والعقيدة ـ كما هو الظاهر ـ أم لحاجة في النفوس؟ يجيب على ذلك الكاتب النصراني حبيب سعيد حيث قال: «... لأن منشأ الخلاف في الواقع بين الكنيستين الشرقية والغربية لم يكن هذه اللفظة [يعني لفظ: "والابن" الذي زاده الغربيون على قانون الإيمان

---

(١) أي نسبةً إلى البابا، وهو لقب لكل من يترأس هذه الكنيسة، وسيأتي مزيد بيان في هذا إن شاء الله في الباب الرابع من الرسالة.

(٢) انظر: المسيحية لأحمد شلبي ص٢٣٧.

(٣) راجع ما تقدم في التعريف بالفاتيكان في بداية الكتاب.

(٤) انظر: محاضرات أبي زهرة ص١٣٥، والمسيحية لأحمد شلبي ص٢٣٧.

(٥) انظر: رولاند بينتون (م.ن.) ص٥٣.

(٦) انظر: محاضرات أبي زهرة ص١٣٥ بتصرف.

(٧) راجع فيما تقدم: وثائق المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ص٤٥١، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص١٥٣، مع: محاضرات أبي زهرة ص١٣٥، ومتولي يوسف شلبي (م.ن.) ص١١٤، والمسيحية لأحمد شلبي ص٢٣٨و٢٤٠، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٢٥٥.

النيقوي في مسألة انبثاق الروح القدس] ولا غيرها من عقائد الدين، بل هو حب الرئاسة والتنازع السياسي والتباين الفكري واللغوي بين اليونان واللاتين»[(١)]!

د. مجمع ويرمز[(٢)] بألمانيا عام ١٥٢١م.

وذلك حين ظهر رجل يُدعى مارتن لوثر[(٣)] في ألمانيا ووجّه انتقادات شديدة وكثيرة ضد الكنيسة الكاثوليكية وممارسات بابواتها وأفعالهم التي لا تتفق و نصوص الأناجيل[(٤)].

ففي شهر أبريل (نيسان) عام ١٥٢١م دعا الإمبراطور شارل الخامس[(٥)] لانعقاد مجمع في مدينة ويرمز "Worms" الألمانية لمناقشة آراء لوثر ـ أو بالأصح

---

(١) تأريخ المسيحية لحبيب سعيد ١/ ٢١٦، وقريب منه ما جاء في: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص٥٥.

(٢) مدينة "ويرمز": مدينة تأريخية وميناء نهري في ألمانيا، تقع على الضفة الغربية من نهر الراين. انظر: الموسوعة العالمية ٢٧/ ٢٣٤.

(٣) مارتن لوثر: ولد في نوفمبر عام ١٤٨٣م في أيسلبان بألمانيا من أبوين فقيرين لكنه تمكّن من مواصلة التعليم حتى نال درجة الدكتوراة في الفلسفة في العشرينات من عمره، وبعد ذلك تحوّل إلى راهب يلازم الدير سنوات، ثم هجر حياة الرهبنة وبدأ يعارض البابا والكنيسة (الكاثوليكية) في أمور عدّة من أهمها: بيع صكوك الغفران، ونظام الرهبنة، والسيطرة على أملاك الأتباع، فقام بحركته الإصلاحية التي نجم عنها انشقاق طائفته البروتستانتية عن الكاثوليكية في القرن السادس عشر للميلاد. توفي في عام ١٥٤٦م. راجع: الدائرة البريطانية ١٨/ ٦١١، وتأريخ المسيحية لعزت زكي ٣/ ٣٧-٨٠، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ١٠٠-١٤٤.

(٤) راجع: عزت زكي (م.ن.) ص٤٨-٥٩.

(٥) شارل الخامس "CharlesV": هو إمبراطور ما يسمى بالإمبراطورية الرومانية المقدسة من عام ١٥١٩م وحتى عام ١٥٥٦م، وكذلك ملك أسبانيا تحت اسم: شارل الأول من عام ١٥١٦م، ويُعد آخر إمبراطور تم تتويجه من قِبَل البابا. الدائرة البريطانية ٥/ ٢٩٤.

لإلزامه بسحب آرائه والاعتذار للبابا ـ وقد حضره من الأمراء والأساقفة نحو مائتي شخص وعلى رأسهم الإمبراطور نفسه.

وبعد أن رفض لوثر التراجع عن شيء من آرائه أو كتاباته، حكم المجمع عليه بالهرطقة ومن ثَم الحرمان، وكان الوفد الروماني قد طلب إحراقه بالنار حيًا إلا أنه لم يوافق على الطلب.

وأثناء عودة لوثر من مقر انعقاد المجمع اختطفته مجموعة من الشباب الألمانيين خوفا عليه من أن يناله أذى من قِبل الإمبراطور أو البابا، وأظهروا ولاءهم له وانضموا إلى حزبه الذي بدأ ينمو ويكبر بعد انشقاقه عن الكنيسة الكاثوليكية البابوية نهائيا في عام ١٥٢٩م، وذلك حين صدر قرار الإمبراطور بوجوب عودة الكنيسة الغربية الكاثوليكية إلى ما كانت عليه ـ أي موحدّةً ـ قبل انطلاق حركة لوثر الإصلاحية. وهذا يعني ضمنيًا سحب القرار الإمبراطوري الصادر في عام ١٥٢٦م والذي أعطى حرية الاختيار لشعب ألمانيا بين مذهب البابا ومذهب لوثر. وأصبح يُعرف حزبُه هذا حتى الآن بالحزب أو الطائفة البروتستانتية، أي طائفة المحتجّين[١] "Protestant"[٢] أو الكنيسة الإنجيلية "Evangelical" لقولهم إنهم يتبعون الأناجيل فقط دون غيرها، وأن فهمها من حق الجميع وليس خاصا أو حكرا على

---

(١) أي لاحتجاجهم على قرار الوحدة.

(٢) راجع: جون لوريمر (م.ن.) ٤/ ١٢٩-١٤٤، وعزت زكي (م.ن.) ص٥٨ و٦١ و٦٤-٧٠ و٨٠، ورولاند بينتون (م.ن.) ص١٠٧-١١٤، و Rausch, David & Voss, carl; Protestantism P.1-2، والدائرة البريطانية ١٨/ ٦١١، والدائرة الأمريكية ٢٢/ ٦٨٦، ومحاضرات أبي زهرة ص١٦٤-١٦٨، ومقارنة الأديان لإبراهيم خليل أحمد ص٣١-٣٢.

رجال الكنيسة. وأكثر أتباع هذه الكنيسة اليوم في أمريكا الشمالية وبعض أجزاء أوروبا الغربية مثل ألمانيا وإنجلترا والدنمارك والنرويج وسويسرا[(١)]. كما تسمى كنيستهم أيضا بالكنيسة المصلّحة "Reformed Church"، أو الكنيسة اللوثرية نسبة إلى مؤسسها الأول: مارتن لوثر[(٢)].

هـ. المجمع المسكوني الفاتيكاني الأول (١٨٦٩-١٨٧٠م). وقد تقدم..

فبعد قرار هذا المجمع عصمةَ البابا نشأ انقسام جديد في الكنيسة الكاثوليكية نفسها، حيث عارض القرارَ بعض أهالي أوروبا من النصارى الكاثوليكيين، فانشقوا عن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وسموْا أنفسهم بالكاثوليكيين القدماء " Old Catholics"[(٣)].

فهكذا ـ بعون الله تعالى ـ أتينا إلى نهاية المطاف في موضوع المجامع وقراراتها ونتائج كل ذلك وآثارها. ومما يلاحظ الدارس أن معظمها قد دارت حول مسائل الإيمان، والاعتقاد بصفة عامة، فهل يعني هذا أن كتاب النصارى المقدس ليس كافيا لبيان وتجلية أهم ما في الدين كله؟ وإذا كان كذلك فهل من مبرر يُؤهّل الفكر البشري للاستدراك على الوحي السماوي؟!

فكما رأينا في الصفحات السابقة، إن المجامع اخترعت آلهة وحددت طبيعتها،

---

(١) انظر: Berger,John D. & Welch,Claude; Protestant Christianity P.344، ومحاضرات أبي زهرة ص١٦٨، والمسيحية لأحمد شلبي ص٢٤٠.

(٢) انظر: الدائرة البريطانية ١٨/ ٦١١ و١٩/ ٤٤، والدائرة الأمريكية ٢٢/ ٦٨٦.

(٣) انظر: الدائرة البريطانية ١٦/ ٩٢٣.

ومنحت البشرَ سلطة محو السيئات، وقررت عصمةَ غير معصومٍ[١]، وشرعت شرائع، وسنت قوانين، وغير ذلك كثير. وكل ذلك قد تم في جو يسوده التعصب للرأي وللأشخاص، وسلطة القمع والحديد، والتنافس[٢] من أجل السيطرة والنفوذ. والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) انظر: المسيحية لأحمد شلبي ص١٩٧.

(٢) ومما يؤكد هذه النقطة أنه لا تكاد تخلو قوانين أي مجمع من النظر في موضوع تجاوز أسقف أو قس معين حدودَ أبرشيته أو كنيسته، وما يتبع ذلك من النزاعات.

البَابُ الرَّابِعُ

البـــابوية والبـــابوات

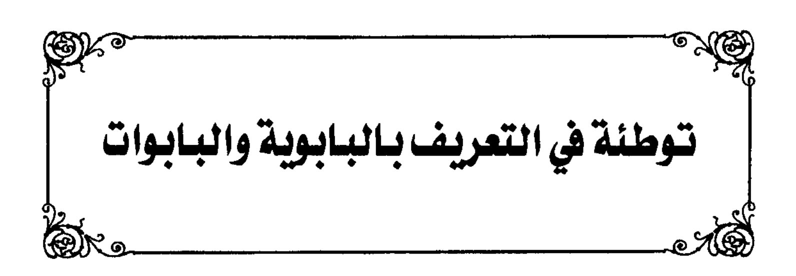
وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: البابوية وموقف النصارى من كونها مصدرا للتشريع

الفصل الثاني: نظرة في تأريخ الكنيسة الغربية وبابواتها

الفصل الثالث: العصمة البابوية، عرضا ونقدا

الفصل الرابع: أهم إضافات البابوات على الديانة النصرانية.



توطئة في التعريف بالبابوية والبابوات

البابوية أو "PAPACY" باللسان الإنجليزي نسبة إلى البابا، والبابوات جمع بابا أو "POPE" بالإنجليزية، وهو لقب كنسي يطلق في الكنيسة الغربية خاصة على رئيس الكنيسة الكاثوليكية الرومانية(١)، الذي اتخذ مدينة روما الإيطالية ثم الفاتيكان مقرا له.

لقد كان لقب "البابا" يطلق على كل أسقف في القرنين الرابع والخامس للميلاد، إلا أنه أصبح تدريجيا، مقصورا على أسقف روما وحده واستمر الحال على هذا في الكنيسة الغربية إلى يومنا هذا. في حين أن اللقب عند النصارى الشرقيين اقتُصر على بطريرك(٢) كل من الإسكندرية والقسطنطينية وأنطاكية وأورشليم، وإن كان إطلاقه على عموم الكهنة لم يزل مألوفا أيضا(٣).

أما تناول هذا البحث للبابوات أو البابوية من حيث المصدرية، فسيقتصر فقط على البابوية الغربية أو الكاثوليكية الرومانية، وذلك لأسباب سوف تأتي الإشارة

---

(١) انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦.

(٢) البطريرك: لقب استخدمه النصارى الأوائل لتكريم أساقفة أكبر الكنائس وأكثرها أهمية، مثل كنائس روما والإسكندرية وأنطاكية في بداية القرن الرابع للميلاد، ومع مطلع القرن السادس أصبح يطلق على أساقفة كل من القدس والقسطنطينية. الموسوعة العالمية ٤/ ٤٥٤.

(٣) انظر: الدائرة البريطانية ١٨/ ٢٢٤.

إليها لاحقا إن شاء الله[١]، لكنني أذكر هنا بعض ما له صلة قوية بالمنهج الذي اخترته في هذا الأمر.

وذلك أن بابا روما، بخلاف غيره من البابوات هو الذي ادّعى العصمة لنفسه واعتقد ذلك أتباعه. كما أنه ـ لا سيما في الوقت الراهن ـ يتمتع بنفوذ وسلطة لا يمكن أن ينافسه فيهما أي من البابوات الآخرين، بل إن بابا روما ـ كما يراه كثير من الكتّاب ـ يمثّل كافة درجات الزعامة الكنسية، فهو أسقف مدينة روما، ومطران مقاطعة روما بأكملها، وكبير أساقفة إيطاليا، وبطريرك الكنيسة الغربية، ورئيس الكنيسة العالمية. وإن كان منحه بعض هذه الألقاب ـ لاسيما الأول والأخير ـ لا يزال محل نظر عند البعض بحجة أن الوثائق الأثرية قلّما تذكرهما[٢].

ومما تجب الإشارة إليه ونحن في إطار التعريف بالبابوات، أن الكنيسة الكاثوليكية البابوية تعتقد أن البابا خليفة بطرس تلميذ المسيح عليه السلام الذي يقال إنه مؤسس الكنيسة في روما قبل سقوطه من ضمن ضحايا الاضطهاد النيروني فيما بين عام ٦٤م وعام ٦٧م[٣].

نبذة عن نظام الكنيسة البابوية، والدولة البابوية (الفاتيكان):

يأتي البابا في قمة الهيكل الإداري للكنيسة، حيث يعتبر مسؤولاً عن كل ما يتعلق بالكنيسة إداريةً كانت أو روحية. فهو يتمتع بسلطة دينية على جميع النصارى

---

(١) انظر: ص ٨٦١-٨٦٢.

(٢) انظر: الدائرة البريطانية ١٨/ ٢٢٤، والدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦.

(٣) انظر: الدائرة البريطانية ١٧/ ١٩٥-١٩٦.

الكاثوليك أينما كانوا، وبسلطة دنيوية تتمثل في إدارة مدينة الفاتيكان باعتبارها دولة مستقلة.

وبعد البابا يأتي الكرادلة الذين يعتبرون مستشاري البابا، وتقع عليهم أيضا مسؤولية اختيار البابا الجديد عند الحاجة.

وبعد هؤلاء يأتي المطارنة، ومجمع المطارنة ـ وهو المسؤول عن قيادة الكنيسة ـ يتكون من الأساقفة الكبار بمن فيهم البابا ـ الذي يرأس المجمع ـ بوصفه أسقف مدينة روما.

ثم الأسقفيات وهي عبارة عن مجموعة مناطق حدودية من الكنيسة يدير كلا منها أسقف ويتولى شؤونها الدينية والإدارية[١].

كيفية اختيار البابا:

ينتخب البابا من بين الكرادلة ـ أعلى درجات رجال الدين النصراني ـ بما لا يقل عن أغلبية الثلثين، ولكل الكرادلة حق اقتراع متساو. ويتم الاقتراع سريّاً، حيث يدعى الكرادلة لاجتماع لهذا الغرض في الفاتيكان يعقد خلال عشرين يوما بعد وفاة بابا من البابوات. وجدير بالذكر أن البابا ينتخب مدى الحياة، لا يمكن أن يقال ولكن يجوز له أن يستقيل. والبابا يوحنا بولس الثاني ـ البولندي ـ الذي انتُخب عامَ ١٩٧٨م هو البابا الرابع والستين بعد المائتين في سلسلة البابوات في تاريخ هذه الكنيسة[٢].

---

(١) انظر: الموسوعة العالمية ٤/ ٧و٢٠/ ١١٨، وOxford Dic. of the Christian Church P.238-239.

(٢) انظر: الموسوعة العالمية ٤/ ٦-٧.

مدينة الفاتيكان (مقر البابا):-

تقع المدينة على تل الفاتيكان في شمال غربي روما، وتعتبر أصغر دولة مستقلة في العالم، إذ لا تتعدى مساحتها ٤٤.١ هكتار ولا يتجاوز عدد سكانها ألف نسمة وأما تأريخ استقلالها فيرجع إلى عام ١٩٢٩م، وذلك بموجب معاهدة بين الكنيسة والحكومة الإيطالية[(١)].

للفاتيكان هيئة خاصة بها تشرف على مصالح المياه والكهرباء والهاتف...الخ. كما أن لها مصرفا خاصا وعلَما وسجنا ـ لم يدخله أحد قط ـ ووحدة عسكرية تسمى الحرس السويسري تتولى حراسة البابا وسكنه الخاص، وإن لم يكن له جيش أو أسطول بحري ذو قوة حربية. ولها كذلك حوالي تسعين سفيراً يرأسون سفاراتها في الخارج ويسمون سفراء البابا[(٢)]، وهيئات رسمية مختلفة ذات مهمات سياسية وإدارية داخل المدينة وخارجها[(٣)].

---

(١) نفسه ٤/ ٧ و١٧/ ١٦٥ و١٦٧.

(٢) نفسه ١٧/ ١٦٦-١٦٧.

(٣) راجع: الدائرة الكاثوليكية ١٠/ ٩٧٤-٩٧٦ (New Catholic Ency. 10/974-976).

الفَصْلُ الأَوَّلُ

البابوية وموقف النصارى من كونها مصدرا للتشريع

تتفق الطوائف النصرانية الرئيسة الثلاث، أعني: الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية في اعتبار كتاب النصارى المقدس بعهديه القديم والجديد ـ على خلاف في عدد الأسفار المعتبرة كما تقدم ـ وكذلك المجامع، على ما تقدم أيضا من أن الأرثوذكسيين وكذا البروتستانتيين[1] إنما يعتبرون المجامع التي انعقدت قبل انفصال الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية بسبب خلاف عقدي بينها وبين ضرّتها الغربية الكاثوليكية[2]. ثم يختلفون في مصادر أخرى يسمونها التقليدية، كالرسائل غير المسطورة، وتعاليم المسيح التي نقلت إلى البابوات خلفا عن سلف. حيث يعتبرها ويعترف بها الكاثوليكيون والأرثوذكسيون، فلذلك تعرف كنائسهم بالكنائس التقليدية[3]، بخلاف البروتستانتيين الإنجيليين[4]، بل إن زعيمهم: لوثر أحرق مجموعة من الكتب التي تحوي هذه التقاليد أو القوانين الكنسية[5].

ثم يأتي تطرف الكنيسة الكاثوليكية في سلطة هذه المصادر التقليدية، وذلك حين قررت عصمة بابواتها، فأصبحت هي الأخرى مصدرا أساسيا للشرائع

---

(١) راجع: Rausch,David A. & Voss,Carl H.;(op.cit.) P.6، وحنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٧٦٣. ويشترطون في اعتبار هذه المجامع عدم تعارضها مع نصوص كتابهم المقدس (جون لوريمر (م.ن.) ٤/ ١٣٣-١٣٤)، ومحاضرات أبي زهرة ص١٦٨-١٦٩).

(٢) انظر: ص٨٤٤-٨٤٥.

(٣) انظر: محاضرات أبي زهرة ص١٦٨ هامش "٢"، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣٢٨.

(٤) انظر: Rausch,David A. & Voss,Carl H;(op.cit.) P.3.

(٥) انظر: عزت زكي (م.ن.) ص٥٤.

والمعتقدات لا تقل سلطتها عن سلطة المجامع النصرانية[١]. فهنا تختلف الكنيسة الأرثودكسية عن الكاثوليكية وتقف مع البروتستانتية مرة أخرى. ولعل سبب ذلك ـ فيما يبدو ـ أن لكل منهما أصلا يتفقان في تأصيله، ألا وهو عدم الرئاسة المطلقة في الدين لأحد من البشر، فمعنى ذلك أن لكل كنيسة في إقليمها أو منطقتها رئاسة خاصة بها[٢]، فلذلك تعددت البابوات عند الأرثودكسيين كما تقدم[٣]. في حين أن الكاثوليكيين يرون أن البابا هو رأس الكنيسة، والحاكم المطلق فيها، وحبرها[٤] الأعظم، فيجب أن يخضع الجميع لقراراته وشروحه لنصوص كتاب النصارى المقدس، لا سيما وهو الخليفة المعصوم كما يعتقدون[٥].

هناك عدة عوامل ساعدت في ظهور البابوية وانتشار نفوذ البابوات الكاثوليكيين لا سيما في القرون النصرانية الوسطى، من أهمها ما يأتي:-

أ ـ أن أوروبا الغربية ـ وهي معقل الكنيسة الغربية الكاثوليكية ـ كانت تعيش في فترة الظلام الداكن، لا سيما فيما بين بداية القرن الخامس ونهاية القرن الثامن الميلاديين، أو حتى أوائل الجزء الثاني من القرن العاشر. فلم تقم فيها حكومة مدنية ذات وزن أو شأن، كما عانت في الفترة نفسها الكثير من الغزوات، فلا شك أنها في أمس حاجة إلى وجود حاكم قوي. وفي هذه الأثناء كان الأساقفة

---

(١) انظر: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص٩٢.

(٢) انظر: Rausch,D.A. & Voss,C.H. (op.cit.) P.6، والمسيحية لأحمد شلبي ص٢٣٨ و٢٤٠.

(٣) انظر: ص٨٤٥.

(٤) الحبر: النِّقس، والعالم أو الصالح، وجمعه: أحبار وحبور. القاموس ص٤٧٢.

(٥) انظر: المسيحية لأحمد شلبي ص٢٣٣ و٢٣٨، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص٩٢.

في روما: عاصمة الإمبراطورية الرومانية الغربية يمارسون اختصاصات الحكّام المدنيين بالإضافة إلى السلطات الدينية ذات التأثير الأكبر على جماهير الشعب، الذين لم يروْا هؤلاء الأساقفة إلا أناسا، هُمْ محل التقدير والتقديس، وأنهم يقومون بالأعمال نفسها التي قام بها الرسل والتلاميذ الأوائل ليسوع المسيح. ولما كان هؤلاء الأساقفة يدينون للبابا بالولاء التام، أخذ يتسع نفوذه وسلطته في أنحاء كثيرة من أوروبا الغربية، وظل لسنين عديدة هو الممثل الوحيد للحكومات المدنية هناك.

ب ـ الهيبة المحكمة التي أحاط بها البابوات أنفسهم، لا على الشعب فحسب بل حتى على الملوك والسلاطين، فتجد البابا يأمر وينهى وهو مطمئن البال من أنه سيطاع ولا بد، لأن الشعب ينظرون إليه كأقدس إنسان على وجه الأرض، وأما الملوك فكانوا يخافون من أن يصدر البابا حكما بحرمانهم أي فصلهم عن عضوية الكنيسة، وكان ذلك يعني في الاعتقاد السائد آنذاك الهلاكَ السرمدي لمن يصدر ضده.

ج ـ كان البابوات يحتلون مركزا اجتماعيا وسياسيا عاليا جدا، حتى صاروا يمتلكون كثيرا من الإقطاعيات[1]، قد أقطعهم إياها بعض الأباطرة والملوك، فكانت لهؤلاء البابوات جيوش وعساكر في تلكم المقاطعات، وفرضوا على قاطنيها الضرائب نظير ما كانت تفعله سائر الحكومات المدنية الصرفة، حتى عام ١٨٧٠م.

---

(١) الإقطاعية: كانت تنظيما لملاّك الأراضي الفلاّحين في الغرب، وكانت الإقطاعية مقاطعة تشمل أحيانا عدة قرى يوزِّع منها المالك الأصيل مساحات صغيرة للفلاّحين مقابل بعض الخدمات المختلفة. الموسوعة العالمية ٢/ ٤٢٥-٤٢٦.

د ـ ومما زاد في نفوذ البابوية الغربية وازدهارها، دور البعثات التنصيرية التي أرسلها البابوات إلى شتى بقاع العالم، فكانت هذه البعثات كلّما تكسب منطقة أو دولة، فإنها لا تكسبها للكنيسة على إطلاقها وإنما لبابا روما وحبرها الأعظم، توسيعا لدائرة نفوذه وسيطرته.

هـ ـ سعة الموارد المالية للكنيسة الغربية، وبذلها في العطاء وسخاؤها في التوزيع على سائر الكنائس، يعتبر كذلك من العوامل المهمة لازدهار البابوية وزيادة نفوذها، حيث كانت الكنيسة تبني المدارس وتقدم الخدمات الصحية والاجتماعية العامة.

و ـ فتح المسلمين لمعظم بلادالشرق وانتشار الإسلام فيها، حيث كان سقوط هذه البلاد في أيدي المسلمين ضربة أليمةً قضت على هيمنة وهيبة كنائسها المحتضرة أصلا، وعلى نفوذ وسلطة بابواتها أو بطاركها في كل من الإسكندرية وأنطاكيا وأورشليم، بينما كانت الكنيسة الغربية في قمة مجدها ونهضتها وانتشارها وتوسّعها، لا سيما وقد خلت الساحة من الكراسي الأخرى المناهضة لكرسيها، ومن المنافسين لباباها من البابوات الشرقيين[١].

(١) راجع في ما تقدم (أ ـ هـ) : تأريخ المسيحية لحبيب سعيد ١/ ١٢٣-١٢٦، و١٨٩-١٩١، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص٣١-٣٦، و٩١.

الفصل الثاني

نظرة في تاريخ الكنيسة الغربية وبابواتها

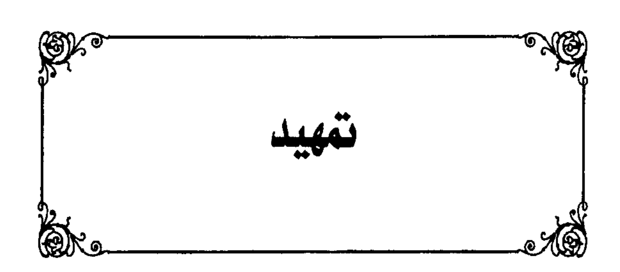
وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الكنيسة الغربية وبابواتها في القرون الأولى للنصرانية.

المبحث الثاني: الكنيسة الغربية وبابواتها في القرون الوسطى.

المبحث الثالث: الكنيسة الغربية وبابواتها من عصر الإصلاح إلى يومنا هذا.

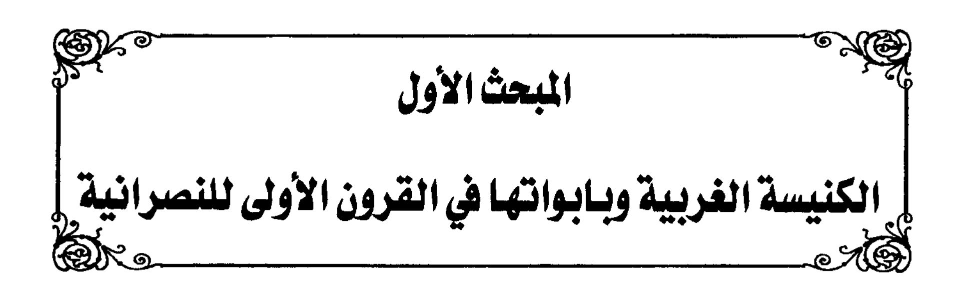




تمهيد

إن البابا والكنيسة عنصران لا ينفكان غالبا، بل من غير الممكن دراسة "البابوية" في منأى عن بيئة الكنيسة التي تولّدتْ منها، وهي التي غذّتها وأكسبتها كل ما كسبت من احترام وتقديسٍ، أو هيمنة ونفوذٍ. فمن ثم تأتي أهمية إلقاء الضوء على تأريخ هذه الكنيسة عبر القرون والأجيال.





المبحث الأول

الكنيسة الغربية وبابواتها في القرون الأولى للنصرانية

يرجع تأريخ إنشاء كنيسة روما البابوية ـ على ما يُظن ـ إلى وقت مبكر جدا، منذ النصف الثاني من القرن الأول للميلاد، حيث يعتقد معظم النصارى والكاثوليكيون بصفة خاصة أن مؤسس كنيستهم هذه هو بطرس تلميذ المسيح عليه السلام، بل يجعلونه على رأس قائمة البابوات الكاثوليكين الرومانيين![1].

وإنما خلافهم في مدة إقامته في روما، إذ يرى الكاثوليكيون أنه ظل أسقفا على روما لمدة خمسة وعشرين عاما[2] أو ستة وثلاثين[3] أو ثمانية وثلاثين[4]، ويرى غيرهم من الطوائف النصرانية الأخرى أن زيارته لروما إنما كانت قبيل وفاته بها في عام ٦٧م، وحجة هؤلاء نصوص من كتابهم المقدس تتعارض مع دعوى الإقامة الطويلة في روما لبطرس، فإنه كان في أورشليم في عام ٤٤م

(١) انظر: Hughes,Philip; (op.cit.) P. 282، والدائرة البريطانية ١٧/ ١٩٦، والدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦.

(٢) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٨٧.

(٣) انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦.

(٤) انظر: Hughes,Philip; (op.cit.) P. 282.

حيث سجنه هيرودس الملك[١]، وكذلك في عام٥١م حين انعقد مجمع التلاميذ أو الرسل، وفق ما جاء في سفر أعمال الرسل[٢]، ثم بعد ذلك تأتي أخبار تجواله في عدة مدن في آسيا[٣]. وإن كانت السّنة التي انتقل فيها إلى روما غير معلومة على يقين، لكنه على أي حال لم يكن هناك حين كتب بولس رسالته إلى أهلها، وذلك حوالي سنة ٥٧م أو ٥٨م[٤] بدليل عدم ورود ذكرٍ لاسمه من بين من سماهم بولس بالإخوة الذين بعث إليهم بتحيته[٥][٦].

هذا ولا شك أن الكنيسة الرومانية قد احتلّت مكانة عظيمة في تأريخ النصرانية عبر العصور نظرا لمقرها: روما التي كانت عاصمةً للإمبراطورية الرومانية، ولدعوى وضع حجر أساسها من قبل كبير حواريي المسيح ﷺ: سمعان بطرس[٧]. فمنذ القرن الرابع للميلاد ظهر اعتبار بابا روما رئيسا للكنائس النصرانية كلها[٨]، لذا نجد أن جميع الخلافات العقدية التي أثيرت في المجامع الأُول، وإن كانت قد نشأت من الشرق وتبنَّاها الأساقفة الشرقيون، إلا أنها جميعها أو أغلبها قد بُتّ فيها بعد استشارة الكنيسة في روما، أو طلب

(١) انظر: الأعمال١٢/ ١-٥.

(٢) انظر: ١٥/ ١-٢١.

(٣) انظر: غلاطية ٢/ ١١، و١ ـ كورنثوس١/ ١٢و٩/ ٥، ورسالة بطرس الأولى.

(٤) وقيل بل كتبت في عام ٥٦م. انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٣٠.

(٥) انظر: رومية١٦/ ٣-١٦.

(٦) انظر: يوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٨٧ ـ تعليق ناشر الطبعة الإنجليزية ـ.

(٧) انظر: الدائرة البريطانية ١٨/ ٢٢٤، وشارل جنيبير (م.ن.) ص١٤٥و١٤٦.

(٨) انظر: مقارنة الأديان للطهطاوي ص٢٠٦، ومحمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٦٥.

موافقتها على قرارات هذه المجامع على الأقل.

إنَّ مما لا يسوغ إنكاره وجود فوارق عدة وخلافات داخلية بين أعضاء الكنيسة النصرانية منذ القرون الأولى من تاريخ النصرانية. ومن هذه الفروق ما ظهر في أواخر القرن الرابع للميلاد حين قرر المجمع المسكوني الثاني رفع رتبة أسقف القسطنطينية، عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية الجديدة ليكون بعد أسقف أو بابا روما مباشرة. فما أن بلغ أعضاءَ كنيسة روما هذا القرار حتى ثارت ثائرتهم وأبدوْا اعتراضات واحتجاجات شديدة ليست ضد هذا القرار وحده بل ضد المجمع الذي أصدره برمته![١]. وعن خلافات أخرى كانت موجودة داخل الكنيسة في هذه الفترة من الزمن يقول بعض كتّاب النصارى[٢]: «صار نصفا العالم المسيحي أكثر تميزا خلال القرنين الرابع والخامس. فالوحدة الرومانية[٣] المميزة للعصور القديمة حلّ مكانها الانقسام بين الشرق البيزنطي[٤] والعصور اللاتينية الوسطى. فإن اللاهوتيين لم ينهمكوا[٥] في واجبات مختلفة وحسب، بل الحياة المسيحية كلها أصبحت مختلفة، المؤسسات الكنسية، خدمة القدّاس، قدوة الرهبنة، مكان المسيحية في الحياة اليومية، ففي كل مجال برزت الفروق»[٦].

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص٢٨٢-٢٨٣.

(٢) هو: هنري مارو "Heri Marou"، صاحب كتاب: القرون النصرانية (بالإنجليزية).

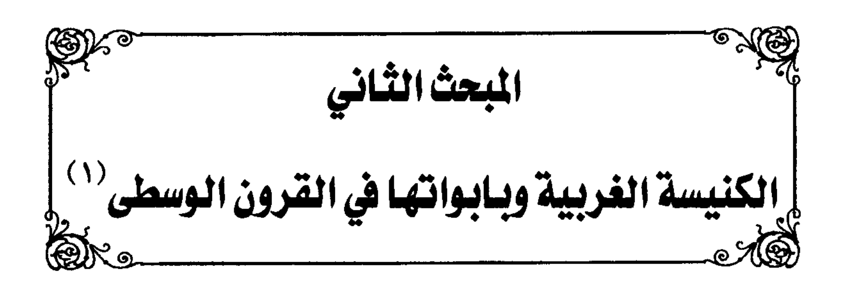
(٣) هذه إنها في أيام كانت وثنية.

(٤) البيزنطة: انظر: التعريف بالقسطنطينية في ص٦٩٣.

(٥) همكه في الأمر فانهمك وتهمّك، أي لجّجه فلجَّ، وفرس مهموك المعَدَّيْن أي مرسَلهما. القاموس ص١٢٣٧.

(٦) Marou, Henri;The Christian Centuries P.334، نقلا عن: جون لوريمر (م.ن.) ٣/ ١١٧.

ومع هذا كله فإن دراسة تأريخ الكنيسة الغربية البابوية باعتبارها كيانا مستقلا، له آراؤه الاعتقادية الخاصة به إنما تتأتى في العصور التي أعقبت الانقسامات الجذرية الواقعة بين أعضاء الكنيسة الجامعة، كما سلف في موضعه.



المبحث الثاني

الكنيسة الغربية وبابواتها في القرون الوسطى(١)

إن القرون الوسطى بالنسبة لتأريخ الكنيسة الغربية لها أهمية خاصة، وذلك لأنها أطول فترة زمنية لها حتى الآن، كما أنها العصر الذي شهد تأسيس القوة البابوية وبداية سقوط هذه القوة بعد أن وصلت إلى القمة في النفوذ والتسلّط والطغيان. كان البابا خلال هذه المدة كلها هو رأس الكنيسة وصاحب الكلمة النافذة فيها في كافة أنحاء القطر الغربي من أوروبا النصرانية. ولكي يتم تناول أهم الأحداث التأريخية إبّان هذه الحقبة الزمنية، جرى تقسيم المبحث إلى المطالب الأربعة الآتية، وبالله التوفيق.

---

(١) القرون الوسطى أو العصور الوسطى في العالم النصراني، وتسمى في الإنجليزية بـ "Middle Ages أو Midieval Ages": مصطلح تأريخي يطلق على الفترة الزمنية التي كانت بين سقوط الحضارة القديمة وقيام الحضارات الحديثة. ومن الجدير بالذكر أن المؤرخين لم ولن يتفقوا على تحديد تأريخ بداية هذه القرون أو تأريخ نهايتها، وذلك لأن كلاً يحدد إما وفقا لعقيدته هو أو ميوله أو وجهة نظره. ومما ورد في التحديد: أنها تبدأ من عام ٢٥٠م أو عام ٤١٠م أو عام ٤٧٦م أو ٥٩٠م أو ٦٠٤م، وبعضهم يحدد بدايتها بسقوط الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس للميلاد. أما نهايتها فقيل في عام ١٥١٧م وقيل ١٥٥٠م. انظر: الدائرة البريطانية ١٥/ ٤٠٣، والدائرة الأمريكية ١٩/ ٣٨ (أ)، ودائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة ١٠/ ٩٥١، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص٣.

المطلب الأول: البابوية وسلطتها الدينية والسياسية والاقتصادية والفكرية.

أولا: السلطة الدينية (الروحية).

إن الطغيان الروحي من طبيعة الأديان الوضعية، فكهنة هذه الديانات محاطون بألوان من الغموض وأنواع من الأسرار، بناءً على أساس أن لهم صلةً خفية بالإله المعبود، ومن ثَمَّ ففيهم عنصر إضافي لا يوجد في سائر البشر. وعليه، يتيح لهم هذا، السلطانَ الرهيب على قلوب أتباعهم. حيث إن الكاهن ـ في اعتقاد هؤلاء ـ له قدرة استنزال رضا الرب وغضبه على سواء، وبمرور الوقت يصبح غضبه عندهم كأنما هو غضب الرب نفسه وكذلك رضاه[(١)].

إذا عُلم هذا، فإن دور البابوات وسائر رجال الدين في الكنيسة الغربية في ذلك الوقت لا يختلف كثيرا عن دور كهنة سائر الديانات الوضعية، فقد اعتُبر البابا وسيطا بين الله والخلق[(٢)]، وممثَل الله على وجه الأرض وخليفة يسوع المسيح الوحيد. فكانت إرادته لا تقبل الجدل أو النقاش[(٣)]، وهو يَحكم ولا يُحكم عليه[(٤)] ـ والعياذ بالله تعالى ـ، وقداسة البابا ـ كما يسمونه ـ مقدّس الذات ومقدّس الكلمات!!![(٥)].

---

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب ص٣٠ بتصرف.

(٢) انظر: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص٦٩.

(٣) انظر: المسيحية لأحمد شلبي ص٢٣٨ و٢٥٣.

(٤) انظر: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص٦٩.

(٥) انظر: محمد قطب (م.ن.) ص٣١.

لقد أصبحت الكنيسة البابوية تملك حق الغفران كما قُرر في مجمع عام ١٢١٥م[١]، ومن ثم فهي تملك حق الحرمان ـ في تصوّرهم ـ، فذاك كان سلاحا آخر أمضى من السيف في إخضاع عامة الناس حكّاما ومحكومين لإرادة البابا وأوامره ونواهيه.

فهذا البابا هلديبراند المعروف بغريغوريوس السابع[٢] في القرن الحادي عشر للميلاد يُصدر قرارا بحرمان الملك هنري الرابع[٣] إثر خلاف بينهما حول من هو أحق بتعيين الأساقفة، أهو الإمبراطور أم البابا؟ فاضطر الإمبراطور (الملك) أن يقف خارج مقر إقامة البابا حافي القدمين، يقرع باب البابا ويستأذنه لمدة ثلاثة أيام في جو بارد، يسترحمه ويتوسل عنده للغفران، إلى أن قرر البابا أخيرا إلغاء قراره السابق القاضي بحرمان الإمبراطور أي فصله عن عضوية الكنيسة[٤].

هذه السلطة الدينية أو قل: الطغيان الروحي ـ إن شئت ـ لم تكن حكرا على البابا وحده بل امتدت إلى حواشيه ووزرائه في تلكم الإمبراطورية الكنسية المترامية الأطراف من رؤساء أساقفةٍ، وأساقفةٍ، وكهنة. فقد كان لهؤلاء أيضا ـ لا سيما الكهنة الذين هم على اتصال مباشر بعامة الناس ـ سلطان روحي طاغ على الشعب. فالفرد مهما بلغ في الصلاح والتقوى لا يمكنه عقد صلة مباشرة بالله المعبود بعيدةً عن

(١) انظر ما تقدم في ص٨٢٩.

(٢) البابا غريغوريوس السابع: تولى البابوية في عام ١٠٧٣م وتوفي في عام ١٠٨٥م. الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P. 288.

(٣) هنري الرابع: ملك ألمانيا بالاشتراك من عام ١٠٥٤م، ثم الملك من عام ١٠٥٦م، ثم إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة من عام ١٠٨٤م، وتوفي سنة ١١٠٦م. الدائرة البريطانية ١١/ ٣٧٢.

(٤) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٢٧، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص٦٢-٦٣.

سلطان الكهنة أو تدخلهم في أي لحظة من اللحظات، بل يظل النصراني مرتبطا بالكاهن من المهد إلى اللحد، فالطفل لا يكون نصرانيا حتى يعمّد، ولا يكون التعميد إلا على يد كاهن، ولا يتم زواجه إلا على يد كاهن، ولا سبيل لغفران ذنوبه أو محو خطاياه إلا بعد الاعتراف لكاهن، ثم عندما تأتي الساعة الحاسمة في حياة هذا المسكين، فالكاهن هو الذي يُغمض عينيه، فيصلي[١] عليه عند الموت، وله الحق في تقرير مصيره بعد ذلك، فيقرر إن كان يجوز أن يُدفن في مقابر الكنيسة أم لا؟ أما توزيع تركته، فلا حق لأحد في ذلك أيضا إلا الكهنة ورجال الكنيسة[٢]. كل هذا كان يتم في جو التسليم التام والخضوع الكامل من شعب الكنيسة. كيف لا؟ وقد ترسّخ في ذهنهم أن ما تحله الكنيسة على الأرض فهو محلول في السماء، وما تربطه كذلك يصير مربوطا![٣].

وهناك طرق أخرى مارست الكنيسة من خلالها طغيانها الروحي على نصارى القرون الوسطى ـ وربما حتى اليوم[٤] ـ ومنها دعوى وجود أسرار في ديانتهم، والتي لا يعلم تأويلها إلا الراسخون ـ لا في العلم ـ وإنما في الكهنوت،

---

(١) الصلاة عندهم تعني الدعاء فقط.

(٢) انظر: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص٩٢-٩٣، وعزت زكي (م.ن.) ص١٤-١٥.

(٣) انظر: متّى ١٦/ ١٩، و١٨/ ١٨.

(٤) واقرأوا إن شئتم: قصة امرأة نصرانية كانت مطلّقة ثم اتّخذت لنفسها خليلا، وبعد فترة من الوقوع المستمر في فواحش الزنا مع خليلها، فكرت في عقد الزواج بينهما فذهبت إلى القس تستفتيه، وكان جوابه أن طلاق المرأة ليس صحيحا حسب العقيدة النصرانية، فلا يحل لها أن تتزوج ثانية وإنما لها البقاء على علاقتها ـ بالزنا ـ مع خليلها، وتأتي للاعتراف عنده (القس) في الكنيسة كل أسبوع ليغفر لها خطاياها...الخ!!! (فضائح الكنائس والباباوات والقسس... لمصطفى فوزي غزال ص٥٥-٥٦).

ولا يتم الإيمان إلا بعد الإيمان بهذه الأسرار، ومفتاحها إنما هو بيد رجال الكنيسة ولا يعطونه إلا لمن يريدون!(١).

كما أن الكنيسة البابوية استحوذت على أحقية فهم كتابهم المقدس، ومن ثم إصدار القرارات وفْقَ هذا الفهم أو التقاليد التي يتوارثها البابوات خلفا عن سلف، ثم لا سبيل للتعقيب لما تقوله الكنيسة، بل يجب تلقّيه بالقبول سواء خالف النقل والعقل أو وافقهما. ففي حالة مخالفته للعقل فإن الواجب على المرء ـ كما يقولون ـ أن يشك في العقل ولا يشك في قول البابا، فكأنهم يريدون أن يكون الجميع كما كان يصرّح أحد أسلافهم(٢) كلما يريد أن يقطع أي مناقشة في عقيدته: «إنني مؤمن لأن ذلك لا يتفق والعقل»(٣).

ولا شك أن إخضاع النص للعقل أمر مشين ولا ينبغي أن يكون. ولكن نص مَن؟ هنا القضية، فالنص الذي لا يوزن بالعقل هو ما كان وحيا من الله ﷻ متلُوًّا أو غير متلو. أما قول فلان أو عَلَّان من البشر فمن المكابرة والطغيان أن يقال إن عقول سائر البشر لا تصل إلى مستواه، والله تعالى أعلم.

ثانياً: السلطة السياسية.

لقد كوّنت البابوات في القرون الوسطى إمبراطورية كنسية رهيبة تتمتع بحرية كاملة من السلطة المدنية في أي دولة أو مجتمع، فاستقل البابا استقلالا تاما، حيث لم

---

(١) انظر: محمد قطب (م.ن.) ص٣٢-٣٣، ومقارنة الأديان للطهطاوي ص٢٠٨، وكارل وليمز الكبير (م.ن.) ص١٣٨.

(٢) هو: سان أوغسطين، انظر ترجمته في ص٤١٢.

(٣) انظر: إتين دينيه (م.ن.) ص٥٢، والمسيحية لأحمد شلبي ص٢٥٣.

يعد تابعا لأيٍّ من الملوك والأمراء، بل كان أعلى منهم في المستوى، والملوك أنفسهم تهتز عروشهم إن هم حاولوا الوقوف ضده أو ضد سلطته. فما أدق ما وُصف به حال الكنيسة البابوية وحجم سلطته السياسية آنذاك في دائرة المعارف البريطانية إذ جاء فيها: «كانت الكنيسة المقدسة مركز النظام القضائي والإداري، ولم تكن أكثر فعالية من أي حكومة أخرى فحسب، بل كانت قاعدة جميع الحكومات. كانت هي المحكمة النهائية للاستئناف في المعاملات الدولية، ومصدر بل ومقياس الكفاءة الوزارية والقضائية. وكانت سلطة البابا نفسه ذات شعبية ومعنوية كذلك...»[1]. بل كانت هنالك دول وممالك يحكمها البابوات متى ما شاءوا بواسطة نائبين عنهم، وأحيانا يقسمونها بين حكام الأقاليم الأخرى[2].

والغريب أن الكنيسة وهي تسعى وتطالب بسلطانها الطاغي على الأباطرة والملوك، لم تفعل ذلك قط من أجل مصلحة أحد ولا دينٍ، وإنما ليطأطئ الملوكُ والأباطرة لها ولرجالها الرؤوسَ ويخضعوا لسلطانها وهيمنتها[3] التي بذلت في سبيل تحصيلها كل نفس ونفيس، بل إن الأدلة التأريخية تثبت أن الحروب الصليبية[4] التي استمرت لنحو قرنين من الزمن إنما كانت بإيعاز من بعض البابوات الذين أفتوا بأنها حرب دينية، وأن ذنب من يُقتل فيها مغفور وسعيه مشكور وإلى

(١) الدائرة البريطانية ١٩/ ٤٣٢، وانظر كذلك: عزت زكي (م.ن.) ص١٤، والمسيحية لأحمد شلبي ص٢٥٢.

(٢) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ٢٠/ ٢٨.

(٣) انظر: محمد قطب (م.ن.) ص٤٤.

(٤) الحروب الصليبية: اسم أطلق على الحملات العسكرية النصرانية المنظمة بشكل رئيس للاستيلاء على فلسطين بين القرنين الخامس والثامن الهجريين. الموسوعة العالمية ٩/ ٢٨٣-٢٨٤

الجنة سوف يصير![(١)].

وصل بابوات القرون الوسطى إلى درجة أنهم يُتوّجون الأباطرة ويعزلونهم متى ما أرادوا أو يفصلونهم عن عضوية الكنيسة، فقد كان تعيين الإمبراطور فيما كان يسمى بالإمبراطورية الرومانية المقدسة [(٢)] يتم على أيدي البابوات، وكان أباطرتها يقدمون الولاء لروما حتى القرن السادس عشر للميلاد[(٣)]. وإذا ما أراد أحد منهم أن ينازع كنيسة روما في شيء فإن مصيره هو الحرمان وسحب صلاحيته الإمبراطورية، كما وقع ذلك للإمبراطور هنري الرابع في عهد البابا هلديبراند[(٤)] وغيره من ملوك فرنسا وإنجلترا[(٥)].

وعند ما تقام مراسم التتويج لأي إمبراطور جديد كان من أوائل ما يُفرض عليه أن يقسم يمين الولاء للإيمان الكاثوليكي ويمين الخضوع للجالس على كرسي روما ـ أعني البابا ـ وللكنيسة الرومانية[(٦)]. بل إن دولاً وحكومات كانت تدفع الجزية لكرسي روما البابوي![(٧)].

---

(١) انظر: Crake; Short History of the Church P.204، نقلا عن: محمد تقي العثماني (م.ن.) ص١١٤-١١٥ بتصرف.

(٢) قامت في عام ٩٦٢م غربي ووسط أوروبا واتّخذت من ألمانيا قاعدة لها، وقد استمر وجودها حتى عام ١٨٠٦م. انظر: الموسوعة العالمية ٢/ ٦٦٧.

(٣) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٢٧.

(٤) انظر: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص٦٢، ومحمد قطب (م.ن.) ص٤٦.

(٥) انظر: محمد قطب (م.ن.) ص٤٦، وجاد المنغلوطي (م.ن.) ص٦٩، ومتولي يوسف شلبي (م.ن.) ص١٢٨.

(٦) انظر: عزت زكي (م.ن.) ص٢٩.

(٧) انظر: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص٧٠.

إن سلطة الكنيسة السياسية لم تقتصر على الملوك والأمراء بل امتدت إلى عامة الشعب، فسنّت قوانين خاصة بها كما كانت لها أيضا محاكمها الخاصة باعتبارها سلطة قائمة بذاتها. فالقضايا التي تأتي إلى هذه المحاكم البابوية يقوم بفحصها والنظر فيها البابا أو رؤساء الأساقفة أو الأساقفة، وهي قضايا تمس جميع جوانب حياة الشعب، لا تترك شاردة ولا واردة[1]، ومن نماذج ذلك ما عُرف في التأريخ بمحاكم التفتيش البابوية الذي يقول ول ديورانت عن بشاعتها: «وإذا ما عفونا عن بعض هذا الشذوذ الجنسي والانهماك في ملاذ المأكل والمشرب [أي للأساقفة والبابوات]، فإنا لا نستطيع أن نعفو عن أعمال محاكم التفتيش»[2]. فبهذه المحاكم نصبت الكنيسة نفسها لمهاجمة الضمير الإنساني بالنار والعذاب، وأُحرق ما الله أعلم به من النفوس. وكانت هذه المحاكم تتمتع بسلطة لا تقل عن السلطات الأخرى لسائر المؤسسات الكنسية، فكانت لها شرطتها الخاصة، كما استُخدم فيها التعذيب البدني وسيلةً لانتزاع الاعترافات من المتهمين[3].

ومما يُذكر أن السلطة السياسية للكنيسة البابوية قد بلغت ذروتها في عهد البابا إنوسنت الثالث[4] (١١٩٨م-١٢١٦م)[5].

---

(١) انظر: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص١٠٠.

(٢) ول ديورانت (م.ن.) ٢١/ ٨٦.

(٣) انظر: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص١٠٢، ومحمد قطب (م.ن.) ص٦٧-٦٨.

(٤) البابا إنوسنت الثالث: تولى منصب البابا في عام ١١٩٨م، وتوفي في عام ١٢١٦م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P. 288.

(٥) انظر: الدائرة البريطانية ١٩/ ٤٣٢، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص٦٩-٧٠و٩٢و١٠١-١٠٢، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٢٨-٢٩.

ثالثا: السلطة الاقتصادية.

إن المسيح عليه السلام ـ حسب ما جاء في الأناجيل ـ قد أمر شخصا أراد أن يتبعه ببيع جميع ما ملك وأن يوزع ثمنه كله على الفقراء حتى يكون كاملا[1]، بل قيل إنه عليه السلام صرّح بأن « مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله »[2]!

لكن تعالوا معي لنقف معا على حال البابوات وسائر رجال الكنيسة في القرون الوسطى ـ وحتى وقتنا الحاضر ـ وما لهم من القوة الاقتصادية الهائلة والنفوذ المادي الكبير.

كانت الكنيسة البابوية في ذلك الوقت أغنى وأكبر قوة اقتصادية في جميع أنحاء أوروبا، وكان لها من الموارد المالية ما يفوق بدرجة كبيرة ما كانت تملكه أي حكومة من الحكومات المدنية آنذاك. فمثلا، كانت الكنيسة تمتلك ربع أراضي كل من إنجلترا وفرنسا، وأكثر من هذه النسبة في كل من إيطاليا وأسبانيا، بل وجدت ممالیك برمتها اعتُبرت جميع أراضيها وما فيها من الثروات ملكا خاصا للبابوات[3].

لقد كان في حوزة الكنيسة ورجالها من الممتلكات سواء المنقولة منها أو العقارية، ما قد لا تصدّقه العقول، وإن ديرا واحدا فقط كان يمتلك خمسة عشر ألفا من القصور، وآخر كان بحوزته ألفان من رقيق الأرض، وهكذا...[4].

أما مصادر هذه الأموال والممتلكات فكثيرة ومتنوعة، منها الأوقاف، حيث

(١) انظر: متى ١٩/ ٢١، ومرقس ١٠/ ٢١، ولوقا ١٨/ ٢٢.

(٢) متى ١٩/ ٢٤، ومرقس ١٠/ ٢٥، ولوقا ١٨/ ٢٥.

(٣) انظر: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص ٩٠-٩١.

(٤) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ١٤/ ٤٢٥.

كانت الكنيسة تستولي على أراض زراعية ثم توقفها على نفسها لتنفق منها على مصالحها، ومنها كذلك الهبات التي يتقدم بها الأثرياء للكنيسة أو للبابا، وهي في أغلب الأحيان تؤخذ منهم بالإجبار والإحراج، أو بالإغراء والإرهاب. فمثلا: الهبة التي تُمنح للكنيسة في الوصايا، حيث أوجبت الكنيسة على أتباعها ألا يكتبوا وصاياهم إلا بين يدي القسيس، فالموصِي يضطر على الأقل ـ مجاملة ـ أن يهب للكنيسة شيئا من أملاكه التي تكتب الوصايا عليها بحضور مندوب الكنيسة نفسها. وهناك وسيلة أخرى لجمع هذه الأموال، وهي ما عرفت بالسخرة، إذ كانت الكنيسة تفرض على رعاياها أن يعملوا بالمجّان يوما واحدا في الأسبوع في أراضي الكنيسة الزراعية وغيرها(١).

كما أن أموالا طائلة تدخل في خزائن الكنيسة مما يحصل عليه رجالها مقابل أي خدمة كنسية قاموا بها للأتباع، فكل شيء يتم بالمال. كما ينقل وصفٌ دقيق لهذا عن مواطن أسباني عاش في القرون الوسطى تحت السيطرة البابوية، حيث قال: «أرى أننا نادرا ما نحصل على شيء من خدّام المسيح إلا بالمال، في العماد(٢) بالمال... في الزواج بالمال، الاعتراف(٣) بالمال، ولا سر المسحة الأخيرة [عند الموت] بدون المال، لا يدقون الأجراس بدون المال، لا مراسم في الكنيسة للدفن بدون المال»(٤)!

وهناك طرق أخرى كثيرة، كفرض الضرائب والعشور، وبيع الغفرانات،

---

(١) انظر: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص٩٠، ومحمد قطب (م.ن.) ص٤٢-٤٣.

(٢) يعني التعميد أو المعمودية وقد تقدم التعريف به في أول الكتاب.

(٣) أي الاعتراف لدى الكاهن بالذنوب، وسيأتي إن شاء الله.

(٤) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣٧، وكذلك عزت زكي (م.ن.) ص١٦.

والدعوة إلى الزيارات المقدسة ـ كما يزعمون ـ... أجّلتُ الحديث عنها لاندراجها تحت موضوع مستقل لاحق، وهو إضافات البابوات في العقائد والعبادات النصرانية.

لكن أشير هنا إلى طريقة ربما كانت أخطرها وأكثرها جباية للأموال، ألا وهي الإقطاعيات. ومع ما في النظام الإقطاعي من الظلم لم يتورع عنه رجال الكنيسة، بل كانوا من أكبر أنصاره ومؤيديه آنذاك(١).

كل هذه العوامل جعلت الشعوب الخاضعة لسيطرة الكنيسة خلال هذه القرون لم تعد تفكر في الكنيسة على أنها مؤسسة للخدمة أو للإرشاد، وإنما ملكية خاصة بكبار رجال البابوات، وُجدت لتجلب لهم امتيازات ومكاسب اقتصادية(٢).

وأختم هذا الفرع بقول أحد المهتدين إلى الإسلام بعد أن كان من القوم، إذ يقوّم وضع الكنائس ورجالها، وولعَهم بحب المال والسعي إلى تحصيله وجمعه فقال: «وقد أدرك المسيح نفسه ذلك. ألم يطرد بائعي الهيكل(٣)؟ غير أن أتباعه لم يفعلوا مثل ما فعل. واليوم إذا عاد عيسى [عليه السلام] فكم يطرد من أمثال بائعي الهيكل!!»(٤).

رابعا: السلطة الفكرية.

لم يقف تسلط الكنيسة عند الحدود السياسية والاقتصادية والروحية، وإنما تعدّى كل ذلك إلى الإطار الفكري العلمي، فلا مجال لمناقشة أسرار الكنيسة ولا

---

(١) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ٢٠/ ٢٨، ومحمد قطب (م.ن.) ص٧٠-٧٦.

(٢) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣٨.

(٣) انظر: متّى ٢١/ ١٢-١٣.

(٤) القائل هو: إتين دينيه في: أشعة خاصة بنور الإسلام ص٢٣.

الاستفسار عن أدلتها، وإنما الواجب التسليم الأعمى بها. وإذا ما أراد أي إنسان أن يسأل عن حقيقة هذه الأسرار[١]، سواء كان سؤاله من أجل الإيمان بها أو من أجل الاطمئنان الذي يزيد به الإيمان، بادر رجال الكنيسة إلى زجره وتهديده بالويل والهلاك إن هو لم يكفّ عن مثل ذلك[٢].

ونحن لا ننكر أن الدين ليس منشؤه العقل أو التفكير، ولكنه في الوقت نفسه لم يكن قط معطّلا لهما عن العمل ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤]. وإنما هذا الذي يمارسه رجال الكنيسة فيه شيء من ادّعاء الألوهية، لأن الله فقط ـ أو على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام ـ هو الذي له أن يتعبّد خلقه بما قد لا تدركه العقول أو تعجز عن الإحاطة بحِكمه البالغة فيه. وهذا ما نعرفه في شريعتنا الإسلامية بالأحكام التعبدية.

كانت الكنيسة في تلكم القرون تحارب بشدة أصحاب الآراء العلمية أو الطبيعية، لا سيما من تبنّى منهم مذهبا أو رأيا مخالفا لرأي الكنيسة، فأزهقت كثيرا من الأرواح وسفكت سيولا من الدماء وعذّبت جموعا من الأحياء.

ثم يأتي دور الكنيسة في إنشاء مدارسها الخاصة التي أصبحت هي الأخرى

---

(١) أعني الأسرار الكاثوليكية السبعة وهي: ـ التعميد، والعشاء الرباني، والتثبيت، والتوبة، والرسامة، والزيجة، والمسحة المقدسة (وستأتي أيضا مع الشرح). وتتفق باقي الطوائف النصرانية مع الكاثوليكية في السرين الأولين فقط. انظر: علم اللاهوت النظامي ص١١٣٦-١١٤٠. وقيل إن الكنائس اليونانية مثل الكنيسة البابوية في إضافة الأسرار الخمسة الأخرى. انظر:
Hezekiah; The Church,Its polity & ordinances P.106 Harvey.

(٢) انظر: محمد قطب (م.ن.) ص٣٤.

دعامةً قوية من الدعائم التي استندت إليها كنيسة روما في إظهار طبقة متميزة من الشعب موالية لها ودافعة إلى تفكك الشعوب، حتى تتمكن الكنيسة من إحكام سيطرتها على الكل عن طريق تلكم الطبقة[١].

فهكذا تسلطت الكنيسة البابوية على شعوب أوربا الغربية على اختلاف فئاتهم وطبقاتهم، فالملوك لا يُتوجّون إلا بإذن البابا ومباركته، بل لا يتولون سلطانهم على رعاياهم إلا بتولية البابا لهم، وبمقدوره ـ أعني البابا ـ سحب هذا السلطان بالحكم عليهم بالحرمان متى ما بدا له ذلك. وأما الرعية أنفسهم، فلا يصبحون نصارى إلا بتعميد رجال الكنيسة إياهم، وليس لهم أداء عباداتهم إلا بحضور القس أمامهم وفي مكان محدد هو الكنيسة، بل ولا يموتون موتا صحيحا إلا بإقامة قدّاس الجنازة لهم على يد الكاهن أو القس أيضا. ومن الناحية الفكرية، لا يتعلمون إلا ما تسمح لهم الكنيسة بتعلمه، ولا يفكرون إلا فيما يسمح لهم رجالها بالتفكير فيه وعلى النحو الذي يسمحون لهم به. بل وأكبر من ذلك أنهم لا يعتقدون إلا ما يلقّنهم به هؤلاء، ولا أهلية لهم أصلا في الاستفسار أو السؤال عن أدلة ذلك أو براهينه. وهم مع ذلك كله شبه محجور عليهم في التصرف في أموالهم أو ممتلكاتهم![٢]. فهكذا كان تسلط البابوية على أرواحهم وأجسادهم وأموالهم وسياساتهم وعقولهم من المهد إلى اللحد.

---

(١) انظر: عزت زكي (م.ن.) ص١٧-١٨.

(٢) انظر: محمد قطب (م.ن.) ص٤٤٨-٤٤٩.

المطلب الثاني: سلوك البابوات وأخلاقهم في القرون الوسطى.

لقد كان من محنة الكنيسة أن رجالها بدلا من أن يستغلّوا تلكم السلطات والإمكانيات الواسعة لصالح الدين الذي باسمه اكتسبوها، راحوا يستغلّونها لتحقيق مصالحهم الخاصة، ولإرضاء ضمائرهم الشخصية، وإشباع غرائزهم البشرية، وقضاء حوائجهم الدنيوية، إلى درجة أنه يحق لقائلٍ من رواد الكنيسة أن يقول: «لقد كان هناك عدد من البابوات العظماء الطاهرين، كما كان هناك أيضا عدد منهم ذوو شخصيات تافهة، وعدد آخر ليس قليلا منهم إما عديمو القيمة أو شرّيرون»[١]! وهاهنا شاهد آخر من أهل البابوات يدلي بشهادته في عبارات هي كما يلي بالحرف: «لم يكن المقام البابوي قليل الاحترام عند قوم أكثر مما كان عند الإيطاليين أنفسهم. فلربما كان للبابا هيبته وسلطانه في البلاد البعيدة عن كرسي حكمه، أما في إيطاليا[٢] فقد كان كل شيء تحت سمع الإيطاليين وبصرهم، رذائل البابوات، ومفاسد البطانة البابوية، والجشع والترف والخداع، والمؤامرات التي كانت تبيض وتفرخ في قلب القصر البابوي. لقد كان همّ كلِّ بابا أن يجمع أكبر قدر من الثروة لنفسه وأن يحيط نفسَه بأقاربه ويغدق[٣] عليهم الضِّياع[٤] والمقتنيات»[٥].

(١) الدائرة البريطانية ١٧/ ١٩٥.

(٢) حيث كانت روما ـ عاصمة إيطاليا ـ مقر البابوية قبل ولادة دولة الفاتيكان البابوية.

(٣) الغدَق: الماء الكثير، وأغدق المطرُ واغدودق أي كثر قطرُه. القاموس ص١١٨٠.

(٤) الضِّياع أو الضيعات: جمع الضيعة، وهي العقار والأرض المغلّة، أما الضَّياع ـ بالفتح ـ فهو العيال أو ضُيَّعهم، وضرب من الطيب. والضِّياع أيضا ـ بالكسر ـ: جمع ضائع. انظر: القاموس ص٩٦٠.

(٥) مختصر تأريخ الكنيسة لأندرو مللر، نقلا عن: عزت زكي (م.ن.) ص١٥٥.

لقد وصلت البابوية بحكم ما ارتكبه البابوات من أبشع أنواع الجرائم وأفظعها إلى أحط دركات الانحطاط والانحلال الخلقي في تلكم العصور، حتى اعتبرها بعضٌ من المؤرخين[١] مضربَ المثل في كل ما هو خسيس مخجل في المعمورة كلها، وأنها العار الذي لا ينمحي أبد الدهر.

هذا على المستوى السلوكي فكيف بالصعيد السياسي؟ الواقع أن بابوات قرون النصرانية الوسطى لا يختلفون في شيء عن الساسة الطمّاعين دائما في القبض على زمام الأمور، فيتنافسون على ذلك ويقتتلون عليه بكل ما يملكون من نفس ونفيس، أو غال وثمين. لقد أصبح مركز البابا موضع نزاع بين القادة السياسيين، بل كثيرا ما قامت الحروب في سبيل نيله أو بسببه[٢].

وأغرب من ذلك أنهم ما كانوا يترددون في استخدام الأساليب السياسية نفسها التي يستخدمها أندادهم من الحكام المدنيين، فكانوا يبيعون أو يوزعون المناصب والرتب الكنسية لذوي الأموال أو أولي النفوذ، إما لكي يتمكنوا من سداد بعض ديونهم السياسية، أو ليحققوا أغراضا ودوافع سياسية، فاستخدموا أساليب عدة لنيل مآربهم وتحقيق مطالبهم بما فيها تجنيد الجيوش، وأساليب المكر والخداع المختلفة[٣]. بل مما يُذكر أن من ضمن الترتيبات اللازمة التي كانت تسبق اجتماعات

---

(١) هو: جوتشيارديني (لم أقف على ترجمته). وراجع: محمد قطب (م.ن.) ص٥٦، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص٤٠-٤١.

(٢) انظر: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص٤١، ومحمد قطب (م.ن.) ص٥٧، و
Hughes,Philip; (op.cit.) P. 145.

(٣) انظر: ول ديورانت ٢٠/ ٢٩.

رجال الكنيسة توفير عدد كاف من العاهرات!!![1].

تلكم هي صورة البابوات وسائر رجال الكنيسة في القرون الوسطى، فكيف بطريقة وصولهم أصلا إلى الكرسي؟

بادئ ذي بدء، هناك سؤال مهم يُستحسن طرحه في هذه الزاوية، ألا وهو: هل كان رجال الكنيسة آنذاك يتقلّدون مناصبهم على أن ذلك خدمة دينية أم وظيفة كسبية؟ الصحيح أنهم كانوا يعتبرونها وظائف تحقق لهم شيئا من الأرباح والمصالح المادية عموما، لذا كانوا يشترون هذه المناصب بالمال، وهذا الذي عُرف في تأريخ الكنيسة في العصور الوسطى بالسيمونية "Simony"[2]، حيث كان هناك سعر محدد للحصول على بعض المناصب ـ أو قل: الوظائف ـ الكنسية، وبعضها الآخر كان المجال للتنافس فيه مفتوحا حتى يؤول في آخر المطاف إلى الأغنى والأكثر إنفاقا[3].

وليس ذلك فحسب، بل ظل كرسي البابوية عدة سنين لا يُنال إلا برغبات بعض النساء ذوات الخلق الدنيئة، فكنَّ يعطين هذا المنصب لمن يروق لهن من عشيق أو خليل أو حتى ابنٍ غير شرعي! كما هو الحال بالنسبة للبابا يوحنا الحادي عشر[4]،

(١) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ٢٠/ ١١.

(٢) السيمونية: نسبة إلى سيمون الساحر الذي ورد ذكر قصته في سفر أعمال الرسل ٨/ ٩-٢٤، وراجع كذلك: قاموس ك.م. ص٤٩٧.

(٣) انظر: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص٤٠ و٤٩و٦٠و٦١، ومحمد قطب (م.ن.) ص٥٧، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣٧و٣٩.

(٤) يوحنا الحادي عشر: البابا الكاثوليكي من عام ٩٣١م إلى عام ٩٣٥م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، و Hughes,Philip; (op.cit.) P. 286.

الذي كان شائعا على الألسنة أنه ابن زنا من مريوزا[١] للبابا سرجيوس الثالث![٢][٣].

فالعجب يتلاشى إذًا، والغرابة تضمحل فيما نقرأ عن أوصاف البابوات المبكية المخجلة، حتى إن بعضهم[٤] ليُتهم بأنه زنى بخليلة أبيه، وجامع أرملته وابنة أخيها، وحوّل القصر البابوي إلى دار للدعارة[٥].

المطلب الثالث: ظهور خلافات بين البابوات والملوك، وبداية الشقاق والفوضى في الأوساط البابوية.

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: الأسباب المحرّكة لثورة شعوب أوروبا ضد الكنيسة.

قديما قيل: إن دوام الحال من المحال، فهذه الشعوب بعد ما عانت كثيرا من السيطرة الكنسية على جميع جوانب حياتها العامة والخاصة تقريبا، ثارت ضد الكنيسة ومطالب رجالها ومطامعهم. كما أنها وقفت مسانِدةً لحكّامها المدنيين في

---

(١) مريوزا: بنت بثوفيلاكت، أحد كبار الموظفين في القصر البابوي، وقد عُرفت هذه الأسرة (البثوفيلا كتية) بأنها ظلت ترفع البابوات إلى كراسيهم وتنزّلهم عنها كما يحلو لها عدةَ سنين! انظر: محمد قطب (م.ن.) ص٥٧، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص٤١.

(٢) سرجيوس الثالث: البابا الكاثوليكي من عام ٩٠٤م إلى عام ٩١١م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P. 286.

(٣) انظر: محمد قطب (م.ن.) ص٥٧، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص٤١.

(٤) وهو البابا يوحنا الثاني عشر: البابا الكاثوليكي من عام٩٥٥م إلى عام ٩٦٤م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P. 286.

(٥) انظر: محمد قطب (م.ن.) ص٥٧-٥٨.

صراعهم أيضا مع السلطة الكنسية البابوية. وهناك عدة عوامل أدت إلى هذا الموقف الجديد، سواء من جانب الحكّام أو المحكومين، من أهمها ما يلي:

أ ـ تزايد الشعور القومي بين شعوب غرب أوروبا، وذلك بعد بروز كل من إنجلترا وفرنسا قوةً سياسية جديدة أخذت مكانها في الميدان ومكانتها في التأثير على المسرح السياسي والاجتماعي. فبدأت شعوبها وقد توحدّت تحت مظلة حكم بعض الملوك الأقوياء[1]، بعد قرون من الضعف والتمزق والخلاف، بدأت هذه الشعوب تهتم بهويتها القومية، وتقدّر سيادة ملوكها على أراضيها، وترفض أي تدخل خارجي في شؤونها الداخلية حتى لو كان التدخل من الكنيسة البابوية التي لم ترها إلا قوةً أجنبية تتغلغل في شؤونها وتحاول فرض سيطرتها على سيادتها[2].

ب ـ الحال التي وصل إليها البابوات ومَنْ دونهم من رجال الكنيسة في القرون الوسطى في الفساد ودناءة الأخلاق وبشاعة السلوك ورداءة الأوصاف، فكل ذلك غيّر نظرة أتباعهم إليهم، حيث بدءوا يرونهم أناسا عاديين، تصرفاتهم قابلة للشجب والاستنكار، وأعمالهم قابلة للإدانة، ولا مانع من التحدث بأفاعيلهم الدنيئة أو نشر صوَرهم الرديئة.

ج ـ أن شعوب أوروبا بعد المعاناة الطويلة في ظل سلطة بابوية العصور الوسطى التي أحكمت سيطرتها عليهم روحيا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا وفكريا، بدءوا يتمرّدون على هذه السلطة، إذ أحسّوا أنهم قد تخطّوا مرحلة طفولتهم السياسية

---

(١) أمثال الملك ادوارد الأول في إنجلترا (من١٢٧٢ إلى ١٣٠٧م)، والملك فيليب الرابع أو فيليب الجميل في فرنسا (من١٢٨٥م إلى ١٣١٤م). انظر: الدائرة البريطانية ٨/ ٢ و١٧/ ٧٢٢.

(٢) انظر: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص١٥٩-١٦٠، و١٦٨، ومحمد قطب (م.ن.) ص٤٧.

التي سادت عليهم فيها حالة الانصياع، والخضوع التام للكنيسة[(١)].

د ـ طموحات بعض البابوات الزائدة في التسلط على الحكّام المدنيين. فعلى الرغم من سيطرة الكنيسة على الملوك في العصور الوسطى، فإنه كان هناك نوع من التفاهم بين البابوات وهؤلاء الملوك بشأن تقسيم السلطة والاختصاص، فسلطة الكنيسة إنما في الشؤون الدينية (الروحية)، وأما الأمور السياسية والمدنية فمن اختصاص الدولة أو الحكومة، وذلك ما دأب عليه النصارى منذ القرون الأولى عملا بما جاء في أناجيلهم: «أعطوا ما لقيصر[(٢)] لقيصر وما لله لله»[(٣)]. وكان يُعرف هذا المبدأ في العصر الوسيط بمبدأ السيفين أو القوتين، إحداهما للكنيسة والأخرى للدولة[(٤)].

بدأت الكنيسة تنتهك مبدأ السيفين كما رأينا[(٥)] منذ أوائل القرون الوسطى، إلا أن الانتهاك بلغ ذروته في أواخرها، وبالتحديد في عهد البابا بونيفاس الثامن[(٦)]، حيث أصدر مرسوما بابويا يطالب فيه بالسلطة المطلقة للبابوية، كما أنه أعاد تعريف مبدأ السيفين في مرسوم آخر في نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٣٠٢م، ليعني أن كلتا

---

(١) راجع: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص١٦٤و١٦٩.

(٢) قيصر: لقب رسمي للأباطرة الرومانيين. انظر: قاموس ك.م. ص٧٥٤.

(٣) مرقس١٢/ ١٧ ومتّى٢٢/ ٢١، ولوقا٢٠/ ٢٥.

(٤) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣٠.

(٥) انظر: ٨٧٥-٨٧٦.

(٦) بونيفاس الثامن: تولى منصب البابا في عام ١٢٩٤م، وتوفي في عام ١٣٠٣م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P. 289، ومما قيل عنه: أنه كان يسعى إلى إحكام قبضته على زمام السلطتين الدينية والمدنية في أوروبا كلها، فيصبح إمبراطورا عليها. انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣٠، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص١٦٥.

السلطتين الدينية والمدنية إنما هما للبابا أو الكنيسة، لكنها تمارسهما بواسطة مندوبين أو مفوَّضين منها، فالكنيسة إنما تمارس السلطة الدينية بواسطة الكهنة، وكذا السلطة المدنية السياسية بواسطة الملوك وقادة الجيش الذين تجب عليهم ممارسة هذه السلطة نيابة عن الكنيسة، وتحت وصاية الكهنة ورجال الكنيسة وبترخيص منهم. فعليه، فإن أحد السيفين يكون تحت الآخر، فالسلطة المدنية تخضع للدينية، وإن أخطأت السلطة الأرضية أو المدنية، تحاكمها السلطة الدينية الكنسية التي إن أخطأت هي في شيء لا يدينها أو يحاكمها إلا الله![1].

المسألة الثانية: المواجهة الحقيقية بين سلطة البابا الكنسية والسلطات المدنية في أوروبا.

عندما حاول البابا بونيفاس تنفيذ هذا المرسوم واجه مقاومة شديدة من قبل حكومة وشعب كل من إنجلترا وفرنسا، وانتهت بإلقاء القبض على البابا من قبل ملك فرنسا، الملك فيليب الرابع[2]، وسجنه لبضعة أيام!!![3].

فهذا الحدث التأريخي الهام في تأريخ الكنيسة البابوية في القرون الوسطى له مدلوله الواسع، وله ما بعده من الآثار، فمن ناحية، يعتبر ضربة قاصمة وجرحا

---

(١) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣٠، وHughes, Philip; (op.cit.) P. 135-136، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص١٦٦.

(٢) فيليب الرابع أو فيليب الجميل: ملك فرنسا من عام ١٢٨٥م إلى عام ١٣١٤م، وكذلك ملك نافاري (بأسبانيا) تحت اسم: فيليب الأول من عام ١٢٨٤م إلى عام ١٣٠٥م، وهو والد الملوك الفرنسيين الثلاثة: ليوس العاشر، وفيليب الخامس، وشارل الرابع. الدائرة البريطانية ١٧/ ٧٢٢.

(٣) انظر: Hughes,Philip; (op.cit.) P. 136، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣٠، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص١٦٦-١٦٧.

عديم الشفاء، أصيبت به بابوية العصر الوسيط في الصميم، فزالت به هيبتها ونزل قدرها واهتز عرشها. ومن ناحية أخرى يشكّل إشارة واضحة تنبئ بأن الدول القومية العلمانية في أوروبا الغربية، التي ظلت قرونا تعيش بأنفاس البابوات وترى بأعينها وتسمع بآذانها، ها هي الآن تتقدم وتدرك مدى قوتها، فلم تعد تقبل أن تخضع صاغرةً للسلطة البابوية[1].

المسألة الثالثة: البابوات في السبي.

بعد ذلك تابع الملك فيليب هذا الإنجاز الكبير في التصدي لنفوذ البابوات. فبعد موت البابا بونيفاس، وذلك بعد شهر واحد فقط من إلقاء القبض عليه ثم سجنه كما تقدم، ثم موت البابا بندكت الحادي عشر بعد ذلك بتسعة أشهر فقط أي في عام ١٣٠٤م[2]، تدخلت فرنسا بالضغط على رجال الكنيسة ونجحت بأن عُيِّن رجل فرنسي لمنصب البابا، وهو كلمنت الخامس[3]، وقد استمر في المنصب تسعَ سنوات، قضاها كلها خارجَ المقر التقليدي للبابوات، أعني روما[4].

فهنا تبدأ القصة وأي قصة؟ إنها قصة بقاء البابوات في منفى شبه اختياري لما يزيد عن ثلثي قرن من الزمن. ففي اجتماع عام في سنة ١٣٠٩م، أعلن البابا كلمنت

(١) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣١، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص١٦٧، ومحمد تقي العثماني (م.ن.) ص١١٥-١١٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P. 136.

(٢) البابا بندكت الحادي عشر: تولى البابوية في عام ١٣٠٣م ومات في عام ١٣٠٤م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P. 136 & 289.

(٣) كلمنت الخامس: البابا الفرنسي، تولى المنصب في عام ١٣٠٥م وتوفي في عام ١٣١٤م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P. 137 & 289.

(٤) انظر: Hughes,Philip; (op.cit.) P. 137.

أنه قد اتّخذ مدينة أفينيون الفرنسية[١] مقرا له[٢]، وكان هذا البابا ـ الفرنسي ـ معروفا بولائه التام لفرنسا وانقياده لمطالب ملكها، حتى إنه بُعَيد تولّيه المنصب البابوي أصدر قرارا بإلغاء مرسوم السلطة المطلقة للكنيسة "Unam Sanctam"، وأعلن براءة الملك فيليب في الهجوم على سلفه: البابا بونيفاس، ولكنه رفض أن يدين البابا أو يحكم عليه بالحرمان والهرطقة بعد الموت، كما طلب ذلك منه الملك فيليب نفسه[٣]. كما أنه قام بتعيين أربعة وعشرين كاردينالا[٤]، كلهم فرنسيون ما عدا واحدا فقط![٥]، وقد اقتفى أثره مَنْ جاء بعده من البابوات الفرنسيين وعددهم ستة، حيث عيّنوا مائة وعشرة كرادلة، بلغ عدد الفرنسيين منهم تسعين كاردينالا![٦].

فهذه الفترة التي امتدت من عام ١٣٠٩م وحتى عام ١٣٧٧م، أي ثمانية وستون عاما عُرفت في تأريخ الكنيسة البابوية بفترة السبي البابلي، إذ بقيت البابوية والبابوات خلالها في أفينيون أسيرةً تحت ملوك فرنسا وخاضعة لنفوذهم تماما كما كانت اليهود في فترة مضت من التأريخ مسبيّةً في بابل لمدة سبعين عاما أو نحو ذلك[٧].

---

(١) أفينيون "Avignon": مدينة في جنوب شرق فرنسا، وهي مطلة على نهر روني. الدائرة البريطانية ٢/ ٩١٦.

(٢) انظر: Hughes,Philip; (op.cit.) P. 137، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص١٦٨.

(٣) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣١، وHughes,Philip; (op.cit.) P.137.

(٤) الكاردينال "Cardinal"، وجمعه: كرادلة، هم أعضاء كلية الكنيسة الكاثوليكية الذين يتم على أيديهم اختيار البابوات منذ عام ١٠٥٩م، ويعتبرون كذلك مستشارين للبابا. انظر: Concise Columbia Ency. P.139، وOxford Dictionary of the Christian Church P.238-239.

(٥) انظر: Hughes,Philip; (op.cit.) P. 137.

(٦) انظر: Hughes, Philip; (op.cit.) P.142.

(٧) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣١، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص١٦٨، ومحمد تقي العثماني (م.ن.) =

وأما عن آثار هذا الحدث، فإنه أفقد البابوية مكانتها وتأثيرها في أذهان الناس وضمائرهم، وحط من قدرها وهيبتها. كما أن خضوع البابوية لملوك فرنسا سبّب لها الكراهية وجلب لها المعارضة من دول وحكومات شتّى. أضف إلى ذلك كله أن ما اتّسم به بابوات أفينيون من الجشع والطمع الشديدين في الماديات أفقد البابوية البقية الباقية من الكرامة[١].

المسألة الرابعة: مشكلة تعدد البابوات.

بعد وفاة البابا غريغوريوس الحادي عشر في عام ١٣٧٨م[٢]، آخر بابوات أفينيون الفرنسيين، والذي أعاد البابوية إلى مقرها التقليدي في روما، لم يقف الإيطاليون مكتوفي الأيدي، بل مارسوا ضغوطا شعبية قوية، ورفعوا شعار: "الموت للكرادلة الفرنسيين إن لم يتم اختيارُ إيطاليٍ للمنصب". فقد أدّى هذا النوع من الإرهاب بالكرادلة الستة عشرة على الرغم من كون معظمهم فرنسيين إلى أن يختاروا أوربان السادس[٣] لمنصب البابا، وهو أول إيطالي يصل إليه منذ ما يزيد

= ص١١٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P.137-143. مع ملاحظة أن بعض الكتّاب يجعلون بداية الفترة هي عام ١٣٠٥م أي منذ تولي البابا كلمنت الخامس للمنصب، والصحيح أن ذلك من عام ١٣٠٩م. كما أن بعضهم يجعل نهايتها عام ١٣٧٦م، ولعله نظر إلى أن البابا غريغوريوس الحادي عشر ـ آخر البابوات الأفينيونيين ـ قد غادر فعلا مدينة أفينيون في سبتمبر عام ١٣٧٦م، ولكنه لم يدخل روما إلا في يناير عام ١٣٧٧م، والله تعالى أعلم.

(١) انظر: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص١٦٨-١٦٩، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣١ بتصرف.

(٢) غريغوريوس الحادي عشر: تولي منصب البابا في عام ١٣٧٠م وتوفي في عام ١٣٧٨م، بعد أن أعاد البابوية إلى روما. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P. 143 & 290.

(٣) أوربان السادس: البابا من عام ١٣٧٨م إلى عام ١٣٨٩م. الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، =

عن سبعين عاما.

إلا أن الكرادلة الفرنسيين بعد خروجهم فارّين عن روما، رجعوا عن قرار التعيين بحجة أنهم إنما أرغموا عليه، وأنهم الآن يعيّنون شخصا آخر للمنصب وهو البابا كلمنت السابع[١] الذي اتّخذ من جديد مدينة أفينيون مقرا له[٢].

فهكذا بدأ منذ عام ١٣٧٩م يُعيّن في أوروبا الغربية بابوان كاثوليكيان في وقت واحد، أحدهما في روما، وتدين له شعوب إيطاليا وألمانيا وإنجلترا و هونغاريا وبولندا والبرتغال وغيرها، والآخر في أفينيون، وكانت سيادته على فرنسا وأسبانيا واسكتلندا وغيرها[٣]. وقد استمر هذا الانقسام والفوضى لمدة تسعة وثلاثين عاما[٤] أو خمسة وثلاثين[٥]، وقيل بل ثلاثين عاما[٦]، وقيل نحو أربعين سنة[٧]، كانت أوروبا الغربية منقسمة خلالها في ولائها للبابوين، وظلّت الكنيسة إبّانها ألعوبةً في أيدي المعسكرين المتنافسين. و لا يمكن إغفال ما للخلافات السياسية والأغراض الذاتية من دور فعّال في اختيار الكرسي الذي تدين له بالولاء

= وHughes,Philip; (op.cit.) P. 290.

(١) كلمنت السابع: عيّن للمنصب في عام ١٣٧٨م وتوفي في عام ١٣٩٤م. انظر: Hughes,Philip; (op.cit.) P. 290.

(٢) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ٢٠/ ٣-٤، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣٢، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص١٧٠، وHughes,Philip; (op.cit.) P. 143-144.

(٣) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ٢٠/ ٤-٥، ومحمد تقي العثماني (م.ن.) ص١١٦.

(٤) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ٢٠/ ١٣.

(٥) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣٣، ومحمد تقي العثماني (م.ن.) ص١١٦.

(٦) انظر: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص١٧٠.

(٧) انظر: Hughes,Philip; (op.cit.) P. 145.

هذه الدولة أو تلك. وبلغت العداوة بين المعسكرين درجةً لا تعادلها إلا العداوة بين المتخاصمين في أشد الحروب مرارة وقسوة، فزعمت كل طائفة أن الأخرى كافرة مارقة من الدين، وأن الأطفال الذين تعمّدهم، والتائبين الذين تقبل اعترافاتهم، كلهم باقون في حالة من الخطيئة والذنب، ومعرّضون للخلود في الجحيم إذا ماتوا عليها، وكذا الموتى الذين تمسحهم(١). أضف إلى هذا ما ساد الأجواء طيلة هذه الفترة من أعمال الشغب والفوضى والدمار والنهب والسلب حتى في القصر البابوي بروما!(٢).

وعندما حاول شعب أوروبا الغربية إصلاح الوضع وإنهاء الشقاق، ودعوْا إلى عقد مجمع في مدينة بيزا الإيطالية(٣) عامَ ١٤٠٩م، دُعي إليه عدد من رجال الكنيسة، وسفراء من قبل جميع الحكومات في أوروبا، وأساتذة الجامعات والمفكرين، كما وُجّهت الدعوة للحضور إلى كل من البابا غريغوريوس الثاني عشر(٤) ـ بابا روما آنذاك ـ والبابا بندكت الثالث عشر(٥) ـ بابا أفينيون حينذاك ـ ولكنهما لم يحضرا. فأصدر المجمع قرار عزلهما غيابيا، ثم اختار بابا جديدا وهو البابا

---

(١) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ٢٠/ ٥، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص١٧٠، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣٢ بتصرف.

(٢) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ٢٠/ ٦-٧، و١٠، وHughes,Philip; (op.cit.) P.147.

(٣) بيزا "Pisa" في شمال غرب إيطاليا، وهي عاصمة مقاطعة بيزا على مسافة ٧٢ كيلا غربي فلورينس. الدائرة البريطانية ١٧/ ٩٥٤، وCollier's Ency. 19/79.

(٤) غريغوريوس الثاني عشر: تولى البابوية في عام ١٤٠٦م ومات في عام ١٤١٥م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P.290.

(٥) بندكت الثالث عشر: عيّن في عام ١٣٩٤م وتوفي في عام ١٤٢٨م. انظر: Hughes,Philip; (op.cit.) P.290.

إسكندر الخامس[١] الذي مات بعد ذلك بعشرة أشهر فقط.

غير أن الأمر إنما انتقل من سيئ إلى أسوء، وذلك لأن البابوين المخلوعين رفضا الخضوع لقرار المجمع وتمسكا بمنصبيهما، فالنتيجة التي أسفرعنها قرار المجمع إذًا، هي وجود ثلاثة بابوات بدلا من اثنين، فاتسعت بذلك دائرة الخلاف وتعمّقت جذور الشقاق[٢].

مات إسكندر الخامس في عام ١٤١٠م، وخلفه يوحنا الثالث والعشرون[٣]، وكان يوصف بأنه صاحب الصفحات السوداء في تأريخ البابوية، وأنه ـ لشدة خبثه ـ ما كان يستحق أي منصب ديني أصلا[٤]. قد كان من بنود قرار مجمع بيزا أن يتم عقد مجمع آخر قبل منتصف عام ١٤١٢م[٥]، إلا أن البابا الجديد حاول بشتى الطرق تفادي عقد المجمع، ولكن الإمبراطور سيجيسموند[٦] أرغمه على الدعوة لعقده، فكان ذلك في نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٤١٤م في كونستانس[٧]. ولما قرر

---

(١) إسكندر الخامس: تم تعيينه في عام ١٤٠٩م ومات في السنة التي بعده (١٤١٠م). انظر: Hughes,Philip; (op.cit.) P. 290.

(٢) انظر: ول ديورانت ٢٠/ ٧و٩، وHughes,Philip; (op.cit.) P. 146-147.

(٣) البابا يوحنا الثالث والعشرون: عُيِّن في عام ١٤١٠م، وعُزل عن المنصب في عام ١٤١٥م. انظر: Hughes,Philip; (op.cit.) P. 290، والموسوعة العالمية ٢٧/ ٣٤٤-٣٤٥.

(٤) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ٢٠/ ٩-١٠، وHughes,Philip; (op.cit.) P. 147.

(٥) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ٢٠/ ٩.

(٦) سيجيسموند "Sigismund": الإمبراطور الروماني وملك هونغاريا وبوهيميا، ولد عام ١٣٦٨م ومات عام ١٤٣٧م، وهو ابن للإمبراطور شارل الرابع. الدائرة البريطانية ٢٠/ ٦٣٧.

(٧) كونستانس "Constance": مدينة في ألمانيا، على مسافة ٣٥ ميلا شمال شرق زيوريش "Zurich". الدائرة الأمريكية ٧/ ٥٥٢.

البابا يوحنا انسحابه من المجمع بعد افتتاحه، أردف المجمعُ ذلك بقرار عزله عن منصب البابا، بحجة الاتهامات الكثيرة الموجَّهة ضده، منها: الكذب والخيانة والفسق والسيمونية. لكن المجمع لم يقرر انتخاب بابا جديدٍ إلا بعد التخلص من البابوين الآخرين، أحدهما بالاستسلام والاستقالة من تلقاء نفسه وهو البابا الروماني، والآخر بالعزل والإقالة وهو البابا الأفينيوني الذي كان قد تخلّى عنه كرادلتُه، ومِنْ ذِي قَبْل حكومةُ وشعب فرنسا(١). ثم بعد ذلك في الحادي عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٤١٧م قرر المجمع تعيين بابا جديدٍ ووحيد في الكنيسة الغربية بأسرها، وهو البابا مارتن الخامس(٢)(٣).

ومن النتائج الإيجابية لهذا المجمع أنه قد نجح في وضع حدٍّ لنفوذ البابوات، وتعامل معهم كتعامله مع سائر البشر، إذ جاء في قراره ـ الذي وصفه بعض المؤرخين بأنه «أشد الوثائق الرسمية ثورية في تأريخ العالم»(٤) ـ أن المجمع يستمدّ سلطانه من المسيح رأسا، وأن على جميع الناس ـ النصارى طبعا ـ طاعته مهما تكن طبقتهم ومنزلتهم بما فيهم البابوات ـ نصًّا عليهم ـ، وأن المخالف لأوامره يتعرض للعقاب والجزاء، وأن مجامع مماثلة سوف تنعقد كل خمس سنوات، وفيها تتم

---

(١) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ٢٠/ ١١-١٣، وHughes,Philip; (op.cit.) P. 146_148، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣٣-٣٤.

(٢) مارتن الخامس: البابا الكاثوليكي من عام ١٤١٧م حتى عام ١٤٣١م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P.290.

(٣) انظر: ول ديورانت (م.ن.)٢٠/ ١٣، وHughes,Philip; (op.cit.) P.148، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص١٧١.

(٤) ول ديورانت ٢٠/ ١١.

مراجعة حسابات البابا في أداء المهمة الدينية التي كلّف بها، وأن الكنيسة في المستقبل سوف تتم إدارتها بطريقة برلمانية[١]، وليست استبداديةً بابوية كما كان الأمر فيما مضى[٢].

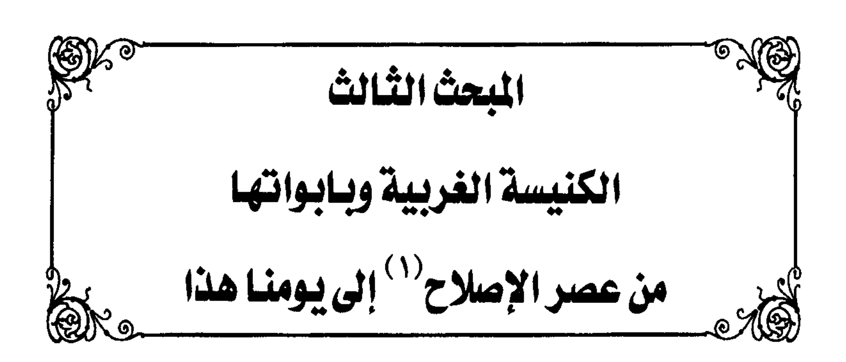
غير أن نجاحه هذا لم يدم طويلا بسبب تعنت البابوات اللاحقين، بدءً بالبابا مارتن الخامس نفسه الذي اختاره المجمع، فقد تجاهلوا تماما قرار المجمع ومضوا في استبدادهم وتسلطهم على شعب الكنيسة. إلا أن الحقيقة التي لا يسوغ إنكارها: أن البابوية لم تستطع أن تعود إلى سالف حالها، اللهم إلا ما بقي لاصقا بالأذهان من ذكريات الماضي، ليس إلا[٣].

---

(١) يقصد بالطريقة البرلمانية "Parliamentary" طريقة اتّخاذ القرار بالأغلبية بموجب التصويت. ومن باب التقريب للمعنى فقط، قد نقول: إنها أشبه ما تكون بالشورى عندنا، لكن شتّان ما بين الثرى والثريا. أما تعريف البرلمان من حيث هو، فهو: "الهيئة التي ينتخبها الشعب لتمارس الوظيفة التشريعية نيابة عنه". الموسوعة العربية الميسرة ص٣٥١.

(٢) انظر: ول ديورانت (م.ن.)٢٠/ ١١-١٢، وHughes,Philip; (op.cit.) P. 149.

(٣) انظر: ول ديورانت ٢٠/ ١٣-١٤، وجاد المنفلوطي (م.ن.)ص١٧١، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣٤، وHughes,Philip; (op.cit.) P.149.



المبحث الثالث

الكنيسة الغربية وبابواتها

من عصر الإصلاح[١] إلى يومنا هذا

كما رأينا في السطور السابقة أن العصر الوسيط بالنسبة لتأريخ الكنيسة البابوية يمثل عصر القيام والسقوط للإمبراطورية البابوية القوية ـ إن جاز التعبير ـ إلا أن ما أصاب البابوية خلال القرون الوسطى من الضعف والانهيار، نستطيع القول بأنه لم يكن آخره، بل كان إيذانا ببداية مرحلة جديدة للكنيسة البابوية، حافلة بالثورة والتمرد على الأوضاع السائدة فيها. بل إنه يمكن القول بأنه بداية النهاية لتلكم القوة المتهالكة وذلكم البنيان المنهار.

(١) إذا أطلق لفظ: الإصلاح أو عصر الإصلاح في تأريخ النصرانية، فالمعني به هو الحركة الثورية التي بدأها مارتن لوثر في أوائل القرن السادس عشر للميلاد ضد تصرفات البابوات، مثل بيع صكوك الغفران وغيره، مما رأى أنها مخالفة لنصوص كتابهم المقدس. ومن هذه الحركة خرجت طائفة المحتجّين أو البروتستانتيين أو المصلحين، وانشقت عن الكنيسة البابوية في القرن نفسه. انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٤/ ١١٥، وعزت زكي (م.ن.) ص٣.

المطلب الأول: الكنيسة الغربية وبابواتها في عصر الإصلاح (الكنسي).

وفيه مسائل ثلاث:

المسألة الأولى: الحركة اللوثرية والبابوات.

علمنا في ضوء الفقرات السابقة أن ثمة أكثر من جبهة قد انفتحت على مصارعها للصراع مع البابا والسلطة الكنسية، لا سيما بين السلاطين والملوك. وبقي الأمر على جمود نسبي فيما يتصل بعوام الناس الذين لا حول لهم ولا قوة، فهم خاضعون لسلطة الكنيسة البابوية إما بشيء من الترغيب أو بنوع من الترهيب، الأمر الذي ينبئ عن حاجتهم كذلك إلى ما يخلّصهم من التسلط الطاغي للكنيسة على كافة شؤونهم الخاصة والعامة، إذًا فالمسألة حتى بالنسبة إليهم باتت مسألة وقتٍ فقط.

جاء مارتن لوثر ـ مؤسس طائفة البروتستانتيين (المحتجّين) ـ في القرن السادس عشر ففجّر هذه القنبلة الموقوتة، إذ إنه رفع صوت الإنكار أولاً ضد ممارسات الكنيسة، ثم ضد سلطة البابا نفسه، ولقيت دعوته آذانا صاغية وتُلُقِّيت بالقبول، فقضى بذلك على البقية الباقية من روح البابوية[1].

لقد وجه لوثر انتقاداته السافرة ضد الكنيسة البابوية وضد البابا، فأما ضد الكنيسة فمن أبرز مآخذه عليها: الاتّجار والتكسّب بالغفرانات ـ وسيأتي إن شاء الله تعالى[2] ـ وما ابتدعته من الأسرار والطقوس، والطغيان الروحي والاقتصادي بصفة

---

(١) انظر: محمد تقي العثماني (م.ن.) ص١١٨.

(٢) ضمن إضافات البابوات في النصرانية انظر: ص٩٤٥ فما بعدها.

عامة على شعوب الكنيسة[١].

وأما مآخذه على البابا فهي باختصار انحراف البابا عما يعرفه هو من السيرة الشخصية لحياة المسيح عليه السلام في كتابهم المقدس، وقد أوضح ذلك كل الإيضاح في كتاب له[٢] ضمّنه صورا تعبّر عن غرضه في التأليف: ألا وهو المقارنة بين المسيح عليه السلام والبابا، ففي إحدى هذه الصور يُرى المسيح عليه السلام وهو يرفض التاج[٣]، وتقابلها صورة البابا بتاجه البابوي. وفي أخرى يُرى المسيح عليه السلام وعلى رأسه تاج من الشوك[٤]، وفي مقابلها صورة البابا على كرسيه بكل مظاهر العظمة البابوية. وفي ثالثةٍ يُرى المسيح عليه السلام وهو يغسل أقدام تلاميذه[٥]، وفي المقابل يرى البابا وقد مد إحدى قدميه ليقبّل رجال قصره إصبع قدمه. وفي رابعة يُرى المسيح عليه السلام وهو يطرد الباعة من الهيكل[٦]، وتقابلها صورة البابا وهو يبيع الغفرانات وأمامه أكداس[٧] مكدّسة من الذهب...الخ[٨].

---

(١) راجع: محمد تقي العثماني (م.ن.) ص١١٨، وعزت زكي (م.ن.) ص٤٨-٤٩، و٥٢و٦٣، وكارل وليمز الكبير (م.ن.) ص١٣٨.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) كما جاء في يوحنا٦/ ١٥.

(٤) انظر: متّى٢٧/ ٢٧-٢٩، ومرقس١٥/ ١٧.

(٥) انظر: يوحنا ١٣/ ٥.

(٦) انظر: متّى ٢١/ ١٢-١٣، ومرقس١١/ ١٥-١٧.

(٧) جمع كُداسة، وهي ما يكدس بعضه فوق بعض، والكُدْس: الحب المحصود المجموع. القاموس ص٧٣٤.

(٨) انظر: عزت زكي (م.ن.) ص٥٨-٥٩.

فهكذا ناضل لوثر وتحدّى البابا[١] والبابوية، ونهج بعده عدد من أتباعه المصلحين[٢] المنهج ذاته، وكان همهم ينصبّ ـ قبل كل شيء ـ على استبدال البابوية بالسلطان الكتابي[٣].

المسألة الثانية: بداية انفصال الدول والحكومات عن البابوية انفصالاً تاماً.

لقد تبين في ضوء ما تقدم أن بعض الدول مثل إنجلترا وفرنسا قد أخذ المبادرة في الحد من سلطة البابا والبابوية بأساليب مختلفة، إلا أن أي دولة لم تجرؤ قط على انفصالها كاملا عن البابا والبابوية في العصر الوسيط. ولكن ذلك أضحى ممكنا في ظل أحداث عصر الإصلاح، وقد كانت إنجلترا صاحبة المبادرة[٤] في هذا أيضا، كما توضحه السطور الآتية إن شاء الله:-

من الواضح أن القوتين البارزتين في أوروبا حتى ذلك الوقت هما السلطات المدنية المتمثلة في الأباطرة والملوك من جهة، والسلطة الكنسية المتمثلة في البابوات

---

(١) وكان البابا آنذاك: البابا ليو العاشر، الذي تولّى البابوية من مارس عام١٥١٣م، وحتى ديسمبر عام١٥٢١م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وول ديورانت (م.ن.) ٢٠/ ٢٠٧ و٢١٣، وعزت زكي (م.ن.) ص٧٦، و Hughes,Philip; (op.cit.) P.160 & 291.

(٢) أعني المنتمين إلى فكرة إصلاح أوضاع الكنيسة..

(٣) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٥/ ٢٨.

(٤) ولست أعني بذلك: الحركة الإصلاحية ضد البابوية والتي كانت ألمانيا المحطة الأولى لها ـ كما أسلفت ـ ثم سويسرا ثم إنجلترا كما يذكر المؤرخون. راجع: رولاند بينتون (م.ن.) ص١٣٧، وعزت زكي (م.ن.) ص١٣٩-١٤٠، و Hughes,Philip; (op.cit.) P.165-166، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٢٨٢.

ورجال الكنيسة من جهة أخرى، وأنهما دائما في تنافس وتسابق شديدين، لكسب قدر أكبر من النفوذ والولاء عند الشعب. لذا، فإن تزايد قوة إحداهما يعني ويعكس بالضرورة تدني قوة الأخرى. ففي العصور الوسطى كانت البابوية أقوى وأكثر نفوذا، وأما الآن فإن العكس هو الصحيح، أي أن السلطة المدنية أخذت في تزايد وارتقاء، وأخذت السلطة البابوية في تدنّ ونزول.

إذ بدأ البابوات يفقدون سلطتهم تدريجيا سواء على الصعيد السياسي أو الاقتصادي أو الفكري العلمي، وحتى أخيرا في المجال الديني (الروحي)! حيث شرعت الكنائسُ خارجَ روما تقوم بالتعيينات في المراكز العليا من مناصب الكنيسة، وتسمع الاستئنافات القضائية وتفرض الضرائب وتقبل التبرعات وتحافظ عليها وعلى غيرها من أملاك الكنيسة بدون تدخل أو استشارة كرسي روما البابوي الذي بلغ به الضعف إلى درجة أنه لم يعد قادرا على إيقاع الخوف في القلوب بالقطع أو الحرمان كما كان سابقا[١].

أما بخصوص الصراع بين إنجلترا وكرسي روما، فقد بدأت القصة حين طلب ملك إنجلترا: هنري الثامن[٢] تأييد البابا آنذاك: كلمنت السابع[٣] في فسخ

---

(١) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٩٢-٩٣ و٢٨١، وعزت زكي (م.ن.) ص٥٢، و٥٤و١٤٢، ورولاند بينتون (م.ن.) ص١٣٥.

(٢) هنري الثامن: ثاني أولاد الملك هنري السابع، ولد سنة ١٤٩١م وملك في إنجلترا من عام ١٥٠٩م إلى أن توفي سنة ١٥٤٧م. الدائرة البريطانية ١١/ ٣٦٦.

(٣) البابا كلمنت السابع: تولى البابوية في عام ١٥٢٣م وتوفي في عام ١٥٣٤م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P. 291.

زواجه (الملك) من كاترين أرجون[١]، وذلك بعد مضي نحو سبع عشرة سنة على عقد القران، وذلك لأحد السببين الآتيين أو لكليهما.

أ ـ لكي يتمكن من الزواج من امرأة أخرى، كانت أجمل من كاترين وأصغر منها سنّا، ومعلوم أن دينهم يحظر عليهم الزواج بأكثر من واحدة.

ب ـ أن كاترين أنجبت للملك ثلاثة بنين وابنتين، ولم يبق على قيد الحياة منهم إلا ابنة واحدة فقط، فظن الملك أن ذلك عقاب من الله له، لأن كاترين في الأصل زوجة أخيه الذي توفي بعد زواجه منها بستة أشهر فقط. وهذا أيضا من المحظورات في ديانة النصارى حسب قانون الكنيسة[٢].

ولما كان الطلاق أيضا لغير علة الزنا مما يحظرونه على أنفسهم، طلب الملك قرار فسخ زواجه من كاترين على أساس أنه زواج باطل أصلا[٣]. لكن البابا كلمنت أدرك خطورة ما في الأمر، أعني إذا ما أصدر مثل هذا القرار الذي يكسبه فقط ـ في أحسن الافتراضات ـ قدرا أكبر من ثقة الملك ورضاه، ولكنه سوف يدفع ثمنه غاليا، لأنه بذلك، أولاً: يكون قد أبطل قرار سلفه البابا يوليوس الثاني[٤]

---

(١) "Catherine of Aragon": الزوجة الأولى للملك الإنجليزي: هنري الثامن، وهي ابنة فردناند وإيزابلا ملكي أسبانيا، ولدت في عام ١٤٨٥م وتوفيت في عام ١٥٣٦م. انظر: Collier's Encyclopedia 5/561.

(٢) انظر: جون لوريمر ٤/ ٢٧٩.

(٣) راجع: عزت زكي (م.ن.) ص١٤١-١٤٢، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٢٧٩-٢٨٠، و Collier's Ency.5/561.

(٤) يوليوس الثاني: البابا الكاثوليكي من عام ١٥٠٣م وحتى عام ١٥١٣م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، و Hughes,Philip; (op.cit.) P.291.

بصحة هذا الزواج[١]، وخطّأه. وثانيا: أن ملك ألمانيا أو إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة ـ كما يسمونها ـ، وأسبانيا حينئذ: شارل الخامس كان قريبا لكاترين قرابة رحِمٍ[٢]، وكانت جيوشه حاضرة في إيطاليا في ذلكم الوقت[٣]. بل قيل إن شارل قد حذّر البابا فعلا من الإقدام على إصدار قرارٍ كهذا[٤]. فلهذين العاملين المهمين لجأ البابا في ردّه على طلب الملك هنري إلى أسلوب المماطلة التي دامت سبع سنوات كاملة[٥].

وبعد ما أيقن الملك من أن البابا إنما كان يتعامل معه بدهاء وحنكة لكسب الوقت، وأنه ليس عنده أي استعداد لتحقيق مطلبه الحساس، قرر حينئذ أنه لا بد من وضع حد لتدخل البابوات في شؤون إنجلترا، سياسيةً كانت أو دينية، فبدأ يسعى لا إلى إلغاء سلطة البابا في إنجلترا فحسب، وإنما حتى واستبدالها بسلطة الملك. وبمعنى آخر، يكون الملك في إنجلترا هو بابا كنيستها بكل ما تعنيه هذه الكلمة.

لم يمض وقت طويل حتى تحقق الأمل المنشود، حيث أصدر البرلمان الإنجليزي في عام ١٥٣٤م قرارا اتُّخذ بالإجماع يقضي بإنهاء السلطة البابوية في إنجلترا، والتوقف نهائيا عن إرسال أي نوع من الهبات أو الجزية لكنيسة روما البابوية، بالإضافة إلى اعتبار الملك الرئيسَ الأعظم ـ أو البابا ـ للكنيسة في إنجلترا.

---

(١) انظر: عزت زكي (م.ن.) ص١٤١.

(٢) قيل إنه ابن عمها (جون لوريمر (م.ن.)٤/ ٢٨٠)، وقيل ابن أخيها (عزت زكي (م.ن.) ص١٤٢ ورولاند بينتون (م.ن.) ص١٣٦.

(٣) انظر: عزت زكي (م.ن.) ص١٤٢.

(٤) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٢٨٠.

(٥) انظر: عزت زكي (م.ن.) ص١٤٢.

وقد عُرف هذا القرار في التأريخ بقرار السيادة "SupremacyAct"[(١)]. كما أن رئيس أساقفة كانتربري[(٢)] في هذه الأثناء أعلن بطلان زواج الملك من كاترين في صورة تحدٍّ أخرى للسلطة البابوية[(٣)].

وأما الملك نفسه فقد أمر بإغلاق الأديرة واستولى على كافة أملاكها، كما أنه شنّ حملة شرسة على كل من خالف قرار السيادة وأمر بإعدام عدد منهم[(٤)].

فهكذا انسلخت كنيسة إنجلترا عن الكنيسة البابوية وقطعت كل صلة لها بروما بسبب خلاف شخصي بين الملك والبابا!!!

المسألة الثالثة: العلاقة بين تمرّد الحكومات، وثورة عامة شعوب الكنائس ضد البابوية والبابوات.

وهنا نقطتان جديرتان بالعناية والانتباه، وذلك لأن هذه العلاقة يمكن وصفها بأنها علاقة وفاق وخلاف من زاويتين مختلفتين.

أما زاوية الاتفاق فهي أن ظهور هذه الحركات الثورية الإصلاحية لعب دورا مهما في صلابة الملوك أمام البابوات وتحدّياتهم، فهذه إنجلترا التي كان بعض ملوكها

---

(١) انظر: عزت زكي (م.ن.) ص١٤٢، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٢٨١-٢٨٣، ورولاند بينتون (م.ن.) ص١٣٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P.167.

(٢) كانتربري: مدينة في مقاطعة كانت البريطانية، وهي المركز الديني لبريطانيا منذ القرون الوسطى، حتى كان النصارى يحجّون إليها آنذاك! انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص١٤٣٥.

(٣) انظر: عزت زكي (م.ن.) ص١٤٣، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٢٨١.

(٤) انظر: رولاند بينتون (م.ن.) ص١٣٦، وجون لوريمر (م.ن.)٤/ ٢٨٢و٢٨٣، وعزت زكي (م.ن.) ص١٤٢-١٤٣ و١٤٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P.167.

بالأمس القريب يقبل خيار دفع الجزية للكنيسة البابوية في روما لإنهاء غضب البابا عليه[١]، وآخر يرضى بأن يُجلد بسياط من الرهبان وهو مستلق على الأرض كي ينال رضى رجال الكنيسة الغاضبين[٢]. هاهو ملكها الآن يتحدّى سلطة البابا ثم يسقطها نهائيا في ربوع بلاده، ولم يعد يخشى قرار الحرمان من البابا. كل هذا ـ في نظر بعض الباحثين[٣] ـ قد مكّن له ظهورُ وانتشار وانتصار المذهبِ الثوري البروتستانتي في أنحاء شتّى من القارة الأوروبية مثل ألمانيا وسويسرا.

وأما زاوية الاختلاف، فهي أن موقف بعض هذه الدول ـ كإنجلترا مثلا ـ من البابا والبابوية لم يكن نابعا عن مساندة الحركة الثورية الإصلاحية أو حتى الاتفاق معها.

فإننا نجد أن الملك هنري الثامن نفسه قبل صراعه مع البابا كان مناهضا للحركة اللوثرية إلى درجة أنه حظي بلقب "حامي حُمى الإيمان" "Defender of the Faith" من البابا نفسه[٤]. وكذلك بعد خلافه الشخصي مع البابا ومن ثم صدور قرار انفصال إنجلترا عن الكنيسة البابوية[٥]، وحتى وقت موته فقد ظلّ

---

(١) وهو الملك يوحنا الذي ملك بين ١١٩٩م و١٢١٦م، راجع: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص٦٩-٧٠، ورولاند بينتون (م.ن.) ص١٣٥، وHughes,Philip; (op.cit.) P.288.

(٢) وهو الملك هنري الثاني الذي ملك بين عام ١١٥٤م وعام ١١٨٩م. راجع: محمد قطب (م.ن.) ص٤٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P.288.

(٣) انظر: رولاند بينتون (م.ن.) ص١٣٥.

(٤) أي البابا ليو العاشر (١٥١٣مـ١٥٢١م). راجع: عزت زكي (م.ن.) ص١٤٠، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ١٤٧، وHughes,Philip; (op.cit.) P.166.

(٥) انظر: ما تقدم في ص ٩٠٥.

(الملك هنري) عدوا لدودا لهذا المذهب اللوثري الجديد[١].

المطلب الثاني: الكنيسة البابوية فيما بعد عصر الإصلاح الكنسي إلى يومنا هذا.

بانقسام الكنيسة الغربية في أوائل القرن السادس عشر إلى كنيسة روما الكاثوليكية، وهي التي استمرت في التمسك بالبابوية، وإلى الكنيسة الإصلاحية أو البروتستانتية، وقد تمسك أتباعها بسلطان كتاب النصارى المقدس بدلا من سلطان البابوات، بدا واضحا ما لحق بالبابوية ـ باعتبارها قوةً تشريعية وسياسية ـ من الضعف والعجز، لا سيما وأن المذهب الجديد أخذ ينمو يوما بعد آخر، ويلقى قبولا على نطاق واسع في الأوساط السياسية والعلمية والشعبية في القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد حتى عمّ جميع دول أوروبا الغربية تقريبا[٢].

ومنذ ذلك الوقت وحتى هذا القرن العشرين للميلاد، ظهرت حركات[٣] أخرى مضادة للبابوية، أشير فيما يلي إلى أهمها:-

أ ـ العقلانية أو العقلية[٤] "Rationalism"، وهي المذهب القائم على

---

(١) انظر: عزت زكي (م.ن.) ص١٤٢-١٤٤ و١٤٧، وHughes,Philip; (op.cit.) P.167.

(٢) راجع: جون لوريمر (م.ن.) ٤/ ١٤٤-٣١٦، وعزت زكي (م.ن.) ص٤٨-١٥٢.

(٣) يلاحَظ أن بعض هذه الحركات ليست ضد البابوية فحسب، وإنما ضدها وضد البروتستانتية أيضا.

(٤) العقلانية، وأهلها: العقلانيون، يجعلون للعقل الأولوية في تحصيل المعرفة، ويقابلهم التجريبيون الذين يجعلون الحواس المصدر الأول للمعرفة. ثم أطلق الاسم خاصة على فلاسفة القرن الثامن عشر الذين رفضوا إقامة المعرفة على الإيمان. انظر: الدائرة البريطانية ١٨/ ٩٩٣، والموسوعة الميسرة ص١٢٢٢.

أساس عرض كل عقيدة أو عبادة كنسية على العقل، فما يقبله العقل هو المقبول، وما يرفضه هو المرفوض، مهما أدّى ذلك إلى ترك العقائد والنظريات التي علّمتها الكنيسة وأضفت عليها طابع القداسة عبر القرون(١).

ولئن كان مارتن لوثر وغيره من قادة الإصلاح في الكنيسة في القرن السادس عشر، قد تجرّءوا على نقد تفاسير وشروح البابوات لنصوص كتابهم المقدس، غير أنهم كفّوا عن توجيه أي نقد إلى الكتاب نفسه. لكن هؤلاء العقلانيين منذ القرن الثامن عشر للميلاد بدءوا يُجرون دراسات نقدية لكتاب النصارى المقدس نفسه(٢)، حتى صار ذلك أخيرا ميدانا مستقلا أُطلق عليه اسم: النقد الأعلى "Higher Criticism"(٣).

ب . **العصرية** "Modernism"، وقد نشأت كرد فعل إيجابي للحركة العقلية(٤)، إذ أُعجب بعض المتديّنين النصارى بمذهب العقلانيين وتأثروا به، فأخذوا يدعون إلى ضرورة إجراء تعديلات في أمور الدين وتجديدها، كي يتناسب مع العصر الذي يعيشون فيه(٥).

---

(١) انظر: محمد تقي العثماني (م.ن.) ص١١٩-١٢٠، وجون لوريمر (م.ن.) ٥/ ٣١-٣٩و٤٧، وعزت زكي (م.ن.) ص١٩٠-١٩١.

(٢) انظر: محمد تقي العثماني (م.ن.) ص١١٩، وجون لوريمر (م.ن.) ٥/ ٥٥-٥٩.

(٣) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٥/ ٥٥و٦٤.

(٤) وهناك رد فعلي سلبي للحركة وهو ما عُرف بحركة إحياء الكاثوليكية " Catholic Revival Movement". انظر: محمد تقي العثماني (م.ن.) ص١٢١.

(٥) أنبّه هنا إلى أن بعض المتسبين إلى الإسلام اليوم ينهجون مثل منهج هؤلاء، فيا ليتهم عرفوا سلفهم في ذلك فيرجعون إلى التمسك بإسلام محمد ﷺ، ويلتزمونه في جميع جوانب حياتهم الخاصة والعامة جملة وتفصيلا، وبالله التوفيق.

ظهرت هذه الحركة خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر، والعقد الأول من القرن العشرين للميلاد. وذلك بعد ظهور النظريات الفلسفية والتأريخية والنفسية المختلفة[١]، فحاول المنتسبون إلى الحركة إعادة تفسير التعاليم الكنسية الكاثوليكية على ضوء هذه النظريات. كما أنهم رأوا أن كتابهم المقدس يمكن اعتبار بعض أجزائه ـ المخالفة للحقائق أو النظريات العلمية الجديدة ـ خاطئةً وغير موثوق بها. ثمَّ إن الحركة اعتبرت الكيان الكنسي مجردَ جمعيةٍ إنسانية بعيدة عن أن يكون لها أي طابع إلهي خاص[٢].

فكل هذه الحركات التي أسهمت إلى حد كبير في إضعاف القوة البابوية من القرن الثامن عشر للميلاد وحتى اليوم، تُعرف بالحركات الليبرالية "Liberalism"[٣] أو التحررية، وفي مقابلها حركات أخرى معارضة لها وتُعرف بالحركات الأصولية "Fundamentalism" أو المحافظية "Conservatism"[٤]،

---

(١) ومنها: نظرية داروين (١٨٠٩-١٨٨٢م) في النشوء والتطور، اقرأ كتاب: ما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة. للدكتور موريس بوكاي.

(٢) انظر: الدائرة البريطانية ١٥/ ٦٣٢، والموسوعة العربية الميسرة ص١٢١٦، والموسوعة الثقافية لعدد من الأساتذة والمفكرين بإشراف د/ حسين سعيد ص٦٦٧، ومحمد تقي العثماني (م.ن.) ص١٢٠-١٢١، وجون لوريمر (م.ن.) ٥/ ٥٥-٥٧.

(٣) الليبرالية: مأخوذة في الأصل من "Liberales" وهو اسم لحزب سياسي ظهر في أسبانيا، في أوائل القرن التاسع عشر للميلاد. والليبرالية هي كل حركة قائمة على أساس إطلاق الحرية للفرد أو الجماعة في الاعتقاد، وفيما يعتقد وكيف يعتقده، وفي طريقة الحياة بأسرها، أو في السياسات بالنسبة للدول والحكومات. انظر: الدائرة البريطانية١٣/ ١٠١٧. وراجع للتوسع: جون لوريمر (م.ن.) ٥/ ٥٥-٦٧، والدائرة البريطانية١٣/ ١٠١٧-١٠٢٢ وHughes,Philip; (op.cit.) P.224-243.

(٤) الأصولية: حركة فكرية نصرانية تحفظية، تدعو إلى التمسك والحفاظ على الأصول المتأصلة في الدين فهي ضد التحررية أو العقلانية أوالعصرية. الدائرة البريطانية ٩/ ١٠٠٩.

=

مثل حركة الأرثودكسية الجديدة أو لاهوت الطوارئ التي ظهرت بعد الحرب الدولية الأولى[١].

ج . **الأصولية أو الأصولية الإنجيلية:** فهي أيضا تدخل قائمة الحركات التي لعبت أدوارها المختلفة في إضعاف البابوية من حيثية واحدة، ألا وهي دعوتها إلى التمسك الحرفي بكتاب النصارى المقدس ودعوى العصمة الحرفية له[٢].

وأما عن أخلاق البابوات أنفسهم وسلوكهم بصفة عامة، فقد استمرت في الهبوط والانحلال، حتى إن بعضهم ليُتّهم بالزنا والشذوذ الجنسي، وتتناقل أخبار ذلك وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية على حد سواء، وربّما أُلّف فيه كتاب كامل![٣]. كما أن بعضهم، مثل البابا يوحنا الثالث والعشرين الذي تولّى البابوية عام ١٩٥٨م قد اتُّهم بالانتماء إلى تنظيم سري ماسوني[٤]

=

وأما إطلاقها على فئة من المسلمين كما هو الشائع في معظم وسائل الإعلام الغربية اليوم وما تأثر بها من وسائل الإعلام في بلاد الإسلام، فغاية ما في الأمر أنه من باب القياس لجامعٍ، فما هو هذا الجامع؟ هنا يقع الإشكال، فهذه الوسائل الإعلامية ترى أنه (الجامع) هو التشدد والعنف، وليس التمسك بأصول الدين والحفاظ عليها، كما يدل على هذا تتبع واستقراء إطلاقات هذه الوسائل للكلمة، والله تعالى أعلم.

(١) راجع: جون لوريمر (م.ن.) ٥/ ٦٨-٧٢.

(٢) انظر: الأصولية الإنجيلية لصالح عبد الله الهذلول ص٣٥. وراجع للتوسع في موضوع: "الأصولية الإنجيلية" كلاً من: البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي ـ الصهيوني (دراسة في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية) للدكتور يوسف الحسن، وصالح عبد الله الهذلول (م.ن.).

(٣) راجع: مصطفى فوزي غزال (م.ن.) ص٩٨-١٠١.

(٤) الماسونية: منظمة سريّة محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد. الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة ص٤٤٩، والموسوعة العالمية ٢٢/ ٨٥.

يهودي[١]، والبعض منهم اتّهم بالعمل لصالح وكالات استخبارات مختلفة[٢]. وإن كان بعضهم أيضا قد عُرف عبر التأريخ بصفات إيجابية من براعة في الإدارة، وحنكة سياسية[٣].

هذا، ومع التراجع الشديد الملموس في قوة الكنيسة الكاثوليكية البابوية وانتشارها، إذا ما قورنت بمنافِستها التقليدية في عالمنا المعاصر، وهي الطائفة البروتستانتية، تبقى هناك بعض الامتيازات لها، أُجملها في الآتي:-

أ ـ ظلت تتمتع بوحدة القيادة والتوجيه، إذ لا يزال البابا حتى الساعة هو الوحيد الذي يفسر لهم نصوص كتابهم المقدس ويفتي في المسائل الأساسية[٤].

ب ـ البابا رئيس دولةٍ ـ دولة الفاتيكان ـ وهذا ما لا يحظى به أيٌّ من رؤساء الطوائف النصرانية الأخرى.

ج ـ البابا رئيس فخري للكنائس العالمية، وإن لم يصرَّح بهذا إلا أن تحركاته وتصرّفاته والاحترام الفائق الذي يحظى به في معظم دول العالم النصراني اليوم تدل عليه. فتراه وهو يصول ويجول في زيارات رسمية لدول كثيرة، سواء كانت ذات أغلبية بروتستانتية كالولايات المتّحدة الأمريكية مثلا، أو حتى ذات أغلبية مسلمة

---

(١) راجع: مصطفى فوزي غزال (م.ن.) ص١٤٠-١٤١. وللوقوف على مزيد من أخبار البابوات اليهود، راجع كتاب: بابوات من الحي اليهودي ليواكيم برنز، ترجمة: خالد أسعد عيسى، ومصطفى فوزي غزال (م.ن.) ص١٢٧-١٣٩.

(٢) نفسه ص١٢٢-١٢٣.

(٣) مثل البابا ليو الثالث عشر الذي تولّى البابوية بين عام ١٨٧٨م وعام ١٩٠٣م. راجع:-
Hughes,Philip; (op.cit.) P.255-267.

(٤) انظر: مصطفى فوزي غزال (م.ن.) ص١٣٧.

ـ مع الأسف ـ مثل السودان ونيجيريا وتركيا. ويستقبل بكل مظاهر البرتوكولات التي يستقبل بها رؤساء الدول والملوك، إلى جانب الطابع الشعبي الذي كثيراً ما يتسم به استقباله في هذه الدول، والله المستعان.



الفصل الثالث

العصمة البابوية : عرضا ونقدا

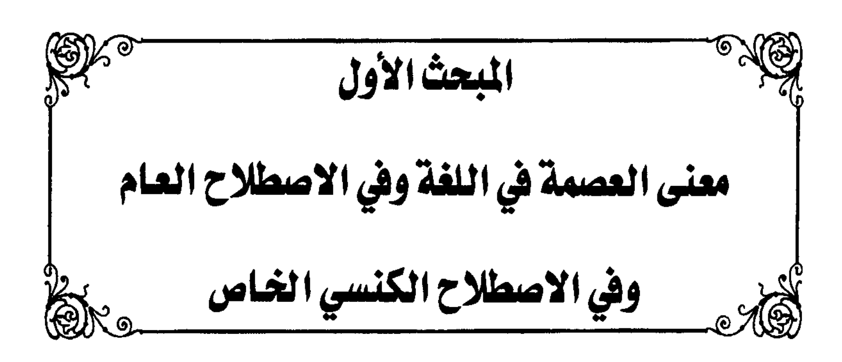
وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : معنى العصمة في اللغة وفي الاصطلاح العام وفي - الاصطلاح الكنسي الخاص.

المبحث الثاني : قرار عصمة البابا.

المبحث الثالث : أدلتهم في إثبات العصمة للبابوات.

المبحث الرابع : نقد دعوى العصمة للبابوات.



المبحث الأول
معنى العصمة في اللغة وفي الاصطلاح العام
وفي الاصطلاح الكنسي الخاص

المطلب الأول: معنى العصمة في اللغة.

العصمة بكسر العين في لغة العرب تأتي لعدة معاني، منها الحفظ والمنع، ومنه عِصمة الله عبدَه أي أن يعصمه مما يوبقه. ويقال: عصمه يعصمه عصماً أي منعه ووقاه. ومنه قوله تعالى حكاية لقول ابن نبي الله نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِى مِنَ ٱلۡمَآءِ ﴾[هود:٤٣]. وعصمه الطعام أي منعه من الجوع، والعاصم بمعنى المانع الحامي، والاعتصام: الامتساك بالشيء، يقال: اعتصم فلان بالله تعالى، إذا امتنع به، واستعصم فلان أي امتنع وأبى، ومنه قوله تعالى حكايةً لقول امرأة العزيز: ﴿ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَ ﴾[يوسف:٣٢][1].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٢/ ٥٣-٥٤، والقاموس المحيط ص١٤٦٩، وتاج العروس ٨/ ٣٩٨-٣٩٩، ولسان العرب ٩/ ٢٤٤-٢٤٥، والمصباح المنير للفيومي ص١٥٧، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٥٠٤، والنهاية لابن الأثير ٣/ ٢٤٩.

المطلب الثاني: معنى العصمة في الاصطلاح العام.

وأما في الاصطلاح فالعصمة هي: «ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها»[١]، وقيل إنها: «لطف من الله يحمل العبد على فعل الخير ويزجره عن فعل الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء»[٢][٣].

هكذا قيل عن المعنى الاصطلاحي للعصمة، والذي يظهر لي من تتبع الاستعمالات والإطلاقات المختلفة للفظ العصمة أنها ليست خاصة بالمعاصي فقط، وإنما يشمل الأخطاء أيضا[٤]، والله أعلم.

المطلب الثالث: مفهوم العصمة في الكنيسة البابوية (الكاثوليكية).

أما مفهوم العصمة عند البابويين فقد جاء تحديده في دائرة المعارف الكاثوليكية بأنها: «ليست مجرد انعدام الخطأ [لدى المعصوم]، وإنما هي الكمال التام أو الإيجابي يمنع عنه إمكانية [الوقوع في] الخطأ، ويستلزم بالضرورة إخلاصا رئيسا للوحي المسيحي في التعليم الذي تقرره وتقبله الكنيسة»[٥]. وفي دائرة معارف الدين والأخلاق ورد أنها تعني عدم الخطأ وعدم القابلية للعيب أو الخلل ـ أي

---

(١) التعريفات للجرجاني ص١٥٠، وتاج العروس ٨/ ٣٩٩.

(٢) الكليات للكفوي ٣/ ٢٦٢.

(٣) وقد اختُلف في: هل العصمة تعني وجود خاصية في نفس المعصوم أو بدنه تقتضي امتناع إقدامه على المعاصي، أم أنه مساو لغيره في الخواص البدنية؟ راجع: عصمة الأنبياء بين اليهودية والمسيحية والإسلام لمحمود ماضي ص١٦.

(٤) انظر: عمر سليمان الأشقر (م.ن.) ص٩٧.

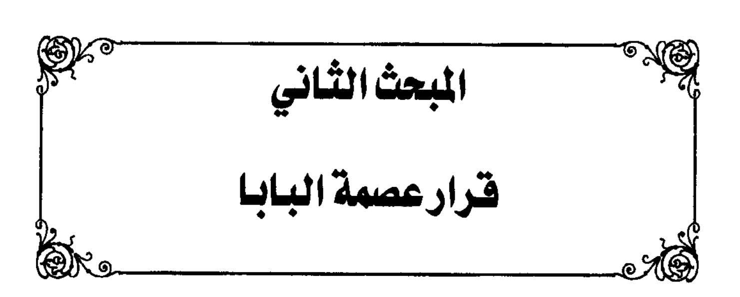
(٥) (الدائرة الكاثوليكية) New Catholic Encyclopedia 7/496.

الدين والأخلاق ورد أنها تعني عدم الخطأ وعدم القابلية للعيب أو الخلل ـ أي المعصية ـ، كما أنها تعتبر مصدرا أو طريقا للعلم المعصوم، و تعني أيضا: الحصانة المطلقة أو العملية من الخطأ أو الإخفاق(١). وفي دائرة المعارف الأمريكية، جاء أنها استثناء لشخص أو جماعة من إمكانية الوقوع في خطأ: « فعصمة كنيسة روما الكاثوليكية تعني أن الكنيسة لا تخطئ في شيء من أحكامها المتعلقة بقضايا الإيمان والأخلاق »(٢).

---

(١) انظر: (دائرة الدين والأخلاق) Encyclopedia of Religion & Ethics 7/257.

(٢) الدائرة الأمريكية ١٥/ ١٠٣.



المبحث الثاني

قرار عصمة البابا

قررت الكنيسة الكاثوليكية عصمة بابواتها بشكل رسمي في المجمع الفاتيكاني الأول المنعقد فيما بين عامي ١٨٦٩م و١٨٧٠م كما تقدم[١]. وبذلك انتقل حق التشريع إليهم - في زعمهم - ومن ثم جرى تصنيفهم لدى الباحثين مصدرا مستقلا للديانة النصرانية، وهو ما سار عليه كاتب هذه الرسالة أيضا. وفيما يلي نص هذا القرار:

«إن بابا روما عندما يتكلم في إطار ممارسة سلطة منصبه بصفة القس أو المعلم لجميع النصارى، إنما يحدّد - بفضل سلطته الرسولية العليا - تعليما في الإيمان أو الأخلاق، يكون هو المعمولَ به في الكنائس كلها. فهو - بسبب العون الإلهي الذي وُعد به، والذي كان متمثلا في بطرس المبارك - يمتلك تلك العصمة التي تمنّى المخلّص السماوي أن توهب كنيسته في تحديد تعاليم الإيمان والأخلاق، وعليه، فإن تلك التحديدات الصادرة عن البابا غير قابلة لتصحيحٍ أو تجديد بمثيلاتها، ومن غير مبرر موافقة الكنيسة»[٢].

---

(١) انظر: ص٨٢٩.

(٢) Boettner, Loraine; Roman Catholicism P.235، والدائرة الأمريكية ١٥/ ١٠٣-١٠٤.

ومن نص قرار العصمة البابوية هذا، تستنبط شروط هذه العصمة عندهم، وهي على النحو الآتي:

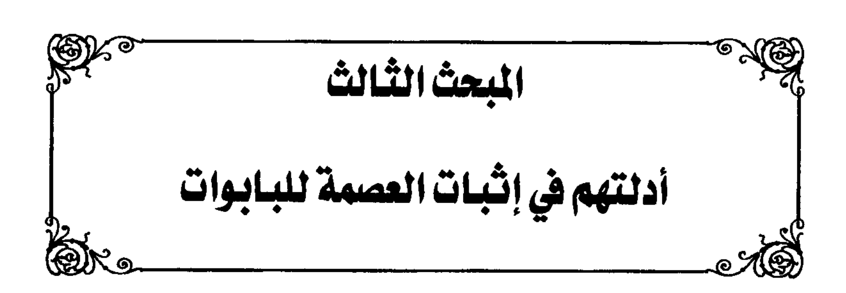
١ ـ أن يكون ذلك في حالة كلامه (البابا) باعتباره المعلم الأعلى للكنائس في العالم كله، بخلاف تعاليمه الفردية أو السرية، أو إذا تكلم في حدود سلطة منصبه رئيسًا لأساقفة روما.

٢ ـ أن ينوي بالكلام تحديد تعليم أو عقيدة ما، بمعنى أنه يجب عليه طلب موافقة نهائية من أعضاء الكنيسة لذلك. وأما مجرد نصيحة أو أي قرار مؤقّت للتأديب، فلا.

٣ ـ أن تكون تحديداته المعصومة هذه في إطار الإيمان والأخلاق فقط.

٤ ـ أن ينوي ـ بشكل واضح ـ فرض التزام عقدي على الكنيسة عن بكرة أبيها[١].

(١) انظر: الدائرة البريطانية ١٢/ ٢١٦، وBoettner, Loraine (ibid) P.235-236.



المبحث الثالث
أدلتهم في إثبات العصمة للبابوات

إن عصمة البابا جزء من العصمة العامة التي تدّعيها كنيسة روما الكاثوليكية لنفسها[١]، ويحتجون لذلك بما يأتي:-

أولا: أن البابا رئيس الكنائس جمعاء، وأب روحي ومعلّم لكل نصراني أينما كان[٢].

ثانيا: أن البابا خليفة المسيح عليه السلام أو نائبه على وجه الأرض[٣].

فهذه عمدتهم في دعوى العصمة للبابا، وهي في الحقيقة تستند إلى ركيزة واحدة لا ثانية لها، ألا وهي زعم خلافة بطرس للمسيح عليه السلام وزعامته للكنيسة بعده عليه السلام، ومن ثم القول بعصمة بطرس الذي يزعم أعضاء الكنيسة البابوية أنه مؤسس كنيستهم[٤]، لذا أرى لزاما عليّ عرض ما يحتجون به من النصوص على هذه الدعوى ثم دراستها دراسة نقدية إن شاء الله.

---

(١) انظر: الدائرة البريطانية ١٢/ ٢١٦.

(٢) نفسه والصفحة كذلك، والدائرة الكاثوليكية ٧/ ٤٩٧.

(٣) انظر: الدائرة الكاثوليكية ٧/ ٤٩٧، والمسيحية لأحمد شلبي ص٢٣٣.

(٤) انظر: الدائرة الأمريكية ١٥/ ١٠٣، ودائرة الدين والأخلاق ٧/ ٢٦٩-٢٧٠.

أ- **ما جاء في إنجيل متّى على لسان المسيح** عليه السلام: «وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السماوات، وكلّ ما تحُلُّه على الأرض يكون محلولا في السماوات»(١).

ب- **ما جاء في إنجيل لوقا**: «وقال الرب: سمعان سمعان(٢)! هو ذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة، ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك، وأنت متى رجعتَ ثبّت إخوتك»(٣).

ج- **ما جاء في إنجيل يوحنا**: «فبعدما تغدّوْا قال يسوع لسمعان بطرس: يا سمعان بن يونا أتحبني أكثر من هؤلاء؟ قال له: نعم يارب أنت تعلم أني أحبّك. قال له ارع خرافي. قال له أيضا ثانية: يا سمعان بن يونا أتحبني؟ قال له نعم يا رب أنت تعلم أني أحبّك، قال له ارع غنمي. قال له ثالثة: يا سمعان بن يونا أتحبني؟ فحزن بطرس لأنه قال له ثالثة: أتحبني. فقال له يا رب أنت تعلم كل شيء، أنت تعرف أني أحبك، قال له يسوع: ارع غنمي»(٤).

فهذه النصوص اعتمد عليها رجال كنيسة روما في دعواهم الزعامة والرعاية الكنسيتين لبطرس بعد المسيح عليه السلام، ثم رتّبوا على ذلك أن من لوازمه أن يكون بطرس معصوما، وكيف لا؟ وقد أعطي مفاتيح ملكوت السماوات ـ والعياذ بالله ـ

---

(١) متّى ١٦/ ١٨-١٩.

(٢) هو بطرس نفسه.

(٣) لوقا٢٢/ ٣١-٣٢.

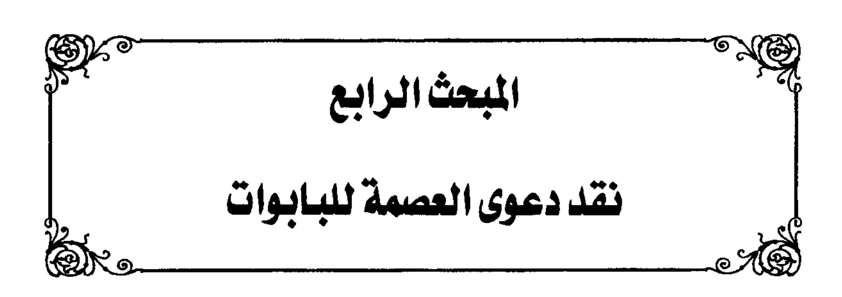
(٤) يوحنا ٢١/ ١٥-١٧.

ويحل ما يشاء ويربط ما يريد في السماوات أو في الأرض[١]!

ثم زعموا أنه من غير المعقول أن المسيح عليه السلام قد قصد أن هذه الميزات كلها تموت بموت بطرس، بل تمتد لخلفائه بعده، حيث إن الحاجة إليها تنمو بمرور الوقت والزمن، ومع الزيادة في ابتعاد الإيمان المسيحي عن غاياته وأهدافه[٢].

(١) انظر: دائرة الدين والأخلاق ٧/ ٢٦٩-٢٧٠، وNew American Bible (N.T) P.178، و Boettner,Loraine (op.cit.) P. 104.

(٢) انظر: دائرة الدين والأخلاق ٧/ ٢٧٠.



المبحث الرابع

نقد دعوى العصمة للبابوات

إن دعوى العصمة للبابوات دعوى خطيرة ومضحكة في آن واحد، فأما خطورتها فتكمن في أنها ادّعاء شيء هو من خصائص الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن لوازم ذلك سن القوانين التي لا تقبل النقاش مهما كانت مخالفة للحق، ومضحكة لأن تأريخ البابوات مليئ بأخطاء جسيمة، سواء في الأخلاق أو في العقائد، كما أن الواحد منهم ينكر ما أثبته غيره، فضلا عن كون كثير من قراراتهم وأحكامهم تتناقض مع كلام الله(١).

ففي السطور الآتية إن شاء الله تُلقى أضواء نقدية على هذه الدعوى، وذلك على ثلاث مراحل: نقد المفهوم، ونقد الشروط، ونقد المستند. وبالله التوفيق.

أولا : نقد المفهوم:

إن مفهوم العصمة للبابا كما سبق تحديده يتعرض للنقد والنقض(٢) من أوجه كثيرة، منها ما يأتي:-

---

(١) انظر: Boettner,Loraine (op.cit.) P.248.

(٢) النقض لغة: الكسر وضد الإبرام، واصطلاحا: "بيان تخلّف الحكم المدّعى ثبوته أو نفيه عن دليل المعلل الدال عليه في بعض من الصور". القاموس ص٨٤٦، والتعريفات للجرجاني ص٢٤٥.

أ ـ أن زعامة البابا للكنائس وأبوته الروحية لجميع النصارى، وكذا عصمته من الخطأ والمعصية، كلها موضع النزاع بين الطوائف النصرانية، بل لا يقول بها غير الطائفة الكاثوليكية التي ينتمي البابا نفسه إليها. وهذا القول أيضا إنما جاء من متأخريهم، فالبابوات قبل عام ١٨٦٩م ـ حين قُررت العصمة ـ لم يدّعوا العصمة لأنفسهم[(١)] ولا ادعاها أتباعهم لهم، كما يدل على هذا انشقاق الكاثوليكيين على إثر إعلان عصمة البابا، وقد تقدّم.

ومما يُقوي هذا أن النصارى في القرون الأولى وقبل انقسام الكنيسة إلى شرقية أرثودكسية وغربية كاثوليكية لو كانوا يعتقدون أن البابا معصوم لما لجؤوا أصلا إلى حل مشكلات الدين والكنيسة عن طريق عقد المجامع، ولاختاروا الطريق الأيسر وهو استفتاء البابا وحده لمعرفة الصواب من بين الآراء المتضاربة[(٢)]. ولكن الواقع خلاف هذا، إذ رأينا أن المجامع تعقد ويدعى البابا للمشاركة فيها فحسب، وقد لا تُوجّه إليه الدعوة أصلا[(٣)]، وربما انعقد مجمع على نقيض قصده[(٤)]. وأما ما امتاز به كرسي روما البابوي في تلكم القرون من الاحترام والمكانة العظيمة، فإن سببه سياسي محض ولا دخل للدين فيه على الإطلاق، إذ كانت روما عاصمةَ الإمبراطورية الرومانية الأولى، ولهذا لما صارت قسطنطينية مثلَها عاصمةً

---

(١) انظر: دائرة الدين والأخلاق ٧/ ٢٧١.

(٢) انظر: دائرة الدين والأخلاق ٧/ ٢٧١-٢٧٢.

(٣) انظر ما تقدم من أهم الملحوظات على أحداث المجمع المسكوني الثاني.

(٤) انظر ما تقدم في ص٧٣٣-٧٣٤ و٧٧٨.

للإمبراطورية الثانية، طالب أعضاء المجمع المسكوني الثاني بعين الاحترام والمكانة لرئيس أساقفتها كذلك[١].

ب ـ ما تقدم عرضه من صور الانحدار الخلقي لبعض البابوات، وأخرى لم يأت ذكرها من ذي قبل، ومنها أن البابا يوحنا الثاني عشر إنما رُفع إلى كرسي البابوية وهو لا يزال شابا يافعا في الثامنة عشرة من عمره! عن طريق مكيدة سياسية للحزب الذي كان يسيطر آنذاك في روما. وقد أثبت هذا البابا بكل وضوح خبثه ورداءة أخلاقه في مجالات مختلفة، في القتل والغدر وانتهاك الحرمات والزنى حتى مع أقاربه! إلى درجة أن الإمبراطور آنذاك عزله عن منصب البابا لما كثرت شكاوى أهل روما ضده، ومع ذلك لا يزال يُعدّ إلى اليوم بابا شرعيا انحدر عن طريق سلسلة السلطة الرسولية من بطرس إلى البابا الحالي في روما!!![٢].

ثم من بعده جاء البابا إسكندر السادس[٣]، الذي كان له ستة أولاد غير شرعيين، إثنان منهم ولدا بعد تولّيه منصب البابا![٤].

وفي القرن الميلادي الخامس عشر نفسه تم عزل البابا يوحنا الثالث والعشرين[٥] لتهم بلغ عددها أربعا وخمسين تهمة، منها: الكفر، والكذب، والاتّجار

---

(١) انظر: حنانيا إلياس كسّاب (م.ن.) ص١٣.

(٢) انظر: Boettner,Loraine (op.cit.) P. 250-251.

(٣) إسكندر السادس: تولى البابوية في عام ١٤٩٢م واستمر في المنصب حتى عام١٥٠٣م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وP.291 Hughes,Philip; (op.cit.).

(٤) انظر: Boettner,Loraine (op.cit.) P.251.

(٥) وتحـاول الكنيسة الكاثوليكية في هذا القرن إنكار صلتها بهذ البابا الشرّير فعينوا بابا آخر بالاسم =

بالمقدسات والمناصب الدينية، والخيانة، والغدر، والفسق... كما أسلفت(١).

هذا كله في الأخلاق، وأما في باب الإيمان والاعتقاد، فقد اتّهم بعضهم بالهرطقة والكفر، وحكم عليه بالحرمان، كما حصل في المجمع المسكوني السادس الذي حكم على البابا هونوريوس الأول بعد وفاته(٢).

ج ـ ولأن هناك كثيرا من الحقائق التأريخية التي تكذّب دعوى العصمة للبابوات، من أبرزها ما يأتي:-

١ ـ السبي البابلي للبابوات في أفينيون الفرنسية، وخضوعهم التام لسلطة فرنسا العلمانية وخدمة مصالحها(٣).

٢ ـ تعدد البابوات في القرون الوسطى من تأريخ النصرانية، وما تلا ذلك من عزل بعضهم واعتزال البعض الآخر(٤).

٣ ـ إعلان مجمعي بيزا وكوستانس أن المجمع الذي تضمّن في عضويته عددا من العلمانيين والسياسيين، له سلطة أعلى من سلطة البابا، وأنه لا خيار له إلا اتباع قراراته(٥).

= نفسه أعني: يوحنا الثالث والعشرين في عام ١٩٥٨م، وتوفي في عام ١٩٦٣م. (انظر: The Concise Columbia Ency. P640، والموسوعة العالمية ٢٧/ ٣٤٤-٣٤٥)! إلا أن التأريخ لا يمكن محوه. انظر: Boettner,Loraine (op.cit.) P.251.

(١) انظر: ص٨٩٦-٨٩٧.

(٢) انظر: Boettner,Loraine (op.cit.) P.248، ودائرة الدين والأخلاق ٧/ ٢٧١.

(٣) انظر: ص٨٩١.

(٤) انظر: ص٨٩٣ فما بعدها.

(٥) انظر: ص ٨٩٥-٨٩٨.

د ـ ظهور أخطاء للبابوات من خلال تعقيبات بعضهم لبعض أو تخطئته فيما ذهب إليه من الأحكام، وإليكم نماذج من ذلك فيما يأتي:

١ ـ البابا أدريان الثاني[(١)] حكم بجواز الزواج المدني، ثم جاء بعده البابا بيوس الرابع[(٢)] فحكم ببطلانه[(٣)].

٢ ـ قال البابا غريغوريوس الأول[(٤)]: إن أي إنسان يرضى بلقب "البابا العالمي"، فإنه ضد المسيح، وجاء بعده البابا بونيفاس الثالث[(٥)] فأرغم الإمبراطور على أن يخلع عليه هذا اللقب، وسار على منواله من أتى بعده من البابوات[(٦)]. أي أن بابوات روما قبل ذلك إنما كانوا يُعرفون بأساقفة روما فحسب[(٧)].

٣ ـ حكم البابا إيوغين الرابع[(٨)] على جان الأركونية[(٩)] بأن تحرق حيّةً لأنها

---

(١) أدريان الثاني: تولى منصب البابا فيما بين عام ٨٦٧م و٨٧٢م. انظر: الدائرة الأمريكية٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P.286.

(٢) بيوس الرابع: البابا الكاثوليكي من عام ١٥٥٩م إلى عام ١٥٦٥م. انظر: الدائرة الأمريكية٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P.291.

(٣) انظر: Boettner,Loraine (op.cit.) P.249.

(٤) غريغوريوس الأول: كان البابا من عام ٥٩٠م وحتى عام ٦٠٤م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P.284.

(٥) بونيفاس الثالث: تولى البابوية في عام ٦٠٧م وتوفي في العام نفسه. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P.284.

(٦) انظر: Boettner,Loraine (op.cit.) P.249.

(٧) انظر: Ibid P.125.

(٨) البابا إيوغين: البابا الكاثوليكي من عام ١٤٣١م وحتى عام ١٤٤٧م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P.290.

(٩) "Joan of Arc": بطلة قومية فرنسية، قادت الفرنسيين ضد الإنجليزيين في حرب الأعوام المائة. =

ساحرة، بينما أعلن البابا بندكت الخامس عشر[(١)] بعد ذلك في عام ١٩١٩م أنها قدّيسة![(٢)].

٤ ـ أجاز البابا سيكستوس الخامس قراءة كتابهم المقدس للعامة، بعد أن مُنعوا من ذلك منذ عام ١٢٢٩م[(٣)]، ثم جاء بعده بابوات آخرون، وعلى رأسهم البابا بيوس السابع[(٤)] فمنعوها مرة أخرى[(٥)]. وحتى اليوم فإن الكنيسة الكاثوليكية لا تجيز للعامة قراءة وفهم نصوص العهد القديم والعهد الجديد بمفرده، وإن كان لا بد من اقتناء نسخة منها فلتكن ـ وجوبا ـ النسخة المحشوّة بتعليقات وتفسيرات الآباء والبابوات![(٦)].

٥ ـ وهذا بيوس السابع نفسه يصدر أمره في السابع من أغسطس عام ١٨١٤م بإعادة اليسوعيين "Jesuits"[(٧)] إلى حظيرة الكنيسة، بعد أن كانت

=

ولدت عام ١٤١٢م وحكم عليها بالموت حرقا في عام ١٤٣١م. انظر: الدائرة البريطانية "Macro" ١٠/ ٢٢٥، ومعجم أعلام المورد لمنير البعلبكي ص٥٠.

(١) بندكت الخامس عشر: تولى البابوية في عام ١٩١٤م وحتى عام ١٩٢٢م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P.296.

(٢) انظر: Boettner,Loraine (op.cit.) P.250.

(٣) Boettner, Loraine (op.cit.) P.97.

(٤) بيوس السابع: البابا الكاثوليكي من عام ١٨٠٠م حتى عام ١٨٢٣م. انظر: الدائرة الأمريكية٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P.294.

(٥) انظر: Boettner,Loraine (op.cit.) P. 250.

(٦) Ibid P.96-98.

(٧) طائفة اليسوعيين أو طائفة أعضاء مجمتع يسوع: جماعة أسسها في القرن السادس عشر للميلاد رجل يُدعى القديس إغناطيوس لويولا، وهم يعيشون تحت عهد قطعوه على أنفسهم بملازمة

=

طائفتهم محظورة محرومة بأمر البابا كلمنت الرابع عشر[١] الصادر في الحادي والعشرين من يوليو عام ١٧٧٣م[٢].

ثانيا: نقد الشروط:

وذلك من خلال الأوجه الآتية:-

أ ـ أن هذه الشروط زائدة على ما احتجوا بها من النصوص على عصمة البابا، فمن أين لهم تقييد مطلقها أو تخصيص عامها بلا دليل؟

ب ـ أما بخصوص الشرط الأول فقد قدّمت[٣] أن الزعامة العليا للبابا على جميع الكنائس مسألة خلافية بين أهلها، فأقل ما يقال في مثلها أنها يعتريها الشك وليس فيها يقين، ومن المعلوم أن الشك أو أي خلل في الشرط مانع من تحقق المشروط.

ج ـ وأما اشتراط طلب البابا موافقةَ أعضاء الكنيسة فلا معنى له، لأن البابا معصوم ـ في زعمهم ـ وهم ليسوا معصومين.

د ـ وأما الشرط الثالث ـ وهو أن تكون تحديدات البابا المعصومة في إطار

=

الفقر والعفة والطاعة دائما. انظر: دائرة الدين والأخلاق ٧/ ٥٠٠-٥٠١، والدائرة البريطانية ١٢/ ١٠١١.

(١) كلمنت الرابع عشر: كان بابا الكنيسة الكاثوليكية من عام ١٧٦٩م وحتى عام ١٧٧٤م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P.293.

(٢) انظر: Boettner,Loraine (op.cit.) P.250.

(٣) انظر: ما سبق عن التعريف بالبابوية والبابوات.

مسائل الإيمان والأخلاق فقط، فظاهره العلمنة ولكنّ باطنه الهيمنة، كما يشهد لهذا بعض الكتّاب النصارى أنفسهم، أعني: أن الكنيسة البابوية تستغل حتى اليوم هذا المصطلح العام الواسع (الإيمان والأخلاق) لتهيمن من جديد على جميع جوانب حياة شعوب كنائسها تقريبا[1].

هـ ـ وكذلك الشرط الأخير، فإنه من ضروب المحالات: إذ يعني التحكم في نوايا الشخص، أم كيف يميز شعب الكنيسة بين ما ينوي البابا فرضه عقيدةً عامة وبين ما لا ينوي أن يكون كذلك؟![2].

ثالثا: نقد المستند:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: مناقشة القول بعصمة بطرس:

وفيها أربع نقاط.

النقطة الأولى: أن بطرس من خلال سيرته في الأناجيل ورسائل العهد الجديد، يمكن أن يكون أي شيئ آخر ما عدا كونه نموذجا للعصمة البشرية.

فهذا إنسان يأتي وصفه في إنجيل متّى على لسان المسيح عليه السلام قائلا: «اذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس»[3]، وكان قد

---

(١) انظر: Boettner,Loraine (op.cit.) P.236.

(٢) Ibid P.237.

(٣) متّى ١٦/ ٢٣.

جاء وصفه قبل هذا بأسطر فقط بأنه الصخرة التي تُبنى عليها الكنيسة[1] ـ حسب تفسير الكاثوليكيين ـ، فإذا بصخرة الكنيسة تتحول بعد ساعات قليلة إلى صخرة العصيان وحجر عثرةٍ!!! وقد نُقل عن المسيح عليه السلام في موضع آخر أنه قال: « فلا بد أن تأتي العثرات، ولكن ويل لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة »[2]. إذًا، فإيمانه الذي أهّله لهذا الفضل العظيم[3] سرعان ما فُقد وتلاشى فاكتسبه الشيطان وظفر به، فصار من حزبه وجنده!

وهذا بطرس نفسه ينكر علاقته بالمسيح عليه السلام وحتى مجرد معرفته إياه ثلاث مرات متتالية، في حالةٍ كان المسيح فيها أحوج ما يكون إليه، وفْقَ ما جاء في أناجيل العهد الجديد[4][5].

ومما يفنّد زعم ثبوت العصمة له، ما ورد من الاحتجاجات من التلاميذ الآخرين وغيرهم من المعاصرين له على بعض تصرفاته[6]، وكذلك ما كان يجد نفسَه فيه من الحيرة وعدم الثقة بالنفس في بعض ما يقوم به، كما تذكر ذلك كله أسفار العهد الجديد، ومن ذلك ما جاء في إحدى رسائل بولس: « ولكن لما أتى بطرس إلى

---

(١) انظر: متّى ١٦/ ١٨.

(٢) متّى ١٨/ ٧.

(٣) حسب ما جاء في متّى ١٦/ ١٦-١٧.

(٤) انظر: متّى ٢٦/ ٦٩-٧٤، ومرقس ١٤/ ٦٦-٧١، ولوقا ٢٢/ ٥٥-٦٠.

(٥) انظر فيما تقدم: دائرة الدين والأخلاق ٧/ ٢٧٠، وBoettner,Loraine (op.cit.) P.106-107 بتصرف.

(٦) انظر: الأعمال ١١/ ١-٣.

أنطاكية قاومته مواجهةً، لأنه كان ملوما» ثم قال معللا ذلك: «لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب[1] كان يأكل مع الأمم، ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفا من الذين هم من الختان[2]»[3][4].

النقطة الثانية: أما بخصوص ما احتجّوا بها من نصوص كتابهم المقدس، فالأجوبة عنها تتلخص في الآتي:

أ ـ أنه لم يوجد واحد من الآباء الكنسيين الأوائل الذين أشغلوا أنفسهم وأوقاتهم كلها بتفسير نصوص كتابهم المقدس مَن فسر هذه النصوصَ لتعني إثبات العصمة أو أي ميزة أخرى لبطرس، تنتقل بعده لخلفائه، وكلهم بلا استثناء مجمعون مطبقون على هذا. وإن أول من أوّلها أو بعضَها على أنها تعني إثبات ميزة خاصة لكنيسة روما: هو البابا أغاثو[5] في نهاية القرن السابع للميلاد، وذلك في محاولة منه للدفاع عن سلفه: البابا هونوريوس المحكوم عليه بالكفر والحرمان في المجمع المسكوني السادس[6]. وهذا أيضا ـ أعني حرمان البابا هونوريوس وتكفيره ـ وهو الحبر الأعظم للكنيسة لمدة ثلاث عشرة سنة كاملة! ـ مما يؤكد أن أساقفة ذلكم

---

(١) أي المعروف بأخي الرب.

(٢) أي اليهود.

(٣) غلاطية ٢/ ١١-١٢.

(٤) انظر: Boettner,Loraine (op.cit.) P.239.

(٥) أغاثو: البابا الكاثوليكي من عام ٦٧٨م وحتى عام ٦٨١م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P.284.

(٦) انظر: دائرة الدين والأخلاق ٧/ ٢٧٠-٢٧١ بتصرف.

الوقت ما كانوا يعرفون شيئا عن فكرة العصمة البابوية أبدا[(١)].

ب ـ أما فيما يتعلق بالنص الوارد في إنجيل متّى، فقد رأينا قبل قليلٍ كيف أن هذا التلميذ بعد ما ذُكر عنه ما تمسكت به الكنيسة الكاثوليكية من أنه أعطي مفاتيح ملكوت السماوات، أو أن ما يربطه على الأرض يكون مربوطا في السماوات...الخ، جاء وصفه في الإصحاح نفسه بأنه شيطان وحجر عثرة وصخرة عصيان...الخ[(٢)]. مما يعني أننا لو سلمنا جدلا أن ثمة عصمةً ثبتت له فإنها كانت مؤقتةً ولم تستمر إلا لبضع ساعات فقط!

كما أن القوم لو أرادوا إثبات العصمة لبطرس بموجب هذا النص لكان الأولى لهم إثباتها لجميع التلاميذ الاثني عشر، حيث إن الفضل ـ المزعوم ـ نفسه قد أعطاهم إياه المسيح عليه السلام وفْقَ ما نقرأ في إنجيل متّى نفسه أنه (المسيح) قال مخاطبا إياهم: «الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا في السماء، وكل ما تحلّونه على الأرض يكون محلولا في السماء»[(٣)].

وإن قالوا إن بطرس وحده قد أعطي مفاتيح ملكوت السماوات دون التلاميذ الآخرين، فليُقل لهم: إن هذا منكم سوء فهم ولا يؤيده سياق الكلام الذي جاء هكذا: "وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض...". أي أن مفتاح الملكوت: تفسيره ما جاء بعده، بدليل دخول الفاء. وعلى التسليم الجدلي

---

(١) انظر: Boettner,Loraine (op.cit.) P.249 بتصرف.

(٢) انظر ما تقدم في ص٩٣٢-٩٣٣.

(٣) متّى ١٨/ ١٨.

بأنه وحده قد أعطي هذا المفتاح ـ على مفهومهم الخاص[١] ـ فالجواب أنه يلزمهم أن يثبتوا العصمة لا لبطرس وحده وإنما للكتبة والفريسيين من اليهود، إذ جاء في حقهم أيضا، في إنجيل متّى نفسه: «لكن ويل لكم أيّها الكتبة والفريسيّون المراءون لأنكم تغلقون ملكوت السماوات قدام الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون»[٢][٣].

ج ـ وأما بخصوص النص المحتج به في كل من إنجيل لوقا وإنجيل يوحنا، فإن معنى قول المسيح عليه السلام لبطرس ـ كما جاء في إنجيل لوقا ـ: «ثبّت إخوتك»، قد جاء تفسيره من بعض علماء طائفة الكاثوليك أنفسهم بأنه لا يعدو أن يكون مجرد توقّع لبروز بطرس ناطقا رسميا للمجتمع النصراني، وفي إيصال الدعوة إلى غير اليهود فيما بعد رفع المسيح عليه السلام، وهذا ما قد أظهره كاتب الإنجيل نفسه بوضوح في النصف الأول من كتابه: سفر أعمال الرسل[٤].

إذًا فمعنى "ثبّت إخوتك"، وكذلك نظيره في إنجيل يوحنا: "ارع غنمي" ليس إلا صيغة تكليف للمخاطَب بالقيام بالدعوة إلى ما جاء به المخاطِب، فهل يقول قائل، كاثوليكيا كان أو غيره أن المسيح عليه السلام لم يُكلّف أحدا بالإبلاغ عنه سوى بطرس؟ كلاّ.

---

(١) انظر: التعليق على الفقرة المذكورة (متّى ١٦/ ١٩) في النسخة الكاثوليكية لكتاب النصارى المقدس NAB ص٣٨.

(٢) متّى ٢٣/ ١٣.

(٣) انظر: دائرة الدين والأخلاق ٧/ ٢٧٠، و Boettner, Loraine (op.cit.) P.109.

(٤) انظر: نسخة "NAB" (العهد الجديد) ص١٣٧.

النقطة الثالثة: أنهم يزعمون أن مصدر هذه العصمة هو المسيح عليه السلام [١]. وهذا خطأ، لأن العصمة ليس يملكها أو يمنحها أحد إلا الله [٢].

النقطة الرابعة: أن بطرس نفسه لم يدع قط أنه معصوم، لا فيما كُتب عنه ولا فيما يقال إنه كتبه عن نفسه من كتب العهد الجديد [٣].

المسألة الثانية: مناقشة حق البابوات وكنيستهم في خلافة بطرس أو وراثة حقوقه وفضائله.

فبعدما تبين في المسألة الأولى أن بطرس نفسه لم يكن معصوما قط، وعليه، فلا يمكن أن تنتقل منه إلى غيره لأن فاقد الشيء لا يعطيه. رأيت من المستحسن أن أُتبع ذلك بمسألة أخرى، وهي أن بطرس على فرض كون فضيلةٍ مَّا قد ثبتت له، فهل يحق لكنيسة روما وبالذات بابواتها دعوى انتقالها إليهم دون غيرهم؟ الجواب عن هذا يأتي من خلال النقاط الآتية إن شاء الله.

أ ـ تقدم بسط القول في خلاف النصارى حول مدة إقامة بطرس في روما، ورأينا أن الكاثوليكيين تطرفوا في ذ لك تطرفا عجيبا، حتى جعلوه على رأس قائمة البابوات!!! وأريد أن أسلط الضوء هنا على أن فكرة إقامة بطرس في روما ومن ثم قيامه بتأسيس الكنيسة هناك، من أساسها لا تستند إلا إلى مجرد

---

(١) انظر: المسيحية لأحمد شلبي ص٢٣٣، وكذلك ما تقدم من النصوص التي احتجوا بها على ثبوت العصمة.

(٢) انظر: محمود ماضي (م.ن.) ص١٦-١٨، وBoettner,Loraine (op.cit.) P.248.

(٣) انظر: Boettner,Loraine (op.cit.) P.112، بتصرف.

تقاليد وأخبار تناقلها لاحق عن سابق، وفلان عن علان دون إسناد أو تثبت، وذلك لأمور:

أولا: أن العهد الجديد من ألفه إلى يائه لا يذكر شيئا عنها، مع أن سفر أعمال الرسل في الإصحاحات الاثني عشر الأولى قد ذكر أخبار دعوة هذا الرجل (بطرس) ورحلاته وجولاته في كلٍّ من فلسطين وسورية[(١)].

ثانيا: أن كلمة روما وردت في كتاب النصارى المقدس تسع مرات، ولم يرد مع أي منها ذكرٌ لبطرس.

ثالثا: لم ترد إشارة واحدة إلى روما في الرسالتين المنسوبتين لبطرس نفسه[(٢)].

رابعا: لا يوجد على دعوى إقامة بطرس هناك هذه المدة وقيامه بتأسيس الكنيسة فيها أي دليل تأريخي.

خامسا: إذا كان مجرد إقامة تعطي الأفضلية للمكان المقام فيه على غيره[(٣)]، فالحري بالكاثوليكيين تفضيل أنطاكية على روما، لأن التقاليد نفسها تثبت أن بطرس

---

(١) سورية في اصطلاح كتاب النصارى المقدس: يشمل أجزاء من دولة لبنان اليوم كبيروت وطرابلس. انظر: قاموس ك.م. ص٤٩٢.

(٢) وأما ما جاء من تفسير "بابل" الوارد ذكره في ١ ـ بطرس ٥/ ١٣، بأنه روما، فهو محل اعتراض ونظر عند الباحثين. انظر: Boettner,Loraine (op.cit.) P.120، وقاموس ك.م. ص١٥٢.

(٣) هذا الدليل من باب الإلزام فقط، وإلا لا غبار على أن بلد إقامة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مثلا ليس كغيره من البلدان، اللهم إلا ما ورد نص خاص بأفضليته، كما هو الحال بالنسبة لمكة المكرمة والمدينة المنورة. وإن كان جمع من أهل العلم أيضا يرون أفضلية المدينة المنورة حتى على مكة المكرمة. راجع المسألة في: فتح الباري ٤/ ١٠٠، وكتاب: الرد على من أخلد إلى الأرض... لجلال الدين السيوطي تحقيق: الشيخ خليل الميس ص٢٢.

سكن فيها (أنطاكية)[١] أولا[٢].

ب ـ كيف يزعم بابوات روما أنهم خلفاء بطرس ويخالفون صنيعه؟! حيث إنه جاء في سفر أعمال الرسل: «ولما دخل بطرس استقبله كرنيليوس[٣] وسجد واقعا على قدميه، فأقامه بطرس قائلا: قم أنا أيضا إنسان»[٤]، بخلاف حال البابوات الذين ما كانوا يرضون بهذا مجرد الرضا بل يطلبونه، ويمدّون أقدامهم هم إلى أتباعهم ليقبّلوا أصابعها[٥]!

ج ـ وأما عن قولهم: إنه ليس معقولا أن يقصد المسيح عليه السلام وهو يعطي بطرس هذه الفضائل، أنها تموت بموت بطرس نفسه...الخ. فهل يعني ذلك أن البابوات مثل بطرس في الدرجة؟ وهم أنفسهم لا يدّعون ذلك. إذًا، فما الذي أهّلهم لاستحقاق هذه الميزات دون غيرهم، أم ما أدراهم أن المسيح عليه السلام لم يُرد أن تكون لسواهم من أتباعه؟![٦].

د ـ أن مسألة خطيرة كهذه تستحق على الأقل بيانا شافيا واضحا من المسيح عليه السلام ليكون أتباعه على بصيرة فيها، لكننا لا نجد شيئا من ذلك لا عن المسيح ولا

---

(١) انظر: غلاطية ٢/ ١١.

(٢) انظر فيما تقدم: Boettner,Loraine (op.cit.) P.117-119، ويوسابيوس القيصري (م.ن.) ص٨٧ هامش "٢".

(٣) كرنيليوس: اسم لاتيني معناه: مثل القرن، وكان الرجل قائد مئةٍ رومانيا من الكتيبة الإيطالية في قيصرية، وقيل إنه كان أول وثني اعتنق النصرانية. انظر: قاموس ك.م. ص٧٧٨-٧٧٩.

(٤) الأعمال ١٠/ ٢٥-٢٦.

(٥) انظر: عزت زكي (م.ن.) ص٥٩، وBoettner,Loraine (op.cit.) P.113-119.

(٦) انظر: دائرة الدين والأخلاق ٧/ ٢٧٠ بتصرف.

عن بطرس نفسه، مع وجود رسالتين تنسبان إليه في العهد الجديد.

وإنما الموجود على العكس من ذلك: تحذيره ﷺ تلاميذَه من الرئاسة أو الزعامة أو الاختصاص بفضل على الآخرين، كما جاء في إنجيل مرقس: «وإذ كان [يسوع] في البيت، سألهم بماذا كنتم تتكالمون فيما بينكم في الطريق؟ فسكتوا لأنهم تحاجّوا في الطريق بعضهم مع بعض في من هو أعظم؟ فجلس ونادى الاثني عشر وقال لهم: إذا أراد أحد أن يكون أولا فيكون آخر الكل وخادمًا للكل»[(١)]. وعندما تقدّم اثنان منهم بطلب اختصاصهما بشيء دون الآخرين، خطب فيهم قائلا: «... بل من أراد أن يصير فيكم عظيما يكون لكم خادما، ومن أراد أن يصير فيكم أولا يكون للجميع عبدا»[(٢)(٣)].

هـ ـ ثم هل يُعقل أن يكون الوحي بهذا الأمر الحساس ـ أعني عصمة بطرس ثم انتقالها إلى بابوات روما ـ قد تأخر أو خفي على جميع علماء النصارى وعامتهم لهذه المدة الطويلة؟ حيث إنه لم يُعلم إلا في أواخر القرن التاسع عشر للميلاد في المجمع الفاتيكاني الأول (١٨٦٩م ـ ١٨٧٠م)[(٤)]. أم أنه في الحقيقة مما ابتدعه هذا المجمع نفسه ولم يكن يعلم به حتى البابوات الأوائل؟[(٥)].

و ـ ومن الطرائف أنه قد فُرض تعهد على رجال الكنيسة الكاثوليكيين منذ

---

(١) مرقس٩/ ٣٣-٣٥.

(٢) مرقس ١٠/ ٤٣-٤٤، وبداية القصة من الفقرة ال٣٥.

(٣) انظر: دائرة الدين والأخلاق٧/ ٢٧١، وBoettner,Loraine (op.cit.) P.239 بتصرف.

(٤) انظر: دائرة الدين والأخلاق ٧/ ٢٧١.

(٥) انظر: Boettner,Loraine (op.cit.) P.240-241

عهد البابا بيوس الرابع (في القرن السادس عشر) ألا يفسروا الكتب المقدسة إلا بما يوافق وينسجم مع ما اتفق عليه الآباء الكنسيون. وهذا النوع من الاتفاق عندهم، على ندرته، فإنه قد حصل على تفسير النصوص المحتج بها كلها بعيدا عن إثبات عصمة بطرس وزعامته، أو انتقالها إلى البابوات بعده كما أسلفت[(١)]. فأي أسقف أو قس يحاول تفسير هذه النصوص أو ليّها لتعني إثبات العصمة لبطرس، ومِن بعدِه البابوات، فقد نقض عهده[(٢)].

وفي نهاية هذه الجولة في رحاب مسألة العصمة البابوية نخلص إلى أن دعوى كنيسة روما العصمة لبابواتها ليست معارضة للنقل فحسب، بل ومعارضة كذلك للعقل والتأريخ. وإذا كان كذلك فيا تُرى ما الذي حملهم أو دفعهم إليه في المقام الأول؟ أقرب احتمال في ذلك ـ والله أعلم ـ أنهم ادّعوا العصمة للبابوات لدفع عار اكتشاف الكذب أو الخطأ فيما يفتون أو يخبرون به.

وعلى كل حالٍ، فلعل أي عنصر آخر من عناصر النظام البابوي لم يجلب للكنيسة البابوية من العار والفضيحة مثل ما جلبه لها هذا القول بعصمة البابوات، ففي المقام الأول: إنه ادّعاء لمبدأ أو عقيدة يمكن تفنيدها بكل سهولة، وفي المقام الثاني: أنه قد سلّط الأضواء ولفت الأنظار إلى عدم معقولية السلطة التي يدّعيها البابا لنفسه أو تُدّعى له[(٣)].

---

(١) انظر مناقشة القول بعصمة بطرس: النقطة الثانية.

(٢) انظر: دائرة الدين والأخلاق ٧/ ٢٧١ بتصرف.

(٣) انظر: Boettner,Loraine (op.cit.) P.252-253 بتصرف.

كما أودُّ أن أكرر هنا أنه قد وُجد من هؤلاء البابوات من أدركوا أن العار كل العار إنما هو في ادّعاء المرء شيئا لا يملكه وليس في العكس، فأنكروا ـ بوضوح ـ فكرة العصمة ورفضوها، ومنهم البابوات فيرجيليوس[(١)]، وإنوسنت الثالث، وكلمنت الرابع[(٢)]، وغريغوريوس الحادي عشر.[(٣)]

---

(١) البابا فيرجيليوس: تولى البابوية في عام ٥٣٧م وحتى عام ٥٥٥م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، و Hughes,Philip; (op.cit.) P.284.

(٢) الباب كلمنت الرابع: البابا الكاثوليكي من عام ١٢٦٥م وحتى عام ١٢٦٨م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، و Hughes,Philip; (op.cit.) P.289.

(٣) انظر: Boettner,Loraine (op.cit.) P.252.

الفَصْلُ الرَّابِعُ

أهم إضافات البابوات في الديانة النصرانية

أهم إضافات[1] البابوات في الديانة النصرانية:

هناك جملة أمور عقدية وعبادية، بدنيةً كانت أو مالية قد قامت الكنيسة الكاثوليكية وبابواتها على مر العصور بإضافتها إلى ديانة النصارى، فهم بذلك يكمّلون ما بدأه بولس الذي كان له فضل الصدارة ـ إن صحّ التعبير ـ في الابتداع والإحداث بالنسبة لهذه الديانة، حتى استحق أن يُدعى: المؤسس الحقيقي لها، أعني النصرانية المعاصرة أو المثلّثة.

وفي حدود اطّلاعي القاصر، لم أقف على مؤلّف خاص يضم بين دفّتيه جميع هذه الإضافات والزيادات. لكني قمت بتدوين كل ما مرّ بي وهو ذو علاقة بهذا الأمر من خلال المطالعات والمراجعات للكتب. لذا، لا أستبعد بل إنني أجزم بأن شيئا ما في ذلك قد يكون مما فاتني أو غابت عني معرفته.

الإضافة الأولى: صكوك[2] الغفران.

تقدم معنا أن الكنيسة الغربية البابوية قررت منذ عام ١٢١٥م في مجمعهم الثاني عشر أن الكنيسة تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء[3]. ثم تطور الأمر بعد ذلك

---

(١) ما سيُذكر في هذا الفصل إن شاء الله إنما هو في الإضافات الخاصة بالكنيسة الكاثوليكية البابوية، دون ما زادته أو أضافته ومعها بقية الطوائف النصرانية على دعوة عيسى عليه السلام، ويمكن الرجوع في هذا إلى المباحث الخاصة ببولس ورسائله فيما مضى من الرسالة.

(٢) الصك: الكتاب، ويجمع على صكوك وأصك وصكاك. القاموس ص١٢٢٢ .

(٣) انظر ما تقدم في ص٨٢٩.

لتصبح هذه المغفرة في القرن السادس عشر تمنح بصكوك تباع وتشترى بالمال، ولها باعة متجولون في الطرقات مثل أي سلعة معروضة في الأسواق، ثم لا يكون على المشتري أي حرج في ارتكاب ما شاء من الموبقات، أو نيل ما تهواه نفسه من المعاصي المهلكات. بل يكون له بمثابة جواز المرور إلى النعيم المقيم، لا يعوق حامله عائق ولا يمنعه من الوصول حارس[١].

استخدمت الكنيسة صكوك الغفران في أول الأمر لتشجيع شعوب الكنيسة على خوض الحروب الصليبية ضد المسلمين، فكانت تَمنح الصك لكل من ينخرط في سلك الجيوش المقاتلة[٢]. وأما ممتلكات هؤلاء المحاربين فتوضع تحت حراسة أسقف الكنيسة حتى يعودوا، وغالبا ما لا يعودون فحينئذ تُضمّ هذه الممتلكات إلى أملاك الكنيسة، فكانت الحروب الصليبية التي راحت ضحيّتها ملايين من النفوس مصدرَ ثروة عظيمة لروما والبابوية[٣]، حتى إنه كان يُطلب مِن مَن يريد الإعفاء عن المشاركة في هذه الحروب من شعوب الكنيسة دفعُ مبلغٍ معين لذلك![٤].

انتهت الحروب الصليبية في أواخر القرن الثالث عشر للميلاد، فانقطع مصدر التمويل الرئيس للمشروعات البابوية، حينئذ بدأت المشكلة المالية للبابوية من جديد، فما ذا سيخترعه البابا ليكون مصدر ربحٍ يُعوّض له ما ضاع، ويضمن له

---

(١) انظر: محاضرات أبي زهرة ص١٥٧، ومحمد قطب (م.ن.) ص٦٥و٦٦، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص٩٨، وعزت زكي (م.ن.) ص٤٦-٤٧، بتصرف.

(٢) انظر: محمد قطب (م.ن.) ص٦٥، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص٨٨.

(٣) انظر: عزت زكي (م.ن.) ص٤٥.

(٤) انظر: المسيحية لأحمد شلبي ص٢٥٥.

الاستمرار على ما أَلِفَه من الرفاهية والعِيشة الرغدة!

ففي عام ١٢٩٩م أعلن الباب بونيفاس الثامن أن السنة الأولى من القرن المقبل (القرن الرابع عشر) هي سنة اليوبيل[١]، وأنه إن كان بيت المقدس قد ضاع[٢] فإن روما "المقدسة" لا تزال قائمة بقبور القدّيسين. لذا فإن الغفران الذي كان حكرا أو وقفا على الصليبيين أثناء الحروب أصبح الآن في متناول الجميع، فإن زيارة قبري بطرس وبولس في روما ـ مقر البابوية آنذاك ـ سواء من مواطني روما لمدة ثلاثين يوما، أو من القادمين من خارجها لمدة خمسة عشر يوما لَكفيلةٌ بمنح الغفران الكامل لخطايا الزائر وذنوبه، ما تقدم منها وما تأخر!!![٣].

وفعلا نجحت هذه التجربة بدرجة فاقت كل تصورات البابا وتوقعاته، فقد تدفقت أمواج الناس من شتى أنحاء أوروبا على روما، قُدّر عددهم بما يزيد عن مليوني نسمة، وبلغت كثرة أكداس الذهب والفضة المتراكمة على قبري "القديسيْن" بطرس وبولس إلى حد أنهم عينوا كاهنين مهمتهما ليلا ونهارا جمع هذه الأموال المتراكمة، واستمر هذا الفيض سنة كاملةً عُرفت فيما بعد بالسنة الذهبية[٤].

---

(١) اليوبيل "Jubilee" في الأصل لفظ عبري معناه النفخ بالبوق، لأن اليهود كانوا ينفخون بالأبواق في يوم الكفارة في سنة اليوبيل أو سنة الخمسين، ثم استعمل بمعنى الاحتفال والابتهاج، فيقال مثلا: يوبيل فضّي أي احتفال بانقضاء ٢٥ سنة، ويوبيل ذهبي أي احتفال بانقضاء خمسين عاما وهكذا.... وأما عند الكاثوليكيين فتراد به فترة غفرانٍ يحددها البابا ويمنح فيها الغفران لكل كاثوليكي يؤدي أعمالا أو طقوسا دينية معيّنة. انظر: المورد لمنير البعلبكي ص٤٩٤.

(٢) يعني فتح المسلمين إياه.

(٣) انظر: عزت زكي (م.ن.) ص٤٥-٤٦ بتصرف.

(٤) انظر: عزت زكي (م.ن.) ص٤٦، ومقدمة خليل سعادة لترجمة إنجيل برنابا ص"ل".

وإذ سجّلت هذه التجربة نجاحا كبيرا لم يتردد البابوات الذين أتوا بعد بونيفاس الثامن في السير على المنهج نفسه، بل طوّروه، حتى إن كلمنت السادس[١] جعل سنة اليوبيل كل خمسين عاما فقط، أي بدلا من المائة التي سبق أن حددها البابا بونيفاس الثامن لليوبيل[٢]، ثم جاء البابا أوربان السادس فجعلها كل ثلاثين عاما وقيل بل جعلها كل ثلاثة وثلاثين عاما[٣]، ثم بعده البابا بولس الثاني[٤] الذي جعلها كل خمس وعشرين سنة فقط[٥]!

وفي أوائل القرن السادس عشر للميلاد، وعلى وجه التحديد في عام ١٥١٣م تربّع ليو العاشر على عرش البابوية، وهو من أسرة معروفة بحب الظهور ومظاهر العظمة. فكان من أول ما فكر في القيام به إعادة تصميم كافة النقوش والصور التي زينت بها جدران وسقف كنيسة "القديس" بطرس في روما، وغير ذلك من المشاريع الباهظة التي تتطلب ـ بلا شك ـ كمّا هائلا من المال.

وبعد أن فكّر مليّا في أنسب طريق لتوفير هذا المال، هداه تفكيره إلى تخفيض أسعار الغفران وجعلِها ملكا مشاعا وسلعة تباع وتشترى في أي وقت دون حاجة

---

(١) البابا كلمنت السادس: البابا الكاثوليكي من عام ١٣٤٢م وحتى عام ١٣٥٢م. انظر: الدائرة الأمريكية٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P.289.

(٢) انظر: مقدمة خليل سعادة ص"ل".

(٣) نفسه والصفحة كذلك. وفيه أيضا أن ذلك تذكارا لعمر المسيح ﷺ المظنون أي ٣٣ سنة حين رُفع إلى السماء. وأقول إن كان هذا صحيحا، فما وجه مخالفة من أتى بعد البابا أوربان له فيه؟

(٤) البابا بولس الثاني: البابا الكاثوليكي من عام١٤٦٤م وحتى عام ١٤٧١م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P.290.

(٥) انظر: عزت زكي (م.ن.) ص٤٦، ومقدمة خليل سعادة ص"ل".

إلى انتظار سنوات اليوبيل، أو تجشّم مشاق السفر ومتاعبه إلى روما، فكانت فكرة بيع صكوك الغفران[١].

كان باعة الغفرانات ـ وكلهم من رجال الكنيسة ـ يتجولون في الشوارع والطرقات، في أحياء المدن والقرى والأرياف، ويساعدهم عدد من الرهبان والراهبات الذين يهتفون ورائهم: اشتروا اشتروا. وقد يتفق أحد هؤلاء الباعة مع حاكم أو ولي أمر المدينة التي ينزلون فيها على تقاسم أرباح صكوك الغفران مقابلَ تشجيع الحاكم أو الوالي للعملية لدى رعيته[٢]. ومما رُوي من ألفاظ دعايات بائعي الغفران ما يأتي: «إن صكوك الغفران هي أثمن وأشرف هبات الله للبشر. تعالوْا أعطيكم صكوكا صحيحة بها تضمنون غفران الخطايا، حتى تلك التي تنوون ارتكابها... لا توجد خطية مهما عظمت لا تستطيع الغفرانات أن تكفّر عنها. إن غفراناتي لا تقف عند حد الأحياء فقط، بل تتجاوزها إلى الموتى...! إن الرب إلهنا قد سلّم كل السلطان إلى البابا»[٣]!

وكان تعليل الكنيسة البابوية أو تبريرها لارتكاب هذه الفضيحة، والتي هي جريمة في حق الغفور الرحيم ﷻ، ثم في حق البشر وما جعلهم الله عليه قواما من الأموال، أن ما أُريق من دم المسيح عليه السلام ـ أي بالصلب كما يزعمون ـ كان يكفي للخلاص بكميات أكبر من حاجة الجنس البشري، وأن قدّيسين وشهداء كثيرين قد

(١) انظر: عزت زكي (م.ن.) ص٤٦-٤٧، والمسيحية لأحمد شلبي ص٢٥٤ بتصرف.

(٢) انظر: عزت زكي (م.ن.) ص٤٧.

(٣) عزت زكي (م.ن.) ص٤٨.

عملوا من الصالحات ما هو أكثر من حاجتهم لخلاص أنفسهم، فبقيت هذه كلها خزينة أبدية يمكن السحب منها بواسطة صك الغفران البابوي فقط للمذنب العادي[١]! ويا ليتهم سألوا مفتري هذه الأكذوبة عن حق البابا في سحب رصيد لم يكن هو مودعه؟ أو حقه في أخذ مقابل على منح ما لا يملكه؟!

بل ومن أعجب ما في الأمر أن حصاد بيع صكوك الغفران عندما يكثر ويفيض عن مطامع البابا، ويفضل عن حاجاته وذويه، قد يتنازل عن شيء من هذا الفائض لكبار أعوانه على هذا الظلم فيرخّص لهم أيضا بإصدار صكوك لحسابهم الخاص[٢]، أو يمكّن بعضهم في منطقة معينة من إصدار وبيع صكوك للغفران كي يتمكن من سداد ما عليه من ديون سببها شراؤه لمنصبٍ أو أكثر من مناصب الكنيسة من البابا نفسه![٣].

أما نص صك الغفران نفسه فهو كالآتي: « ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان [اسم مشتري الصك] ويُحلّك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة، وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحلّك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها. وأيضا من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علة وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس: البابا، والكرسي الرسولي. وأمحو جميع أقذار المذنب[٤] وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على

---

(١) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣٨.

(٢) انظر: محمد قطب (م.ن.) ص٦٦.

(٣) انظر: رولاند بينتون (م.ن.) ص١٠٨، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣٩.

(٤) وفي بعض المراجع: "الذنب" انظر: مثلا: المسيحية لأحمد شلبي ص٢٥٤.

نفسك في هذه الفرصة. وأرفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابدتها في المطهر[(١)]، وأردك حديثا إلى الشركة في أسرار الكنيسة، وأقرنك في شركة القديسين، وأردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا عند معموديتك، حتى إنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح، وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتي ساعتك الأخيرة باسم الآب والابن والروح القدس »[(٢)].

هكذا استمرت هذه الجريمة وعمّت أرجاء أوروبا فترة من الزمن، مع أنها مهزلة فريدة في التأريخ لايسوّغها نقل ولا عقل. فإن أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم مع كل ما فضلهم الله تعالى وخصّهم به من الخصائص، ومنها أن دعاءهم بالمغفرة لمن هو أهل لها ويستحقها مستجاب عند الله ﷻ كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة:١٠٢-١٠٣]. أما لمن ليس أهلا للمغفرة ولا يستحقها فالدعاء بالمغفرة حتى من الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام غير مستجاب، قال الله ﷻ: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٨٠].

---

(١) المَطهر: سيأتي الحديث عنه إن شاء الله قريبا (وهو الإضافة الثامنة).

(٢) محاضرات أبي زهرة ص١٥٨ ـ والنص منه ـ والمسيحية لأحمد شلبي ص٢٥٤-٢٥٥.

فإذا كان هذا شأن الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين هم أفضل البشر، بل شأن سيدهم وأفضلهم محمد بن عبد الله ﷺ الذي وردت في حقه الآية المذكورة، فما بالك بالبابا الذي لا سهم له عند ربه ولا إذن له بقبول الغفران، ولا تصح دعوى عصمته كما تقدم توضيح ذلك في مبحث خاص. بل ما بالك حين تكون المسألة لا عن نية صادقة في التوبة يتأكد منها البابا في المشتري، وإنما فقط عن مبلغ من المال لا يدري أمن حلال هو أم من حرام، بل ما بالك والمال المجموع من أجل اقتناء الناس صكوك الغفران ينفق ويبذل في أغلب الأحيان في ما لا يرضي الله ولا يُحلّه الدين ولا الأخلاق، من الترف والمجون والفجور والشهوات التي غرق فيها معظم البابوات وكبار رجال الكنيسة!!![1].

ومما يجدر بالذكر أن عملية بيع صكوك الغفران هذه هي التي أدت بطريق مباشر إلى قيام ما يعرف في تأريخ الكنيسة الغربية بحركة الإصلاح أو الاحتجاج البروتستانتية[2]، إذ كان البابا ليو العاشر مخترع العملية، ومارتن لوثر مؤسس الطائفة البروتستانتية، متعاصرين.

---

(١) انظر: محاضرات أبي زهرة ص١٥٨، ومحمد قطب (م.ن.) ص٦٤-٦٦.

(٢) انظر: رولاند بينتون (م.ن.) ص١٠٩، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣٨و٣٩، وعزت زكي (م.ن.) ص٤٨-٤٩.

الإضافة الثانية: تبرئة اليهود من دم المسيح[(١)] عليه السلام.

تقدم معنا في الرسالة أن المجمع الفاتيكاني الثاني قد قرر من ضمن ما قرر أن اليهود و بخاصة المعاصرين منهم ليسوا مسئولين عن صلب يسوع، فلا يستحقون استنزال اللعن والويل عليهم كما اعتاده النصارى في صلواتهم عبر القرون[(٢)].

لكن الذي أود تسليط الضوء عليه هنا هو ملابسات هذا القرار ودوافعه والظروف التي اتّخذ فيها، وخطورته على الديانة النصرانية نفسها.

بدأت الاستعدادات لعقد المجمع المشار إليه منذ أكثر من عامين قبل أن يوقّع على الدعوة الرسمية لعقده البابا يوحنا الثالث والعشرون في نهاية عام ١٩٦١م، وقد توفي البابا نفسه في عام ١٩٦٣م، أي قبل انتهاء أعمال المجمع. وكانت جميع الموضوعات المطروحة للدراسة فيه قد طبعت وأرسلت إلى جميع المدعوّين للمشاركة قبل الافتتاح بشهرين، وهي على كثرتها ليس فيها أي إشارة إلى مسألة مسئولية اليهود عن دم المسيح عليه السلام أو عدمها على الإطلاق. غير أن أعضاء المجمع فوجئوا بوثيقة ملحقة وُزعت عليهم بعد انطلاق المجمع بأكثر من عام، أعني في اليوم الثامن من شهر نوفمبر عام ١٩٦٣م، وهي الوثيقة التي عُرفت فيما بعد باسم وثيقة التبرئة أو وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام، تمهيدا لمناقشتها ثم الموافقة

---

(١) هذا الأمر يأتي تناوله هنا من حيث كونه إضافة خاصة بالكنيسة البابوية فحسب، أما دم نبي الله عيسى عليه السلام فلا اليهود ولا النصارى لم يمكّن الله تعالى أحدا منه أصلا: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾.

(٢) انظر: مصطفى فوزي غزال (م.ن.) ص١٢٧ وما تقدم في ص٨٢٩-٨٣٠.

عليها كواحد من الموضوعات المطروحة في المجمع[١].

يعتبر هذا الحدث بلا شك من أهم دسائس اليهود أو أهم إنجازاتهم في تحطيم القاعدة التي تقوم عليها الديانة النصرانية - كما سيأتي بعد قليل -، بل إن عددا من النصارى أنفسهم لا يرون عملية إقحام وثيقة التبرئة في جدول أعمال المجمع ثم الموافقة عليها، إلا مخططا يهوديا صهيونيا[٢] دبرته العناصر اليهودية التي تغلغلت في سلك رجال الكنيسة، بل استطاعت أن تتولى المراكز الحساسة والمناصب المهمة فيها، بما في ذلك المنصب البابوي نفسه![٣].

لذلك استثمر اليهود هذا الحدث الذي أزال عنهم - على الأقل عند الكاثوليكيين - أقبح الصفات، وجعلهم من المقبولين أو ممن يمكن التعامل معهم، فعمدوا إلى أسفار النصارى المقدسة - أعني العهد الجديد - وأجرَوْا فيها تحريفات سموها تعديلات، كي يتناسب مع الوضع الجديد المنبثق عن هذا المجمع. ففي عام ١٩٧٠م صدرت الطبعة المحرّفة لأسفار العهد الجديد من دار النشر اليهودية بالقدس - حرّرها الله - تحت اسم "النسخة اليهودية والمعتمدة" " Judaean & Authorized Version"[٤]، وبلغ عدد هذه التحريفات - آسف - التعديلات:

---

(١) انظر: إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة. لأحمد عبد الوهاب ص٢٢-٢٤.

(٢) الصهيونية: حركة سياسية استعمارية، أصبغت على اليهود صفة القومية والانتماء العرقي، ونادت بحل لما أسمته المشكلة اليهودية. الموسوعة العالمية ١٥/ ١٧٦.

(٣) راجع: إسرائيل حرفت الأناجيل... لأحمد عبد الوهاب ص٢٧-٢٨ و٣٥، ومصطفى فوزي غزال (م.ن.) ص١٣٠-١٣٩.

(٤) انظر: إسرائيل حرفت الأناجيل... لأحمد عبد الوهاب ص٤١-٤٢.

ستة وثلاثين وستمائةٍ![١].

NEW TESTAMENT
JUDÆAN & AUTHORIZED VERSION

This Judean and Authorized Version may be described as "The New Testament Without Antisemitism". Amendments herein of the 1611 translation can all be established from the sources. They have been adopted with one aim: to eliminate, as far as truth will allow, those unfortunate renderings which tend to sow enmity between Christians and Jews. The authentic New Testament teaching involves love (not murderous hate). Thus, this Judean version claims to be a truly Christian translation. In all other respects, the text remains as in 1611.
To avoid uncertainty, notes at the foot of the page amplify every instance of departure from the Authorized Version, so that this book contains the Judean as well as the Authorized Version. It is a publication long overdue—a rapprochement between Christendom and Jewry.

© *Judean Publishing House, P.O.B. 7414, Jerusalem, Israel (1970).*

JUDÆAN PUBLISHING HOUSE
JERUSALEM

Note: *The abbreviation A.V. at the foot of a page introduces the variant to be found in the Authorized Version of 1611, where the Judean Version differs therefrom.*

صورة غلاف النسخة اليهودية الصادرة عام ١٩٧٠م.

وأما خطة عملهم في إجراء هذه التعديلات فهي على النحو الآتي:-

أولا: محو كلمة "اليهود" من أسفار العهد الجديد، ـ وقد تكررت فيها مائةً وتسعا وخمسين مرةً ـ ثم استبدالها بكلمات أخرى تعين على تهوين المسؤولية التي كانت قد علقت بجنس اليهود، نتيجة قول أو فعل نسب إليهم في هذه الأسفار. ومن هذه الكلمات البديلة: مواطنو ولاية اليهودية (وفيهم اليهود وغيرهم)[٢]، والعامة، والوثنيون.

ثانيا: محو كل ما يتعلق باليهود باعتبارهم شعبا أو جماعة دينية ترتبط بالناموس

(١) نفسه ص٤٧.

(٢) تقدم التعريف بها في أول الكتاب.

والمجمع[١] ولها طوائف ورؤساء. فقد استُبدل لفظ الناموس في هذه النسخة بلفظ "الكتاب المقدس" _ومعلوم أن ذلك مصطلح أعم[٢] ـ واستبدلوا "المجمع" بالمحكمة و"الفريسيين" بالمنعزلين و" اللاويين" بالمساعدين... الخ.

ثالثا: التخلص نهائيا من كلمة "الصلب" ومشتقاتها بتغييرها إلى ألفاظ أخرى قد تكون قريبة منها في المعنى، فمثلا: لفظ "أصلبه[٣]" يُحرّف إلى: خذْه أو أبعده أو اشنقه... الخ.

رابعا: تجنّب كلمة "القتل" ومشتقاتها، واستبدالها بألفاظ أقل منها حدّةً وعنفا، فكلمة "يقتل" تُحوّل إلى: يُدين، أو يأخذ، أو يضايق، أو يقاوم...الخ.

خامسا: محو الفقرات التي تلقي مسئولية إراقة دم المسيح على اليهود وأولادهم من بعدهم، ثم استبدالها بأخرى تُحمّل المصلوب نفسه مسئولية دمه المراق.

سادسا: تحريف ما جاء في هذه الأسفار من خطابات تلاميذ المسيح ﷺ لليهود والتي أدانوهم فيها لمواقفهم العدائية من المسيح ﷺ ومن دعوته، وذلك بتحويل ما ورد في هذه الفقرات من صيغ ضمير المخاطَب الحاضر إلى صيغ ضمير الغائب، كاستبدال ضمير "أنتم" مثلا بضمير "هم"، فتضيع المسئولية في تحديد هوية مَنْ "هم"!

---

(١) المجمع اليهودي: مركز للعبادة ودار للقضاء العالي ويستعمل كذلك كمدرسة، وكان من أشهر مجامعهم مجمع السنهدريم بالقدس، وهو المجمع الذي حكم على المسيح ﷺ حسب ما يُذكر في كتاب النصارى المقدس. انظر: قاموس ك.م. ص٢٦٩-٢٧٠.

(٢) انظر ما تقدم في ص٦١-٦٢ (الهامش).

(٣) أي قول اليهود للحاكم الروماني: بيلاطس عند ما قدّموا يسوع المسيح إليه. انظر: مرقس ١٥/ ١٣.

سابعا: تحميل الرومانيين مسؤولية حادث الصلب، وخاصة الحاكم الروماني: بيلاطس الذي قُدم أمامه المصلوب للإدانة، بخلاف ما جاء في أسفار العهد الجديد من أن هذا الحاكم حاول ـ دون جدوى ـ إنقاذ المصلوب من شر اليهود وإطلاق سراحه، لكنهم أبوْا إلا أن يُصلب(١)(٢). وإليكم نماذج بعض هذه التحريفات والتبديلات:-

أ- جاء في النسخة المعتمدة لدى النصارى: «ولما وُلد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك إذا مجوس(٣) من الشرق قد جاءوا إلى أورشليم، قائلين أين هو المولود **ملك اليهود**؟»(٤). وفي النسخة اليهودية: «... قائلين أين هو المولود **ملك اليهودية**».

ب- جاء في النسخة المعتمدة: «فقال الوالي: وأي شر عمل [يسوع]؟ فكانوا يزدادون صراخا قائلين: **ليُصلب**. فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بل بالحري يحدث شغب، أخذ ماءً وغسل يديه **قدّام الجمع** قائلا: إني بريء من دم هذا البار، أبصروا أنتم. **فأجاب جميع الشعب وقالوا: دمه علينا وعلى**

---

(١) انظر: متّى٢٧/ ١٥-٢٤، ومرقس١٥/ ٦-١٤، ولوقا ٢٣/ ١٣-٢٢.

(٢) انظر فيما تقدم: إسرائيل حرفت الأناجيل...لأحمد عبد الوهاب ص٤٥-٤٦.

(٣) المجوس: أعضاء بالوراثة في طبقة كهنوتية في ميديا وهي مملكة قديمة كانت في المنطقة التي تسمى الآن شمالي إيران. ومما يقال عنهم أنهم كانوا يراقبون جبل الربّ ـ حسب ادّعائهم ـ من جيل إلى جيل، إلى أن يظهر نجم ضخم يشير إلى وصول مخلّص. والمجوس يثبتون أصلين هما: النور والظلمة، سموهما مدبّرين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضار والصلاح والفساد. أبو الفتح الشهرستاني (م.ن.) ٢/ ٣٧-٣٨، والموسوعة العالمية ٢٢/ ٣٠٥.

(٤) متّى ٢/ ١-٢.

أولادنا»[١]. فهنا تحمَّلَ اليهود المعاصرون للمصلوب وحمّلوا أولادَهم أيضا كامل المسئولية في إراقة دمه كما هو واضح، لكن ما ذا يوجد في النسخة اليهودية؟ جاء فيها النص هكذا: «قال الوالي: وأي شر عمل؟ فكانوا يزدادون صراخا قائلين: لِيَمُتْ. فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بل بالحري يحدث شغب أخذ ماءً وغسل يديه **قدّام الرعاع** قائلا: إني بريء من دم هذا البار، أبصروا أنتم. **فأجاب الرعاع وقالوا: دمه عليه**».

ج- جاء في النسخة المعتمدة: «فقال لهم بيلاطس: وأي شر عمل؟ فازدادوا جدا صراخا: **أصلبه**»[٢]. وأما في النسخة اليهودية ففيها: «فقال لهم بيلاطس:وأي شر عمل؟ فازدادوا جدا صراخا: **أبعده عنا**».

د- جاء في النسخة المعتمدة: «وقرب عيد الفطير الذي يقال له الفصح، **وكان رؤساء الكهنة** والكتبة يطلبون **كيف يقتلونه** [المسيح]»[٣]. وأما في النسخة اليهودية ففيها: «... **وكان الكهنة** والكتبة يطلبون **كيف يضايقونه**».

هـ- جاء في النسخة المعتمدة: «وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة، **فقال لليهود** هو ذا ملككم، فصرخوا: خذه خذه أصلبه. قال لهم بيلاطس أأصلب ملككم؟ أجاب رؤساء الكهنة: ليس لنا ملك إلا قيصر. **فحينئذ أسلمه إليهم ليُصلب**، فأخذوا يسوع ومضوْا به»[٤]. وأما في النسخة اليهودية: «**فقال**

---

(١) متّى ٢٧/ ٢٣-٢٥.

(٢) مرقس ١٥/ ١٤.

(٣) لوقا ٢٢/ ١-٢.

(٤) يوحنا ١٩/ ١٤-١٦.

للرعاع هو ذا ملككم، فصرخوا: خذه خذه... **فحينئذ أسلمه إلى الرومانيين ليُصلب**، فأخذوا يسوع ومضوْا به». يا لها من محاولة مكشوفة وجادة لتحميل الرومانيين مسئولية الصلب وتبرئة اليهود ـ المعاصرين وأسلافهم ـ من ذلك نهائيا!

و- جاء في النسخة المعتمدة أن بطرس خاطب اليهود قائلا: «إن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب إله آبائنا مجّد فتاه يسوع الذي **أسلمتموه أنتم وأنكرتموه** أمام وجه بيلاطس **وهو حاكم بإطلاقه، ولكن أنتم أنكرتم** القدوس البّار **وطلبتم** أن يوهب **لكم** رجل قاتل، ورئيس الحياة **قتلتموه**...»[1]. وأما النسخة اليهودية ففيها تغيير لجميع هذه الضمائر: «إن إله إبراهيم... مجّد فتاه يسوع الذي **أسلموه وأنكروه** أمام وجه بيلاطس **وهو ينوي إطلاقه، ولكنهم أنكروا** القدوس البار **وطلبوا** أن يوهب **هم** رجل قاتل، ورئيس الحياة **أنكروه**»[2].

والواقع أن إصدار مثل هذه الطبعة المحرّفة لأسفار النصارى المقدسة لم يكن أول محاولة يهودية للقضاء على النصرانية ولن يكون آخرها، كما جاء في التقرير السنوي للجمعية الأمريكية اليهودية لعام ١٩٥٢م: «إن الانتصارات التي حققناها في السنوات الماضية من سنة ١٩٥٠م أزالت كل إشارة معادية في الكتب الدينية المسيحية وكتب التدريس، لا سيما فيما يتعلق منها بقضية الصلب. فبفضل جهودنا أصبحت ٥٨٪ من الكتب البروتستانتية خالية اليوم من العبارات العدائية

---

(١) الأعمال ٣/ ١٣-١٥.

(٢) راجع في كل ما تقدم من النماذج وغيرها: إسرائيل حرفت الأناجيل... لأحمد عبد الوهاب ص٤٨-٧١.

المحقّرة لليهود. وقد توصلنا إلى نتائج مماثلة في الكنائس الكاثوليكية، إلا أن ذلك كان على نطاق أضيق »[١].

وإذا ما رجعنا إلى أمر إصدار وثيقة التبرئة هذه، نجد أن للسياسة الدولية كذلك دورا بارزا فيه، فقد كان مقدم الوثيقة أو مقترحها الكاردينال الألماني "بيا"، وكان في الوقت نفسه رئيس سكرتارية (أمين عام) المجمع[٢]. لذا، اتّهمه أحد زعماء النصارى[٣] بأنه إنما حاول بذلك ستر الماضي، حيث كان الألمانيون في أيام هتلر[٤] قد أذاقوا اليهود عذابا مريرا، وسُجّل ذلك على الألمانيين في التأريخ الغربي علامةَ نقصٍ. ثم يضيف هذا الزعيم النصراني قوله: « ويليق بي ان أُحذّر المسئولين في مجمع الكرادلة من تسخير الدين لخدمة السياسة، لأن السياسة إذا ما دخلت من النافذة خرج الدين من الباب »[٥].

كما أن العملية تعني أيضا إيجاد اتحاد ـ ولو صوريًا ـ بين الملتين اليهودية

---

(١) اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية لإيليا أبي الروس ص١١ ـ الطبعة الأولى ـ، نقلا عن: محمد أحمد الحاج (م.ن.) ص١٥٦. وراجع كذلك: مصطفى فوزي غزال (م.ن.) ص١٣٤-١٣٩.

(٢) انظر: إسرائيل حرفت الأناجيل... لأحمد عبد الوهاب ص٢٢، ومصطفى فوزي غزال (م.ن.) ص١٢٧-١٢٨.

(٣) هو القس إبراهيم سعيد: رئيس طائفة الأقباط الإنجيليين بمصر آنذاك (إسرائيل حرفت الأناجيل... ص٢٧).

(٤) أدولف هتلر: زعيم ألمانيا النازية، ولد عام ١٨٨٩م، وبعد توليه رئاسة ألمانيا عام ١٩٣٣م بدأت سياسته التوسعية التي أدت إلى نشوب ما يعرف بالحرب العالمية الثانية، ثم انتحر في أعقاب ذلك في عام ١٩٤٥م. انظر: الدائرة البريطانية ١١/ ٥٤٦، ومعجم أعلام المورد لمنير البعلبكي ص٤٤.

(٥) مقتطفات من مقابلة أدلى بها هذا القس لمجلة: روزاليوسف، العدد ١٨٥١ الصادرة في ٢/ ١٢/ ١٩٦٣م. نقلا عن: إسرائيل حرفت الأناجيل... لأحمد عبد الوهاب ص٢٧-٣١.

والنصرانية في مواجهة عدوهما المشترك وهو الإسلام، [١] الذي لا يرضى الله بغيره دينا.

قوبلت هذه الوثيقة بمعارضة شديدة، سواء داخل المجمع الذي جرت فيه مناقشتها أو خارجه، فقام المجمع بإجراء تعديلات طفيفة فيها[٢] حتى خرجت أخيرا في الصورة التي تقدم عرضها في هذه الرسالة[٣].

أما خطورة الوثيقة على الديانة النصرانية نفسها فتظهر في أن الديانة النصرانية نابعة من أهواء رجالها وأن كل خالف منهم يمكن أن يبطل ويعارض كتابه وعقيدته وكلام أسلافه بمعنى من المعاني المستجدة.

الإضافة الثالثة: الأسرار الخمسة.

إن الطوائف النصرانية جمعاء تؤمن بوجود سرّين في دينهم، وهما: سر المعمودية (التعميد) وسر العشاء الرباني، وقد تقدما[٤]. ولكن الكنيسة البابوية تضيف إليهما خمسة أسرار أخرى[٥] لتصبح سبعة، وهذه الأسرار الخمسة هي:

---

(١) انظر: مقارنة الأديان للطهطاوي ص٢٧٦-٢٧٧.

(٢) راجع: إسرائيل حرفت الأناجيل... لأحمد عبد الوهاب ص٢٤-٣٤.

(٣) انظر: ص٨٢٩-٨٣١.

(٤) انظر: ص٥٧ و٨٢٨ (الهامش).

(٥) ولذلك يختلفون في تعريف الأسرار، فعند غير الكاثوليكيين، هي: " رموز مقدسة وختوم عهد النعمة أقامها الله رأسا للدلالة على المسيح وفوائده، ولإثبات نصيبنا فيه، وأيضا لوضع فرق واضح بين أعضاء الكنيسة وسائر العالم، ولأجل ربطهم بخدمة الله في المسيح حسب كلمته". وأما عند الكاثوليكيين فالسر "يتضمن النعمة التي يدل عليها وانها تُمنح بواسطة العمل الخارجي، أي أن في =

أ ـ التثبيت: وهو خاص بمن يعمّد وهو لا يزال طفلا، فإذا بلغ سن التمييز يُمتحن إيمانه ومعرفته بالدين، فإن نجح حينئذ تُثبَّت عضويته في الكنيسة.

ب ـ الرسامة: وهي سر يُعتقد أن رؤساء الكهنة والأساقفة فقط بواسطته يمنحون الروح القدس لمن يرونه أهلا لأداء رسالة المسيح بين البشر فيُعيّن كاهنا.

ج ـ الزيجة أو حضور القس عند الزواج ليقيم الوحدة بين الرجل والمرأة، ويعتقدون أن ذلك وسيلة إلى حلول النعمة الإلهية على الزوجين.

د ـ المسحة المقدسة: وهي ـ عندهم ـ سر تحل فيه النعمة بواسطة المسح بالزيت والصلاة المكتوبة بخدمة الكاهن على من كان من المعمّدِين في مرض خطير فتغفر خطاياه وتزداد قوة نفسه.

هـ ـ سر الاعتراف في التوبة، وسيأتي إن شاء الله[١].

هذا وقد يوجد شيء من هذه الأسرار الخمسة عند غير الكاثوليكيين، كالبروتستانتيين مثلا، لكنهم لا يعتبرونه سرّا أو لا ينطبق عليه تعريف السر عندهم[٢].

=

الأسرار قوة حقيقية ذاتية تجعلها فعالة في إيصال الفوائد الخلاصية إلى الذين يقبلونها". علم اللاهوت النظامي ص١١٣٦-١١٣٧.

(١) ضمن إضافات البابوات في النصرانية (الإضافة السابعة).

(٢) انظر: فيما تقدم: علم اللاهوت النظامي ص١١٣٨-١١٤٠، وورولاند بينتون (م.ن.) ص١١٠، ومقارنة الأديان للطهطاوي ص٢٠٨، وHarvey, Ezekiah; (op.cit.) P.106.

الإضافة الرابعة: تحوّل الخبز والخمر في العشاء الرباني.

من التعاليم الخاصة بالكنيسة البابوية أن الخبز المأكول والخمر المشروبة فيما سموه العشاء الرباني ليسا فقط إشارة إلى جسد ودم المسيح عليه السلام - كما يعتقد سائر الطوائف النصرانية -، وإنما يتحولان إلى جسده ودمه حقيقة فيصيران المسيح بلاهوته وناسوته ولا يبقيان خمرا وخبزا إلا في الظواهر العرَضية فقط - والعياذ بالله -. وهذا ما يُعرف في اصطلاحهم بالاستحالة[١].

ويكفي في رده مخالفته للوحي والعقل والحواس، بل إن سائر الطوائف النصرانية أيضا تعتبره غيّا وضلالا، إذ كيف يتحوّل الخبز لحما، بل وكيف يصير لحم شخص معيّن معروف؟! وكيف تتحوّل الخمر دما، بل ودم شخص معيّن معروف؟! إنه لأمرٌ غريب، ومستحيل التصور والوقوع، ولا يستند إلى أي دليل مقبول[٢]. ولكن الكنيسة البابوية فرضته على أتباعها فرضا في مجمعهم المنعقد في عام ١٢١٥م كما تقدم[٣].

الإضافة الخامسة: ذبيحة القدّاس.

وهذه أيضا لها علاقة بما يسمونه العشاء الرباني، وذلك لأن الكنيسة البابوية

(١) انظر: علم اللاهوت النظامي ص١١٠٤-١١٠٦، والمسيحية لأحمد شلبي ص٢٥٣-٢٥٤، ومتولي يوسف شلبي (م.ن.) ص١٢٩.

(٢) انظر: محاضرات أبي زهرة ص١٥٦-١٥٧، وعلم اللاهوت النظامي ص١١٠٧-١١٢٦، وقد أطال هذا المرجع الأخير النفسَ في الرد على هذه الدعوى، فليراجع لأنه شهادة من أهل المشهود عليه.

(٣) انظر: ص٧٦٦.

تقول: إن الخبز والخمر بعد تحوّلهما إلى جسد المسيح ودمه ـ والعياذ بالله ـ يبادر الكاهن إلى تقديمهما ذبيحةً كفّارية من أجل رفع خطايا الأحياء والأموات.أي كما أن المسيح عليه السلام قد قدّم نفسه ـ فيما يزعمون ـ في المرة الأولى، فتلك كانت ذبيحة دموية وهذه ذبيحة غير دموية![1].

فكما نلاحظ فإن مسألة الذبيحة هذه مبنية على عقيدة الاستحالة وتتفرع عنها، وإذ بطلت هي وسقطت، فما تفرع عنها أو انبنى عليها أولى بالسقوط والبطلان. بل إن النصارى من غير الكاثوليكيين يرون أنها ضلال من الضلالات، وأنه لم يؤت بها إلا لرفع شأن الكهنة وإثبات سطوة الكنيسة البابوية[2].

الإضافة السادسة: دعوى خروج البابوات عن دائرة البشر.

زعم البابوات أنهم في درجة بين الله وسائر الخلق، كما جاء ذلك عن البابا إنوسنت الثالث في قوله: «إن البابا يقف في الوسط بين الإنسان وبين الله، فهو أقل من الله وأسمى من الإنسان، ولذا، فهو يحكم على جميع الناس ولا يحكم عليه أحد»[3]! فهذه منه دعوى خروج البابوات عن دائرة البشر، وهو ما لم يقل به حتى *أفضل البشر*، هو وإخوانه من *الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام*. بل وقد أمره الله تعالى بإعلان ذلك جهارا: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[الكهف: ١١٠]. وفي الحديث

---

(١) انظر: علم اللاهوت النظامي ص١١٢٦.

(٢) انظر: رولاند بينتون (م.ن.) ص١١٠، وعلم اللاهوت النظامي ص١١٢٧-١١٣٣.

(٣) جاد المنفلوطي (م.ن.) ص٦٩، وانظر ص١٥٤ منه أيضا في مخالفة الكنيسة الشرقية للبابويين في هذا الأمر.

أنه ﷺ قال: « **إنما أنا ابن امرأة في قريش كانت تأكل القديد** »[(١)(٢)].

كما أن هؤلاء النصارى أنفسهم يقرءون في أناجيلهم ما ينسب إلى المسيح بن مريم عليه السلام أنه قال: « لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله »[(٣)]، وكذلك تسميته نفسه بابن الإنسان أكثر من مرة[(٤)]. فمن هو هذا البابا الذي لا يبلغ عشر معشار ما أكرم الله به أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام، حتّى يدّعي ما لم يدّعوه؟!

الإضافة السابعة: الاعتراف والحل.

إن من تعاليم الكنيسة البابوية أن التوبة لا تتم أبدا ولا الخلاص إلا بالاعتراف بالخطايا والذنوب شفهيا أمام الكاهن أو القس في الكنيسة مرة واحدة على الأقل في كل عام! ثم بمسح هذا الكاهن للمعترف تغفر ذنوبه وخطاياه المعترف بها فقط دون سواها، شريطة أن يقوم بتنفيذ ما يأمره به القس من أعمال حسب

---

(١) القديد: اللحم المشرّر المقدّد، أو ما قطع منه طوالا. والقدّ: القطع المستأصل أو المستطيل أو الشق طولا، وشرّ اللحمَ شرّا: وضعه على خصفة أو غيرها ليجفّ. وقيل: هو اللحم المملوح المجفف في الشمس. انظر: القاموس ص٣٩٤و٥٣٢، وابن الأثير (م.ن.) ٤/ ٢٢.

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب الأطعمة، باب القديد، رقمه: ٣٣٥٥ انظر: سنن ابن ماجة (م.ن.) ٢/ ٢٤٢، وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي، انظر: المستدرك على الصحيحين ٣/ ٤٧-٤٨، وقد صححه كذلك الشيخ الألباني - حفظه الله - في كل من: صحيح سنن ابن ماجة٢/ ٢٣٢، رقمه: ٣٣١٢، والسلسلة الصحيحة برقم ١٨٧٦.

(٣) متّى ١٩/ ١٧.

(٤) حيث تكررت العبارة في الأناجيل الأربعة ثمان وسبعين مرة (قاموس ك.م. ص١٢٤)، منها متّى٢٦/ ٢٤، ومرقس١٤/ ٢١، ولوقا ٢٢/ ٢٢، ويوحنا ١٢/ ٢٣.

حجم الذنوب التي اعترف بها هذا المذنب. والكهنة أو القساوسة فقط لديهم كتب تتضمن العقوبات المقابلة لكل خطيئة أو ذنب يرتكبه الإنسان. وعندما يقتنع القس بقيام هذا المعترف بما أوجبه عليه من أعمال لقاءَ ذنوبه المعترف بها، من صوم لمدة معينة، أو زيارة لبعض الأماكن المقدسة عندهم، أو نحوهما، حينئذ يعطيه الحل، وهو بمثابة إعلان لغفران خطاياه وذنوبه هذه، مهما كان حجمها وخطورتها[١].

فهكذا تأصّل في الكنيسة البابوية أن النصارى العاديين يعترفون بذنوبهم أمام القس ليغفرها لهم، وأما القس نفسه فلا يغفر ذنوبه إلا البابا، وهو عندهم معصوم عن الذنوب[٢].

وهناك عدة أمور ذات صلة ببدعة الاعتراف هذه، تستحق أن نقف عندها ولو بعض الوقت، ومن أهمها:-

أ ـ أن هذا الأمر الذي يتوقف عليه الخلاص ـ فيما يدّعون ـ لم يُعرف قبل مجمع عام ١٢١٥م[٣]. فماذا كان مصير ملايين النصارى الذين لم يقفوا صاغرين أمام القساوسة للاعتراف بذنوبهم؟

ب ـ يلزم من هذا الأمر أن يكون هؤلاء القساوسة لهم سلطان الحل والربط والتحكّم في مصير العباد من الخلاص أو عدمه، فإذا كانوا كذلك، فلماذا لا

---

(١) انظر: علم اللاهوت النظامي ص١١٣٨-١١٣٩، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص٩٧-٩٨، ودراسات في الأديان للدكتور سعود الخلف ص٢٣٥.

(٢) انظر: مقالة: توبتي بدأت على كرسي الاعتراف (قصة إسلام أحد القساوسة الكاثوليكيين) في جريدة "المسلمون" العدد (٣٥٦) بتأريخ ٢٣/ ٥/ ١٤١٢هـ.

(٣) انظر: علم اللاهوت النظامي ص١١٣٩.

تدعونهم آلهة؟!!!

ج ـ أن هؤلاء الطواغيت الذين نصبوا أنفسهم وسطاءَ لقبول الاعتراف ومغفرة الذنوب، تجدهم في كثير من الأحيان شرًّا من المعترفين أمامهم دِينًا وخُلُقًا. وخير دليل على هذا ما نشرته مجلة نصرانية تُدعى: رسالة الحياة، من أحداث يقشعر لها الوجدان، وذكرت وقائع محددة اعتدى أو حاول الاعتداء فيها رجال الكنيسة على النساء المعترفات في خلوات الاعتراف[1]!

ويقول إتين دينيه في حال هؤلاء القساوسة عموما: «الوسيلة هي إحدى كبريات المسائل التي فاق بها الإسلام جميع الأديان، إذ ليس بين الله وعبده وسيط، وليس في الإسلام قساوسة ولا رهبان. إن هؤلاء الوسطاء هم شر البلايا على الأديان، وإنهم لكذلك مهما كانت عقيدتهم ومهما كان إخلاصهم وحسن نياتهم، وقد أدرك المسيح [عليه السلام] نفسه ذلك، ألم يطرد بائعي الهيكل؟ غير أن أتباعه لم يفعلوا مثل ما فعل. واليوم إذا عاد عيسى فكم يطرد من أمثال بائعي الهيكل؟! ... ثم إنهم قد عكسوا الآيات وبدلوا النيات وغيّروا الأوامر والنواهي»[2].

د ـ أن توقّف التوبة والخلاص على عملية الاعتراف يناقض دعواهم (جميع النصارى بما فيهم الكاثوليكيّون) أن جميع خطايا البشر قد كُفِّرت بموت المسيح على الصليب ـ والعياذ بالله ـ وأن الإنسان بمجرد إيمانه بهذه الكفارة يستحقّ محو خطاياه

---

(١) رسالة الحياة: السنة الأولى، العدد الثاني عشر ص٦، والسنة الثانية، العدد الثاني ص٢٥، نقلا عن: المسيحية لأحمد شلبي ص٢٥٥.

(٢) إتين دينيه (م.ن.) ص٢٣-٢٤.

كلها[١].

هـ ـ أن عددا كبيرا من شعوب الكنيسة البابوية قد بدءوا يعارضون فكرة الاعتراف هذه ـ التي لا تتفق مع الوحي ولا مع الطبيعة الإنسانية في إيثار الستر على العيوب ـ منذ زمن بعيد جدا، لا سيما بعد احتكاك هذه الشعوب بالمسلمين إبّان الحروب الصليبية، فأدركوا أن الذي يغفر الذنوب ويمحو الخطايا وحده هو الخالق ﷻ، فهو الذي يستحق الاعتراف أمامه والتضرع إليه، وهو أعلم بما في الصدور[٢]. وتواصلت الاحتجاجات على الفكرة حتى عهدنا هذا[٣].

ومع هذا كله ظلت فكرة الاعتراف من أقوى حلقات السلسلة الحديدية التي تستأسر بها كنيسة روما قلوب أتباعها، والكهنة عن طريقها يسيطرون على سلوكهم ويوجّهون تصرفاتهم[٤].

الإضافة الثامنة: المَطْهر.

ومن تعاليم الكنيسة البابوية أن المعترف بذنبه بعد حصوله على الحلّ والغفران يبقى عليه ما يسمونه: "العقاب الزمني للخطيئة"، وأن الجزء الرئيس منه ما أطلقوا عليه: "آلام المطهر" التي لا بد لكل مخطئ أن يجتازها ويعاني منها، وأنه عن طريقها تتطهر نفسه حتى تصبح أهلا للولوج في النعيم الأبدي[٥].

---

(١) انظر: كارل وليمز الكبير (م.ن.) ص٦٣-٦٤، وعلم اللاهوت النظامي ص١١٣٩.

(٢) انظر: متولي يوسف شلبي (م.ن.) ص١٣١.

(٣) انظر: علم اللاهوت النظامي (م.ن.) ص١١٣٩، ومصطفى فوزي غزال (م.ن.) ص٤٨ و٥٠.

(٤) انظر: علم اللاهوت النظامي (م.ن.) ص١١٣٩، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص٩٣.

(٥) انظر: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص٩٨ بتصرف.

ومن تعاليم هذه الكنيسة أيضا أن لها قدرة على تقليل فترة بقاء هذه النفس في المطهر إذا قام صاحبها ببعض الالتزامات التي توجبها عليه[١].

وقد كانت فكرة المطهر وآلامه هذه مما اعترض عليه مارتن لوثر في القرن السادس عشر، ثم من بعده أتباع نحلته إلى اليوم، وكذلك أتباع الكنائس الأرثودكسية[٢].

الإضافة التاسعة:

جعل روما مقر البابوية مدينة مقدسة، ومن ثم دعوة الناس إلى قصدها بالزيارة أو الحج[٣]، وهذه الظاهرة أيضا مستمرة إلى يومنا هذا.

الإضافة العاشرة: الجِرْم أو الحرمان من شركة المؤمنين (النصارى) "Interdict".

و هذا الحرم البابوي يعني حظرَ إقامة كل الخدمات الدينية في منطقة معيّنة، وقد كان أمضى أسلحة البابوات لفرض إرادتهم في القرون النصرانية الوسطى. فعلى سبيل المثال، إن الصراع الذي اندلع بين يوحنا ملك إنجلترا[٤] والبابا إنوسنت الثالث انتهى بالخضوع الكامل من الملك لأوامر البابا، بعد أن أصدر الأخير مرسوم

---

(١) نفسه والصفحة كذلك.

(٢) انظر: رولاند بينتون (م.ن.) ص١٠٩، والمسيحية لأحمد شلبي ص٢٥٥.

(٣) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ٢٠/ ٣٦-٣٧.

(٤) يوحنا: ولد في حوالي عام ١١٦٧م، وصار ملك إنجلترا في عام ١١٩٩م، وقد توفي في عام ١٢١٦م. انظر: معجم أعلام المورد لمنير البعلبكي ص٥٠.

الحرم، فأغلقت الكنائس وتوقفت جميع الممارسات الدينية النصرانية، حتى موتاهم لم تُصل عليهم وبقيت جثث كثيرة لم تُدفن، عندئذ ثار الشعب على ملكهم وطالبوه باسترضاء البابا الغاضب عليه. وقيل إن البابا أبى أن ينال الملك رضاه إلا بعد أن يتلقى على ظهره جلدات من الرهبان، ويعلن استعداده لدفع ضريبة سنوية للبابا في روما مقابلَ سيادته على أراضي مملكته الحرّة![1].

الإضافة الحادية عشرة: فرض الضرائب المالية المختلفة.

دفع النصارى أموالهم المجموعة بالكدّ والتعب لشراء غفرانات البابوات، ولكن للأسف لم يشبع هؤلاء البابوات بعد، ولم تكتف أو تقتنع الكنيسة البابوية بما جمعته من الدنانير والدراهم، إذ كانت تريد أحيانا أن تأخذ مالا مرة ثانية ممن سبق أن اشترى صكّا للغفران، أو ممن لم تعجبه الفكرة أصلا فبخل بالمال على الصك البابوي، فلجأت الكنيسة هذه المرة إلى أسلوب فرض ضرائب مالية على الأتباع، وجنّدت جباة متخصصين يطوفون على المدن والقرى والأرياف لجمعها[2]، واستخدموا أساليب غير مهذّبة لجمع هذه الأموال[3].

ومن غرائب أمر هذه الضريبة البابوية أنها لا تعرف فرقًا بين الغني والفقير، ولا بين إنسان مستقيم في السلوك وغير مستقيم، ولا بين الكسب الحلال و الحرام. بل إنها تُفرض على كل فرد وعلى كل شيء، بما في ذلك العهر والميسر

---

(١) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٢٩، وجاد المنفلوطي (م.ن.) ص٦٩-٧٠.

(٢) انظر: المسيحية لأحمد شلبي ص٢٥٦، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣٧.

(٣) انظر: متولي يوسف شلبي (م.ن.) ص١٢٩.

والربا[1]! حتى إنه مما يقال: إنه كانت في روما عاصمة البابوية آنذاك ستة عشر ألفا من النساء العاهرات، قد اعتبرتهن الكنيسة موردا ماليا لخزانتها، ففرضت عليهن ضرائب!!![2].

لقد تنوعت هذه الضرائب وتعددت في العصور الوسطى للنصرانية، حيث يبدو أن رجال الكنيسة يفكرون دائما في اختراع طرق جديدة لتنمية دخل الكنيسة، فكانت تفرض ضرائب حتى على رؤساء الدول! وعندما يقوم البابا بسفر أو يحتفل بعيد من الأعياد حينئذ تُفرض ضريبة إضافية، وهكذا...[3]. وسأذكر فيما يلي بعضًا من أنواع هذه الضرائب الكثيرة. وبالله التوفيق

أ. عُشر الدخل: فهذه ضريبة سنوية تفرضها الكنيسة البابوية على أتباعها في عشر أموالهم، تحت وطأة التهديد بالحرمان وغضب الرب إن هم حاولوا الخروج عليها. كما أنها تأمرهم بها لا على أنها عمل من أعمال البر والإحسان، بل تطالبهم بها على أن ذلك حق ثابت لها![4].

ب. ضريبة السنة الأولى: وهذه فرضها البابا يوحنا الثاني والعشرون[5] على أساس أن دخْل أو حصيلة الكهنة للسنة الأولى من تعيينهم تذهب إلى خزانة

---

(١) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ٢٠/ ١٠ بتصرف.

(٢) انظر: متولي يوسف شلبي (م.ن.) ص١٢٩ بتصرف.

(٣) انظر: جون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣٧.

(٤) انظر: محمد قطب (م.ن.) ص٤٢، وعزت زكي (م.ن.) ص١٦.

(٥) يوحنا الثاني والعشرون: تولى البابوية في عام ١٣١٦م وتوفي في عام ١٣٣٤م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P.289.

البابا والكنيسة. وبهذه الوسيلة يحصل الضغط من رؤساء الكنيسة على هؤلاء الكهنة ويَعصرونهم، ثم هم (الكهنة) بدورهم يعصرون الشعب المسكين، لأن المعهود عندهم سلفا أن المراكز والوظائف الكنسية الكبرى هي لمن يدفع المبلغ الأكبر لخزانة الكنيسة منهم[1]!

ج ـ **فلس بطرس:** وهو عبارة عن ضريبة سنوية يقدّمها الكاثوليكيون في أي بلد وُجدوا للكرسي البابوي[2].

د ـ **عشر صلاح الدين:** وهذه ضريبة كانت الكنيسة البابوية تقوم بتحصيلها أثناء الحروب الصيلبية من رعاياها، ثم استمرت العملية بعد انتهاء الحروب الصليبية فترة طويلة[3].

هـ ـ **الضرائب التي فرضها البابوات على أراضي دول معينة،** كالتي فرضها البابا إنوسنت الثالث على أراضي إنجلترا، وقد تقدم قريبا.

و ـ **مال السفر إلى روما:** وهذه هي الأخرى ضريبة غير مباشرة فرضها البابا بونيفاس التاسع[4] في عام ١٣٩٩م، وفحواه: أن أي نصراني يحول بينه وبين الزيارة أو الحج إلى روما ـ كما يقولون ـ حائل، أو يعوقه عائق عن الحضور في العيد العام الذي سيقام هناك سنة ١٤٠٠م، فعليه أن يبعث بالمال الذي سيتطلبه السفر إلى

---

(١) انظر: محمد قطب (م.ن.) ص٤٢، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣٧.

(٢) انظر: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص٩١.

(٣) نفسه ص٨٧-٨٨.

(٤) بونيفاس التاسع: البابا الكاثوليكي من عام ١٣٨٩م وحتى عام ١٤٠٤م. انظر: الدائرة الأمريكية ٢٢/ ٣٥٦، وHughes,Philip; (op.cit.) P.290.

روما هبةً لكنيستها، وأن الجباة المعينين من قبل البابا لغرض جمع هذه الأموال سيقومون أيضا بمنح كل الخيرات التي كان سيأتي هذا المسكين لأجلها إلى روما وهو في بيته، لا سيما غفران الذنوب إذا ما اعترف بها أمامهم [(١)].

ز. كما أن الكهنة كانوا يتقاضون أجورا شبه ضرائب لقاء كل ممارسة دينية كنسية، قاموا بها للنصارى العاديين، من تعميد أو عقد زواج أو صلاة على الموتى...الخ[(٢)]. وصدق المولى ﷻ القائل في كتابه العزيز: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ ﴾[التوبة: ٣٤].

الإضافة الثانية عشرة:

أن الكنيسة البابوية كانت تعارض بشدة قبل قيام حركات الإصلاح في أواخر القرون النصرانية الوسطى، ترجمةَ كتابهم المقدس إلى لغة أخرى غير اللاتينية، وتعتبرها جريمة لا تغتفر[(٣)]، بل وأشد من ذلك أنها لم تكن تجيز أداء الصلوات (الكنسية) إلا باللغة اللاتينية فقط![(٤)]، مع العلم المتيقن بأنه لا المسيح عليه السلام ولا بطرس قد تكلم بهذه اللغة ولا عرفاها.

---

(١) انظر: ول ديورانت (م.ن.) ٢٠/ ٥-٦ بتصرف.

(٢) انظر: جاد المنفلوطي (م.ن.) ص٩١، وعزت زكي (م.ن.) ص١٦، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٣٧.

(٣) انظر: رولاند بينتون (م.ن.) ص١٣٧، وعزت زكي (م.ن.) ص١٤٤و١٤٧، وجون لوريمر (م.ن.) ٤/ ٢٧٨ و٢٨٤، ومحمد تقي العثماني (م.ن.) ص١١٦-١١٧.

(٤) انظر: رولاند بينتون (م.ن.) ص١١٠.

الإضافة الثالثة عشرة: نظام التحلّة.

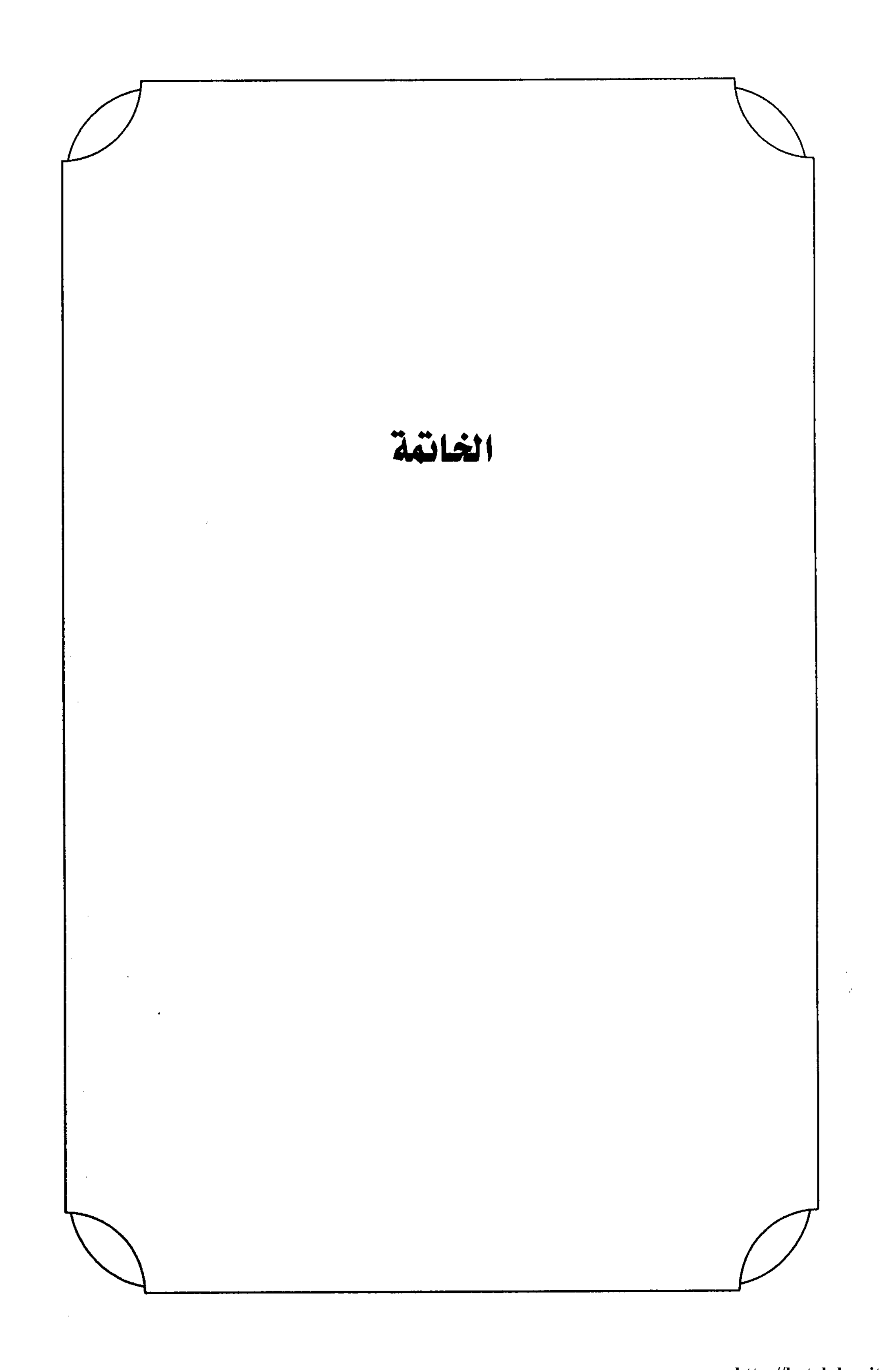
وهذا الذي كان البابا بمقتضاه يُعفي نفسه من الالتزام بالأوامر والنواهي التي تفرضها الكنيسة البابوية نفسها على أتباعها[1]، وصدق الله ﷻ القائل في محكم تنزيله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤]، وقال ﷻ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٣].

وهناك نقطة أودّ توضيحها في هذا المقام، وهي أنني لا أدّعي تمسك الكاثوليكيين أو البابوات بجميع هذه الإضافات إلى الوقت الراهن، بل إن بعضها اليوم لا يمكنهم القيام بتنفيذه نظرا للظروف السياسية والاجتماعية المختلفة في العالم المعاصر، كمسألة فرض الضرائب مثلا. ولكنني كل ما قمت به ها هنا ليس إلا مجرد إثبات ما قد أثبته التأريخ في حقهم، وهي كلها حقائق ثابتة ومعزوة إلى مصادرها ومراجعها، وأغلبها من كتب غير أهل الإسلام كما قد رأينا. لذا أراني إن لم أستوجب على هذا أيَ شكر فلا أقل من أن أكون في حل من تحمل أيِ وزر ـ إن شاء الله تعالى ـ بل كل ما يقوله لسان حالي هو مثل ما قد قاله بعض النصارى أنفسهم سابقا: «وليس من المنطق في شيء أن يكون المسيح نفسه مسؤولا عن الذي أضافته الكنيسة أو رجالها إلى الديانة المسيحية، فكثير مما أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه»[2].

---

(١) انظر: محمد قطب (م.ن.) ص٦٦.

(٢) مايكل هارت (م.ن.)، نقلا عن: مقارنة الأديان للطهطاوي ص٤١٣.



الخاتمة



الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده وأشكره على أن أعانني على إتمام هذا العمل، و﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٧٠].

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد...

النتائج:-

ففي نهاية هذه الجولة في مصادر النصرانية، دراسةً ونقدا، توصّلت بتوفيق من الله ﷻ إلى بعض النتائج، ومن أهمها:-

١ ـ أن دين النصارى المعاصرين دين مبتدع، ابتدعوه بعد رفع المسيح عليه السلام فمِن ثَم فإن تسميته بالمسيحية تسمية باطلة.

٢ ـ أنه لا يوجد في كتاب النصارى المقدس نص صحيح يدل على عالمية ديانتهم، وما يوردونه من شبهات، هي الأخرى أوهن من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون.

٣ ـ أن أوثق مصدر لتجلية حقيقة دعوة عيسى عليه السلام: القرآن الكريم وما صحّ من الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ ـ أن الجذور الحقيقية لمعظم ما عليه النصارى اليوم من عقائد وشرائع هي مبادئ الفلسفة الأفلاطونية الحديثة والتقاليد والمعتقدات الوثنية. لذا، فإن درجة ارتباط النصارى بأسفارهم المقدسة ضئيلة جدا.

٥ ـ أن ثمة فرقا بين مصطلح "التوراة والإنجيل"، وبين مصطلح "العهد القديم والعهد الجديد". فالعهد القديم عبارة عن مجموعة أسفار (٤٦ أو ٣٩) من بينها خمسة أسفار تنسب إلى موسى عليه السلام وتسمى بالتوراة أو البنتاتوك، وأما العهد الجديد ففيه سبعة وعشرون كتابا أو سفرا من بينها أربعة أناجيل (متّى ومرقس ولوقا ويوحنا)، وليس فيها إنجيل الله المنزّل على المسيح عليه السلام.

٦ ـ أن المصادر النصرانية منها ما هي عامة، وهي ما يسمى بالكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وقرارات المجامع. ومنها ما هو خاص بطائفة دون أخرى، وهو قرارات البابوات.

٧ ـ أن نسبة كتب العهد القديم والعهد الجديد إلى من نسبت إليهم، في الغالب إنما تكون نسبة وهمية أو دعائية لغرض الترويج، حيث إن معظم هذه الكتب لم تكتب إلا بعد رحيل من نُسبت إليهم.

٨ ـ ترجّح لدى بعض النقّاد والمؤرّخين أن عزرا ـ ويحتمل أن يكون هو عزير المذكور في القرآن الكريم[1] ـ هو كاتب أو محرّر جل أسفار العهد القديم. والله أعلم.

٩ ـ أن الإنجيل المنزّل على عبد الله ورسوله عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وإن اختفى اليوم وضاع، فإن ثمة إشارات إليه باقية في بعض فقرات العهد الجديد.

١٠ ـ أن أي قول أو فعلٍ ورد في الأناجيل أن المسيح عليه السلام قاله أو عمله، لا

---

(١) انظر: سورة التوبة آية ٣٠.

يُجزم بنسبته إليه. وذلك لأن شيئا من ذلك لم يصل إلينا بإسناد صحيح متّصل.

١١ ـ أن لكلٍّ من العهد القديم والعهد الجديد مصادر وأصولا قد تفرّع عنها، منها الروايات الشفهية، وتقاليد وعادات الشعوب والأمم المختلفة، وبعض القوانين البشرية الوضعية، وأقوال بعض الحكماء، ونحو ذلك.

١٢ ـ أن تناقضات أسفار النصارى المقدسة ليست فقط بين سفر وآخر ولا بين إصحاح وآخر فحسب، بل وفي داخل الإصحاح الواحد أحيانا. كما أن أخطاءها ليست منحصرة في الجانب الشرعي فقط، وإنما توجد حتى في الجوانب التأريخية والعلمية والعرفية وغيرها.

١٣ ـ أن أسفار النصارى المقدسة، لا سيما كتب العهد القديم منها، تعتبر مثالا حيّا لأبشع أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته، والنيل من كرامة ومكانة أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام.

١٤ ـ أن ما اشتهر لدى بعض المفسرين من تأويل قصة الخصم الذين تسوّروا محراب داود عليه السلام[1] لتعني التعريض بأمر نساء داود عليه السلام (تسع وتسعون نعجة) مع امرأة واحدة فقط لأوريا الحثي (نعجة واحدة)... إنما هو من الإسرائيليات ونتيجة التأثر برواية العهد القديم للقصة، ولم يثبت في ذلك شيء عن المعصوم.

١٥ ـ أن الأناجيل الأربعة المعترف بها لدى النصارى إنما اختيرت من بين

(١) انظر: سورة ص آيات ٢١-٢٥.

العشرات من نوعها، لأنها الأقرب إلى ما استقرت عليه النصرانية بعد تأثّرها بالوثنية والفلسفات، وابتعادها شيئا فشيئا عن الوحي السماوي.

١٦ ـ أن جميع ما ينسب إلى حواريي المسيح عليه السلام أو تلاميذه من الأناجيل والرسائل لا يثبت منها شيء، ولهذا يعتبر من الخطأ الجزم بنسبة تأليف شيءٍ منها إليهم.

١٧ ـ أن الأرجح ثبوتُ علاقة التتلمذ أو نحوها لكاتب الإنجيل الثالث وسفر أعمال الرسل ببولس شاول اليهودي.

١٨ ـ أن بولس إنما تظاهر بالتحوّل إلى النصرانية لأغراض شخصية، من أبرزها إشباع رغبته في الرئاسة والزعامة، فمِن ثَم جاهر بمخالفته جميعَ تلاميذ المسيح وأقرب الناس إليه وأعلمهم بدعوته عليه السلام.

١٩ ـ أن بولس، من واقع ما أعلنه ودعا إليه من المبادئ، إذا قورن ذلك بما عليه النصارى والنصرانية اليوم، فإنه يحق لنا أن نقول إنه (بولس) المؤسس الحقيقي للنصرانية الحديثة أو البولسية.

٢٠ ـ أن هناك فَرقا بين يوحنا الحواري التلميذ، ويوحنا الشيخ اللاهوتي الفيلسوف ـ وهما متعاصران ـ، ومن المرجّح أن يكون الأخير هو كاتب الإنجيل الرابع.

٢١ ـ أن إنجيل لوقا ـ كما صرّح كاتبه ـ بمثابة رسالة شخصية من صديق لصديقه، وليس للإلهام ولا الوحي أيُّ أثرٍ فيه، وإنما كان مجرد جمع وتنسيق وترتيب للروايات الشفهية، رأى الكاتبُ في نفسه أهلية وكفاءة القيام بذلك كله.

٢٢ ـ أن للترجمة العربية لكتاب النصارى المقدس عدة مشكلات علمية وفنيّة، من أظهرها ركاكة الأسلوب وكثرة الأخطاء النحوية والإملائية، وانعدام الوحدة أو جودة التنسيق بين ما تكرر فيها من المعلومات.

٢٣ ـ أن من أهم ما يعاني منه كتاب النصارى المقدس الاختلاف بين النسخ والإصدارات أو الطبعات والترجمات، وإجراء عدة تعديلات في نصوصه بين الفينة والأخرى بدعوى مراجعة أو تنقيح أو تصحيحٍ... إلخ.

٢٤ ـ أن المجامع النصرانية تعتبر ذات أهمية كبرى بالنسبة للنصرانية المحرّفة، من حيث إسهامها في بناء عقائدها وشرائعها، أو ترسيخها على الأقل. وكذلك لما لهذه المجامع من دور في انقسام النصارى إلى طوائفَ وأحزابٍ، كل حزب بما لديهم فرحون.

٢٥ ـ أن ما انعقد من المجامع بعد المجمع المسكوني السابع في نيقية عامَ ٧٨٧م تعتبر مجامعَ خاصةً أو مكانية، وإن ادّعى لها أربابُها العالميةَ أو العموميةَ.

٢٦ ـ أن المسيح عليه السلام لم ينشئ كنيسةً ولا فكّر في إنشائها، وكذلك تلاميذه الذين عاصروه. وما يُنقل في عكس هذا القول من نصوصٍ لا تثبت، أو لا يصح الاحتجاج بها على المراد.

٢٧ ـ أن ازدهار سلطة الكنيسة الغربية في القرون النصرانية الوسطى في أوروبا: من أقوى عوامل سطوة هذه الكنيسة وهيمنة بابواتها على الشعوب، ومن ثَم مصدريتها للشرائع والمعتقدات عندهم.

٢٨ ـ أن القرون الوسطى وإن كانت تُعد الفترة التي شهدت قمّة نفوذ البابوية

والبابوات وسلطتِها، لكنها تعتبر كذلك الفترة نفسها التي شهدت بداية نهاية هذه السلطة والنفوذ.

٢٩ ـ أن دعوى العصمة للبابا دعوى عارية عن مستند صحيح، كما أنه لم يوجد في التأريخ ما يؤيّدها.

٣٠ ـ لقد أضاف بابوات القرون الوسطى وغيرهم جملة أمورٍ (التزامات وواجبات) في دين النصارى من أتباعهم، بعضها باق حتى اليوم، وبعضها ذهب أدراج الرياح نتيجة تغير الظروف وتقلّص الإمكانات.

التوصيات:-

أ ـ أوصي بدراسة استكشافية عما تبقّى من نصوص العهد القديم مما فيها تَوافق نسبي أو كلّي لمضامين بعض آيات القرآن الكريم، سواء في الأخبار أو في الأحكام.

ب ـ ثم بدراسة تحليلية دقيقة لهذه النصوص ـ وهي كثيرة ـ لمعرفة مدى توافقها أو تباينها لنصوص القرآن الكريم. ومن فوائد مثل هذه الدراسة مساعدة هؤلاء الدعاة الذين يناظرون أهل الكتاب، وكثيرا ما يحبّذون الاستشهاد أو حتى الاحتجاج بهذه النصوص، من غير مبالاة بخطورة الأمر، إذ ليس كل ما تحويه تلكم النصوص موافقا للحق الذي جاء به القرآن الكريم من كل الوجوه.

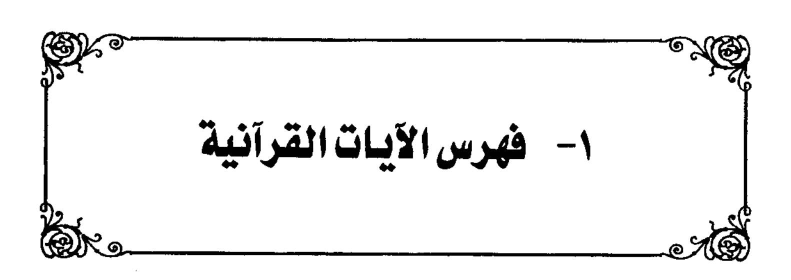
ج ـ وأوصي بدراسة تفصيلية لمشكلات أناجيل النصارى الرئيسة، خاصة ما تقدمت إليه الإشارة منها في هذه الرسالة ـ من غير تفصيل ـ. مثل: نظرية إنجيل مرقس، وطبيعة الأناجيل، أهي سجّل وقائع حياة المسيح عليه السلام أم ذكريات

أم ما ذا؟ والتناقضات الكثيرة بين ما يسمى بالأناجيل السينوبتية (المتشابهة) وإنجيل يوحنا...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، واجعلنا منهم يا ربنا، آمين.

الفهارس





١- فهرس الآيات القرآنية

الفاتحة

النساء

المائدة

الأنعام

الأعراف

التوبة

هود

يوسف

إبراهيم

النحل

الإسراء

الكهف

مريم

العنكبوت

الروم

السجدة

الأحزاب

فاطر

الصافات

ص

﴿ الزخرف ﴾

﴿ الجاثية ﴾

﴿ محمد ﴾

﴿ ق ﴾

﴿ النجم ﴾

﴿ الرحمن ﴾

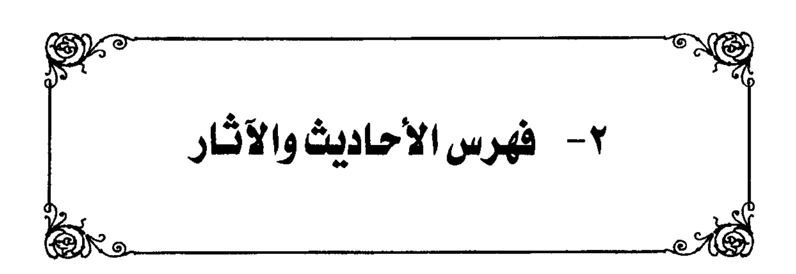
﴿ الصف ﴾

المعارج

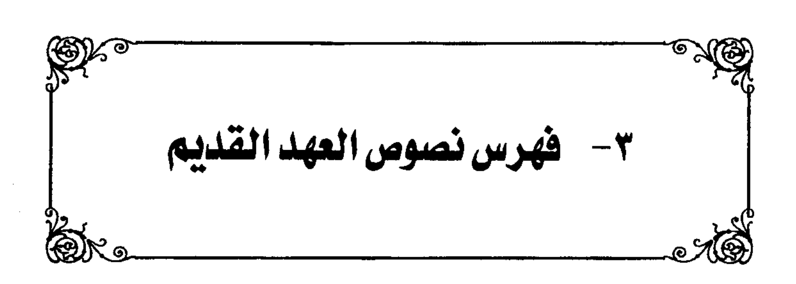
الجن

القيامة



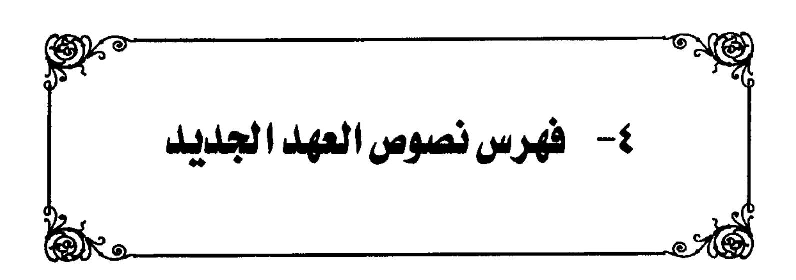


٢- فهرس الأحاديث والآثار

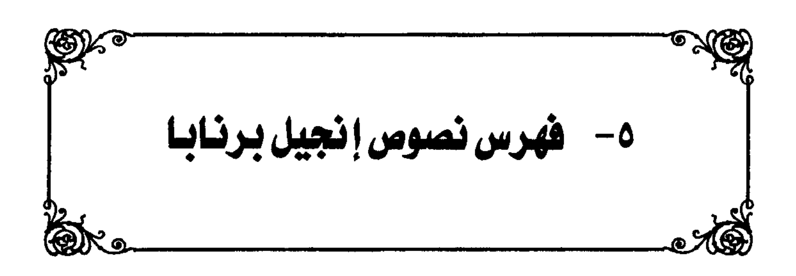


٣- فهرس نصوص العهد القديم


http://kotob.has.it

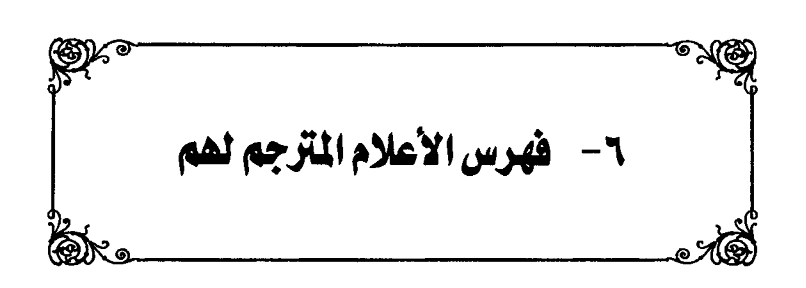


٤- فهرس نصوص العهد الجديد



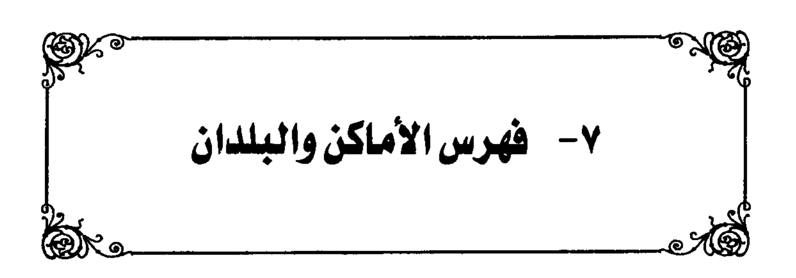
٥- فهرس نصوص إنجيل برنابا





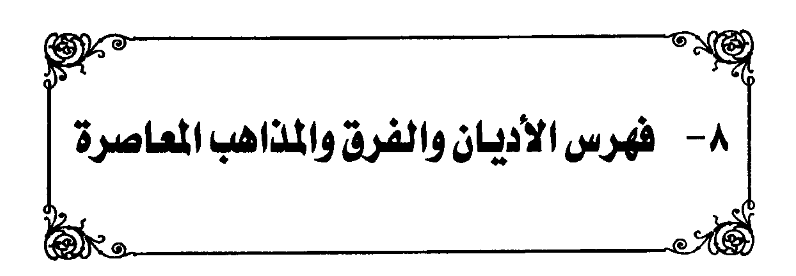
٦- فهرس الأعلام المترجم لهم



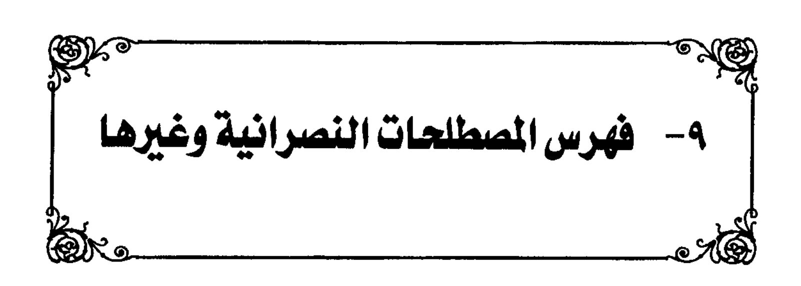


٧- فهرس الأماكن والبلدان

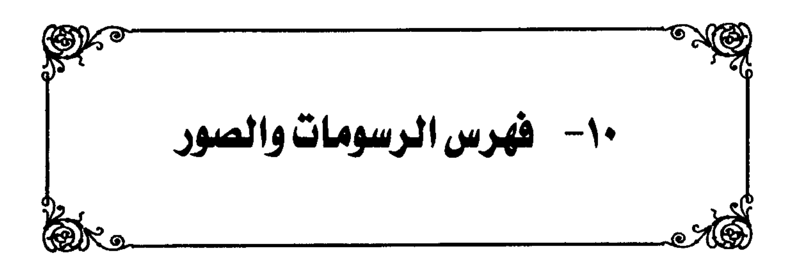




٨- فهرس الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة

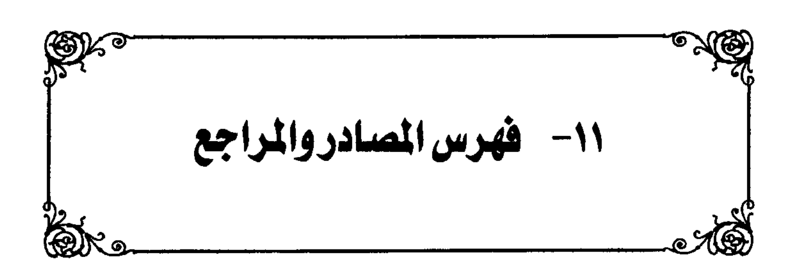


٩- فهرس المصطلحات النصرانية وغيرها



١٠- فهرس الرسومات والصور

الرسم / الصورة	الصفحة



١١- فهرس المصادر والمراجع

١- الآمدي، سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي. **الإحكام في أصول الأحكام**. ط١ تعليق: الشيخ عبد الرزاق عفيفي. الرياض: مؤسسة النور، د.ت.

٢- أثناسيوس، الأنبا. **دراسات في الكتاب المقدس (إنجيل يوحنا)**. د.ط. مصر: لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف، د.ت.

٣- الإجيبوي، رفيع أوونلا بصيري. **تصحيح مفهوم الحوار بين الأديان**. ط١ إجيبو إغبو(نيجيريا): دار العلوم، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٤- أحمد، إبراهيم خليل. **الغفران بين الإسلام والمسيحية**. ط١ القاهرة: دار المنار للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٥- أحمد، إبراهيم خليل. **محاضرات في مقارنة الأديان**. ط١ القاهرة: دار المنار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٦- أحمد، محمد خليفة حسن. **علاقة الإسلام باليهودية**. د.ط. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ت.

٧- إدي، وليم. **الكنز الجليل في تفسير الإنجيل**. د.ط. بيروت: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، ١٩٧٣م.

٨- أرفنج، واشنطون. **حياة محمد ﷺ**.د.ط. ترجمة وتعليق: د/ علي حسن الخربوطلي. القاهرة: دار المعارف، د.ت.

٩- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. **تهذيب اللغة**. د.ط. تحقيق: عبد السلام محمد هارون وغيره. دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.

١٠- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل. **رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب**. د.ط. تحقيق: عبدالله شاكر محمد الجنيدي. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤١٣هـ.

١١- الأشقر، عمر سليمان. **الرسل والرسالات**. ط٣. الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٢- الأصبحي، الإمام مالك بن أنس.**الموطّأ**. تحقيق و ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي.د.ط. د.ن. د.ت

١٣- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد ـ الراغب ـ. **مفردات ألفاظ القرآن**. الطبعة الأخيرة. تحقيق: محمد سيد كيلاني. مصر: شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

١٤- الأعظمي، محمد ضياء الرحمن. **اليهودية والمسيحية**. ط١ المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

١٥- الإفريقي، ابن منظور. **لسان العرب**.ط١ تنسيق وتعليق: علي شيري. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٦- الألباني، محمد ناصر الدين. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**. ط١ عمّان: المكتبة الإسلامية و الكويت: الدرا السلفية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٧- الألباني، محمد ناصر الدين. **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**. ط١ الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٨- الألباني، محمد ناصر الدين. **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**. ط٣ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٩- الألباني، محمد ناصر الدين. **صحيح سنن أبي داود**. ط١ الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٠- الألباني، محمد ناصر الدين. **صحيح سنن ابن ماجة**. ط٣ الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢١- الألباني، محمد ناصر الدين. **صحيح سنن الترمذي**. ط١ الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٢- الألباني، محمد ناصر الدين. **صحيح سنن النسائي**. ط١ الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٢٣- الألباني، محمد ناصر الدين. **ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**. ط٢ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢٤- الألباني، محمد ناصر الدين. **ضعيف سنن أبي داود**. ط١ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٢٥- الألباني، محمد ناصر الدين. **ضعيف سنن ابن ماجة**. ط١ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٦- الألباني، محمد ناصر الدين. **ضعيف سنن الترمذي**. ط١ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٧- الألباني، محمد ناصر الدين. **ضعيف سنن النسائي**. ط١ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٢٨- الأنصاري، حماد بن محمد. **يانع الثمر في مصطلح أهل الأثر**. ط١ المدينة النبوية: مكتبة ابن القيم، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٩- الإيجي، عضد الدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد. **المواقف في علم الكلام**. د.ط.

بيروت: عالم الكتب، د.ت.

٣٠- باجودة، حسن. **رد شبهات القس سويغارت في مناظرته الشيخ أحمد ديدات.** ط١ الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٣١- برنابا، القديس. **إنجيل برنابا.** تعريب: أ.د. أحمد غنيم. ط١ د.ن.، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٣٢- برنابا، القديس. **إنجيل برنابا.** د.ط. تعريب: د/ خليل سعادة. القاهرة: مطبعة المنار، د.ت.

٣٣- برنز، يواكيم. **بابوات من الحي اليهودي.** ط١ تعريب:خالد أسعد عيسى. مراجعة وتقديم: د/ سهيل زكار دمشق: دار حسّان للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣٤- البستاني، بطرس سليمان. **أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام.** دار مارون عبّود، ١٩٨٦م.

٣٥- البستاني، بطرس. **محيط المحيط** د.ط. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٧م.

٣٦- البعلبكي، روحي. **المورد ـ قاموس عربي/ إنجليزي** ـ.ط١ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٨م.

٣٧- البعلبكي، منير. **المورد ـ قاموس إنجليزي/ عربي** ـ. ط٢٩ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٥م.

٣٨- البغدادي، أبوبكر أحمد بن علي الخطيب.**تأريخ بغداد أو مدينة السلام.** د.ط. بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.

٣٩- البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق. **مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع.** ط١ تحقيق: علي محمد البجاوي. دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

٤٠- البغدادي، عبد الرحمن بن سليم. **الفارق بين المخلوق والخالق**. د.ط. دار الكتاب الإسلامي، د.ط.

٤١- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر. **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**. ط٢ بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٧م.

٤٢- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود ـ محيي السنة ـ. **شرح السنة**. ط١ تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٤٣- البنا، أحمد عبد الرحمن. **الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مع شرحه بلوغ الأماني**. د.ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٤٤- بوكاى، موريس. **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم** (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة). د.ط. القاهرة: دار المعارف، د.ت.

٤٥- بوكاى، موريس. **ما أصل الإنسان؟: إجابات العلم والكتب المقدسة**. ط١ ترجمة ونشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٤٦- بينتون، رولاند. **مواقف من تأريخ الكنيسة**. ط٢ ترجمة: القس عبد النور ميخائيل. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧٨م.

٤٧- التبريزي، ولي الدين محمد بن عبد الله. **مشكاة المصابيح**. د.ط. تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

٤٨- التركي، إبراهيم بن خلف. **أهم عوامل انحراف النصرانية**. رسالة الماجستير بقسم العقيدة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤٩- الترمذي، أبوعيسى محمد بن عيسى. **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**. ط١ تحقيق: المشايخ/ أحمد شاكر و محمد فؤاد عبد الباقي و كمال يوسف الحوت. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٥٠- التنصير: **خطة لغزو العالم الإسلامي** ـ الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلين آيري بالولايات المتحدة الأمريكية ـ نشر: دار مارك للنشر، كاليفونيا.

٥١- التنير، محمد طاهر. **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية**. ط١ الكويت: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٥٢- توتل، فردينان. **المنجد في الأدب والعلوم**. ط١٩ بيروت: المطبعة الكاثوليكية، د.ت.

٥٣- التونسي، محمد خليفة. ـ مترجم ـ **بروتوكولات حكماء الصهيون**. ط٧ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٥٤- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**. د.ط. القاهرة: مطبعة المدني، د.ت. و كذلك نسخة: مطابع المجد التجارية.

٥٥- الجامي، محمد أمان بن علي. **الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه**. ط٢ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤١٣هـ.

٥٦- الجبهان، إبراهيم بن سليمان. **معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير**. ط٥ جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٥٧- جديد، إسكندر. **بدعة شهود يهوه ومشايعيهم**. د.ط. ستوتّغارت(ألمانيا): نداء الرجاء، د.ت.

٥٨- الجرجاني، الشريف علي بن محمد. **التعريفات**. ط٣ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٥٩- الجزائري، أبوبكر جابر. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**. ط٢ جدة: راسم للدعاية والإعلان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧.

٦٠- الجزري، المبارك بن محمد ـ ابن الأثير ـ. **النهاية في غريب الحديث والأثر**. د.ط. تحقيق: محمود محمد الطناحي. المكتبة الإسلامية، د.ت.

٦١- الجمحي، محمد بن سلام. **طبقات فحول الشعراء**. د.ط. شرح: محمود محمد شاكر القاهرة: مطبعة المدني، د.ت.

٦٢- جنيبير، شارل. **المسيحية نشأتها وتطورها**. د.ط. تعريب: د/ عبد الحليم محمود. بيروت: المكتبة العصرية، د.ت.

٦٣- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. **غريب الحديث**. ط١ تحقيق: د/ عبد المعطي أمين قلعجي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٦٤- الجوزي، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم. **إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان**. ط١ تحقيق: بشير محمد عيون. الرياض: مكتبة المؤيد و دمشق: مكتبة دار البيان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٦٥- الجوزي، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم. **بدائع الفوائد**. د.ط. بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.

٦٦- الجوزي، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم. **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح** د.ط. عمّان: المكتبة الأموية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٦٧- الجوزي، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم. **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**. د.ط. تحرير: الحساني حسان عبد الله. القاهرة: دار التراث، د.ت.

٦٨- الجوزي، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم. **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**. د.ط. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

٦٩- الجوهري، إسماعيل بن حمّاد. **الصحاح** (تاج اللغة وصحاح العربية). ط٢ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار. بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٧٠- الجوهري، علي. ـ مترجم ـ **مناظرتان في استكهولم (بين ديدات وشوبيرج)**. ط١ القاهرة: دار الفضيلة، د.ت.

٧١- الجويني، عبد الملك بن عبد الله ـ إمام الحرمين ـ. **شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل**. ط١ تحقيق: د/ أحمد حجازي السقا. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٧٢- الجيوشي، محمد إبراهيم. **دراسات في النصرانية**. د.ط. دار الهدى للطباعة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٧٣- الحاج، محمد أحمد. **النصرانية من التوحيد إلى التثليث**. ط١ دمشق: دار القلم و بيروت: الدار الشامية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢.

٧٤- الحداد، يوسف دره. **مصادر الوحي الإنجيلي (فلسفة المسيحية)**. د.ط. د.ن. د.ت.

٧٥- الحديدي، محمد أبو النور. **عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجّهة إليهم**. د.ط. مطبعة الأمانة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٧٦- الحربي، علي عتيق. **نصرانية عيسى ﷺ ونصرانية بولس (دراسة مقارنة من أسفار العهد الجديد)**ـ رسالة الماجستير بقسم الاستشراق في كلية الدعوة بالمدينة المنورة.

٧٧- الحسن، يوسف. **البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني**. ط١ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠م.

٧٨- حماية، محمود علي. **دراسات في الكتاب المقدس**. د.ط. د.ن د.ت.

٧٩- الحمد، عبد القادر شيبة. **الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة**. د.ط. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، د.ت.

٨٠- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله. **معجم البلدان**. ط١ تحقيق: فريد

عبد العزيز الجندي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٨١- الحِميَري، محمد بن عبد المنعم. **الروض المعطار في خبر الأقطار**. ط٢ تحقيق: د/ إحسان عبّاس. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.

٨٢- ابن حنبل، الإمام أحمد. **المسند**. ط٢ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٨٣- الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. د.ط. بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

٨٤- الخضري، حنا جرجس. **تأريخ الفكر المسيحي**. د.ط. القاهرة: دار الثقافة، د.ت.

٨٥- ابن خلدون، عبد الرحمن. **مقدمة ابن خلدون**. د.ط. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، د.ت.

٨٦- الخلف، سعود بن عبد العزيز. **دراسات في الأديان ـ النصرانية والإسلام ـ** ط١ القصيم: دار البخاري للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ.

٨٧- الخلف، سعود بن عبد العزيز. **دراسات في الأديان ـ اليهودية والنصرانية ـ** ط١ المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٤هـ.

٨٨- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. د.ط. تحقيق: د/ إحسان عباس بيروت: دار الثقافة، د.ت.

٨٩- أبو الخير، عبد المسيح بسيط. **الكتاب المقدس هل هو كلمة الله؟** ط١ مطرانية القليوبية، ١٩٩٢م.

٩٠- الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن. **سنن الدارمي**. ط١ تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا. دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٩١- الداوودي، شمس الدين محمد بن علي. **طبقات المفسرين**. ط١ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٩٢- درمنغم، إميل. **حياة محمد ﷺ**. ط٢ تعريب: عادل زعيتر. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٨م.

٩٣- الدمشقي، عماد الدين إسماعيل بن كثير. **البداية والنهاية في التأريخ**. ط١. دار الفكر العربي، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٣م.

٩٤- الدمشقي، عماد الدين إسماعيل بن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. د.ط. القاهرة: مكتبة دار التراث، د.ت.

٩٥- الدمشقي، علي بن علي بن أبي العز. **شرح العقيدة الطحاوية**. ط١ تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي و الشيخ شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٩٦- ديار بكرلي، عبد الرزاق. **تنصير المسلمين**.ط١ الرياض: دار النفائس، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٩٧- ديدات، أحمد. **هل الكتاب المقدس كلام الله؟** ط١ ترجمة: إبراهيم خليل أحمد، دراسة تحليلية وتقديم: أ.د. نجاح محمود الغنيمي. القاهرة: دار المنار، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٩٨- الديك، صليب إلياس. **العذراء تظهر في إدفو**. ط٢ تقديم ومراجعة: الأنبا هدرا. مصر: لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف والبهنسا، ١٩٩٢م.

٩٩- ديورانت، ول. **قصة الحضارة**. ط٣ القاهرة: الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، ١٩٧٣م.

١٠٠- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله. **تذكرة الحفاظ**. د.ط. تصحيح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

١٠١- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. **سير أعلام النبلاء**. ط١ الإشراف على التحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٠٢- الرازي، محمد بن عمر فخر الدين. **التفسير الكبير**.ط٣ بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

١٠٣- الرازي، محمد بن عمر فخر الدين. **عصمة الأنبياء**. ط١ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٠٤- الزبيدي، محمد مرتضى. **تاج العروس من جواهر القاموس**. د.ط. بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.

١٠٥- الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر. **البحر المحيط في أصول الفقه**. د.ط. تحرير: د/ عمر سليمان الأشقر مراجعة: د/ عبد الستار أبو غدة و د/ محمد سليمان الأشقر. د.ن.

١٠٦- الزركلي، خير الدين. **الأعلام**. ط١١ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٥م.

١٠٧- زكي، عزت. **تأريخ المسيحية (المسيحية في عصر الإصلاح)**. د.ط. القاهرة: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، د.ت.

١٠٨- زهران، محمد علي. **إنجيل يوحنا في الميزان**. ط١ الزقازيق: دار الأرقم، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٠٩- أبو زهرة، محمد. **محاضرات في النصرانية**. د.ط. القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.

١١٠- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي. **طبقات الشافعية الكبرى**. د.ط. تحقيق: محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو. دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

١١١- ستوت، ج.ر.و. **المسيحية الأصيلة**. د.ط. تعريب: القس ريد زخاري.

بيروت: دار منشورات النفير، د.ت.

١١٢- السجزي، عبيد الله بن سعيد.**رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت**.ط١ تحقيق: د/ محمد باكريم با عبد الله. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤١٣هـ.

١١٣- السجستاني، سليمان بن الأشعث أبو داود. **سنن أبي داود** (مع معالم السنن للخطابي). ط١ تحقيق: عزت عبيد الدعاس. نشر وتوزيع: محمد علي السيد، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

١١٤- السحيم، محمد بن عبد الله. **مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية**. ط١ الرياض: دار الفرقان، ١٤١٧هـ.

١١٥- أبو السعد، محمد عبد الحليم مصطفى. **دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس تأريخيا وموضوعيا**. ط١ د.ن.، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١١٦- السعدي، محمد. **دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة**. ط١ الدوحة: دار الثقافة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١١٧- سعيد، حبيب. **تأريخ المسيحية (فجر المسيحية)**. د.ط. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، د.ت.

١١٨- سعيد، حسين. ـ إشراف ـ **الموسوعة الثقافية**. د.ط. القاهرة/ نيو يورك: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٧٢م.

١١٩- السقا، أحمد حجازي. **أقانيم النصارى**. ط١ القاهرة: دار الأنصار، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١٢٠- السقا، أحمد حجازي. **الله وصفاته في اليهودية والنصرانية والإسلام**. ط١ مصر: دار النهضة العربية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٢١- السقا، أحمد حجازي. **حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة**. د.ط. القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، د.ت.

١٢٢- السقا، أحمد حجازي. **نقد التوراة (أسفار موسى الخمسة)**. د.ط. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٦م.

١٢٣- السقا، أحمد حجازي، **البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل**. ط١ بيروت: دار الجيل، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

١٢٤- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. **الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض**. ط١ تحقيق:الشيخ خليل الميس. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٢٥- شاتليه، ا.ل. **الغارة على العالم الإسلامي**. د.ط. تعريب: محب الدين الخطيب و مساعد اليافي. بيروت: مكتبة أسامة بن زيد، د.ت.

١٢٦- شتيوي، محمد شلبي. **الإنجيل دراسة وتحليل**. ط١ الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٢٧- شراب، محمد بن محمد.**معجم بلدان فلسطين**. ط١ دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٢٨- الشرقاوي، محمد عبد الله. **في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات**. ط١ مدينة نصر: دار الهداية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٢٩- شعلان، محمود عبد السميع. **نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام**. ط١ الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٣٠- شلبي، أحمد. **المسيحية**. ط٥ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٧م.

١٣١- شلبي، أحمد. **اليهودية**. ط٨ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٨م.

١٣٢- شلبي، رؤوف. **يا أهل الكتاب تعالو إلى كلمة سواء**. القاهرة: دار ثابت، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

١٣٣- شلبي، متولي يوسف. **أضواء على المسيحية**. ط٢ الدار الكويتية، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

١٣٤- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. د.ط. بيروت: عالم الكتب، د.ت.

١٣٥- شنودة، زكي. **المسيح**. د.ط. القاهرة: مكتبة المحبة، د.ت.

١٣٦- شنودة، زكي. **موسوعة تأريخ الأقباط**. ط١ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤م.

١٣٧- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. **الملل والنحل**. د.ط. تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل. القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، د.ت.

١٣٨- شيخو، لويس. **علماء النصرانية في الإسلام**. د.ط. تحقيق: الأب كميل حشيمة اليسوعي. جونيه (لبنان): المكتبة البولسية و روما: المعهد البابوي الشرقي، ١٩٨٣م.

١٣٩- الصابوني، محمد علي. **النبوة والأنبياء**. ط٢ د.ن.، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٤٠- الصفناوي، رمضان. ـ مترجم ـ **المناظرة الكبرى بين الشيخ أحمد ديدات والقس أنيس شروش**. د.ط. القاهرة: دار المختار الإسلامي، د.ت.

١٤١- صليبا، جميل. **المعجم الفلسفي**. ط١ بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧١م.

١٤٢- الصوري، أبو الحسن إسحاق. ـ مترجم ـ **التوراة السامرية**. (نشر: د/ أحمد حجازي السقا) د.ط. القاهرة: دار الأنصار، د.ت.

١٤٣- الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر. **جامع البيان في تأويل القرآن** (تفسير الطبري). ط١ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٤٤- طعيمة، صابر. **الأسفار المقدسة قبل الإسلام**. ط١ بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

١٤٥- طعيمة، صابر. **التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه**. د.ط. بيروت: دار الجيل، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٤٦- الطهطاوي محمد عزت. **الميزان في مقارنة الأديان**. ط١ دمشق: دار القلم و بيروت: الدار الشامية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٤٧- الطهطاوي، محمد عزت. **النصرانية والإسلام**. د.ط. القاهرة: دار الأنصار، د.ت.

١٤٨- الطوفي، نجم الدين سليمان. شرح مختصر الروضة. ط١ تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ.

١٤٩- الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم. **الفِصل في الملل والأهواء والنحل**. ط١ تحقيق: د/ محمد إبراهيم نصر و د/عبد الرحمن عميرة. جدة: شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٥٠- الظاهري، أبو محمد علي بن حزم. **الرد على ابن النغريلة اليهودي، و رسائل أخرى**. د.ط. تحقيق: د/ إحسان عباس. القاهرة: مكتبة دار العروبة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

١٥١- عبد الباقي، محمد فؤاد. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**. ط٣ القاهرة: دار الحديث، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٥٢- عبد المجيد، محمد بحر. **اليهودية**. د.ط. القاهرة: مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧٨م.

١٥٣- عبد الملك، بطرس وشركاؤه. **قاموس الكتاب المقدس**. ط٨ و٩ القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٤م.

١٥٤- عبد الوهاب، أحمد. **اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في**

المسيحية. ط١ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٥٥- عبد الوهاب، أحمد. **إسرائيل حرّفت الأناجيل والأسفار المقدسة**. ط١ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٧٢م.

١٥٦- عبد الوهاب، أحمد. **المسيح في مصادر العقائد المسيحية**. ط١ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٥٧- عبد الوهاب، أحمد. **حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر**. ط١ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٥٨- عبود، عبد الغني. **المسيح والمسيحية والإسلام**. ط١ دار الفكر العربي، ١٩٨٤م.

١٥٩- عثمان، فتحي. **مع المسيح في الأناجيل الأربعة**. ط٢ د.ن. د.ت.

١٦٠- العثماني، محمد تقي. **ما هي النصرانية؟** د.ط. تعريب: نور عالم الأميني الندوي. كراتشي: مكتبة دار العلوم، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٦١- عزيز، عبد الغفار. **الإله في فكر البشر ووحي السماء**. ط١ القاهرة: مؤسسة الوفاء للطباعة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٦٢- عزيز، فهيم. **المدخل إلى العهد الجديد**. د.ط. القاهرة: دار الثقافة، د.ت.

١٦٣- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. **تقريب التهذيب**. ط٣ تحقيق: محمد عوّامة. حلب: دار الرشيد، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٦٤- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. **تهذيب التهذيب**. ط١ بيروت: دار صادر، ١٣٢٥هـ.

١٦٥- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**. د.ط. تحقيق سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، و محمد فؤاد عبد الباقي و محب الدين

الخطيب. القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، د.ت.

١٦٦- عطية، حسين علي و أمين، محمد شوقي. ـ إشراف ـ **المعجم الوسيط**. ط٢ القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

١٦٧- العقاد، عباس محمود. **"الله" كتاب في نشأة العقيدة الإلهية**. ط٢ القاهرة: دار المعارف، د.ت.

١٦٨- العقّاد، عباس محمود. **عبقرية المسيح ﷺ في التأريخ وكشوف العصر الحديث**. د.ط. بيروت: المكتبة العصرية، د.ت.

١٦٩- العقيقي، نجيب. **المستشرقون**. ط٣ القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٤م.

١٧٠- **علم اللاهوت النظامي**. إعداد ونشر: دار الثقافة المسيحية بالقاهرة، ١٩٧١م.

١٧١- العمري، أكرم ضياء. **الرسالة والرسول**. ط١ د.ن.، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٧٢- العمري، أكرم ضياء. **السيرة النبوية الصحيحة**. ط٢ المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٧٣- العواجي، غالب بن علي. **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**. ط١ دمنهور ـ مصر ـ: مكتبة لينة للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١٧٤- عوض، محمد عبد الرحمن. **الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة**. د.ط. القاهرة، دار البشير، د.ت.

١٧٥- الغامدي، أحمد بن عطية. **البيهقي وموقفه من الإلهيات**. ط٢ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٧٦- غربال، محمد شفيق. ـ إشراف ـ **الموسوعة العربية الميسرة**. ط١ القاهرة: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٦٥م.

١٧٧- غزال، مصطفى فوزي. **رجال نوّر الله قلوبهم**. ط١ جدّة: دار القبلة للثقافة

الإسلامية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٧٨- غزال، مصطفى فوزي. **فضائح الكنائس والبابوات والقسس والرهبان والراهبات**. ط٢ جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

١٧٩- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. **الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل**. ط١ تحقيق: د/ محمد عبد الله الشرقاوي. الرياض: دار أمية للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ

١٨٠- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. **المستصفى من علم الأصول**. د.ط. تحقيق: د/ حمزة زهير حافظ. جدة: شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، د.ت.

١٨١- غنيم، أحمد. **وثائق الكشف الأوروبي عن مخطوطتين من إنجيل برنابا** (مقدمات إنجيل برنابا). ط١ د.ن.، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٨٢- فارس، فايز. **حقائق أساسية في الإيمان المسيحي**. ط٢ القاهرة: دار الثقافة، د.ت.

١٨٣- الفارسي، علاء الدين علي بن بلبان. **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**. ط١ تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

١٨٤- الفرنسيسكاني، لويس برسوم. **تفسير الأناجيل المقدسة التي تقرأ في أيام الآحاد والأعياد**. ط٢ الجيزة: المعهد الاكليريكي الفرنسيسكاني الشرقي، ١٩٧٢م.

١٨٥- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. **القاموس المحيط**. ط٢ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٨٦- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس. **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة**. ط١ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٨٧- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبينا محمد عليه الصلاة والسلام**. د.ط. تحقيق:

د/ أحمد حجازي السقا، د.ت.

١٨٨ – القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. **الجامع لأحكام القرآن**. د.ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

١٨٩ – القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد ـ ابن ماجة ـ. **سنن ابن ماجة**. ط١ تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي. الرياض: شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٩٠ – قطب، محمد. **مذاهب فكرية معاصرة**. ط٧ القاهرة: دار الشروق، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٩١ – قلتة، يوحنا. **وثائق المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني**. ط٢ د.ن.، ١٩٧٩م.

١٩٢ – قنديل، قنديل محمد. **النقد الأعلى للكتاب المقدس في فكر الغرب وينابيعه الإسلامية**. ط١ القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

١٩٣ – القيصري، يوسابيوس. **تأريخ الكنيسة**.د.ط. ترجمة: القمص مرقس داود. د.ن. د.ت.

١٩٤ – كامل، فؤاد و شركاؤه. **الموسوعة الفلسفية المختصرة**. د.ط. مراجعة وإشراف: د/ زكي نجيب محمود. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.

١٩٥ – الكبير، كارل وليمز. **الأمور المتيقنة عندنا**. د.ط. مصر: المجمع العام لكنائس الله، د.ت.

١٩٦ – **الكتاب المقدس** ـ أي كتب العهد القديم والعهد الجديد ـ. نشر: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

١٩٧ – **الكتاب المقدس** ـ الأسفار القانونية الثانية ـ. د.ن.

١٩٨ – كحالة، عمر رضا. **معجم المؤلفين**. د.ط. بيروت: مكتبة المثنى و دار إحياء

التراث العربي، د.ت.

١٩٩- كسّاب، حنانيا إلياس. **مجموعة الشرع الكنسي أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة التي وضعها المجامع المسكونية والمكانية المقدسة**. د.ط. بيروت: دار النور، د.ت.

٢٠٠- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني. **الكليات**. د.ط. تحقيق: د/ عدنان درويش و محمد المصري. دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٤م.

٢٠١- اللبان، مصطفى أحمد الرفاعي. **مباحث بريئة في الإنجيل**. د.ط. القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٥٧هـ.

٢٠٢- اللغوي، أبو الحسين أحمد بن فارس. **مجمل اللغة**. ط١ تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢٠٣- لوريمر، جون. **تأريخ الكنيسة**. د.ط. القاهرة: دار الثقافة، د.ت.

٢٠٤- لوقا، نظمي. **محمد ﷺ الرسالة والرسول**. ط٢ مصر: وزارة التربية والتعليم، ١٩٥٩م.

٢٠٥- مارش، وليم. **السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم**. د.ط. بيروت: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، ١٩٧٣م.

٢٠٦- ماضي، محمود. **عصمة الأنبياء بين اليهودية والمسيحية والإسلام**. د.ط. الإسكندرية: مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

٢٠٧- ماكبي، هيم. **بولس وتحريف المسيحية**. ط١ تعريب: سميرة عزمي الزين. المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٠٨- محمد، عبد السلام. **الكتاب المقدس في الميزان**. ط١ المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٢٠٩- المخلصي، إلياس كويتر. **مواعظ الآحاد والأعياد**. د.ط. من منشورات اليوبيل

المئوي الثالث للرهبانية الخلصية، ١٩٨٥م.

٢١٠- مرجان، محمد مجدي. **المسيح إنسان أم إله؟** د.ط. القاهرة: دار النهضة العربية، د.ت.

٢١١- المعتق، عواد بن عبد الله. **المعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنة منها.** ط٢ الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢١٢- معلوف، لويس. **المنجد في اللغة.** ط١٩ بيروت: المطبعة الكاثوليكية، د.ت.

٢١٣- آل معمر، عبد العزيز بن حمد بن ناصر. **منحة القريب المجيب في الرد على عبّاد الصليب.** ط٣ الطائف: دار ثقيف للنشر والتأليف، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٢١٤- المقدسي، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة. **روضة الناظر وجنة المناظر.** ط٢ تحقيق: د/ عبد الكريم بن علي النملة. الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢١٥- المقري، أحمد بن محمد الفيومي. **المصباح المنير.** د.ط. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.

٢١٦- **مناظرة بين الإسلام والنصرانية** (مناقشة بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين). الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٧هـ.

٢١٧- المنجّد، صلاح الدين. **معجم ما أُلّف عن رسول الله ﷺ.** ط١ بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٢١٨- منصور، محمد عبد العزيز. **يا مسلمون اليهود قادمون.** د.ط. دار الاعتصام، د.ت.

٢١٩- المنفلوطي، جاد. **تأريخ المسيحية (المسيحية في العصور الوسطى).** د.ط. القاهرة: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، د.ت.

٢٢٠- آل مهدي، فالح بن مهدي. **التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية**. ط٢ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، د.ت.

٢٢١- **الموسوعة العربية العالمية**. ط١ الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢٢٢- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**. ط٢ الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٢٣- ناصف، عصام الدين حفني. **محنة التوراة على أيدي اليهود**. ط١ مصر: مطبعة الرسالة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٢٢٤- ناصف، عصام الدين حفني، **اليهودية في العقيدة والتأريخ**. ط١ القاهرة: دار العلم الجديد، ١٩٧٧م.

٢٢٥- نايتون، اندريه وشركاؤه. **الأصول الوثنية للمسيحية**. ط١ تعريب: سميرة عزمي الزين. المعهد الدّولي للدراسات الإنسانية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٢٦- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. **سنن النسائي** (بشرح السيوطي وحاشية السندي). ط٢ تحقيق: مكتب تحقيق التراث الإسلامي. بيروت: دار المعرفة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢٢٧- نصر الله، يوسف. ـ مترجم ـ **الكنز المرصود في قواعد التلمود**. ط١ دمشق: دار القلم، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٢٢٨- نصور، جورج. (معرِّب) **إقليمندس الروماني ـ راعي هرماس**. د.ط. الكسليك: رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط، ١٩٧٥م.

٢٢٩- النووي، محي الدين يحيى بن شرف. **صحيح مسلم بشرح النووي**. ط٢ بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م. و ط٣ بيروت: دار الفكر،

١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٢٣٠- النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله - الحاكم -. **المستدرك على الصحيحين**. (مع تلخيص الذهبي). د.ط. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٢٣١- النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري. **الجامع الصحيح**. ط١ تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

٢٣٢- الهذلول، صالح عبد الله. **الأصولية الإنجيلية نشأتها وغايتها وطرق مقاومتها**. ط١ الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢٣٣- هك، جون وشركاؤه. **أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح**. ط١ تعريب: د/ نبيل صبحي. الكويت: دار القلم، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٣٤- الهمذاني، القاضي عبد الجبار. **تثبيت دلائل النبوة**. د.ط. بيروت: دار النهضة العربية، ١٣٨٦هـ.

٢٣٥- الهندي، رحمت الله بن خليل الرحمن. **إظهار الحق**. د.ط. تحقيق: د/ محمد أحمد ملكاوي. الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية...، ١٤١٢هـ.

٢٣٦- هنري، متّى. **تفسير إنجيل متّى**. د.ط. تعريب: القمص مرقس داود. الفجالة: مكتبة المحبة، د.ت.

٢٣٧- الوابل، يوسف بن عبد الله. **أشراط الساعة**. ط٢ الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٢٣٨- وجدي، محمد فريد. **دائرة معارف القرن العشرين**. ط٣ بيروت: دار المعرفة، ١٩٧١م.

٢٣٩- ونسنك، أ. ي. وشركاؤه. **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**. الاتحاد الأممي للمجامع العلمية، ١٩٤٣م.

٢٤٠- اليافي، سليم و المارديني، زهير. من أجل حوار إسلامي مسيحي. ط١ دار الجديد، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٤١- يوحنا، منسى. حل مشاكل الكتاب المقدس. د.ط. الفجالة (مصر): مكتبة المحبة، د.ت.

الصحف والمجلات والأشرطة.

٢٤٢- جريدة الشرق الأوسط، العدد الصادر في ٢٨/ ١٠/ ١٩٩٢م.

٢٤٣- جريدة "المسلمون" العدد ٣٥٦ الصادر في ٢٣/ ٥/ ١٤١٢هـ.

٢٤٤- جريدة "المسلمون" العدد ٥١٠ الصادر في ٨/ ٦/ ١٤١٥هـ.

٢٤٥- جريدة "المسلمون" العدد ٥٦٣ الصادر في ٢٤/ ٦/ ١٤١٦هـ.

٢٤٦- مجلة "هيدلانس" العدد ٢٥١ الصادر في مارس ١٩٩٤م.

٢٤٧- شريط مناظرة الدكتور جميل بدوي و القس أنيس شروش (موضوعات متفرقة).

٢٤٨- شريط مناظرة الشيخ أحمد ديدات و الأسقف ستانلي شوبيرج (هل الكتاب المقدس حقا كلام الله؟).

٢٤٩- شريط مناظرة الشيخ ديدات و القس جيمي شواغارت (هل الكتاب المقدس كلام الله؟).

٢٥٠- شريط مناظرة الشيخ ديدات والقس أنيس شروش (هل المسيح إله؟).

المصادر والمراجع الأجنبية

251) Abdul Hayee, SK. MD. In Search of the Truth, 2nd Edition, Dhaka-Banglandesh: Chowkash, 1993.

252) Academic American Encyclopedia, Princeton: Arete Pub. Company Inc., 1981.

253) Ajao, Shakiru. Discover the Truth.

254) Ajijola, A. D. The Myth of the Cross, Riyadh: Presidency of Islamic Research, Ifta and Propagation, 1404 AH / 1984 CE

255) Alan, K. Contradictions & Fallacies in the Bible, 1st Edition, Ibadan: Al-Furqan Publishers, 1988.

256) Al- Johani, Maneh Hammad, The Truth About Jesus, Lagos: Ibrash Islamic Publications Centre.

257) Arberry, A. J. Religion in the Middle East, Cambridge: the University Press, 1969.

258) Baagil, Hasan M. Muslim Christian Dialogue, Dammam: Islamic Daawah & Guidance Center, 1984.

259) Berger, John Dillen & Welch, Claude. Protestant Christianity, 2nd Edition, New York: Macmillan Publishing Company & London: Collier Mac. Publishers, 1988.

260) Boettner, Loraine. Roman Catholicism. 21st Printing, New Jersey: the Presbyterian & Reformed Publishing Company, 1982.

261) Bucaille, Maurice. The Bible the Quran & Science. Indianapolis: North American Trust Publication, 1979.

262) Christian Witness Among Muslims, Ilorin: Matanmi & Sons Printers.

263) Chukwulozie, Victor. Muslim - Christian Dialogue in Nigeria, Ibadan: Daystar Press, 1986.

264) Cross, F.L. & Livingstone E.A. Oxford Dictionary of the Christian Church. 2nd Edition (reprinted). New York: Oxford University Press, 1983.

265) Deedat, Ahmed. Combat Kit Against Bible Thumpers. 1st Print. Durban: Islamic Propagation Centre, 1992.

266) Deedat, Ahmed. Desert Storm, has it ended? Durban: Islamic Propagation Centre International, 1991.

267) Deedat, Ahmed. Is the Bible God's Word? Karachi: Islamic Seminary Publications.

268) Deedat, Ahmed. Muhammed the Greatest, Riyadh: International Islamic Publishing House.

269) Deedat, Ahmed. What is His Name? 2nd Print. Jeddah: Abul Qasim Book Store, 1986.

270) Deedat, Ahmed. Who Moved the Stone? Jeddah: AbulQasim Book Store.

271) Deedat,Ahmed. What was the Sign of Jonah? Jeddah: AbulQasim Book Store.

272) Dimashkiah, Abdul Rahman. Let the Bible Speak, Riyadh: International Islamic Publishing House.

273) Douglas, J.D. The New International Dictionary of the Christian Church. (R.Edition), Michigan: Zonderran Corporation, 1981.

274) Encyclopaedia Britannica (Macropaedia & Micropaedia "Ready Reference & Index") 15th Edition. Chicago: Encyclopaedia Britannica Inc., 1978.

275) Encyclopaedia Britannica. Chicago, London: Encyclopaedia Britannica Inc. (Wiliam Benton Publishers), 1965.

276) Friedman, Richard Elliot. Who Wrote the Bible? New York: Harper and Row Publishers, 1989.

277) Goodspeed Edgar J. The Apocrypha (With an Introduction by Moses Hadas), NewYork: Vintage Books, 1989.

278) Gusau, Nababa Sanda. The True Teaching of Jesus Christ. 1st Edition, Lagos: Asiwaju Press Ltd. 1414 AH /1993 CE

279) Gusau, Nababa Sanda. Muhammed in the Divine Books, 1st Edition. Sokoto: Ilmi Industries Ltd., 1991.

280) Halsey, William. D. (Editorial Director), Collier's Encyclopedia, Macmi. Edu. Corp. & P. F. Copllier Inc., 1980.

281) Halsey, William.D. (Editorial Director). Collier's Dictionary (Macmillan Dictionary). New York: Macmillan Educational Corp & London / New York: P.F. Collier Inc., 1977.

282) Hart, H. Michael. The 100 (A Ranking of the Most Influential Persons in History), Riyadh: International Islamic Publishing House.

283) Harvey, Hezekiah. The Church: Its Polity and Ordinances. Rochester: Backus Book Publishers, 1982.

284) Hasting, James (Editor), Encyclopedia of Religion & Ethics, New York: T& T Clark,1980.

285) Hick, John. God Has Many Names, London: Macmillan Press Ltd., 1980.

286) Isichei, Elizabeth. Varieties of Christian Experience in Nigeria, London: Macmillan Press Ltd., 1982.

287) La Grande Encyclopedie. par une: societe de Savants et de Gens de lettres. Paris: H. Lamirault Et cic Editeurs.

288) Levey, Judith S. & Greenhall, Agnes (Editors), The Concise Columbia Encyclopedia, NewYork: Columbia University Press, 1983.

289) Marshall, Michael. Church at the Cross Roads, London: Collins Liturgical Publications, 1988.

290) Miller G. Missionary Christianity, Lagos: Ibrash Islamic Industrial Press Ltd., 1987.

291) Muhsin, Ali. Let the Bible Speak.

292) New Catholic Encyclopedia, Washington D.C.: Catholic University of America, 1981.

293) Philip, Hughes. A Popular History of the Catholic Church, New York: Image Books, 1960.

294) Ragg, Lonsdale & Lora. (Translators), the Gospel of Barnabas, Jeddah: AbulQasim Publishing House.

295) Rausch, David & Voss, Carl Hermann. Protestantism- Its Modern Meaning, Philadelphia: Fortress Press, 1987.

296) Sadruddin. Fundamentals of the Christian Faith in the Light of the Gospels, Lahore: Ahmadiyyah Anjuman Ishaati Islam.

297) Sanders, E.P. Paul and Palestinian Judaism. -A Comparison of Patterns of Religion-. London: SCM Press Ltd., 1977.

298) Sharpe, Eric J. Comparative Religion: A History, London: Gerald Duckworth and Company Ltd., 1975.

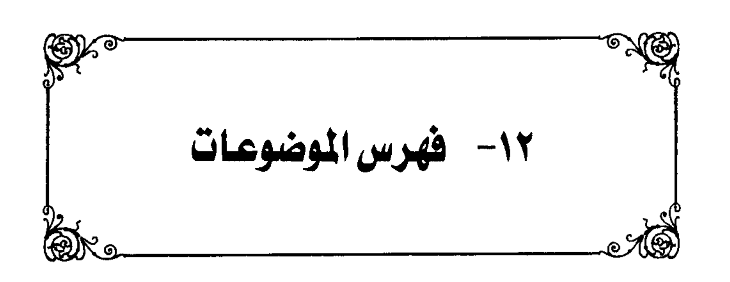
299) Sheard. W.J. Who Founded Christianity, Jesus or Jewry? 1st Print. Lagos: Islamic Publication Bureau, 1985.

300) The Bible -Revised Standard Version "Illustrated" (RSV)-. Pub. by: The British & Foreign Bible Society, 1967.

301) The Encyclopedia Americana (Canadian Edition), Americana Corporation of Canada Ltd., 1958.

302) The New American Bible (NAB). New York: Catholic Book Publishing Co., 1991.

303) Thompson, G.H.P. The Cambridge Bible Commentary on the New English Bible, Cambridge: University Press, 1967.



الموضوع	الصفحة

In the cases of rulings originating from different councils or synods, this work provides a historical survey covering the incidents that either preceded or accompanied such congregations, and have significant influence on the decisions taken by bishops or leaders of the Christian Church on different religious issues. The impact of such resolutions regarding schisms in the Christian Church and the breaking-up of the Christian community into sects and denominations was also discussed, as well as prominent additions to the body of the Christian laws introduced by some historical personalities in Christendom.

Some important theories and hypotheses, originating exclusively from Christian circles, regarding the real sources of the Bible were also evaluated.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلّ على محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم

كتاب: "مصادر النصرانية: دراسةً ونقداً"

الملخص الإنجليزي

Sources of Christianity: A Critical Study

ABSTRACT

Sources of any religion represent both its pivotal and central elements, hence the sensitivity that usually characterize people's reaction to studies of this kind. In the present work, the author has carefully tackled the issue, with clear emphasis on making the study as objective as possible and in accordance with conventional standards of scholarship.

The book starts with an introductory chapter wherein analytical and historic description of Jesus' mission is given, the changes that have occurred in the religion preached by him, and circumstances that led to such transformations.

The main body of the work consists of four chapters, in which each chapter critically examines a particular source of Christian beliefs and practices. The sources covered included the Bible (Old and New Testaments), rulings or decisions of different ecumenical and non- ecumenical church councils, and the Roman Catholic Papacy.

As for the books of the Old and New Testaments, not only was their authorship critically examined, but also efforts were made to compare some of their texts with certain historical, rational or scientific facts, with the aim of shedding light on discrepancies and inconsistencies that have posed, over the years, a number of puzzling questions, as to who actually wrote those books? Especially, some of their contents which have been proved to be spurious and unattributable to any divine source.

SOURCES OF CHRISTIANITY:
A Critical Study

Abdur-Razzaq Abdul-Majeed Alaro
LL.B., Ph.D. (Madinah)

SOURCES OF CHRISTIANITY

- A Critical Study -

Abdur-Razzaq Abdul-Majeed Alaro
LL.B., Ph.D. (Madinah)